تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير

فقيه المفسرين ومفسر المحدثين

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

أبو إسحاق الحويني

اختصره

أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين

أشرف على طبعه

سعد بن فواز الصميل

الجزء الأول

المقدمة - حتى الآية ١٤١ من سورة البقرة

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قَالَ(١) الشَّيخُ، الإِمَامُ، العالِمُ، العلَّامَةُ، الأوْحَدُ، البارعُ، الحافظُ، المُتْقِنُ، المجتهدُ، القُدْوةُ، علَّامةُ العُلمَاءِ، وَارِثُ الأَنْبِيَاءِ، بَرَكَةُ الإِسلامِ، وَحُجَّةُ الأَعْلَامِ، محيي السُّنَّةِ، وَمَنْ عَظُمَتْ بِهِ لله علينا المِنَّةُ، عِمَادُ الدِّينِ (أَبُو الفِدَاءِ)(٢) إِسَمَاعيلُ بْنُ الخَطِيبِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ كَثِيرِ البَصْرَاوِيُّ الشَّافِعِيُّ، نَفَعَ اللهُ بِهِ، وحَفِظَهُ بِعَيْنِهِ، وأَمَدَّهُ بِقُوَّتِهِ، وَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ:

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة] وقال (تعالى)(٣): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

وافتتح خَلْقه بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام].

واختتمه بالحمد، فقال ـ بعد ما ذكر مآلَ أهلِ الجنة وأهل النار ـ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر]. ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص].

كما قال (تعالى)(٤): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ].

فله الْحَمْدُ في الأولى والآخرة؛ أي: في جميع ما خلق وما هو خالقٌ، وهو المحمودُ في ذلك كلِّه، كما يقولُ المُصَلِّي: «اللَّهمَّ ربَّنا لك الحمدُ، ملءَ السَّمٰواتِ وملءَ الأرضِ وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بَعْدُ»(٥).

ولهذا يُلْهَمُ أهلُ الجنَّة تسبيحَهُ وتحمِيْدَهُ، كما يُلهَمُونَ النَّفَسَ؛ أي: يسبِّحونه ويحمدونه عددَ

---

(١) هذه الألقاب لم تنتظم كلها في نسخة واحدة، وقد لفقتها من (ج) و(ك) و(ل) و(ى).

(٢) وقع في (ج) و(ل): «أبو الفضل» وفي (ى): «أبو الوفاء»!

(٣) من (ك) و(ن) و(ى).

(٤) من (ن).

(٥) هذا جزء من حديث طويل: أخرجه مسلم (٧٧١/ ٢٠١، ٢٠٢)، من حديث علي بن أبي طالب ﷺ وقد ورد عن ثمانية من الصحابة، استوفيت أحاديثهم تخريجاً في «تسلية الكظيم» فللَّه الحمد.

أنفاسهم؛ لما يرون من عظيم نعمِهِ عليهم، وكمالِ قدرته، (ودوام)[(١)] سلطانه، وتوالي مِنَنه، (وإحسانِهِ)[(٢)]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس].

والحمد لله الذي أرسل رسُلَه ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥] وختمهم بالنَّبي الأمي العربي، المكيِّ الهادي لأوضح السُّبُلِ، أرسَلهُ إلى جميع خَلْقه من الإنْسِ والجنِّ من لَّدُنْ بعثته إلى قيام السَّاعةِ، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف] وقال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] فمن بلَغَهُ هذا القرآنُ من عرب وعَجم، وأسودَ وأحمرَ، وإنْسٍ وجانٍّ، فهو نذيرٌ له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [هود: ١٧] فمن كفر بالقرآن مِمَّنْ ذكرنا فالنَّارُ موعِدُه بِنَصِّ اللهِ تعالى؛ وكما قال (تعالى)[(٣)]: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾[(٤)] [القلم: ٤٤، ٤٥].

وقال رسولُ الله ﷺ: «بُعِثْتُ إلى الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ»[(٥)] قال مجاهدٌ (١/٢/١): يعني الإنسَ والجنَّ؛ فهُو، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ، رسولُ اللهِ إلى جميع الثَّقَلين: الإنسِ والجنِّ، مُبَلِّغاً لهم عن اللهِ تعالى ما أوحاهُ إليه من هذا الكتابِ العزيزِ الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت].

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم (إلى)[(٦)] تفهُّمِهِ؛ فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد].

فالواجبُ على العلماءِ الكشفُ عن معاني كلامِ اللهِ، وتفسيرُ ذلكَ، وطلبُه من مَظَانّهِ، وتعلُّمُ ذلك وتعليمُه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ۝١٨٧﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٧﴾ [آل عمران] فذمَّ الله تعالى أهلَ الكتابِ قَبْلَنا بإعراضِهم عن كتابِ الله (المنزل)[(٧)] (عليهم)[(٨)]، وإقبالِهم

---

(١) في (ك) و(ن) و(ى): «عظيم»، وأشار في حاشية (ى) أنه وقع في نسخة: «دوام».
(٢) في (ن): «ودوام إحسانه إليهم». (٣) من (ن).
(٤) من (ز).
(٥) أخرجه مسلم (٣/٥٢١)، والبخاري (١/٤٣٥، ٤٣٦، ٥٣٣) من حديث جابر ﷺ.
(٦) في (ز): «فيه»! (٧) ساقط من (ز) و(ك).
(٨) في (ز) و(ك): «إليهم».

على الدنيا وجَمْعِها، واشتغالِهم بغيرِ ما أُمروا به من اتِّباع كتاب الله.

فعلينا أيُّها المسلمُون أنْ ننتهيَ عمَّا ذمَّهُمُ الله تعالى بِهِ، وأَنْ نأْتِمرَ بما (أَمَرَنَا اللهُ به)[١] من تعلُّم كتابِ الله المنزَّلِ إلينا وتعليمِهِ، وتفهُّمِه وتفهيمه؛ قال الله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد] ففي ذِكْره - تعالى - لهذه الآية بعدَ الَّتي قبلَهَا تنبيهٌ على أنَّه - تعالى - كما يُحْيي الأرضَ بعدَ مَوتها كذلك يُلَيِّنُ القلوبَ بالإِيمانِ والهُدَى بعد قَسْوتها من الذنوب والمعاصي؛ والله المؤَمَّلُ المسؤولُ أنْ يفعل بِنَا (ذلك)[٢]، إنه جوادٌ كريمٌ.

فإنْ قَالَ قائلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طرقِ التَّفسيرِ؟

فالجوابُ: أَنَّ أصحَّ (الطُّرُقِ)[٣] في ذَلِكَ أن يفسَّرَ القرآنُ بالقرآنِ، فما أُجْمِلَ في مكانٍ فَإِنَّه قد (فُسِّرَ)[٤] في مَوْضعٍ آخرَ. (وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر)[٥] فإنْ أعياكَ ذلك فَعَلَيْكَ بالسُّنَّةِ، فإنَّهَا شارحةٌ للقرآنِ وموضِّحَةٌ له؛ بل قد قال الإمامُ أبو عبدِ الله محمد بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعيُّ رحمهُ اللهُ تعالى: كُلُّ ما حكمَ به رَسُولُ الله ﷺ فهو مما فَهِمه مِنَ القرآنِ؛ قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولهذا قال رسولُ الله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتيتُ القُرْآنَ ومِثْلَه مَعَهُ»[٦]؛ يعني: السنَّة.

---

(١) في (ز) و(ن) و(ى): «أمرنا به» لما لم يسم فاعله. (٢) في (ن): «هذا».
(٣) في (ن): «الطريق». (٤) في (ن) و(ى): «بِسط».
(٥) ساقط من (ك) و(ن) و(ز).
(٦) **حديث صحيح**.
أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) واللفظ له، وأحمد (٤/ ١٣١)؛ وابن حبان (١٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢٠/ رقم ٦٦٩، ٦٧٠)، وفي «مسند الشاميين» (١٠٦١)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/ ٢٠٩)؛ والآجري في «الشريعة» (٥١)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٣٢)؛ وفي «الدلائل» (٦/ ٥٤٩)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ١٥٠) من طريقين عن عبد الرحمٰن بن أبي عوف الحمصي، عن المقدام بن معدي كرب مرفوعاً: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه». وهو عند بعضهم مختصر.
وأخرج ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٨٥٨) الفقرة الأخيرة منه. وسنده جيد. وله طريق آخر.
أخرجه الترمذي (٢٦٦٤)؛ وابن ماجه (١٢)؛ والدارمي (١/ ١٤٤)؛ وأحمد (٤/ ١٣٢)؛ والطحاوي (٤/ ٢٠٩)؛ والحاكم (١/ ١٩٠)؛ والطبراني (ج٢٠/رقم ٦٤٩)؛ وابن عبد البر في «الجامع» (١/ ١٠٩)؛ والبيهقي (٧/ ٧٦)، و(٩/ ٣٣١) من طرق عن معاوية بن صالح، عن الحسن بن جابر، عن المقدام بن معدي كرب مرفوعاً نحوه.
=

والسُّنةُ - أيضاً - تنزلُ عليه بالوحي، كما ينزِلُ القرآنُ، إلَّا أنَّها لا تُتْلى كما يُتْلَى القرآنُ (١/ ٢/ ٢). وقد استدلَّ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ وغيرُهُ من الأئمَّةِ على ذلكَ بأدلةٍ كثيرةٍ ليس هذا موضعَ (ذكرِ)[١] ذلك.

والغرضُ أنَّكَ تطلبُ تفسيرَ القرآنِ منه، فإنْ لم تجدْهُ فمن السُّنَّةِ كما قال رسولُ الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «فَبِم تحكُمُ؟» قال: بكتابِ اللهِ. قَالَ: «فإنْ لم تجِدْ؟» قال: بِسُنَّةِ رسولِ اللهِ، قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهدُ رَأيي. قال: فَضَربَ رسولُ الله ﷺ في صَدْرِهِ، وقال: «الحمدُ لله الَّذي وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسولَ اللهِ»[٢].

وهذا الحديث في (المسانِدِ)[٣] و«السنن» بإسنادٍ جَيِّدٍ كما هُوَ مقَرَّرٌ في مَوْضِعِه.

وحينئذٍ: إذا لم نجد التفسيرَ في القرآن ولا في السنَّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أَدْرَى بذلك؛ لما شاهدوا من القرائنِ والأحوالِ التي اختصُّوا بها، ولما لهم من الفَهْم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم؛ كالأئمَّة الأربعةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ، والأئمةِ المَهْدِيِّين، وعبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه.

قال الإمامُ أبو جعفرٍ (محمَّدُ)[٤] بنُ جريرٍ الطبري: حدثنا أبو كُرَيب، ثَنَا جابرُ بنُ نوحٍ، ثَنَا الأعمشُ، عن أبي الضُّحى، عن مسروقٍ؛ قال: قال عبدُ الله - يعني ابنَ مسعودٍ -: والَّذي لا إلَهَ غيرُهُ، ما (نزلت)[٥] آيةٌ من كتاب الله إلا وَأَنَا أعلمُ (فيمن)[٦] نَزَلَتْ، (وأين نَزَلَت)[٧]، ولو أعلمُ (مكان)[٨] أحدٍ أعلمَ بكتابِ الله منِّي تنالُهُ المطايا لأَتَيْتُهُ[٩].

= قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».
وقال الحاكم: «إسناده صحيح». كذا! وفيه تسامح ذكرته في «الأصل».
وفي الباب عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أبو هريرة، وأبو رافع، وجابر، والعرباض بن سارية.

(١) من (ج) و(ل).

(٢) منكر.
أخرجه أبو داود (٣٥٩٢، ٣٥٩٣)؛ والترمذي (١٣٢٧)؛ وأحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢)؛ والدرامي (١/ ٥٥)؛ والطيالسي (٥٥٩)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ١٧٧)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٤٧، ٥٨٤)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢١٥)؛ وابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٥٥، ٥٦)؛ والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٥٤، ١٥٥)؛ والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٤)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (١٠١)؛ وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٢٦٤) من طرق عن شعبة، عن أبي عون الثقفي، عن الحارث بن عمرو، عن ناس من أصحاب معاذ، عن معاذ.. فذكره.
وعزاه المصنف في «تفسير سورة الحجرات» لابن ماجه فوهم.
وهذا حديث منكر، ضعفه صيارفة هذا الفن: البخاري، والترمذي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني في آخرين ذكرهم شيخنا أبو عبد الرحمٰن الألباني في بحث ممتع له حول هذا الحديث في «الضعيفة» (٨٨١) فانظره لزاماً.

(٣) وقع في (ك) و(ل) و(ن): «المسانيد»، وأشار في هامش (ن) أن في بعض النسخ «المسند».

(٤) زيادة من (ز) و(ع) و(ك) و(ى).

(٥) في (ج): «نزل».

(٦) في (ك): «فيم».

(٧) ساقط من (ج).

(٨) ساقط من (ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (٨٣). وأخرجه البخاري (٩/ ٤٧)؛ ومسلم (٢٤٦٣/ ١١٥)، من طريق الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق به.

وقال الأعمش[١] أيضاً، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: كان الرَّجُلُ منَّا إذا تعلَّمَ عشرَ آياتٍ لم يُجاوزْهُنَّ حتَّى يعرفَ معانيهِنَّ والعَمَلَ بِهِنَّ.

وقال أبو عبدِ[٢] الرَّحمٰن السُّلَمي: حدَّثنا الذين كانوا يُقرِئُونَنَا أَنَّهم كانُوا يستقرئون من النَّبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشرَ آياتٍ لم يخلِّفُوها حتى يعملوا بما فيها من العمَل، فتعلَّمنَا القرآنَ والعَمَلَ جَمِيعاً.

ومنهم: الحبرُ البَحْرُ[٣] عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وترجمانُ القرآنِ ببركةِ دعُاءِ رسولِ اللهِ ﷺ له حيثُ قال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ وعَلِّمهُ التَّأوِيلَ»[٤].

وقال ابنُ[٥] جريرٍ: حدثنا محمَّدُ بنُ بَشَّارٍ، ثَنَا وَكيعٌ، ثَنَا سفيانٌ، عن الأعمش، عن مسلم

---

(١) أخرجه ابن جرير (٨١) من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش به وسنده صحيح.

(٢) **صحيح.**
أخرجه ابن جرير (٨٢) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي فذكره.
قال الشيخ أبو الأشبال رحمه الله: «هذا إسناد صحيح متصل»! كذا قال! ومحمد بن حميد شيخ الطبري واه، وقد كذبه جماعة من أهل الري، وطوح الشيخ بقول الجارحين له إذ قال في «شرح الترمذي» (٢/ ٥٠٣، ٥٠٤): «ونستخير الله في أنه ثقة»! وقد ناقشته في «بذل الإحسان» (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥) فراجعه.
ولكن له طريق آخر.
فأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١٧٢) قال: أخبرنا حفص بن عمر الحوضي، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا عطاء بن السائب أن أبا عبد الرحمٰن السلمي قال: فذكره بنحوه وزاد: «وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء، لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هاهنا». ووضع يده على الحلق.
وهذا إسناد صحيح، وحماد بن زيد كان ممن سمع من عطاء قبل اختلاطه كما قال النسائي والعقيلي.
وأخرجه أحمد (٥/ ٤١٠)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٠)؛ وعبد الرزاق (٣/ ٣٨٠)؛ والحاكم (١/ ٥٥٧). وعنه البيهقي في «الشعب» (٤/ ٥١٠) من طرق عن عطاء، عن أبي عبد الرحمٰن به.

(٣) كذا سماه مجاهد بن جبر: أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٩٢٠)؛ وابن سعد (٢/ ٣٦٦)؛ ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (١/ ٤٩٦)؛ والطبري في «تهذيب الآثار» (٢٧٦ ـ مسند ابن عباس)؛ والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٣٣)؛ والحاكم (٣/ ٥٣٥)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٦)؛ والخطيب في «تاريخه» (١/ ١٧٤) بسند صحيح عن مجاهد قال: «كان ابن عباس رضي الله عنه يسمى «البحر» من كثرة علمه». وأخرج نحوه أحمد في «الفضائل» (١٨٧٥)؛ وابن سعد (٢/ ٣٦٦) عن عطاء.

(٤) **صحيح.**
أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥)؛ وفي «الفضائل» (١٨٥٦، ١٨٥٨، ١٨٨٢)؛ وابن أبي شيبة (١٢/ ١١١، ١١٢)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٦٥)؛ ويعقوب بن سفيان في «تاريخه» (١/ ٤٩٣، ٤٩٤). وكذا ابن حبان (٧٠٥٥)؛ والحاكم (٣/ ٥٣٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٠/رقم ١٠٥٨٧) من طريق حماد بن سلمة وزهير بن معاوية، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كنت في بيت ميمونة بنت الحارث، فوضعت لرسول الله ﷺ طهوراً، فقال: «من وضع هذا؟» قالت ميمونة: عبد الله. فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل».
وهذا سند جيد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) **صحيح.**
أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠٤).
وأخرجه أحمد في «الفضائل» (١٨٦٠، ١٨٦١)؛ وأبو خيثمة في «كتاب العلم» (٤٨)، وابن سعد =

ـ قال: ـ قال عبد الله؛ يعني: ابْنَ مَسْعُودٍ: نِعْمَ تُرجمانُ القرآنِ ابنُ عَبَّاسٍ. ثم رواه[١] عن يحيى بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عَنْ مسلم بنِ صُبَيحٍ، أَبِي الضُّحى، عن مسروقٍ، عن ابنِ مسعودٍ ـ أنه قَالَ: نِعْمَ التُّرجُمانِ للقرآنِ ابنُ عَبَّاسٍ. ثم رواه[٢] عن بُنْدارٍ، عن جعفر بن عون، عن الأعمش به، كذلك.

فهذا إسنادٌ صحيح إلى ابن مسعود أَنَّهُ قال عن ابنِ عبَّاسٍ هذه العبارة. وقد مات ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في سنة اثنتينِ وثلاثينَ على الصَّحيحِ، وعُمِّر بعدَهُ عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ ستًّا وثلاثينَ سنةً؛ فما ظَنُّك بما كسبَهُ من العلوم بعد ابنِ مسعودٍ (رضي الله عنهما)[٣]؟!

وقال الأعمش[٤]، عن أبي وائل: استخلفَ عليٌّ عبدَ الله بْنَ عبَّاسٍ على الموسم، فخطبَ النَّاسَ، فقرأَ في خطبته سورةَ البَقَرةِ؛ وفي روايةٍ سورةَ النُّورِ، ففسَّرها تَفْسيراً لو سَمِعهُ الرُّومُ والتُّركُ والدَّيلمُ لأَسْلَموا.

ولهذا غالبُ (١/٣/١) ما يرويه إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمٰن السُّدِّيُّ الكبيرُ في «تَفْسيره» عن هذين الرجلين (عبد الله)[٥] بن مسعود، وابنِ عبَّاسٍ؛ ولكن في بعض الأحيان ينقلُ عنهم ما يحكونه من أقاويل أهلِ الكتابِ التي أباحَهَا رسولُ الله ﷺ حيثُ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَةً، وحدِّثوا عن بني إِسرَائيلَ ولا حَرَجَ، ومن كذَبَ عَليَّ مُتعمِّداً فليتبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ» رواهُ البُخَاري[٦] عن عبد الله بن عمرو.

ولهذا كان عبدُ الله بنُ عمرٍو رضي الله عنهما[٧] (قد أصابَ يوم اليَرْمُوك)[٨] زَامِلَتَينِ من كُتُبِ أهلِ

= (٢/٣٦٦)؛ وابن أبي شيبة (١٢/١١٠، ١١١)؛ ويعقوب بن سفيان في «تاريخه» (١/٤٩٤، ٤٩٥)؛ والطبري في «التهذيب» (٢٦٨ ـ ٢٧١ مسند ابن عباس)؛ والبلاذري في «أنساب الأشراف»؛ والحاكم (٣/٥٣٧)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/١٩٣)؛ والخطيب (١/١٧٤) من طرق عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود. وعند بعضهم: «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا أحد، ونعم ترجمان القرآن... إلخ».
قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.
وأخرجه ابن سعد (٢/٣٦٦) من طريق مالك بن مغول، عن سلمة بن كهيل، قال: قال عبد الله: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.
قال الحافظ في «الإصابة» (٤/١٤٦): «سنده حسن».

(١) رقم ١٠٥. (٢) رقم ١٠٦.
(٣) ساقط من (ز) و(ن).
(٤) أخرجه الطبري (٨٥، ٨٦، ٨٧). وكذلك يعقوب بن سفيان في «المعرفة» (١/٤٩٥، ٤٩٦)؛ وأبو العباس السراج، كما في «الإصابة» (٤/١٤٩)، من طرق عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن عباس. وهذا سند صحيح.
(٥) من (ز).
(٦) في «صحيحه» (٦/٤٩٦ ـ فتح).
وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٦٦٩)؛ والدارمي (١/١١١)؛ وأحمد (٢/١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤)؛ وابن حبان (٦٢٥٦) في آخرين من طريق أبي كبشة السلولي، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.
(٧) في (ك) و(ن): «عنهما» وسقطت الترضية من (ز). (٨) في (ز): «يوم اليرموك قد أصاب».

الكتابِ، فكانَ يحدِّثُ منهُمَا بما فَهِمهُ من هذا الحديثِ من الإذْنِ في ذلكَ.

ولكنَّ هذه الأحاديثَ الإسرائيليَّة تُذْكَرُ للاستشهادِ تُذْكَرُ للاستشهادِ لا للاعتِضَادِ؛ فإنَّها على ثَلاثَةَ أقسامٍ:

أَحدُهَا: ما عَلِمْنَا صِحَّتَه مما بأيدينا ممَّا يشهدُ له بالصِّدْقِ، فذاك صحيحٌ.

والثَّانِي: ما علمنا كَذِبَهُ مما عندنا مما يُخالفُهُ.

والثَّالثُ: ما هو مسكوتٌ عنه، لا من هَذا القبيلِ (ولا مِنْ هَذا القَبيلِ)[(١)]، فلا نُؤْمِنُ به ولا نُكَذِّبُهُ؛ ويجوزُ حكايَتُهُ لما تَقَدَّم؛ وغالبُ ذلك ممَّا لا فَائِدَةَ فيه تعُودُ إلى أمْرٍ دِينيٍّ.

ولهذا يختلف علماءُ أهلِ الكتابِ في هَذا كَثِيراً؛ ويأتي عن المفَسِّرينَ خِلافٌ بسببِ ذلكَ، كما يذكُرُون في مِثْلِ هذا أسماءَ أصحابِ الكَهْفِ، ولَوْنَ كلبِهِم، وعِدَّتَهُم، وَعَصَا موسى من أيِّ (شَجَرٍ)[(٢)] كانت، وأسماءَ الطُّيورِ التي أحياها الله لإبْرَاهِيمَ، وتعيينَ البَعْضِ الذي ضُرِبَ به القتيلُ من البَقَرةِ، ونوعَ الشَّجرةِ التي كلَّمَ اللهُ منها مُوسَى إلى غيرِ ذلك مما أبهَمَهُ الله تعالى في القرآنِ، مما لا فائدةَ في تعيينِهِ تعودُ على المكلَّفين في دينِهم ولا دُنْيَاهم؛ ولكنَّ نَقْلَ الخلاف عنهم في ذلك جائزٌ، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف] فقد اشتملت هذه الآيةُ الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مِثْلِ هذا؛ فإنه تعالى (حكى)[(٣)] عنهم ثلاثةَ أقوال، ضعَّف القولين الأولين، وسكت عن الثالث؛ فدلَّ على صحته؛ إذ لو كان باطلاً لردَّه كما ردَّها.

ثم أرشد (إلى)[(٤)] أنَّ الاطِّلاعَ على عِدَّتهم لا طائلَ تحته [(٥)][(فيقال)[(٦)] في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فإنه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائلَ تحته][(٥)] ولا تسألهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رَجْم الغيب.

فهذا أحسنُ ما يكون في حكاية الخلاف: أن تَسْتَوْعِب الأقوالَ في ذلك المقام، وأن تُنَبِّه على الصحيح منها، وتبطل الباطل، وتذكر فائدةَ الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاعُ والخلافُ فيما لا فائدةَ تحته؛ فتشتغل به عن «الأهم»[(٧)].

فأما مَنْ حكى خلافاً في مسألة، ولم يستوعب أقوالَ الناس فيها، فهو ناقص؛ [(٨)][إذ (قد)[(٩)] يكون الصوابُ في الذي تركه؛ أو يحكى الخلاف ويطلقه، ولا ينبِّه على الصحيح من الأقوالِ، فهو ناقص][(٨)] أيضاً، فإنْ صحَّحَ غَيْرَ الصحيح عامداً فقد (١/٣/٢) تعمَّد الكذبَ، أو جاهلاً فقد

---

(١) ساقط من (ج).
(٢) في (ز) و(ن): «الشجر».
(٣) كذا في (ج) و(ل). ووقع في «ع» و(ك) و(ى) و(ز): «أخبر» وأشار في هامش (ع) و(ى) إلى اللفظ الآخر.
(٤) في (ز) و(ن): «على».
(٥) ساقط من (ك).
(٦) في (ز): «فقال».
(٧) في (ز) و(ن): «الأهم فالأهم» وهي زيادة قلقة.
(٨) ساقط من (ك).
(٩) ساقط من (ج).

أخطَأ؛ وكذلك مَنْ نصب الخلافَ فيما لا فائدةَ تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قولٍ أو قولين معنًى فقد ضيَّعَ الزمان، وتكثَّرَ بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثَوْبى زُور(١). والله الموفق للصواب.

فَصْلٌ

إذا لم تجد التَّفسير في القرآنِ ولا في السُّنَّةِ، ولا وجدتَّهُ عن الصَّحابَةِ، فقد رجع كثيرٌ (مِن)(٢) الأئمَّة في ذلكَ إلى أقوالِ التَّابعينَ؛ كمجاهدِ بنِ جَبْرٍ؛ فإنَّهُ كان آيةً في التَّفسِيرِ، كما قال محمَّدُ بْنُ إسحاقَ(٣): حدَّثنا أبانُ بنُ صالحٍ، عن مُجَاهِدٍ؛ قال: عرضتُ المصحفَ على ابنِ عبَّاسٍ ثلاثَ عَرْضاتٍ مِنْ فاتِحتِه إلى خاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عند كُلِّ آيةٍ منه، وأسألُهُ عنها.

وقَالَ ابنُ جَريرٍ(٤): حدثنا أبو كُرَيبٍ، ثنا طَلْقُ بنُ غَنَّام، عن عثمَانَ المكيِّ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ؛ قَالَ: رَأَيتُ مجاهداً سأَلَ ابْنَ عبَّاسٍ عن تفسيرِ القرآنِ ومعه ألواحُهُ؛ قَالَ: فيقولُ له ابنُ عبَّاسٍ: اكتُبْ، حتَّى سألَهُ عن التَّفسيرِ كُلِّهِ.

ولهذا كان سفيانُ(٥) الثَّوريُّ يقولُ: إذا جاءَكَ التفسيرُ عن مُجاهدٍ فحَسْبُكَ بِهِ.

وكسعيدِ بنِ جُبيرٍ، وعِكْرِمةَ مولى ابنِ عبَّاسٍ، وعَطاءِ بنِ أبي رباحٍ، والحسنِ البصريِّ، ومسروقِ بنِ الأَجْدَعِ، وسَعِيدِ بنِ المسيَّب، وأبي العالية، والرَّبيع بْنِ أنسٍ، وقَتَادَةَ، والضحاكِ بن مُزَاحم، وغيرِهِم من التَّابعين وتابعيهم ومَنْ بعدهم؛ فَتُذْكرُ أقوالُهُم في الآيةِ فيقَعُ في عِبَاراتِهِم تَبَاينٌ في الألفاظ يَحْسَبُها (بعض)(٦) مَنْ لا عِلْمَ عندَهُ اختلافاً فيحكيها أَقْوَالاً؛ وليسَ كذلكَ؛ فإنَّ منهم من يعبِّرُ عن الشَّيءِ بلازمِهِ أو بنَظيرِهِ، ومنهم من يَنُصُّ على الشَّيءِ بعينِهِ، والكلُّ بمعنىً واحدٍ (في كثيرٍ من)(٧) الأماكنِ، فَلْيَتَفَطَّنِ اللَّبيبُ لذلك. والله الهادي.

وقال شعبةُ بنُ الحجَّاجِ وغيرُهُ: أقوالُ التَّابعينَ في الفُرُوعِ ليست حُجَّةً، فكيفَ تكون حجةً في التفسير؟ يعنى أنها لا تكون حجةً على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على

(١) إشارة إلى ما أخرجه البخاري (٩/ ٣١٧)؛ ومسلم (٢١٣٠/ ١٢٧).

(٢) ساقط من (ج).

(٣) أخرجه الطبري (١٠٨)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩، ٢٨٠)، ومن طريقه الذهبي في «التذكرة» (٢/ ٧٠٦)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١٦/ ل٢٥٢) من طريق ابن إسحاق بسنده سواء.
قال الذهبي: «هذا حديث حسن الإسناد»، وأخرجه أحمد في «الفضائل» (١٨٦٦)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.

(٤) في «تفسيره» (١٠٧)، ورجاله ثقات إلا عثمان المكي، ولعله عثمان بن أبي الكنات. ترجمه ابن أبي حاتم (٣/ ١/ ١٦٥) وقال: «روى عن ابن أبي مليكة، روى عنه البصريون ويسرة بن صفوان» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٢٠١).
ويحتمل أن يكون: عثمان بن الأسود المكي، أو عثمان بن صفوان. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٠٩) قال: حدثني عبيد الله بن يوسف الجبيري، عن أبي بكر الحنفي، قال: سمعت سفيان الثوري فذكره. وسنده جيد.

(٦) زيادة من (ج) و(ل).

(٧) في (ن): «في أكثر».

الشيء فلا يرتابُ في كونه حجة؛ فإن اختلفوا فلا يكون قولُ بعضِهِمْ حجةً على (قول)[١] بعض، ولا على مَنْ بعدهم؛ ويُرجع في ذلك إلى لغةِ القرآن، أو السنَّة، أو عموم لغةِ العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.

فأما تفسيرُ القرآنِ بمجرَّدِ الرَّأي فحرامٌ لما رواهُ (الإمامُ)[٢] محمدُ بنُ جريرٍ رحمهُ اللهُ (تعالى)[٣] حيث قال[٤]:

حدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سفيان، حدثني عبد الأعلى - هو ابن عامر الثعلبي - عن سعيد بن جُبير، عن ابنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ؟ قال: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأيِهِ، أَوْ بِمَا لا يَعْلَمُ، فليتبوَّأ مقعدَهُ مِنَ النَّارِ».

وهَكَذَا أخرجهُ التِّرمِذِيُّ[٥]، والنسائيُّ[٦] من طُرُقٍ عن سُفيانَ الثَّوريِّ، به؛ ورواه أبو دَاوُدَ[٧]، عن مُسَدَّدٍ، عن أبي عَوَانَةَ، عن عبدِ الأعلى، به، (مَرْفُوعاً)[٨].

وَقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

وهكذا رواهُ ابن جريرٍ[٩] أيضاً عن يحيى بن طلحة اليَرْبُوعي، عن شَريك، عن عبد الأعلى، به، مرفوعاً؛ ولكن رواه[١٠] عن محمدِ بْنِ حُميدٍ، عن الحكم بن بشير، عن عمرو بنِ قيسٍ المَلائيِّ، عن عبدِ الأعلى، عن سعيدٍ، عن ابْنِ عبَّاسٍ فَوَقَفَهُ، (١/ ٤/ ١).

---

(١) زيادة من (ن). ووقعت في (ز): «فلا يكون بعضهم حجةً على بعض».
(٢) زيادة من (ل).
(٣) زيادة من (ن).
(٤) في «تفسيره» (٧٤).
(٥) في «سننه» (٢٩٥١).
(٦) في «فضائل القرآن» (١٠٩، ١١٠).
(٧) كما في «أطراف المزي» (٤/ ٤٢٣). وهذا الحديث لا يوجد في نسخ السنن التي بأيدينا؛ لأنها من رواية اللؤلؤي، وقد وقع في رواية ابن العبد كما قال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٧)، والزبيدي في «الإتحاف» (٤/ ٥٢٦).
وابن العبد؛ هو: علي بن الحسن بن العبد الأنصاري، أحد رواة «سنن أبي داود» والله الموفق.
(٨) زيادة من (ك) و(ن).
(٩) في «تفسيره» (٧٣).
وأخرجه أيضاً أحمد (٢٠٦٩، ٢٤٢٩، ٢٩٧٦، ٣٠٢٥)؛ وأبو يعلى (ج٤/رقم ٢٥٨٥) بزيادة في أوله، والبزار في «مسنده» (ج٢/ ق٢٦٥، ٢٩٣)؛ والطحاوي في «المشكل» (١/ ١٦٧، ١٦٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ رقم١٢٣٩٢)؛ وأبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (١/ ٣٩٦)؛ وابن بطة في «الإبانة» (٧٩٩، ٨٠٥) وآخرون من طرق عن عبد الأعلى بن عامر بسنده سواء. وسنده ضعيف لأجل عبد الأعلى هذا، ووهم المنذري رحمه الله وهماً شديداً إذ قال في «الترغيب» (١/ ١٢١): «رواه أبو يعلى ورواته ثقات محتج بهم في الصحيح»!! كذا قال! وعبد الأعلى بن عامر ما أخرجا له شيئاً أصلاً، لا احتجاجاً ولا متابعة.
(١٠) يعني ابن جرير (رقم ٧٦) وسنده ضعيف جداً، ومحمد بن حميد واه.
ورواه وكيع بن الجراح، عن الثوري، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٢) ونجم الدين النسفي في «ذكر علماء سمرقند» (رقم٨٠٧) عن وكيع هكذا موقوفاً وقد رواه عن الثوري جماعة من الثقات مرفوعاً كما مر ذكره، وهذا الاختلاف من عبد الأعلى بن عامر.

وعن[١] محمد بن حُميدٍ، عن جريرٍ، عن ليثٍ، عن بكرٍ، عن سعيدِ بْنِ جُبير، عن ابنِ عبَّاسٍ من قوله. فالله أعلم.

وقال ابن[٢] جرير: حدَّثنا العباس بن عبد العظيم العَنْبَرِي، حدثنا حَبَّان[٣] بن هلالٍ، حدثنا سهيلٌ أخو حزمٍ، حدَّثنا أبو عِمْران الجَوْنى، عن جُنْدَبٍ ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ ـ قال: «مَنْ قَالَ في القُرْآنِ برأيِهِ فقدْ أَخْطَأ»[٤].

وقد روى هَذَا الحديثَ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ، والنَّسائيُّ، مِنْ حديثِ سهيلِ بنِ أَبِي حَزْم (القُطعي)[٥].

وقال الترمذيُّ: «غريبٌ. وقد تكلَّم بعضُ أهلِ العلم في سُهَيْلٍ».

---

(١) أخرجه ابن جرير أيضاً (٧٧) بلفظ: «من تكلم في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار» وسنده كسابقه، وليث هو ابن سليم، والكلام فيه مشهور. وبكر هو ابن سوادة. وزعم محقق أبي يعلى (٤/٢٢٨) أن بكراً تابع عبد الأعلى الثعلبي، وهو قد خالفه فأوقفه كما ترى. والله أعلم.
وهذا الحديث لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً، إذ مداره على عبد الأعلى وقد ضعفه أحمد وأبو زرعة وابن سعد. وقال أبو حاتم، وابن معين، والنسائي، والدارقطني: «ليس بالقوي».
وقال الحافظ في «التهذيب»: «وصحح له الحاكم، وهو من تساهله».
ولكن وجدت له طريقاً آخر مرفوعاً.
أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٨/٣٦٨) قال: حدثنا محمد بن المنذر، عن عبد الله بن شيبة الصغاني عن أبي عاصم النبيل، ثنا ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً: «من قال في القرآن برأيه... الحديث».
وهذا إسناد ضعيف أيضاً. وعبد الله بن شيبة لا أعرف من حاله شيئاً. وابن جريج مدلس وقد عنعنه. والله أعلم.

(٢) في «تفسيره» (رقم ٨٠).

(٣) وقع في (ن): «حيان» بالياء وهو خطأ.

(٤) **ضعيف.**
أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)؛ والنسائي في «الفضائل» (١١١)؛ والترمذي (٢٩٥٣) من طرق عن سهيل بن أبي حزم، ثنا أبو عمران الجوني، عن جندب مرفوعاً.
ومن هذا الوجه:
أخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (ج٢/رقم ١٦٨٠)؛ وأبو يعلى في «المسند» (٣/ ٩٠)؛ وفي «المفاريد» (٣٢)؛ والروياني في «مسنده» (ج٢٨/ق١٧٣/ ٢)؛ والطبراني في (ج٢/رقم ١٦٧٢)؛ وفي (الأوسط) (ج٢/ ق١٠/ ٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (٣/١٢٨٨)؛ وابن بطة في «الإبانة» (٧٩٨، ٨٠٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٨١) وآخرون.
وعزاه الزبيدي في «الإتحاف» (٤/٥٢٦) لابن حبان فوهم.
وقال البغوي في شرح السنة (١/ ٢٥٩): «غريب» وكذا نقل المصنف عن الترمذي وسبقه المزي في «الأطراف» (٢/ ٤٤٤) ولكني لم أجد هذا النقل في «المطبوعة، وفيها سقط كثير». فالله المستعان. وعلى كل حال فالسند ضعيف، وسهيل بن أبي حزم ضعفه أحمد والبخاري وأبو حاتم وغيرهم وقد خالفه حماد بن زيد في إسناده ومتنه كما شرحته في «تسلية الكظيم».
وأخرج ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١٣٠) من طريق محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس مرفوعاً: «من قال في القرآن برأيه، فإن أصاب لم يؤجر». وسنده ساقط، والكلبي تالف البتة، فكذبه غير واحد من النقاد. وفي الباب شواهد أخرى واهية.

(٥) في (ل) و(ن): «القطيعي» وهو خطأ.

وفي لفظٍ لهم: «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَد أَخْطَأَ»؛ أَيْ: لأَنَّهُ قد تكلَّفَ مَا لَا عِلْمَ له به، وسلكَ غيرَ مَا أُمرَ به، فلو أنَّهُ أصابَ المعنى في نفْسِ الأَمْرِ لكَانَ قد أَخْطَأَ؛ لأَنَّهُ لم يأْتِ الأمرَ من بَابِهِ، كمن حَكَمَ بين النَّاس على جَهْل فهو في النَّار، وإنْ وَافَقَ حكمُهُ الصَّوَابَ في نَفْسِ الأَمْرِ، لكن يكونُ أَخَفَّ جُرْماً ممَّنْ أخطأَ. والله أعلَمُ.

وهكذا سمى الله القَذَفَةَ: كاذِبينِ؛ فقال: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣] فالقاذفُ كاذبٌ ولو كان قد قَذَفَ مَنْ زَنَى في نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحلُّ له الإخبارُ به؛ ولو كان أخبر بما يعلم؛ لأنه تكلَّفَ ما لا علم له به. والله أعلم.

ولهذا تحرَّج جماعةٌ من السَّلَفِ عن تفسيرِ ما لا عِلْمَ لهم به، كما روى شُعبةُ[1]، عن سليمان، عن عبد الله بن مُرّة، عن أبي مَعْمَر؛ قال: قال أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: أيُّ أرضٍ تُقِلُّني؛ وأيُّ سماءٍ تظلُّني، إِذَا قُلْتُ في كتابِ اللهِ (بِمَا)[2] (لا)[3] أعلم.

وقال أبو عبيدٍ[4] القاسمُ بنُ سَلَّامٍ: حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ، عن العوَّم بنِ حَوْشب، عن إبراهيمَ التَّيميِّ، أن أبا بكر الصدِّيقَ سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس] فقال: أيُّ سماءٍ تظلُّني؛ وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني، إذا أَنَا قلتُ في كتابِ الله ما لا أعلمُ. مُنْقَطِعٌ.

---

(١) **إسناده ضعيف.**
أخرجه ابن جرير (٧٩) قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة بإسناده سواء.
وأخرجه مسدد في «مسنده» كما في «المطلب العالية» (٣/ ٣٠٠) وعبد بن حميد ـ كما في «الفتح» (١٣/ ٢٧١) وهذا سند رجاله ثقات، ولكنه منقطع بين أبي معمر، ـ واسمه: عبد الله بن سخبرة ـ، وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما صرح به الحافظ.

(٢) في (ن): «ما».
(٣) في (ع): «لم».

(٤) **إسناده ضعيف.**
أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (١/٥٨)؛ وابن أبي شيبة (١٠/٥١٣)؛ وعبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (٦/٣١٧)، وهو منقطع كما ذكر المصنف رحمه الله، وسبقه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «أصول التفسير» (١٠٨) وتلاهما ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٢٧١) وقد خولف العوام بن حوشب فيه. خالفه الحسن بن عبيد الله، فرواه عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فزاد: «أبا معمر» في سنده.
أخرجه ابن جرير (٧٨)؛ وابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٥٢) من طريق حفص بن غياث، عن الحسن به وهو منقطع أيضاً كما تقدم.
وأخرج البيهقي في «المدخل» (٧٩٢) عن سعيد بن منصور وهو في «تفسيره» (٣٩) ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سئل أبو بكر الصديق عن آية من كتاب الله عز وجل... فذكر نحوه.
قال البيهقي في «الشعب» (٥/٢٢٨): «ابن أبي مليكة عن أبي بكر مرسل».
وأخرج ابن أبي شيبة (١٠/٥١٢)؛ والخطيب في «الجامع» (٢/ ١٩٣) من طريقين عن الحسن بن عمرو، عن عامر الشعبي، عن أبي بكر رضي الله عنه نحوه. وهذا منقطع أيضاً.
وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم٢٠٨٢) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن القاسم، عن أبي بكر به.
ورواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد مقاربة، فقد كان أثبت الناس فيه كما قال أبو حاتم، لكنه منقطع بين القاسم وجده رضي الله عنه.

[1][وقال أبو[2] عبيدٍ أيضاً: حدثنا يزيدٌ، عن حُميدٍ، عن أنسٍ ـ أنَّ عمرَ بْنَ الخطَّابِ قرأ على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: هذه الفاكهةُ قد عرفناهَا، فما الأبُّ؟ ثم رجَعَ إلى نفسِهِ، فقال: إنَّ هذا لهو التكلُّفُ يا عمرُ!

وقال (محمد بن سعدٍ)[3]: حدَّثَنَا سليمانُ بنُ حربٍ، حدَّثنا حمادُ بنُ زيدٍ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ؛ قال: كُنَّا عند عمرَ بْنِ الخطَّاب رضي الله عنه وفي ظَهْرِ قميصِهِ أربعُ رِقاعٍ، فقرأ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: فما الأبُّ؟ ثم قال: إنَّ هذا لهو التكلُّف؛ فما عليكَ أن لا تَدْرِيَه؟][1].

وهذا كُلُّه محمولٌ على أنَّهُما رضي الله عنهما إنما أرادَا استكشافَ عِلْم كيفيَّةِ الأبِّ، وإلّا فكونه نَبْتاً من الأرضِ ظاهرٌ لا يُجْهَل؛ (لقوله)[4] تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨].

وقال ابنُ جريرٍ[5]: حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، حدثنا ابنُ عُلَيَّة، عن أيُّوبَ، عن ابنِ أبي مُلَيكَةَ: أنَّ ابنَ عبَّاسٍ سُئل عن آيةٍ لو سُئلَ عنها بعضُكُم لقال فيها، فأبى أن يقولَ فيها.

«إسْنَادُهُ»[6] صَحِيْحٌ.

وقال أبو عبيدٍ: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مُليكة، قال: سأل رجل ابْنَ عباس عن ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥]؟ فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوۡمٖ كَانَ (١/ ٤/ ٢) مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤]؟ فقال له الرَّجُلُ: إنَّما سألتُك لتحدِّثني؛ فقال ابنُ عبَّاسٍ: هما يومانِ ذكرهُما الله في كِتَابه الله أعلمُ بهما، فكره أنْ يقولَ في كتاب الله ما لا يعلم.

وقال (أيضاً)[7] ابنُ جريرٍ[8]: حدَّثني يعقوبُ ـ يعني: ابنَ إبراهيمَ ـ ثَنَا ابنُ عُلَيَّة، عن مَهْديِّ بنِ

---

(١) ساقط من (ن).

(٢) **إسناده صحيح.**
أخرجه أبو عبيد (٥٨/١)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٢، ٥١٣)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (ق١٨٦/ ١)؛ والحاكم (٢/ ٥١٤)، وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٨٤) من طريق يزيد بن هارون، عن حميد، عن أنس.
قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

(٣) ووقع في (ز) و(ك): «عبد بن حميد».
وقد أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» ـ كما في «الفتح» (١٣/ ٢٧١)؛ وابن سعد (٣/ ٣٢٧) قالا: حدثنا سليمان بن حرب بسنده سواء.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٢٦٤، ٢٦٥) قال: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: كنا عند عمر فقال: «نهينا عن التكلف». هكذا أخرجه البخاري مختصراً. وتكلم عليه الحافظ في «الفتح» بما يجدر أن يراجع.
وأخرجه ابن جرير (٣٠/ ٦٠، ٦١)؛ وعبد بن حميد كما في «الفتح»؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٨٤)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٠٤) من طرق عن الزهري، عن أنس. وسنده صحيح أيضاً. وقال الجوزقاني: «هذا حديث صحيح».

(٤) في (ن): «كقوله».

(٥) في «تفسيره» (٩٨) وسنده صحيح.

(٦) في (ل) و(ن): «إسناده».

(٧) في (ن): «ابن جرير أيضاً».

(٨) في «تفسيره» (٩٩) وسنده صحيح. والوليد بن مسلم هو ابن شهاب العنبري أبو بشر البصري وثقه ابن معين وأبو حاتم وابن حبان.

ميمونٍ، عن الوليدِ بنِ مسلم؛ قال: جاء طَلْقُ بن حبيبٍ إلى جُنْدُبِ بنِ عبد الله، فسأله عن آيةٍ من القرآنِ. فقال: أُحرِّجُ عليكَ إن كنْتَ مسلماً لما قمْتَ عني ـ أو قال ـ: أن تُجالسني.

وقال مالك[١]، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيَّب ـ أنه كان إذا سُئلَ عن تفسير آيةٍ من القرآنِ قال: إنَّا لا نقولُ في القرآنِ شيئاً.

وقال الليث[٢]، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيَّب ـ إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وقال شعبة[٣]، عن عمرو بن مرة؛ قال: سأل رجلٌ سعيدَ بن المسيَّب عن آيةٍ من القرآنِ، فقال: لا تسألني عن القرآن، وسَلْ مَنْ يزعُم أنَّه لا يخفى عليه منه شيءٌ ـ يعني عِكْرِمَةَ ـ.

وقال ابن شَوْذَب[٤]: حدَّثني يزيد (بن أبي يزيد)[٥]، قال: كُنَّا نَسألُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ عن الحرَامِ والحَلَالِ، وكانَ أعلمَ النَّاسِ، فإذا سألناهُ عن تفسيرِ آيةٍ من القرآن سكت كأن لم يسمع.

وقال ابنُ جريرٍ[٦]: حدَّثني أحمدُ بنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، ثَنَا حمَّادُ بن زيدٍ، ثَنا عبيد الله بن عمر؛ قال: لقد أدركتُ فُقَهاءَ المدينةِ وإنَّهم لَيُعظِّمونَ القولَ في التفسير؛ منهم سالمُ بنُ عبدِ الله، والقاسمُ بنُ محمدٍ، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ، ونَافعٌ.

وقَالَ أبو عبيدٍ[٧]: حدَّثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ، عن (الليث)[٨]، عن هشام بن عُرْوَة، قال: ما سمعت أبي يؤوِّل آيةً من كتابِ الله قطُّ.

وقال أيوبُ[٩]، وابنُ عَوْنٍ، وهشامُ الدَّسْتُوائيُّ، عن محمدِ بنِ سيرينَ؛ سألتُ عَبِيدة ـ يعني: السلْمَانِيَّ ـ عن آيةٍ من القرآنِ، فقال: ذَهَبَ الذينَ كانوا يعلمُون فيمَ أنْزِل القرآنُ. فاتَّق الله، وعليك بالسَّدادِ.

وقال أبو عُبيدٍ[١٠]: حدَّثنا معاذٌ، عن ابن عَوْنٍ، عن عبدِ الله بنِ مسلم بن يَسَارٍ، عن أَبيهِ؛ قال: إذا حدَّثْتَ عن الله حديثاً فقِفْ حتَّى تنظُرَ ما قبلَهُ وما بعدَهُ.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٩٣، ٩٤)؛ وابن سعد (٥/ ١٣٧) من طرق عن مالك بسنده سواء. وسنده صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٩٥) قال: حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت الليث... فذكره وهذا سند صحيح. وتابعه عبد الله بن صالح، عن الليث به.
أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (٥٨/ ١، ٢).
(٣) أخرجه أبو عبيد (ق٥٨/ ٢)؛ وابن جرير (١٠١)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١١) من طريق محمد بن جعفر، أخبرنا شعبة بسنده سواء. وسنده صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٠) قال: حدثني عباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا عبد الله بن شوذب بسنده سواء. وسنده صحيح.
(٥) ساقط من (ج).
(٦) في «تفسيره» (٩٢) وسنده صحيح.
(٧) في «فضائل القرآن» (٥٨/ ٢) وسنده جيد.
(٨) في (ن): «ليث».
(٩) أخرجه ابن جرير (٩٧) قال: حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن أيوب، وابن عون، عن ابن سيرين به. وأخرجه أبو عبيد (٥٨/ ٢)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١١)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٤٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٠٨٥) من طريق آخر عن ابن عون به. وسنده صحيح.
(١٠) في «الفضائل» (٥٨/ ٢) وسنده صحيح.

حدَّثَنا[1] هُشيمٌ، عن مُغيرةَ، عن إبْراهيمَ؛ قال: كانَ أصحابنا يتَّقُونَ التَّفسيرَ ويهابُونَه.

وقال شعبة[2]، عن عبد الله بن أبي السَّفَر؛ قال: قال الشعبي: والله ما من آيةٍ إلا وقد سألتُ عنها، ولكنَّها الرِّوايةُ عن الله ﷻ.

وقال أبو عُبيدٍ[3]: حدَّثنا هُشَيمٌ، حدثنا عمرُ بنُ أَبِي زَائِدَةَ، عن الشَّعبيِّ، عن مسروقٍ؛ قال: اتَّقُوا التفسيرَ؛ فإنَّما هو الرِّوايةُ عنِ الله.

فهذه الآثارُ الصَّحيحةُ وما شَاكَلَهَا عن أئمَّة السَّلفِ محمولةٌ على تحرُّجِهِم عن الكلامِ في التفسيرِ بما لا علم لهم فِيهِ.

فأما مَنْ تكلَّم بما يعلمُ من ذلك لُغةً وشَرْعاً فلا حَرجَ عليه؛ ولهذا رُوى عن هؤلاءِ وغيرِهِم أقوالٌ في التفسيرِ؛ ولا مُنافَاةَ؛ لأنَّهم تكلَّموا فيما عَلِموهُ وسكَتُوا عما جَهِلوهُ. وهذا هو الواجبُ على كلِّ أحدٍ؛ فإنَّه كما يجبُ السكوتُ عما لا علم له به فكذلك يجبُ القولُ فيما سُئل عنه بما يعلمُهُ؛ لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ ولِمَا جَاءَ في الحديثِ (المرويِّ)[4] (١/٥/١) من طرقٍ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلجِمَ يومَ القِيَامَةِ بلجامٍ من نَّارٍ»[5].

(فَأَمَّا)[6] الحديثُ الَّذي رواه أبو جعفر[7] بنُ جريرٍ: حدَّثنا عبَّاسُ بنُ عبدِ العظيمِ، حدثنا

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (٢/٥٨).
وأخرجه ابن أبي شيبة (٥١٢/١٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢٠٨٩) عن الثوري؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٢٢/٤) عن جرير كلاهما عن مغيرة، عن إبراهيم فذكره. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٠٢) قال: حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سعيد بن عامر، عن شعبة بسنده سواء. وإسناده صحيح.

(٣) في «الفضائل» (ق٥٨/٢) وسنده صحيح.
تنبيه: شيخ هشيم في هذا الأثر هو: عمر بن أبي زائدة، ووقع في «المطبوعات» التي وقفت عليها من «تفسير ابن كثير»: «عمرو» بالواو، فرجح الشيخ مقبل بن هادي حفظه الله في تحقيقه لـ«التفسير» أنه عمرو بن دينار قال: «قد ذكروه من مشايخ هشيم ويكون السند هكذا: هشيم، حدثنا عمرو وابن أبي زائدة. وابن أبي زائدة هو زكريا». اهـ.
وقد علمت الصواب وأنه عمر بن أبي زائدة وهو أخو زكريا وقد وثقه ابن معين وغيره وأثنى عليه أحمد.

(٤) في (ن): «الذي روى».

(٥) **حديث صحيح.**
أخرجه أبو داود (٩١/١٠ - عون)؛ والترمذي (٤٠٧/٧، ٤٠٨ تحفة)؛ وابن ماجه (٢٦١)؛ وأحمد (٢/ ٢٩٦، ٢٩٩، ٥٠٨)؛ والطيالسي (٢٥٣٤)؛ وأبو يعلى (٢٦٨/١١)؛ وابن حبان (٩٥)؛ والحاكم (١٠١/١) وخلق آخرون من طرق كثيرة عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره.
قال المصنف في «تفسير سورة البقرة. الآية ١٥٩»: «وقد ورد الحديث في «المسند» من طرق يشد بعضها بعضاً». وقال العقيلي: «إسناده صالح».
وقال الحافظ في «القول المسدد»: «والحديث صالح للحجة».
وقد ورد الحديث من طريق جماعة من الصحابة، منهم: «عبد الله بن عمرو، وابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وعمرو بن عبسة، وطلق بن علي، وسعد بن المدحاس ﷺ»، أتيت على تخريجها كلها في «تسلية الكظيم». فللّه الحمد.

(٦) في (ن): «وأما».

(٧) **منكر.**

=

محمدُ بنُ خالدِ بن عَثْمَةَ، حدَّثنا (جعفر)[١] بنُ محمدٍ الزُّبيريُّ، حدَّثني هشامُ بنُ عروةَ، عن أَبيه، عن عَائشةَ؛ قالت: ما كَانَ النّبيُّ ﷺ يُفسِّرُ شَيئاً من القرآنِ إلا آياً (بعَدَدٍ)[٢] علَّمهنَّ إيَّاهُ جبريلُ عليه السلام.

ثُمَّ رواهُ[٣] عن أبي بكر محمد بن يزيد الطَّرْسُوسي، عن مَعْن بن عيسى، عن جعفر بن خالد، عن هشام، به.

فإنَّهُ حَديثٌ مُنْكَرٌ غَرِيبٌ.

وجعفرٌ هذا هو ابنُ محمدِ بنِ خالدِ بنِ الزُّبيرِ بنِ العوَّام القُرشيُّ الزُّبيريُّ. قال البُخاريُّ: «لا يُتَابَعُ في حديثِهِ». وقال الحافظُ أبو الفتح الأزديُّ: «مُنْكَرُ الحديثِ»، وتكلَّم عليه الإمامُ أبو جعفرٍ بما حاصِلُهُ أنَّ هذهِ الآياتِ مما لا يُعْلَمُ إلَّا بالتَّوقيفِ عن الله تعالى مما وقفه عليها (جبريلُ)[٤].

وهذا تأويلٌ صحيحٌ لو صحَّ الحديثُ فإنَّ من القرآنِ ما استأثَرَ الله تعالى بعلمِه.

ومنه ما يعلمُهُ العلماءُ، ومنه ما تعلمُهُ العربُ من لُغاتِها، ومنه ما لا يُعذَرُ أحدٌ في «جَهْلِهِ»[٥]؛

= أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩٠) قال: حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثني جعفر بن محمد الزبيري، قال: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة فذكرته.

كذا رواه العباس.

وخالفه محمد بن المثنى فقال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا حفص، أظنه ابن عبد الله، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. فجعل شيخ «ابن عثمة» هو «حفص بن عبد الله» بدل «جعفر بن محمد الزبيري». أخرجه البزار (ج٣/ رقم ٢١٨٥).

وأخشى أن يكون هذا من البزار نفسه.

فقد رواه معن القزاز عن فلان بن محمد بن خالد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. أخرجه أبو يعلى (ج٨/ رقم ٤٥٢٨) قال: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا معن القزاز. و«فلان» هذا هو جعفر.

فقد أخرجه الطبري (٩١) قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد الطرسوسي، قال: أخبرنا معن، عن جعفر بن خالد، عن هشام بسنده سواء.

وأخرجه ابن شاهين في «الأفراد» (ج٥/ ق١٠٩/ ٢ - ١١٠/ ١) قال: حدثنا البغوي، قال: ثنا هارون بن عبد الله، قال: ثنا معن بن عيسى، قال: ثنا جعفر بن محمد بن خالد الزبيري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً.

قال ابن شاهين: «وهذا حديث غريب من حديث المدينة، لا أعلم رواه عن جعفر بن محمد الزبيري إلا معن بن عيسى وخالد بن مخلد القطواني». ثم رواه من طريق القطواني وقال: قال لنا عبد الله بن محمد؛ يعني: البغوي، هذا حديث غريب لم نسمعه إلا منه؛ يعني: من هارون بن عبد الله. اهـ. وقول ابن شاهين: «لا أعلم رواه عن جعفر إلا معن وخالد»، متعقب بأن محمد بن خالد بن عثمة رواه أيضاً عن جعفر كما مر ذكره».

فيترجح من هذا أنه «جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري» كما قال ابن كثير رحمه الله.

قال البخاري: «لا يتابع على حديثه».

وقال الأزدي: «منكر الحديث».

وقال الطبري (١/ ٨٩ - شاكر): «وجعفر بن محمد الزبيري لا يعرف في أهل الآثار».

(١) في (ن): «أبو جعفر» وهو خطأ.

(٢) في (ز) و(ك): «تعد» وهي مخالفة لما في «الطبري» وبقية الأصول.

(٣) رقم ٩١.

(٤) في (ى): «جبرائيل».

(٥) في (ن): «جهالته».

كما صرَّحَ بِذلكَ ابنُ عبَّاسٍ فيما[١] قال ابنُ جريرٍ[٢]: حدَّثَنا (محمدُ)[٣] بنُ بَشَّارٍ، حدّثنا مُؤَمَّلٌ، حدّثنا سُفيانُ، عن أبي الزِّنادِ؛ قال: قال ابنُ عبَّاسٍ: التَّفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ: وجهٌ تعرفُهُ العربُ من كلامِهَا، وتفسيرٌ لا يُعْذَرُ أحدٌ بِجَهَالتِهِ، وتفسيرٌ يعلمُهُ العلماءُ، وتفسيرٌ (لا يعلمُهُ)[٤] إلَّا اللهُ.

وقال ابنُ جَريرٍ[٥]: وقد رُوِى نحوُهُ في حديثٍ في إسْنَادِهِ نظرٌ؛ حدَّثني (يونسُ)[٦] بنُ عبدِ الأعلى الصَّدفيُّ، أنبأنا ابنُ وهبٍ (قال)[٧]: سمِعتُ عمرو بنَ الحارثِ يحدِّث عن الكَلْبي، عن أبي صالح (مولى أم هانئ)[٨] عن ابنِ عبَّاسٍ ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُنزِلَ القُرآنُ على أَرْبَعَةِ أحرُفٍ: حلالٌ وحرامٌ لا يُعْذَر أحدٌ بالجهالة بِهِ، وتفسيرٌ: تفسِّرُهُ العربُ، وتفسيرٌ تفسِّرُهُ العلماءُ، ومتشابِهُ لا يعلمُهُ إلَّا الله ﷻ، وَمَنِ ادَّعى علمَهُ سوى الله فهو كاذبٌ».

والنَّظَرُ الذي أشارَ إليه في إسنادِهِ هو من جِهَةِ محمَّدِ بنِ السَّائِبِ الكَلْبِيِّ، فإنَّه متروكُ الحديثِ، لكن قد يكونُ إنَّما وَهِمَ في رَفعِهِ؛ ولعلَّه من كلامِ ابنِ عبَّاسٍ كما تقدَّمَ. والله أعلمُ.

---

(١) من أول هنا: بداية النسخة (هـ).

(٢) في «تفسيره» (٧١) وسنده ضعيف لانقطاعه، فإن أبا الزناد لم يسمع من ابن عباس فقد قال أبو حاتم الرازي، كما في «المراسيل»: (١١١): «أبو الزناد لم ير ابن عمر» وكلاهما مدني، فأولى أن لا يرى ابن عباس، وذلك لأن ابن عمر مات سنة (٧٣) ومات ابن عباس بالطائف سنة (٦٨). وقال البخاري: «أبو الزناد لم يسمع من أنس» ومات أنس سنة (٩٢) أو بعدها بسنة، فأولى أن لا يسمع من ابن عباس، والله أعلم.

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) في (ن): «يعلمه أحد».

(٥) في «تفسيره» (٧٢)، وأخرجه ابن المنذر، وأبو نصر السجزي، وابن الأنباري في «الوقف»، كما في «الكنز» (٢/ ٥٥)، وإسناده ساقط، ومحمد بن السائب تالف.

(٦) في (ى): «يوسف»! وهو خطأ ظاهر.

(٧) زيادة من (ز) وهي ثابتة في «الطبري».

(٨) كذا في «الطبري» و(ج) و(ك) و(ل) و(ن) وهو الصواب. ووقع في (ز) و(ع) و(ى): «عن أم هانئ» وهو خطأ ظاهر. ووقع في (هـ): «عن مرة الهمداني»!! وهو خطأ فاحش!

كتاب فضَائِلِ القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال البخاري[(١)] رحمه الله: «كيف (نزول)[(٢)] الوحي؟ وأول ما نزل» قال ابن عباس: المهيمن الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله.

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، قال: أخبرتني عائشة، وابن عباس قالا: لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة (عشراً)[(٣)]. اهـ.

ذكر البخاري رحمه الله كتاب «فضائل القرآن» بعد «كتاب التفسير»؛ لأن التفسير أهمُّ، فلهذا بدأ به. (ونحن قدمنا «الفضائل» قبل «التفسير»، وذكرنا فضل كلِّ سورةٍ قبل تفسيرها، ليكون ذلك باعثاً على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه. والله المستعانُ)[(٤)]. وقولُ ابنِ عباسٍ في تفسير: «المهيمن»: إنما يريدُ به البُخاريُّ قوله تعالى في: «المائدة» بعد ذكر التوراة والإنجيل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: ثنا المثنى، ثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية عن علي - يعني: ابن أبي طلحة - عن ابن عباس (في)[(٥)] قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: المهيمنُ الأمينُ قال: القرآنُ أمينٌ على كلِّ كتابٍ قبله، وفي روايةٍ شهيداً عليه.

وقال سفيانُ الثَّوْريُّ وغيرُ واحدٍ من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي، عن التميمي، عن ابن عبَّاسٍ ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: مؤتمناً، وبنحو ذلك قال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ وقتادةُ وابنُ جريج والحسنُ البصريُّ وغيرُ واحدٍ من أئمة السَّلَفِ.

وأصلُ الهيمنة: الحفظُ والارتقابُ، يُقالُ: (إذا رقب)[(٦)] الرَّجلُ الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلانٌ عليه، فهو مهيمنٌ هيمنةً، وهو عليه مهيمنٌ.

وفي أسماء الله تعالى ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] وهو الشهيدُ على كلِّ شيءٍ القريبُ الحفيظُ بِكُلِّ شيءٍ.

---

(١) في «كتاب فضائل القرآن» من «صحيحه» (٩/ ٣).

(٢) كذا في «الأصول» كلها. وفي «البخاري» (٩/ ٣): «نزل». قال الحافظ في «الفتح»: «كذا لأبي ذر: «نزل» بلفظ الفعل الماضي، ولغيره: «كيف نزول الوحي» بصيغة الجمع». اهـ.

(٣) كذا في «الأصول». وفي «البخاري»: «عشر سنين».
قال الحافظ: «عشر سنين، كذا للكشميهني، ولغيره: «وبالمدينة عشراً» بإبهام المعدود». اهـ.

(٤) وقع في (أ): «فلهذا بدأ به، فجرينا على منواله وسننه مقتدين به».
وما أثبته من (ج) و(ط) و(ل) وهي متأخرة عن (أ) فهذا يدل على أن ابن كثير هو الذي غير موضع «الفضائل»، فنقلها إلى أول الكتاب بدل آخره، وقد أحسن بذلك رحمه الله. والله أعلم.

(٥) من (ج).

(٦) في (ج): «أرقب».

وأما الحديث الذي أسنده البخاري أنه ﷺ أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً، فهو مما انفرد به البخاري(١) دون مسلم، وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمٰن، عن يحيى وهو (ابن أبي كثير)(٢) عن أبي سلمة عنهما.

وقال أبو عبيد القاسم(٣) بن سلام: حدثنا يزيد، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء] هذا إسناد صحيح.

أما إقامتُهُ بالمدينة عشراً فهذا مما لا خلافَ فيه. وأما إقامتُهُ بمكَّةَ بعد النُّبُوةِ فالمشهورُ ثلاثَ عَشرَةَ سنةً؛ لأنه ﷺ أوحي إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفي وهو ابن ثلاثٍ وستينَ سنةً على الصَّحيحِ.

---

(١) في «صحيحه» (٩/ ٣ ـ فتح).
وأخرجه النسائي في «الفضائل» (رقم ١) عن حسين بن محمد. وأحمد (٢٦٩٦) حدثنا حسن؛ يعني: ابن موسى الأشيب، قالا: حدثنا شيبان... فذكره.
وهذا إسناد صحيح.
وقال المصنف في «تاريخه» (٥/ ٢٥٧): «لم يخرجه مسلم».
وأخرج ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٢٦) بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: «كان يقال: أنزل القرآن على نبي الله ﷺ في ثماني سنين بمكة، وعشراً بعد ما هاجر». وكان قتادة يقول: «عشر بمكة وعشر بالمدينة».

(٢) في (أ): «ابن كثير».

(٣) في «فضائل القرآن» (ص٢٢٢).
وأخرجه النسائي في «الفضائل» (١٤، ١٥)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣٣)؛ والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١١٩)؛ والحاكم (٢/ ٢٢٢) من طريق عن داود بن أبي هند بسنده سواء.
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي؛ وهو كما قالا.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٠٥) لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي.
وأخرج الطبراني في «الكبير» (ج١٢/ رقم ١٢٣٨٢) من طريق عمرو بن عبد الغفار، ثنا الأعمش، ثنا حسان أبو الأشرس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر] قال: «أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريل ﷺ على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم».
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٤٠): «في إسناده عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف».
قلت: لم يتفرد به. فتابعه جرير بن عبد الحميد، وعمار بن رزيق، وأبو بكر بن عياش والثوري فرووه عن الأعمش بسنده سواء تاماً ومختصراً.
أخرجه النسائي (١٦)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣٣)؛ والبزار (ج٣/ رقم ٢٢٩٠)؛ والحاكم (٢/ ٢٢٣) وقال: «صحيح الإسناد».
وتابعه منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير بسنده سواء.
أخرجه الطبري (٣٠/ ١٦٦، ١٦٧)؛ والحاكم (٢/ ٢٢٢، ٥٣٠) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٠) من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي! وليس كما قالا؛ فلم يخرج الشيخان لحكيم بن جبير شيئاً، ثم هو ضعيف.

ويحتملُ أنَّهُ حذف ما زاد على العشر اختصاراً في الكلام؛ لأن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور في كلامهم، أو أنَّهما إنما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام (به عليه السلام)[١].

فإنه قد روى الإمام أحمدُ أنَّه قرن به ﷺ ميكائيل في ابتداء الأمر يلقى إليه (الكلمة)[٢] والشيء ثم قرن به جبريل. ووجهُ مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام، كما أنه (كان)[١] في زمن شريف، وهو شهر رمضان، فاجتمع له شرف الزمان والمكان.

ولهذا يُستحبُّ إكثارُ تلاوة القرآن في شهر رمضانَ؛ لأنَّهُ ابتدئ بنزوله. ولهذا كان جبريلُ[٣] يعارضُ به رسول الله ﷺ[١] في كل سنة في شهر رمضان، فلما كانت السنة التي توفي فيها عارضه (به)[١] مرتين تأكيداً وتثبيتاً.

وأيضاً ففي (هذا)[١] الحديث بيانٌ أنه من القرآن مكي، ومنه مدني. فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة.

وقد أجمعوا على سُورٍ أنَّها من المكيِّ، وأُخَر أنَّها من المَدَنِيِّ، واختلفُوا في أُخَر. وأراد بعضهم ضَبْطَ ذلكَ بضوابطَ في تقييدِهَا عُسْرٌ ونَظَرٌ.

ولكنْ قَالَ بَعضُهُم: كلُّ سورةٍ في أوَّلِها شيءٌ من الحروفِ المقطَّعة فهي مكيَّةٌ، إلَّا البقرة وآل عمران، كما أن كل سورة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهي مدنية، وما فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا، والغالب أنه مكي. وقد يكون مدنيًّا كما في البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة].

قال أبو عبيد[٤]: حدثنا أبو معاوية، حدثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم، عن علقمة: كل شيء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإنه أنزل بالمدينة، وما كان منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فإنه أنزل بمكة.

ثم قال[٥]: حدثنا علي بن معبد، عن أبي المليح، عن ميمون بن مهران، قال: ما كان في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ـ و ـ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦] فإنه مكي.

---

(١) ساقط من (أ). (٢) في (ج): «الحكمة».

(٣) ورد هذا من حديث فاطمة الزهراء، وأبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم وتأتي أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى.

(٤) في «الفضائل» (ص٢٢٢).
وأخرجه أيضاً ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٦) قال: أنبأنا ابن نمير، قال: حدثنا أبو معاوية بسنده سواء.
هكذا رواه أبو معاوية، عن رجل، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قوله. ورواه قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود فذكر مثله.
أخرجه البزار (ج٣/ رقم ٢١٨٦) وقال: «لا نعلم أحداً أسنده إلا قيس، وغيره يرسله» والبزار يشير إلى رواية أبي معاوية السابقة، لكن قيساً لم يتفرد به كما قال، فتابعه الجراح بن مليح الرؤاسي، فرواه عن الأعمش مثل رواية قيس.
أخرجه الحاكم (٣/ ١٨) من طريق يحيى بن معين، ثنا وكيع بن الجراح، عن أبيه. وسنده صحيح.

(٥) في «الفضائل» (ص٢٢٢).

وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإنه مدني.

ومنهم من يقول: إن بعض السور نزل مرتين: مرة بالمدينة ومرة بمكة، والله أعلم. ومنهم من يستثنى من المكي آيات، يدعى أنها من المدني، كما في سورة الحج وغيرها.

والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح، فالله أعلم.

وقال أبو عبيد[١]: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة قال: نزلت بالمدينة سورةُ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا[٢]، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر والممتحنة، والحواريون[٣]، والتغابن، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم] والفجر، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل] و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر] و﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة][٤] و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة] و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر]. وسائر ذلك بمكة.

هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير.

وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر.

(وفاته)[٥] الحجرات والمعوذات.

الحديث الثاني

وقال البخاري: حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدثنا معتمرٌ، قال: سمعتُ أَبي، عن أبي عثمان، قال: أُنبئتُ أَنَّ جبريلَ عليه السلام أتى النَّبيَّ ﷺ وعنده أمُّ سلَمَةَ فجعل يتحدَّثُ، فقال النبّي ﷺ: «من هذا؟» أو كما قال، قالت: هذا دِحْيَةُ، فلمَّا قام قالت: والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل أو كما قال.

قال أُبي[٦]: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وهكذا رواه أيضاً في «علامات النبوة[٧]» عن عباس بن الوليد النرسي، ومسلم في «فضائل أم سلمة» عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلُّهم عن معتمر بن سليمان به.

والغرضُ من إيراده هذا الحديثَ ههنا أنَّ السفيرَ بين الله وبين محمد ﷺ جبريلُ عليه السلام، وهو مَلكٌ كريمٌ، ذو وَجَاهةٍ وجلالةٍ ومكانةٍ، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ الآيات [التكوير].

---

(١) في «الفضائل» (ص٢٢١).
(٢) يعني: سورة محمد ﷺ.
(٣) يعني: سورة الصف.
(٤) سقط من (أ) و(ط).
(٥) في (أ): «وما به».
(٦) القائل: هو معتمر بن سليمان.
(٧) من «صحيحه» (٦/ ٦٢٩ ـ فتح).
وأخرجه أيضاً في «فضائل القرآن» (٩/ ٣)؛ ومسلم (٢٤٥١/ ١٠٠) من طرق عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد. وعند مسلم زيادة في أوله.

فمدح الربُّ ـ تبارك وتعالى ـ عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً (صلوات الله وسلامه عليهما)(١)، وسنستقصى الكلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقةُ.

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة ﵂، كما بينه مسلم ﵀ لرؤيتها هذا الملك العظيم، وفضيلة ـ أيضاً ـ لدحية بن خليفة الكلبي، وذلك أن جبريل ﵇ (كثيراً)(٢) ما (كان يجيء)(٣) إلى رسول الله ﷺ على (صورته)(٤)، وكان جميل الصورة ﵁، وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة، وهم قبيلة من قضاعة، وقضاعة قيل إنهم من عدنان، وقيل من قحطان، وقيل بطن مستقل بنفسه، والله أعلم.

الحديث الثالث

حدثنا(٥) عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثنا سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

ورواه أيضاً في «الاعتصام» عن عبد العزيز بن عبد الله. ومسلمٌ والنسائيُّ، عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه واسمه كيسان المقبري به.

وفي هذا الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ للقرآنِ المجيدِ على كُلِّ معجزةٍ أُعطيها نبيٌّ من الأنبياءِ وعلى كلِّ كتابٍ أنزلَهُ.

وذلكَ أنَّ مَعْنَى الحديثِ: «مَا مِنْ نبَّيٍّ إلَّا أُعْطِيَ ـ ؛ أَيْ: مِنَ المعجزاتِ ـ ما آمَنَ عليه البَشَرُ»؛ أي: ما كان دَليلاً على تصديقِهِ فيما جاءَهُم به واتَّبعَهُ مَنِ اتَبَعَهُ من البَشَر، ثم لما مات الأنبياءُ لم تبقَ لهم معجزةٌ بعدهم إلا ما يحكيه أتباعُهُم عما شاهدوهُ في زمانِهِ.

وأما الرسولُ الخاتَمُ للرسالةِ محمدٌ ﷺ فإنّما كان معظمُ ما آتاهُ الله وَحْياً منه إليهِ منقُوْلاً إلى النَّاس بالتواتُرِ، ففي كلِّ حينٍ هو كما أُنزِلَ. فلهذا قَالَ: «فَأَرجُو أَنْ أَكُوْنَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً» وكذلك وَقَعَ. فإنَّ أتباعَهُ أكثرُ من أتباعِ الأنْبياء لعموم رسالتِهِ، ودوامِها إلى قيامِ السَّاعة واستمرارِ معجزتِهِ. ولهذَا قال الله (تبارك و)(٦) تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء].

---

(١) في (أ): «صلى الله وسلم عليهما».
(٢) في (أ): «كان كثيراً».
(٣) في (أ): «يأتي».
(٤) في (أ): «على صورة دحية».
(٥) القائل هو البخاري، رحمه الله تعالى، في «صحيحه» (٩/ ٣ ـ فتح).
وأخرجه أيضاً «كتاب الاعتصام» (١٣/ ٢٤٧)؛ ومسلم (١٥٢/ ٢٣٩)؛ والنسائي في «التفسير» (١٤٩)؛ وفي «فضائل القرآن» (٢)؛ وأحمد (٢/ ٣٤١، ٤٥١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣٣)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٤)؛ وفي «الدلائل» (٧/ ١٢٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٩٥، ١٩٦) من طرق عن الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال أبو نعيم: «صحيح ثابت».
(٦) من (ج).

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود] ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس] وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية. كما ذكرنا في المدينة أيضاً، كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة] وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضاً.

هذا وهم أفصحُ الخلقِ وأعلمهُم بالبلاغة والشعر (وقريظ)[1] الكلامِ وضُرُوبِهِ، لكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحدٍ من البشر به من الكلام الفصيحِ البليغ الوجيزِ المحتوى على العلومِ الكثيرةِ الصحيحة النَّافِعَةِ، والأخبارِ الصَّادقة، عن الغيوبِ الماضية والآتية، والأحكامِ العادلةَ المحكمةِ، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حَنبلٍ[2]: حدثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، حدّثنا أبي، حدّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ قال: ذكر محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظِيُّ عن الحارثِ بن عبد الله الأعور قال: قلت: لآتينَّ أميرَ المؤمنين فَلأسألنَّه عمَّا سمعتُ العشيَّةَ، قال: فجئتُهُ بعد العشاء فدخلتُ عليه، فذكرَ الحديثَ. قال: ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أَتَانِي جِبريلُ فقال: يا محمدُ أُمَّتُكَ مختلفةٌ بعدكَ ـ قال: ـ فقلت له: فأينَ المخرجُ يا جبريلُ؟ ـ قال: ـ فقال: (كتاب الله)[3]، به يقصِمُ الله كلَّ جبَّارٍ، من اعتَصَمَ به نَجا، ومن تركَهُ هَلَكَ ـ مَرَّتينِ ـ قولٌ فَصْلٌ، وليس بالهَزْلِ، لا تخلُقُه الألسنُ، ولا تفنى عجائبُهُ، فيه نبأُ ما كان قبلكم، وفصلُ ما بينكم، وخبرُ ما هو كائنٌ بعدكم».

هَكَذَا رواهُ الإمامُ أحمدُ.

وقد قَالَ أبو عيسى التِّرمِذيُّ[4]: حدثنا عبدُ بنُ حُمَيدٍ، حدَّثنا حسينُ بنُ عليٍّ الجُعفيُّ، حدّثنا

---

(١) في (أ): «قريض» وهما بمعنىً.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٩١) ومن طريقه ابن بشران في «الأمالي» (ج١/ ق٦/ ٢) بسنده سواء. وهذا سند ضعيف جداً، وابن إسحاق مدلس، وقد استخدم ما يدل على التدليس قطعاً، لكنه متابع كما يأتي. والحارث الأعور واهي الحديث.

(٣) في (أ): «في كتاب الله»؛ وحرف الجر مقحم، ليس في «الأصول» ولا في «المسند».

(٤) في «سننه» (٢٩٠٦).

وأخرجه الدارمي (٢/ ٣١٢، ٣١٣)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده»، كما في «النكت الظراف» (٧/ ٣٥٧)، وعنه ابن نصر في «قيام الليل» (ص٧٥)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٢)؛ وأبو طاهر المخلص في «الفوائد» (ج٩/ ق٢٠٤/ ١، ٢)؛ وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (ق٢/ ١، ٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/ رقم ١٧٨٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٣٧، ٤٣٨)؛ والشجري في «الأمالي» (١/ ٩١) من طريق حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث، عن علي فذكره.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال». اهـ.

* قلت: وهذا سند ضعيف جداً. والحارث الأعور متروك الحديث.

حمزةُ الزَّيَّاتُ عن أبي المختار الطَّائي، عن ابنِ أخي الحارثِ الأعورِ، عن الحارثِ الأعورِ قال: مررتُ في المسجد فإذا النَّاسُ يخوضون في الأحاديثِ، فدخلتُ على عَليٍّ فقلتُ: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: (وقد)[١] فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المخرجُ منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم، هو الفصلُ، ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمهُ الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّهُ الله. وهو حبلُ الله المتينُ، وهو الذكرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، هو الذي لا تزيغُ به الأهواءُ، ولا تلتبسُ به الألسِنَةُ، ولا يشبَعُ منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور. ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال.

(قُلْتُ) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمدُ بنُ إسحَاقَ، عن محمد بن كعب القُرظي، عن الحارث الأعور فبرئ حمزةُ من عهدته. على أَنَّهُ وإن كان ضعيف الحديث (إلَّا أنه)[٢] إمام في القراءة. والحديثُ مشهورٌ من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه بل (قد)[٣] كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه (يتعمد)[٤] الكذب في الحديث فلا، والله أعلم.

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، وقد وهم بعضُهم في رفعه، وهو كلام حسن[٥] صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ.

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام ﷺ في كتابه «فَضَائلُ[٦] القُرْآنِ»: حدثنا أبو اليقظان، حَدَّثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن إسحاق الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن مأدبةُ الله فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمةٌ لمن تمسك به، ونجاةٌ لمن

---

(١) كذا في (ج) و(ل) و«الترمذي». وفي (أ) و(ط): «أو قد».
(٢) في (أ): «فإنه».
(٣) ساقط من (ج).
(٤) في (أ): «تعمد».
(٥) يقصد: معناه، لا ثبوته.
(٦) «الفضائل» (ص٢١).
وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٢، ٤٨٣) وعند ابن شاهين في «الترغيب» (٢٠١)؛ وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٥٨) مختصراً، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٠٠)، وابن نصر في «قيام الليل» (٧٠)؛ والحاكم (١/ ٥٥٥)؛ وأبو بكر الكلاباذي في «معاني الأخبار» (ق٢٠٩/ ٢ ـ ٢٣٨/ ١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٧٨٦)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٧٨)؛ والخطيب في «الجامع» (١/ ١٠٧)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ١٠١)؛ والشجري في «الأمالي» (١/ ٨٤) من طرقٍ عن إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعاً.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٣٧) لابن الأنباري في «المصاحف» ولا يصح كما يأتي ذكره.

(تبعه)[١]، لا يَعْوَجُّ فيقوَّمُ، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلَقُ عن كثرة الرَّدِّ، فاتْلُوهُ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا (أقول)[٢]: ألم (حرف)[٣]، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر».

وهذا غريب[٤] من هذا الوجه، ورواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق الهجري، واسمه إبراهيم بن مسلم وهو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: لين ليس (بقوي)[٥]. وقال أبو الفتح الأزدي: رفَّاعٌ كثيرُ الوَهَم.

(قلت): فيُحتملُ ـ والله أعلم ـ أن يكون وهم في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود، ولكن له شاهد من وجه آخر، والله أعلم.

وقال أبو عبيد[٦] أيضاً: حدثنا حجَّاجٌ، عن إسرائيلَ، عن أَبي إسحَاقَ، عن عبدِ الله بنِ يزيدَ، عن عبدِ الله بنِ مسعُودٍ قال: لا يَسْأَلُ عَبْدٌ عن نَفْسِهِ إلا القُرْآنَ، فإِنْ كَانَ يحبُّ القرآنَ فإنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَهُ.

الحديث الرَّابعُ

قال البخاريُّ[٧]: حدَّثنا عمرو بنُ محمدٍ، حدّثنا يعقوبُ بنُ إبرَاهِيمَ، ثنا أَبي عن صَالح بنِ كَيْسَانَ، عن ابنِ شهابٍ قال: أخبرني أنسُ بنُ مالكٍ أنَّ الله تابَعَ الوَحْى على رسولِهِ ﷺ قبل وَفَاتِهِ حتَّى توفَّاهُ أكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ، ثم تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ بَعْدُ.

وهكذا رواه مسلمٌ، عن عمرو بن محمدٍ هَذَا ـ وهو النَّاقدُ ـ وحسنِ الحُلْوَانِيِّ وعبدِ بن حُميدٍ. والنَّسائيُّ، عن إسحاقَ بنِ مَنْصُورٍ الكَوْسَجِ، أربعتُهُم عن يعقوبَ بنِ إبراهِيمَ بنِ سعدِ الزُّهْرِيّ به.

ومعناهُ: أنَّ الله ـ تعالى ـ تَابَع نُزُولَ الوَحْيِ على رسوله ﷺ شَيْئاً بعد شيءٍ كلُّ وقتٍ بما يَحتاجُ إليهِ، ولم تقع فترةٌ بعد الفَتْرَة الأولى التي كانت بعد نُزُولِ الملَكِ أولَ مَرَّةٍ بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فإنه استلْبَثَ الوحيُ بعدها حِيناً، يقال: قَرِيْباً من سنتين وأكثرَ، ثم حَمِيَ الوحيُ وتتابع، وكان أولُ شيءٍ نَزَلَ بعد تلك الفترة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر].

---

(١) في (ج): «اتبعه». (٢) في (ل): «أقول لكم».

(٣) من هامش (أ). وليس هذا الحرف في (ج) و(ط) و(ل)؛ ولعله: «عشر».

(٤) وقال ابن الجوزي: «لا يصح».
أما الحاكم فقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بصالح بن عمر». ورده الذهبي بضعف الهجري.

(٥) في (أ): «بالقوي». وفي «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ١٣٢): «ليس بقوي، لين الحديث».

(٦) في «فضائل القرآن» (ص٢١، ٢٢).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٥٧) من طريق شعبة عن أبي إسحاق بسنده سواء بلفظ: «من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر، فإن كان يحب القرآن، فهو يحب الله ورسوله ﷺ».
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٦٥): «رجاله ثقات».
* قلت: وسنده صحيح.

(٧) في «الفضائل» (٩/ ٣ ـ فتح).
وأخرجه مسلم (٣٠١٦/ ٢)؛ والنسائي في «فضائل القرآن» (٨)؛ وأحمد (٣/ ٢٣٦) من طريق يعقوب بن إبراهيم بسنده سواء.

الحديث الخامس

حدثنا[١] أبو نعيم، حدَّثنا سفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جُنْدَباً يقول: اشتكى (النبي)[٢] ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأةٌ فقالت: يا محمَّدُ ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله تعالى ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③﴾ [الضحى].

وقد رواهُ البُخَاريُّ في «غيْرِ موضع»[٣] - أيضاً - ومسلمٌ والتِّرمذيُّ والنَّسَائِيُّ من طرقٍ أُخَرَ عن سفيانَ وهو الثوريُّ وشعبةَ بْنِ الحجَّاجِ، كلاهُمَا عن الأسودِ بنِ قَيْسٍ العَبْديِّ، عن جُنْدَبِ بنِ عبدِ الله البجليِّ به. (وسيأتي)[٤] الكَلامُ على هَذَا الحديثِ في تفسير سورة الضحى (إنْ شاء اللهُ)[٥].

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحي متتابعاً عليه ولم يقطعه عنه، ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقاً ليكون ذلك أبلغ في العناية والإكرام.

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ[٦]: نزل القرآن بلسان قريش والعرب ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء].

حدثنا أبو اليمان، حَدَّثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك قال: فأمر عثمانُ بْنُ عفان زَيْدَ بْنَ ثابتٍ وسعيدَ بْنَ العاص وعبدَ الله بْنَ الزُّبير وعبْدَ الله بْنَ الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، ففعلوا.

هذا الحديث قطعةٌ[٧] من حديث سيأتي قريباً الكلام عليه، ومقصودُ البُخاريِّ منه ظاهرٌ، وهو أنَّ القرآنَ نَزَلَ بلُغَةِ قريشٍ، وقريشٌ خلاصةُ العرب.

ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود[٨]: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد، ثنا يزيد، ثنا شيبان

---

(١) قائل هذا هو البخاري رَحِمَهُ اللهُ في «الفضائل» (٩/٣ - فتح).

(٢) في (أ): «رسول الله».

(٣) من «صحيحه» في «التهجد» (٣/٨) وفي «التفسير» (٨/ ١٧٠، ١٧١).
وأخرجه مسلم (١٧٩٧/ ١١٤، ١١٥)، من حديث عن جندب بن عبد الله فذكره.

(٤) في (أ): «وقد تقدم» وهذا بناءً على ما قدمناه أن «الفضائل» كانت في آخر التفسير ثم قدمها الحافظ المصنف رَحِمَهُ اللهُ.

(٥) من (ج) و(ط) و(ل).

(٦) في «الصحيح» هنا كلمة «باب»، وجرى المصنف على إغفالها.

(٧) يأتي تخريجه في «جمع القرآن» إن شاء الله تعالى.

(٨) في «المصاحف» (ص١١) وإسناده صحيح كما قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ.
وأخرجه ابن أبي داود أيضاً قال: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت عبد الملك بن عمير يحدث عن عبد الله بن المغفل، عن عمر بن الخطاب مثله.
وسنده صحيح أيضاً.

(عن)[١] عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لا يملَّين في مصاحفنا هذه إلا غلمانُ قريش أو غلمانُ ثقيف.

وَهَذا إِسْنَادٌ صَحِيْحٌ.

وقال أيضاً[٢]: حدثنا إسماعيل بن أسد، حدثنا هوذة، حدّثنا عوف، عن عبد الله بن فضالة قال: لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفراً من أصحابه وقال: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء] وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ الآية [فصلت: ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات الدّالّة على ذلك.

ثم ذكر البخاري[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول: لَيْتَني أَرَى رسولَ الله ﷺ حين يَنْزِلُ عليه الوحيُ، فذكر الحديث (في)[٤] الذي سَأَلَ عمَّن أحرَمَ بعُمْرةٍ وهُوَ متضمخ بطِيْبٍ وعليه جُبَّةٌ، قال: فَنَظَر رسولُ الله ساعةً ثم (فَجِئَهُ)[٥] الوحيُ فأشار عمرُ إلى يَعْلَى - أي: تعال - فجاء يعلى فأدخَل رأسهُ فإذا هو مُحمَرُّ الوَجْهِ يَغُطُّ كذلك ساعةً، ثم سُرِّي عنه فقال: «أَيْنَ الَّذِي سَأَلَني عَنِ العُمْرَةِ آنِفاً؟» فَذَكَرَ أَمْرَهُ بِنَزْعِ الجُبَّةِ وَغَسْلِ الطِّيْبِ.

وَهَذَا الحَدِيثُ رواهُ جماعةٌ من طرقٍ عديدةٍ، والكلامُ عَلَيْهِ في «كِتَابِ الحَجِّ»، ولا تظهرُ مُناسبةُ[٦] ما بينَهُ وبينَ هذه التَّرجَمَةِ، ولا يكادُ، ولو ذُكِرَ في التَّرجَمَةِ التي قبلَهَا لكانَ أَظْهرَ وَأَبْيَنَ، واللهُ أعلَمُ.

---

(١) في (أ): «ابن» وهو تصحيف.

(٢) يعني: ابن أبي داود في «المصاحف» (ص١١) وسنده صحيح.

(٣) ويأتي تخريجه عند الآية (١٩٦) من سورة البقرة إن شاء الله تعالى.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في (ج): «جاءه».

(٦) وصدق يرحمه الله.

قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٠).

«وقد خفي وجه دخوله في هذا الباب على كثير من الأئمة حتى قال ابن كثير في «تفسيره»: ذكر هذا الحديث في الترجمة التي قبلها أظهر وأبين، فلعل ذلك وقع من بعض النساخ. وقيل: بل أشار المصنف بذلك إلى أن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] لا يستلزم أن يكون النبي ﷺ أرسل بلسان قريش فقط لكونه منهم، بل أرسل بلسان جميع العرب؛ لأنه أرسل إليهم كلهم بدليل أنه خاطب الأعرابي الذي سأله بما يفهمه بعد أن نزل الوحي عليه بجواب مسألته، فدل على أن الوحي كان ينزل عليه بما يفهمه السائل من العرب قرشياً كان أو غير قرشي، والوحي أعم من أن يكون قرآناً يتلى أو لا يُتلى. قال ابن بطال: مناسبة الحديث للترجمة أن الوحي كله متلواً كان أو غير متلو إنما نزل بلسان العرب، ولا يرد على هذا كونه ﷺ بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم؛ لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي، وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم، ولذا قال ابن المنير: كان إدخال هذا الحديث في الباب الذي قبله أليق، لكن لعله قصد التنبيه على أن الوحي بالقرآن والسنة كان على صفة واحدة ولسان واحد». اهـ.

جَمْعُ القُرْآنِ

(١)[قال المؤلفُ الشيخُ عماد الدين بن كثير رَحِمَهُ اللهُ فيما وُجد على ظهر الجزء الأول من «تفسيره»:

«فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ حَسَنَةٌ» ثبت في «الصحيحين» عن أنسٍ رضي الله عنه قال: جمع القرآن على عهد النبيِّ ﷺ أربعةٌ كلُّهم من الأنصار: أُبَيُّ بنُ كعبٍ، ومعاذُ بن جبلٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو زيد. فقيل له: مَنْ أبو زيدٍ؟ قال: أحدُ عمومتي. وفي لفظٍ للبخاريّ، عن أنسٍ، قال: لم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبلٍ، وزيد بن ثابت، وأبو زيدٍ، ونحن ورثناهُ.

قُلْتُ: أبو زيدٍ هذا ليس بمشهورٍ؛ لأنَّه مات قديماً، وقد ذكروه في أهل بدرٍ، وسمَّاهُ بعضُهم: «سعيد بن عبيد».

ومعنى قول أنس: «لم يجمع القرآن» ـ يعني: من الأنصار ـ سوى هؤلاء، وإلَّا فمن المهاجرين جماعةٌ كانوا يجمعون القرآن: كالصديق، وابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ رَحِمَهُ اللهُ: قد عُلم بالاضطرار أن](١).

(٢)[رسول الله ﷺ قدَّم أبا بكرٍ في مرض الموت ليصلي بالنَّاس، وقد ثبت في الخبر المتواتر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليؤم الناس أقرؤهم». فلو لم يكن الصدِّيقُ أقرأ القوم، لما قدَّمهُ عليهم.

نقله أبو بكر بن زنجويه في كتاب «فضائل الصديق» عن الأشعريِّ.

وحكى القرطبيُّ في أوائل «تفسيره» عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنَّهُ قال بعد ذكره حديث أنس بن مالك هذا: «فقد ثبت بالطرق المتواترة أنَّهُ جمع القرآن: عثمانُ، وعليٌّ، وتميمٌ الداريّ، وعبادةُ بنُ الصامت، وعبدُ الله بن عمرو بن العاص. فقولُ أنس: لم يجمعه غير أربعة، يحتمل أنه لم يأخذه تلقياً من فيِّ رسول الله غير هؤلاء الأربعة، وأنَّ بعضهم تلقى بعضه عن بعضٍ. قال: وقد تظاهرت الرواياتُ بأنَّ الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبيِّ ﷺ؛ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول لهم».

قال القرطبيُّ: «لم يذكر القاضي ابنَ مسعودٍ، وسالماً مولى أبي حذيفة، وهما ممن جمع القرآن». آخر الفائدة](٢).

(قال البخاري)(٣): حدثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا إبراهيم بن سعد، حدّثنا ابن شهاب، عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتاني، فقال: إن القتل قد استحرّ(٤) بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن

---

(١) ساقط من (أ) و(ط) واستدركته من (ل) وحاشية (ج).
(٢) ساقط من (أ) و(ط) واستدركته من (ل) وحاشية (ج).
(٣) ساقط من (ج) و(ط) و(ل).
(٤) يعني: اشتد.

تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير؛ فلم يزل عمرُ يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللِّخاف[١] وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره[٢] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم.

وقد روى البخاري[٣] هذا في غير موضع من «كتابه». ورواه الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ والنسائيُّ من طرق عن الزهري به.

وهذا من أحسن وأجلِّ وأعظم ما فعلَهُ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فإنَّه أقامَهُ الله ـ تعالى ـ بعد النَّبي ﷺ مَقَاماً لا يَنْبَغي لأحَدٍ من بعدِهِ: قَاتَلَ الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم، ونفذ الجيوش، وبعث البعوث والسرايا، ورد الأمر إلى نصابه، بعد الخوف من تفرقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله. وكان هذا من سر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

فجمع الصديق الخير وكف الشرور ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ولهذا روي عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع (وابن مهدي)[٤] وقبيصة، عن سفيان الثوري، عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي الكبير، عن (عبد)[٥] خير، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أعظمُ النَّاس أجْراً في المَصَاحِفِ أبو بَكرٍ، إنَّ أبا بكرٍ كان أوَّلَ من جمع القرآن بين اللوحين[٦].

هذا إسْنادٌ صَحِيحٌ.

وقال أبو بكر بن أبي داود في «كتاب المصاحف»[٧]: حدّثنا هارون بن إسحاق، حدّثنا عبدة،

---

(١) اللخاف: بكسر اللام؛ جمع «لخفة»، وهي صفائح الحجارة الرقاق، وتجمع على «لخف» بضمتين.

(٢) يعني: مكتوبة، صرح به جماعة منهم الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٥).

(٣) في «صحيحه» (٩/ ١٠، ١١ و١٣/ ١٨٣، ٤٠٤ فتح).

(٤) وقع في (أ): «ابن زيد» وهو خطأ واضح. (٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص٥) من طريق وكيع وأبي أحمد الزبيري، وعبد بن سليمان، وقبيصة بن عقبة، وخلاد بن يحيى، كلهم من طريق الثوري، عن السدي الكبير، عن عبد خير، عن علي فذكره.
وهذا سند حسن، والسدي مختلف فيه، ولا بأس به.
فتصحيح المصنف رحمه الله للسند فيه نوع تسامح. والله أعلم.

(٧) (ص٦) وسنده منقطع؛ لأن عروة بن الزبير لم يدرك أبا بكر رضي الله عنه، فقول المصنف: «صحيح» فيه نظر، فكان ينبغي تقييده بأن يقول: «صحيح إلى عروة» والله أعلم.

عن هشام، عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي ﷺ يقول: ختمه. صحيح أيضاً، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء؛ أي: اشتد القتل وكثر في قرَّاء القرآن يوم اليمامة؛ يعني: يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه (من)[١] بني حنيفة، بأرض اليمامة في حديقة الموت.

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف. فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفاً، فالتقوا معهم، فانكشف الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب. فنادى القراء من كبار الصحابة: يا خالدُ! أخلصنا، يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب. فتميزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف. ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعلوا يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، فلم يزل ذلك دأبهم، حتى فتح الله عليهم، وولى جيش الكفر فارًّا، وأتبعتهم السيوفُ المسلمةُ في أقفيتهم قتلاً وأسراً؛ وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام.

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضي الله عنهم، فلهذا أشار عمر على الصديق، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه (شيء)[٢] بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال. فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظاً، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته. فراجعه الصديق قليلاً ليستثبت الأمر، ثم وافقه، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك. ثم صار إلى ما رأياه رضي الله عنهم أجمعين وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصاري.

ولهذا قال أبو بكر[٣] بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد، حدّثنا يزيد، (حدَّثَنَا)[٤] مبارك (بن)[٥] فضالة، عن الحسن أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، (فأمر)[٦] بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف.

وهذا منقطع؛ فإنَّ الحسن لم يدرك عمر. ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع، ولهذا كان مهيمناً على حفظه وجمعه، كما:

رواه ابنُ أبي[٧] داود حيث قال: حدثنا أبو الطاهر، حدَّثَنَا ابن وهب، حَدَّثَنَا عمرو بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو، عن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب، أن عمر لما جمع القرآن، كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان، وذلك عن أمر الصديق له في ذلك كما قال أبو بكر بن أبي داود:

---

(١) ساقط من (أ) و(ط). (٢) ساقط من (أ).
(٣) في «كتاب المصاحف» (ص١٠) وضعفه المصنف بالانقطاع وكذا ضعفه في «مسند عمر» (٢/ ٥٦١)، ويضاف إليه أن المبارك بن فضالة مع ضعفه فهو مدلس. والله أعلم.
(٤) في (أ): «ابن»!! (٥) في (أ): «عن» وكلاهما خطأ.
(٦) في (أ): «ثم أمر». وفي «المصاحف»: «وأمر».
(٧) في «المصاحف» (ص٦) وتحسين المصنف إنما هو بسبب أن لرواية عروة أصلاً صحيحاً، قد مر ذكره، فهو يقول: «منقطع حسن الإسناد».

حدثنا أبو الطاهر، أنا ابن وهب، أخبرني ابنُ أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذٍ فرق[1] أبو بكر ﷺ أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

منقطع حسن.

ولهذا قال زيد بن ثابت: ووجدت آخر سورة التوبة - يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ إلى آخر الآيتين [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] مع أبي خزيمة الأنصاري[2]. وفي روايةٍ مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره، فكتبوها عنه؛ لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصة الفرس الذي ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابي، فأنكر الأعرابي البيع، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ، فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابي.

والحديث رواه «أهل السنن»[3] وهو مشهورٌ.

---

(١) يعني: خاف.

(٢) قال: الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٥)، قوله: (وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري) وقع في رواية عبد الرحمٰن بن مهدي، عن إبراهيم بن سعد «مع خزيمة بن ثابت» أخرجه أحمد والترمذي. ووقع في رواية شعيب، عن الزهري كما تقدم في سورة التوبة «مع خزيمة الأنصاري» وقد أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» من طريق أبي اليمان، عن شعيب فقال فيه: «خزيمة بن ثابت الأنصاري» وكذا أخرجه ابن أبي داود من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، وقول من قال عن إبراهيم بن سعد «مع أبي خزيمة» أصح، وقد تقدم البحث فيه في تفسير سورة التوبة وأن الذي وجد معه آخر سورة التوبة غير الذي وجد معه الآية التي في الأحزاب، فالأول اختلف الرواة فيه على الزهري، فمن قائل: «مع خزيمة» ومن قائل: «مع أبي خزيمة» ومن شاك فيه يقول: «خزيمة أو أبي خزيمة» والأرجح أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أو خزيمة بالكنية، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة.

(٣) كذا! ولم يروه منهم إلا أبو داود (٣٦٠٧)؛ والنسائي (٧/ ٣٠١، ٣٠٢) من طريق الزهري، عن عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ:

«أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، فقال: أو ليس قد ابتعته منك؟ فقال الأعرابي: لا والله ما بعتكه، فقال النبي ﷺ: بلى قد ابتعته منك، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً، فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد ابتعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة وزاد أحمد وغيره: خزيمة بشهادة رجلين».

«فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي، وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك! النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ، ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً، يشهد أني بايعتك» وأخرجه من هذا الوجه: أحمد (٥/ ٢١٥، ٢١٦)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٣٧٨، ٣٧٩)، ومحمد بن يحيى الذهلي في «جزئه»، كما في «الفتح» (٨/ ٥١٨)؛ وابن أبي عمر في «مسنده»، كما في «المطالب العالية» (٤/ ٩٣)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٨٥)، وعنه أبو الشيخ في «الأخلاق» (٤٥، ٤٦)؛ والطحاوي في «الشرح» (٤/ ١٢٦)؛ والحاكم (٢/ ١٧)؛ والبيهقي (٧/ ٦٦ و١٠/ ١٤٥، ١٤٦)؛ =

وروى أبو جعفر الرازي[(١)]، عن الربيع، عن أبي العالية أن أُبي بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت.

وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب، أن عثمان شهد بذلك أيضاً.

وأما قول زيد بن ثابت: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال. وفي رواية: من العُسب والرقاع والأضلاع. وفي رواية: من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال.

أما العسب فجمع «عسيب»، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: وهو من السعف فويق الكرب، لم ينبت عليه الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف. واللِّخاف: جمع لخفة، وهي: القطعة من الحجارة مستدقة، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله ﷺ.

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه، فكان يحفظه، فتلقاه زيد هذا من عسبه، وهذا من لخافه، ومن صدر هذا؛ أي: من حفظه وكانوا أحرص شيء على أداء الأمانات. وهذا من أعظم الأمانة؛ لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ففعل صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد، والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين، فقال: «إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت. فجعل يشير بإصبعه إلى السماء وينكتها عليهم ويقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».

رواه مسلم[(٢)]، عن جابر.

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال: «بلغوا عني ولو آية»[(٣)]؛ يعني: ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة، فليؤدها إلى من وراءه، فبلغوا عنه ما أمرهم به. فأدوا القرآن قرآناً، والسنة سنةً، لم يلبسوا هذا بهذا.

= والخطيب في «المبهمات» (ص١٢٠)؛ وابن بشكوال في «الغوامض» رقم (١٠٩)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٥/ق٦١٢).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ورجاله باتفاق الشيخين ثقات، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وهو كما قالا: وله طرق أخرى وشواهد. ذكرتها في «التسلية».

(١) أخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (٢٧)؛ وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٤)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٩)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٣٨، ١٣٩)؛ والخطيب في «التلخيص» (١/ ٤٠٣)؛ والضياء في «المختارة» (ج٢/رقم ١١٥٥)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٣١)؛ وعنه الضياء في «المختارة» (١١٥٦) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب. ويأتي سياقه في آخر سورة التوبة إن شاء الله.

وقال المصنف في «سورة التوبة» (٤/ ١٨٠): «غريب».اهـ. ويشير بذلك إلى ضعف سنده وأبو جعفر الرازي سيئ الحفظ.

(٢) في «صحيحه (١٢١٨/١٤٧)». وهو جزء من حديث جابر بن عبد الله الطويل في حجة الوداع.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٦ ـ فتح). قد مر تخريجه.

ولهذا قال ﷺ: «من كتب عني سوى القرآن فليمحه»(١)؛ أي: لئلا يختلط بالقرآن، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها، والله أعلم. فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا، ولله الحمد والمنة.

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر ﵄ من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف؛ لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته، ثم أخذها عمر بعده، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين؛ لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته، وكانت (عند)(٢) أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ كما سنذكره إن شاء الله.

قال البخاري(٣) ﵀: حدَّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا إبراهيم، (حدّثنا)(٤) ابن شهاب، أن أنس بن مالك حدثه، أنَّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله (عنهما)(٥)، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق؛ فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنَّصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف (ننسخها)(٦) ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما أنزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرَقَ.

قال ابن شهاب الزهري: فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت، (قال)(٧): فقدت آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها «في المصحف»(٨).

وهذا أيضاً من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٤/ ٧٢).
(٢) ساقط من (ج).
(٣) في «الفضائل» (٩/ ١١ ـ فتح)؛ وأخرجه الترمذي (٣١٠٤)؛ والنسائي (١٣)؛ وأبو عبيد (ص١٥٣) كلاهما في «الفضائل» وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩٩١)؛ وأبو يعلى (٨٧)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص١٩)؛ والبيهقي (٢/ ٣٨٥)؛ والطبراني في «مسند الشاميين»؛ والخطيب في «المدرج»، كما في «الفتح» (٩/ ١٦).
(٤) ساقط من (ج).
(٥) في (ج): «عنه».
(٦) في (أ): «فننسخها».
(٧) في (ط): «يقول».
(٨) في (أ): «بالمصحف».

فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن؛ أن يذهب منه شيء. وهو جمع الناس على قراءة واحدة؛ لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة. وإنما روى عن عبد الله بن مسعود(١) شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق(٢)، حتى قال علي(٣) بن أبي طالب: «لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا».

فاتفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين. وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»(٤) وكان

---

(١) يشير المصنف رحمه الله تعالى إلى ما أخرجه مسلم (٢٤٦٢/ ١١٤) والسياق له، والنسائي في «الفضائل» (٢٢) قالا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا عبدة بن سليمان، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود أنه قال:
﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]. ثم قال: على قراءة من تأمروني أن أقرأ؟ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة. ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله. ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه.
قال شقيق: فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ. فما سمعت أحداً يرد ذلك عليه، ولا يعيبه وتابعه هارون بن إسحاق، ثنا عبدة بن سليمان بسنده سواء.

(٢) ويأتي تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص١٥٧)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (١٢، ٢٣) من طرق عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن رجل، عن سويد بن غفلة، عن علي أنه قال حين أحرق عثمان المصاحف: «لو لم يصنعه هو لصنعته».
وهكذا رواه عن شعبة ثقات أصحاب منهم: «محمد بن جعفر غندر، وأبو داود الطيالسي، وعبد الرحمٰن بن مهدي». وخالفهم يعقوب بن إسحاق الحضرمي وهو صدوق، فرواه عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سويد بن غفلة، عن علي.
فأسقط الواسطة بين علقمة وسويد.
أخرجه ابن أبي داود (ص١٢) ورواية الجماعة أرجح من غير شك.
ولكن أخرج عمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦)؛ وابن أبي داود (ص٢٣)؛ والبيهقي (٢/ ٤٢) من طريق محمد بن أبان، قال: أخبرني علقمة بن مرثد، قال: سمعت العيزار بن حريث، يقول: لما خرج المختار. . . فذكره مطولاً.
وفيه: «قال علي: أيها الناس! إياكم والغلو في عثمان؛ تقولون: أحرق المصاحف؟! والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثل ما ولى، لفعلت مثل الذي فعل».
قلت: وهذا سند رجاله ثقات، إلا محمد بن أبان وهو ابن صالح الكوفي، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢/ ١٩٩) ونقل عن أبيه قال: «ليس هو بقوي في الحديث، يكتب حديثه على سبيل المجاز»!. وقال أحمد: «لم يكن يكذب».
فالحديث محتمل للتحسين بالطريقين معاً، والله أعلم.

(٤) **حديث صحيح.**
أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)؛ والترمذي (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)؛ والدارمي (١/ ٤٣، ٤٤)؛ وأحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)؛ وأبو عبيد في «الخطب والمواعظ» (٢)؛ وابن حبان في «صحيحه» (١٠٢) وفي «الثقات» (١/ ٤)؛ والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١٢)؛ وابن نصر في «السنة» (٢١، ٢٢)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠) وآخرون عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ =

السبب في هذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فإنه لما كان غازياً في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى، ورأى منهم اختلافاً (كثيراً)[١] وافتراقاً، فلما رجع إلى عثمان أعلمه، وقال لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعاني أيضاً، وليس في توراة السامرة حروف الهمزة، ولا حرف الهاء ولا الياء، والنصارى أيضاً بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة.

وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وهي مختلفة أيضاً اختلافاً كثيراً. وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم. منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط، ومنها ما هو (أكبر)[٢] من ذلك، إما بالنصف أو الضعف. ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام، وأيامه، وأحكامه، وكلامه، ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا. وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل، ثم هما منسوختان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة.

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه، وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان؛ ليكتب ذلك في مصحف واحد، وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه، ففعلت حفصة. وأمر عثمان هؤلاء الأربعة، وهم زيد بن ثابت الأنصاري، أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علماً وعملاً، وأصلاً وفضلاً. وسعيدُ بن العاص بن أمية القرشي الأموي وكان كريماً جواداً ممدحاً، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي.

فجلس هؤلاء النفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخاً، وإذا اختلفوا في (وضع)[٣] الكتابة على أي لغة رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا في التابوت[٤]، أيكتبونه بالتاء أو الهاء؟ فقال زيد بن ثابت:

= يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً. وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».
قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
وقال أبو نعيم: «هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين» نقله ابن رجب في «جامع العلوم» (ص٢٢٦).

(١) ساقط من (أ) و(ط) و(ل).
(٢) في (أ) و(ل): «أكثر».
(٣) في (أ): «موضع».
(٤) أخرجه الترمذي (٣١٠٤)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٠٠ ـ ١٠٠١)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص١٩)؛ والبيهقي (٢/ ٣٨٥) من قول الزهري. =

إنما هو التابوه، وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت، (فترافعوا)[١] إلى عثمان فقال: اكتبوه بلغة قريش، فإن القرآن نزل بلغتهم. وكأن عثمان (رضي الله عنه) [٢] - والله أعلم - رتب السور في المصحف، وقدم السبع الطوال، وثنى بالمئين.

ولهذا روى ابنُ جرير وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث غير واحد من الأئمة الكبار، عن عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس[٣] قال: قلت لعثمان بن عفان: «ما حملكم»[٤] (على)[٥] أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمٰن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

وكانت الأنفال من أول ما (نزل)[٦] بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهةً بقصتها، وحسبت أنها منها، (فقبض)[٧] رسول الله ﷺ ولم (يبين)[٨] لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمٰن الرحيم، فوضعتها في السبع الطوال.

= قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٠): «قال الخطيب: إنما رواها ابن شهاب مرسلة». اهـ.
وأخرجه البيهقي من طريق أبي الوليد، عن إبراهيم بن سعده عن الزهري قوله، وصنيعه يرجح الإرسال. والله أعلم.

(١) في (أ) و(ط): «فتراجعوا».
(٢) من (أ).
(٣) **حديث منكر.**
أخرجه أبو داود (٧٨٦، ٧٨٧)؛ والنسائي في «الفضائل» (٣٢)؛ والترمذي (٣٠٨٦)؛ وأحمد (١/ ٥٧، ٦٩)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (٤٧/ ٢)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠١٥، ١٠١٦)؛ وابن حبان (٤٣)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٣١، ٣٢)؛ والحاكم (٢/ ٢٢١، ٢٣٠)؛ والبيهقي (٢/ ٤٢)؛ والخطيب في «الموضح» (١/ ٣٣٨) من طريق عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، فذكره.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، ويزيد الفارسي هو من التابعين من أهل البصرة، ويزيد بن أبان الرقاشي، هو من التابعين من أهل البصرة، وهو أصغر من يزيد الفارسي، ويزيد الرقاشي إنما يروى عن أنس بن مالك». اهـ.
قلت: فاختلف العلماء هل يزيد الفارسي هو يزيد بن هرمز، أم هما رجلان؟! فذهب ابن مهدي، وأحمد، وابن المديني، ومحمد بن المثنى، وابن سعد إلى أنهما واحد، وأنكر ذلك يحيى القطان، وابن معين، وأبو حاتم، والترمذي، وعمرو بن علي الفلاس، ومال إليه البخاري والخطيب، وإقامة البرهان على ذلك فيه طول ذكرته في «التسلية» والخلاصة أن يزيد الفارسي شبه المجهول، فتفرده بهذا الحديث الخطير لا يقبل منه، وتصحيح الحاكم ومن قبله ابن حبان مردود، وكذلك تجويد ابن كثير له فيما يأتي، ولعل مستندهم هو عدم التفريق بين الفارسي وابن هرمز، والله أعلم.
(٤) ساقط من (ط).
(٥) ساقط من (ج).
(٦) في (أ): «نزلت».
(٧) في (ج): «وقبض».
(٨) في (أ) و(ط): «تبين».

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقًى عن النبي ﷺ.

وأما ترتيب السور، فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله[(١)] عنه ـ ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته فإن نكسه أخطأ خطأً كبيراً. وأما ترتيب السور فمستحب؛ اقتداءً بعثمان رضي الله عنه. والأولى إذا قرأ: أن يقرأ متوالياً، كما قرأ عليه السلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين[(٢)]، وتارة[(٣)] بـ﴿سَبِّحِ﴾ [الأعلى: ١] و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية] فإن فرق جاز، كما صح[(٤)] أن رسول الله ﷺ قرأ في العيد بـ﴿قٓ﴾ [ق: ١] و﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] رواه مسلم، عن أبي (واقد)[(٥)].

وفي «الصحيحين»[(٦)] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ۝١﴾ السجدة و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ [الإنسان: ١] وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، أخرجه[(٧)] مسلم.

وقرأ عمر[(٨)] في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف.

ثم إن عثمان رضي الله عنه ردَّ الصحف إلى حفصة رضي الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها؛ لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة التي نفذها عثمان إلى الآفاق، مصحفاً إلى مكة، ومصحفاً إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين؛ وترك عند أهل المدينة مصحفاً.

---

(١) بل الصواب أن ترتيب السور توقيفي أيضاً، وللشيخ أبي الأشبال أحمد بن محمد شاكر بحث مانع قوي حول هذا الموضوع.

(٢) **صحيح.**
أخرجه مسلم (٨٧٩/ ٦٤) والسياق له.

(٣) **صحيح.**
أخرجه مسلم (٨٧٨/ ٦٢) واللفظ له.

(٤) **صحيح.**
أخرجه مسلم (٨٩١/ ١٤).

(٥) وقع في «الأصول» كلها: «عن أبي قتادة» وهو سبق قلم، صوابه: «أبو واقد».

(٦) **صحيح.**
أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٧، ٥٥٢)؛ ومسلم (٨٨٠/ ٦٥، ٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) **صحيح.**
أخرجه مسلم (٧٧٢/ ٢٠٣).
وعزاه المصنف رحمه الله في مطلع تفسير سورة البقرة لـ«الصحيحين» فوهم.

(٨) أخرجه البخاري (٧/ ٥٩ ـ ٦١)؛ وابن حبان (٦٩١٧) في قصة مقتل عمر رضي الله عنه، عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة... وساق الحديث وفيه: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين، قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس... الحديث».
ولم أقف على ما ذكره المصنف رحمه الله أنه قرأ بالسورتين في ركعة وأنه قدم النحل على يوسف. فالله أعلم.
وأخرجه مسلم (٤٧٣/ ١٩٦)؛ وأحمد (٣/ ٢٤٧) من طريق حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن أنس بسياق أطول.

رواه أبو بكر بن أبي داود[١]، عن أبي حاتم السجستاني؛ سمعه يقوله.

وصحح[٢] القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف ـ وهذا غريب ـ وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن تحرق لئلا تختلف قراءاتُ الناس في الآفاق. وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم. وإنما نقم عليه ذلك (أولئك)[٣] الرهط الذين تمالؤوا عليه وقتلوه ـ قاتلهم الله ـ وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له. وأما ساداتُ المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين، فكلهم وافقوه.

قال أبو داود[٤] الطيالسي وابن مهدي وغندر، عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن رجل، عن سويد بن غفلة قال علي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته.

وقال أبو بكر بن أبي داود[٥]: حدثنا أحمد بن سنان، حدّثنا عبد الرحمٰن، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد.

وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضاً[٦]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدّثنا يحيى بن كثير، حدّثنا ثابت بن عمارة الحنفي قال: سمعت غنيم بن قيس المازني قال: قرأت القرآن على الحرفين جميعاً، والله ما يسرني أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله. قال: قلنا له: يا أبا العنبر لم؟ قال: لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرؤون الشعر.

وحدثنا يعقوب بن[٧] سفيان، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثني عمران بن حدير، عن أبي

---

(١) في «المصاحف» (ص٣٤).

(٢) في «تفسيره» (١/ ٥٤) وعبارته: «ونسخ منها عثمان نسخاً، قال غيره: قيل: سبعة، وقيل: أربعة، وهو الأكثر».

(٣) سقط من (أ).

(٤) مر تخريجه آنفاً.

(٥) في «المصاحف» (ص١٢).
وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٥٦، ١٥٧)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٠٤) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد فذكره وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي داود (ص١٣) ومن طريقه المزي في «التهذيب» (٢٣/ ١٢٣) وسنده جيد. ويحيى بن كثير هو ابن درهم العنبري؛ وثقه عباس العنبري، وابن حبان.
وقال النسائي: «ليس به بأس» وقال أبو حاتم: «صالح الحديث».
وثابت بن عمارة وثقه ابن معين والدارقطني وابن حبان. وقال أحمد والنسائي: «لا بأس به» وقال أبو حاتم: «ليس عندي بالمتين» وأبو حاتم جراح!
ورفع شأنه شعبة بن الحجاج، فقال: «تأتوني وتدعون ثابت بن عمارة».
وغنيم بن قيس أدرك النبي ﷺ ولم يره، ووفد على عمر بن الخطاب، وغزا مع عتبة بن غزوان؛ ووثقه النسائي.

(٧) أخرجه ابن أبي داود (ص١٣) وسنده صحيح.
ومحمد بن عبد الله هو الأنصاري، وعمران بن جرير وثقه الجمع.
قال يزيد بن هارون: «كان عمران أصدق الناس».
وأبو مجلز، هو: لاحق بن حميد، ثقة معروف.

مجلز قال: لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرؤون الشعر.

وحدثنا[1] أحمد بن سنان، سمعت ابن مهدي يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً. وجمعه الناس على المصحف.

وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال إسرائيل، عن أبي إسحاق عن حميد بن مالك قال: لما أمر عثمان بالمصاحف ـ يعني: بتحريقها ـ ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال: من استطاع منكم أن يغل مصحفاً فليغلل، فإنه من غل شيئاً جاء بما غل يوم القيامة، ثم قال عبد الله: لقد قرأت القرآن من فِي رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي، أفأترك ما أخذت من فِي رسول الله ﷺ[2]؟

وقال أبو بكر[3]: حدثنا (عبد الله بن محمد)[4] بن النعمان، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا (أبو)[5] شهاب، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان، والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته. قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق، فما أحد ينكر ما قال.

أصل هذا مخرج في «الصحيحين»[6]، وعندهما: «ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله».

وقول أبي وائل: فما أحد ينكر ما قال؛ يعني: من فضله وحفظه وعلمه، والله أعلم، وأما أمره بغل المصاحف وكتمانها فقد أنكره عليه غير واحد.

قال الأعمش[7]، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال: كنا نعد

---

(١) ابن أبي داود (ص١٣) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٩، ٤٠٥، ٤١٤)؛ والطيالسي (٤٠٥) ومن طريقه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ٢٤٧)؛ وابن أبي داود (ص١٥)؛ والدارقطني في «المؤتلف» (ص٦٧٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢٥)؛ والحاكم (٢/ ٢٢٨) وصححه؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/ رقم ٨٤٣٤، ٨٤٣٥)؛ والهيثم بن كليب في «المسند» (ق٩٩/ ١، ٢) من طرق عن أبي إسحاق، عن خمير بن مالك، عن ابن مسعود فذكره، وهذا سند رجاله ثقات، إلا خمير بن مالك فترجمه ابن أبي حاتم (١/ ٢/ ٣٩١) ولم يحك فيه شيئاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢١٤) وقال ابن سعد: «له حديثان».

(٣) ابن أبي داود (ص١٥، ١٦).

(٤) وقع في (أ): «محمد بن عبد بن محمد»! و«محمد» الأولى مقحمة.

(٥) في (أ) و(ط): «ابن» وهو خطأ.

(٦) أخرجه البخاري (٩/ ٤٦ ـ فتح)؛ ومسلم (٢٤٦٢/ ١١٤) من حديث عن ابن مسعود.

(٧) أخرجه ابن أبي داود (ص١٨) قال: حدثنا عمي وحمدان بن علي قالا: حدثنا ابن الأصبهاني عن عبد السلام بن حرب، عن الأعمش بسنده سواء.
وهذا سند صحيح، وعم ابن أبي داود هو: «محمد بن الأشعث»، وابن الأصبهاني هو محمد بن سعيد بن سليمان.

عبد الله (جباناً)[١] فما باله يواثب الأمراء؟

وقال أبو بكر بن أبي داود[٢]: باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك:

حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالا: حدّثنا أبو أُسامة، حدثني زهير، حدثني الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامري، عن فلفلة الجعفي قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكننا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبوابٍ على سبعة أحرف ـ أو حروف ـ وإن الكتاب قبلكم كان ينزل ـ أو نزل ـ من باب واحد على حرف واحد.

وهذا[٣] الذي استدل به أبو بكر رَحِمَهُ اللَّهُ على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه، والله أعلم.

---

(١) كذا في «الأصول» كلها؛ من «الجبن» بالجيم والباء، ووقع في «كتاب المصاحف» «حناناً» بالحاء المهملة والنون، فكأنه تصحيف، فإن لم يكن فتوجيهه ظاهر والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد في «العلل» (٣٧٢٥ ـ رواية عبد الله) وفي «المسند» (١/ ٤٤٥)؛ وابن أبي داود (ص١٨)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٠٦)؛ والهيثم بن كليب في «مسنده» (٨٨١)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٢) من طريق زهير بن معاوية، حدثني الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامري، عن فلفلة الجعفي فذكره.

وخالفه سفيان الثوري، فرواه عن الوليد بن قيس، عن القاسم بن حسان، عن فلفلة، أخرجه النسائي في «الفضائل» (٩) من طريق أبي داود وأحمد في «العلل» (٣٧٢٣) عن إسحاق بن يوسف كلاهما، عن الثوري.

ونظر الدارقطني، كما في «العلل» (٥/ ٢٣٧)، في هذا الاختلاف، ورجح رواية الثوري، ويقصد الدارقطني أن شيخ الوليد بن قيس هو «القاسم» وذلك أنه قد وقع في اسمه اختلاف هل هو «عثمان بن حسان» أو «القاسم بن حسان». فقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ١/ ١٤٨): «عثمان بن حسان العامري، ويقال: القاسم بن حسان، وبعثمان أشبه، روى عن فلفلة الجعفي، روى عنه أبو همام الوليد بن قيس. سمعت أبي يقول ذلك». اهـ.

وأخرج البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢/ ٢١٩) هذا الحديث مختصراً في ترجمة عثمان بن حسان العامري، وأشار إلى رواية سفيان، فالظاهر من صنيعهما أن الأصوب أنه «عثمان» لا «القاسم» وقد رواه أحمد في «العلل» (٣٧٢٤) قال: حدثنا أبو أسامة بحفظه، قال: أخبرني سفيان وزهير، عن الوليد بن قيس، عن القاسم بن حسان، عن فلفلة الجعفي. . . فذكره؛ فهذا يؤيد ما ذهب إليه الدارقطني، إلا أن يكون أبو أسامة وهم على زهير فيه والله أعلم، وسواء كان هذا أو ذاك فهو مجهول الحال. وفلفلة الجعفي ذكره ابن حبان في «الثقات» وروى عنه جمع من الثقات، وقال ابن سعد: «قليل الحديث». وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٥٢، ١٥٣): «فيه عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات»! وقال شيخنا أبو عبد الرحمٰن الألباني رحمه الله تعالى في «الصحيحة» (٢/ ١٣٥): «وهذا إسناد جيد موصول، رجاله كلهم ثقات معروفون غير فلفلة هذا. . .» كذا! ولم يلتفت شيخنا، رَحِمَهُ اللَّهُ، إلى الاختلاف على الوليد بن قيس في إسناده. وسواء كان شيخه القاسم أو عثمان فهل في أحدهما توثيق معتبر؟!

(٣) قلت: هذا الذي عقب به المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على استدلال ابن أبي داود له وجه قوي، فإن قيل: قول ابن مسعود هذا يدل على أنه رضي بحرف غيره، فهذا نقيض اعتراضه الأول؟! قيل: إنما أنكر أن يقرأ هو على =

وقال أبو بكر[(١)] أيضاً: حدثني عمي، حدّثنا أبو رجاء، أنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: (يا أيها)[(٢)] الناس (عهدكم)[(٣)] نبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى تجمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم: لسمعتَ رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس؟ قال: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص؛ قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد. فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: قد أحسن.

إسناد صحيح.

وقال أيضاً[(٤)]: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، ثنا أبو بكر (حدّثنا)[(٥)] هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أُبي بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه، قال محمد: فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد: فظننت ظناً إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله.

صحيح أيضاً.

(قلت): الربعة هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة رضي الله عنها؛ فلما جمعها عثمان رضي الله عنه في المصحف ردها إليها ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها؛ لأنها هي بعينها (التي)[(٦)] كتبه وإنما رتبه، ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها، فما زالت عندها حتى ماتت؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول في ذلك ما تأول عثمان.

= حرف زيد بن ثابت ولم ينكر على غيره أن يقرأ، لذلك فهذا الأثر غير صريح في الرجوع، وأقصى ما فيه الإيماء إلى ذلك وكأن ابن مسعود رضي الله عنه أراد تسكين الفتنة، كما فعل في زمان الحج مع عثمان لما أتم الصلاة في منى. وقال: «الخلاف شر». فرضي الله عنهم أجمعين.

(١) أخرجه ابن أبي داود (ص٢٣، ٢٤) وصحح المصنف رحمه الله سنده وفيه شيء؛ لأن سماع إسرائيل من جده كان بأخرة، نعم؛ كان الذهبي وغيره يرجح إسرائيل في جده على سفيان وشعبة، ويصفه بأنه «عكاز جده». وقد توبع إسرائيل، فتابعه غيلان بن جامع، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد فذكر نحوه أخرجه ابن أبي داود أيضاً (ص٢٤) من طريق يحيى بن يعلى بن الحارث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا غيلان به. وهذا سند رجاله ثقات.

(٢) في (أ) و(ط): «أيها».

(٣) في (أ): «عهد».

(٤) أخرجه ابن أبي داود (ص٢٥، ٢٦) وصححه المصنف وفي إسناده أبو بكر بن عياش، وهو ثقة إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح. فالله أعلم.

(٥) في (أ): «ابن» وهو خطأ.

(٦) في (أ): «الذي».

كما رواه أبو بكر بن أبي داود[١]: حدثنا محمد بن عوف، حدّثنا أبو اليمان، حدّثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف التي كتب منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت.

وقال مروان: إنما فعلت هذا؛ لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب.

إسناد صحيح.

وأما ما رواه الزهري عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحاً به في غير هذه الرواية، عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: فألحقناها في سورتها من المصحف، وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية.

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حَفِظا على الناس القرآن وجمعاه؛ لئلَّا يذهب منه شيء؛ وعثمان رضي الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام، فإنه عارضه به عامئذ مرتين، ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض «وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي».

أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

وقد روي أن علياً رضي الله عنه أراد (أن)[٣] يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتباً بحسب نزوله أولاً فأولاً، كما رواه ابن أبي داود[٤] رحمه الله حيث قال:

---

(١) في «المصاحف» (ص٢٤، ٢٥) وسنده صحيح كما قال المصنف رحمه الله تعالى.
وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٥٦)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٠٣، ١٠٠٤)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٣٠٠).

(٢) **صحيح.**
أخرجه البخاري (١١/ ٧٩، ٨٠)؛ ومسلم (١٦/ ٥ ـ نووي).

(٣) ساقط من (ج).

(٤) **ضعيف منقطع.**
أخرجه ابن أبي داود (ص١٠) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١٢/ ق٣٢٧، ٣٢٨)، وأما تليين ابن أبي داود لأشعث، فالجواب عنه أنه متابع. فأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٣٠٠، ٣٠١) من طريق إسماعيل بن علية قال: حدثنا أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين قال: لما بويع أبو بكر أبطأ علي عن بيعته.. ثم ساق نحوه. وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٤٥) أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا ابن عون، عن ابن سيرين مثله. وأخرجه ابن عساكر (١٢/ ٣٢٨) من طريق ابن علية، عن أيوب وابن عون، عن ابن سيرين، قال: نبئت أن علياً... فذكره وهذا سند رجاله ثقات رجال الشيخين، لكنه منقطع =

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدّثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل، فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ فقال: لا والله إلا إني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة، فبايعه ثم رجع.

هكذا رواه وفيه انقطاع.

ثم قال: لم يذكر (المصحف)[١] أحد إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا: حتى أجمع القرآن؛ يعني: أتم حفظه، فإنه يقال للذي (يحفظ)[٢] القرآن قد جمع القرآن.

(قلت): وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر، والله أعلم، فإن علياً لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال: إنها بخط علي رضي الله عنه، وفي ذلك نظر فإن في بعضها: كتبه علي بن (أبو)[٣] طالب! وهذا لحن من الكلام، وعلي رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك، فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيما رواه عنه (أبو)[٤] الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده، ثم أخذ الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه، وصار علماً مستقلاً.

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً بمدينة طبرية، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمائة، وقد رأيته كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبين قوي بحبر محكم، في رق أظنه من جلود الإبل، والله أعلم، زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً.

فأما عثمان رضي الله عنه، فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف، وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه وغيره، فنسبت إلى عثمان؛ لأنها بأمره وإشارته، ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان، ثم نفذت إلى الآفاق رضي الله عنه.

وقد قال أبو بكر بن أبي داود[٥]: حدثنا علي بن حرب الطائي، حدّثنا قريش بن أنس، حدّثنا

= كما قال المصنف رحمه الله تعالى. وأخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص٣٦) من طريق هوذة بن خليفة، ثنا عوف، عن محمد بن سيرين، عن عكرمة فيما أحسب قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر رضي الله عنه قعد علي بن أبي طالب في بيعته... وساق نحوه وفيه: قال أبو بكر: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمعه، فقال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت.
قال محمد بن سيرين: فقلت له: ألفوه كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا. قال محمد: أراه صادقاً وهو منقطع أيضاً.

(١) في (ط): «الصحف».

(٢) من (ل) وهو الموافق لما في «المصاحف» (ص١٠)، ووقع في (أ) و(ج) و(ط): «يجمع» وهو سبق قلم. والله أعلم.

(٣) في (ج): «أبي»؛ وفيه تضييع لهذا التعقب.

(٤) ساقط من (أ).

(٥) وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣٨٣/٤) من طريق معتمر بن سليمان التيمي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا =

سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مولى بني أسيد قال: لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده، فوقعت على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] فمد يده وقال: والله إنها لأول يد خطت المفصل.

وقال أيضاً[(١)]: حدثنا أبو الطاهر، حدّثنا ابن وهب قال: سألت مالكاً عن مصحف عثمان فقال لي: ذهب.

يحتمل أنه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة، والله أعلم.

(قلت): وقد كانت الكتابة في العرب قليلةً جداً، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره أن بشر بن عبد الملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب.

وقيل: إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من «طيء» من قرية هناك يقال لها: «بقة»، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب، فتعلمه الناس.

ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود[(٢)]، حدثنا عبد الله بن محمد الزهري (إن شاء الله)[(٣)]، حدّثنا سفيان، عن مجاهد، عن الشعبي قال: سألنا المهاجرين: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار.

(قلت): والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المتكوفة، ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير، وصار له في ذلك منهج وأسلوب في الكتابة، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب، وسلك الناس وراءه، وطريقته في ذلك واضحة جيدة[(٤)].

والغرض أن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيداً، وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى، وصنف الناس في ذلك. واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «فضائل القرآن»،

= أبو نضرة، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد فذكره.
وأخرجه عمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/١١٣٨، ١١٣٩) من طريق سعيد بن يزيد، حدثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد به؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١/رقم ١١٩) من طريق الزهري عن أبي سلمة قال: لما ضرب الرجل يد عثمان قال: إنها لأول يد خطت المفصل. وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٩٤) وليس بحسن؛ لأنه منقطع بين أبي سلمة وعثمان. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي داود (ص٣٥) وسنده صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي داود (ص٤) وسنده صحيح إلى الشعبي.
(٣) ساقط من (أ) و(ل).
(٤) وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٤٢): «هذب ابن البواب طريقة ابن مقلة نقحها، وكساها طلاوة وبهجة».

والحافظ أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبوبا على ذلك، وذكرا قطعةً صالحةً هي من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا.

ولهذا نص الإمام مالك (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)(١) على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام. ورخص غيره في ذلك، واختلفوا في الشكل والنقط، فمن مرخص ومن مانع.

فأما كتابة السورة وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب (فكثر)(٢) في مصاحف زماننا. والأولى اتباع السلف الصالح.

ثم قال البخاري(٣): ذكر كُتَّابِ النبي ﷺ.

وأورد فيه من حديث الزهري، عن ابن السباق، عن زيد بن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له: وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وذكر نحو ما تقدم في جمعه القرآن وقد تقدم، وأورد حديث زيد بن ثابت(٤) في نزول ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] ولم يذكر البخاري أحداً من الكُتَّاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت، وهذا عجب، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا، والله أعلم. وموضع هذا في «كتاب السيرة» عند ذكر كُتَّابه عليه (الصلاة)(٥) والسلام.

ثم قال البخاري(٦) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنزل القرآن على سبعة أحرف:

حدثنا سعيد بن عفير، حدّثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن

---

(١) ساقط من (أ) و(ط). (٢) في (أ): «فكثير».

(٣) كذا نقل ابن كثير المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن «صحيح البخاري»، والذي فيه: «باب: كاتب النبي ﷺ» هكذا بالإفراد، وليس بالجمع. ونقل الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٢) هذا عن المصنف هنا، ثم قال: «لم أقف في شيء من النسخ إلا بلفظ: «كاتب»، بالإفراد وهو مطابق لحديث الباب؛ نعم قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ جماعة غير زيد بن ثابت، أما بمكة فلجميع ما نزل بها لأن زيد بن ثابت إنما أسلم بعد الهجرة، وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد، ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه الكاتب بلام العهد كما في حديث البراء بن عازب ثاني حديثي الباب، ولهذا قال له أبو بكر: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ. وكان زيد بن ثابت ربما غاب فكتب الوحي غيره. وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أُبي بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدي ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين، وروى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان قال: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا، الحديث». اهـ.

(٤) **صحيح.**
أخرجه البخاري (٦/ ٤٥ و٨/ ٢٥٩).

(٥) ساقط من (ج) و(ط) و(ل).

(٦) في «صحيحه» (٩/ ٢٣ ـ فتح).
وأخرجه أيضاً في «بدء الخلق» (٦/ ٣٠٥)؛ ومسلم (٨١٩/ ٢٧٢).

عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل ﷺ على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

وقد رواه أيضاً في «بدء الخلق»، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضاً عن معمر، كلاهما عن الزهري بنحوه.

ورواه ابن جرير من حديث الزهري به.

ثم قال الزهري: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون وحداً لا يختلف في حلال ولا في حرام، وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد[1] القاسم بن سلام حيث قال:

حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد، كلاهما عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن أُبي بن كعب قال: ما حك في صدري شيء منذ أسلمت، إلا أنني قرأت آيةً وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا: قال: «نعم». وقال الآخر: أليس تقرئني آية كذا وكذا؟ قال: «نعم» فقال: «إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف، وكل حرف كاف شاف».

وقد رواه النسائي[2] من حديث يزيد ـ وهو ابن هارون ـ ويحيى بن سعيد القطان، كلاهما عن حميد الطويل، عن أنس، عن أُبي بن كعب بنحوه.

وكذا رواه[3] ابن أبي عدي (ومحمد)[4] بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب، كلهم عن حميد به.

---

(١) في «فضائل القرآن» (ص٢٠١).

(٢) في «المجتبى» (٢/ ١٥٤) قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى القطان.
وأخرجه في «الفضائل» (١١) قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أنا يزيد بن هارون كلاهما عن حميد الطويل، بسنده سواء.
وأخرجه أحمد (٥/ ١١٤، ١٢٢) حدثنا يحيى القطان؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٧)؛ وعبد بن حميد (١٦٤)؛ وابن حبان (٧٣٧)؛ والضياء في «المختارة» (١١٢٩) (١١٣٠)؛ والبيهقي في «السنن الصغرى» (١٠١٠) عن يزيد بن هارون، كلاهما عن حميد الطويل به.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٦) قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي. وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني، جميعاً عن حميد بسنده سواء وهذه الأسانيد كلها صحاح.
وأخرجه عبد الله بن أحمد (٥/ ١٢٢)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٩)؛ وابن أبي حاتم في «العلل» (ج٢/رقم ١٧٤٥)؛ وابن جرير (٢٧) من طريق أخرى عن حميد الطويل به. ورواه عن حميد: «بشر بن المفضل، ومعتمر بن سليمان، وعبد الله بن بكر السهمي، ويحيى بن أيوب».
قلت: فقد رواه عن حميد الطويل: «يحيى القطان، ويزيد بن هارون، وبشر بن المفضل، ويحيى بن أيوب، وعبد الله بن بكر السهمي، ومعتمر بن سليمان، وابن أبي عدي، ومحمد بن ميمون» ثمانيتهم، عن حميد، عن أنس، عن أُبي بن كعب. وخالفهم حماد بن سلمة، فرواه عن حميد الطويل، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أُبي بن كعب فذكره، ويأتي الكلام عليه.

(٤) في (أ): «محمود»! وهو خطأ.

وقال ابن جرير[١]: حدثنا محمد بن مرزوق، حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

فأدخل بينهما عبادة بن الصامت.

وقال الإمام أحمد بن حنبل[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، حدثني عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أُبي بن كعب، قال: كنت في المسجد، فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فقمنا جميعاً فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتُها عليه، ثم دخل هذا فقرأ (غير)[٣] قراءة صاحبه، فقال لهما النبي ﷺ: «اقرءا ـ فقرءا فقال: ـ أصبتما» فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال: كبر عليَّ ولا إذا كنت في الجاهلية، فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً. وكأنما أنظر إلى الله فرقاً، فقال: «يا أُبي إن الله أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوِّن على أمتي، فأرسل إلي أن أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها ـ قال ـ قلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليه فيه الخلق حتى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدّثنا محمد بن فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن جده، عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: خفف (عن)[٤] أمتي، فقال: اقرأه على حرفين، فقلت: رب خفف (عن)[٤] أمتي، فقال: اقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة، كلها شافٍ كافٍ».

---

(١) في «تفسيره» (٢٨).
وأخرجه أحمد (٥/ ١١٤)؛ وابن حبان (٧٤٢)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (١٧٠٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٧٩)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٢) من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أُبي بن كعب فذكره. فزاد في الإسناد «عبادة بن الصامت»، ولعل هذا مما وهم فيه حماد، وكان تغير حفظه قليلاً ويؤيده إيراد ابن عدي للحديث في ترجمته ولم أجد من تابعه مع مخالفة هذا الجمع.
وذكر أبو حاتم، كما في «العلل» (١٧٤٥) رواية حماد من غير ترجيح، فإن كان يرجح روايته على زهير، فلم يتفرد زهير به، فتابعه من قدمنا ذكرهم، وهم أكثر عدداً وأشد إتقاناً. والله أعلم.

(٢) **صحيح**.
أخرجه أحمد (٥/ ١٢٧) قال: حدثنا يحيى بن سعيد، بسنده سواء.
وأخرجه مسلم (٨٢٠/ ٢٧٣).
ورواه عن إسماعيل بن أبي خالد: «وكيع، ويحيى القطان، وابن نمير، ومحمد بن بشر، ومحمد بن يزيد الواسطي، وخالد بن عبد الله، ومحمد بن فضيل، ومحمد بن عبيد».

(٣) في (أ): «سوى».

(٤) في (ج): «على».

وقال ابن جرير[١]:

(حدثنا)[٢] يونس، عن ابن وهب، أخبرني هشام بن سعد، عن عبيد الله بن عمر، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أُبي بن كعب أنه قال: سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءةً تخالف قراءتي، ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل، فسألتهما: من أقرأهما؟ فقالا: رسول الله ﷺ، فقلت: لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما: «اقرأ ـ فقرأ فقال: ـ أحسنت ـ ثم قال للآخر: ـ اقرأ ـ فقرأ ـ فقال: ـ أحسنت» قال أُبي: فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي، فضرب يده في صدري، ثم قال: «اللهم أخسئ الشيطان عنه، يا أُبي أتاني آت من ربي فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف (عن أمتي)[٣]، ثم أتاني الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على (حرفين)[٤]، فقلت: رب خفف عن أمتي، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك، وقلت مثل ذلك، ثم أتاني الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة ـ فقال: ـ يا رب اللهم اغفر لأمتي، يا رب اغفر لأمتي، واختبأت الثالثة شفاعةً لأمتي يوم القيامة».

إسناد صحيح.

---

(١) في «تفسيره» رقم (٣٨).
وصرح المصنف بصحة سنده، ولكن قال إبراهيم الحربي، كما في «التهذيب» (٧/ ٤٠)، «لم يدرك عبيد الله عبد الرحمٰن بن أبي ليلى» فأجاب عنه الشيخ العلامة أبو الأشبال ﷾ بقوله: «وأنا أرجح أن هذا خطأ من الحربي، فإن عبد الرحمٰن مات سنة (٨٢) أو (٨٣) وعبيد الله مات سنة (١٤٤) أو (١٤٥) فالمعاصرة ثابتة، وهي كافية في إثبات اتصال الرواية، إذا لم يكن الراوي مدلساً، وما كان عبيد الله ذلك قط، ولذلك جزم ابن كثير بصحة الإسناد».اهـ.
قلت: لا يتم لك الأمر إلا إذا أثبت أن عبيد الله عُمِّر، وقد صرح الذهبي في «السير» (٦/ ٣٠٤) «أن عبيد الله ولد بعد السبعين أو نحوها» فمن المحتمل أن يكون في أول السبعين أو في آخرها، وعلى أي تقدير فيكون تجاوز العاشرة بسنين قليلة، سنتين أو ثلاثة، وهذا وإن كان أدرك الزمان، لكن لعل الحربي قصد «إدراك السماع»، فإذا أضفت إلى هذا أن عبد الرحمٰن كوفي، وعبيد الله مدني، ويبعد أن يرحل ابن عشر سنين أو فوقها بقليل لطلب الحديث ترجح لك كلام الحربي، ثم فوق كل هذا فإن هشام بن سعد قد خولف في روايته عن عبيد الله بن عمر، خالفه المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عبيد الله بن عمر، عن سيار أبي الحكم، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى رفعه إلى النبي ﷺ فذكره. أخرجه ابن جرير (٣٩) قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، ثنا المعتمر. فخالفه المعتمر في موضعين:
الأول: أنه أثبت الواسطة بين عبيد الله بن عمر وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وهو يؤيد كلام الحربي في الانقطاع.
الثاني: أنه أرسله، ورواية المعتمر أرجح، فهو أوثق من هشام بن سعد، بل تكلم أحمد وابن معين والنسائي في حفظ هشام وضعفوه، ومشاه غيرهم: فتصحيح المصنف للإسناد لا يخفى ما فيه. والله تعالى أعلم.
(٢) في (أ): «حدثني».
(٣) في (ج): «عنى».
(٤) في (ج): «حرف واحد» وهو سبق قلم.

(قلت): وهذا الشك الذي حصل لأُبي في تلك الساعة هو ـ والله أعلم ـ السبب الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة (إبلاغ وإعلام)[١] ودواء لما كان حصل له سورة ﴿لَمْ يَكُنِ (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)[٢] مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ) . . .﴾ إلى آخرها [البينة: ١][٣]، لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة] وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه (ﷺ)[٤] من الحديبية على عمر بن الخطاب، وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ (ثم)[٥] لأبي بكر الصديق، وفيها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال ابن جرير[٦]: حدثنا محمد بن مثنى، حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن أُبي بن كعب أن رسول الله كان عند إضاة بني غفار، فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتي لا تطيق ذلك» قال: ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، إن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، إن أمتي لا تطيق ذلك» ثم جاءه الرابعة فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا».

وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به.

وفي لفظ لأبي داود[٧]، عن أُبي بن كعب قال: قال (لي)[٨] رسول الله ﷺ: «إني أقرئت القرآن، (فقيل)[٩] لي: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذي معي: قل: على حرفين، فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: قل: على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف إن قلت: سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب».

وقد روى ثابت[١٠] بن قاسم نحواً من هذا عن أبي هريرة[١١]، عن النبي ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحو ذلك.

---

(١) في (أ): «إعلام وإبلاغ».
(٢) ساقط من (أ).
(٣) ساقط من (ط).
(٤) ساقط من (أ).
(٥) في (أ): «و».
(٦) صحيح وهو في «تفسيره» رقم (٣٥).
وأخرجه مسلم (٨٢١/ ٢٧٤).
(٧) أخرجه أبو داود (١٤٧٧) من طريق سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب، ويأتي تخريجه قريباً.
(٨) ساقط من (أ).
(٩) في (ج): «قيل».
(١٠) كذا في «الأصول» كلها، وليس هو، كما يتبادر، التابعي الذي يروى الحديث عن أبي هريرة، ولكنه كما يبدو لي أحد العلماء المصنفين، وقد روى الحديث بسنده إلى أبي هريرة في «مصنفه»، ويقع لي، والله أعلم، أنه: «قاسم بن ثابت السرقسطي» صاحب كتاب «الدلائل» في غريب الحديث، فلعل اسمه انقلب على المصنف أو الناسخ، فإن كان ذلك كذلك، وإلا فليحرر. والعلم عند الله تعالى.
(١١) حسن.

=

وقال الإمام[١] أحمد: حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن أُبي قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء فقال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ العامي والعجوز الكبيرة والغلام، فقال: مرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف».

وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النجود، عن زر[٢]]، [عن (أُبي)[٣] به، وقال: «حسن صحيح».

وقد رواه أبو عبيد[٤]، عن أبي النضر، عن شيبان، عن عاصم بن أبي النجود، عن

= أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٢ ـ ٤٤٠)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٦)؛ وابن حبان (٧٤٣)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢٣١٣)؛ والطبري (٨، ٩) من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، حكيماً، عليماً، غفوراً، رحيماً».

قال ابن حبان: «حكيماً عليماً غفوراً رحيماً قول محمد بن عمرو، أدرجه في الخبر، والخبر إلى سبعة أحرف» وسنده حسن، ويأتي الكلام عن طرقه قريباً إن شاء الله.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٧٣) من كلام ابن مسعود نحوه. ورجال إسناده ثقات، وفي أبي بكر بن عياش كلام.

(١) في «مسنده» (٥/ ١٣٢).

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٨)؛ وابن حبان (٧٣٩)؛ وابن جرير (٢٩)؛ وأبو الفضل الزهري في «حديثه» (ج٣/ ق٧٣/ ٢) من طريق زائدة بن قدامة بسنده سواء. وتابعه شيبان بن عبد الرحمٰن، عن عاصم بن أبي النجود به. أخرجه الترمذي (٢٩٤٤)، والضياء في «المختارة» (١١٦٨) من طريق الحس بن موسى، نا شيبان بسنده سواء. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وتابعه عبيد الله بن موسى، وأبو النضر هاشم بن القاسم، كلاهما عن شيبان بسنده سواء أخرجه الهيثم بن كليب في «مسنده» (١٤٨٠، ١٤٨١). ووقع عنده في رواية أبي النضر، قال: «نا أبو معاوية، عن عاصم». وأبو معاوية هذا ليس هو الضرير محمد بن خازم، بل هو شيبان بن عبد الرحمٰن وهذه كنيته. والله أعلم. واختلف على شيبان كما يأتي.

وقد توبع شيبان. تابعه أبو عوانة الوضاح اليشكري فرواه عن عاصم، بسنده سواء أخرجه الضياء في «المختارة» (١١٦٩) وتابعهما حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن أُبي بن كعب فذكره. أخرجه الطيالسي (٥٤٣). واختلف فيه على حماد، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) وقع في «الأصول»: «ابن مسعود» وهو خطأ، فلم يقع في «الترمذي» حديث ابن مسعود هذا؛ نعم أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٨٩) من طريق يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا شيبان بن عبد الرحمٰن أبو معاوية، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله قال: أتيت المسجد فجلست إلى ناس وجلسوا إلي... وذكر حديثاً فيه أنهم اختلفوا في القراءة.

وهذا لون آخر من الاختلاف في إسناده ومتنه، فهل وهم يحيى بن أبي بكير على شيبان فيه؟ أو لعله من سوء حفظ عاصم، وهذا أقوى. والمحفوظ أن هذا يرويه الأعمش وأبو بكير بن عياش، وإسرائيل بن يونس وغيرهم عن عاصم، عن زر، عن عبد الله وليس فيه ذكر الأحرف السبعة. أخرجه أحمد (١/ ٤١٩، ٤٢١)؛ وابن حبان (٧٤٦، ٧٤٧)؛ والطبري (١٢، ١٣)؛ والحاكم (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤) وصححه. وأصله في «البخاري» من حديث النزال بن سبرة، عن ابن مسعود. والله أعلم.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص٢٠٢، ٢٠٣).

فهكذا رواه أبو النضر هاشم بن القاسم، عن شيبان. =

زر][١]، عن حذيفة، أن رسول الله ﷺ لقي جبريل عند أحجار المراء. فذكر الحديث والله أعلم.

وهكذا رواه الإمام[٢] أحمد، عن (عفان)[٣]، عن حماد، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «لقيت جبريل عند أحجار المراء فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ العامي الذي لم يقرأ كتاباً قط؛ فقال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف».

وقال أحمد[٤] أيضاً:

حدثنا وكيع وعبد الرحمٰن، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن ربعي بن حراش قال: حدثني من لم يكذبني (يعني)[٥] ـ حذيفة ـ قال: «لقي النبي ﷺ، جبريل عند أحجار المراء فقال: إن أمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه».

= وخالفه عبيد الله بن موسى والحسن بن موسى الأشيب فروياه عن شيبان، عن عاصم، عن زر، عن أُبي بن كعب. وقد مر ذكره آنفاً. وكلهم من الثقات الأثبات فيترجح لي أن الاضطراب من عاصم بن أُبي النجود. وعندي أنه من «مسند أبي بن كعب» أشبه لكثرة الطرق بذلك. والله أعلم.

(١) ساقط من (أ).

(٢) في «مسنده» (٥/ ٣٩١، ٤٠٠) قال: حدثنا عفان بإسناده سواء.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٣/رقم ٣٠١٩) قال: حدثنا محمد بن العباس المؤدب، ثنا عفان بن مسلم بسنده سواء.
وتابعه عبد الصمد بن عبد الوارث، وهدبة بن خالد، ومنصور بن سقير، كلهم عن حماد بن سلمة بسنده سواء.
أخرجه أحمد (٥/ ٤٠٥، ٤٠٦)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢٣١٠)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٢)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/٣٧/١).
وخالفهم جميعاً أبو داود الطيالسي، فرواه في «مسنده» (٥٤٣)؛ عن حماد بن سلمة بسنده سواء لكنه جعله عن «أُبي بن كعب» وهم يترجحون عليه في حماد لا سيما «عفان بن مسلم» هذا إن لم يكن الاضطراب فيه من عاصم كما سبق ذكره والله أعلم.
وقال البزار: «هكذا رواه حماد بن سلمة، ورواه أبو معاوية عن عاصم عن زر عن أُبي بن كعب» فكأنما يشير إلى أن الوهم فيه من حماد وليس من الرواة عنه، وأبو معاوية التي أشار البزار إلى روايته هو، عندي، شيبان بن عبد الرحمٰن، مع أن هذه الكنية إذا أطلقت عُني بها «الضرير محمد بن خازم» لكني لم أجد له رواية عن عاصم بن بهدلة، مع شهرة رواية شيبان بن عبد الرحمٰن لهذا الحديث، فهذا هو الذي حدا بي أن أرجح هذا الرأي والله أعلم.

(٣) ساقط من (ج) و(ل).

(٤) في «مسنده» (٥/ ٣٨٥، ٤٠١) ولم يجمع الإمام حديث شيخيه في سياق واحد، إنما فرقه، وهذا الجمع من تصرف المصنف رحمه الله.
وهذا إسناد رجاله ثقات، إلا إبراهيم بن مهاجر فقد لينه أكثر النقاد، فتصحيح المصنف لإسناده لا يخفى ما فيه، أما الهيثمي فقال في «المجمع» (٧/ ١٥١): «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم»! وهذا وهم عجيب، أظنه بسبب عجلة الهيثمي النظر في السند، فقد وقع في السند: «. . . ربعي بن حراش، حدثني من لم يكذبني، يعني حذيفة» فلما وقع بصره على قوله: «من لم يكذبني» قال ما قال!! وقد علمت أنه سمي. فرحمه الله تعالى.

(٥) ساقط من (أ).

وقال عبد الرحمٰن: «إن من أمتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه».

هذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه.

(حديث آخر) في معناه عن سليمان بن صرد.

قال ابن جرير[(١)]: حدثنا إسماعيل بن موسى السدي، حدّثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد يرفعه قال: «أتاني ملكان فقال أحدهما: اقرأ، قال: على كم؟ قال: على حرف، قال: زده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

ورواه النسائي[(٢)] في «اليوم والليلة» عن عبد الرحمٰن بن محمد بن سلام، عن إسحاق الأزرق،

---

(١) في «تفسيره» رقم (٢١).
وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٩) قال: حدثنا فهد، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل ابن بنت السدي بإسناده سواء.
وخالفه محمد بن جعفر الوركاني، فرواه عن شريك، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، عن أُبي بن كعب رفعه. أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٢٥) عن الوركاني. ورواية الوركاني أولى، فهو أوثق من إسماعيل بن موسى.
وقد توبع شريك على جعله من «مسند سليمان بن صرد». فتابعه زيد بن أبي أنيسة، عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد، قال: أتى محمداً ﷺ الملكان ثم ذكر نحوه.
أخرجه أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (ج١٠/ ق١١٨/ ٢)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٩) من طريق أبي نصر التمار، قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي أنيسة.
وتابعه عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو بسنده سواء.
أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١١٨٩)؛ وقال الهيثمي (٧/ ١٥٣): «رواه الطبراني وفيه جعفر، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات». وقد وقع سقط نحو ورقة من «نسخة الأوسط» فكان مما سقط، والله أعلم: «عبد الله بن» وبقي: «جعفر»، لذلك لم يعرفه الهيثمي رحمه الله تعالى.
ولكن خالفهما العوام بن حوشب، فرواه عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، عن أُبي بن كعب فذكره. ويأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٦٧١) قال: أخبرنا عبد الرحمٰن بن سلام، قال: حدثنا إسحاق الأرزق، حدثنا العوام بسنده سواء.
هكذا رواه إسحاق الأزرق، فجعل العوام بن حوشب متابعاً لشريك وزيد بن أبي أنيسة على جعل الحديث من «مسند سليمان بن صرد».
وخالفه يزيد بن هارون، فرواه عن العوام بن حوشب، قال: حدثني أبو إسحاق الهمداني، عن سليمان بن صرد، عن أُبي بن كعب فذكره. فجعله من «مسند أُبي بن كعب».
أخرجه النسائي (٦٧٠) أيضاً، قال: أخبرنا أبو داود، قال: حدثنا يزيد.
وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٢٠١)؛ وأحمد بن منيع في «مسنده»، كما في «إتحاف المهرة» (ق٢٢٩/ ١)؛ ومن طريقه أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (ج٩/ ق١١٨/ ١)؛ والضياء في «المختارة» (١١٧٦)؛ وابن الأعرابي، ومن طريقه الخطابي في «الغريب» (١/ ٥٨٧)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ١٨٨).
وهذا الوجه أشبه، وإسحاق الأزرق وإن كان ثقةً مأموناً، فقد قال ابن سعد: «ربما غلط»، ويحتمل أن يصح الوجهان معاً كما أشار إلى ذلك المصنف رحمه الله، ويكون الحديث بـ«أُبي بن كعب» أشهر وأكثر. والله أعلم.

عن العوام بن حوشب، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، قال: أتى أُبي بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلفا في القراءة، فذكر الحديث.

وهكذا رواه أحمد بن منيع، عن يزيد بن هارون، عن العوام [١][ابن حوشب به.

ورواه أبو عبيد، عن يزيد بن هارون، عن العوام][١]، (عن)[٢] أبي إسحاق، عن سلميان بن صرد، عن أُبي أنه أتى النبي ﷺ برجلين، فذكره.

وقال ابن جرير[٣]: حدثنا أبو كريب، حدّثنا يحيى بن آدم، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن فلان العبدي ـ قال ابن جرير: ذهب عني اسمه ـ عن سليمان بن صرد، عن أُبي بن كعب، قال: رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ، فقلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: استقرئ هذا، قال: فقرأ، فقال: «أحسنت» قال [٤][قلت: إنك أقرأتني كذا وكذا، فقال: «وأنت قد أحسنت» (قال: فقلت)[٥] قد أحسنت! قد أحسنت!؟ قال][٤] فضرب بيده على صدري ثم قال: «اللهم أذهب عن أُبي الشك» قال: ففضت عرقاً، وامتلأ جوفي فرقاً، قال: ثم قال: «إن الملكين أتياني، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده، قال: قلت: زدني، فقال: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعة أحرف، اقرأه على سبعة أحرف».

وقد رواه أبو عبيد، عن حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن (سقير)[٦] العبدي، عن سليمان بن صرد، عن أُبي [٧][عن النبي ﷺ بنحو ذلك.

ورواه أبو داود[٨]، عن أبي الوليد الطيالسي، عن همام، عن قتادة، عن يحيى بن يعمر، عن سليمان بن صرد، عن أُبي][٧] بن كعب بنحوه.

---

(١) ساقط من (أ).
(٢) في (ج): «ابن» وهو خطأ.
(٣) في «تفسيره» رقم (٢٥).
وأخرجه أبو عبيد (ص٢٠٢)؛ وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند (٥/ ١٢٤)؛ والهيثم بن كليب في «مسنده» (١٤٣٩)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٨٥، ٢٨٦) من طرق عن إسرائيل بن يونس بسنده سواء.
وسقير، ويقال: صقير، قال فيه الحسيني: «مجهول» فرد عليه الحافظ في «التعجيل» (٣٨٥) قائلاً: «ولم يصب في ذلك، فقد ذكروه في حرف الصاد المهملة، ولم يذكر البخاري ولا ابن أبي حاتم فيه قدحاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٣٨٥)».اهـ.
قلت: وما ذكره ابن حجر لا يخرجه عما قاله الحسيني كما لا يخفى، فأما ابن حبان فخطته معروفة، وأما تبييض البخاري وابن أبي حاتم للراوي فليس أمارة توثيق؛ لأن البخاري قد يبيض للراوي ويضعفه في «ضعفائه»؛ وأما ابن أبي حاتم فقد صرح في مطلع «كتابه» أنه يبيض للراوي إذا لم يعلم فيه شيئاً. والله الموفق.
وهذا الوجه أيضاً من وجوه الاختلاف على أبي إسحاق في إسناده، ولعله منه فقد كان حفظه تغير، ونازع الذهبي في اختلاطه. ولعل هذا الوجه هو أشبه الوجوه كلها لمكان إسرائيل بن يونس من جده، وملازمته إياه. والله أعلم.
(٤) ساقط من (أ) وفي (ط): «فقلت».
(٥) ساقط من (ج).
(٦) في (أ): «ستير»!
(٧) ساقط من سياق (أ)، وقيد بخط دقيق في الحاشية.
(٨) في «سننه» (١٤٧٧).

=

فهذا الحديثُ محفوظ من حيث الجملة عن أُبي بن كعب، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعي شاهد ذلك، والله أعلم.

(حديث آخر عن أبي بكرة):

قال الإمام[(١)] أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب برحمة» وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن زيد بن الحباب، عن حماد بن سلمة به، وزاد في آخره «كقولك: هلم وتعال».

(حديث آخر عن سمرة):

قال الإمام[(٢)] أحمد: حدثنا بهز وعفان، كلاهما عن حماد بن سلمة، أنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

= وأخرجه أحمد (٥/ ١٢٤)؛ وابنه في «زوائد المسند»؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٩)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٨٤)؛ وفي «الصغرى» (١٠٠٩)؛ والضياء في «المختارة» (١١٧٣ ـ ١١٧٥) من طرق عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن يحيى بن يعمر، عن سليمان بن صرد، عن أُبي بن كعب فذكره. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(١) في «مسنده» (٥/ ٤١).
وأخرجه أحمد أيضاً (٥/ ٥١)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٩١) من طريق عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة به. وتابعه زيد بن الحباب، عن حماد.
أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٧)؛ وابن جرير (٤٠ ـ ٤٧). وتوبع حماد بن سلمة؛ تابعه عبد الوارث بن سعيد، عن علي بن زيد به.
أخرجه مسدد بن مسرهد في «مسنده»، كما في «إتحاف المهرة» (ق٢٢٩/ ١)، قال: ثنا عبد الوارث.
وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٥١) للطبراني، وقال: «فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو سيء الحفظ، وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح». اهـ.

(٢) في «مسنده» (٥/ ١٦، ٢٢) ورواية بهز وعفان وقعت في «المسند» مفرقة في موضعين، وهذا الجمع بينهما من صنيع المصنف رحمه الله تعالى، ولم يصب في صنيعه هذا، فإن رواية بهز بن أسد عن حماد: «سبعة أحرف» ورواية عفان عنه: «ثلاثة أحرف» فقد اختلفا في هذا الحرف فلا يصح جمع روايتهما في سياق واحد. والله أعلم.
وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٢٠٣)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٧)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (٧٤٢)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢٣١٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٧/رقم ٦٨٥٣)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٧٩)؛ والحاكم (٢/ ٢٢٣)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٩٥) من طريق حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف».
ورواه عن حمادٍ هكذا: «حجاج بن منهال، وعفان بن مسلم» وخالفهما بهز، كما تقدم، فقال: «سبعة أحرف».
قال البزار: «لا نعلم يروى هذا اللفظ إلا عن سمرة، ولا رواه عن قتادة إلا حماد».
وقال الحاكم: «قد احتج البخاري برواية الحسن عن سمرة، واحتج مسلم بأحاديث حماد بن سلمة، وهذا الحديث صحيح، وليس له علة». ووافقه الذهبي! =

إسناد صحيح، ولم يخرجوه.

(حديث آخر عن أبي هريرة):

قال الإمام[١] أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثني أبو حازم، عن أبي سلمة لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، مراء في القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما علمتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه».

ورواه النسائي، عن قتيبة، عن أبي ضمرة أنس بن عياض به.

(حديث آخر عن أم أيوب):

قال الإمام[٢] أحمد: حدثنا سفيان، عن عبيد الله ـ وهو ابن أبي يزيد ـ عن أبيه، عن أم أيوب ـ يعني: امرأة أبي أيوب ـ الأنصارية أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزأك».

وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

(حديث آخر عن أبي جهيم):

قال أبو عبيد[٣]: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن مسلم بن سعيد مولى

= كذا قالا! وقد قال الذهبي في «السير» (٤/٥٨٨): «قال قائل: إنما أعرض أهل الصحيح عن كثير مما يقول فيه الحسن: «عن فلان» وإن كان مما قد ثبت لقيه فيه لـ«فلان» المعين؛ لأن الحسن معروف بالتدليس، ويدلس عن الضعفاء، فيبقى في النفس من ذلك، فإننا وإن ثبتنا سماعه من سمرة، يجوز أن يكون لم يسمع فيه غالب النسخة التي عن سمرة، والله أعلم».اهـ.

(١) في «مسنده» (٢/٣٠٠).
وأخرجه النسائي في «الفضائل» (١١٨)؛ وابن حبان (٧٤)؛ وابن جرير (٧)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (ج١٠/رقم ١٠١٦)؛ والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/٢٦) من طرق عن أنس بن عياض بسنده سواء.
وإسناده صحيح.
وتابعه محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، حكيماً عليماً، غفوراً رحيماً»، لفظ ابن حبان.

(٢) في «مسنده» (٦/٤٣٣، ٤٦٢، ٤٦٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٥١٥، ٥١٦)؛ والحميدي (٣٣٨)؛ وابن جرير (٢٠ ـ ٢٣)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٣٢٠)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/١٨٣) من طريق سفيان بن عيينة بإسناد سواء. وهذا سند حسن. وتابعه أبو الربيع السمان، قال: حدثني عبيد الله بن أبي يزيد بسنده سواء أخرجه ابن جرير (٢٤)؛ وأبو الربيع السمان متروك.

(٣) في «فضائل القرآن» (ص٢٠٢).
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/١/٢٦٢)؛ والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق٩٠/١ ـ زوائده)؛ والبيهقي في «الشعب» (٦٠٦٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/٥٠٥، ٥٠٦) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن مسلم بن سعيد، عن أبي جهيم فذكره.
ورواه عن إسماعيل بن جعفر هكذا: «أبو عبيد، وعلي بن حجر، وعاصم بن علي» وخالفهم خالد بن القاسم المدائني فرواه عن إسماعيل بن جعفر، أنبأ يزيد بن خصيفة، عن بسر بن سعيد، مولى الحضرميين، عن أبي جهيم الأنصاري فذكره.
فجعل شيخ يزيد: «بسراً» لا «مسلماً».
أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق٩٠/١) لكن خالداً المدائني كذبه إسحاق بن راهويه وقال =

الحضرمي ـ وقال غيره عن بسر بن سعيد ـ عن أبي جهيم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهيم أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن (نزل)[1] على سبعة أحرف، فلا تماروا فإن مراءً فيه كفر».

وهكذا رواه أبو عبيد على الشك.

وقد رواه الإمام أحمد على الصواب، فقال: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدّثنا سليمان بن بلال، حدثني يزيد بن خصيفة، أخبرني بسر بن سعيد، حدثني أبو جهيم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، قال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ، فسألا النبي ﷺ فقال: «القرآن يقرأ على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن مراءً في القرآن كفر».

وهذا إسناد صحيح أيضاً، ولم يخرجوه.

ثم قال أبو عبيد[2]: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلاً قرأ آيةً من القرآن

= يعقوب بن شيبة: «تركه الناس أجمع، وكان علي ابن المديني حسن الرأي فيه».
وقد خولف إسماعيل بن جعفر في إسناده على الوجه الأول.
خالفه سليمان بن بلال، فرواه يزيد بن خصيفة، عن بسر بن سعيد، عن أبي جهيم به.
أخرجه أحمد (٤/ ١٦٩، ١٧٠)؛ والطبري (٤١)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٨٢)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٣).
ولعل هذا الاختلاف من يزيد بن خصيفة، فهو وإن كان ثقةً إلا أن أحمد قال في رواية: «منكر الحديث» وقد خولف فيه كما يأتي.
وزعم المعلق على «تهذيب الكمال» (٣٢/ ١٧٣) أن هذا لم يثبت عن أحمد، ولم يبد حجة سوى قوله: «فيما أرى»! وبأن أحمد قال: «لا أعلم إلا خيراً»، وهذا القول لا يمنع أن يكون لأحمد فيه قول آخر. والله أعلم. وقد رجح المصنف رواية سليمان بن بلال وصحح الإسناد لذلك.

(١) في (أ): «أنزل».

(٢) في «فضائل القرآن» «ص٢٠٢» وعبد الله بن صالح كاتب الليث فيه مقال شهير، لكنه كان من ألزم الناس لليث، لزمه عشرين سنة، ولم يتفرد به.
فأخرجه أحمد (٤/ ٢٠٤، ٢٠٥)؛ وابن أبي عمر في «مسنده»، كما في «إتحاف المهرة» (ق٢٣٠/ ١)، من طريق عبد الله بن جعفر، والدراوردي كلاهما عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو، عن عمرو بن العاص.
قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٢٦): «إسناده حسن».
* قلت: لكن خولف محمد بن إبراهيم التيمي فيه. خالفه يزيد بن خصيفة وهو أوثق منه، فرواه عن بسر بن سعيد، عن أبي جهيم. وهذا أولى والله أعلم.
وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢٨) قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن سعد مولى عمرو بن العاص قال: تشاجر رجلان في آية فارتفعا إلى رسول الله ﷺ فقال: «لا تماروا في القرآن؛ فإن المراء فيه كفر».
وسئل عنه أبو حاتم، كما في «العلل» (١٧٨٢)، فقال: «هذا وهم؛ إنما رواه يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ».اهـ.

فقال عمرو - يعني: ابن العاص -: إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه، فذكرا ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا في القرآن فإن مراءً فيه كفر».

ورواه الإمام أحمد، عن أبي سلمة الخزاعي، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمٰن بن المسور بن مخرمة، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه، وفيه «فإن المراء فيه كفر إنه الكفر به».

وهذا أيضاً (حديث)[1] جيد.

(حديث آخر عن ابن مسعود):

قال ابن جرير[2]: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني حيوة بن شريح، عن عقيل بن خالد، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد، وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كل من عند ربنا».

ثم رواه[3] عن أبي كريب، عن المحاربي، عن ضمرة بن حبيب، عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه، والله أعلم.

---

(١) ساقط من (أ) و(ط).

(٢) في «تفسيره» رقم (٦٧).
وأخرجه ابن حبان (٧٤٥)؛ والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٤، ١٨٥)؛ وأبو نصر السجزي في «الإبانة»، كما في «الدر» (٢/ ٦)؛ والهروي في «ذم الكلام» (ق٦٢/ ٢)، كما في «الصحيحة» (٥٨٧)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٧٥)؛ والحاكم (١/ ٥٥٣، ٢/ ٢٨٩، ٢٩٠) وصححه ولم يوافقه الذهبي في الموضع الثاني وتعقبه الحافظ، أعني الحاكم، في «الفتح» (٩/ ٢٩) وقال: «في تصحيحه نظر، لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود». وسبقه ابن عبد البر والطحاوي إلى هذا الإعلال. فقال الأول في «التمهيد» (٨/ ٢٧٥): «وهذا حديث عند أهل العلم لا يثبت؛ لأنه يرويه حيوة عن عقيل، عن سلمة هكذا، ويرويه الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سلمة بن أبي سلمة، عن أبيه عن النبي ﷺ، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة ليس ممن يحتج به». اهـ.

(٣) يعني ابن جرير رقم (٧٠)؛ وأخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (١٢٩) من هذا الوجه ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين القاسم وابن مسعود، فلم يدركه. قال ابن المديني: «لم يلق القاسم من أصحاب النبي ﷺ غير جابر بن سمرة»؛ وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٠٩٥) من طريق معارك بن عباد، حدثني عبد الله بن سعيد المقبري، حدثني أبي، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أعربوا القرآن واتبعوا غرائبه وفرائضه وحدوده فإن القرآن نزل على خمسة أوجه.. وساقه بمثل كلام ابن مسعود.
وسنده ضعيف جداً، ومعارك ضعيف، وعبد الله بن سعيد متروك.
ثم رأيته في «الضعيفة» (١٣٤٦) لشيخنا الألباني رحمه الله، وضعفه جداً وعزاه لابن جبرون المعدل في «الفوائد العوالي» (١/ ٢٨/ ١)، والثقفي في «الثقفيات» (ج٩/ رقم ١٤) من طريق معارك بن عباد به».

فصل

قال أبو عبيد[(١)]: قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: «نزل القرآن على (ثلاثة)[(٢)] أحرف».

قال أبو عبيد[(٣)]: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة؛ لأنها المشهورة وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، وهذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذلك بيِّن في أحاديث تترى.

قال: وقد روى الكلبي[(٤)]، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن.

قال أبو عبيد[(٥)]: والعجز هم بنو سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم.

ولهذا قال عمر[(٦)]: لا يملي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف، [(٧)][قال ابن جرير[(٨)]: واللغتان الأخريان قريش وخزاعة، رواه قتادة، عن ابن عباس ولكن لم يلقه][(٧)].

---

(١) في «الفضائل» (ص٢٠٣) ورواه عنه البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٨٥) و«الصغرى» (١٠٠٣).

(٢) في «الأصول»: «سبعة» وهو سبق قلم من المصنف أو الناسخ.

(٣) في «الفضائل» (ص٢٠٣) ورواه عنه البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٨٥)؛ و«الصغرى» (١٠٠٣).

(٤) انظر: «التمهيد» (٨/ ٢٨٠)؛ و«فتح الباري» (٩/ ٢٦، ٢٧) وسنده ضعيف جداً، والكلبي هو محمد بن السائب، تالف البتة.

(٥) في «فضائل القرآن» (ص٢٠٤).

(٦) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٢٠٤)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠١٤)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص١١)؛ والخطيب في «تاريخه» (٧/ ٤٥٠) من طريق جرير بن حازم، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن معقل، عن عمر بن الخطاب ﷺ. وقد خول جرير بن حازم في إسناده.
خالفه شيبان بن عبد الرحمٰن وأبو عوانة فروياه عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر بن الخطاب به. وهذا أصح.
أخرجه أبو عبيد (ص٢٠٤) معلقاً وابن أبي داود (ص١١) وقال ابن كثير في «مسند عمر» (٢/ ٥٦٢): «إسناده صحيح» وتابعهما جرير بن عبد الحميد، عن عبد الملك، عن جابر، عن عمر. أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٤١٩) قال: نا جرير بن عبد الحميد.

(٧) سقط من سياق (ط) وألحق بالهامش.

(٨) في «تفسيره» (١/ ٦٦) ونقل المصنف عبارته بشيء من التصرف وحديث قتادة عن ابن عباس أخرجه ابن جرير (٦٥). وأخرجه أبو عبيد (ص٢٠٤) قال: وكذلك يحدثون عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عمن سمع ابن عباس فذكر نحوه. فهذا يؤيد كلام ابن جرير.

قال أبو عبيد(١): وحدثنا هشيم، عن حصين بن عبد الرحمٰن، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد: يعني أنه كان يستشهد به على التفسير.

وحدثنا(٢) هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد ـ أو مجاهد ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ [الانشقاق] قال: وما جمع. وأنشد:

قد اتسقن لو يجدن سائقاً(٢)

حدثنا هشيم(٣): أنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات] قال: الأرض.

قال: وقال ابن عباس: قال أمية بن أبي الصلت:

عندهم لحم بحر ولحم ساهرة

حدثنا يحيى(٤) بن سعيد، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن (مجاهد عن)(٥) ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السمٰوات والأرض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا ابتدأتها.

إسناد جيد أيضاً.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ بعد ما أورد طرفاً مما تقدم: «وصح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون (الجميع)(٦)، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه».

ثم قال: «وما برهانك على ما قلته دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر

---

(١) في «الفضائل» (ص٢٠٥) وإسناده جيد.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥١٧، ٥١٨ و١٠/ ٤٧٤) قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، عن مسمع بن مالك اليربوعي، سمعت عكرمة، عن ابن عباس فذكره، ومسمع بن مالك ترجمه ابن عساكر (ج١٦/ل٤٩٩، ٥٠٠) ولم يذكر فيه شيئاً يتعلق بروايته.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائله» (ص٢٠٥). هكذا رواه هشيم بن بشير بالشك.
وأخرجه ابن جرير (٣٠/ ٧٦) من طريق شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد، عن ابن عباس فذكره وسنده صحيح، ووقع عند ابن جرير: «مستوسقات لو يجدن سائقاً».
وهذا عجز بيت صدره: «إن لنا قلائصاً حقائقاً». عزاه ابن منظور في «لسانه» (٥/ ٤٨٣٧)، للعجاج وعزاه في «الدر المنثور» (٦/ ٣٣٠) لابن صرمة ومطلعه عنده: «إن لنا قلائصاً نقانقا».

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص٢٠٥) وهذا الشطر مكسور، ليس بموزون. ووقع في «اللسان» (٣/ ٢١٣٢). قال ابن عباس وأنشد:

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به أبداً مقيم

وأخرج ابن أبي شيبة (٨/ ٥١٦، ١٠/ ٤٧٥) عن الشعبي أنه أنشد في تفسير هذه الآية أبياتاً لأمية بن أبي الصلت: «وفيها لحم ساهرة وبحر».

(٤) أخرجه أبو عبيد أيضاً. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٤٤) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب». وإبراهيم بن مهاجر فيه ضعف من قبل حفظه.

(٥) ساقط من (أ).
(٦) في (أ) «الجمع».

وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك عن سلف الأمة وخيار الأئمة؟

قيل له: إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره، فيكون ذلك لقولنا مخالفاً، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه، والذي قالوا من ذلك كما قالوا، وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة كما تقدم».

يعني كما تقدم في رواية (عن)[١] أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة.

قال ابن جرير: والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والقصص والمثل، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى استوجب به الجنة.

ثم بسط[٢] القول في هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف.

ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة، وخاف من تفرق كلمتهم. جمعهم على حرف واحد، وهو هذا المصحف الإمام. قال: واستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعله من ذلك الرشد والهداية، وتركت القراءة بالأحرف الستة، التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأُمة معرفتها، (وتعفت)[٣] آثارها. فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها، لدثورها وعفو آثارها ـ إلى أن قال:

فإن قال من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟

قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العمل بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة. وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين، ـ إلى أن قال: ـ فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره، وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة، فمن معنى قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف» بمعزل؛ لأن المراء في مثل هذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الأمة. وقد أوجب ﷺ بالمراء في الأحرف السبعة الكفر كما تقدم[٤].

(١) ساقط من (أ).

(٢) (١/٥٧ ـ ٦٧) فأطنب وأطاب رحمه الله تعالى، ورضي عنه.

(٣) في (أ): «وانعفت».

(٤) هذا كله من كلام ابن جرير، لم ينقله المصنف بلفظه، بل تصرف فيه.

الحديث الثاني: قال البخاري[١] رَحِمَهُ اللهُ: حدّثنا سعيد بن عفير، حدّثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال: (أخبرني)[٢] عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمٰن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة (رسول الله)[٣] ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة. فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ (قال)[٤]: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: «(أرسله)[٥] اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال ﷺ «كذلك أنزلت» ثم قال: (اقرأ يا عمر) فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».

وقد رواه الإمام أحمد[٦] والبخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري.

ورواه الإمام أحمد[٧] (أيضاً)[٨]، عن ابن مهدي، عن مالك، عن الزهري، عن عروة، عن عبد الرحمٰن بن عبد، عن عمر، فذكر الحديث بنحوه.

وقد قال الإمام أحمد[٩]: حدثنا عبد الصمد، حدّثنا حرب بن ثابت، حدّثنا إسحاق بن

---

(١) في «فضائل القرآن» (٩/ ٢٣ ـ فتح).
(٢) في «الصحيح» «حدثني».
(٣) في (أ): «النبي».
(٤) في (ج) و(ط): «فقال».
(٥) ساقط من (أ).
(٦) في «مسنده» (٢٩٧).
أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩/ ٨٧)، وفي «استتابة المرتدين» (١٢/ ٣٠٣) معلقاً، وفي «التوحيد» (١٣/ ٥٢٠)؛ ومسلم (٨١٨/ ٢٧١).
(٧) في «مسنده» (٢٧٧).
وأخرجه البخاري في «الخصومات» (٥/ ٧٣)؛ ومسلم (٨١٨/ ٢٧٠).
(٨) ساقط من (ج) و(ط) و(ل).
(٩) في «مسنده» (٤/ ٣٠). وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث بسنده سواء.
ووقع عند ابن جرير: «فوقع في صدر عمر شيء، فعرف النبي ﷺ ذلك في وجهه»، قال: فضرب صدره وقال: «ابعد شيطاناً» ـ قالها ثلاثاً ـ ثم قال: «يا عمر!... فذكره».
وقد خولف عبد الصمد في إسناده.
خالفه موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حرب بن ثابت المنقري، قال: حدثني إسحاق الأنصاري، عن أبيه، عن جده وكانت له صحبة عن النبي ﷺ فذكره.
أخرجه البغوي في «معجمه» ـ كما في «الكنز» (١/ ٦١٨) ـ، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٣٨٢) وقال:
«وقال عبد الصمد: حدثنا حرب أبو ثابت، سمع إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ مثله. وقال بعضهم: لقن عبد الصمد، فقال: ابن عبد الله بن أبي طلحة، ولم يكن في كتابه =

عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه، فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير علي، قال: فاجتمعا عند النبي ﷺ فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: «قد أحسنت» قال: فكأن عمر وجد من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم تجعل عذاب مغفرةً، ومغفرةً عذاب».

وهذا إسناد حسن. وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت، لا نعرف أحداً جرحه.

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أُريد منها على أقوال.

قال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في «مقدمات تفسيره»: وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البُستي، ونحن نذكر منها خمسة أقوال.

(قلت): ثم سردها القرطبي وحاصلها ما أنا مورده ملخصاً:

(فالأول) وهو قول أكثر أهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب وأبو جعفر محمد بن جرير والطحاوي أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم.

وقال الطحاوي: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة[1] قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده. حتى بلغ سبعة أحرف فقال: اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمةٍ، (على)[2] نحو هلم وتعال وأقبل، واذهب وأسرع وعجل.

وروى ورقاء (عن)[3] (ابن أبي)[4] نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا (نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)[3]﴾ [الحديد: ١٣] للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخرونا، للذين آمنوا ارقبونا، وكان يقرأ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] مروا فيه، سعوا فيه.

= «ابن عبد الله». وقال الحسن بن علي، حدثنا يزيد بن هارون، عن حرب، عن إسحاق بن جارية، قال: لقيته بواسط القصب، أو كما قال».اهـ.

قلت: فالبخاري يشير إلى الاختلاف في نسب «إسحاق»، وكأن البخاري يرجح أنه «إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة»، فإنه نقل توهيم عبد الصمد بعبارة قلقة، فقال: «وقال بعضهم» وفي ترجمة «حرب بن أبي حرب أبي ثابت» (٢/١/٦٢) قال: «وقال مسلم: حدثنا حرب بن ثابت، سمع إسحاق بن عبد الله. حدثني إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الصمد، قال: حدثنا حرب أبو ثابت، قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة. ويقال: إن هذا إسحاق ليس بـ«ابن أبي طلحة»، وهم فيه عبد الصمد من حفظه، وأصله صحيح».اهـ.

فقد استفدنا من ترجمة البخاري هذه أن عبد الصمد توبع على جعله «إسحاق بن عبد الله»، تابعه مسلم بن إبراهيم الفراهيدي، وكأن البخاري يضعف دعوى توهيم عبد الصمد، إذ إنه نقله بلفظ «يقال» الذي يفيد التضعيف غالباً.

(١) مرّ تخريجه آنفاً، وكلام الطحاوي هذا ذكره في «المشكل» (٤/١٩١ ـ ١٩٤).

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من (ج) و(ط) و(ل).

(٤) في (أ): «أبي نجيح».

قال الطحاوي وغيره: وإنما كان ذلك رخصةً أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات، وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، وقد ادعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصةً في أول الأمر، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة.

(قلت): وقال بعضهم: إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم. وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضاً. فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان كان من عمره عليه السلام وعزم عليهم أن لا يقرؤوا بغيرها. وأن لا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم (فيها)[1] سعة. ولكنها أدت إلى الفرقة والاختلاف، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس [2][بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال: فلو أنا أمضيناه عليهم، وأمضاه عليهم. وكذلك كان ينهى][2] عن المتعة في أشهر الحج؛ لئلا تقطع زيارة البيت في غير أشهر الحج. وقد كان أبو موسى (يفتي)[3] بالتمتع، فترك فتياه اتباعاً لأمير المؤمنين وسمعاً وطاعةً للأئمة المهديين.

(القول الثاني): أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف، ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر.

قال الخطابي: وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما في قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة: ٦٠] و﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢].

قال[4] القرطبي: ذهب إلى هذا القول أبو عبيد واختاره ابن عطية.

قال أبو عبيد[5]: وبعض اللغات أسعد به من بعض.

وقال القاضي الباقلاني: ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش؛ أي: معظمه ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله، قال الله تعالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] ولم يقل: قرشياً، قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً؛ يعني: حجازها ويمنها.

وكذا قال الشيخ[6] أبو عمر ابن عبد البر، قال: لأن لغة غير قريش موجودة في صحيح القراءات كتحقيق الهمزات فإن قريشاً لا تهمز.

وقال ابن عطية: قال ابن عباس: ما كنت أدري معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] حتى سمعت أعرابياً يقول لبئر ابتدأ حفرها: أنا فطرتها.

(القول الثالث): أن لغات القرآن السبع منحصرة في مضر على اختلاف قبائلها خاصةً، لقول عثمان: إن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب، كما ينطق به الحديث في «سنن ابن ماجه» وغيره.

---

(١) ساقط من (ج).
(٢) سقط من سياق (ط) وقيد بالحاشية.
(٣) في (أ) و(ط): «يبيح».
(٤) في «تفسيره» (١/ ٤٣، ٤٤).
(٥) في «فضائل القرآن» (ص٢٠٣) وعبارته هناك: «وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض».
(٦) في «التمهيد» (٨/ ٢٨٠).

(**القول الرابع**): وحكاه الباقلاني عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء منها ما (تتغير)[١] حركته ولا تتغير صورته ولا معناه، مثل ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: ١٣] ويضيق. ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه. مثل ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ ـ (وباعد[٢]) ـ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف، مثل ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] و(ننشزها) أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] ـ أو ـ (كالصوف المنفوش) أو باختلاف الكلمة واختلاف (المعنى)[٣]، مثل ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة] (وطلع منضود) أو بالتقدم والتأخر: مثل ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] أو (سكرة الحق بالموت) أو بالزيادة، مثل ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ـ أنثى﴾ [ص: ٢٣] ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ ـ كافراً وكان ـ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ ـ لهن ـ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

(**القول الخامس**): أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن، وهي أمر، ونهي، ووعد ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ لأن هذه لا تسمى حروفاً، وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل (حرام)[٤]، ولا في تغيير شيء من المعاني، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً، ثم قال: وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها.

فَصلٌ

قال القرطبي: قال كثير من علمائنا (الداودي)[٥] وابن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف من السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره.

قال القرطبي: وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه؛ لأنه رآها أحسن (والأولى)[٦] عنده، قال: وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، واستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله من حفظه الكتاب[٧].

قال البخاري[٨] رَحِمَهُ اللَّهُ:

تأليف القرآن

حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال:

---

(١) في (أ): «لا تتغير» وهو خطأ.
(٢) ساقط من (ج).
(٣) في (أ): «المعاني».
(٤) في (أ) و(ط): «حلال»؛ ولا معنى لها، ثم وقفت على عبارة ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥) فقال: «وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام».
(٥) في (ط): «المداوردي»!
(٦) في (أ): «وأولى». وفي «تفسير القرطبي» (١/ ٤٦)، «ما هو الأحسن عنده والأولى».
(٧) كتب على حاشية (ج): «آخر الجزء الأول من أجزاء المؤلف».
(٨) في «فضائل القرآن» (٩/ ٣٨، ٣٩ فتح) وحذف المصنف، كعادته، من كلام البخاري كلمة «باب». وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (١٢) من طريق حجاج، عن الأعور، عن ابن جريج بسنده سواء.

(وأخبرني)[١] يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين ﵂ إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك ما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، فقالت: لم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أَيَّهُ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول (شيء)[٢]: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً. لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور.

والمراد من التأليف ههنا ترتيب سوره؛ وهذا العراقي سأل أولاً عن أي الكفن خير أو أفضل، فأخبرته عائشة ﵂ أن هذا مما لا ينبغي أن يعتنى[٣] بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد له، فإن في هذا تكلفاً لا طائل تحته، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت في الأسئلة، كما سأل بعضهم[٤] عبد الله بن عمر عن دم البعوض [٥][يصيب الثوب، فقال ابن عمر: انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض][٥] وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ!! ولهذا لم تبالغ معه عائشة ﵂ في الكلام؛ لئلا يظن أن ذلك أمر مهم[٦]، وإلا:

فقد روى أحمد[٧] وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «البسوا

---

(١) كذا أداة التحمل مسبوقة بواو العطف، قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٣٩). «كذا عندهم، وما عرفت ماذا عطف عليه، ثم رأيت الواو ساقطة في رواية النسفي وما وقفت عليه من طرق هذا الحديث».اهـ فتعقبه البدر العيني، كعادته، في «العمدة» (٢٠/ ٢٢) فقال: «وقال بعضهم، وهو يعني: الحافظ، ما عرفت... إلخ قلت: يجوز أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره أن يقال: قال ابن جريج: أخبرني فلان بكذا وأخبرني يوسف بن ماهك..» إلى آخره. انتهى كلام البدر، ولا يخفى ما فيه؛ لأن الحافظ قصد أنه ما وقف على رواية تعين له من الذي عناه ابن جريج لما قال: «وأخبرني» وهذا التجويز الذي ذكره العيني لا يعجز عن تقديره الطالب المبتدئ، فكيف بالحافظ ابن حجر؟ وقد ظهر لي جلياً حرص البدر العيني على تعقب الحافظ ما أمكنه ذلك، ولو بأوهى التعقبات، وذلك أثناء تصنيفي لكتاب «صفو الكدر في المحاكمة بين العيني وابن حجر» وهو خاص بالمسائل الحديثية وما يلتحق بها من أصول ونحوه. فالله المسؤول أن يغفر لنا وإياهم. إنه جواد كريم.

(٢) في (أ): «شيء نزل»؛ وزيادة «نزل» مقحمة لا معنى لها.

(٣) ولهذا كانوا يصرفون السائل إلى ما ينفعه، ومثاله ما رواه الشيخان، عن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: متى الساعة؟ فقال له: «وما أعددت لها؟». فانظر يرحمك الله كيف صرفه عن السؤال الذي لا طائل تحته، ووجهه إلى ما ينبغي له أن يعتني به. وهكذا فليكن الدعاة إلى الله تعالى مع الناس.

(٤) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري في (ح) صحيحه (٧/ ٩٥، ١٠/ ٤٢٦)؛ وفي «الأدب المفرد» (٨٥)؛ والنسائي في «الخصائص» (١٤١)؛ والترمذي (٣٧٧٠) وغيرهم من طريق محمد بن أبي يعقوب، عن عبد الرحمن بن أبي نعيم؛ قال: كنت شاهداً لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض؟ فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق! قال: انظروا إلى هذا؛ يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي ﷺ، وسمعت النبي ﷺ يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا».

(٥) ساقط من (ج).

(٦) وهذا أصل مهم جداً من أصول الدعوة، فتأمله.

(٧) أما حديث ابن عباس، فأخرجه أحمد (١/ ٢٣١، ٢٤٧، ٣٢٨، ٣٥٥، ٣٦٣)؛ وأبو داود (٣٨٧٨)؛ =

من ثيابكم البياض، وكفنوا فيها موتاكم، فإنها أطهر وأطيب» وصححه الترمذي من الوجهين.

وفي «الصحيحين»[١] عن عائشة أنها قالت: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وهذا محرر في «باب الكفن» من «كتاب الجنائز».

ثم سألها عن ترتيب القرآن، فانتقل إلى سؤال كبير، وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف؛ أي: مرتب السور، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الإلزام[٢] به، والله أعلم، ولهذا أخبرته إنه لا يضرك بأي سوره بدأت، وإن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار، وهذه إن لم تكن ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١] فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد ثم لما انقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولاً فأولاً، وهذا من حكمة الله ورحمته.

ومعنى هذا الكلام أن هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف مع أنها من أول ما نزل، «وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده».

فأما ترتيب الآيات في السور، فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم تقرير ذلك، ولهذا لم ترخص له في ذلك، بل أخرجت له مصحفها فأملت عليه آي السور، والله أعلم.

وقول عائشة: لا يضرك بأي سورة بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو أخر كما

= والنسائي (٨/ ١٤٩، ١٥٠)؛ والترمذي (٩٩٤)؛ وفي «الشمائل» (٥١)؛ وابن ماجه (١٤٧٢، ٣٤٩٧)؛ وابن حبان (١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١)؛ والحاكم (١/ ٣٤٥ و٤/ ١٨٥) وآخرون من طرق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً فذكره.

وصححه الترمذي، والحاكم: على شرط مسلم، وابن القطان كما في «التلخيص» (٢/ ٦٩) وجود المصنف إسناده عند الآية رقم (٣١) من سورة الأعراف.

وأما حديث سمرة بن جندب؛ فأخرجه النسائي (٤/ ٣٤، ٨/ ٢٠٥)؛ وأحمد (٥/ ٢٠، ٢١)؛ وعبد الرزاق (٦١٩٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٧/ رقم ٦٩٧٥، ٦٩٧٦)؛ والحاكم (٤/ ١٨٥)؛ والبيهقي (٣/ ٤٠٣) من طريق أيوب السختياني، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن سمرة مرفوعاً.

وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وقد اختلف في إسناده وقد فصلت ذلك في «التسلية».

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٥، ٤٠)؛ ومسلم (٩٤١/ ٤٥)؛ وأبو نعيم في «المستخرج» (ج١٦/ ق٢٤/ ١)؛ وأبو داود (٣١٥١، ٣١٥٢)؛ والنسائي (٤/ ٣٥، ٣٦)؛ والترمذي (٩٩٦)؛ وابن ماجه (١٤٦٩)؛ وأحمد (٦/ ١١٨، ٢١٤) وآخرون من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

(٢) كذا قال المصنف، وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٣٩، ٤٠) قائلاً: «كذا قال! وفيه نظر فإن يوسف بن ماهك لم يدرك زمان إرسال عثمان المصاحف إلى الآفاق، فقد ذكر المزي أن روايته عن أُبي بن كعب مرسلة، وأُبي عاش بعد إرسال المصاحف على الصحيح، وقد صرح يوسف في هذا الحديث أنه كان عند عائشة حين سألها هذا العراقي، والذي يظهر لي أن هذا العراقي كان يأخذ بقراءة ابن مسعود لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة، لم يوافق على الرجوع عن قراءته ولا على إعدام مصحفه فكان تأليف مصحفه مغايراً لتأليف مصحف عثمان، ولا شك أن تأليف المصحف العثماني أكثر مناسبة من غيره، فلهذا أطلق العراقي أنه غير مؤلف». اهـ. ونقله العيني في «العمدة» (٢٠/ ٢٢) ملخصاً، ولم يعزه لقائله!

(دل)[١] عليه حديث حذيفة (وابن مسعود)[٢] وهو في «الصحيح»[٣] أنه ﷺ قرأ في قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران.

وقد حكى[٤] القرطبي، عن أبي بكر بن الأنباري في «كتاب الرد» أنه قال: فمن أخر سورةً مقدمةً أو قدم أخرى مؤخرةً كمن أفسد نظم الآيات، وغيَّر الحروف والآيات، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان ﷺ، فإنه مرتب على هذا النحو المشهور.

والظاهر أن ترتيب السور (فيه)[٥] منه ما هو راجع إلى رأي عثمان ﷺ، وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة وذكره الأنفال من الطول، والحديث في الترمذي وغيره بإسناد جيد[٦] قوي.

وقد ذكرنا عن علي أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله ولهذا حكى القاضي الباقلاني أن أول مصحفه كان ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق] وأول مصحف ابن مسعود ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة] ثم البقرة ثم النساء [٧][على ترتيب مختلف، وأول مصحف أُبي (الحمد لله) ثم النساء][٧] ثم آل عمران ثم الأنعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد.

ثم قال[٨] القاضي: ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة ﷺ. وكذا ذكر مكي في تفسير سورة براءة، قال: فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبي ﷺ.

وقال ابن[٨] وهب في (جامعه)[٩]: سمعت سليمان بن بلال يقول: سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورةً؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه، وقد أجمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ينتهى إليه ولا يسئل عنه.

قال ابن وهب: وسمعت مالكاً يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ.

قال أبو الحسن بن بطال[١٠]: (إنما يجب)[١١] تأليف سوره في الرسم والخط خاصةً، ولا نعلم أن أحداً قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي القرآن ودرسه، وإنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة، ولا الحج بعد الكهف، ألا ترى إلى قول عائشة: لا يضرك أيه قرأت قبل، وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها.

---

(١) في (أ): «يدل». (٢) ساقط من (أ).

(٣) يعني: «صحيح مسلم» وهو يقصد حديث حذيفة الذي مضى تخريجه. والحمد لله.

(٤) انظر هذا النقول في «تفسير القرطبي» (١/ ٦٠، ٦١) ولم ينقلها المصنف بنصها، إنما تصرف فيها.

(٥) ساقط من (أ).

(٦) كذا قال! وقد ذكرنا قبل ذلك أنه حديث منكر، فراجعه.

(٧) ساقط من (ج).

(٨) انظر هذه النقول في «تفسير القرطبي» (١/ ٦٠، ٦١) ولم ينقلها المصنف بنصها، إنما تصرف فيها.

(٩) في (أ): «طائفة»!!

(١٠) انظر هذه النقول في «تفسير القرطبي» (١/ ٦٠، ٦١) ولم ينقلها المصنف بنصها، إنما تصرف فيها.

(١١) في (أ): «إنا نجد»!

قال: وأما ما روي عن ابن مسعود[١] وابن عمر أنهما كرهاً أن يقرأ القرآن (منكوساً)[٢]، وقالا: إنما ذلك منكوس القلب، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتدئ بآخرها إلى أولها، فإن ذلك حرام محظور»[٣].

(ثم قال البخاري): حدثنا آدم، عن شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبد الرحمٰن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: «إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي».

انفرد بإخراجه البخاري[٤].

والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية.

وقوله: «من العتاق الأول»؛ أي: من قديم ما نزل.

وقوله: «وهن من تلادي»؛ أي: من قديم ما قنيت وحفظت، والتالد في لغتهم: قديم المال والمتاع، والطارف: حديثه وجديده، والله أعلم.

حدثنا أبو[٥] الوليد، حدّثنا شعبة، أنا أبو إسحاق سمع البراء بن عازب الله ﷺ يقول: تعلمت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ قبل أن يقدم النبي ﷺ.

وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة. والمراد منه أن ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى] سورة مكية نزلت قبل الهجرة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (ج٤/رقم ٧٩٤٧)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٦٤)؛ وأبو عبيد (ص٦٥) من طريق الثوري وأبي معاوية معاً عن الأعمش، عن شقيق أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس تعلموا القرآن، فإن أحدكم لا يدري متى يخيل إليه. قال: وجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمٰن أرأيت إلى رجل يقرأ القرآن منكوساً؟ قال: ذلك منكوس القلب. وأتى بمصحف قد ذهب وزين فقال عبد الله: «إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق». هذا لفظ عبد الرزاق. ولفظ ابن أبي شيبة مختصر. وسنده صحيح.

(٢) في (ج) و(ل): «مقلوباً».

(٣) إلى هنا انتهى كلام ابن بطال.

(٤) في «فضائل القرآن» (٩/ ٣٩ ـ فتح)، وأخرجه أيضاً في (٨/ ٣٨٨، ٤٣٥)، وأخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢١٠) قال: أخبرنا عمرو بن مرزوق، أنبأ شعبة به وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٣٦) لابن مردويه، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٣٥) للإسماعيلي وقد خولف شعبة فيه. خالفه المسعودي، فرواه عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه عبد الله بن مسعود فذكره. أخرجه أبو عبيدة في «الفضائل» (ص١٣٣) وقال: «كان شعبة يخالفه في الإسناد» ولا شك أن رواية شعبة أقوى، وهي المحفوظة. والمسعودي كان اختلط.

وقال أبو عبيد: «قوله: «من تلادي»؛ يعني: من قديم ما أخذت من القرآن، وذلك أن هذه السور نزلت بمكة». اهـ.

(٥) أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩/ ٣٩).

وأخرجه البخاري أيضاً (٥/ ٩٣ و٦/ ٦٢٢ و٧/ ٢٤٠، ٢٥٥ و١٠/ ٧٠ ـ فتح)؛ ومسلم في «الأشربة» (٩ ـ ٢٠/ ٩٠، ٩١)؛ وفي «الزهد» (٩ ـ ٢٠/ ٧٥).

وقول المصنف رحمه الله: «متفق عليه»؛ يعني: على أصل الحديث، وإلا فلم يرو مسلم قول البراء الذي أخرجه البخاري. والله أعلم.

(ثم قال)[١]: حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيق قال: قال عبد الله: لقد (علمت)[٢] النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة، فقام عبد الله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه، فقال: عشرون سورةً من أول المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم (حم الدخان وعم يتساءلون).

هذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضي الله عنه، فإن المفصل في مصحف عثمان رضي الله عنه من سورة الحجرات إلى آخره، وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما:

رواه الإمام أحمد[٣] حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمٰن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا (النبي)[٤] ﷺ فذكر حديثاً فيه أن النبي ﷺ كان يسمر معهم بعد العشاء، فمكث عنا ليلةً لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء، قال: قلنا: ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: «طرأ عليَّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه».

قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورةً، وثلاث عشرة سورةً، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم.

ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمٰن بن يعلى الطائفي به.

وهذا إسناد حسن.

فَصْلٌ

فأما نقط المصحف وشكله، فيقال: إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك، ويقال إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وذكروا أنه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر، والله أعلم.

---

(١) يعني: البخاري في «الفضائل» (٩/ ٣٩ ـ فتح).
وأخرجه مسلم (٧٢٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٨)؛ وأبو داود (١٣٩٦)؛ والنسائي (٢/ ١٧٤ ـ ١٧٦)؛ والترمذي (٦٠٢)؛ وأحمد (١/ ٣٨٠، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٥٥) وغيرهم، وقد سقت طرقه وألفاظه في «التسلية».

(٢) كذا في «الأصول» كلها، والذي في «البخاري»: «تعلمت» ولم يشر الحافظ إلى وقوع هذا اللفظ في إحدى روايات «الصحيح» فالله أعلم.

(٣) في «مسنده» (٤/ ٩، ٣٤٣) ومن طريقه المزي في «التهذيب» (١٩/ ٤١١).
وأخرجه أبو داود (١٣٩٣)؛ وابن ماجه (١٣٤٥)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ١٦)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٥٠١، ٥٠٢)؛ والطيالسي (١١٠٨)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٥١٠)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص٩٢، ٩٣) في آخرين من طرق عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده أوس بن حذيفة فذكره.
وإسناده محتمل للتحسين، لولا الاختلاف الذي وقع في إسناده والذي يترجح لدي ضعف إسناده. والله أعلم.

(٤) في (ج): «رسول الله»؛ وكتب فوقها بخط دقيق: «النبي».

وأما كتابة الأعشار على الحواشي، فينسب إلى الحجاج أيضاً.

وقيل: بل أول من فعله المأمون.

وحكى أبو عمرو الداني، عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وكان يحكه، وكره مجاهد ذلك أيضاً.

وقال مالك: لا بأس به بالحبر. فأما بالألوان المصبغة فلا. وكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأساً.

وقال قتادة: بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا.

وقال يحيى بن (أبي)[1] كثير: أول ما أحدثوا النقط، وقال: هو نور له، ثم أحدثوا النقط عند آخر الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم.

ورأى إبراهيم النخعي: فاتحة سورة كذا، فأمر بمحوها، وقال: قال ابن مسعود: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه.

قال أبو عمرو الداني: ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها.

ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: [2]كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

قال مسروق عن فاطمة، عن عائشة: أسر إلي رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي».

هكذا ذكره[3] معلقاً، وقد أسنده[4] في (موضع)[5] آخر.

ثم قال[6]: حدثنا يحيى بن قزعة، حدّثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في (شهر)[7] رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

وهذا الحديث متفق[8] عليه.

وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد، والله أعلم.

ثم قال[9]: حدثنا خالد بن يزيد، حدّثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) أسقط المصنف من كلام البخاري كلمة: «باب»، وقد نبهنا عليه قبل ذلك.

(٣) في «فضائل القرآن» (٩/ ٤٣ ـ فتح).

(٤) في «كتاب الاستئذان» (١١/ ٧٩، ٨٠). وأخرجه مسلم (١٦/ ٥ ـ نووي).

(٥) في (أ): «مواضع».

(٦) يعني: البخاري في «الفضائل» (٩/ ٤٣).

(٧) ساقط من (أ).

(٨) أخرجه البخاري (١/ ٣٠ و٤/ ١١٦ و٦/ ٣٠٥، ٥٦٥)؛ وفي «الأدب المفرد» (٢٩٢)؛ ومسلم (٢٣٠٨/ ٥٠)؛ والنسائي (٤/ ١٢٥)؛ والترمذي في «الشمائل» (٣٤٦)؛ وأحمد (١/ ٢٨٨، ٣٢٦، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٣) وآخرون من طرق عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس فذكره.

(٩) يعني: البخاري في «الفضائل» (٩/ ٤٣).

هريرة قال: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرةً، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشراً؛ فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه.

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن أبي بكر - وهو ابن عياش - عن أبي حصين واسمه عثمان بن عاصم به.

والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيداً واستثباتاً وحفظاً.

ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره ﷺ (اقتراب أجله)(١) على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله.

وعثمان ﷺ جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضي الله عنه وأرضاه، وخص بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه. ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة في تلاوة القرآن، كما تقدم ذكرنا لذلك.

القراء من أصحاب النبي ﷺ

حدثنا(٢) حفص بن عمر، حدّثنا شعبة، عن عمرو، عن إبراهيم، عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب ﷺ».

وقد أخرجه(٣) البخاري في «المناقب» في غير موضع، ومسلم والنسائي من حديث الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق به.

فهؤلاء أربعة: اثنان من المهاجرين الأولين: عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين، وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي ﷺ (في)(٤) المدينة، واثنان من الأنصار: معاذ بن جبل وأُبي بن كعب، وهما سيدان كبيران رضي الله عنهم أجمعين.

ثم قال(٥): حدثنا عمر بن حفص، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله فقال: والله لقد أخذت من فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك.

---

(١) ساقط من (أ) و(ط) و(ل) وهي زيادة قلقة، وإن كان لها وجه في الكلام.
(٢) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٠٢)؛ ومسلم (٢٤٦٤/ ١١٦، ١١٧).
(٤) ساقط من (أ).
(٥) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٤٦، ٤٧).
وأخرجه مسلم (٢٤٦٢/ ١١٤)؛ والنسائي (٨/ ١٣٤) وفي «الفضائل» (٢٢)؛ وأحمد (١/ ٤١١)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص١٥) من طرق عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود وتقدم طرق أخرى لهذا الحديث.

حدثنا[١] محمد بن كثير، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل: ما هكذا أنزلت، فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فقال: «أحسن» ووجد منه ريح الخمر، فقال: أتجترئ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ (فجلده)[٢] الحد.

حدثنا[٣] عمر بن حفص، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا مسلم عن مسروق قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.

وهذا كله حق وصدق، وهو من إخبار الرجل (بما)[٤] يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره، فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

ويكفيه مدحاً وثناءً قول رسول الله ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة» فبدأ به.

وقال أبو[٥] عبيد: حدثنا مصعب بن المقدام، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمر، عن النبي ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

وهكذا رواه الإمام[٦] أحمد، عن أبي معاوية، عن الأعمش به مطولاً وفيه قصة.

---

(١) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٤٧).
وأخرجه مسلم، والنسائي في «فضائل القرآن» (١٠٥)؛ وأحمد (٣٥٩١، ٤٠٣٣)؛ والإسماعيلي وأبو عوانة، وأبو نعيم جميعاً في «المستخرج»، كما في «الفتح» (٩/ ٤٩) من طرق عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود به.

(٢) كذا في «الأصول» كلها، وفي «الصحيح»: «فضربه».

(٣) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٤٧). وقد تقدم تخريجه.

(٤) في (أ): «مما».

(٥) في «فضائل القرآن» (ص٢٥٥) ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (ج٩/ رقم ٨٤٢١). وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٥٦)؛ والبرجلاني في «الكرم والجود» (٧٨)؛ والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢٧ و٣/ ٣١٨)؛ والخطيب في «تاريخه» (٤/ ٣٢٦) وفي «التلخيص» (٣٨٨/ ١) من طرق عن مصعب بن المقدام بسنده سواء. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) في «مسنده» (٢٥، ٢٦) قال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة. قال أبو معاوية: وحدثنا الأعمش، عن خيثمة، عن قيس بن مروان أنه أتى عمر فقال... وساق حديثاً طويلاً ذكرته في «التسلية» وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٥٧)؛ وأبو يعلى (١٩٤)؛ والطحاوي في «المشكل» (٥٥٩٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٤٢٢)؛ والضياء في «المختارة» (٢٦٥، ٢٦٦، ٦٢٨) من طرق عن الأعمش بالوجهين معاً. وإسنادهما صحيح.
وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٥٦)؛ والترمذي (١٦٩)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٢٨٠ و١٠/ ٥٢٠)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص٢٢٤، ٢٢٥)؛ وابن خزيمة (١١٥٦، ١٣٤١)؛ وابن حبان (٢٠٣٤)؛ وأبو يعلى (١٩٥)؛ والبرجلاني في «الكرم والجود» (٧٨) في آخرين من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمر... فذكره.
ووهم ابن التركماني في «الجوهر النقي» (١/ ٤٥٢) إذ ظن أن علقمة الذي روى هذا الحديث عن عمر هو: =

وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به.
وصححه الدارقطني وقد ذكرته في «مسند عمر»(١).

وفي «مسند الإمام أحمد»(٢) أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

وابن أم عبد؛ هو عبدُ الله بن مسعود كان يعرف بذلك.

ثم قال البخاري(٣): حدثنا حفص بن عمر، حدّثنا همام، حدّثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

ورواه مسلم من حديث (همام)(٤)، (حدّثنا قتادة، قال: سألت...)(٥).

ثم قال البخاري: تابعه الفضل(٦)، عن حسين بن واقد، عن ثمامة، عن أنس بن مالك.

حدثنا معلى بن أسد، حدّثنا عبد الله بن المثنى، حدّثنا ثابت وثمامة، عن أنس بن مالك(٧) قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعةٍ: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه.

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط، وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضاً، ولعل مراده لم يجمع

= «علقمة بن وقاص الليثي» راوي حديث: «إنما الأعمال بالنيات» والصحيح أنه «علقمة بن قيس». والله أعلم.

(١) (١/١٧١ - ١٧٣) وقال بعد ذكر بعض طرقه: «وهذا الحديث لا يشك أنه محفوظ، وهذا الاضطراب لا يضر صحته، والله أعلم».اهـ.

(٢) «المسند» (٢/٤٤٦) قال: حدثنا وكيع، عن جرير بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره.
ووقع في «المطبوع»: «غريضاً» ثم أعقبه المحقق بقوله: «كذا قال» وصواب اللفظ: «غضاً» وأخرجه أحمد أيضاً في «فضائل الصحابة» (١٥٣٧)؛ وأبو يعلى (ج١٠/رقم ٦١٠٦)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١/١٩٧، ١٩٨)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢٦٨٢) من طرق عن جرير بن أيوب بسنده سواء.
وقال البزار: «جرير ليس بالحافظ».اهـ. وتركه النسائي وضعفه ابن السكن والساجي وقال: «جداً» وقال أبو حاتم والبخاري وغيرهما: «منكر الحديث» بل اتهمه الفضل بن دكين بوضع الحديث فالسند ضعيف جداً. والله أعلم.

(٣) في «فضائل القرآن» (٩/٤٧ - فتح).
وأخرجه مسلم (٢٤٦٥/ ١٢٠)؛ وأبو يعلى (ج٥/رقم ٢٨٧٨) من طريقين آخرين عن همام بن يحيى بسنده سواء.
وأخرجه البخاري (٧/١٢٧)؛ ومسلم (٢٤٦٥/١١٩) من طرق عن شعبة، عن قتادة بسنده سواء.

(٤) في (ج): «هشام» وهو تصحيف.

(٥) ساقط من (أ) و(ط).

(٦) وهذه المتابعة أخرجها إسحاق بن راهويه في «مسنده» عن الفضل وهو ابن موسى السيناني أفاده الحافظ في «الفتح» (٩/٥٢) ثم رواه موصولاً في «التغليق» (٤/٣٨٣) من طريق علي بن الحسن بن شقيق، ثنا الحسين بن واقد فذكره.

(٧) أخرجه البخاري في «فضائل القرآن» (٩/٤٧) وانفرد به.

القرآن من الأنصار، ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار وهم أُبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها، وفي الثانية من أفراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، وكلهم مشهورون، إلا أبا زيد هذا فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث، وقد اختلف في اسمه.

فقال الواقدي: واسمه قيس بن السكن ابن قيس بن زعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

وقال ابن نمير: اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أُمية من الأوس.

وقيل: هما اثنان جمعا القرآن، حكاه أبو عمر ابن عبد البر.

وهذا بعيد، وقول الواقدي أصح؛ لأنه خزرجي لأن أنساً قال: نحن ورثناه وهم من الخزرج.

وفي بعض الألفاظ: وكان أحد عمومتي.

وقال قتادة[(١)]: عن أنس قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابت، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت.

فقالت الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي.

وقد شهد أبو زيد هذا بدراً فيما ذكره غير واحد.

وقال موسى بن عقبة الزهري: قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة.

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار مع أنه قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»[(٢)] فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم.

هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهذا التقرير لا يدفع ولا يشك فيه وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً.

وقد بسطت تقرير ذلك في (كتاب)[(٣)] «مسند الشيخين» رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (ج٥/رقم ٢٩٥٣)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢٨٠٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٤/رقم ٣٤٨٨)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (ج١/ق١٨٦/١) من طريق عن عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس فذكره.
قال الهيثمي (١٠/٤١): «رجاله رجال الصحيح». وحسن إسناده البوصيري في «الإتحاف» وهو كما قال. والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم (٥/١٧٢، ١٧٣ نووي)؛ وأبو عوانة (٢/٣٥، ٣٦)؛ وأبو داود (٥٨٢)؛ والنسائي (٢/٧٦)؛ والترمذي (١/٤٥٩ ـ ٥٤٨)؛ وابن ماجه (٩٨٠)؛ وأحمد (٤/١١٨، ١٢١، ٢٧٢)؛ وابن خزيمة (٣/١٠)؛ وابن حبان (٣/٤٤٦، ٤٤٧)؛ وابن الجارود (٣٠٨) وآخرون من طرق عن إسماعيل بن رجاء، عن أوس بن ضمعج، عن أبي مسعود البدري فذكره بتمامه.

(٣) ساقط من (أ).

ومنهم(١) عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنذكره، وعلي بن أبي طالب(٢)، يقال: إنه جمعه على ترتيب ما أنزل، وقد قدمنا هذا.

ومنهم(٣) عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم أنزلت، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لذهبت إليه.

ومنهم سالم مولى(٤) أبي حذيفة، كان من السادات النجباء، والأئمة الأتقياء وقد قتل يوم اليمامة شهيداً.

ومنه الحبر البحر(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول وترجمان القرآن، قد تقدم عن مجاهد أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنها.

ومنهم عبد الله بن عمرو(٥)، كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أقرأه في شهر» وذكر تمام الحديث.

ثم قال البخاري(٦): حدثنا صدقة بن الفضل، أنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال عمر: علي أقضانا، وأُبي أقرؤنا، وإنا لندع من لحن أُبي. وأُبي يقول: أخذته من فِي رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء؛ قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وهذا يدل على أن الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صواباً وهو خطأ في نفس الأمر، ولهذا قال الإمام مالك: ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر؛ أي: فكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها، وذكرنا في تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب.

ثم قال:

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم، عن أسيد بن الحضير قال: بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن

---

(١) ويأتي تخريجه.

(٢) ولم يصح عنه كما تقدم ذكره.

(٣) وهو صحيح عنهم كما تقدم.

(٤) وهو صحيح كما تقدم.

(٥) أخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٨٩)؛ وابن ماجه (١٣٤٦)؛ وأحمد (٦/ ٦٥)؛ وعبد الرزاق (٥٩٥٦)؛ وابن حبان (٧٥٦، ٧٥٧)؛ والفريابي في «فضائل القرآن» (١٢٧)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٨٥) من طريق ابن جريج، سمعت ابن أبي مليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن ابن عمرو فذكره.
وهذا سند متصل رجاله ثقات إلا يحيى بن حكيم بن صفوان فلم يوثقه إلا ابن حبان ولم يرو عنه إلا ابن أبي مليكة. ولكنه متابع.

(٦) في «فضائل القرآن» (٩/ ٤٧). وأخرجه البخاري في «التفسير» (٨/ ١٦٧).

تصيبه، فلما (أخره)[١] رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: «اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير» قال: فأشفقت أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، قال: «أو تدري ما ذاك؟» قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم».

قال ابن الهاد: وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري عن أسيد بن الحضير.

هكذا أورد البخاري[٢] هذا الحديث معلقاً وفيه انقطاع في الرواية الأولى، فإن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيداً؛ لأنه مات سنة عشرين، وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم فيه غرابة من حيث إنه قال: وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، ولم أره بسند متصل عن الليث (كذلك)[٣] إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «الأطراف» أن يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الليث كذلك.

وقد رواه الإمام[٤] أبو عبيد في «فضائل القرآن» فقال: وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير، عن الليث، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أسيد بن حضير، فذكر الحديث إلى آخره.

ثم قال: قال ابن الهاد: وحدثني عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد عن أسيد بن حضير بهذا.

وقد رواه النسائي[٥] في «فضائل القرآن» عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شعيب بن الليث، وعن علي بن محمد بن علي، عن داود بن منصور، كلاهما عن الليث، عن خالد بن

---

(١) كذا وقع في (أ)، وكتب بخط دقيق جداً في (ج). ونص الحافظ في «الفتح» (٩/ ٦٤) على أن هذا اللفظ وقع في رواية القابسي. ووقع في «الصحيح»: «اجتره»؛ يعني: جره عن المكان الذي هو فيه، خشية أن تطأه الفرس. ووقع في (ج) و(ط): «أخذه» ولم ينبه عليها الحافظ في الفتح. فالله أعلم.

(٢) في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٣) وقد صرح الإسماعيلي في «المستخرج»؛ والضياء في «المختارة»؛ والحافظ في «الفتح» أن الإسناد منقطع بين محمد بن إبراهيم التيمي وأسيد بن حضير، وعندي أن البخاري خرج هذا الإسناد عرضاً لأجل الإسناد الموصول الذي ذكره في آخر الحديث، لذا فالتعويل على الإسناد الموصول كما قال الحافظ وغيره. وقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٦٢) من طريق محمد بن عمرو، عن محمد بن إبراهيم، عن محمود بن لبيد أن أسيد بن حضير فساقه فهذا يؤيد الانقطاع.

(٣) في (أ): «بذلك».

(٤) (ص٢٦) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٨٤)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (٨٧٦)، وفي «الدلائل» (٥٠٢)، والحافظ في «التغليق» (٤/ ٣٨٧) من طريق يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن سعد بسنده سواء.

(٥) في «فضائل القرآن» (٤١، ٩٩) وعنه الضياء في «المختارة» (١٤٦٤) من طريق سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد بسنده سواء.

وتابعه الدراوردي ويحيى بن أيوب كلاهما عن يزيد بن الهاد مثله.

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٢٨، ١٩٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٥٦١).

يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن عبد الله ـ وهو ابن الهاد ـ عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد، عن أسيد به.

ورواه يحيى بن بكير، عن الليث كذلك أيضاً فجمع بين الإسنادين.

ورواه في «المناقب»[١] عن أحمد بن سعيد الرباطي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد أن أسيد بن حضير بينما هو ليلةً يقرأ في مربده. . . الحديث.

ولم يقل: «عن أسيد»، ولكن ظاهره أنه عنه، والله أعلم.

وقال أبو[٢] عبيد: حدثني عبد الله بن صالح، عن الليث، عن ابن شهاب، عن ابن كعب بن مالك، عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ على ظهر بيته، يقرأ القرآن وهو حسن الصوت. ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه.

وحدثنا[٣] قبيصة، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أسيد بن حضير قال: قلت: يا رسول الله بينا أنا أقرأ البارحة بسورة، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبةً من خلفي حتى ظننت أن فرسي تطلق، فقال رسول الله: «اقرأ أبا عتيك مرتين»، قال: فالتفت فرأيت إلى أمثال المصابيح ما بين السماء والأرض، فقال رسول الله: «اقرأ أبا عتيك» فقال: والله ما استطعت أن أمضي، فقال: «تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب».

وقال أبو داود[٤] الطيالسي: حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول: بينما رجل يقرأ

---

(١) في «فضائل الصحابة» رقم (١٤٠).
وأخرجه مسلم (٧٩٦/ ٢٤٢)؛ وأحمد (٣/ ٨١) من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن الخباب، عن أبي سعيد أن أسيداً. . . وساق الحديث.
* قلت: هكذا رواه إبراهيم بن سعد، عن يزيد بن الهاد فجعله من مسند «أبي سعيد» وكأن الوجهين محفوظان، قال الضياء في «المختارة» (٤/ ٢٦٨): «إنه بمسند أسيد أشبه وذلك أن في الحديث قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة. . . وساق الحديث».

(٢) في «فضائل القرآن» (ص٢٧).
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١/ ٣١٣) قال: وقال ابن يوسف: ثنا الليث، حدثني ابن شهاب، عن ابن كعب، هو ابن مالك، أن أسيداً. . . فذكره.
وابن يوسف هو عبد الله بن يوسف التنيسي.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٢٧).
وأخرجه ابن حبان (١٧١٦)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٣٠)؛ والدولابي في «الكنى» (١/ ٨٣)؛ والطبراني في «الكبير» (٥٦٦)؛ والحاكم (١/ ٥٥٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨٢٤) من طرق عن حماد بن سلمة بسنده سواء.
ورواه عن حمادٍ: «عفان بن مسلم، والتبوذكي، وهدبة بن خالد».

(٤) في «مسنده» (٧١٤).
وأخرجه مسلم (٧٩٥/ ٢٤١)؛ والترمذي (٢٨٨٥)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٨٣)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٤٢) من طريق الطيالسيّ بسنده سواء.
وأخرجه البخاري (٦/ ٦٢٢)؛ ومسلم (٧٩٥/ ٢٤١).

سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض ـ أو قال: فرسه يركض ـ فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله، فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن ـ أو تنزلت على القرآن ـ».

وقد أخرجه صاحبا «الصحيح» من حديث شعبة.

والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه.

فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد، وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة.

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس، كما:

قال أبو عبيد[1]: حدثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس؟ لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح قال: «فلعله قرأ سورة البقرة»، قال: فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة.

وفي الحديث المشهور الصحيح «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

رواه مسلم[2] عن أبي هريرة.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] جاء في بعض التفاسير أن الملائكة تشهده.

وقد جاء في «الصحيحين»[3] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين نزلوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون».

---

(١) في «فضائل القرآن» (ص٢٧).
وعزاه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٧٥) لأبي داود، وقال: «من طريق مرسلة».
وقال الحافظ ابن كثير في أول سورة البقرة: «هذا إسناد جيد، إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل».اهـ.

(٢) في «صحيحه» (٢٦٩٩/ ٣٨) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً مطولاً. وأخرجه الترمذي (٢٩٤٥)؛ وابن ماجه (٢٢٥)؛ وأحمد (٢/ ٢٥٢، ٤٠٧) وغيرهم من طريق الأعمش. وهو عند أبي داود (١٤٥٥، ٤٩٤٦)؛ والنسائي، كما في «الأطراف» (٩/ ٣٧٥)، مختصراً.
وعزاه الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٣٠٧) للبخاري فوهم، وقد قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٧٤): «لم يخرجه المصنف، يعني: البخاري، لاختلاف فيه».اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٣٣، ١٣/ ٤١٥، ٤٦١)؛ ومسلم (٦٣٢/ ٢١٠) من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً. . . فذكره.
وأخرجه النسائي (١/ ٢٤٠، ٢٤١)؛ وأحمد (٢/ ٤٨٦)؛ وأبو عوانة (١/ ٣٧٨)؛ وابن حبان (١٧٣٧) وغيرهم عن أبي الزناد. وللحديث طرق عن أبي هريرة.

من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين

حدثنا قتيبة[(١)]، حدّثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس، فقال له شداد بن معقل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين. قال: ودخلنا على محمد ابن الحنفية فسألناه، فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين.

تفرد به البخاري[(٢)]، ومعناه أنه ﷺ ما ترك مالاً ولا شيئاً يورث عنه، كما قال عمرو[(٣)] بن الحارث أخو جويرية: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً.

وفي حديث[(٤)] أبي الدرداء «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذه بحظ وافر».

ولهذا قال ابن عباس: وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة؛ أي: تابعة له، والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢].

فالأنبياء ﷺ لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها، وإنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها، ولهذا قال[(٥)] رسول الله ﷺ: «(لا نورث)[(٦)] ما تركنا فهو صدقة».

وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فأخبر عنه بذلك، ووافقه على نقله عنه ﷺ غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم، وهذا ابن عباس يقوله أيضاً عنه ﷺ، رضي الله عنهم أجمعين.

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هدبة بن خالد أبو خالد، حدّثنا همام، (حدّثنا قتادة)[(٧)]، حدّثنا أنس بن مالك، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل

---

(١) في «البخاري»: «قتيبة بن سعيد».

(٢) في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٤).
وأخرجه الإسماعيلي في «مستخرجه»، كما في «الفتح»، و«عمدة القاري» (٢٠/ ٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٦ و٦/ ٧٥، ٩٧، ٢٠٩ و٨/ ١٤٨)؛ والنسائي (٦/ ٢٢٩)؛ والترمذي في «الشمائل» (٣٨١)؛ وأحمد (٤/ ٢٧٩) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن الحارث.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)؛ وابن ماجه (٢٢٣)؛ والدارمي (١/ ٨٣)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٣٣٧)؛ وابن حبان (٨٠) وهو حديث حسن، ووقع في إسناده اختلاف ذكرته في «التسلية» فاطلبه هناك. والله الموفق.

(٥) أخرجه مالك (٢/ ٩٩٣/ ٢٧)؛ والبخاري (٦/ ١٩٦، ١٩٧، ٧/ ٧٧، ٧٨، ٣٣٦، ٤٩٣ و١٢/ ٥)؛ ومسلم (١٧٨٥/ ٥١ ـ ٥٤).

(٦) ساقط من (أ).

(٧) ساقط من (أ).

الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها».

وهكذا رواه[١] في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به.

ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدماً، فدلَّ على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر.

(ثم قال)[٢]: حدثنا مسدد، حدّثنا يحيى، عن سفيان، حدثني عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتيه من شئت».

تفرد به من هذا الوجه ومناسبته للترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي «المسند»[٣] و«السنن» عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمةً، أنتم خيرها وأكرمها على الله».

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمناً عليه وناسخاً له وخاتماً له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملةً واحدةً، وهذا القرآن نزل منجماً بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة.

---

(١) في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٥، ٦٦).
وأخرجه البخاري أيضاً في «التوحيد» (٩/ ٥٣٥)؛ ومسلم (٧٩٧/ ٢٤٣).

(٢) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٦).
وأخرجه أحمد (٢/ ١١١، ١١٢) من طريق سفيان، حدثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر.
وأخرجه البخاري في «الإجازة» (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧)؛ والترمذي (٢٨٧١) من طريق مالك، عن عبد الله بن دينار وتابعه إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار به. أخرجه ابن حبان (٦٦٣٩، ٧٢١٧) وله طرق أخرى عن ابن عمر.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣، ٥)؛ والترمذي (٣٠٠١)؛ وابن ماجه (٤٢٨٧، ٤٢٨٨)؛ وعبد بن حميد (٤٠٩)؛ والطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٩، ٤/ ٣٠)؛ ونعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (٣٨٢)؛ والحاكم (٤/ ٨٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٩/ رقم ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥)؛ والبيهقي (٩/ ٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٤/ ق٤٤٣)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٠) من طرق عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعاً فذكره.
قال الترمذي: «حديث حسن» وهو كما قال: وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وله طرق أخرى عن حكيم بن معاوية.
تنبيه: قول المصنف: «والسنن» فيه تسامح، فلم يخرجه من أهل السنن غير اثنين حسب.

وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى، فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى من ثم إلى أن بعث محمداً ﷺ ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة، وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى المتقدمين قيراطاً قيراطاً، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفي ما أعطى أولئك، فقالوا: أي ربنا ما لنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ فقال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي؛ أي: الزائد على ما أعطيتكم أوتيه من أشاء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الحديد].

الوصاة بكتاب الله

حدّثنا(١) محمد بن يوسف، حدّثنا مالك بن مغول، حدّثنا طلحة هو ابن مصرف، سألت عبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبي ﷺ؟ قال: لا، قال: قلت: فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله ﷻ.

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به.

وهذا نظير ما تقدَّم عن ابن عباس أنه ما ترك إلا ما بين الدفتين. وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] وأما هو ﷺ فلم يترك شيئاً يورث عنه، (وإنما)(٢) ترك ماله صدقةً جاريةً من بعده فلم يحتج إلى وصية في ذلك.

ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيص؛ لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيماءاته إلى الصديق، ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»(٣) وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله.

من لم يتغن بالقرآن

وقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ﴾ [العنكبوت: ٥١].

حدّثنا يحيى(٤) بن بكير، حدّثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن». وقال صاحب له: يريد يجهر به، فرد من هذا الوجه.

---

(١) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٧).
وأخرجه أيضاً في «الوصايا» (٥/ ٣٥٦) وفي «المغازي» (٨/ ١٤٨)؛ ومسلم (١٦٣٤/ ١٦، ١٧).
(٢) في (أ): «وأما»!
(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ١٢٣، ١٣/ ٢٠٥)؛ ومسلم (٢٣٧٨/ ١١).
(٤) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٨). وأخرجه أيضاً في «التوحيد» (١٣/ ٤٥٣) وفي «خلق الأفعال» (٢٤٢)؛ ومسلم (٧٩٢/ ٢٣٢).

ثم رواه عن علي بن عبد الله المديني، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به. قال سفيان: تفسيره يستغني به.

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به.

ومعناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو ﷻ يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم.

كما قالت عائشة ﵂: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات. ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم.

ومنهم من فسر الأذن ههنا بالأمر.

والأول أولى لقوله: «ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن» أيْ: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ [الانشقاق] أي: استمعت لربها. وحقت أي وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن ههنا هو الاستماع.

ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه[1] بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته».

وقول سفيان بن عيينة: إن المراد بالتغني يستغنى به، فإن أراد أنه يستغنى به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٠)؛ وأحمد (٦/ ٢٠)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١/ ١٢٤)؛ وابن حبان (٦٥٩)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص٥٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٨/ رقم ٧٧٢)؛ والبيهقي (١٠/ ٢٣٠)؛ والسمعاني في «أدب الإملاء» (ص٩٣، ٩٤) من طرق عن الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة بن عبيد مرفوعاً... فذكره.

قال البوصيري في «الزوائد» (٤٣٦/ ١): «هذا إسناد حسن» وجوده المصنف كما رأيت وفي قولهما تسامح؛ لأن ميسرة هذا قال الذهبي في «الميزان»: «ما حدث عنه سوى إسماعيل بن عبيد الله» فهو مجهول العين وإن وثقه ابن حبان كما هو معروف. كيف وقد اختلف على الوليد بن مسلم في إسناده فقد رواه دحيم وإسحاق بن إبراهيم الطالقاني عن الوليد، ثنا الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله عن فضالة بن عبيد مرفوعاً. فسقط ذكر «ميسرة». أخرجه أحمد (٦/ ١٩)؛ والحاكم (١/ ٥٧٠، ٥٧١) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» فرده الذهبي بقوله: «منقطع» وهذا الوجه أرجح من الأول؛ لأن يحيى بن حمزة والوليد بن مزيد وبشر بن بكر ومحمد بن شعيب بن شابور رووه عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد عن فضالة بن عبيد مثله.

أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٧٧، ٧٨)؛ والحاكم (١/ ٥٧٠، ٥٧١)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٠)؛ والبيهقي في الشعب (ج٥/ رقم ١٩٥٧). وتابعه ثور بن يزيد، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن فضالة. أخرجه البخاري في «الكبير» (٤/ ١/ ١٢٤). فهذا الوجه أقوى بلا ريب فالصواب في الإسناد أنه ضعيف من الوجهين. والله أعلم.

الحديث؛ لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها.

قال حرملة: سمعت ابن عيينة يقول: معناه: يستغني به، فقال لي الشافعي: ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى، إنما هو يتحزن ويترنم به.

قال حرملة: وسمعت ابن وهب يقول: يترنم به، وهكذا نقل المزني والربيع، عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت] فيه نظر؛ لأن هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٠، ٥١] ومعنى ذلك: أولم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمي؟ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت] أي: وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر.

فَصْلٌ
في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عبيد(١): حدثنا عبد الله بن صالح، عن قباث بن رزين، عن علي بن رباح اللخمي، عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في المسجد نتدارس القرآن قال: «تعلموا كتاب الله واقتنوه - قال: وحسبت أنه قال: وتغنوا به - فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من المخاض من العقل».

وحدثنا عبد الله(٢) بن صالح، عن موسى بن علي، عن أبيه، عن عقبة، عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال: «واقتنوه وتغنوا به» ولم يشك.

---

(١) في «فضائل القرآن» (ص٢٩). وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٦٠، ٧٤)؛ وأحمد (٤/ ١٥٠، ١٥٣)؛ وأبو يعلى (ج٣/رقم ١٧٤٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٨/رقم ٨٠٠، ٨٠٢) من طرق عن قباث بن رزين، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر فذكره، ورواه عن قباث: «عبد الله بن صالح، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وعبد الله بن المبارك، والليث بن سعد» وسنده جيد، وقباث وثقه ابن معين وابن حبان. وقال أحمد وأبو حاتم: «لا بأس به» وتوبع كما يأتي.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٢٩).
وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٥٩)؛ والدارمي (٢/ ٣١٦)؛ وأحمد (٤/ ١٤٦)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٠، ١٠/ ٤٧٧)؛ وابن حبان (١٧٨٨)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص٩٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٨/ رقم ٨٠١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨١٥) من طرق عن موسى بن رباح، عن أبيه، عن عقبة بن عامر مثله. وسنده جيد أيضاً. وموسى بن علي فيه كلام يسير، وهو متابع كما مر آنفاً.

وهكذا رواه (أحمد)[١] والنسائي في (كتاب)[٢] «فضائل القرآن» من حديث موسى بن علي، عن أبيه به، ومن حديث عبد الله بن المبارك عن قباث بن رزين، عن علي بن رباح، عن عقبة.

وفي بعض ألفاظه: خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث.

ففيه دلالة على السلام على القارئ.

(ثم قال)[٣] أبو عبيد[٤]: حدثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن (المهاصر)[٥] بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار، وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون».

وهذا مرسل.

ثم قال أبو عبيد: قوله: «تغنوه»؛ أي: اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الإقلال معه فقراً.

وقوله: «وتقنوه» يقول: اقتنوه كما تقتنوا الأموال، اجعلوه مالكم.

وقال أبو عبيد[٦]: حدثني هشام بن عمار، عن علي بن حمزة، عن الأوزاعي قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن فضالة بن عبيد، عن النبي ﷺ قال: «الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته».

قال أبو عبيد: هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده. يقول: «عن إسماعيل بن عبيد الله، عن مولى فضالة، عن فضالة».

وهكذا رواه ابن ماجه، عن راشد بن سعيد بن أبي راشد، عن الوليد، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن ميسرة مولى فضالة، عن فضالة، عن النبي ﷺ «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته».

---

(١) ساقط من (أ) و(ط) ولم أر واو العطف بينهما، فيكون الإمام أحمد رواه هو والنسائي، ويحتمل أنه يقصد: «رواه أحمد النسائي»، والنسائي اسمه «أحمد بن شعيب» واستبعد أن يعني ابن كثير هذا، فلم يجر على هذا التعبير، إلا أن يكون سقط من السياق: «ابن شعيب» وعلى كل حال فقد رواه الإمام أحمد والنسائي كما مر بك. والحمد لله.

(٢) ساقط من (ج) و(ط).

(٣) في (أ): «وقال».

(٤) في «فضائل القرآن» (ص٢٩). كذا رواه أبو اليمان الحكم بن نافع مرسلاً.
وخالفه بقية بن الوليد والوليد بن مسلم فروياه عن أبي بكر بن أبي مريم، عن المهاصر بن حبيب، عن عبيدة الأملوكي مرفوعاً فذكره.
أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨٥٢)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٦٠)؛ وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٢٢٧٠)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٤/ق٥٩٦)؛ وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٥٢)؛ للطبراني في «الكبير» وضعفه بـ«أبي بكر بن أبي مريم». وخالفهما عيسى بن يونس وموسى بن أعين فروياه عن أبي بكر بن أبي مريم، عن المهاصر بن حبيب، عن عبيدة الأملوكي صاحب النبي ﷺ فذكره موقوفاً.
أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢/ ٨٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٥٣، ١٨٥٤)؛ وأخرجه البخاري أيضاً من طريقين آخرين عن عبيدة قوله. والموقوف أشبه.

(٥) في (أ): «المهاجر».

(٦) مرّ تخريجه آنفاً.

قال أبو عبيد: يعني الاستماع.

وقوله في الحديث الآخر: «ما أذن الله لشيء»؛ أي: ما استمع.

وقال أبو القاسم البغوي[(١)]: حدثنا محمد بن حميد، حدّثنا سلمة بن الفضل، حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي مليكة، حدثنا القاسم بن محمد، حدثني السائب قال: قال لي سعد: يا بن أخي هل قرأت القرآن؟ قلت: نعم، قال: غن به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «غنوا بالقرآن، ليس منا من لم يغن بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا».

وقد روى أبو داود من حديث الليث (وعمرو بن دينار كلاهما)[(٢)] عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عبد الله بن أبي نهيك، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[(٣)].

[(٤)][ورواه ابن ماجه[(٥)] من حديث ابن أبي مليكة، عن عبد الرحمٰن بن السائب، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ][(٦)]: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه، فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا».

[(٧)](وقال أحمد[(٨)]: حدثنا وكيع، حدّثنا سعيد بن حسان المخزومي، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن أبي نهيك، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال وكيع: يعني يستغنى به.

ورواه أحمد[(٩)] أيضاً عن حجاج وأبي النضر، كلاهما عن الليث بن سعد.

وعن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار كلاهما عن عبد الله بن أبي مليكة به)[(١٠)] وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده، ليس هذا موضعه. والله أعلم.

---

(١) أخرجه المخلص في «الفوائد» (ق٥٢/ ١) من طريق محمد بن حميد بسنده سواء. وسنده واهٍ، وابن حميد متروك، وكذبه جماعة من أهل الري.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) في «سننه» (١٤٦٩، ١٤٧٠) وسنده صحيح وقد اختلف على ابن أبي مليكة في سنده اختلافاً كثيراً ذكرته في «التسلية» وأقوى الوجوه في هذا الاختلاف ما رواه أبو داود هنا ولله الحمد.

(٤) ساقط من (أ).

(٥) في «سننه» (١٣٣٧) من طريق الوليد بن مسلم، ثنا أبو رافع، عن ابن أبي مليكة به. وأخرجه أبو يعلى (٩٨٦)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٥)؛ وأبو العباس الأصم في «الثاني من حديثه» (ق١٧١/ ١)؛ والبيهقي (١٠/ ٢٣٠) من طرق عن الوليد بن مسلم وعزاه البوصيري في «الزوائد» (٤٣٤/ ١) للحاكم في «المستدرك» وقال: «هذا إسناد فيه أبو رافع واسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك». اهـ.

(٦) ساقط من (أ). (٧) ساقط من (أ) و(ط).

(٨) في «مسنده» (١٤٧٦) وإسناده صحيح.
وأشار الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٩) إلى رواية سعيد بن حسان.

(٩) في «مسنده» (١٥١٢، ١٥٤٩) ولم يروه مجموعاً هكذا، بل هذا من تصرف المصنف رحمه الله.

(١٠) ساقط من (أ) و(ط).

وقال أبو داود[١]: حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدّثنا عبد الجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيد الله بن أبي زيد: مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رث البيت، رث الهيئة، فانتسبنا له، فقال: تجار كسبة (تجار كسبة)[٢] فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت، قال: يحسنه ما استطاع.

تفرد به أبو داود، فقد فهم من هذا أن السلف ﷺ إنما فهموا من التغني بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه، كما قاله الأئمة رحمهم الله.

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه أبو داود[٣] حيث قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جرير، عن الأعمش، عن طلحة، عن عبد الرحمٰن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم».

وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث شعبة، عن طلحة وهو ابن مصرف، به.

وأخرجه النسائي من طرق أخرىٰ عن طلحة وهذا إسناد جيد.

وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمٰن بن عوسجة هذا. ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمدونه.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[٤]: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة قال: نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث «زينوا القرآن بأصواتكم».

قال أبو عبيد: وإنما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الألحان المبتدعة، فلهذا نهاه أن يحدث به.

(قلت): ثم إن شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، روى الحديث متوكلاً على الله كما روي له، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير، بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها

---

(١) في «سننه» (١٤٧١). وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٠٣)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ١٢٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٥/رقم ٤٥١٤)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٥٤، ١٠/ ٢٣٠) وفي «الصغرى» (٩٨٣) من طريق عبد الجبار بن الورد بسنده سواء. قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٧١) «ورجاله ثقات».
* **قلت**: وهو أحد وجوه الاختلاف على ابن أبي مليكة في إسناده.

(٢) من (ج) و(ط) واعلم أن هذه العبارة: «فانتسبنا فقال: تجار كسبة» ليست موجودة في نسخ «أبي داود» المطبوعة، والله أعلم. ثم رأيت الحافظ في «الفتح» (٩/ ٦٩) عزاه لأبي داود وابن الضريس في «فضائل القرآن»؛ وأبي عوانة في «مستخرجه» من طريق ابن أبي مليكة، عن عبيد الله بن أبي نهيك قال: «لقيني سعد بن أبي وقاص وأنا في السوق فقال: تجار كسبة... ثم ساق الحديث» والاختلاف في صحابي الحديث واضح، ولم أجد الحديث في كتاب ابن الضريس المطبوع. والله أعلم.

(٣) في «سننه» (١٤٦٨). وأخرجه البخاري في «خلق الأفعال» (٦٨)؛ والنسائي في «سننه» (٢/ ١٧٩، ١٨٠)، وفي «فضائل القرآن» (٧٥)، وفي «مجلسان من إملائه» (٤٦)؛ وابن ماجه (١٣٤٢)؛ والدارمي (٢/ ٤٧٤)؛ وأحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٤) وآخرون من طرق عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمٰن بن عوسجة، عن البراء بن عازب مرفوعاً... فذكره.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص٨١).

على غير محاملها الشرعية المرادة، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به، كما رواه الحافظ الكبير بقي بن مخلد رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: حدّثنا أحمد بن إبراهيم [١][حدّثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدّثنا طلحة بن يحيى بن طلحة، عن أبي بردة بن أبي موسى][١]، عن أبيه، قال: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: «يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة» قلت: أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً.

ورواه مسلم[٢] من حديث طلحة به. وزاد «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخاري.

والغرض أن أبا موسى قال: لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً، فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه، وقد كان أبو موسى ـ كما قال ﷺ ـ: قد أعطي صوتاً حسناً، كما سأذكره إن شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن (الموصوفة)[٣] فدل على أن هذا من الأمور الشرعية.

قال أبو عبيد[٤]: وحدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده.

قال أبو عبيد[٥]: (حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال)[٦]: حدّثنا سليمان التيمي أو نبئت عنه، حدّثنا أبو عثمان النهدي قال: كان أبو موسى يصلي بنا، فلو قلت: إني لم أسمع صوت صنج[٧] قط ولا بربط[٨] قط ولا شيئاً قط أحسن من صوته.

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) في «صحيحه» (٧٩٣/٢٣٦). وأخرجه أيضاً ابن حبان (٧١٩٨)؛ والبيهقي (١٠/ ٢٣٠، ٢٣١) بهذا التمام ويأتي تخريجه قريباً.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) في «فضائل القرآن» (٣ ـ ٧٩) وليس عنده لفظة: «ربنا».
وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٣٩) قال: حدثنا عبد الله بن صالح بسنده سواء.
وأخرجه ابن سعد (٤/ ١٠٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٨)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ١٦١) من طريق يونس، عن الزهري، عن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب... إلخ.
وأخرجه عبد الرزاق (ج٢/رقم ٤١٧٩، ١٤٨٠، ٤١٨١)؛ وابن حبان (٢٢٦٤) من طريق معمر بن راشد وابن جريج وعمرو بن الحارث ثلاثتهم عن الزهري بسنده سواء. وهو منقطع بين أبي سلمة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يسمع أيضاً من أبي موسى كما قال أحمد على ما ذكره ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٢٥٥) وله طريقان آخران عند ابن سعد (٤/ ١٠٩) أحدهما معضل والآخر منقطع.

(٥) في «فضائل القرآن» (ص٧٩). وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٠٨) قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي ـ وهو ابن علية بسنده سواء. هكذا شك ابن علية أسمعه من التيمي أم بلغه عنه، لكن أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٨) من طريق صفوان بن عيسى والبخاري في «خلق الأفعال» (٢٩١) عن المعتمر بن سليمان قالا: ثنا سليمان قالا، ثنا سليمان التيمي بسنده سواء.
وعزاه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٩٣)؛ لابن أبي داود وقال: «سنده صحيح».

(٦) ساقط من «الأصول» كلها واستدركته من «الفضائل».

(٧) الصنج بفتح المهملة وسكون النون بعدها جيم هو آلة تتخذ من النحاس كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر.

(٨) البربط: بالموحدتين بينهما راء ساكنة ثم طاء مهملة بوزن: «جعفر» وهو آلة تشبه العود. فارسي معرب. =

وقال ابن ماجه[١]: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي، حدّثنا الوليد بن مسلم، حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمٰن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت: أبطأت على رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء، ثم جئت فقال: «أين كنت؟» قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا».

إسناد جيد.

وفي «الصحيحين»[٢] عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه.

وفي بعض ألفاظه: فلما سمعته قرأ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور] خلت أن فؤادي قد انصدع.

وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر، فكان هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب كما:

قال أبو عبيد[٣]: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن طاوس قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله.

= وانظر: «النهاية» (١/ ١١٢).

(١) في «سننه» (١٣٣٨). وقال البوصيري في «الزوائد» (١/٤٣٥): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧١) من طرق عن الوليد بن مسلم، ثنا حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمٰن بن سابط يحدث عن عائشة به قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وليس كما قالا؛ لأن عبد الرحمٰن بن سابط لم يخرج له البخاري شيئاً، ولم يحتج الشيخان ولا أحدهما برواية الوليد، عن حنظلة ولا حنظلة عن عبد الرحمٰن، ولا عبد الرحمٰن عن عائشة. فالصواب أن السند صحيح مطلقاً وصرح الوليد في جميع الإسناد، ثم هو لم يتفرد به، فقال أبو نعيم عقبه: «ورواه ابن المبارك، عن حنظلة» قلت: وهو عنده في «الجهاد» (١٢٠) ووقع في سنده اختلاف وأخرجه أحمد (٦/ ١٦٥) قال: حدثنا ابن نمير، ثنا حنظلة بسنده سواء. وهو صحيح أيضاً وأخرجه البزار (ج٣/رقم ٢٦٩٤) من وجه آخر عن عائشة بأخصر من حديث ابن سابط قال الهيثمي (٩/ ٣٠٠): «رجاله رجال الصحيح». وقال الحافظ في «الإصابة» (٣/ ١٦): «رجاله ثقات» وليس في هذا تصحيح للإسناد، لأجل عنعنة ابن جريج. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٤٧، ٦/ ١٨٦، ٧/ ٣٢٣، ٨/ ٦٠٣)؛ ومسلم (٤٦٣) من طريق الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه.

وأخرجه أبو داود (٨١١)؛ والنسائي في «سننه» (٢/ ١٦٩)، وفي «تفسيره» (٥٤٩)؛ وابن ماجه (٨٣٢)؛ وأحمد (٤/ ٨٠، ٨٤) من هذا الوجه.

(٣) في «فضائل القرآن» (ص٨٠) وفي «غريب الحديث» (٢/ ١٤١)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٤).

قال: حدثنا حفص، عن ليث، عن طاوس، قال: كان يقال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله. وسنده ضعيف؛ لأجل ليث بن أبي سليم وقد خولف فيه كما يأتي.

[(١)][وحدثنا قبيصة، عن سفيان، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله][(١)].

وحدثنا قبيصة[(٢)]، عن سفيان، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم، عن طاوس قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ فقال: «الذي إذا سمعته رأيته يخشى الله».

وقد روي هذا متصلاً من وجه آخر.

فقال ابن ماجه[(٣)]: حدثنا بشر بن معاذ الضرير، حدّثنا عبد الله بن جعفر المديني، حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله».

ولكن عبد الله بن جعفر هذا ـ وهو والد علي ابن المديني ـ وشيخه ضعيفان والله أعلم.

والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة.

فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب.

وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم أبو عبيد[(٤)] القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن حصين بن مالك الفزاري قال: سمعت شيخاً يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجئ قوم من بعدي يرجعون

---

(١) ساقط من (ج) و(ط) وهو عندي خطأ من الناسخ فقد انتقل بصره إلى السند التالي له، وألحق به متن الأثر السابق، ولم أجد في «كتاب أبي عبيد إلا الرواية التي يرويها ابن جريج، عن ابن طاوس وعن الحسن بن مسلم، كلاهما عن طاوس». فالله أعلم.

(٢) أخرجه أبو عبيد (ص٨٠) أيضاً. وهذه الرواية أرجح من رواية ليث بن أبي سليم مع إرسالها.

(٣) في «سننه» (١٣٣٩). وأخرجه الآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٣)، وفي «فوائده»؛ وابن أبي داود في «كتاب الشريعة»، كما في «إتحاف السادة» (٥٢١/٤) وضعف إسناده البوصيري في «الزوائد» (١/٤٣٦) وسبقه شيخه العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٨٦/١) والصواب أنه ضعيف جداً. والله أعلم.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص٨٠).

وأخرجه ابن نصر في «قيام الليل» (ص٣٥)؛ ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٤٨٠/٢)؛ والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ج٣/ق١٠٤/٢)؛ والطبراني في «الأوسط» (ج٢/ق١٥٤/١)؛ وابن عدي في «الكامل» (٥١٠/٢، ٥١١)؛ البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٤٠٦)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٢٣)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١١٨/١) من طريق بقية بن الوليد عن الحصين بن مالك الفزاري، عن أبي محمد، عن حذيفة مرفوعاً به.

قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن حذيفة إلا بهذا الإسناد، تفرد به بقية».

قلت: وهو صدوق لكنه يدلس تدليس التسوية كما صرح به أبو حاتم في «العلل» (١٩٥٧) وشيخ بقية وشيخه مجهول، والخبر منكر كما قال الذهبي. والله أعلم.

بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم».

وحدثنا[(١)] يزيد، عن شريك، عن أبي اليقظان عثمان بن عمير، عن زاذان أبي عمر، عن عليم قال: كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: عابس الغفاري ـ فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال: ما هؤلاء؟ قال: يفرون من الطاعون فقال: يا طاعون خذني، فقالوا: أتتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت»؟ فقال: إني أبادر خصالاً، سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته: بيع الحكم، والاستخفاف بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناءً، وذكر خلتين آخرتين.

وحدثنا يعقوب بن[(٢)] إبراهيم، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن زاذان، عن عابس الغفاري، عن النبي ﷺ مثل ذلك أو نحوه.

وحدثنا[(٣)] يعقوب، عن إبراهيم، عن الأعمش، عن رجل، عن أنس أنه سمع رجلاً يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه.

وهذه طرق حسنة[(٤)] في باب الترهيب.

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة رحمهم الله على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم.

---

(١) أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٨١) وفي «الغريب» (٢/ ١٤١).
وأخرجه أحمد (٣/ ٤٩٤)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٨٠)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٥٨٣)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ١٦٠)؛ وأبو غرزة الحافظ في «مسند عابس»؛ وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١/ ٧٨)؛ كما في «الصحيحة» (٩٧٩)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٢٤) من طريق شريك النخعي بسنده سواء. وسنده ضعيف، وقال الجوزقاني: «باطل» وليس كما قال والصواب أنه حديث حسن أو صحيح كما حققته في «التسلية».

(٢) أبو عبيد في «الفضائل» (ص٨١). وأخرجه البخاري في «الكبير» (٤/ ١/ ٨٠)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٤٠٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٨/ رقم ٥٨، ٥٩) من طرق عن ليث بن أبي سليم وقد خالف شريكاً بإسقاط «عليم» من السند، وروايته أرجح من رواية شريك. فقد تابعه سليمان التيمي عند الطبراني (٦٠) وله طريق قوي يرويه موسى بن عبد الله الجهني عن زاذان عابس الغفاري.
أخرجه الخراطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٧٧)؛ والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم ٦٢، ٦٣)، وفي «الأوسط» (٦٨٩)؛ وقال الهيثمي (٥/ ٢٤٥): «رجاله رجال الصحيح» وله شواهد عن جماعة من الصحابة.

(٣) أبو عبيد (ص٨١).
وخولف يعقوب بن إبراهيم. خالفه عبد الله بن إدريس فرواه عن الأعمش قال: قرأ رجل عند أنس بلحن من هذه الألحان فكره أنس ذلك. أخرجه الدارمي (٢/ ٣٤٠) والمخالفة أن ابن إدريس جعله عن الأعمش عن أنس. ولم يسمع منه. والصواب أنه يروى عنه بالواسطة وأخرجه أيضاً ابن نصر في «قيام الليل» (ص٢٣٧).

(٤) يعني: بتعاضدها، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار[١]: حدّثنا محمد بن معمر، حدّثنا روح، حدّثنا عبيد الله بن الأخنس، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

ثم قال: «(وإنما)[٢] ذكرناه؛ لأنهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه، عن ابن أبي مليكة، عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار، والليث عنه، عن ابن أبي نهيك، عن سعد، ورواه عسل بن سفيان عنه عن عائشة، ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير».

اغتباط صاحب القرآن

حدثنا[٣] أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب (فقام به)[٤] آناء (الليل)[٥] ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار».

انفرد به البخاري من هذا الوجه، واتفقا على إخراجه من رواية سفيان، عن الزهري.

ثم قال البخاري[٦]: حدّثنا علي بن إبراهيم، حدّثنا روح، حدّثنا شعبة، عن سليمان قال: سمعت ذكوان، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل (وآناء)[٧] النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل؛ ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل».

ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة، وهي حسن الحال، فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك، يقال: غبطه يغبطه (بكسر الباء)[٨] غبطاً: إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذموم شرعاً مهلك، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام.

---

(١) في «مسنده» (ج٣/رقم ٢٣٣٢، كشف الأستار).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١١/رقم ١١٢٣٩) من طرق عن ابن الأخنس، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس مرفوعاً. قال الهيثمي (٧/ ١٧٠): «رجال البزار رجال الصحيح».
قلت: وقد مر الكلام عنه، وهذا أحد وجوه الاختلاف على ابن أبي مليكة في إسناده، وقد فصلته في «التسلية». ولله الحمد.

(٢) في (أ): «ولنا ما».

(٣) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٣).
وأخرجه أيضاً في «كتاب التوحيد» (١٣/ ٥٠٢)؛ ومسلم (٨١٥)؛ والنسائي في «فضائل القرآن» (٩٧)؛ والترمذي (١٩٣٦)؛ وابن ماجه (٤٢٠٩)؛ وأحمد (٢/ ٩)؛ والحميدي (٢/ ٢٧٨)، وآخرون من طريق سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه مرفوعاً. وله طرق أخرى عن الزهري.

(٤) في (أ): «فهو يقوم به» وهو مخالف لرواية «الصحيح» ولباقي (الأصول).

(٥) في (أ): «الليل والنهار» وليس «للنهار» ذكر.

(٦) في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٣).

(٧) ساقط من (أ).

(٨) في (أ): «بالكسر».

والحسد الشرعي الممدوح هو تمني حال مثل ذاك الذي هو على حالة سارة، ولهذا قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين» فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار والنعمة المتعدية، وهي إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

[1][وقد روي نحو هذا من وجه آخر.

فقال عبد الله[2] ابن الإمام أحمد: وجدت في كتاب أبي بخط يده][1]:

[1][كتب إلي أبو توبة الربيع بن نافع، فكان في كتابه: حدثنا الهيثم بن حميد، عن زيد بن واقد، عن سليمان بن موسى، عن كثير بن مرة، عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ويتبع ما فيه فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً، فأقوم به كما يقوم به؛ ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق ويتصدق، فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً فأتصدق به»][1].

وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد[3]: حدثنا عبد الله بن نمير، حدّثنا عبادة بن مسلم، حدثني يونس بن خباب، عن سعيد أبي البختري الطائي، عن أبي كبشة قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، فأما الثلاث التي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم أحد مظلمةً فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر ـ وأما الذي أحدثكم حديثاً فاحفظوه فإنه قال ـ إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم (لله)[4] فيه حقه ـ قال ـ فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو يقول: لو كان لي مال عملت بعمل فلان ـ قال: ـ فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقه، فهذا بأخبث المنازل، وعبد

---

(١) ساقط من سياق (ط) وقيد في الحاشية.

(٢) في «المسند» (٤/ ١٠٤، ١٠٥).

وأخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٠٧)؛ وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٩٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢٢/رقم ٦٢٦)، وفي «الأوسط» (٢٩٩٢)؛ وفي «مسند الشاميين» (١٢١٢)؛ وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١٨/ل٢٣٣)؛ والخطابي في «الغريب» (١/ ١٩٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨٢٠) من طريق الهيثم بن حميد بسنده سواء.

قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٤٣٩)؛ والهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٥٦): «رجاله ثقات». قلت: ولكنه منقطع، قال أبو مسهر: «سليمان بن موسى لم يدرك كثير بن مرة». ولكن له طريق آخر أخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» (ج١١/ ق١٩٢/ ٢ ـ ١٩٣/ ١) وإسناده جيد. والله أعلم.

(٣) في «المسند» (٤/ ٢٣١).

وأخرجه الترمذي (٢٣٢٥)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢٢/رقم ٨٥٥، ٨٦٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٢٨٩، ٢٩٠) من طريق عبادة بن مسلم بسنده سواء قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

قلت: لكن يونس بن خباب ضعيف، ولكن له طريق آخر ويأتي.

(٤) من (ج) و(ط) و(ل).

لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو كان لي مال لفعلت بعمل فلان ـ قال: ـ هي نيته فوزرهما فيه سواء».

وقال أيضاً[(١)]: حدّثنا وكيع، حدّثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي كبشة الأنماري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو يعمل به (في)[(٢)] ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل ـ قال: قال رسول الله ـ فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً، فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه؛ ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل ـ قال: قال رسول الله ـ فهما في الوزر سواء».

إسناد صحيح، (ولله الحمد والمنة)[(٣)].

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

حدثنا[(٤)] حجاج بن منهال، حدّثنا شعبة، أخبرني علقمة بن مرثد، سمعت سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وأقرأ أبو عبد الرحمٰن في إمرة عثمان رضي الله عنه حتى كان الحجاج، قال: وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا.

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله.

وحدثنا[(٥)] أبو نعيم، حدّثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق، عن سفيان، عن علقمة، عن أبي عبد الرحمٰن من غير ذكر «سعد بن عبيدة»، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه.

وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة. وخطأ بندار يحيى[(٦)] بن سعيد في روايته

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٠، ٢٣١).
وأخرجه ابن ماجه (٤٢٢٨)؛ وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «الفتح» (٩/ ٧٤)؛ ووكيع (٢٤٠)؛ وهناد بن السري (٥٨٦) كلاهما في «الزهد»؛ والمروزي في «زوائد الزهد» (٩٩٩)؛ والفريابي في «الفضائل» (١٠٥، ١٠٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢٦٣)؛ والطبراني في «الكبير» (٨٦٧)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» (ج٤/ ق٦٤/ ٢ ـ ١٠/ ١٨٩/ ١)؛ والبيهقي (٤/ ١٨٩) وسنده صحيح كما قال المصنف؛ وأعله الحافظ في «النكت الظراف» (٩/ ٢٧٤) بما ينظر فيه. والله أعلم.

(٢) في (ج) و(ط) و(ل): «فيهما»!

(٣) من (أ).

(٤) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٤).

(٥) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٤)؛ وأخرجه النسائي في «الفضائل» (٦٣)؛ والترمذي (٢٩٠٨)؛ وأحمد (١/ ٥٧) وغيرهم من طرق عن سفيان الثوري بسنده سواء.

(٦) كلا لم يخطئ يحيى القطان في روايته، وقد استوفيت تخريج الحديث، وتعليله وترجيح الراجح في «تسلية الكظيم» فللّه الحمد.

ذلك عن سفيان، عن علقمة، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن، وقال: رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه بإسقاط «سعد بن عبيدة» ورواية سفيان أصح.

وفي هذا المقام المتعلِّق بصناعة الإسناد طول لولا الملالة لذكرناه. وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما ترك، والله أعلم.

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكمل في أنفسهم المكملون لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] في أصح قولي المفسرين في هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضاً، فجمعوا بين التكذيب والصد، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧] فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه، وأن يسعى في تكميل غيره كما قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت] فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحاً، وقال قولاً صالحاً أيضاً فلا أحد أحسن حالاً من هذا.

وقد كان أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج.

[(١)][قالوا: وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة][(١)]، رحمه الله (وأثابه)[(٢)]، وآتاه ما طلبه ورامه آمين.

[(٣)][ثم قال البخاري[(٤)]: حدثنا عمرو بن عون، حدّثنا حماد، عن أبي][(٣)]. [(٥)][حازم عن سهل بن سعد قال: أتت النبي ﷺ امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله، فقال: «ما لي في النساء من حاجة» فقال رجل: زوجنيها؟ قال: «أعطها ثوباً» قال: لا أجد، قال: «أعطها ولو خاتماً من حديد» فاعتل له، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا، قال: «قد زوجتكها بما معك من القرآن؟»».

وهذا الحديث متفق على صحة إخراجه من طرق عديدة.

والغرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن، وأمره النبي ﷺ][(٥)].

---

(١) سقط من سياق (أ) واستدرك في الحاشية. (٢) ساقط من (ج).

(٣) من أول هنا إلى آخر الفصل ساقط من (ج).

(٤) في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٤)؛ وأخرجه مالك (٢/ ٥٢٦/ ٨) و(١/ ٥٧٢، رواية أبي مصعب)؛ والبخاري (٤/ ٤٨٦، ٩/ ٧٨، ١٣١، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٦؛ و١٠/ ٣٢٢، ٣٢٣؛ و١٣/ ٤٠٢ فتح)؛ ومسلم (١٤٢٥/ ٧٧).

(٥) ساقط من (ج).

(١)[أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقاً لها على ذلك، وهذا فيه نزاع بين العلماء: هل يجوز أن يجعل (مثل هذا)(٢) صداقاً؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ وهل هذا كان خاصاً بذلك الرجل؟ وما معنى قوله ﷺ: «زوجتكها بما معك من القرآن» أي: بسبب ما معك، كما قاله أحمد بن حنبل: نكرمك بذلك أو بعوض ما معك، وهذا أقوى لقوله في «صحيح مسلم» «فعلمها» وهذا هو الذي أراده البخاري ههنا، وتحرير باقي الخلاف مذكور في باب النكاح والإجارات، وبالله المستعان](١).

القراءة عن ظهر قلب

إنما (أفرد)(٣) البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن، وفيه أنه ﷺ قال للرجل: «فما معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا لسور عدها، قال: «أتقرأهن عن ظهر قلب؟» قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن».

وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل، والله أعلم.

ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف، وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف، وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه.

واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام (العلم)(٤) أبو عبيد رحمه الله في كتابه (فضائل القرآن)(٥):

حدثنا نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى، عن (سليمان بن سليم)(٦)، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة».

وهذا الإسناد فيه ضعف، فإن معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي وأياً ما كان فهو ضعيف.

وقال الثوري(٧)، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: أديموا النظر في المصحف.

وقال حماد(٨) بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن ماهك، عن ابن عباس، عن عمر

---

(١) ساقط من (ج).
(٢) بياض في (أ).
(٣) في (أ): «أورد».
(٤) في (ل): «العالم».
(٥) (ص٤٦) وأخرجه ابن شاهين في «الترغيب» (١٩٤) من طريق أبي عبيد بسنده سواء وسنده ضعيف جداً، وليس كما قال المصنف: «فيه ضعف»؛ وضعفه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٧٨)؛ والزبيدي في «إتحاف السادة» (٤/ ٤٩٥).
(٦) وقع اضطراب في هذا الاسم، ففي (أ) و(ط): (سليم بن مسلم)، وفي (ج): «سليمان بن مسلم».
(٧) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٤٦)؛ وعبد الرزاق (ج٣/رقم ٥٩٧٩)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٨٧، ٨٦٩٦) من طرق عن الثوري به وسنده حسن.
(٨) أخرجه أبو عبيد (ص٤٦) قال: حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة بسنده سواء. وهذا سند مقارب، ورواية =

أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه.

وقال حماد[١] أيضاً، عن ثابت، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف (فقرأوا)[٢] وفسر لهم.

إسناد صحيح.

وقال حماد بن سلمة[٣]، عن حجاج بن أرطاة، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر، قال: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ.

وقال الأعمش[٤]، عن خيثمة: دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال: هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة.

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال.

فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن؛ لأن الكتابة لا تدل على الأداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه، وإذا أدّى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخاً يوقفه على ألفاظ القرآن. فأما عند العجز عمن يلقن فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية، فإذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه، ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه، فقد:

قال الإمام أبو عبيد[٥]: حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب، عن الأوزاعي أن رجلاً صحبهم في سفر، قال: فحدثنا حديثاً ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ، كتبه الملك كما أنزل».

وحدثنا حفص بن غياث، عن الشيباني عن بكر بن الأخنس قال: كان يقال إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل.

وقال بعض العلماء: المدار في هذه المسألة على الخشوع، فإن (كان)[٦] الخشوع أكثر عند

= حماد بن سلمة، عن علي بن زيد متماسكة، والله أعلم.

(١) أخرجه أبو عبيد (ص٤٧) أيضاً قال: حدثنا حجاج، عن حماد بسنده سواء.

(٢) في (أ): «فقراء» بالإفراد.

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص٤٦) قال: حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة بسنده سواء وسنده ضعيف. وابن أرطاة وثوير ضعيفان وحجاج أمثلهما.

(٤) أخرجه أبو عبيد (ص٤٧)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣٠، ٥٣١) من طريق عن الأعمش بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٥) أخرجه أبو عبيد (ص٤٧) وسنده ضعيف لإعضاله.

وعزاه السيوطي في «الجامع» للديلمي في «مسند الفردوس»، عن ابن عباس، فقال المناوي في «فيض القدير» (١/ ٤١٦): «فيه هشيم بن بشير قال الذهبي: حافظ حجة مدلس، عن أبي بشر مجهول». اهـ. كذا قال! وأبو بشر هذا هو جعفر بن إياس وهو ثقة فإن كان رواه عن مجاهد، عن ابن عباس ففي روايته عن مجاهد ضعف، وإن كان يرويه عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فسنده قوي. والله أعلم.

(٦) ساقط من (ج).

القراءة عن ظهر قلب؛ فهو أفضلُ وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل. فإن استويا فالقراءة نظراً أولى؛ لأنها أثبت، وتمتاز بالنظر إلى المصحف.

قال الشيخ أبو زكريا النواوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «التبيان»: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل.

تنبيه: إن كان البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر:

لأنها[(١)] قضية عين، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقاً في حق من يحسن ومن لا يحسن، إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله ﷺ وتلاوته عن ظهر قلب ـ لأنه أمي لا يدرك الكتابة ـ أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده.

الثاني: أن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليمكنه تعليمها لزوجته، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

استذكار القرآن وتعاهده

حدثنا[(٢)] عبد الله بن يوسف، أنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت».

هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به.

وقال الإمام أحمد[(٣)]: حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل، فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقالها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن».

أخرجاه، قاله ابن الجوزي في «جامع المسانيد» وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به.

حدثنا[(٤)] محمد بن عرعرة، حدّثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت بل نسي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم».

تابعه[(٤)] بشر هو ابن محمد السختياني، عن ابن المبارك، عن شعبة.

---

(١) يعني: أولاً؛ لأنه سيذكر وجهاً آخر بعده.

(٢) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٩)؛ وأخرجه أيضاً مسلم (٧٨٩/ ٢٢٦، ٢٢٧)؛ ومالك (١/ ٢٠٢/ ٦)؛ والنسائي (٢/ ١٥٤)؛ وفي «فضائل القرآن» (٦٦، ٦٨)؛ وابن ماجه (٣٧٨٣)؛ وأحمد (٢/ ١٧، ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٦٤، ١١٢) وغيرهم من طريق نافع، عن ابن عمر مرفوعاً.

(٣) في «المسند» (٢/ ٣٥، ٣٦)؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج٣/ رقم ٥٩٧١)؛ ومسلم؛ وابن ماجه (٣٧٨٣) عن معمر بسنده سواء.

(٤) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٩، ٨٠)، وأخرجه مسلم (٧٩٠/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠).

وقد رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن أبي داود الطيالسي، عن شعبة به، وقال: حسن صحيح.

وأخرجه النسائي من رواية شعبة.

وحدثنا[١] عثمان (حدّثنا)[٢] جرير، عن منصور مثله.

وتابعه[٣] ابن جريج، عن عبدة، عن شقيق قال: سمعت عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ.

وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به.

ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من حديث محمد بن جحادة، عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به.

وهكذا رواه مسلم، عن عثمان وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم، عن جرير به.

وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم، عن سفيان الثوري، عن منصور به.

والنسائي من رواية ابن عيينة، عن منصور به.

فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعاً في رواية هؤلاء كلهم.

وقد رواه النسائي[٤] عن قتيبة، عن حماد بن زيد، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله موقوفاً.

وهذا غريب.

وفي «مسند أبي يعلى»[٥] «فإنما هو نسي» بالتخفيف.

حدثنا[٦] محمد بن العلاء، حدثنا أبو أُسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده (لهو)[٧] أشد تفصياً من الإبل في عقلها».

وهكذا رواه مسلم، عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن براد الأشعري، كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به.

وقال الإمام أحمد[٨]: حدثنا علي بن إسحاق، أنا عبد الله بن المبارك، حدّثنا موسى بن

---

(١) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٧٩، ٨٠)، وأخرجه مسلم (٧٩٠/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠).

(٢) في (أ): «ابن»!!

(٣) في «اليوم والليلة» (٧٢٨) وقد خولف قتيبة، خالفه عفان بن مسلم فرواه عن حماد بن زيد بسنده سواء مرفوعاً بأتم منه. أخرجه أحمد (١/ ٤٦٣) ولا تعل إحدى الروايتين الأخرى لثقة الذين رووا الوجهين فكأن ابن مسعود كان يرفعه مرة، ويحكيه من قبل نفسه أخرى. والله أعلم.

(٤) في «المسند» (ج٩/رقم ٥١٣٦)؛ وعزاه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٨٠)؛ لابن أبي داود في «كتاب الشريعة» قال: «بخط موثوق به، على كل سين علامة التخفيف.

(٥) ذكره البخاري في «الفضائل» (٩/ ٧٩)؛ ووصله مسلم (٧٩٠/ ٢٣٠).

(٦) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٧)؛ وأخرجه مسلم (٧٩١/ ٢٣١).

(٧) في (ج): «هو».

(٨) في «مسنده» (٤/ ١٤٦).

=

علي، سمعت أبي يقول: سمعت عقبة بن عامر يقول: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من المخاض في العقل».

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه.

فإنه قال الإمام أحمد[١]: حدثنا خلف بن الوليد، حدّثنا خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن رجل، عن سعد بن عبادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل (وما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه، وهو أجذم)»[٢].

وهكذا رواه جرير بن[٣] عبد الحميد ومحمد[٤] بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، كما رواه خالد بن عبد الله.

وقد أخرجه أبو داود[٥]، عن محمد بن العلاء، عن (ابن إدريس)[٦]، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن سعد بن عبادة، عن النبي ﷺ بقصة نسيان القرآن، ولم يذكر الرجل المبهم.

وكذا رواه أبو بكر بن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، وقد رواه شعبة، عن زيد، فوهم[٧] في إسناده.

ورواه وكيع، عن أصحابه، عن يزيد (عن)[٨] عيسى بن فائد، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

وقد رواه الإمام[٩] أحمد في «مسند عبادة بن الصامت» فقال: حدثنا عبد الصمد، حدّثنا عبد العزيز بن مسلم، حدّثنا يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن عبادة بن الصامت قال:

= وأخرجه النسائي في «الفضائل» (٦٠)؛ والدارمي (٢/ ٣١٦)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٤٠)؛ وابن حبان (١٧٨٨)؛ والفريابي في «فضائل القرآن» (١٦٢، ١٦٣)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٠ و١٠/ ٤٧٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٧/رقم ٨٠١)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨١٥) وسنده صحيح.

(١) في «المسند» (٥/ ٣٨٥)؛ وأخرجه الحربي في «الغريب» (٢/ ٤٢٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٦/رقم ٥٣٨٩، ٥٣٩٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨١٨) من طريق خالد بن عبد الله الطحان بسنده سواء وهذا سند ضعيف جداً، ويزيد بن أبي زياد ضعيف، وعيسى بن فائد مجهول ثم جهالة شيخه أيضاً ثم الاضطراب في إسناده، وقد فصلت كل ذلك في «التسلية» ولكن للشطر الأول بعض الشواهد تصححه، منها حديث أبي أمامة، قواه شيخنا أبو عبد الرحمٰن الألباني، حفظه الله، في «الصحيحة» (٣٤٩) فراجعه.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص١٠٣، ١٠٤) قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد عمن سمع سعد بن عبادة فذكره.

(٤) أما طريق محمد بن فضيل فأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٨ و١٢/ ٢١٩)؛ والبزار (ج٢/رقم ١٦٤٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٦/رقم ٥٣٨٨، ٥٣٩١).

(٥) في «سننه» (١٤٧٤) ومن طريقه الخطيب في «الجامع» (١/ ١١٠).

(٦) في (ج): «ابن أبي إدريس»!!

(٧) راجع «تحفة الأشراف» (٣/ ٢٧٤) للمزي.

(٨) في (أ): «ابن»!!

(٩) في «مسنده» (٥/ ٣٢٣).

قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه منها إلَّا عدله، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم».

وكذا رواه أبو عوانة، عن يزيد بن أبي زياد.

ففيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب مقبول(١)، والله أعلم.

لا سيما إن كان له شاهد من وجه آخر، كما:

قال أبو عبيد(٢): حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: حدثت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها».

قال ابن(٣) جريج: وحدثت عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكبر (ذنب)(٤) توافي به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم فنسيها».

وقد روى أبو داود والترمذي وأبو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبي رواد، عن ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها».

قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به البخاري فاستغربه.

---

(١) في هذا القول نظر، فلا يثبت وعيد إلا بنص صحيح، وقد قدمنا أن إسناد الحديث ضعيف جداً للضعف والجهالة والاضطراب، نعم قد يستفاد الوعيد من ظاهر نصوص أخرى كما يأتي.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص١٠٣) وسنده ضعيف معضل أو منقطع؛ ولكن أخرجه أبو داود (٤٦١)؛ والترمذي (٢٩١٦)؛ وابن خزيمة (ج٢/رقم ١٢٩٧)؛ وأبو يعلى (ج٧/رقم ٤٢٦٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨١٤)؛ وفي «الكبرى» (٢/ ٤٤٠)؛ والخطيب في «الجامع» (١/ ١٠٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٦٤)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ١٠٩) من طريق عبد المجيد بن أبي رواد، عن ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله عن أنس. وقال الترمذي: «غريب» واستغربه البخاري أيضاً وأعله بالانقطاع بين المطلب وأنس، وأعله الدارقطني بالانقطاع بين ابن جريج والمطلب. وقد اختلف فيه على عبد المجيد بن أبي رواد، وعلى ابن جريج كما ذكرته في «التسلية»، وأقوى الوجوه عندي ما رواه عبد الرزاق (ج٣/رقم ٥٩٧٧) وعنه الطبراني والخطيب في «الجامع» (١/ ١٠٨) عن ابن جريج، عن رجل عن أنس. والحديث على أي وجه كان لا يصح والله أعلم.

(٣) في «فضائل القرآن» (ص١٠٣) وسنده ضعيف معضل أو منقطع؛ ولكن أخرجه أبو داود (٤٦١)؛ والترمذي (٢٩١٦)؛ وابن خزيمة (ج٢/رقم ١٢٩٧)؛ وأبو يعلى (ج٧/رقم ٤٢٦٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨١٤)، وفي «الكبرى» (٢/ ٤٤٠)؛ والخطيب في «الجامع» (١/ ١٠٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٦٤)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ١٠٩) من طريق عبد المجيد بن أبي رواد، عن ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله عن أنس. وقال الترمذي: «غريب» واستغربه البخاري أيضاً وأعله بالانقطاع بين المطلب وأنس، وأعله الدارقطني بالانقطاع بين ابن جريج والمطلب. وقد اختلف فيه على عبد المجيد بن أبي رواد، وعلى ابن جريج كما ذكرته في «التسلية»، وأقوى الوجوه عندي ما رواه عبد الرزاق (ج٣/رقم ٥٩٧٧) وعنه الطبراني والخطيب في «الجامع» (١/ ١٠٨) عن ابن جريج، عن رجل عن أنس. والحديث على أي وجه كان لا يصح والله أعلم.

(٤) في (أ): «ذنوب».

وحكى البخاري، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك.

(قلت): وقد رواه محمد بن يزيد الأدمي، عن ابن أبي رواد، عن ابن جريج، عن الزهري، عن أنس، عن النبي ﷺ به، فالله أعلم.

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه.

ولهذا قال عليه السلام: «تعاهدوا القرآن» وفي لفظ: «استذكروا القرآن، فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم».

التفصي: التخلص، يقال: تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها، ومنه: تفصى النوى من الثمرة إذا تخلص منها؛ أي: إن القرآن أشد تفلتاً من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال.

وقال أبو عبيد[١]: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ إني لأمقت القارئ أن أراه سميناً نسيّاً للقرآن.

وحدثنا[٢] عبد الله بن المبارك، عن عبد العزيز بن أبي روَّاد قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: ما من أحد تعلم القرآن (ثم)[٣] نسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأنه الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب.

ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره: يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن، كما أنه يكره له أن يقرأه في أقل من ثلاثة أيام، كما سيأتي هذا حيث يذكره البخاري بعد هذا، وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب، ولكن ذكر بعد هذا قوله:

القراءة على الدابة

حدثنا[٤] حجاج، حدّثنا شعبة، أخبرني أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح.

---

(١) في «فضائل القرآن» (ص١٠٤)؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٢٧) من طريق جرير، عن الأعمش بسنده سواء ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين إبراهيم النخعي وابن مسعود، فلم يدركه والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص١٠٤) وفي «غريب الحديث» (١/ ١٤٥)؛ وأخرجه ابن المبارك (٨٥)؛ ووكيع (٩٥) كلاهما في «الزهد»؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٨، ٤٧٩)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره»؛ كما في «ابن كثير» (٧/ ١٩٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨١٣) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد، سمعت الضحاك بن مزاحم... فذكره وسنده جيد.

(٣) في (أ): «فنسيه».

(٤) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٨٣، ٩٢)، ومسلم (٧٩٤/ ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩).

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة، عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة به.

وهذا أيضاً له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفراً وحضراً، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يتله القارئ في الطريق، وقد نقله ابن أبي داود، عن أبي الدرداء أنه كان يقرأ في الطريق، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن في ذلك، وعن الإمام مالك أنه كره ذلك.

كما قال ابن أبي داود: وحدثني أبو الربيع، أخبرنا ابن وهب قال: سألت مالكاً عن الرجل يصلي من آخر الليل، فيخرج إلى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء فقال: ما أعلم القراءة تكون في الطريق.

وقال الشعبي: تكره قراءة القرآن في ثلاثة مواطن: في الحمام، وفي الحشوش، وفي بيت الرحى وهي تدور.

وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف أنها لا تكره، وهو مذهب مالك والشافعي وإبراهيم النخعي وغيرهم.

وروى ابن أبي داود، عن علي بن أبي طالب أنه كره ذلك، ونقله ابن المنذر، عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعي، ويحكى عن أبي حنيفة، رحمهم الله: أن القراءة في الحمام تكره.

وأما القراءة في الحش فكراهتها ظاهرة ولو قيل بتحريم ذلك صيانةً لشرف القرآن لكان مذهباً. وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور فلئلا يعلو غير القرآن عليه، والحق يعلو ولا يعلى، والله أعلم.

(تعلم الصبيان القرآن)

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم.

قال: وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا هشيم أنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ فقلت له: وما المحكم؟ قال: المفصل.

انفرد بإخراجه البخاري[(١)]، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت رسول الله ﷺ وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات، كما تقدم ذلك، وعمره إذ ذاك عشر سنين.

وقد روى[(٢)] البخاري أنه قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون، وكانوا لا يختنون حتى

---

(١) في «الفضائل» (٩/ ٨٣).

(٢) في «كتاب الاستئذان» (١١/ ٨٨) عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس: مثل من أنت حين قبض =

يحتلم، فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعاً بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من الكسر، والله أعلم.

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا، وهو ظاهر بل قد يكون مستحباً أو واجباً؛ لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيراً وأشد علوقاً بخاطره، وأرسخ وأثبت كما هو المعهود من حال الناس.

وقد استحب بعض[(١)] السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلاً للعب، ثم توفر همته على القراءة لئلا يلزم أولاً بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب.

وكره[(٢)] بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له، ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلاً قليلاً بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه.

واستحب[(٣)] عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقن خمس آيات خمس آيات.

رويناه عنه بسند جيد.

نسيان القرآن وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا؟
وقول الله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

حدثنا[(٤)] الربيع بن يحيى، حدّثنا زائدة، حدّثنا هشام (عن)[(٥)] عروة، عن عائشة قالت: لقد سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد فقال: «(يرحمه)[(٦)] الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا».

انفرد به.

وحدثنا[(٧)] محمد بن عبيد بن ميمون، حدّثنا عيسى بن يونس، عن هشام وقال: «أسقطتهن من سورة كذا وكذا».

انفرد به أيضاً.

= النبيُّ ﷺ؟ قال: «أنا يومئذٍ مختون...» إلخ.
ثم روى عن ابن عباس قال: قبض النبي ﷺ وأنا ختين.

(١) منهم سعيد بن جبير. وانظر: «فتح الباري» (٩/ ٨٣).

(٢) منهم إبراهيم النخعي، أخرجه ابن أبي داود كما في «الفتح».

(٣) أخرجه الإسماعيلي، كما في «مسند الفاروق» (١/ ١٧٠) للمصنف؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٠٧)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣١٩)؛ والخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٢٨٧) من طريق عليّ بن بكار، عن أبي خلدة خالد بن دينار، عن أبي العالية، عن عمر بن الخطاب قال: تعلموا القرآن خمساً خمساً، فإن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً.
وقد جود المصنف سنده، وفيه نظر، فقد خولف علي بن بكار. خالفه وكيع ومسلم بن إبراهيم والفضل بن دكين فرووه عن أبي خلدة عن أبي العالية قوله: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦١)؛ وابن أبي حاتم في «العلل» (ج٢/ رقم ١٧٤٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٠٦) وقال: «رواية وكيع أصح» وكذا رجحَ أبو زرعة أنه من قول أبي العالية ليس عن عمر. والله أعلم.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٠٥) نحوه لأبي سعيد الخدري.

(٤) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٨٤، ٨٥).

(٥) في (أ): «ابن»!!

(٦) في (أ): «رحمه».

(٧) البخاري في «كتاب الشهادة» (٥/ ٢٦٤).

تابعه علي[(١)] بن مسهر[(٢)] وعبدة، عن هشام وقد أسندهما البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبدة.

حدثنا أحمد[(١)] بن أبي رجاء، حدّثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل، فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا (آيةً)[(٣)] كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا».

ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة.

الحديث الثاني[(٤)]: حدثنا أبو نعيم، حدّثنا سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت كيت وكيت بل هو نسي».

ورواه مسلم والنسائي من حديث منصور به، وقد تقدم.

وفي «مسند أبي يعلى»: «فإنما هو نسي» بالتخفيف. هذا لفظه.

وفي هذا الحديث والذي قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له (إذا كان)[(٥)] بعد الاجتهاد والحرص.

وفي حديث ابن مسعود أدب في التعبير عن حصول ذلك، فلا يقول: نسيت كذا، فإن النسيان ليس من فعل العبد، وقد تصدر عنه أسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك، فأما النسيان نفسه فليس بفعله، ولهذا قال: بل هو نسي، مبني لما لم يسم فاعله، وأدب أيضاً في ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى، وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] وهو ـ والله أعلم ـ من باب المجاز الشائع بذكر المسبب وإرادة السبب؛ لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنباً، كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم، فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان، والحسنة تذهب السيئة، فإذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر للشيء بسبب ذكر الله تعالى، والله أعلم.

من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة وسورة كذا وكذا.

حدثنا[(٦)] عمر بن حفص بن غياث، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن علقمة وعبد الرحمٰن بن يزيد، عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه».

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمٰن بن يزيد.

---

(١) في «فضائل القرآن» (٩/ ٨٧).

(٢) في «كتاب الدعوات» (١١/ ١٣٦)؛ وأخرجه مسلم (٧٨٨/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٣) كذا في «الأصول» وليست هذه اللفظة في «البخاري» من حديث أبي أسامة عن هشام، ووقعت في رواية علي بن مسهر.

(٤) مرّ تخريجه في باب: «استذكار القرآن وتعاهده».

(٥) ساقط من (ج).

(٦) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٨٧)؛ وأخرجه أيضاً في «الفضائل» (٩/ ٥٥) باب: فضل سورة البقرة من طريق شعبة، عن الأعمش به؛ وأخرجه أيضاً ومسلم (٧٠٨/ ٢٥٥).

وصاحبا الصحيح[(١)] والنسائي وابن ماجه من حديث علقمة، كلاهما عن أبي مسعود (عقبة)[(٢)] بن عمرو الأنصاري البدري.

الحديث الثاني:[(٣)] ما رواه من حديث الزهري عن عروة، عن المسور وعبد الرحمٰن بن عبد القارئ، كلاهما عن عمر قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتي.

الحديث الثالث: ما رواه من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، سمع رسول الله ﷺ قارئاً يقرأ من الليل في المسجد فقال: (يرحمه)[(٤)] الله (لقد)[(٥)] أذكرني كذا وكذا آيةً، كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا.

وهكذا في «الصحيحين»[(٦)] عن ابن مسعود أنه كان يرمى الجمرة من الوادي ويقول: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

وكره بعض السلف ذلك، ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، كما جاء وتقدم من رواية يزيد[(٧)] الفارسي، عن ابن عباس، عن عثمان أنه قال: إذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله ﷺ: «اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

ولا شك أن هذا أحوط وأولى، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة في الآخرة، وعليه عمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق.

الترتيل في القراءة

وقوله ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وما يكره أن يهذ كهذ الشعر.

(يفرق)[(٨)]: يفصل، قال ابن عباس: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ فصلناه.

حدثنا[(٩)] أبو النعمان، حدّثنا مهدي بن ميمون، حدّثنا واصل، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: غدونا على عبد الله فقال رجل: قرأت المفصل البارحة، فقال: هذا كهذ الشعر؟ إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القراءات اللاتي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشرة سورةً من المفصل، وسورتين من آل حم.

ورواه مسلم، عن شيبان بن فروخ، عن مهدي بن ميمون، عن واصل وهو ابن حيان الأحدب، عن أبي وائل، عن شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود به.

---

(١) معطوف على قوله: «وأخرجه».
(٢) في (أ): «عتبة» بالتاء وهو تصحيف.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) في (أ): «رحمه».
(٥) ساقط من (أ).
(٦) أخرجه البخاري (٣/ ٥٨٠، ٥٨١)؛ ومسلم (١٢٩٦/ ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩).
(٧) سبق تخريجه وذكرنا هناك أنه حديث منكر، والله أعلم.
(٨) في «الصحيح»: «فيها يفرق».
(٩) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٨٨)؛ وأخرجه مسلم (٨٢٢/ ٢٧٨).

وقال الإمام[١] أحمد: حدّثنا قتيبة، حدّثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن زياد بن نعيم، عن مسلم بن مخراق، عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرؤون القرآن في الليل مرةً أو مرتين، فقالت: أولئك قرأوا ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآيةٍ فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه.

الحديث الثاني: حدثنا[٢] قتيبة، حدّثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة] كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه.

وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه.

وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا (سرعة)[٣] مفرطة بل بتأمل وتفكر.

قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

وقال الإمام أحمد[٤]: حدثنا عبد الرحمٰن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها».

وقال أبو عبيد[٥]: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قرأ علقمة على عبد الله فكأنه عجل، فقال عبد الله: فداك أبي وأمي، رتل فإنه زين القرآن.

---

(١) في «مسنده» (٦/ ٩٢، ١١٩)؛ وأخرجه ابن المبارك في «مسنده» (٥٧)؛ وأحمد بن منيع، كما في «المطالب العالية» (١/ ١٤٢)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص٦٧)؛ وأبو يعلى (ج٨/رقم ٤٨٤٢)؛ وعنه أبو الشيخ في «الأخلاق» (٥٣٨)؛ والفريابي في «فضائل القرآن» (١١٦)؛ والبيهقي (٢/ ٣١٠) من طريق ابن لهيعة بسنده سواء.

وقد رواه عن ابن لهيعة ابن المبارك من قدماء أصحابه وقد تابعه يحيى بن أيوب، عن الحارث بن يزيد بسنده سواء.

أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٧)؛ والفريابي (١١٧)؛ والبيهقي (٢/ ٣١٠) ولكن مسلم بن مخراق ترجمه البخاري في «الكبير» (٤/ ١/ ٢٧١)؛ وابن أبي حاتم (٤/ ١/ ١٩٤) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً؛ أما ابن حبان فذكره في «الثقات» (٥/ ٣٩٧) على قاعدته في توثيق المجاهيل!

(٢) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٨٨)؛ وأخرجه أيضاً في (١/ ٢٩، ٨/ ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ١٣/ ٤٩٩)؛ وأخرجه مسلم (٤٤٨/ ١٤٧، ١٤٨)

(٣) في (أ): «بسرعة».

(٤) في «مسنده» (٢/ ١٩٢) وسنده حسن لأجل عاصم بن أبي النجود؛ وأخرجه النسائي في «الفضائل» (٨)؛ والترمذي (٥/ ١٧٨)؛ وابن حبان (١٧٩٠) من طريق عبد الرحمٰن بن مهدي عن الثوري به؛ وأخرجه أبو داود (١٤٦٤)؛ والترمذي (٢٩١٤)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩٨)؛ والبيهقي في «سننه» (٢/ ٥٣)؛ والحاكم «١/ ٥٥٢، ٥٥٣»؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٣٥) من طريق عن الثوري؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي! وله شواهد عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(٥) في «فضائل القرآن» (ص٧٤).

قال: وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن.

وحدثنا[١] إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن (أبي جمرة)[٢] قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول.

وحدثنا[٣] حجاج، عن شعبة وحماد بن سلمة، عن أبي (جمرة)[٤]، عن ابن عباس نحو ذلك، إلا أن في حديث حماد: «أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمةً».

ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

مد القراءة

حدثنا[٥] مسلم بن إبراهيم، حدّثنا جرير بن حازم الأزدي، حدّثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك، عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمد مداً.

وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به.

حدثنا عمرو بن عاصم، حدّثنا همام، عن قتادة قال: سئل أنس بن مالك: كيف كان قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمٰن الرحيم) يمد ببسم الله ويمد بالرحمٰن ويمد بالرحيم.

انفرد به البخاري[٦] من هذا الوجه.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٧٤)؛ وأخرجه الآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٩)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢/٣٩٦)؛ وفي «الشعب» (١٨٨٢) من طريق الحسن بن محمد الزعفراني، قال: نا ابن علية بسنده سواء. وإسناده صحيح.

(٢) في (ح): «أبي حمزة» بالحاء المهملة والزاي، وهو يروى أيضاً عن ابن عباس ولكن الذي يروي هذا الأثر هو أبو جمرة بالجيم والراء المهملة.

(٣) أبو عبيد (ص٧٤)؛ وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢/٣٩٦ و٣/١٣)؛ وفي «الشعب» (ج٥/رقم ١٩٧١، ١٩٧٢) من طريق حماد وشعبة كلاهما عن أبي جمرة، قال: قلت لابن عباس: إني رجل سريع القراءة، فربما قرأت القرآن في ليلة مرةً أو مرتين! فقال ابن عباس: لأن أقرأ بسورة واحدة أعجب إلي من أن أفعل مثل الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً لا بد، فاقرأه قراءةً تسمع أذنيك ويعيه قلبك.
لفظ حديث شعبة، وإسناده صحيح؛ وأخرج ابن المبارك في «الزهد» (١١٩٣)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (ج٢/رقم ٤١٨٧) من طريق معمر، عن أبي جمرة نحوه.
ووقع عند البيهقي في «الكبرى»: «أبو حمزة»!!

(٤) في (ح): «أبي حمزة» بالحاء المهملة والزاي، وهو يروى أيضاً عن ابن عباس ولكن الذي يروي هذا الأثر هو أبو جمرة بالجيم والراء المهملة.

(٥) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/٩١).

(٦) في «فضائل القرآن» (٩/٩١)؛ وأخرجه ابن المظفر في «غرائب شعبة» (١١٣)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/٤٨١)؛ وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/٣٧٦)؛ وابن أبي داود، كما في «الفتح» (٩/٩١)؛ والدارقطني (١/٣٠٨)؛ وابن حبان (٦٣١٧) من طريق عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى وجرير بن حازم عن قتادة، عن أنسٍ به.

وفي معناه الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد(١).

حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبد الله بن المبارك، عن الليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ مفسرةً حرفاً حرفاً.

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل، عن يحيى بن إسحاق، وأبو داود، عن يزيد بن خالد الرملي والترمذي والنسائي، كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به.

وقال الترمذي: «حسن صحيح».

ثم قال أبو عبيد(٢): وحدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة].

وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن جريج.

وقال الترمذي: «غريب وليس إسناده بمتصل».

يعني أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم يسمعه من أم سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم، والله تعالى أعلم.

الترجيع

حدثنا(٣) آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مغفل قال: رأيت النبي ﷺ وهو على ناقته ـ أو جمله ـ يسير به وهو يقرأ سورة الفتح ـ أو من سورة الفتح ـ قراءةً لينةً وهو يرجع.

وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة، وأنه من المتفق عليه، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح.

وأما الترجيع فهو الترديد في الصوت، كما جاء أيضاً في البخاري أنه جعل يقول: آآآ وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته، فدل على جواز التلاوة عليه وإن أفضى إلى ذلك.

ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف بل ذلك مغتفر للحاجة كما يصلي على الدابة حيث توجهت به مع إمكان تأخير ذلك، والصلاة إلى القبلة، والله أعلم.

---

(١) في «فضائل القرآن» (ص٧٤)؛ وأخرجه أبو داود (١٤٦٦)؛ والنسائي (٢/ ١٨١)، وفي «فضائل القرآن» (٨٢)؛ والترمذي (٢٩٢٣)؛ وفي الشمائل (٣٠٧)؛ والبخاري في «خلق الأفعال» (١٧١، ١٧٢)؛ وأحمد (٦/ ٢٩٤، ٣٠٠)؛ وابن خزيمة (ج٢/رقم ١١٥٨)؛ وصححه الحاكم (١/ ٣٠٩، ٣١٠) على شرط مسلم ووافقه الذهبي وليس كما قالا؛ لأن يعلى بن مملك لم يخرج له مسلم ثم فيه جهالة ولم يرو عنه إلا ابن أبي مليكة وقد اختلف في إسناده كما يأتي.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص٧٥)؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٣/رقم ٦٠٣)؛ وأبو عمرو الداني في «الوقف والابتداء» (ص١١٠، ١١١) عن أبي عبيد به وأخرجه أبو داود (٤٠٠١)؛ والترمذي (٢٩٢٧)؛ وفي «الشمائل» (٣٠٩)؛ وأحمد (٦/ ٣٠٢، ٣٢٣) وغيرهم من طريق يحيى بن سعيد الأموي بسنده سواء وضعفه الترمذي بالانقطاع وأصاب في ذلك لما ذكرته في «تسلية الكظيم» والله أعلم.

(٣) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٢) وقد مر تخريجه.

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا[١] محمد بن خلف أبو بكر، حدثنا (أبو)[٢] يحيى الحماني، حدّثنا (بريد)[٣] بن عبد الله بن أبي بردة، عن جده أبي بردة، عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود».

وهكذا رواه الترمذي، عن موسى بن عبد الرحمٰن الكندي، عن أبي يحيى الحماني واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمٰن، وقال: «حسن صحيح».

وقد رواه مسلم من حديث طلحة (بن يحيى بن طلحة)[٤]، عن أبي بردة، عن أبي موسى وفيه قصة.

وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخاري: من لم يتغن بالقرآن، وذكرت هناك أحكاماً أغنى عن إعادتها ههنا، والله تعالى أعلم.

من أحب أن يسمع القراءة من غيره

حدثنا[٥] عمر بن حفص بن غياث، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري».

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش، وله طرق يطول بسطها،وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة (بن يحيى بن طلحة)[٦] عن أبي بردة، عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له: «يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة» فقال: أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً[٧].

وقال الزهري، عن أبي سلمة: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكّرنا ربنا يا أبا موسى[٧]، فيقرأ عنده.

وقال أبو عثمان النهدي: كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت: إني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئاً قذ أحسن من صوته[٧].

قول المقرئ للقارئ: حسبك

حدثنا[٨] محمد بن يوسف، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال:

---

(١) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٢) وقد مر تخريجه.
(٢) ساقط من (أ). (٣) في (أ): «يزيد».
(٤) ساقط من (ج).
(٥) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٣، ٩٤، ٩٨)؛ وأخرجه مسلم (٨٠٠/ ٢٤٧).
(٦) سقط من سياق (ج) واستدركته من الحاشية. (٧) تقدم تخريج هذه الأخبار.
(٨) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٤).

«نعم» فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الأعمش به.

ووجه الدلالة ظاهر.

وكذا الحديث الآخر: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا»[١].

في كم يقرأ القرآن؟
وقول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾

حدثنا[٢] علي، حدثنا سفيان قال: قال لي ابن شبرمة: نظرت كم يكفي الرجل من القرآن؟ فلم أجد سورةً أقل من ثلاث آيات. فقلت: لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات.

قال سفيان[٣]: أخبرنا منصورٌ عن إبراهيم، عن عبد الرحمٰن بن يزيد أخبره علقمة، عن أبي مسعود فلقيته وهو يطوف بالبيت، فذكر النبي ﷺ أن: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه.

وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمٰن بن يزيد وعلقمة، عن أبي مسعود، وهو صحيح؛ لأن عبد الرحمٰن سمعه أولاً من علقمة، ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه.

وعلي هذا هو ابن المديني وشيخه: سفيان بن عيينة، وما قاله عبد الله بن (شبرمة)[٤] فقيه الكوفة في زمانه استنباط حسن.

وقد جاء في حديث في «السنن»[٥]: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات» ولكن هذا الحديث أعني حديث أبي مسعود أصح وأشهر وأخص، ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري[٦] فيه نظر، والله أعلم.

---

(١) يأتي تخريجه. (٢) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٤).

(٣) قائل ذلك هو علي ابن المديني، ووقع هذا صريحاً في سائر روايات «الصحيح»، إلا رواية أبي ذر، فلم يذكر علي ابن المديني، والله أعلم.

(٤) في (أ): «الكوفة»!!

(٥) كذا قال ابن كثير ﷺ: «السنن» وهذا يعني الأربعة، ولم أجد الحديث فيها ولا في أحدها، إنما أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٦٨٧) من طريق عمر بن يزيد المدائني، عن عطاء، عن ابن عمر مرفوعاً: «لا تجزئ في المكتوبة إلا بفاتحة الكتاب، وثلاث آيات فصاعداً».
وأخرجه ابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ٤١٩) من طريق ابن عدي وقال: «هذا حديث لا يصح، ومحمد بن معاوية قال محمد بن عبد الله الحضرمي، لا نريده كان واقفياً. وعمر بن يزيد انفرد بما لا يرويه غيره». اهـ والصواب إعلاله بعمر بن يزيد، فقد قال ابن عدي: «منكر الحديث».
وما أورده ابن عدي في ترجمته يدل على وهائه. والله أعلم.

(٦) كذا قال المصنف ﷺ، وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٩٥) فقال: «وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير، والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من =

والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله:

حدثنا[١] موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأةً ذات حسب، فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه. فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «القني به» فلقيته بعد فقال: «كيف تصوم؟» قال: كل يوم. قال: «كيف تختم؟». قال: كل ليلة، قال: «صم كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر» قال: قلت: إني أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة» قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «أفطر يومين وصم يوماً» قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم، أفضل الصوم صوم داود: صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرةً» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ.

وقال[٢] بعضهم: في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع.

وقد رواه في «الصوم»[٣]، والنسائي أيضاً عن بندار، عن غندر، عن شعبة، عن مغيرة، والنسائي من حديث حصين، كلاهما عن مجاهد به.

ثم روى البخاري[٤] ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن عبد الرحمٰن مولى (بني زهرة)[٥]، عن أبي سلمة قال: وأحسبني سمعت أنا من أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر» قلت: إني أجد قوةً، قال: «فاقرأ في سبع، ولا تزد على ذلك».

فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع.

وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد[٦].

حدثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة، عن حبان بن واسع، عن

= حديث أبي مسعود، والجامع بينهما أن كلاً من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة». اهـ.

(١) البخاري في «فضائل القرآن» (٩/ ٩٤، ٩٥). (٢) القائل هو البخاري.

(٣) (٤/ ٢٢٤)؛ وأخرجه النسائي (٤/ ٢٠٩، ٢١٠)؛ وفي «فضائل القرآن» (٩١) وآخرون تقدم ذكرهم.

(٤) أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٥)؛ ومسلم (١١٥٩/ ١٨٤)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٩٦ و٤/ ٢٩٩)؛ وفي «الشعب» (ج٥/ رقم ٩٧٥).

(٥) في (أ): «أبي هريرة»!

(٦) في «فضائل القرآن» (ص٨٧)؛ وأخرجه يعقوب الفسوي في «التاريخ» (١/ ٢٩٨)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٠٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٨/ رقم ٨٧٧) من طرق عن ابن لهيعة، حدثني حبان بن واسع، عن أبيه، عن قيس بن أبي صعصعة فذكره.
قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٦٩): «فيه ابن لهيعة، وفيه كلام».
قلت: وقد اضطرب في إسناده كما يأتي إن شاء الله تعالى، وقد ذكر ابن السكن، كما في «الإصابة» (٥/ ٤٧٩)، أن ابن لهيعة تفرد به.

أبيه، عن قيس بن صعصعة أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: «في كل خمس عشرة» قال: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: «ففي كل جمعة».

وحدثنا[١] حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان ـ رجل من أهل الكوفة ـ قال: سمعت عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود يقول: كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة.

وعن[٢] حجاج، عن شعبة، عن أيوب، سمعت أبا قلابة، عن (أبي المهلب)[٣] قال: كان أُبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان، وكان[٤] تميم الداري يختمه في كل سبع.

وحدثنا[٥] هشيم، عن الأعمش، عن إبراهيم [٦][(أنه كان يقرأ القرآن في كل سبع.

حدثنا[٧] جرير، عن منصور، عن إبراهيم)][٦] قال: كان الأسود يختم القرآن في كل ست.

وكان علقمة يختمه في كل خمس، فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمر في ذلك جلياً، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك، كما:

---

(١) أبو عبيد في «الفضائل» (ص٨٧) ويأتي الكلام عليه قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢) أبو عبيد في «الفضائل» (ص٨٨)؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج٣/رقم ٥٩٤٩)؛ وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (١٢٠٩)؛ وابن سعد (٣/ ٥٠٠)؛ والفريابي في «فضائل القرآن» (١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٥٦)؛ وأبو عمرو الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص٣٢٣) من طرق عن أيوب السختياني، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن أُبي بن كعب فذكره. وهذا سند ظاهره الصحة، وقد صرح أبو المهلب بالسماع من أُبي بن كعب في رواية معمر بن راشد والثوري عن أيوب وكلاهما من الثقات الأثبات، ولكن قال شعبة: «أبو المهلب لم يسمع من أُبي بن كعب». كذا في «المراسيل» (ص١٤٣)؛ لابن أبي حاتم، وزاد في «مقدمة الجرح والتعديل» (ص١٢٩)، «أبو المهلب لم يسمع من أبي حديثه أنه كان يقرأ القرآن في ثمان» ومثل هذا النفي الخاص يقدَّم على مطلق القول بالسماع عند بعض العلماء، فلعل الثوري ومعمراً حفظاً ما لم يحفظه شعبة، والعبرة في إثبات السماع بالأسانيد الصحيحة، إذ لعل النافي لم يطلع على مثل هذا الإسناد، أو وقع له الإسناد بواسطة بينهما، فإذا رآه مرةً بغير واسطة جزم بالانقطاع، والذي عندي أن الإسناد صحيح ما لم يقع التصحيف في الكتاب. والله أعلم. وقد خولف أيوب. خالفه خالد الحذاء فرواه عن أبي قلابة، قال: كان أُبي بن كعب يختم في كل ثمانٍ.. أخرجه أبو عبيد (ص٨٨) وعنه أبو عمرو الداني في «البيان» (ص٣٢٥) من طريق علي بن عاصم، عن خالد. وقد توبع علي بن عاصم. تابعه هشيم، عن خالد الحذاء أخرجه أبو عمرو الداني أيضاً وخالفهما وهيب فرواه عن خالد عن أبي قلابة عن أبي المهلب عن أُبي بن كعب أخرجه الفريابي في «الفضائل» (١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٥)؛ ومسلم (١١٥٩/ ١٨٤).

(٤) أخرجه أبو عبيد (ص٨٨)؛ وأبو عمرو الداني في «البيان» (ص٣٢٥)؛ والفريابي (١٣٦).

(٥) أخرجه أبو عبيد (ص٨٨)، وعنه الداني (ص٣٢٨٨) وسنده صحيح.

(٦) ساقط من (أ).

(٧) أخرجه أبو عبيد (ص٨٨)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٥٠١)؛ والفريابي (١٣٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٩٩، ١٠٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢٠٠٠)؛ وأبو عمرو الداني (ص٣٢٦، ٣٢٧)؛ وابن حبان في «الثقات» (٤/ ٣١) من طرق عن منصور، عن إبراهيم. وسنده صحيح. وتابعه الأعمش عن إبراهيم به. أخرجه الداني (ص٣٢٧).

رواه الإمام أحمد في «مسنده»[(١)]، حدثنا حسن، حدّثنا ابن لهيعة، حدثنا حبان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: «نعم» قال: فكان يقرؤه حتى توفي.

وهذا إسناد جيد قوي (حسن[(٢)]، فإن) حسن (ابن[(٣)] موسى) الأشيب ثقة متفق على جلالته، روى له الجماعة وابن لهيعة، إنما يخشى من تدليسه أو سوء حفظه، وقد صرح ههنا بالسماع، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم، والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة، وهذا على شرط كثير منهم، والله أعلم.

وقد رواه أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن ابن بكير، عن ابن لهيعة، عن حبان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: «نعم إن استطعت» قال: فكان يقرؤه كذلك حتى توفي.

حديث آخر: قال أبو عبيد[(٤)]: حدثنا يزيد، عن همام، عن قتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث».

وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به.

وقال الترمذي: «حسن صحيح».

حديث آخر: قال أبو[(٥)] عبيد، حدثنا يوسف بن الغرق[(٦)]، عن الطيب بن سلمان قال: حدثتنا عمرة بنت عبد الرحمٰن أنها سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث.

---

(١) سقط هذا الحديث من «المسند» المطبوع، وقد ذكره الحافظ في «أطراف المسند» (٢/ ٤٦٥) وكذا عزاه الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٦٨) إلى أحمد؛ وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٧٤)؛ وأبو عبيد (ص٨٨)؛ والفريابي (١٢٨) كلاهما في «فضائل القرآن»؛ والطبراني في «الكبير» (ج٦/رقم ٥٤٨١)؛ والداني في «البيان» (ص٣٢٦) من طريق عن ابن لهيعة بسنده سواء. وقد أجاب المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن لهيعة فقال: وابن لهيعة إنما يخشى من تدليسه أو سوء حفظه وقد صرح هاهنا بالسماع، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية.اهـ فلم يجب ابن كثير على اتهامه بسوء الحفظ إلا بقوله: هو من أئمة العلماء، وهذا لا يعني أنه حافظ ثبت، فكم من عالم فقيه وصالح ديِّن لم يقبل العلماء روايته لخفة ضبطه، وهذا الحديث قد اضطرب فيه ابن لهيعة في تسمية صحابي الحديث، وإن كان الأشبه أنه «سعد بن المنذر» لرواية ابن المبارك وهو من قدماء أصحاب ابن لهيعة. فالله أعلم.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ج): «ابن أبي موسى»!!

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٨٩)؛ وأخرجه أبو داود (١٣٩٠، ١٣٩٤)؛ والترمذي (٢٩٤٩)؛ والنسائي في «الفضائل» (٩٢)؛ وابن ماجه (١٣٤٧)؛ والدارمي (١/ ٢٨٩)؛ وأحمد (٦٥٣٥، ٦٥٤٦، ٦٧٧٥)؛ والطيالسي (٢٢٧٥)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٠، ٥٠١)؛ وابن حبان (٧٥٨)؛ والفريابي (١٤٢ ـ ١٤٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ١٩٨١)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٦٥) من طرق عن قتادة بسنده سواء وقد اختلف في إسناده وهذا أرجح الوجوه والله أعلم ومن ثم صححه الترمذي.

(٥) في «الفضائل» (ص٨٨، ٨٩). وشيخ أبي عبيد: «يوسف بن الغرق» كذبه أبو الفتح الأزدي، وقال أبو علي الحافظ «منكر الحديث» ووثقه ابن حبان، ومشاه ابن عدي (٧/ ٢٦٢٥) ولينه أبو حاتم الرازي.

(٦) الغرق: بالغين المعجمة والقاف بينهما راء مكسورة. وانظر: «تبصير المنتبه» (٣/ ١٠٤١).

هذا حديث غريب جداً وفيه ضعف، فإن الطيب بن سلمان هذا بصري ضعفه الدارقطني وليس هو بذاك المشهور، والله أعلم.

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث، كما هو مذهب (أبي عبيد)[١] وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضاً.

قال أبو عبيد[٢]، حدثنا يزيد، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية، عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. صحيح.

وحدثنا[٣] يزيد، عن سفيان، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة قال عبد الله: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز.

وحدثنا[٤] حجاج، عن شعبة، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله مثله (سواء)[٥].

وحدثنا حجاج[٦]، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان، عن (عبد الرحمٰن بن)[٧] عبد الله بن مسعود، عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث.

إسناد صحيح.

[٨][وفي «المسند»[٩] عن عبد الرحمٰن بن شبل مرفوعاً: «اقرأوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به»][٨].

---

(١) في (ج): (أبو عبيد) على حكاية الحال.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص٨٩). وأخرجه أبو عمرو الداني في «البيان» (ص٣٢٥، ٣٢٦) من طريق سفيان، عن هشام، عن أم الهذيل عن أبي العالية، عن معاذ أنه كان يقرأه في ثلاث.
ووقع في «الكتاب»: «أم البديل» وهو تصحيف. وأم الهذيل هي حفصة بنت سيرين، وقد صحَّحه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن نقل ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٥٨) عن شعبة أنه قال: «قد أدرك أبو العالية رفيع بن مهران علي بن أبي طالب ولم يسمع منه شيئاً» وقد قتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في رمضان سنة أربعين، ومات معاذ بن جبل رضي الله عنه سنة ثماني عشرة في خلافة عمر، وقد أدرك أبو العالية الجاهلية، فإدراكه لمعاذ صحيح، والله أعلم.

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص٨٩).

(٤) يأتي تخريجه في آخر كتاب «فضائل القرآن».

(٥) ساقط من (أ).

(٦) أخرجه أبو عبيد (ص٨٧)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٥٥)؛ والفريابي (١٣٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٧٠٦)؛ وابن أبي داود، وأبو عمرو الداني في «البيان» (ص٣٢٥) من طرق عن شعبة، عن محمد بن ذكوان، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه. وأخرجه البخاري في «التاريخ» (١/ ١/ ٧٨) من هذا الوجه بلفظ: «كان عبد الله يختم في جمعة».
وقد صحح إسناده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قال الذهبي: «محمد بن ذكوان ما روى عنه غير شعبة» فهذا يعني أنه مجهول، وقد تبع الذهبي ابن أبي حاتم في هذا، وقد وقع لابن أبي حاتم خلط فنقل ما قيل في محمد بن ذكوان بياع الأكيسة، نقله في محمد بن ذكوان خال والد حماد بن زيد وهذا ضعيف، وذاك وثقه ابن معين وابن حبان وقال شعبة: «كان كخير الرجال»، فالصواب أن إسناد الحديث حسن والله أعلم.

(٧) ساقط من (أ).

(٨) ساقط من (أ) و(ط).

(٩) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٤)؛ وأبو يعلى (ج٣/ رقم ١٥١٨)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٣٨٣) من طرق =

[1][فقوله: «لا تغلوا فيه»؛ أي: لا تبالغوا في تلاوته بسرعة في أقصر مدة، فإن ذلك ينافي التدبر غالباً، ولهذا قابله بقوله: «ولا تجفوا عنه»؛ أي: لا تتركوا تلاوته][1].

فَصْلٌ

وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك، منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال أبو عبيد[2] رحمه الله: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلاً سأل عبد الرحمٰن بن عثمان التيمي، عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضي الله عنه، فقال: نعم، قال: قلت: لأغلبن الليلة على الحجر فقمت، فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمني، فنظرت فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتأخرت عنه فصلى، فإذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت: هذه هوادي الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها.

وهذا إسناد صحيح.

ثم قال[3]: حدثنا هشيم، أنا منصور، عن ابن سيرين قال: قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن.

وهذا حسن.

وقال[4] أيضاً: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم بن سليمان، عن ابن سيرين أن تميماً الداري قرأ القرآن في ركعة.

حدثنا[5] حجاج، عن شعبة، عن حماد، عن سعيد بن جبير أنه قال: قرأت القرآن في ركعة في البيت؛ يعني: الكعبة.

= عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده أبي سلام، عن أبي راشد، عن عبد الرحمٰن بن شبل... فذكره. وسنده صحيح وقد اختلف في إسناده وهذا أثبت الوجوه.

(١) ساقط من (أ) و(ط).

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٩٠)؛ وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٣/رقم ٤٦٥٣) من طريق ابن جريج بسنده سواء. وصحح المؤلف سنده وهو كما قال، ولكن ليس في هذه الرواية دلالة على أن عثمان رضي الله عنه ختم القرآن في ركعة، بل فيها عكسه، فهي تدل بجلاء على أنه صلى أكثر من ركعة لكنه أوتر بواحد لم يصل غيرها، ولو أنه أثبت بدلها رواية ابن المنكدر عن عبد الرحمٰن بن عثمان لكان أولى من هذه في مقام الاحتجاج، وقد سقت لفظها مع طرق أخرى في «تسلية الكظيم» فللّه الحمد.

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص٩٠، ٩١)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٦٧) قال: حدثنا هشيم بإسناده سواء؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٣) أيضاً؛ وابن سعد (٣/ ٧٥، ٧٦)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٧٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١/ رقم ١٣٠)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٧) من طرق عن ابن سيرين فذكره.

(٤) أخرجه أبو عبيد (ص٩١)؛ وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٧٧)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٢)، وعنه ابن حبان في «الثقات» (٣/ ٤٠)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢٥)؛ وفي «الشعب» (ج٥/رقم ١٩٩٤) من طريق عاصم الأحول بسنده سواء.

(٥) أبو عبيد في «الفضائل» (ص٩١)؛ وأخرجه ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٧٦) عن وكيع؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٣٤٨) من طريق أبي نعيم؛ وابن سعد (٦/ ٢٥٩)، حدثنا يزيد بن هارون جميعاً عن =

وحدثنا[١] جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة، طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده [٢][فقرأ بالطول، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده][٢]، فقرأ بالمئين، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام. فصلى عنده فقرأ بالمثاني، ثم طاف باليت أسبوعاً، ثم أتى المقام. فصلى عنده فقرأ بالمثاني، ثم طاف بالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن.

وهذه كلها أسانيد صحيحة.

ومن أغرب ما ههنا ما رواه أبو[٣] عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ، حدثنا سعيد بن غفير، عن بكر بن مضر أن سليم بن عتر التجيبي كان يقرأ القرآن في ليلة ثلاث مرات، ويجامع ثلاث مرات، قال: فلما مات قالت امرأته: رحمك الله إن كنت لترضى ربك وترضي أهلك، قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح.

قلت: كان سليم بن عتر تابعياً جليلاً ثقةً نبيلاً وكان قاضياً بمصر أيام معاوية وقاصها.

قال أبو حاتم[٤]: روى عن أبي الدرداء وعنه ابن زحر.

ثم قال: حدثني محمد بن عوف، عن أبي صالح كاتب الليث، حدثني حرملة بن عمران، عن كعب بن علقمة قال: كان سليم بن عتر من خير التابعين.

وذكره ابن يونس في «تاريخ مصر».

وقال: روى ابن أبي داود، عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء.

وعن منصور[٥] قال: كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان.

وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

قلت: وروي عن منصور[٦] بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر، ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرونها قليلاً.

= الثوري، عن حماد مثله؛ وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زواهد الزهد» (ص٣٠٧)؛ وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٧٣) من طريق إسحاق مولى عبد الله بن عمر، عن هلال بن يساف قال: دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة؛ وعلق الذهبي في «السير» (٤/ ٣٢٥) بقوله: «هذا خلاف السنة».

(١) أخرجه أبو عبيد (ص٩١)؛ وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١١/ ق٨٢٢)؛ وأخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٤٠) قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة وابن حبان في «الثقات» (٥/ ٢٠٨) عن أبي بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا جرير بسنده سواء.

(٢) ساقط من (أ)، وليس هو في «كتاب أبي عبيد» أيضاً، فالله أعلم.

(٣) في «الفضائل» (ص٩١) وهو غريب جداً، لا أصدقه فإنه لا يكاد المرء يفعل ذلك ولو قرأ القرآن هذًّا هذًّا. نعم! ذكر الذهبي في «السير» (٤/ ١٣٢) عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كله كل ليلة ثلاث مرات وسنده ضعيف.

(٤) في «الجراح والتعديل» (٢/ ١/ ٢١١، ٢١٢).

(٥) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٥/ ١٦٤، ١٦٥) من طريق ابن أبي شيبة، ثنا عبيدة بن حميد، عن منصور به وسنده صحيح.

(٦) أخرجه بحشل في «تاريخ واسط» (ص٨١)؛ وابن حبان في «الثقات» (٧/ ٤٧٤)؛ والبيهقي في «الشعب» =

وعن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يختم في اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة.

وعن أبي عبد الله البخاري صاحب «الصحيح» أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمةً.

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمٰن السلمي الصوفي قال: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات، وبالليل أربع ختمات.

وهذا نادر جداً، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه (مع)[١] هذه السرعة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الشيخ أبو زكريا النواوي في كتابه «التبيان»[٢] بعد ذكر طرف مما تقدم: والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة.

ثم قال البخاري[٣] رَحِمَهُ اللهُ:

البكاء عند قراءة القرآن

وأورد فيه من رواية الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ قال لي: «كف أو أمسك» (فرأيت)[٤] عينيه تذرفان.

وهذا من المتفق عليه كما تقدم، وكما سيأتي إن شاء الله.

من[٥] راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به

حدثنا[٦] محمد بن كثير، أنا سفيان، حدّثنا الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة، عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان

= (ج٥/رقم ١٩٩٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٥٧، ٥٨) من طريق هشام بن حسان ويزيد بن هارون عن منصور.

(١) في (ج): «في».

(٢) (ص٧٦).

(٣) في «فضائل القرآن» (٩/٨٩) وتقدم تخريجه.

(٤) في (أ): «فإذا».

(٥) الذي في «البخاري»: «باب إثم من راءى... إلخ».

(٦) البخاري في «الفضائل» (٩/٩٩)؛ وأخرجه البخاري أيضاً في «المناقب» (٦/٦١٨)، وفي «استتابة المرتدين» (٢/٢٨٣)؛ ومسلم (١٠٦٦).

سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة».

وقد روى في موضعين آخرين، ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الأعمش به.

حدثنا[١] عبد الله بن يوسف، حدّثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق».

ورواه في موضع آخر ومسلم أيضاً والنسائي من طرق عن الزهري، عن أبي سلمة به.

وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة به.

حدثنا[٢] مسدد بن مسرهد، حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن أبي موسى ﵁، عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به، كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر ـ أو خبيث ـ وريحها مر».

ورواه في «مواضع أخر» مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به.

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب، كما جاء في الحديث[٣]:

«واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه» يعني القرآن. والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم.

وقد قال في الرواية الأخرى: «يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم، وصلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم».

ومع هذا أمر بقتلهم؛ لأنهم مراءون في أعمالهم في نفس الأمر وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح، فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله:

---

(١) البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٩).

(٢) البخاري في «الفضائل» (٩/ ١٠٠)؛ وأخرجه مسلم (٧٩٧/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩/ ١٠٠)، وأخرجه مسلم (٧٩٧/ ٢٤٣)، وأبو داود (٤٨٣٠)، والنسائيُّ في «فضائل القرآن» (١٠٦) وابن ماجه (٢١٤)، وأحمد (٤/ ٤٠٨)، والفريابي في «صفة المنافق» (٤٠)، والشجري في «الأمالي» (١/ ٨٣) من طرقٍ عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، عن أبي موسى به، ورواه همام بن يحيى، وأبو عوانة، وأبان بن يزيد العطار، وسعيد بن أبي عروبة ومعمر بن راشد وأبو هلال الراسبي جميعاً عن قتادة. وقد ذكرت أحاديثهم في «التسلية».

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة].

وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله (تعالى)[1][2].

والمنافق المشبه بالريحانة (التي)[3] لها ريح ظاهر وطعمها مر: هو المرائي بتلاوته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

ثم قال البخاري:

اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم

حدثنا[4] أبو النعمان (محمد بن الفضل عارم)[5]، حدّثنا حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه».

حدثنا عمرو بن علي (بن بحر الفلاس)[6]، حدّثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدّثنا سلام بن أبي مطيع، عن أبي عمران الجوني، عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا»[7] [عنه].

تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد، عن أبي عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان.

وقال غندر، عن شعبة، عن أبي عمران قال: سمعت جندباً قوله.

وقال ابن عون، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر قوله، وجندب أكثر وأصح.

وقد رواه في مواضع أخر ومسلم، كلاهما عن إسحاق بن منصور، عن عبد الصمد، عن همام، عن أبي عمران به.

---

(١) من (أ) و(ط).

(٢) هذا حديث ضعيفُ الإسناد أخرجه أحمد (٥/٢٦٨)، والترمذيُّ (٢٩١١)، وابن نصر في «قيام الليل» (ص٤١، ٤٢، ١٢٢)، وفي «تعظيم قدر الصلاة» (١٧٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٨ ـ الرد على الجهمية)، والخطيبُ (٧/٨٨، ١٢/ ٢٢٠) من حديث أبي أمامة واستغربه الترمذي وقد اختلف في سنده فمرة عن أبي أمامة، ومرة عن جبير بن نوفل، ومرة عن أبي ذر ومرة عن عقبة بن عامرة، ومرة عن جبير بن نفير مرسلاً، فهو حديث مضطربٌ لا يصح كما قال الإمام البخاري في «خلق أفعال العباد» (٥٠٩)، والله أعلم.

(٣) في (ج): «إلى».

(٤) البخاري في «الفضائل» (٩/ ١٠١)؛ ومن طريقه أبو بكر الكلاباذي في «معاني الأخبار» (١/٢٢٣)؛ وأخرجه أيضاً في «الاعتصام» (١٣/ ٣٣٥، ٣٣٦)؛ ومسلم (٤/٢٦٦٧).

وقد اختلف في هذا الحديث وقفاً ورفعاً، واختلف أيضاً في صاحبي الحديث والصواب ما رجحه الإمام البخاري رحمه الله أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعاً، وقد أشبعت المقام تحريراً في «تسلية الكظيم» فللّه الحمد.

(٥) كذا وقع في «الأصول»: الاسم واللقب، والذي في «الصحيح» الكنية حسب، فهي زيادة من المصنف، وكذا الترضي على الصحابي ليس في «الصحيح».

(٦) ليس في «الصحيح».

(٧) في «الصحيح»: «فقوموا عنه».

ومسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى، عن الحارث بن عبيد أبي قدامة، عن أبي عمران (به)[١].

ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن سعيد بن حبان بن هلال، عن أبان العطار، عن أبي عمران به مرفوعاً.

وقد حكى البخاري أن أبان وحماد بن سلمة لم يرفعاه، فالله أعلم.

ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن إبراهيم، عن هارون بن موسى الأعور النحوي، عن أبي عمران به.

ورواه النسائي أيضاً من طرق عن سفيان، عن الحجاج بن قرافصة، عن أبي عمران به مرفوعاً.

وفي رواية: عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، عن أبيه، عن سفيان، عن حجاج، عن أبي عمران، عن جندب موقوفاً.

ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن إسحاق بن الأزرق، عن عبد الله بن عون، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر قوله.

قال أبو بكر بن أبي داود: لم يخطئ ابن عون في حديث قط إلا في هذا، والصواب عن جندب.

[٢][(ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز، عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالا: حدّثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران، عن جندب مرفوعاً)][٢].

فهذا ما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار.

والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري من الأكثر والأصح أنه (عن)[٣] جندب بن عبد الله مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

ومعنى الحديث أنه ﷺ أرشد (وحض)[٣] أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعةً على تلاوته (متفكرةً)[٤] متدبرةً له لا في حال شغلها وملالها، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك.

كما ثبت في الحديث[٥] أنه قال ﷺ: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا».

وقال[٦]: «أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه صاحبه».

وفي اللفظ الآخر: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».

ثم قال البخاري[٧]: حدثنا سليمان بن حرب، حدّثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، عن

---

(١) ساقط من (أ) و(ط).
(٢) ساقط من (ج).
(٣) في (ج) و(ط): «وحظ».
(٤) في (ج): «مفكرة».
(٥) أخرجه البخاري (١/ ١٠١، ٣/ ٣٦)؛ ومسلم (٧٨٥/ ٢٢١).
(٦) أخرجه الشيخان وغيرهما، وفصلت تخريجه في «التسلية».
(٧) في «الفضائل» (٩/ ١٠١). وأخرجه أيضاً في «الخصومات» (٥/ ٧٠)، وفي «أحاديث الأنبياء» (٦/ ٥١٣، ٥١٤).

النزال بن سبرة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ أنه سمع رجلاً يقرأ آيةً (سمع)[١] النبي ﷺ (قرأ)[٢] خلافها، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبي ﷺ فقال: «كلاكما محسن فاقرآ ـ أكبر علمي قال ـ فإن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم (الله ﷻ)[٣]».

وأخرجه النسائي من رواية شعبة به.

وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه، وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمراء فيه، كما تقدم في النهي عن ذلك، والله أعلم.

وقريب من هذا ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «مسند أبيه»[٤]، حدثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمي، حدّثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش، عن عاصم، عن زر بن حبيش قال: قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن فقلنا: خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية، قال: فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيه، فقلنا له: اختلفنا في القراءة فاحمر وجه رسول الله ﷺ فقال عليّ: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما علمتم.

وهذا آخر ما أورده البخاري كَلَّلَهُ في «كتاب فضائل القرآن»، ولله الحمد والمنة.

كتاب الجامع لأحاديث شتى
تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله

فَصْلٌ

قال[٥] أحمد: حدثنا معاوية بن هشام، حدّثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال نبي الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: (اقرأ)[٦] واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجةً حتى يقرأ آخر شيء معه».

---

(١) في (أ): «سمع من النبي ﷺ خلافها».
(٢) ساقط من «الأصول» واستدركته من «الصحيح».
(٣) هذا مما زاده المصنف كَلَّلَهُ على ما في «الصحيح».
(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/ ١٠٥، ١٠٦).
وكان الأولى أن يعزوه لأحمد فقد أخرجه في «المسند» (٣٩٩٢، ٣٩٩٣) من طريق حماد بن سلمة وأبي بكر بن عياش معاً عن عاصم بسنده سواء.
وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٢)؛ وأبو يعلى (ج/٨ رقم ٥٠٥٧)؛ وابن حبان (١٧٨٣)؛ وأبو عبيد (ص٢١١)؛ والحاكم (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤) وصححه؛ والخطيب في «المبهمات» (ص٢٠٢، ٢٠٣) من طرق عن عاصم. وسنده حسن.
(٥) في «مسنده» (٣/ ٤٠)؛ وأخرجه ابن ماجه (٣٧٨٠)؛ وأبو يعلى (ج/٢ رقم ١٠٩٤، ١٣٣٨)؛ وأبو نعيم الأصبهاني في «مسانيد فراس بن يحيى» (ص١١٧، ١١٨) من طرق عن شيبان بن عبد الرحمٰن النحوي، عن فراس بن يحيى، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً؛ وضعف إسناده البوصيري في «الزوائد» (٣/ ١٨٧) لضعف العوفي، لكن له شواهد عن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وبريدة بن الحصيب يصح بها الحديث، ومن ثم صححه الترمذي والحاكم.
(٦) في (أ): «ارق» وهو مخالف لما في «المسند».

وقال[١] أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا حيوة، حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلف من بعد الستين سنةً، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق، وفاجر» قال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به.

وقال[٢] أحمد: حدّثنا حجاج، حدّثنا ليث، حدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي الخطاب، عن أبي سعيد أنه قال: إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة، فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن (من)[٣] خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً (جريئاً)[٤] يقرأ كتاب الله ولا يرعوى إلى شيء منه».

وقال الحافظ أبو بكر[٥] البزار: حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي، حدّثنا الحسين بن (عبد الأول)[٦]، حدّثنا محمد بن الحسن الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد

---

(١) في «المسند» (٣/ ٣٨، ٣٩)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»؛ كما في «ابن كثير» (٥/ ٢٣٩)؛ والبخاري في «خلق الأفعال» (٦١٠)؛ والحاكم (٢/ ٣٧٤ و٤/ ٥٤٧)؛ وعنه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٦٥)؛ وفي «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٣٨٥)؛ وابن حبان (٧٥٥) من طريق أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا حيوة بن شريح بإسناده سواء.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح رواته حجازيون وشاميون أثبات» وصححه في الموضع الثاني ووافقه الذهبي في الموضعين، والوليد بن قيس التجيبي روى عنه جماعة ووثقه ابن حبان، فحديثه محتمل وله ما يعضده. فأخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٦)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٢٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٣٩) من طرق عن ابن لهيعة، عن موسى ابن وردان، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «تعلموا القرآن، واسألوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله ﷻ» وهذا سند فيه ضعف، لكنه يتقوى بالطريق الماضي.

(٢) في «مسنده» (٣/ ٣٧، ٤١، ٤٢، ٥٧، ٥٨)؛ وأخرجه النسائي (٦/ ١١، ١٢)؛ وابن أبي شيبة (٥/ ٣٤٠، ٣٤١)؛ والحاكم (٢/ ٦٧)؛ والبيهقي (٩/ ١٦٠)؛ وابن عساكر في «الأربعون في الجهاد» (٨٣) من طرق عن الليث بن سعد به وسنده ضعيف؛ لجهالة أبي الخطاب راويه عن أبي سعيد، فقد صرح بجهالته ابن المديني والنسائي والذهبي.

(٣) ساقط من (أ). (٤) ساقط من (أ).

(٥) وأخرجه الترمذي (٢٩٢٦)؛ والدارمي (٢/ ٣١٧)؛ وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٨)؛ وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨٥، ٣٣٩)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٢٢)؛ والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ج٣/ ق١٠٣/ ٢)؛ وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٧٢) وآخرون من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد وهذا سند ضعيف جداً، ومحمد بن الحسن متروك وقال أبو حاتم كما في «العلل» (١٧٣٨): «منكر» ولكنه توبع وانحصرت علة هذا الإسناد في عطية العوفي، وللحديث شواهد من حديث عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله وحكيم بن حزام ومن مرسل عمرو بن مرة ومالك بن الحارث. والحديث حسن بجملة هذه الشواهد كما حققته في «التسلية» والله أعلم.

(٦) في «الأصول»: «عبد الأعلى» وهو خطأ.

قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب السائلين» وقال رسول الله ﷺ: «إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه».

ثم قال: تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه.

وقال الإمام أحمد(١): حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثني عبد الرحمٰن بن بديل بن ميسرة، حدثني أبي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته».

وقال أبو القاسم(٢) الطبراني: حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، حدّثنا خالد بن خداش، حدّثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت (أن)(٣) أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم.

وقال الحافظ(٤) أبو القاسم الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثنا محمد بن عباد

---

(١) في «مسنده» (٣/ ١٢٧، ١٢٨).
وأخرجه أيضاً (٣/ ١٢٧، ٢٤٢) قال: حدثنا عبد الصمد ومؤمل قالا: ثنا عبد الرحمٰن بن بديل بسنده سواء؛ وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٥٦)؛ وابن ماجه (٢١٥)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص٣٨)؛ والطيالسي (٢١٢٤)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٢١)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٧)؛ والحاكم (١/ ٥٥٦) من طرق عن عبد الرحمٰن بن بديل بسنده سواء.
وصحح إسناده الدمياطي في «المتجر الرابح» (١١٨٣)؛ والمنذري في «الترغيب» (٢/ ٣٥٤)، وكذلك البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٩١)؛ وحسنه العراقي في «تخريج الأحياء» (١/ ٢٨٠)؛ وجوده شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٤/ ٨٥)؛ وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٢٦): «إسناده صالح»؛ ووافقه الحافظ في «اللسان» (٥/ ٢٥٤). وقال الحاكم بعد تخريجه للحديث: «قد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها». وله شاهد من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً مثله. أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق٩١/ ١ ـ زوائده) بسند ضعيف جداً.

(٢) في «المعجم الكبير» (ج١/رقم ٦٧٤). وقال الهيثمي في (المجمع) (٧/ ١٧٢): «رجاله ثقات» وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٣٦) قال: حدثنا عفان. والفريابي في «الفضائل» (٨٣) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قالا: حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. وسنده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أبو عبيد (ص٤٨)؛ والفريابي (٨٤) من طريق ابن المبارك، أخبرنا همام، عن ثابت، عن أنس مثله. وأخرجه ابن الضريس (٨٤)؛ والفريابي (٨٥، ٨٦) من طريق وكيع بن الجراح، عن مسعر، عن قتادة، عن أنس مثله وهذه أسانيد صحيحة.

(٣) في (أ) و(ط): «عن».

(٤) في «المعجم الكبير» (ج١/رقم ٧٣٨)؛ وأخرجه ابن نصر في «قيام الليل» (ص١٢٤)؛ وأبو يعلى (ج٥/رقم ٢٧٧٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٣٧٦)؛ والشجري في «الأمالي» (١/ ٨٢) من طرق عن شريك النخعي، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس؛ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٤٩) لأبي نعيم في «فضل العلم» وفي «رياض المتعلمين».
وهذا سند ضعيف جداً، ويزيد الرقاشي متروك، وشريك سيء الحفظ وقد خولف فنقل القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٧٦) عن الدارقطني أنه قال: «ورواه أبو معاوية عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن الحسن مرسلاً وهو أشبههما بالصواب».اهـ. ثم وقفت على هذه المخالفة، فرواها سعيد بن منصور في «تفسيره» رقم (٥) قال: نا أبو معاوية بسنده سواء وهذا الوجه مع إرساله فهو ضعيف جداً لأجل الرقاشي، فالحديث لا يصح بوجه. والله أعلم.

المكي، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، عن شريك، عن الأعمش، عن يزيد بن أبان، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه».

وقال الحافظ أبو بكر[١] البزار: حدثنا سلمة بن شبيب، حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا عبد الله بن المحرر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن».

ابن المحرر ضعيف.

وقال الإمام أحمد[٢]: حدثنا حسن، حدّثنا ابن لهيعة، حدّثنا بكر بن سوادة، عن وفاء الخولاني، عن أنس بن مالك قال: بينما نحن (نقرأ)[٣] فينا العربي والعجمي والأسود والأبيض إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أنتم في خير تقرءون كتاب الله وفيكم رسول الله، وسيأتي على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها».

وقال الحافظ أبو بكر[٤] البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدّثنا عبد الله بن الجهم، حدّثنا عمرو بن أبي قيس، عن عبد ربه بن عبد الله، عن عمر بن نبهان، عن الحسن، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره».

---

(١) في «مسنده» (٢٣٣٠ ـ كشف الأستار).
وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٤٨٤)؛ وابن عدي (٤/ ١٤٥٢)؛ والقشيري في «الرسالة» (٢/ ٦٤٠) من طريق عبد الله بن محرر، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً.
قال البزار: «تفرد به عبد الله بن المحرر وهو ضعيف الحديث». وبه أعله الهيثمي (٧/ ١٧١)؛ وأخرجه الطيوري في «الطيوريات» (ج٥/ ق٨١/ ٢)؛ والخطيب (٧/ ٢٦٨) من طريق الفضل بن حرب، عن عبد الرحمٰن بن بديل عن أبيه عن أنس مرفوعاً مثله. والفضل مجهول بالنقل كما قال العقيلي وقد خالفه عبد الرحمٰن بن مهدي وعبد الصمد بن عبد الوارث وجماعة في لفظه، وروايتهم هي الراجحة على نحو ما فصلته في «التسلية» وله شاهد من حديث ابن عباس وسنده واهٍ.

(٢) في «مسنده» (٣/ ١٤٦) قال: حدثنا حسن، ثنا ابن لهيعة به.
وأخرجه أيضاً (٣/ ١٥٥) قال: حدثنا يحيى بن إسحاق أنا ابن لهيعة به؛ وقد اضطرب فيه ابن لهيعة فأخرجه أحمد أيضاً (٥/ ٣٣٨) قال: حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة، ثنا بكر بن سوادة، عن وفاء بن شريح، عن سهل بن سعد فذكره مرفوعاً فجعله من «مسند سهل» وهذا هو الصواب فقد رواه عمرو بن الحارث عن بكر بن سوادة عن وفاء بن شريح عن سهل بن سعد مثله.
أخرجه أبو داود (٨٣١)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٤٠٤)؛ وابن حبان في «صحيحه» (١٧٨٧)؛ وفي «الثقات» (٥/ ٤٩٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٦/ رقم ٦٠٢٤) من طرق عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث به؛ وأخرجه ابن حبان (١٧٨٦) أيضاً من طريق حرملة بن يحيى، ثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث وآخر معه، عن بكر بن سوادة مثله. وهذا «الآخر» هو ابن لهيعة. وله شاهد من حديث جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والعجمي فقال: «اقرأوا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه». أخرجه أبو داود (٨٣٠)؛ وأحمد (٣/ ٣٩٧)؛ وابن بشران في «الأمالي» (ج٤/ ق٣٨/ ٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٣٩٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٨٨) من طرق عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حميد الأعرج، عن ابن المنكدر، عن جابر.

(٣) في (أ): «نفر»!

(٤) في «مسنده» (ج٣/ رقم ٢٣٢١ ـ كشف) وقال: «لم يروه إلا أنس» وأعله الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧١) بعمر بن نبهان فقد ضعفه أبو حاتم والبخاري وغيرهما.

وقال الحافظ أبو يعلى[١]: حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا أبو عبيدة، (عن محتسب)[٢]، حدثني يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال: فأتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ألا أعجبك من أبي موسى أنه قعد في بيت فاجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال: فقال رسول الله ﷺ: «أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد؟» قال: نعم، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد، فسمع قراءة أبي موسى فقال: «إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود عليه السلام».

هذا حديث غريب، ويزيد الرقاشي ضعيف.

وقال الإمام أحمد[٣]: حدثنا مصعب بن سلام، حدّثنا جعفر هو ابن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة [٤](كأنه منذر جيش، قال: ثم يقول: «أتتكم الساعة، بعثت أنا والساعة هكذا)[٤] ـ وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ـ صبحتكم الساعة ومستكم، من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعلي».

وقال الإمام أحمد[٥]: حدثنا عبد الوهاب ـ يعني ابن عطاء ـ أنا أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا قوم يقرءون القرآن قال: «اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه».

وقال أحمد أيضاً[٦]: حدثنا خلف بن الوليد، حدّثنا خالد، عن حميد الأعرج، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا العجمي والأعرابي قال: فاستمع، قال: فقال: «اقرءوا فكل حسن، وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه».

---

(١) في «مسنده» (ج٧/رقم ٤٠٩٦)؛ وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٦٠) ووهم في ذلك بل السند واهٍ ويزيد الرقاشي متروك ومحتسب ضعيف الحفظ أيضاً أما آخر الحديث فقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما كما تقدم تخريجه والحمد لله رب العالمين.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) في «مسنده» (٣/ ٣١٠، ٣١١)؛ وأخرجه مسلم (٨٦٧)؛ والنسائي (٣/ ١٨٨، ١٨٩).

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في «مسنده» (٣/ ٣٥٧)؛ وأخرجه أبو يعلى (ج٤/رقم ٢١٩٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٤٠٠، ٢٤٠١) من طريق آخرين عن أسامة بن زيد به، وأسامة في حفظه ضعف لكنه متابع من حميد بن قيس الأعرج كما مرّ ذكره. والله أعلم.

(٦) في «مسنده» (٣/ ٣٩٧)؛ وأخرجه أبو داود (٨٣٠)؛ وابن بشران في «الأمالي» (ج٤/ ف٣٨/ ٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٣٩٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٨٨) من طرق عن خالد بن عبد الله الواسطي بسنده سواء. وقد خولف حميد الأعرج كما مر ذكره.

وقال أبو بكر[(١)] البزار: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدّثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن المعلى الكندي، عن عبد الله بن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع، من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه ـ أو كلمة نحوها ـ زخَّ في قفاه إلى النار.

وحدثنا[(٢)] أبو كريب، حدّثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن عبد الله، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال الحافظ أبو يعلى[(٣)]: حدّثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر، حدثني (بكر)[(٤)] بن يونس، عن موسى بن علي، عن أبيه، عن يحيى بن (أبي)[(٥)] كثير اليمامي، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ألف آية كتب (الله)[(٦)] له قنطاراً، والقنطار مائة رطل، والرطل اثنتا عشرة أوقية، والأوقية ستة دنانير، والدينار أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط مثل أحد، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله لملائكته: نصب عبدي (لي)[(٧)] أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً (به)[(٨)] ورجاء ثوابه أعطاه الله ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك، وإن لم يكن ذلك كذلك».

---

(١) في «مسنده» (ج١/رقم ١٢١) ورجاله ثقات إلى المعلى الكندي فلم يوثقه إلا ابن حبان وله طريق آخر؛ أخرجه الدارمي (٢/ ٣١١)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩٧) من طريق الشعبي، عن ابن مسعود، وهو منقطع؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩٧، ٤٩٨) من طريق زبيد اليامي عن ابن مسعود، وهو منقطع كسابقه؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج٣/رقم ٦٠١٠) من طريق الثوري عن أبي إسحاق وغيره عن عبد الرحمٰن بن يزيد عن ابن مسعود. وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البزار (١٢٢)؛ وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧١): «رجاله ثقات»؛ وسبقه المنذري فقال في «الترغيب» (١/ ٨٠): «إسناده جيد».

(٣) في «معجم شيوخه» (٧٤) ولم يسقه كاملاً، إنما ذكره من أوله إلى قوله: «الرطل اثنتا عشرة أوقية». وسنده ضعيف جداً وبكر بن يونس قال البخاري: «منكر الحديث» وضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه لا يتابع عليه»، ويحيى بن أبي كثير لم يسمع جابر بن عبد الله؛ وأخرجه ابن السني في «اليوم والليلة» (٦٩٩) من طريق أبي يعلى بسنده سواء بلفظ: «من قرأ ثلاثمائة آية إلى قوله: قد غفرت له»؛ ثم رأيته في «كنز العمال» (٢/ ١٩/ ٢٩٧٣) من عند قوله: «القنطار مائة رطل... إلى قوله: والدينار أربعة وعشرون قيراطاً» فعزاه للديلمي عن جابر قال: وفيه الخليل بن مرة؛ قال البخاري: «منكر الحديث».
وأما قوله: «ومن بلغه عن الله فضيلة.. إلخ» فأخرج هذا القدر الخطيب في «تاريخه» (٨/ ٢٩٦)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (٥٧)، وصدر الدين أبو علي البكري في «الأربعين» (ص٣٩، ٤٠) من طريق الحسن بن عرفة؛ وهو في «جزئه» (٦٣) قال: حدثنا أبو يزيد خالد بن حيان الرقي، عن فرات بن سلمان وعيسى بن كثير كليهما عن أبي رجاء، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن جابر مرفوعاً فذكره وأبو رجاء هذا لا أعرفه؛ وروى هذا الحديث ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٥٨) وقال: «لا يصح، أبو رجاء كذاب»؛ ووافقه السيوطي في «اللآلئ» (١/ ٢١٤)؛ ولكن صرح السخاوي في «المقاصد» (ص١٩١)؛ وفي «القول البديع» (ص١٩٧) أنه لا يعرف، أفاده شيخنا أبو عبد الرحمٰن الألباني حفظه الله في الضعيفة (٤٥١) وزعم ابن طولون أن الحديث جيد الإسناد، ورده شيخنا فراجع بحثه هناك. والحاصل أن الحديث لا يصح، والله أعلم.

(٤) في (أ): «بكير» وهو خطأ.
(٥) ساقط من (أ).
(٦) من (ج) و(ط) و(ل).
(٧) في (أ): «كي».
(٨) ساقط من (ج).

وقال أحمد[(١)]: حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه.

وقال الطبراني[(٢)]: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثني أبي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة، وذلك أن الله ﷻ يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]».

وقال الطبراني[(٣)]: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدّثنا أبي، حدّثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به».

وقال أيضاً[(٤)]: حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدّثنا نعيم بن حماد، حدّثنا عبد الله بن سليمان، عن سعيد أبي سعد البقال، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسنوا الأصوات بالقرآن».

---

(١) في «مسنده» (١/ ٢٢٣)؛ وأخرجه الترمذي (٢٩١٣) وقال: «حسن صحيح»؛ والدارمي (٢/ ٣٠٨)؛ والحاكم (١/ ٥٥٤) وقال: «صحيح الإسناد»؛ والطبراني في «الكبير» (١٢/ رقم ١٢٦١٩)؛ وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٨٢)؛ والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٤١٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/ رقم ١٧٩٣)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٤٣) من طرق عن جرير بن عبد الحميد، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعاً، وإسناده ضعيف لأجل قابوس هذا فقد لينه النسائي، وقال أبو حاتم: «رديء الحفظ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، فربما رفع المرسل، وأسند الموقوف». وكان ابن معين شديد الحط عليه، وقد وثقه في رواية. وله شاهد موقوف عن ابن مسعود سبق تخريجه عند حديث: «إن هذا القرآن مأدبة الله» والحمد لله. ولما صحح الحاكم إسناده رده الذهبي بقوله: «قابوس لين».

(٢) في «المعجم الكبير» (ج١٢/ رقم ١٢٤٣٧) وفي «الأوسط» (ج٢/ ق٣٤/ ٢).
قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦٩): «فيه أبو شيبة وهو ضعيف جدًّا». كذا قال! وإنما قال عثمان بن أبي شيبة: «وجدت في كتاب أبي» وأبوه: محمد بن إبراهيم بن عثمان، وهو ثقة، وثقه ابن معين وابن حبان ولكن عمران بن أبي عمران ما عرفته والله أعلم.
والصواب أنه موقوف، فقد أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٧، ٤٦٨)؛ وعبد الرزاق (ج٣/ رقم ٦٠٣٣)؛ وابن جرير (١٦/ ٣٢٥)؛ والحاكم (٢/ ٢٨١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/ رقم١٨٧١) من طرق عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله. وهذا سند رجاله ثقات، إلا عطاء بن السائب كان اختلط.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣١١)؛ لابن أبي شيبة مرفوعاً، والذي فيه الموقوف حسب، والله تعالى أعلم.

(٣) في «المعجم الكبير» (ج١١/ رقم ١٠٨٥٢)؛ ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩)؛ وقال الهيثمي (٧/ ١٧٠): «فيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وفيه ضعف»!
قلت: وقد تقدم تخريجه، فاطلبه هناك.

(٤) في «الكبير» (ج١٢/ رقم ١٢٦٤٣)؛ وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٢١ و٦/ ٢٤٣٩)؛ والخطيب في «الموضح» (٢/ ١٣٢) من طريق أبي سعد البقال بسنده سواء: «زينوا أصواتكم بالقرآن» وسنده ضعيف جداً وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان ضعيف، ولعله واهٍ، والضحاك بن مزاحم لم يسمع ابن عباس والله أعلم.

وروى أيضاً[(١)] بسنده إلى الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً: «أشراف أمتي حملة القرآن».

وقال الطبراني[(٢)]: حدّثنا معاذ بن المثنى، حدّثنا إبراهيم بن أبي سويد الذارع، حدّثنا صالح المري، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «الحال المرتحل» قال: يا رسول الله ما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره، وفي آخره حتى يبلغ أوله».

ذكر الدعاء المأثور لتحفظ القرآن وطرد النسيان:

قال أبو القاسم الطبراني[(٣)] في «معجمه الكبير»: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدّثنا هشام بن عمار، حدّثنا محمد بن إبراهيم القرشي، حدثني أبو صالح وعكرمة، عن ابن عباس قال: قال علي بن أبي طالب: يا رسول الله القرآن يتفلت من صدري، فقال النبي ﷺ: «أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته؟ ـ قال: نعم بأبي أنت وأمي قال: ـ صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان. وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبحم تنزيل السجدة، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد، فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين، ثم قل: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني من أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السمٰوات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمٰن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حب كتابك كما علمتني وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري، وتطلق به لساني، وتفرج به عن قلبي، وتشرح به صدري، وتستعمل به بدني، وتقويني على ذلك

---

(١) يعني الطبراني في «الكبير» (ج١٢/رقم ١٢٦١٢) من طريق سعد بن سعيد الجرجاني، عن نهشل أبي عبد الله، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً فذكره؛ وأخرجه الإسماعيلي في «معجمه» (ج١/ق٤/١، ٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١١٩٤ و٧/ ٢٥٢١)؛ والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٢١٨، ٤٩٤)؛ والخطيب (٤/ ١٢٤، ٨/ ٨٠) من هذا الوجه. قال ابن عدي: «حديث غير محفوظ»؛ وقال الهيثمي (٧/ ١٦١): «فيه سعد بن سعيد الجرجاني وهو ضعيف»!! وقصر جداً، فنهشل متروك، بل كذبه إسحاق بن راهويه. والضحاك لم يسمع من ابن عباس فالحديث ضعيف جداً، لذلك قال البخاري: «لا يصح». والله أعلم.

(٢) في «المعجم الكبير» (ج١٢/رقم ١٢٧٨٣)؛ وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٦٠)؛ وأخرجه الترمذي (٢٩٤٨)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٨٨)؛ والحاكم (١/ ٥٦٨)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨٤٦ وج٥/رقم ١٩٠٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٤) من طرق عن صالح المري بسنده سواء. وسنده ضعيف لذلك استغربه الترمذي وقد رواه الترمذي والدارمي (٢/ ٣٣٧) من طريقين عن صالح المري عن قتادة، عن زرارة بن أوفى مرسلاً، ورجح الترمذي المرسل. والحديث ضعيف على الوجهين والله أعلم.

(٣) في «المعجم الكبير» (ج١١/رقم ١٢٠٣٦)؛ وفي «الدعاء» (١٣٣٣)؛ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٣٨) وقال: «هذا حديث لا يصح، ومحمد بن إبراهيم مجروح، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك».اهـ.

وأخرجه ابن السني في «اليوم والليلة» (٥٧٩)؛ والعقيلي في «الضعفاء» من طريقين آخرين عن هشام بن عمار بسنده سواء. وقال العقيلي: «الحديث غير محفوظ وليس له أصل».

وتعينني عليه، فإنه لا يعينني على الخير غيرك، ولا يوفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تحفظه بإذن الله وما أخطأ مؤمناً قط» فأتى النبي ﷺ بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث، فقال النبي ﷺ: «مؤمن ورب الكعبة، علم أبا الحسن علم أبا الحسن».

هذا سياق الطبراني.

وقال أبو عيسى الترمذي(١) في «كتاب الدعوات» من «جامعه»: حدثنا أحمد بن الحسن، حدّثنا سليمان بن عبد الرحمٰن الدمشقي، حدّثنا الوليد بن مسلم، حدّثنا ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس أنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال: بأبي أنت وأمي، تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه؟ فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك؟ ـ قال: أجل يا رسول الله فعلمني، قال: ـ إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقال أخي يعقوب لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات، تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصل عليّ وأحسن وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين

---

(١) في «سننه» (٣٥٧٠) وقال: «حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم»؛ وأخرجه الحاكم (١/ ٣١٦، ٣١٧)؛ والشجري في «الأمالي» (١/ ١١٣/ ١١٤)؛ والدارقطني في «الأفراد»؛ وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٣٨، ١٣٩) من طريق الوليد بن مسلم به ومنهم من يرويه عن عطاء وحده ونقل ابن الجوزي عن الدارقطني أنه قال: «تفرد به هشام بن عمار عن الوليد» وليس كما قال، فقد رواه سليمان بن عبد الرحمٰن عن الوليد أيضاً وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين فتعقبه الذهبي بقوله: هذا حديث منكر شاذ أخاف لا يكون موضوعاً، فقد حيرني والله جودة إسناده ثم ذكر سند الحاكم وقال: ذكره الوليد مصرحاً بقوله: «ثنا ابن جريج فقد حدث به سليمان قطعاً وهو ثبت».اهـ. وقال الذهبي أيضاً في ترجمة سليمان بن عبد الرحمٰن من «الميزان» (٢/ ٢١٣، ٢١٤) بعد ذكره للحديث: «وهو مع نظافة سنده حديث منكر جداً في نفسي منه شيء فالله أعلم فلعل سليمان شبه له كما قال في أبو حاتم: لو أن رجلاً وضع له حديثاً لم يفهم».اهـ.

وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٣٦١): «طرق وأسانيد هذا الحديث جيدة، ومتنه غريب جداً». وقال الحافظ في «اللسان»: «لعل الوليد دلسه عن ابن جريج فقد ذكر ابن أبي حاتم في ترجمة محمد بن إبراهيم القرشي أنه روى عنه الوليد بن مسلم وهشام بن عمار».اهـ.

قلت: وهذا الحديث منكر، وليس إسناده نظيفاً كما قال الذهبي: أو جيداً كما قال المنذري: فإن الوليد بن مسلم دلسه ولم يصرح إلا في شيخه حسب، والمعروف أن مدلس التسوية ينبغي أن يصرح في كل طبقات السند، وقد صرح بذلك الحافظ في «الفتح» (٢/ ٣١٨) في حديث آخر رواه الوليد بن مسلم فقال: «وقد صرَّح بالتحديث في جميع الإسناد».اهـ. فقول الذهبي: إن الوليد صرَّح بالتحديث لا يخفى ما فيه، فإن الوليد لا يدلس تدليس الإسناد حسب حتى يقال فيه ذلك. والله أعلم. ثم ابن جريج مدلس وقد عنعنه في جميع طرقه، وتدليسه قبيح كما قال الدارقطني فقد يكون أسقط من الإسناد متهماً أو نحوه فتكون البلية من ذلك الساقط وبالجملة فالحديث لا يصح سنداً ولا متناً والله أعلم.

والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السمٰوات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تغسل به بدني، فإنه لا يعينني على الخير غيرك ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تجاب بإذن الله والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط» قال ابن عباس: فوالله ما لبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله ﷺ في المجلس فقال: يا رسول الله، والله إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت؛ وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً. فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن».

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. كذا قال. وقد تقدم من غير طريقة.

ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد، ثم قال: على شرط الشيخين، ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فالله أعلم فإنه من البين غرابته بل نكارته والله أعلم.

وقال الإمام أحمد(١): حدثنا وكيع، حدّثنا العمري، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت».

ورواه أيضاً(٢) عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد، عن عبيد الله العمري به.

ورواه أيضاً(٣) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً بنحوه.

وقال البزار(٤): حدثنا محمد بن معمر، حدّثنا حميد بن حماد بن أبي الخوار، حدّثنا مسعر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: سئل رسول الله: أي الناس أحسن قراءة؟ قال: «من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله ﷻ».

قال الإمام أحمد(٥): حدثنا عبد الرحمٰن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن

---

(١) في «المسند» (٢/ ٢٣).
(٢) (٢/ ١٧، ٣٠).
(٣) (٢/ ٣٥، ٣٦) وأخرجه أيضاً (٢/ ٦٤، ١١٢) عن عبد الرحمٰن بن مهدي وإسحاق بن عيسى كلاهما عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً. وقد تقدم تخريجه.
(٤) في «مسنده» (ج٣/رقم ٢٣٣٦ ـ كشف).
وأخرجه الروياني في «مسنده» (ج٣١/ق٢٤١/ ١)؛ والطبراني في «الأوسط» (١/ ١١٤/ ٢ و٢/ ٨٤/ ١، ٢)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (١٤٥٨)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٩٣)؛ والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٢٠٨)؛ وفي «التلخيص» (١/١٢٩) من طريق محمد بن معمر البحراني بسنده سواء. وسنده ضعيف أو واه لأجل حميد بن حماد فإنه ضعيف ثم إنه خولف فيه. وقد بسطت ذلك في «التسلية» فللّه الحمد.
(٥) في «المسند» (٢/ ١٩٢). وقد تقدم تخريجه.

عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وقال أحمد(١): حدثنا حسن، حدّثنا ابن لهيعة، حدثني حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إن قلبك حشى الإيمان وإن العبد يعطى الإيمان قبل القرآن».

وبهذا الإسناد(٢) أن رجلاً جاء بابن له فقال: يا رسول الله إن ابني يقرأ المصحف بالنهار، ويبيت بالليل، فقال رسول الله ﷺ: «ما تنقم؟ إن ابنك يظل ذاكراً ويبيت سالماً».

وقال أحمد(٣): حدثنا موسى بن داود، حدّثنا ابن لهيعة، عن حيي، عن أبي عبد الرحمٰن، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ قال: ـ فيشفعان».

وقال أحمد(٤): ....

(١) في «المسند» (٢/ ١٧٢) ووقع عنده: «وإن الإيمان يعطى العبد قبل القرآن»؛ قال الهيثمي (١/ ٦٣): «فيه ابن لهيعة» وهو يشير إلى ضعفه. والله أعلم.

(٢) يعني في «المسند» (٢/ ١٧٣)؛ وقال الهيثمي (٢/ ٢٧٠): «فيه ابن لهيعة وفيه كلام».اهـ.

(٣) في «مسنده» (٢/ ١٧٤).
وقال الهيثمي (١٠/ ٣٨١): إسناده حسن على ضعف في ابن لهيعة وقد وثق.
قلت: لم يتفرد به فتابعه ابن وهب قال: حدثني حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمٰن، عن ابن عمرو مرفوعاً أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨ ـ الجزء المفقود)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص٢٣)؛ والحاكم (١/ ٥٥٤)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (١٨٣٩) قال الحاكم: «على شرط مسلم» ووافقه الذهبي؛ وقال الهيثمي (٣/ ١٨١): «رجاله رجال الصحيح»! وسبقه المنذري في «الترغيب» (٢/ ٨٤) فقال: «رجاله محتج بهم في الصحيح»! كذا قالوا وحيي بن عبد الله ما احتج به مسلم ولا البخاري، وهو حسن الحديث.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥ ـ زوائد نعيم)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٦١)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٦٨٣) من طريق رشدين بن سعد، عن حيي بن عبد الله بسنده سواء.
قال الجوزقاني: «هذا حديث باطل ونقل عن ابن معين قال: رشدين بن سعد لا يكتب حديثه» ولم يتفرد به رشدين كما رأيت، وقال المنذري في «الترغيب»: «رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الجوع» وغيره بإسناد حسن».اهـ. ووقع في «الترغيب» للمنذري «ابن عمر» وصحابي الحديث: «ابن عمرو».

(٤) في «مسنده» (٢/ ١٧٥)؛ وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٩٤٢) من طريق ابن وهب نا ابن لهيعة بسنده سواء.
وقد اضطرب فيه ابن لهيعة، فرواه ابن وهب عنه، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر الجهني مرفوعاً فذكر؛ أخرجه ابن بطة (٩٤٤) أيضاً ولعل هذا الوجه أرجح من الأول فقد رواه عبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد المقرئ وقتيبة بن سعيد ثلاثتهم عن ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر مرفوعاً.
أخرجه أحمد (٤/ ١٥١، ١٥٤ ـ ١٥٥)؛ والفريابي في «صفة المنافق» (٣٢، ٣٣، ٣٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٧/ رقم ٨٤١)؛ وابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ١٨٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٦٦)؛ والخطيب (١/ ٣٥٧)؛ وابن وضاح في «البدع» (٢٨٠) وهذا سند لا بأس به، ورواية العبادلة عن =

حدثنا حسن، حدّثنا ابن لهيعة (حدّثنا دراج)[1]، عن عبد الرحمٰن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثر منافقي أمتي قراؤها».

وقال أحمد[2]: حدثنا وكيع، حدثني همام، عن قتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه».

ورواه أيضاً[2] عن غندر، عن شعبة، عن قتادة به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال أبو القاسم الطبراني[3]: حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه، حدّثنا أبي، حدّثنا عيسى بن يُونس ويحيى بن أبي الحجاج التميمي، عن إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه. ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى، فقد

= ابن لهيعة أمثل من غيرها، وقد توبع ابن لهيعة تابعه الوليد بن المغيرة وهو ثقة، عن مشرح بن هاعان بسنده سواء.
أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦١٤)؛ والفريابي (٣٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (٦٥٦١) من طريق أبي سلمة الخزاعي، ثنا الوليد. وأخرجه أحمد (٤/ ١٥٥) من هذا الوجه. وسنده جيد. ومشرح بن هاعان صدوق في حفظه مقال يسير. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وابن عباس وعصمة بن مالك.

(١) سقط من «الأصول» كلها، واستدركته من «المسند».

(٢) في «مسنده» (٢/ ١٦٤، ١٩٣، ١٩٥). وأخرجه أيضاً (٢/ ١٦٥، ١٨٩) عن يزيد وبهز عن همام به. وتقدم تخريجه.

(٣) في «المعجم الكبير» وقد سقط من «المطبوع» في جملة المفقود من «المعجم»، وعزاه الزبيدي في «الإتحاف» (٤/ ٤٦٦) لمحمد بن نصر في «كتاب الصلاة»؛ وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٥٩): «فيه إسماعيل بن رافع وهو متروك».
قلت: ولم أجده في «كتاب الصلاة» لكن رواه ابن نصر في «قيام الليل» (ص٧٦) قال: حدثنا إسحاق أخبرنا عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن رافع بسنده سواء. ولم يتفرد به إسماعيل فتابعه علي بن هاشم عن إسماعيل بن عبيد الله به. أخرجه الشجري في «الأمالي» (١/ ٩٢) من طريق إسماعيل بن عمرو البجلي. قال: حدثنا علي بن هاشم. والبجلي ضعيف. وقد أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٩٩) قال: أخبرنا إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن رافع، عن رجل عن عبد الله بن عمرو موقوفاً مختصراً. وهذا «المبهم» هو «إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو موقوفاً بطوله. وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٧)؛ والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٥٧) من طريق وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله.
وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٣٥٢) من طريق محمد بن عبيد، حدثنا محرز أبو رجاء الشامي، عن إسماعيل بن عبيد الله عن ابن عمرو موقوفاً. ورجاله ثقات.
وأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٢)؛ وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٤٠٣) من طريق عمرو بن الربيع بن طارق، ثنا يحيى بن أيوب، عن خالد بن أبي يزيد، عن ثعلبة بن يزيد، عن ابن عمرو مرفوعاً فذكره. قال الحاكم: «صحيح الإسناد»! وهذا سند ضعيف، ويحيى بن أيوب فيه لين، وثعلبة بن يزيد ما عرفته، وليس هو ثعلبة بن يزيد الحماني إنما هو فيما يظهر لي: ثعلبة بن أبي الكنود المترجم في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ١٧٥) ونص في «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ٤٦٣) أنه يروى عن عبد الله بن عمرو. وفي «التهذيب» (٨/ ٢٠٩) في ترجمة خالد بن يزيد أنه يروي عن «ثعلبة بن أبي حكيم الحمراوي أبي الكنود». ولم يوثقه إلا ابن حبان (٤/ ٩٩) والله أعلم. والصواب في هذا الحديث الوقف والله أعلم.

عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن».

وقال الإمام أحمد[١]: حدثنا أبو سعيد مولى بن هاشم، حدّثنا عباد بن ميسرة، عن الحسن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة».

وقال البزار[٢]: حدثنا محمد بن حرب، حدّثنا يحيى بن المتوكل، حدّثنا عنبسة بن مهران، عن الزهري، عن (سعيد)[٣] وأبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مراء في القرآن[٤] كفر».

ثم قال عنبسة: هذا ليس بالقوي، وعنده في إسناد آخر.

وقال الحافظ[٥] أبو يعلى: حدّثنا أبو بكر (حدّثنا ابن)[٦] إدريس، حدّثنا المقبري، عن

(١) في «المسند» (٢/ ٣٤١)؛ وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٣٣)؛ وابن مردويه كما في «إتحاف السادة» (٤/ ٥٠٠)، من هذا الوجه. قال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٨١): «فيه ضعف وانقطاع» وأعله الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٦٢) بعباد بن ميسرة. وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٣٤٥) «رواه أحمد عن عباد بن ميسرة واختلف في توثيقه، عن الحسن عن أبي هريرة، والجمهور على أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة» ولم يتفرد به عباد؛ فتابعه صالح بن مقسم، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. أخرجه ابن منده في «الرد على من يقول (الٓمٓ) حرف» (٢٤) من طريق هشام بن عمار، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن صالح بن مقسم فذكره.
وقد خولف هشام في إسناده. خالفه سعيد بن منصور فرواه في «تفسيره» (٩) قال: نا إسماعيل ابن عياش، عن ليث وهو ابن أبي سليم، عن مجاهد، عن أبي هريرة مرفوعاً: «من تلا آية... الحديث» وتابعه الهيثم بن خارجة قال: حدثنا إسماعيل بن عياش بسنده سواء أخرجه الشجري (١/ ٧٦) ورواية سعيد والهيثم أرجح، وهشام بن عمار فيه مقال من قبل حفظه، ولعل هذا الاختلاف يكون من إسماعيل بن عياش. وبالجملة فليس للحديث إسناد حسن ولا صحيح والله أعلم.

(٢) في «مسنده» (ج٢/ ق١٢٨/ ٢) وقال: «وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة إلا عنبسة وهو رجل ليس بالقوي، وعنده فيه إسناد آخر». اهـ. والإسناد الذي أشار البزار أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٩٢) من طريق محمد بن حرب الواسطي، عن يحيى بن المتوكل، عن عنبسة بن مهران، عن مكحول، عن ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. وقال أبو نعيم: «غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث ابن حرب». وآفة هذه الأسانيد هو عنبسة هذا، فقد قال أبو حاتم: «منكر الحديث» وضعفه أبو داود وغيره.
وأخرجه أبو داود (٤٦٠٣)؛ وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٩٤، ٥٠٣، ٥٢٨)؛ وابن حبان (٥٩)، وغيرهم من طرق عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً وهذه طرق بعضها صحيح وبعضها حسن، ذكرتها في «التسلية».

(٣) في (أ): «شعبة»! ووقع في (ج): «سعيد بن أبي سلمة»!!

(٤) إلى هنا انتهت النسخة (ط).

(٥) في «مسنده» (ج١١/ رقم ٦٥٦٠)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٦)؛ والحاكم (٢/ ٤٣٩)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٠٩٣، ٢٠٩٤، ٢٠٩٥)؛ وأحمد بن منيع في «مسنده»، كما في «المطالب» (٣/ ٢٩٨)؛ والخطيب (٨/ ٧٧، ٧٨)؛ وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (ص٥) من طرق عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن جده، عن أبي هريرة مرفوعاً.
وسنده ضعيف جداً، وعبد الله بن سعيد متروك، وبه أعله الهيثمي (٧/ ١٦٣). أما الحاكم فصححه فرده الذهبي بقوله: «بل أجمع على ضعفه».

(٦) في (أ): «ابن أبي»!

جده، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه».

وقال الطبراني[(١)]: حدثنا موسى بن خازم الأصبهاني، حدّثنا محمد بن بكير الحضرمي، حدّثنا إسماعيل بن (عياش)[(٢)]، عن يحيى بن الحارث (الذماري)[(٣)]، عن القاسم أبي عبد الرحمٰن، عن فضالة بن عبيد وتميم الداري، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات في ليلة، كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك ﷻ: اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول ربك: اقبض، فيقول العبد بيده: يا رب أنت أعلم، فيقول: بهذه الخلد وبهذه النعيم»[(٤)].

[(٥)][وروى الحافظ[(٦)] ابن عساكر في ترجمة: «معقس بن عمران بن حطان» قال: دخلت مع أبي على أم الدرداء ﵄، فسألها أبي: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ؟ قالت: حدثتني عائشة قالت: جعلت درج الجنة على عدد آي القرآن فمن قرأ ثلث القرآن ثم دخل الجنة كان على الثلث من درجها، ومن قرأ نصف القرآن كان على النصف من درجها، ومن قرأ كله كان في عليين، لم يكن فوقه إلا نبي أو صديق أو شهيد»[(٥)].

وقال الطبراني[(٧)]: حدثنا مسعدة بن سعد العطار المكي، حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي،

---

(١) في «المعجم الكبير» (ج٢/رقم ١٢٥٣)؛ وعنه الشجري في «الأمالي» (١/ ٧٧)؛ وأخرجه أيضاً في «الأوسط» (ج٢/ق٢٣٤/ ١) وقال: «لا يروى هذا الحديث عن فضالة وتميم إلَّا بهذا الإسناد، تفرد به إسماعيل». فقال الهيثمي (٢/ ٢٦٧): «فيه إسماعيل بن عياش ولكنه من روايته عن الشاميين وهي مقبولة».اهـ. وعزاه المنذري في «الترغيب» (١/ ٤٣٩)؛ للطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: «بإسناد حسن وفيه إسماعيل بن عياش عن الشاميين وروايته عنهم مقبولة عند الأكثرين».اهـ. وكذا حسنه الدمياطي في «المتجر الرابح» (٣٨٧)؛ وشيخ الطبراني ترجمه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣١٢) ولم يذكر فيه شيئاً. ولكنه لم يتفرد به في الجملة، فأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢٣) وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٠٦، ٢٠٠٧) قال: نا إسماعيل بن عياش به وأعله أبو حاتم الرازي في «العلل» (ج١/رقم ٤٢٢) بالوقف، والرواية الموقوفة عند الدارمي في «سننه» (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥).

(٢) في (أ): «عباس»! (٣) في (أ): «المذماري»!

(٤) في حاشية (ج): «آخر الجزء الثاني من أجزاء المؤلف أثابه الله».

وبهذا انتهى ما في النسخة (أ) وجاء في آخرها: «آخر فضائل القرآن، وبه تم التفسيرُ للحافظ العلامة الرُّحْلَةَ الجهبذ، مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين إسماعيل الشهير بابن كثير، كثر الله فوائده، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن أحمد بن معمر المقرئ البغدادي، عفا الله عنه، ونفعه بالع ووفقه للعمل به آمين، وحرس الله مجد مالكه. آمين، بتاريخ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه على مشرفها، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً».اهـ.

(٥) من أول هنا إلى آخر «فضائل القرآن» من (ج) و(ل) وسقط من (أ) ولا أدري هل كان في (ط)؟ ففيها سقط.

(٦) في «تاريخ دمشق» (ج١٧/ ق١٠)؛ وأخرجه أبو عبيده في «فضائل القرآن» (ص٣٧)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٧) من طريق محمد بن عبد الرحمٰن السدوسي، عن معقس بن عمران بن حطان، قال: سمعت أم الدرداء تقول: سألت عائشة.. فذكره. وأخرجه ابن عساكر من طرق أخرى عن محمد بن عبد الرحمٰن ومعقس ـ بالقاف ـ ابن عمران لا أعرف من حاله شيئاً يوجب قبول خبره، ولم يذكر ابن عساكر في ترجمته شيئاً. فالله أعلم.

(٧) في «المعجم الكبير» (ج٣/رقم ٢٨٩٩) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص١٥٥ ـ تراجم النساء) =

حدّثنا إسحاق بن إبراهيم مولى جميع بن حارثة الأنصاري، حدثني عبد الله بن ماهان الأزدي، حدثني فايد مولى عبيد الله بن أبي رافع، حدثتني سكينة بنت الحسين بن علي، عن أبيها قال: قال رسول الله ﷺ: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة».

وروى الطبراني[١] من حديث بقية، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن المهاصر بن حبيب، عن عبيدة المليكي، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «يا أهل القرآن! لا توسدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته من آناء الليل والنهار، وتغنوه وتقنوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون، ولا تستعجلوا ثوابه، فإن له ثواباً».

وفي حديث عقبة[٢] بن عامر نحوه كما تقدم.

وقال الإمام أحمد[٣]: حدثنا أبو سعيد، حدّثنا ابن لهيعة، عن مشرح، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن القرآن جعل في إهاب، ثم ألقي في النار ما احترق».

تفرد به.

قيل: معناه: أن الجسد الذي يقرأ القرآن لا تمسه النار.

وفي «سنن ابن ماجه»[٤] من طريق المغيرة بن نهيك، عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلم القرآن ثم تركه، فقد عصاني».

وفي حديث رواه «أبو يعلى»[٥] ....

= وأعله الهيثمي (٧/ ١٦١) بإسحاق بن إبراهيم مولى جميع بن حارثة فهو ضعيف وأخرجه الخطيب ومن طريقه ابن عساكر (ص١٥٥)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٥٣) من هذا الوجه وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، وفائد ليس بشيء، قال أحمد: هو متروك الحديث، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به». وأخطأ ابن الجوزي، فالواقع في السند هو فائد أبو الورقاء أما الواقع في السند فهو فائد المدني روى عنه القعنبي وزيد بن الحباب وجماعة، ووثقه ابن معين وقال أبو حاتم: لا بأس به. وللحديث شواهد كلها ساقطة، والحديث من جميع طرقه لا يصح. والله أعلم.

(١) في «المعجم الكبير»، كما في «المجمع» (٢/ ٢٥٢)، وقال: «فيه أبو بكر بن أبي مريم»؛ وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٨٥٢)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٦٠)؛ وكذا أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٢٢٧٠)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج٤/ق٥٩٥، ٥٩٦) وقد اختلف في إسناده، والحديث لا يصح بوجه من الوجوه. والله أعلم.

(٢) يشير إلى حديثه «تعلموا كتاب الله واقتنوه...» وقد تقدم تخريجه.

(٣) في «مسنده» (٤/ ١٥١، ١٥٥)؛ وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٠٩)؛ وأبو عبيد (ص٢٢، ٢٣)؛ والفريابي (١/ ٢) كلاهما في الفضائل؛ والروياني في «مسنده» (ج١٩/ق٤٨/ ٢)؛ والحكيم الترمذي في «النوادر» (ج٣/ ق١٠١/ ٢)؛ وأبو يعلى (ج٣/رقم ١٧٤٥)؛ وأبو الشيخ في الطبقات (٧٤٠)؛ وابن شاهين في «الترغيب» (١٩٦)؛ وابن عدي (٦/ ٢٤٦٠)؛ والطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٩٠) وآخرون من طرق عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، وقد اختلف في سنده، والصواب في هذا الحديث الوقف، كما حققته في «تسلية الكظيم» والحمد لله وله شاهدان عن سهل بن سعد وعصمة بن مالك، ولا يثبت واحد منهما والله أعلم.

(٤) كذا قال المصنف رحمه الله: «من تعلم القرآن...» والذي في «سنن ابن ماجه» (٢٨١٤) «من تعلم الرمي ثم تركه... إلخ».

(٥) في «مسنده» (ج٢/رقم ١٠٠٠)؛ وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/ ٦٦، ٦٧)؛ والخطيب (٧/ ٣٩٢، =

من طريق ليث، عن مجاهد، عن (أبي)(١) سعيد مرفوعاً: «عليك بتقوى الله فإنها رأس كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذكر لك في السماء، واخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان».

وهذا ذكر آثار مرويةٍ عن ابن أم عبد: عبد الله بن مسعود أحد قراء القرآن من الصحابة المأمور بالتلاوة على نحوهم.

روى الطبراني(٢)، عن الدبري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي إسحاق قال: قال ابن مسعود: «كل آية خير مما في السماء والأرض».

ومن طريق شعبة(٣)، عن أبي إسحاق، عن مرَّة، قال ابن مسعود: «من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين».

ومن طريق سفيان(٤) وشعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: «إن هذا القرآن ليس فيه حرف إلا له حد، ولكل حد مطلع».

ومن حديث(٥) الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سيار أبي الحكم، عن ابن مسعود،

= ٣٩٣) من طريق عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يعقوب القمي، عن ليث، عن مجاهد، عن أبي سعيد مرفوعاً قال الطبراني: «لا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد، تفرد به يعقوب القمي».
قلت: يعقوب لا بأس به كما قال النسائي ووثقه ابن حبان والطبراني ولينه الدارقطني ولكن ليث بن بي سليم ضعيف. وله طريق آخر عند أحمد (٣/ ٨٢) نحو لكنه معل بالانقطاع.

(١) ساقط من «الأصل».

(٢) في «المعجم الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٦٢) من طريق عبد الرزاق وهو في «مصنفه» (ج٣/رقم ٥٩٩٢) عن معمر، عن أبي إسحاق عن ابن مسعود وإسناده منقطع بين أبي إسحاق وابن مسعود ثم رواه الطبراني عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه وهو منقطع أيضاً فأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. وأعلم أن لفظ الرواية مطول وقد اختصر المصنف منه هذه الجملة بالمعنى، وإلا فلفظ الرواية: «ثم يقول، يعني ابن مسعود، تعلموها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض».

(٣) الطبراني في «المعجم الكبير» (ج٩/ رقم ٨٦٦٦) من طريق محمد بن كثير، ثنا شعبة فذكره؛ وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص١٥٧) عن يحيى بن سعيد القطان، ثنا شعبة به وسنده صحيح؛ وأخرجه الطبراني أيضاً (٨٦٦٤، ٨٦٦٥) من طريق إسرائيل وزهير عن أبي إسحاق بسنده سواء. وهو عند ابن أبي شيبة (١٤/ ٩٤) من طريق زهير.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨١٤)؛ وأبو عبيد (ص٨٩)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٥)؛ والفريابي في «الفضائل» (٧٨) والنحاس في «القطع والائتناف» (ص٨٤) من طريق سفيان الثوري، عن أبي إسحاق بسنده سواء. وسنده صحيح أيضاً.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٦٧، ٨٦٦٨) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٨٦) قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن يوسف الفريابي، ثنا الثوري بسنده سواء.
قلت: وشيخ الطبراني واهٍ، فقد قال ابن عدي: «يحدث عن الفريابي وغيره بالبواطيل» وقد أخرجه الفسوي في «تاريخه» (٣/ ١٤٦)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٠١) من طريق قبيصة عن الثوري، عن إسماعيل عن سيار أبي حمزة، عن ابن مسعود مثله. ورجاله ثقات الإسناد إلا سياراً أبا حمزة فشبه المجهول، والظاهر أنه لم يدرك ابن مسعود. =

قال: «أعربوا هذا القرآن، فإنه عربي، وسجيء قوم يثقفونه، وليسوا بخياركم».

والثوريّ[١]، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، قال: «أديموا النظر في المصحف، وإذا اختلفتم في «ياء» و«تاء» فاجعلوها «ياءً»، «ذكّروا القرآن، فإنه مذكر».

وقال عبد الرزاق[٢]، عن إسرائيل، عن عبد العزيز بن رفيع، عن شداد بن معقل، سمعت ابن مسعود يقول: «إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة، وليصلين قوم لا خلاق لهم، ولينزعن القرآن من بين أظهركم». قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن! ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟! قال: يُسرى على القرآن ليلاً، فيذهب به من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه شيء، ويصبح الناس نفراً كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء].

وقال الطبراني[٣]: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا شعبة، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه، قال: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث، فهو راجز».

وقال هشام[٤]، عن الحسن أنه بلغه عن ابن مسعود مثل ذلك.

= وقد خولف الثوري في إسناده خالفه هشيم بن بشير فرواته عن إسماعيل، عمن حدثه عن ابن مسعود؛ أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٠٠)؛ وأخرجه أبو عبيد (ص٢٠٨)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٧) من طريق الثوري عن عقبة الأسدي، عن أبي العلاء عن ابن مسعود قال: «أعربوا القرآن فإنه عربي» وسنده ضعيف وعقبة هذا شبه المجهول؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٨٥) من طريق ليث بن أبي سليم وهو ضعيف عن طلحة بن مصرف، عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله قال: «أعربوا القرآن»؛ وأخرجه الطبراني (٨٦٨٤) من هذا الوجه مرفوعاً وهو منكر وله طريق آخر عند أبي نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٠٩).

(١) أخرجه الطبراني (٨٦٨٧) من طريق شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وقد قدمنا أنه واه ولكنه لم يتفرد بأصله، فأخرجه أبو عبيد (ص٤٦)؛ وعبد الرزاق (ج٣/رقم ٥٩٧٩)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٢٨)؛ والطبراني في «الكبير» (٨٦٩٦) من طريق الثوري بسنده سواء؛ وأخرجه البيهقي (٢٠٢٩) من طريق مفضل بن صدقة عن عاصم به، وسنده حسن. وله طرق أخرى تقدم ذكرها.

(٢) وأخرجه الطبراني (ج٩/رقم ٨٧٠٠)؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج٣/رقم ٥٩٨٦)؛ والضياء المقدسي في «اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمٰن» (١٩). وله طرق أخرى ذكرتها في «التسلية» يثبت بها.
قال الهيثمي (٧/ ٥٢، ٣٣٠): «رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة» قلت: وشداد هذا لم يوثقه إلا ابن حبان (٤/ ٣٥٧) وقال ابن سعد: «قليل الحديث».

(٣) «المعجم الكبير» (ج٩/رقم ٨٧٠٢)؛ وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٨٩) قال: حدثنا حجاج؛ وأخرجه ابن المقري في «معجمه» (ج٧/ق١٣٣/ ١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ١٩٨٣) من طريق يعقوب بن إسحاق الحضرمي، كلاهما عن شعبة بسنده سواء؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٠١)؛ والفريابي (١٤٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٧٠٣، ٨٧٠٤) من طريق الثوري ومسعر كلاهما عن علي بن بذيمة به.
وأخرجه الفريابي (١٤٧، ١٤٨)؛ وأبو عمرو الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص٣٢٢) من طريق إسرائيل وأبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود فذكره. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين أبي عبيدة وأبيه، ووهم محقق «الشعب» فقال: «إسناده لا بأس به»!

(٤) أخرجه الطبراني (ج٩/رقم ٨٧٠٥) وضعفه ظاهر.

ومن طريق الأعمش[١]، عن أبي وائل، قال: كان عبد الله بن مسعود يقل الصوم، فيقال له في ذلك، فيقول: «إني إذا صمت ضعفت عن القرآن والصلاة، والقراءة والصلاة أحب إلي».

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٨٦٨) من طريق زائدة، عن الأعمش به؛ وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٢٦)؛ وابن أبي شيبة (١٠/٥٠٩)؛ وابن جرير في «تهذيب الآثار» (٥٢١ ـ مسند عمر) من طريق أبي معاوية والثوري معاً عن الأعمش به.
وابن جرير في «التهذيب» (٥٢٠، ٥٢١ ـ مسند عمر)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٨٦٩، ٨٨٧٠، ٨٨٧٥) من طريق الثوري وشعبة وزهير بن معاوية ثلاثتهم عن أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الرحمٰن بن يزيد عن ابن مسعود مثله وهذان إسنادان صحيحان.
وزاد زهير في روايته: قال ما رأيت فقيهاً أقل صوماً من عبد الله بن مسعود فقيل له: لم لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة... وذكر نحوه ولم يذكر القراءة.
وأخرجه الطبراني (٨٨٧١) من طريق بكير بن عامر عن الشعبي عن ابن مسعود قال: «الصلاة أحب إلي من الصوم، ولم يكن يصلي الضحى»؛ قال الهيثمي (٢/٢٥٧): «فيه بكير بن عامر وثقه أحمد وضعفه ابن معين وغيره».
ثم أخرجه الطبراني (٨٨٧٢) من طريق حماد بن سلمة، عن أبي حمزة عن إبراهيم، عن ابن مسعود فذكره. وسنده ضعيف جداً. وأبو حمزة هو ميمون ضعيف ولعله واهٍ، ثم هو منقطع بين إبراهيم النخعي وابن مسعود. فالعمدة على ما تقدم والحمد لله.

مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة[(١)]

قال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا همام، عن قتادة؛ قال: نزل في المدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمٰن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن والطلاق و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١] إلى رأس العشر، و﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ [الزلزلة]، و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر] هؤلاء السور نزلت بالمدينة، وسائر السور بمكة.

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آيةً؛ ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال؛ فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومائتا[(٢)] آية وأربع آيات.

وقيل: وأربع عشرة آيةً. وقيل: ومائتان وتسع عشرة آيةً. وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آيةً، أو ست وعشرون آيةً. وقيل: ومائتا آية[(٣)] وست وثلاثون آيةً[(٢)]، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه «البيان». وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان، عن عطاء بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمةً وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمةً.

وأما حروفه[(٣)] فقال عبد الله بن كثير، عن مجاهد: هذا ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً.

وقال الفضل[(٤)]، عن عطاء بن يسار: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

---

(١) هذا العنوان بكامله من (ن). ووقع في (ج) و(ل): «مقدمة مفيدة» واعلم أن هذه المقدمة بكاملها ساقطة من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٢) ساقط من (ن) وفيها: «مائتان وست...».

(٣) وقد ورد في عدد حروفه حديث مرفوع لكنه منكر؛ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج٢/ق١١٤/ ١) قال: حدثنا محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثني أبي، عن جدي آدم بن أبي إياس، ثنا حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين». قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن عمر ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به: حفص بن ميسرة».اهـ. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٢) لابن مردويه.

* **قلت**: وهذا سند رجاله ثقات إلا شيخ الطبراني: «محمد بن عبيد» أورده الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٣٩) وقال: تفرد بخبر باطل ثم ذكر الحديث؛ وقال الهيثمي (٧/ ١٦٣) «شيخه، يعني الطبراني ذكره الذهبي في «الميزان» بهذا الحديث ولم أجد لغيره في ذلك كلاماً، وبقية رجاله ثقات».

(٤) في (ن): «ابن» وهو خطأ.

وقال سلام أبو محمد الحماني[١]: إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب؛ فقال: أخبروني عن القرآن كله؛ كم من حرف هو؟ قال: فحسبنا فأجمعوا أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألفاً وسبعمائة وأربعون حرفاً.

قال: فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الآية: ١٩] وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء، والثالث إلى آخره.

وسبعه الأول إلى الدال من[٢] قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ [النساء: ٥٥] والسُبُع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿(أُوْلَٰٓئِكَ)[٣] حَبِطَتْ﴾ [الآية: ١٤٧] والثالث إلى الألف الثانية من قوله (تعالى)[٣] في الرعد[٤]: ﴿أُكُلُهَا﴾ [الآية: ٣٥].

والرابع إلى الألف من قوله في (الحج)[٥]: ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الآية: ٣٤].

والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: ٣٦]. والسادس إلى الواو من قوله (تعالى)[٦] في الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية: ٦]. والسابع إلى آخر القرآن.

قال سلام أبو محمد: عملنا ذلك في أربعة أشهر؛ قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن؛ فالأول إلى آخر الأنعام، والثاني إلى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر الزمر، والرابع إلى آخر القرآن.

وقد ذكر[٧] الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافاً في هذا كله. فالله أعلم.

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن؛ والحديث في «مسند (الإمام)[٨] أحمد»، و«سنن أبي داود» و«ابن ماجه»، و(غيرهم)[٩]؛ عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث[١٠] عشرة، وحزب المفصل [من ﴿قٓ﴾][١١] حتى تختم.

فصل[١٢]

واختلف في معنى السورة مم هي مشتقة؛ فقيل: من الإبانة والارتفاع؛ قال النابغة:

ألـم تـرى أن الله أعـطـاك سـورةً ... تـرى كـل مـلـك دونـهـا يـتـذبـذب

فكأن القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة. وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلد. وقيل:

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص١١٩).
(٢) في (ج): «إلى»!
(٣) من (ن).
(٤) في (ل): «من أكلها في الرعد».
(٥) في (ن): «الألف في الحج من قوله».
(٦) من (ن).
(٧) في (ن): «حكى».
(٨) من (ن).
(٩) في (ل): «وغيرهما».
(١٠) في (ن): «ثلاثة عشر».
(١١) ساقط من (ن).
(١٢) ساقط من (ل).

سميت سورة لكونها قطعةً من القرآن وجزءاً منه مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية. وعلى هذا فيكون أصلها مهموزاً؛ وإنما (خففت)[١]، فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ما قبلها. وقيل: لتمامها وكمالها؛ لأن العرب يسمون الناقة التامة سورةً.

قلت: ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها، كما يسمى سور البلد، لإحاطته بمنازله ودوره، (والله أعلم)[٢].

وجمع السورة: سور ـ بفتح الواو ـ، وقد يجمع على سُوْرات وسُوَرات.

وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها، (وانفصالها)[٣]؛ أي: هي بائنة (من)[٤] أختها ومنفردة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وقال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع

قيل: لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآياتهم؛ أي: بجماعاتهم؛ وقال الشاعر:

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا

وقيل: سميت آية؛ لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها؛ قال سيبويه: وأصلها أيية مثل أكمة وشجرة، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصارت آية بهمزة بعدها مدة. وقال الكسائي: أصلها آيية، على وزن آمنة، فقلبت ألفاً، ثم حذفت لالتباسها. وقال الفراء: أصلها أيّة بتشديد الياء الأولى، فقلبت ألفاً كراهية (التشديد)[٥]، فصارت آية. وجمعها آيٌ، وآياي، وآيات.

وأما الكلمة فهي (اللفظه الواحده)[٦] وقد يكون على حرفين مثل: ما، ولا، (ولك)[٧] (ونحو ذلك)[٨]. وقد يكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨]، ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢].

وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ وكذلك ﴿الٓمٓ ۝١﴾ و﴿طه ۝١﴾ و﴿يسٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾ في قول الكوفيين: و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ عندهم كلمتان.

وغيرهم لا يسمى هذه آيات؛ بل يقول: هذه فواتح السور.

وقال أبو عمرو الداني: لا أعلم كلمةً هي وحدها آية إلا قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ بسورة الرحمٰن [الآية: ٦٤].

---

(١) في (ج): «خفف» وفي (ن): «خففت الهمزة»!
(٢) ساقط من (ن).
(٣) في (ج) و(ل): «انفصاله».
(٤) في (ن): «عن».
(٥) في (ن): «للتشديد».
(٦) في (ن): «اللفظة الواحدة».
(٧) ساقط من (ل) و(ن).
(٨) ساقط من (ج) و(ن).

فصل[١]

قال القرطبي[٢]: أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من (التراكيب)[٣] الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية؛ كإبراهيم، ونوح، ولوط. واختلفوا: هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلاني، (والطبري)[٤]؛ وقالا: ما وقع فيه (مما)[٥] يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات[١].

---

(١) هذا الفصل ساقط من (ج) وهو مقدم في الذكر على الفصل السابق عليه في (ل).
(٢) في «تفسيره» (١/ ٦٨).
(٣) في (ل): «الكتب»!
(٤) في (ل): «الطبراني»!!
(٥) في (ل): «ما».

سُورَةُ الفَاتِحَةِ(١)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾(٢)

(٣)[يقال لها: الفاتحة؛ أي: فاتحة الكتاب خطّاً، وبها (تفتتح)(٤) القراءة في (الصلاة)(٥) ويقال لها أيضاً: أم الكتاب عند الجمهور؛ (وكره)(٦) أنس، والحسن (١/ ٤٢/ ٢)، وابن سيرين كرها؛ (تسميتها)(٧) بذلك؛ قال الحسن، وابن سيرين: إنما ذلك اللوح المحفوظ.

وقال الحسن: الآيات المحكمات هن أم الكتاب، و(كذا كرها)(٨) أيضاً أن يقال لها: أم القرآن.

وقد ثبت في (الحديث)(٩) عند الترمذي(١٠)، وصححه عن أبي](٣) (١١)[هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «(الحمد لله رب العالمين)(١٢) أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني» (ويقال لها: السبع المثاني)(١٣) والقرآن العظيم(١١).

ويقال لها: «الحمد» و(يقال لها)(١٤): «الصلاة»؛ لقوله (ﷺ)(١٥) عن ربه(١٦): «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي...» الحديث؛ فسميت الفاتحة صلاةً؛ لأنها شرط فيها](٣).

---

(١) كذا في الأصول، وفي (ز): «فاتحة الكتاب».

(٢) من (ن).

(٣) ساقط من (ز)، و(ع)، و(هـ) و(ي).

(٤) في (ل): «تفتح».

(٥) في (ل) و(ن): «الصلوات».

(٦) في (ل) و(ن): «ذكره»!

(٧) وقع في (ن): «كرها تسميتها» ولفظة «كرها» مقحمة لا معنى لها وقد قيدت بهامش النسخة وأشار الناسخ إلى أنها سقطت من السياق، وجاءت هذه اللفظة على التثنية إشارة إلى الحسن وابن سيرين فقط.

(٨) يعني الحسن وابن سيرين، ووقعت في (ن): «ولذاكرها»! وفي (ك): «وكذا كروها» وفي (ل): «وكذا كره».

(٩) في (ن): «الصحيح»!

(١٠) في «سننه» (٣١٢٤)؛ وأخرجه البخاري (٨/ ٣٨١) وفي «جزء القراءة» (١٤٩)؛ وأبو داود (١٤٥٧)؛ والدارمي (٢/ ٣٢١)؛ وأحمد (٢/ ٤٤٨)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص١١٧، ١١٨)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٤٠، ٤١)؛ والبغوي الكبير في «مسند ابن الجعد» (٢٩٤٥)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٧٨)؛ والدارقطني في «العلل» (ج٣/ ق١٤/ ١)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢٠١، ٢٠٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢١٣٧، ٢١٤٠)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٤٥) من طرق عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً وليس عند البخاري: «الحمد لله».

(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(١٢) في (ن): «الحمد لله رب العالمين».

(١٣) ساقط من (ك) و(ن).

(١٤) ساقط من (ل).

(١٥) في (ج) و(ل): «عليه السلام».

(١٦) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٣٢)، وفي «جزء القراءة» (٧٢)؛ ومسلم (١/ ٢٩٦).

[(١)][ويقال لها: «الشفاء» لما رواه الدارمي[(٢)]، عن أبي سعيد، مرفوعاً:][(١)] [(٣)][«فاتحة الكتاب شفاء من كل سم». ويقال لها: «الرقية» لحديث أبي سعيد (في)[(٤)] «الصحيح»[(٥)] حين رقى بها الرجل السليم، فقال له رسول الله ﷺ: «وما يدريك أنها رقية؟».

وروى الشعبي[(٦)]، عن ابن عباس أنه سماها «أساس القرآن»؛ قال: (وأساسها)[(٧)] بسم الله الرحمٰن الرحيم. وسماها سفيان بن عيينة «بالواقية»[(٨)].

وسماها يحيى[(٩)] بن أبي كثير «الكافية»؛ لأنها تكفي عما عداها، ولا يكفي ما سواها عنها، كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة[(١٠)]: «أم القرآن عوض من غيرها، وليس غيرها][(١)]

---

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٢) كذا قال ابن كثير رحمه الله، ووهم في ذلك؛ لأن الدارمي رواه في «سننه» (٢/ ٣٢٠) عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره هكذا معضلاً أو مرسلاً وليس عند الدارمي: «سم» بل «داء».
ثم تبين لي أن ابن كثير تبع القرطبي في هذا الوهم، فقد ذكره الأخير في «تفسيره» (١/ ١١٢) وعزاه للدارمي عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظه. وأثر عبد الملك بن عمير أخرجه أيضاً البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٥٤) وقال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥): «رجاله ثقات» أما حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «فاتحة الكتاب شفاء من السم» فأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٧٨) وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٥٣)؛ والثعلبي في «تفسيره» (ج١/ق٦/ ٢ ـ ١٤/ ١) قال: حدثنا سلام الطويل، عن زيد العمي، عن ابن سيرين عن أبي سعيد مرفوعاً به. وسنده واه جداً، وسلام الطويل متروك وزيد العمى ضعيف، ورجح البيهقي أن هذا الحديث مختصر من حديث اللديغ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

(٣) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي). (٤) ساقط من (ك).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ٤٥٣، ١٠/ ١٩٨، ٢٠٩)؛ ومسلم (٢٢٠١/ ٦٥)، وله طرق وألفاظ.
ووقع في إسناده اختلاف لا يضر.

(٦) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (ج١/ق١٤/ ١) مطولاً بسند رجاله ثقات إلا مزاحم بن محمد فلم أعرفه ويكنى بـ«أبي هريرة».

(٧) في (ك): «وأسمائها»!!

(٨) أخرجه الثعلبي (١/ ١٤/ ١) من طريق أبي يزيد حاتم بن محبوب المسامي، نا عبد الجبار بن العلاء، قال: كان سفيان بن عيينة يسمى فاتحة الكتاب: الواقية. وحاتم بن محبوب لم أجد له ترجمة، والله أعلم.

(٩) كذا وقع في جميع «الأصول»، والصواب أنه: «عبد الله بن يحيى بن أبي كثير» فأخرجه الثعلبي (١/ ١٤/ ١) من طريق علي بن حجر، نا عفيف بن سالم، قال: سألت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام؟ فقال: عن الكافية تسأل؟ قلت: وما الكافية؟ قال: «الفاتحة، أما علمت أنها تكفي عن سواها، إياك أن تصلي إلا بها». وهذا سند جيد إن كان من دون علي بن حجر ثقات. والله أعلم.

(١٠) كذا قال ابن كثير رحمه الله «المرسلة» ولا وجه لهذه اللفظة؛ لأن الحديث متصل كما يأتي ليس بمرسل، ولعل المصنف لما نظر في «تفسير القرطبي» (١/ ١١٣) فوجده يقول: «يدل عليه ما روى محمد بن خلاد الإسكندراني قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره» أقول: لعله لما رأى هذا قال ما قال! وفي عبارة القرطبي خلل، ولعله سقط منها: «... الإسكندراني بسنده قال... إلخ» والله أعلم.
ثم إن هذا الحديث منكر، أخرجه الدارقطني (١/ ٣٢٢)؛ والحاكم (١/ ٢٣٨)؛ والثعلبي (١/ ١٤/ ١) من طريق محمد بن خلاد الإسكندراني، ثنا أشهب بن عبد العزيز، حدثني سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت مرفوعاً فذكره.
قال الحاكم: «رواة هذا الحديث كلهم أئمة وكلهم ثقات على شرطهما» كذا قال! ومحمد بن خلاد وشيخه =

[١][(عوضاً)[٢] منها» ويقال لها: سورة الصلاة، والكنز؛ ذكرهما الزمخشري[٣] في كشافه][١] وهي مكية؛ (قاله ابن عباس، وقتادة وأبو العالية)[٤]، وقيل: مدنية؛ (قاله أبو هريرة، ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزهري)[٤].

ويقال: نزلت مرتين؛ مرةً بمكة، ومرةً بالمدينة. والأول أشبه، [٥](لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧])[٦] (والله تعالى أعلم)[٦].

[٦](وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة، ونصفها الآخر نزل بالمدينة؛ وهو غريب جداً، نقله القرطبي[٧] عنه)[٦].

وهي سبع آيات بلا خلاف [٨](وقال عمرو بن عبيد: ثمانٍ. وقال حسين الجعفي: ستة. وهذان (القولان)[٩] شاذان)[٨]. وإنما اختلفوا في البسملة؛ هل هي آية مستقلة من أولها كما هو (المشهور)[١٠] عن جمهور قراء الكوفة، وقول جماعة من الصحابة والتابعين، وخلق من الخلف. أو بعض آية، (أو لا)[١١] تعد من أولها بالكلية، كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء؟ على ثلاثة أقوال، كما سيأتي تقريرها في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قالوا: وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفاً.

قال البخاري في أول «كتاب التفسير»[١٢]: وسميت أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة.

وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته.

قال ابن جرير[١٣]: والعرب تسمى كل جامع أمراً ـ أو مقدم لأمر، إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع ـ «أُمّاً»؛ فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: «أم الرأس»، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها «أمًّا»؛ واستشهد بقول ذي الرمة:

= لم يخرج لهما الشيخان شيئاً، وقال الدارقطني: «تفرد به محمد بن خلاد، عن أشهب، عن ابن عيينة». قلت: ومحمد بن خلاد قال ابن يونس: «يروي مناكير». وقال الذهبي: «لا يدري من هو وانفرد بهذا الخبر» وتعجب الحافظ في «اللسان» (٥/ ١٥٦) من قول الذهبي، وابن خلاد وثقه العجلي وكذا ابن حبان. قال الحافظ: «وما أعرف للمؤلف ـ يعني الذهبي ـ سلفاً في ذكره في الضعفاء سوى قول ابن يونس... إلخ» والمحفوظ ما رواه الحفاظ عن ابن عيينة بالسند المتقدم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». والله أعلم وقد رواه أصحاب الزهري الثقات هكذا.

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).
(٢) في (ن): «عوض»!
(٣) انظر: «الكشاف» (١/ ٤).
(٤) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٦) ساقط من (ك) و(ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٧) في «تفسيره» (١/ ١١٥).
(٨) ساقط من (ج) و(ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٩) من (ن) وسقط من (ك).
(١٠) ساقط من (ن) وفيها: «كما هو عند الجمهور... إلخ» وكذا سقط من (ع) و(هـ).
(١١) في (ز): «ولا».
(١٢) يعني: من «صحيحه» (٨/ ١٥٥).
(١٣) في «تفسيره» (١/ ١٠٧، ١٠٨).

علــى رأســه أم لــنــا نــقــتــدي بــهــا جــمــاع أمــور لــيــس نــعــصــي لــهــا أمــراً

يعني: الرمح.

قال: وسميت مكة أم القرى؛ لتقدمها أمام جميعها، وجمعها ما سواها.

وقيل: لأن (١/٤٣/١) الأرض دحيت (منها)[١].

ويقال لها أيضاً: الفاتحة؛ لأنها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام، وصح تسميتها بالسبع المثاني؛ قالوا: لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعةٍ، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله (تعالى)[٢].

قال الإمام أحمد[٣]: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا ابن أبي ذئب، وهاشم بن هاشم، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال في أم القرآن: «هي أم القرآن وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم».

ثم رواه[٤] عن إسماعيل بن عمر، عن ابن أبي ذئب، به.

وقال أبو جعفر[٥] محمد بن جرير الطبري: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني».

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في «تفسيره»: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا محمد بن غالب بن (حرب)[٦]، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي، حدثنا المعافى بن عمران، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن المقبري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمٰن الرحيم إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم؛ وهي أم الكتاب، (وفاتحة الكتاب)»[٧].

وقد رواه الدارقطني[٨] أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه أو مثله؛ وقال: «كلهم ثقات».

---

(١) في (ز) و(ك): «من تحتها».

(٢) من (ك) و(ن).

(٣) في مسنده (٢/٤٤٨).

(٤) في «مسند» (٢/٤٤٨).

(٥) في «تفسيره» (١/٤٠، ٤١) وقد تقدم تخريجه في أول السورة.

(٦) في (ن): «حارث» وهو خطأ، وهو محمد بن غالب بن حرب المعروف بـ«تمتام» أحد الحفاظ له ترجمة في «الجرح والتعديل» (٤/١/٥٥) و«تاريخ بغداد» (٣/١٤٣ ـ ١٤٦).

(٧) ساقط من (ج).

(٨) في «سننه» (١/٣١٢)؛ وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج٢/ق١٠/٢ ـ ١١/١)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢/٤٥، ٣٧٦، ٣٧٧)؛ وفي «الشعب» (ج٥/رقم٢١٢١)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/٦/١) من طريق عبد الحميد بن جعفر سنده سواء. ونقل المصنف ﷺ عن الدارقطني أنه قال: «كلهم ثقات» ولم أجد هذا القول في «سننه» وإنما قاله في الحديث الذي بعده، فلعلَّ نظر المصنف انتقل حال النقل، والله أعلم.
=

وروى البيهقي[١] عن علي، وابن عباس، وأبي هريرة؛ أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] بالفاتحة، وأن البسملة هي الآية السابعة منها وسيأتي تمام هذا عند البسملة.

[٢][وقد روى الأعمش[٣]، عن إبراهيم؛ قال: قيل لابن مسعود:][٢] [٤][لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك؟ فقال: لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة. قال أبو بكر بن داود: يعني حيث يقرأ في الصلاة، قال: واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها.

وقد قيل: إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن، كما ورد في حديث رواه البيهقي في «دلائل النبوة»[٥]، ونقله الباقلاني أحد أقوال ثلاثة. (هذا أحدها)[٦]؛ وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر] كما في حديث جابر في «الصحيح»[٧]. وقيل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق] وهذا هو الصحيح[٨] كما سيأتي تقريره في موضعه، والله المستعان][٤].

= وقد رواه أبو بكر الحنفي، كما عند الدارقطني، قال: ثنا عبد الحميد بن جعفر، أخبرني نوح بن أبي بلال، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال أبو بكر الحنفي: ثم لقيت نوحاً فحدثني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة بمثله ولم يرفعه، وهذا هو الصواب، وعندي أن عبد الحميد بن جعفر وهم في رفعه، فهو وإن كان وثقه غير واحد فقد ضعفه الثوري ولينه النسائي، وقال ابن حبان: «ربما أخطأ» ومما يدل على وهمه أن أبا بكر الحنفي وهو أوثق منه لقي نوحاً فحدثه به موقوفاً، ويتأيد هذا البحث بما رواه الثعلبي (١/ ٩/ ١) من طريق يزيد بن سنان، نا أبو بكر الحنفي، نا نوح بن أبي بلال قال: سمعت سعيداً المقبري.
عن أبي هريرة قال: «إذا قرأتم أم القرآن فلا تدعوا بسم الله الرحمٰن الرحيم فإنها إحدى آياتها، وإنها السبع المثاني» هكذا ذكره موقوفاً، ويزيد بن سنان أبو خالد القزاز وثقه النسائي، وابن حبان وابن أبي حاتم وزاد: «صدوق»، ومما يدل على هذا أيضاً أن الثقات رووه عن ابن أبي ذئب عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً ولم يذكر أحد منهم: «إحداهن بسم الله الرحمٰن الرحيم». والله أعلم. ثم رأيت البيهقي (٢/ ٤٥) صحح وقفه فللَّه الحمد.

(١) في «سننه» (٢/ ٤٥). وأخرجه هذه الآثار أيضاً سعيد بن منصور في «تفسيره» (ق١٤٦/ ١)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٧٩)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (ج٢/رقم ٢٦٠٩)؛ والطبري (١٤/ ٥٤، ٥٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢١٤١، ٢١٤٢)؛ والحاكم (٢/ ٢٥٧)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢١٢).
وإسناد أثر علي بن أبي طالب جيد، أما أثر ابن عباس فصححه الحاكم ووافقه الذهبي! وفيه والد ابن جريج تكلم فيه البخاري والعقيلي.

(٢) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).

(٣) لكنه منقطع، وإبراهيم النخعي لم يدرك ابن مسعود. (٤) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).

(٥) انظر: «الدلائل» (٢/ ١٥٨) وقال البيهقي: «فهذا منقطع».
وقال المصنف في «البداية والنهاية» (٣/ ٩) بعد أن عزاه لأبي نعيم أيضاً: «وهو مرسل، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل». وزعم الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٢٣) أن أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل من القرآن، هو خطأ واضح، وكان الرجل مزجى البضاعة في النقل، تام الفقر في هذا الباب، وهذا سمت عام للمعتزلة وهو الجهل بالنقل، لذلك ضلوا، فنسأل الله أن يربط على قلوبنا حتى نلقاه.
وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧١٤) وقال بعد حكاية مقالته: «كذا قال! والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول؛ يعني: أن سورة العلق أول ما نزل، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول». اهـ.

(٦) ساقط من (ن) وسقط لفظ «أحدها» من (ج) و(ك) و(ى).

(٧) أخرجه البخاري (٨/ ٦٧٦، ٦٧٧)؛ ومسلم (٢٥٧/ ٧٣) ويأتي تخريجه بعد إن شاء الله.

(٨) وثبت فيه حديث عائشة وغيره، ويأتي تخريجه في موضعه إن شاء الله.

ذكر ما ورد في فضل الفاتحة:

قال الإمام أحمد[(١)] (بن محمد بن حنبل)[(٢)] رحمه الله تعالى في «مسنده»: «حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، حدثني خبيب بن عبد الرحمٰن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى (رضي الله عنه)[(٣)] قال: كنت أصلي، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت؛ قال: (وأتيته)[(٤)] فقال: «ما منعك أن تأتيني»؟ قال: قلت: يا رسول الله؛ إني كنت أصلي. قال: «ألم يقل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]»، ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»؛ قال: (١/ ٤٣/ ٢)؛ فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله؛ إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: «نعم، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي ابن المديني، كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان، به. ورواه في موضع آخر من «التفسير» وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من طرق عن شعبة، به.

ورواه الواقدي[(٥)]، عن محمد بن معاذ الأنصاري، عن خبيب بن عبد الرحمٰن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى، عن أُبي بن كعب، فذكر نحوه.

وقد وقع في «الموطأ»[(٦)] للإمام مالك (بن أنس)[(٧)] (رحمه الله)[(٨)] ما ينبغي التنبيه عليه؛ فإنه رواه مالك، عن العلاء بن عبد الرحمٰن بن يعقوب الحرقي أن أبا سعيد مولى (عامر)[(٩)] بن كريز، أخبرهم أن رسول الله ﷺ نادى أُبي بن كعب وهو يصلي في المسجد، فلما فرغ من صلاته لحقه؛ فوضع النبي ﷺ يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد، ثم قال (ﷺ)[(٧)]: «إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورةً ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في (القرآن)[(١٠)] مثلها».

قال أُبي (رضي الله عنه)[(٧)]: فجعلت أُبطئُ في المشي رجاء ذلك؛ ثم قلت: يا رسول الله،

---

(١) في «مسنده» (٤/ ٢١١) وأخرجه أيضاً (٣/ ٤٥٠) قال: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة بمثله وأخرجه البخاري (٨/ ١٥٦، ١٥٧، ٣٠٧، ٣٨١، ٩/ ٥٣)؛ وأبو داود (١٤٥٨)؛ والنسائي (٢/ ١٣٩)؛ وفي «فضائل القرآن» (٣٥)، وفي «تفسيره» (١، ٢٩)؛ وابن ماجه (٣٧٨٥)؛ والدارمي (١/ ٣٨٩، ٢/ ٣٢٠) وغيرهم من هذا الوجه.

(٢) ساقط من (ل). (٣) ساقط من (ل) و(هـ).

(٤) في (هـ) و(ن): «فأتيته».

(٥) والواقدي متروك وشيخه مجهول كما صرح بذلك الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٥٧) وتلقفه منه البدر العيني في «العمدة» (١٨/ ٨١) والمحفوظ رواية شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمٰن.

(٦) (١/ ٨٣/ ٣٧)؛ وأخرجه من طريق مالك إسحاق بن راهويه، كما في «إتحاف المهرة» (ق١٢٥/ ٢)؛ للبوصيري وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١١٧) وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢١٧): «أبو سعيد مولى عامر.. حديثه هذا مرسل» وقد خولف مالك في إسناده. خالفه شعبة والدراوردي، وعبد الرحمٰن بن إبراهيم، وإسماعيل بن جعفر وإبراهيم بن طهمان وجماعة فرووه عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: مرَّ النبي ﷺ على أُبي بن كعب وهو قائم يصلي.. وساق الحديث بنحوه؛ أخرجه النسائي في «تفسيره» (٢٢٥)؛ والترمذي (٢٨٧٥) وقال: «حسن صحيح»؛ والدارمي (٢/ ٣٢٠، ٣٢١)؛ وأحمد (٢/ ٤١٢، ٤١٣)، وغيرهم. واختلف في إسناده أيضاً.

(٧) ساقط من (ك). (٨) من (ن).

(٩) وقع في (ك) و(ن): «ابن عامر».

(١٠) كذا في (هـ) و(ى) وهو الموافق لما في «الموطأ» ووقع في (ج) و(ز) و(ك) و(ل): «الفرقان».

(السورة)[١] التي وعدتني؟ قال: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» قال: فقرأت عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ حتى أتيت على آخرها؛ فقال رسول الله ﷺ: «هي هذه السورة، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيت».

فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن[٢] الأثير في «جامع الأصول» ومن تبعه؛ فإن ابن المعلى صحابي أنصاري، وهذا تابعي من موالي خزاعة، وذاك الحديث متصل صحيح، وهذا ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أُبي بن كعب؛ فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط[٣] مسلم. والله أعلم.

على أنه قد روى عن أُبي بن كعب من غير وجه، كما قال الإمام أحمد[٤]: حدثنا عفان، حدثنا عبد الرحمٰن بن إبراهيم، حدثنا العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه؛ قال: خرج رسول الله ﷺ على أُبي بن كعب وهو يصلي؛ فقال، يا أُبي. فالتفتَ ثم لم يجبه؛ ثم (صلى)[٥] أُبي، فخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك أي رسول الله.

[٦](فقال: «وعليك السلام. ما منعك أي أُبي (إذ)[٧] دعوتك أن تجيبني؟» فقال: أي رسول الله؛ إني)[٦] كنت في الصلاة. قال: «أولست تجد فيما أوحى الله تعالى إليّ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» قال: بلى يا رسول الله؛ لا أعود، قال: «أتحب أن أعلمك سورةً لم ينزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟» قلت: نعم أي رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو ألا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها». قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيدي يحدثني وأنا (أتبطأ)[٨] مخافة أن يبلغ قبل أن يقضى

---

(١) وقع في (ز) و(ن) و(هـ): «ما السورة».

(٢) وكذلك نبه على خطأ ابن الأثير: الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٢٩)، والحافظ في «الفتح» (٨/ ١٥٧).

(٣) كذا قال! وهو مذهب جماعة من العلماء منهم الحاكم النيسابوري صاحب «المستدرك» أنهم إذا رأوا رجال الإسناد رجال الصحيح قالوا على شرطه، والصواب: مراعاة الترجمة، فإذا كان صاحب «الصحيح» مثلاً أخرج هذه الترجمة قيل: إنها على شرطه، وليس مجرد الرجال حسب وخذ مثلاً: فهشيم بن بشير من رجال «الصحيحين» وكذا الزهري، ومع ذلك فلو رأينا الإسناد: «هشيم عن الزهري» فلا يقال: على شرطهما؛ لأنهما ما أخرجا شيئاً لهشيم عن الزهري إنما أخرج هذه الترجمة النسائي والترمذي، فبعد هذا نقول: لو سمعه أبو سعيد مولى عامر من أُبي بن كعب لم يكن على شرط مسلم؛ لأنه لم يخرج هذه الترجمة، إنما روى حديثاً واحداً لأبي سعيد هذا ولكن عن أبي هريرة. والله أعلم.

(٤) في «مسنده» (٢/ ٤١٢، ٤١٣)؛ وأخرجه النسائي في «تفسيره» (٢٢٥)؛ والترمذي (٢٨٧٥)؛ والدارمي (٢/ ٣٢٠، ٣٢١)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص١١٦، ١١٧)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٤٠)؛ وابن خزيمة (٢/ ٣٧، ٣٨)؛ وأبو يعلى (١١/ ٣٦٧)؛ والسراج في «تاريخه»، كما في «التمهيد» (٢٠/ ٢١٨)؛ والطحاوي في «المشكل» (١/ ٤٦٧، ٤٦٨)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢١٨، ٢١٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦)، وفي «تفسيره» (١/ ٤٢، ٤٣) من طرق عن العلاء بن عبد الرحمٰن به وصححه الترمذي والبغوي.

(٥) في كل (الأصول): «قال»، وما ذكرته من «المسند».

(٦) ساقط من (ك). (٧) في (ج) و(ل): «أن».

(٨) كذا في (ز) وهو الموافق لما في «المسند» وفي سائر (الأصول): «أتباطأ» وهما بمعنى.

الحديث. فلما دنونا من الباب (١/ ٤٤/ ١) قلت: أي رسول الله؛ ما السورة التي وعدتني؟ قال: «ما تقرأ في الصلاة؟» قال: فقرأت عليه أم القرآن. قال: «والذي نفسي بيده! ما (أنزل الله)[١] في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؛ إنها السبع المثاني».

ورواه الترمذي، عن قتيبة، عن الدراوردي، عن العلاء، (عن أبيه)[٢]، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)[٣]... فذكره.

وعنده: «أنها من السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته».

ثم قال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الباب عن أنس[٤] بن مالك.

ورواه عبد[٥] الله ابن الإمام أحمد، عن إسماعيل (أبي معمر)[٦]، عن أبي أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أُبي بن كعب فذكره مطولاً بنحوه أو (قريب)[٧] منه.

---

(١) كذا في (ز) وهو الموافق لرواية «المسند»، وفي سائر (الأصول): «أنزل».

(٢) من أول سورة الفاتحة إلى هذا الموضع ساقط من النسخة (ع).

(٣) زيادة من (ن).

(٤) أخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٣٦)؛ وفي «اليوم والليلة» (٧٢٣)؛ وابن حبان (١٧١٣)؛ والحاكم (١/ ٥٦٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم٥١٤٤)؛ والضياء في «المختارة» (١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠) من طريق علي بن عبد الحميد المعني، بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر النون، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت البناني، عن أنس قال: كان النبي ﷺ في مسير، فمشى ورجل من أصحابه إلى جنبه، فالتفت إليه وقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ قال: فتلا: الحمد لله رب العالمين». وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم قلت: بل صحيح فقط، وعلي بن عبد الحميد لم يخرج له مسلم شيئاً، وعلق له البخاري، والله أعلم.
والحديث عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٥)؛ لأبي ذر الهروي في «الفضائل».

(٥) في «زوائد المسند» (٥/ ١١٤، ١١٥)؛ وأخرجه النسائي (٢/ ١٣٩)؛ والترمذي (٣١٢٥)؛ والدارمي (٢/ ٣٢٠)؛ وابن خزيمة (ج١/ رقم٥٠٠، ٥٠١)؛ وابن حبان (١٧١٤ ـ موارد)؛ وابن المنذر في (الأوسط) (٣/ ٩٩)؛ وعبد بن حميد (١٦٥)؛ وابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٤٦)؛ وابن جرير (١٤/ ٤١)؛ والحاكم (١/ ٥٥٨، ٢/ ٢٥٨)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢١٨، ٢١٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢١٣٩)، وفي «القراءة خلف الإمام» (١٠٣) من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أُبي بن كعب... فذكره.
قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»!
قلت: وقد خولف عبد الحميد، خالفه جماعة كثر منهم الدراوردي وإسماعيل بن جعفر وآخرون سبق ذكر أسمائهم فرووه عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن أُبيّاً... الحديث. فجعلوه من «مسند أبي هريرة». ورجح الترمذي رواية الدراوردي ومن معه، وخالفه ابن عبد البر فقال في «التمهيد»: «رواية عبد الحميد بن جعفر أشبه عندي». وحكم الترمذي أصح وأسد؛ لأن عبد الحميد بن جعفر وإن كان ثقة فقد قال ابن حبان: «ربما أخطأ» وقد خالفه عشرة من الثقات فروايتهم أولى، وتتأيد روايتهم بشيء آخر ذكرته في «التسلية» والمقام هنا لا يحتمل البسط. والله الموفق.

(٦) وقع في (ز) و(ن): «ابن أبي معمر» وهو خطأ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر أبو معمر القطيعي الهروي نزيل بغداد، قال ابن معين: «ثقة مأمون».

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى). ووقع في (ز) و(ن) و(هـ): «قريباً».

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن أبي عمار حسين بن حريث، عن الفضل بن موسى، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أُبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي نصفين». هذا لفظ النسائي.

وقال الترمذي: «(حديث)[١] حسن غريب».

وقال الإمام أحمد[٢]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا هاشم - يعني ابن البريد، حدثنا عبد الله بن محمد (بن)[٣] عقيل، عن (ابن)[٤] جابر؛ قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد أهراق الماء فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليّ (قال)[٥]: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد (علي)[٦]. قال: فانطلق رسول الله ﷺ يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله، ودخلت أنا المسجد، فجلست كئيباً حزيناً، فخرج علي رسول الله ﷺ (و)[٧] قد تطهر، فقال: «عليك السلام ورحمة[٨] الله؛ وعليك السلام ورحمة الله»؛ ثم قال: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر (بأخير)[٩] سورة في القرآن؟» قلت: بلى يا رسول الله قال: «اقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ حتى تختمها».

هذا إسناد جيد، وابن عقيل[١٠] هذا يحتج به الأئمة الكبار، وعبد الله بن جابر هذا (هو)[١١] الصحابي ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدي. والله أعلم. ويقال: إنه عبد الله بن جابر الأنصاري[١٢] البياضي فيما ذكره الحافظ ابن عساكر.

---

(١) زيادة من (ن) و(هـ).

(٢) في «مسنده» (٤/ ١٧٧). وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٥٣) من طريق علي بن هاشم، عن هاشم بن البريد بسنده سواء. وقد اختلف في إسناده كما يأتي.

(٣) في (ج): «عن» وهو خطأ.

(٤) ساقط من (ن).

(٥) من (ز) و(ل) و(ن) و(هـ).

(٦) ساقط من (ج).

(٧) من (ن).

(٨) في (ن) زيادة «وبركاته» في الموضعين، ولم يقع هذا اللفظ في «المسند».

(٩) كذا في «الأصول» كلها، وفي «المسند»: «بخير»، وفي (ل): «ما خير».

(١٠) لكن اختلف عليه في إسناده فقد رواه محمد بن عبيد وعلي بن هاشم كلاهما عن هاشم بن البريد عن ابن عقيل، عن عبد الله بن جابر. وخالفهما عيسى بن يونس فرواه عن هاشم بن البريد، عن ابن عقيل، عن جابر بن عبد الله الأنصاري فذكر نحوه من أوله فقط ولم يذكر «ألا أخبرك... إلخ» أخرجه ابن ماجه (٣٥٢)؛ وأبو يعلى، كما في «زوائد البوصيري»، وابن أبي حاتم في «العلل» (٦٨)؛ وابن عدي (٧/ ٢٥٧٤)؛ والخطيب في «تلخيص المتشابه» (٧٦٦/ ٢). وحسن إسناده البوصيري في «الزوائد» وقال مغلطاي في «شرح ابن ماجه» (ج١/ ق٦٨/ ١) «هذا الحديث إسناده لا بأس».اهـ. ولعل هذا الاختلاف من عبد الله بن محمد بن عقيل مع أنه يلوح لي أنهما حديثان لا حديث واحد، لاشتمال حديث محمد بن عبيد وعلي بن هاشم على زيادة في المتن ليست في حديث عيسى بن يونس. والله أعلم.

(١١) زيادة من (ز).

(١٢) ولعل هذا هو الصواب، وقد ذكر الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٣٣، ٣٤) هذا الحديث في ترجمة «البياضي» دون العبدي. والله أعلم.

(١)[واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض، كما هو المحكي عن كثير من العلماء؛ منهم إسحاق بن](١) (٢)[راهويه، وأبو بكر بن العربي، وابن(٢) الحصار من المالكية.

وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل في ذلك؛ لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وإن كان الجميع فاضلاً. نقله القرطبي عن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني، وأبي حاتم (ابن حبان)(٣) البستي، ويحيى بن يحيى، وروايةً عن الإمام مالك (أيضاً)(٤)](٢).

حديث آخر: قال البخاري في «فضائل القرآن»(٥): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا وهب، حدثنا هشام، عن محمد، عن معبد، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كنا في مسير لنا، فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد (١/ ٤٤/ ٢) الحي سليم، وإن نفرنا غيب، فهل (منكم)(٦) راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأْبِنُهُ(٧) برقية، فرقاه فبرأ؛ فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبناً؛ فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقيةً؟ أو كنت ترقى؟ قال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب. قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي (أو)(٨) نسأل رسول الله ﷺ.

(فلما قدمنا إلى المدينة ذكرناه للنبي ﷺ)(٩) فقال: «وما كان يدريه أنها رقية؟، اقسموا واضربوا لي بسهم».

وقال أبو معمر(١٠): حدثنا عبد الوارث، حدثنا هشام، حدثنا محمد بن سيرين، حدثني معبد بن سيرين، عن أبي سعيد الخدري بهذا.

---

(١) ساقط من (ع).

(٢) ساقط من (ع) ووقع في (ن): «ابن الحضار» بالضاد المعجمة، وهو تصحيف وصوابه بالصاد المهملة وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد القرطبي المالكي كان أحد الأذكياء. قال ابن حزم: «ما لقيت أشد إنصافاً في المناظرة من ابن بشر، ولقد كان أعلم من لقيته بمذهب مالك مع قوته في علم اللغة والنحو ودقة فهمه». وانظر: «السير» (١٧/ ٤٧٣ ـ ٤٧٥). قلت: وهذه شهادة من بين فكي أسد، فللّه دره.

(٣) ساقط من (هـ) و(ى) وفي (ن) زيادة: «وأبي حيان» وأظنه تكرير من الناسخ.

(٤) ساقط من (ز).

(٥) يعني: من «صحيحه» (٩/ ٥٤)؛ وهشام هو ابن حسان، ومحمد ومعبد هما ابنا سيرين؛ وأخرجه مسلم (٢٢٠١/ ٦٦)؛ وأبو داود (٣٤١٩)؛ وأحمد (٣/ ٨٣)؛ وابن حبان (٦١١٣) من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا هشام بن حسان بسنده سواء نحوه.

(٦) في (ج): «معكم» بالعين المهملة بدل النون، والذي في «البخاري» وسائر (الأصول): «منكم».

(٧) نأبنُهُ برقيةٍ: أي ما كنا نعلم أنه يرقى فنعيبه بذلك. كذا في «النهاية» (١/ ١٧).

(٨) كذا في «البخاري» وفي سائر (الأصول)، وفي (ن): «ونسأل» بواو العطف.

(٩) ساقط من (ج).

(١٠) وهذا التعليق وصله الإسماعيلي في «مستخرجه» من طريق محمد بن يحيى الذهلي، عن أبي معمر قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٤، ٥٥): «أراد؛ يعني: البخاري، بهذا التعليق التصريح من محمد بن سيرين لهشام، ومن معبد لمحمد، فإنه في الإسناد الذي ساقه أولاً بالعنعنة في الموضعين».

وهكذا رواه مسلم، وأبو داود، من رواية هشام ـ وهو ابن حسان، عن ابن سيرين، به.

وفي بعض روايات «مسلم»[١] لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم؛ يعني: اللديغ؛ يسمونه بذلك تفاؤلاً.

حديث آخر: روى «مسلم»[٢] في «صحيحه»، والنسائي في «سننه»، من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم، عن عمار بن رزيق، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضاً[٣] فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط. قال: فنزل منه ملك، فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منها إلا أوتيته.

وهذا لفظ النسائي ولمسلم نحوه.

حديث آخر: قال مسلم[٤]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ـ هو ابن راهويه، حدثنا سفيان بن عيينة، عن العلاء ـ يعني ابن عبد الرحمٰن بن يعقوب (الحرقي)[٥]، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداع ـ ثلاثاً ـ غير تمام».

فقيل لأبي هريرة: إنا نكون (وراء)[٦] الإمام فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾» (قال)[٧]: مجدني عبدي.

---

(١) كذا! وهو وهم، ولم يقع ذلك في «صحيح مسلم» إنما أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (١٠٢٧، ١٠٣٠)؛ والترمذي (٢٠٥٣)؛ وابن ماجه (٢١٥٦)؛ وأحمد (٣/ ١٠) وغيرهم من طريق الأعمش، عن أبي بشر، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد فذكره وفيه: «فأتونا فقالوا: هل أحد منكم يرقي؟ قلت: أنا راق... الحديث». وأخرجه أحمد (٣/ ٥٠)؛ والدارقطني (٣/ ٦٤) من طريق عبد الرحمٰن بن النعمان أبي النعمان الأنصاري، قال: سمعت سليمان بن قتة، بالقاف والتاء المثناة من فوق، قال: نا أبو سعيد الخدري فذكر الحديث وفيه: «فمر بنا رجل من أهل القرية، فقال: يا معشر العرب هل منكم أحد يحسن أن يرقي؟ إن الملك يموت. فقال أبو سعيد: فأتيته فقرأ عليه فاتحة الكتاب فأفاق وبرأ... الحديث».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٣) نقيضاً؛ أي: صوتاً كصوت الباب إذا فتح.

(٤) في «صحيحه» (٣٨/٣٩٥)؛ وأخرجه البخاري في «جزء القراءة» (١١، ٧١، ٧٤، ٧٨، ٢٦١)؛ وأبو عوانة (٢/ ١٢٧)؛ والترمذي (٢٩٥٣)؛ وأحمد (٢/ ٢٤١)؛ والحميدي (٩٧٣، ٩٧٤)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٣)؛ والسراج في «حديثه» (ج١٠/ق١٩٠/ ١، ٢) وآخرون من طرق عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة مطولاً ومختصراً.

(٥) الحرقي، بضم الحاء المهملة وفتح الراء، ووقع في (ن): «الخرقي» بالخاء المعجمة وهو تصحيف.

(٦) كذا في «صحيح مسلم» وفي سائر (الأصول). ووقع في (ن): «خلف» وهو شاذ.

(٧) كذا في «صحيح مسلم» وهو كذلك في (ز) و(ع) و(ى). ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ): «قال الله».

وقال مرةً: فوض إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾[(١)] (قال)[(٢)]: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

وهكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، وقد روياه[(٣)] أيضاً عن قتيبة، عن مالك، عن العلاء، عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة، عن أبي هريرة، (به)[(٤)].

وفي هذا السياق: «فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل».

(وهكذا)[(٥)] رواه ابن إسحاق[(٦)] عن العلاء.

وقد رواه (مسلم)[(٧)] من حديث ابن جريج، عن العلاء، عن أبي السائب هكذا.

ورواه أيضاً[(٨)] من حديث ابن أبي أويس، عن العلاء، عن أبيه وأبي السائب، كلاهما عن أبي هريرة.

وقال الترمذي[(٩)]: «هذا حديث حسن. وسألت أبا زرعة عنه، فقال: كلا الحديثين صحيح: من قال: عن العلاء، عن أبيه، وعن العلاء، عن أبي السائب».

وقد روى هذا الحديث عبد[(١٠)] الله ابن الإمام أحمد من حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أُبي بن كعب مطولاً.

وقال ابن جرير[(١١)]: حدثنا صالح بن مسمار المروزي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عنبسة بن

---

(١) وقع في (ج)، و(ع) و(ل) و(ى) بعد قوله الضالين: «آمين».

(٢) وكذا في «مسلم» وفي سائر الأصول أيضاً، ووقع في (ع) و(ن): «قال الله».

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥/٣٩)؛ والنسائي (٢/ ١٣٥، ١٣٦) كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن مالك.

(٤) ساقط من (ل) و(ن).

(٥) كذا في (ل) و(ن) و(هـ) ووقع في (ج) و(ز) و(ع) و(ى): «كذا».

(٦) أما رواية بن إسحاق فأخرجها أحمد (٢/ ٢٨٦)؛ والبخاري في «جزء القراءة» (٧٣)؛ وابن جرير (١/ ٨٦)؛ والبيهقي في «القراءة» (٥٧، ٥٨).
وهكذا رواه الوليد بن كثير وورقاء بن عمر، ومحمد بن عجلان، جميعاً عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبي السائب عن أبي هريرة.

(٧) في «صحيحه» (٣٩٥/ ٤٠)؛ البخاري في «جزء القراءة» (٧٥).

(٨) يعني: مسلماً في «صحيحه» (٣٩٥/ ٤١).

(٩) وكذا قال في «العلل الكبير» (١/ ٢٣٥)؛ وصححه أحمد أيضاً كما في «مسائل أبي داود» (ص٣١٢) وقال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ج٣/ ق٢٠١/ ٢): «فالحديث صحيح من كلا الوجهين كأن العلاء سمعه من أبيه عن أبي هريرة، وسمعه من أبي السائب وهو عبد الله بن السائب الجهني، عن أبي هريرة، فمرة رواه عن أبيه ومرة رواه عن أبي السائب». اهـ.

(١٠) في «زوائد المسند» (٥/ ١١٤، ١١٥) وقد تقدم تخريجه قريباً.

(١١) في «تفسيره» (١/ ٨٦)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩)؛ والإسماعيلي في «معجمه» (ج٢/ ق٨٠/ ١، ٢) وعنه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص١٨٥)؛ والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ج٣/ ق٢٠١/ ٢، ٢٠٢/ ١) من طريق زيد بن الحباب بسنده سواء. وقال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ٢٠١)، هذا إسناد جيد صالح، ثم نقل قول ابن كثير بالغرابة وقال: «ولعله يريد =

سعيد، عن مطرف بن طريف، عن (سعد)[١] بن إسحاق (بن)[٢] كعب بن عجرة، عن جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، وله ما سأل؛ فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال: حمدني عبدي. وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال: أثنى علي عبدي ثم قال: هذا لي وله ما بقي».

وهذا غريب من هذا الوجه.

(ثم)[٣] الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه: أحدها ـ أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة؛ (كقوله)[٤] تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك، كما جاء مصرحاً به في «الصحيح»[٥]، عن ابن عباس. وهكذا قال في هذا الحديث: «قسمت الصلاة بين وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل».

ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة؛ فدل على (عظمة)[٦] القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها؛ وهو القراءة، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، والمراد: صلاة الفجر، كما جاء مصرحاً به في «الصحيحين»[٧]: (إنه)[٨] يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.

فدل هذا كله على أنه لا بدّ من القراءة في الصلاة، وهو اتفاق من العلماء، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في:

الوجه الثاني: وذلك أنه هل يتعين للقراءة في الصلاة (فاتحة)[٩] الكتاب أم تجزئ هي (و)[١٠]غيرها؟ على قولين مشهورين؛ فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم؛ أنها لا تتعين، بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة. واحتجوا بعموم قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ

= أنه لم يروه أحد من حديث جابر إلا بهذا الإسناد، وليس من ذلك بأس، وقد ثبت معناه من حديث أبي هريرة، فهو شاهد قوي لصحته». اهـ.

(١) وقع في (ك) و(ن): «سعيد» وهو خطأ.
(٢) وقع في (ن): «عن» وهو خطأ.
(٣) بياض في (ك).
(٤) في (ك): «لقوله».
(٥) أخرجه البخاري (٨/ ٤٠٤، ٤٠٥، ١٣/ ٤٦٣، ٥٠٠، ٥١٨)؛ ومسلم (٤٤٦/ ١٤٥).

تنبيه: وقع في النسخة المطبوعة من «سنن الترمذي» رواية شعبة موصولة بذكر ابن عباس ونص المزي في «تحفة الأشراف» (٤/ ٣٩٧) أن رواية شعبة ليس فيها ذكر «ابن عباس» والنسخة كثيرة التحريف والسقط. والله أعلم.

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى) ووقع في (ز): «عظيم».
(٧) أخرجه البخاري (٢/ ١٣٧، ٨/ ٣٩٩)؛ ومسلم (٦٤٩/ ٢٤٦)؛ وأبو عوانة (١/ ٣٧٧، ٣٧٨)؛ والنسائي (١/ ٢٤١)، وفي «تفسيره» (٣١٣)؛ والترمذي (٣١٣٥)؛ وابن ماجه (٦٧٠)؛ وأحمد (٢/ ٤٧٤) من حديث أبي هريرة. وله طرق.
(٨) في (ز): «من أنه».
(٩) في (ن): «غير فاتحة. . . إلخ» وهذه اللفظة لا معنى لها.
(١٠) في (ز) و(ن): «أو».

مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [المزمل: ٢٠] وبما ثبت في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة في قصة المسيء في صلاته ـ أن رسول الله ﷺ قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»؛ قالوا: فأمره بقراءة ما تيسر، ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها، فدل على ما قلنا.

والقول الثاني: أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، ولا تجزئ الصلاة بدونها؛ وهو قول بقية الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأصحابهم، وجمهور العلماء.

واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه (١/ ٤٥/ ٢): «من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»[(٢)]. والخداج: هو الناقص، كما فسر به في الحديث «غير تمام».

واحتجوا أيضاً بما ثبت في «الصحيحين»[(٣)] من حديث الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وفي «صحيح ابن خزيمة»[(٤)]، وابن حبان، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن». والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره. وقد أشرنا إلى مأخذهم في ذلك رحمهم الله.

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعةٍ. وقال آخرون: إنما تجب قراءتها في معظم الركعات. وقال الحسن، وأكثر البصريين: إنما تجب قراءتها في ركعة (واحدة)[(٥)] (من الصلاة)[(٦)] أخذاً بمطلق الحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

[(٧)](وقال أبو حنيفة (وأصحابه)[(٨)]، والثوري، والأوزاعي: لا تتعين قراءتها؛ بل لو قرأ بغيرها أجزأه؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [المزمل: ٢٠] (كما تقدم)[(٩)]، والله أعلم)[(١٠)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ١١/ ٣٦) وفي «جزء القراءة» (١١٣) مختصراً؛ ومسلم (٣٩٧/ ٤٥).

(٢) مر تخريجه أثناء الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين... الحديث».

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٦، ٢٣٧)، وفي «خلق أفعال العباد» (٥٢٠، ٥٢١)، وفي «جزء القراءة» (٨١)؛ ومسلم (٣٩٤/ ٣٤).

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٤٩٠)؛ وابن حبان (٤٥٧ ـ موارد)؛ وأحمد (٢/ ٤٥٧، ٤٧٨)؛ وأبو عوانة (٢/ ١٢٧)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٢١٦)؛ وفي «المشكل» (٢/ ٢٣)، من طرق عن شعبة، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال ابن حبان: «لم يقل في خبر العلاء هذا: «لا تجزئ» إلا شعبة، ولا عنه إلا وهب بن جرير ومحمد بن كثير». اهـ.

قلت: رواه عن شعبة أيضاً: «غندر، وسعيد بن عامر». ووقع هذا اللفظ أيضاً في رواية زياد بن أيوب، عن ابن عيينة، عن الزهري عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت مرفوعاً. أخرجه الدارقطني (١/ ٣٢١، ٣٢٢) وقال: «هذا إسناد صحيح» وقد خولف زياد بن أيوب، خالفه ثلاثون نفساً من أصحاب ابن عيينة فرووه عنه بالسند المتقدم بلفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وكأن زياداً رواه بالمعنى وانظر: «نصب الراية» (١/ ٣٦٥) وقد صححه ابن قطان أيضاً. والله أعلم.

(٥) بياض في (هـ).

(٦) في (ز) و(ن): «الصلوات» وهذا اللفظ سقط من (ى).

(٧) ساقط من (ك).

(٨) ساقط من (هـ).

(٩) ساقط من (ز) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ى).

(١٠) ساقط من (ك).

وقد روى ابن[(١)] ماجه، من حديث أبي سفيان السعدي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها». وفي صحة هذا نظر. وموضع تحرير هذا كله في «كتاب الأحكام الكبير»[(٢)]. والله أعلم.

والوجه الثالث: هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنه تجب عليه قراءتها، كما تجب على إمامه، لعموم الأحاديث المتقدمة.

والثاني: لا تجب على المأموم قراءة بالكلية (لا الفاتحة)[(٣)] ولا غيرها، لا في الصلاة الجهرية ولا في الصلاة السرية، لما رواه الإمام أحمد بن[(٤)] حنبل في «مسنده»، عن جابر بن

---

(١) في (سننه) (٨٣٩)؛ وأخرجه الترمذي (٢٣٨)؛ وعنه ابن الجوزي في «الواهيات» (٧٠٦)؛ وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٨١) من طريق أبي سفيان السعدي، عن أبي نضرة، عن سعيد مرفوعاً بلفظ أطول وفيه: «لا صلاة لمن لم يقرأ بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها». وليس عندهم: «في كل ركعة» وهي زيادة منكرة جداً، وأبو سفيان السعدي اسمه طريف بن شهاب تركه النسائي وضعفه ابن معين وأحمد، وقال ابن حبان: «كان شيخاً مغفلاً».
والحديث بهذا السياق منكر، وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي قتادة أن النبي ﷺ قرأ في الركعتين الأخيرتين من الظهر والعصر بأم الكتاب وحدها. والله أعلم.
والحديث ضعفه الحافظ في «التلخيص» (١/ ٢٣٢)؛ والبوصيري في «الزوائد» (٢٩١/ ٢) وقال: «هذا إسناد ضعيف، وأبو سفيان السعدي اسمه طريف بن شهاب، وقيل: ابن سعد، قال ابن عبد البر: أجمعوا على ضعفه لكن لم ينفرد ابن ماجه بإخراج هذا الحديث عن أبي سفيان عن أبي نضرة فقد تابع أبا سفيان على روايته لهذا الحديث قتادة كما رواه... إلخ».
قلت: كذا قال البوصيري! وفي قوله: تسامح، فإن قتادة وإن تابعه على الإسناد لكنه خالفه في لفظه فقد أخرجه أبو داود (٨١٨)؛ والبخاري في «جزء القراءة» (١٢)؛ وأحمد (٣/ ٣، ٩٧)؛ وأبو يعلى (ج٢/رقم ١٢١٠)، وعنه ابن حبان (١٧٩٠) من طريق همام بن يحيى، قال: ثنا قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: أمرنا نبينا ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر. وقال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٢٤٣): «سنده قوي» وقال في «التلخيص» (١/ ٢٣٢): «إسناده صحيح».

(٢) وهذا الكتاب ما أتمَّه المصنف رحمه الله، ووصل فيه إلى كتاب الحج كما قال السيوطي في: «ذيل تذكرة الحفاظ» (ص٣٦١)؛ والداودي في «الطبقات» (١/ ١١١) وذكر الكتاب أيضاً ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٦/ ٢٣١).

(٣) وقع في (ن): «للفاتحة» ثم ضبطها بفتح اللام الأولى وسكون اللام الثانية، وبهذا الضبط يلتقي مع بقية الأصول ولكن خالفهم في رسم الحرف.

(٤) في «مسنده» (٣/ ٣٣٩) قال: حدثنا أسود بن عامر، أنا حسن بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعاً... فذكره.
قلت: كذا وقع الإسناد في «المسند» وسقط منه «جابر الجعفي» روايه عن «أبي الزبير» وقد أثبته الحافظ في «أطراف المسند» (٢/ ١٣٩)، ورواه ابن الجوزي في «التحقيق» (١/ ٣٢٠) من طريق أحمد فأثبته. والله أعلم.
وأخرجه ابن ماجه (٨٥٠)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٠٥٠)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٢١٧)؛ والدارقطني (١/ ٣٣١)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٤٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣٤) من طرق عن الحسن بن صالح بسنده سواء وسنده ضعيف جداً لوهاء جابر الجعفي وتابعه ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير بسنده سواء.
أخرجه الطحاوي (١/ ٢١٧)؛ والدارقطني (١/ ٣٣١)؛ وابن عدي (٦/ ٢١٠٧)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» =

عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة». ولكن إسناده[١] ضعيف.

ورواه[٢] مالك، عن وهب بن كيسان، عن جابر من كلامه؛ وقد روي هذا الحديث من طرق، ولا يصح شيء منها عن النبي ﷺ، والله أعلم.

والقول الثالث: أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم، ولا يجب ذلك في الجهرية، لما ثبت في «صحيح[٣] مسلم»، عن أبي موسى الأشعري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا؛ وإذا قرأ فأنصتوا...» وذكر بقية الحديث.

وهكذا رواة بقية «أهل السنن»[٤]: أبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة،

= (ق١٧٣/ ١)؛ والبيهقي (٢/ ١٦٠) وضعفه من الوجهين الدارقطني وابن عدي والبيهقي وقد وقع في سنده اختلاف مؤثر، ولا يصح هذا الحديث إلا موقوفاً وقد ضعفه صيارفة هذا الفن، ممن تقدم ذكره ونزيد أيضاً: البخاري وأبا موسى الرازي أحد الحفاظ، وابن المنذر وكثيراً من المتأخرين منهم والحافظ وغيرهما.

(١) في هذا الحكم تسامح، والصواب أنه ضعيف جداً كما تقدم.

(٢) في «الموطأ» (١/ ٨٤/ ٣٨)؛ وأخرجه الطحاوي (١/ ٢١٧)؛ والدارقطني (١/ ٣٢٧)؛ والخلعي في «الخلعيات» (٢٠/ ٤٧/ ١)؛ والبيهقي (٢/ ١٦٠) من طريق مالك، عن وهب بن كيسان، عن جابر قال: «من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن لم يصل إلا وراء الإمام».
قال البيهقي: «هذا هو الصحيح عن جابر من قوله غير مرفوع».

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٤/ ٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٦٠٤)؛ والنسائي (٢/ ١٤١، ١٤٢)؛ وابن ماجه (٨٤٦)؛ وأحمد (٢/ ٤٢٠)؛ وابنه عبد الله في «زوائد المسند» في ذات الموضع؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٣٢٦)؛ والطحاوي في «الشرح» (١/ ٢١٧)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (٩٧٢)؛ والدارقطني (١/ ٣٢٧)؛ والبيهقي (٢/ ١٥٦) من طريق أبي خالد الأحمر، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره مطولاً.
وهذا الحديث لم يخرجه الترمذي كما قال المصنف رحمه الله. قال أبو داود: «وهذه الزيادة: «إذا قرأ فأنصتوا» ليست بمحفوظة، والوهم عندنا من أبي خالد».
وقال البخاري في «جزء القراءة» (٢٦٧): «ولم يذكروا «فأنصتوا» ولا يعرف هذا من صحيح حديث أبي خالد الأحمر، قال أحمد: أراه يدلس» ثم قال: «روى أبو سلمة، وهمم، وأبو يونس وغير واحد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، ولم يتابع أبو خالد في زيادته». اهـ.
ونقل البيهقي (٢/ ١٥٦، ١٥٧) عن ابن معين أنه سئل عن هذا الحديث فقال: «ليس بشيء». وخالفهم في ذلك الإمام مسلم فسأله أبو بكر ابن أخت أبي النضر فقال له: فحديث أبي هريرة هو صحيح؟ يعني: «إذا قرأ فأنصتوا» فقال مسلم: هو عندي صحيح فقال له: لم لم تضعه ههنا؟ قال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا على صحته». وكذا صححه الإمام أحمد كما قال ابن عبد البر؛ ونقله عنه ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٢/ ١٥٧)؛ وصححه أيضاً ابن حزم (٣/ ٢٤٠).
قلت: أما قول أبي داود والبخاري إن أبا خالد الأحمر لم يتابع على روايته وأنه وهم فيها فليس كذلك. فقد تابعه محمد بن سعد الأنصاري، قال: حدثنا ابن عجلان بسنده سواء أخرجه النسائي (٢/ ١٤٢)؛ والدارقطني (١/ ٣٢٨)؛ والخطيب في «تاريخه» (٥/ ٣٢٠) ومحمد بن سعد وثقه محمد بن عبد الله المخرمي وابن معين والنسائي كما في «تاريخ بغداد» وكذا تابعه الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم ومصعب والقعقاع ثلاثتهم عن أبي صالح مثله أخرجه أبو العباس السراج في «مسنده»، كما في «النكت الظراف» (٩/ ٣٤٣، ٣٤٤)، للحافظ ورواه إسماعيل بن أبان الغنوي ومحمد بن ميسر الصاغاني =

عن النبي ﷺ أنه قال: «وإذا قرأ فأنصتوا» وقد صححه مسلم(١) بن الحجاج أيضاً، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول؛ وهو قول قديم للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ والله أعلم، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور والله أعلم.

وقال الحافظ أبو(٢) بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا غسان بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت جنبك على الفراش، وقرأت فاتحة الكتاب، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] فقد أمنت من كل شيء إلا الموت».

(الكلام على تفسير أحكام الاستعاذة)(٣).

(٤)[قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف]](٤).

(٥)[وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت]](٥).

(٦)[فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها؛ وهو أن الله (تعالى)(٧) يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة](٦)

= وهما ضعيفان عن ابن عجلان؛ بسنده أخرجه الدارقطني (١/ ٣٢٩، ٣٣٠) فإعلال الحديث بأبي خالد الأحمر مع ثقته لا يصح لما ذكرت، وإنما الصواب إعلاله بابن عجلان، وبه أعل الحديث أبو حاتم الرازي، فقال كما في «العلل» (٤٦٥) لولده: «ليست هذه الكلمة بالمحفوظة وهي من تخاليط ابن عجلان، وقد رواه خارجة بن مصعب أيضاً، وتابع ابن عجلان، وخارجة أيضاً ليس بالقوي».اهـ. وكذلك قال البيهقي.

(١) في «صحيحه» (١/ ٣٠٤ عبد الباقي) وإن لم يروه في «كتابه» وفي هذا دلالة على أن الشيخين تركا من الأحاديث كثيراً لم يخرجاه في كتابيهما.

(٢) في «مسنده» (ج٤/رقم ٣١٠٩ ـ كشف الأستار) وقال: «لا نعلمه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن أنس ولم نسمعه إلا من إبراهيم».اهـ. وقال الهيثمي (١٠/ ١٢١): «فيه غسان بن عبيد وهو ضعيف ووثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح» وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥) أما المنذري فقال في «الترغيب» (١/ ٤١٦): «رجاله رجال الصحيح إلا غسان بن عبيد» فأوهم أنه قوي وقد قال أحمد: «خرقت حديثه» وضعفه ابن معين وابن عدي وغيرهما. فهو علة الحديث. والله أعلم.

(٣) كذا في (ج) و(ك) و(ل)، ووقع في (ز) و(ع) و(هـ) و(ى): «الكلام على تفسير الاستعاذة». وفي (ن): «أحكام الاستعاذة والكلام على تفسيرها».

(٤) ساقط من (ع).

(٥) ساقط من (ع).

(٦) ساقط من (ع) و(هـ) و(ى).

(٧) من (ك) و(ن).

(١)[به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعةً ولا إحساناً، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال (تعالى)(٢): ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

وقال (تعالى)(٢): ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]](١).

(٣)[وقد أقسم للوالد آدم (عليه السلام)(٤) أنه له لمن الناصحين وكذب، فكيف معاملته لنا؟ وقد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص]](٣).

وقال (الله)(٥) تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

قالت طائفة من القراء وغيرهم: (يتعوذ)(٦) بعد القراءة، واعتمدوا (على)(٧) ظاهر سياق الآية، ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله (ابن قلوقا عنه)(٨)، وأبو حاتم السجستاني، حكى ذلك أبو القاسم(٩) يوسف بن علي بن (جبارة)(١٠) الهذلي المغربي في (كتابه «الكامل(١١)»)؛ وروى عن أبي هريرة أيضاً، وهو غريب.

(١٢)(ونقله (فخر الدين)(١٣) محمد بن عمر الرازي في «تفسيره»، عن ابن سيرين في رواية عنه؛ قال: وهو قول إبراهيم النخعي، وداود بن علي الأصبهاني الظاهري.

وحكى القرطبي(١٤)، عن أبي بكر بن العربي، عن «المجموعة»، عن، مالك رحمه الله (تعالى)(١٥): أن القارئ يتعوذ بعد الفاتحة. واستغربه ابن(١٦) العربي؛ وحكى قولاً ثالثاً؛ وهو

(١) من (ن).
(٢) ساقط من (ع) و(هـ) و(ى).
(٣) ساقط من (ع) و(هـ) و(ي).
(٤) من (ل) و(ن).
(٥) من (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ى).
(٦) في (ز): «نتعوذ».
(٧) ساقط من (ع) و(هـ).
(٨) في (ن): «عنه ابن قلوقا»، ووقع في (ز): «فلوفا» بالفاء. وهو عبد الرحمٰن بن قلوقا، بقافين راوٍ معروف ضابط.
(٩) له ترجمة في «معرفة القراء الكبار» للذهبي رقم (٣٦٧) وقال في آخر ترجمته: «وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشد في كتابه أشياء منكرة لا تحل القراءة بها ولا يصح لها إسناد».اهـ.
(١٠) في (ن): «جنادة» بالنون والدال المهملة وهو تصحيف.
(١١) في (ن): «كتاب العبادة الكامل»!! واسم الكتاب «الكامل في القراءات».
(١٢) ساقط من (ز).
(١٣) ساقط من (ن).
(١٤) في «تفسيره» (١/ ٨٨) ونقله الفخر في «تفسيره» (٢٠/ ١١٦) عن الواحدي أنه نقله عن مالك أيضاً.
(١٥) من (ج) وسقط ذكر الترحم من (هـ) و(ى).
(١٦) في «أحكام القرآن» (٣/ ١١٧٦) وقال: «ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في «المجموعة» ثم نقله وقال: =

الاستعاذة (أولاً)[(١)] وآخراً جمعاً بين الدليلين، نقله (فخر الدين)[(٢)] (الرازي)[(٣)])[(٤)].

والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع (الوسواس)[(٥)] (فيها)[(٦)]؛ (ومعنى)[(٧)] الآية عندهم: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل] أي: إذا أردت القراءة؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ (١/ ٤٦/ ٢) فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ . . .﴾ الآية [المائدة: ٦] أي: إذا أردتم القيام.

والدليل على ذلك: الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك؛ قال الإمام أحمد[(٨)] بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا محمد بن الحسن بن (أتش)[(٩)]، حدثنا جعفر بن سليمان، عن علي بن علي بن (الرفاعي

= «وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر ولو كان هذا كما قال بعض الناس أن الاستعاذة بعد القراءة لكان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة لا تشبه أصول مالك ولا فهمه، والله أعلم بسر هذه الرواية». اهـ.

قلت: وكتاب «المجموعة» هذا تأليف محمد بن إبراهيم بن عبدوس وكان من كبار أصحاب سحنون وأئمة وقته قال ابن فرحون في «الديباج المذهب» (٢/ ١٧٥) في ترجمته: «ألف كتاباً شريفاً سماه «المجموعة» على مذهب مالك وأصحابه، أعجلته المنية قبل تمامه». اهـ.

وله ترجمة في «سير النبلاء» (١٣/ ٦٣، ٦٤) للذهبي، و«الوافي بالوفيات» (١/ ٣٤٢) للصفدي.

(١) بياض في (هـ).

(٢) من (ج) و(ع) و(ل).

(٣) ساقط من (ز).

(٤) من (ن).

(٥) في (ن): «الموسوس» وأشار في الهامش أن في «نسخة»: «الوسواس».

(٦) في (ن): «عنها» وهذا اللفظ ساقط في (هـ).

(٧) ساقط من (ك).

(٨) في «مسنده» (٣/ ٥٠)؛ وأخرجه أيضاً (٣/ ٦٩) قال: حدثنا حسن بن الربيع ثنا جعفر بن سليمان بسنده سواء حتى قوله: «لا إله غيرك».

وأخرجه أبو داود (٧٧٥)؛ والنسائي (٢/ ١٣٢)؛ والترمذي (٢٤٢)؛ وابن ماجه (٨٠٤)؛ والدارمي (١/ ٢٢٦)؛ وعبد الرزاق (ج٢/رقم ٢٥٥٤)؛ وابن أبي شيبة (١/ ٢٣٢)؛ وابن خزيمة (ج١/رقم ٤٦٧)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ١٩٧، ١٩٨)؛ والطبراني في «الدعاء» (٥٠١)؛ والدارقطني (١/ ٢٩٨)؛ والبيهقي (٢/ ٣٤، ٣٥)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ٤٢٠) من طرق عن جعفر بن سليمان الضبعي، عن علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري فذكره.

قال الترمذي: «وحديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب؛ قال: وقد تُكُلِّم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث». وأجاب عن ذلك الحافظ في «نتائج الأفكار» (١/ ٤١٢، ٤١٣) فقال: «هذا حديث حسن، فأما النسائي فسكت عليه فاقتضى أنه لا علة له عنده، وأما ابن ماجه فلم يتكلم عليه أصلاً كعادته، وأما البيهقي في أصل كلامه في «السنن الكبير» و«الخلافيات» أن حديث علي: «وجهت وجهي. . .» أرجح من هذا الحديث لكون حديث علي مخرجاً في «الصحيح» ولكون هذا وإن جاء من طرق متعددة لكن لا يخلو سنده من مقال، وإن أفاد مجموعها القوة، وهذا حاصل كلام ابن خزيمة في «صحيحه» وأشار إلى أن حديث أبي سعيد أرجح، وقال العقيلي بعد أن أخرجه من طريق حارثة في ترجمته في «الضعفاء»: هذا الحديث روى بأحاديث حسان غير هذا. قال الحافظ: وقد وثق علي بن علي: يحيى بن معين وأحمد وأبو حاتم وآخرون، وسائر رواته رواة الصحيح». اهـ.

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(ى). ووقع في (ك) و(ل) و(ن) و(هـ) وفي «المسند» «أنس»، بنون وسين مهملة، وهو تصحيف. و«أتش» بالتاء المثناة فوق وشين معجمة. كما في «تبصير المنتبه» (١/ ٢٧) للحافظ و«توضيح المشتبه» (١/ ٢٧٥)؛ لابن ناصر الدين الدمشقي.

اليشكري)[١]، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك» ـ (ثم يقول)[٢] «لا إله إلا الله ثلاثاً»؛ ثم يقول: ـ «أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه».

[٣](ويقول: (الله أكبر)[٤]؛ ثلاثاً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه)[٣].

وقد رواه أهل السنن الأربعة من رواية جعفر بن سليمان، عن علي بن علي وهو الرفاعي. وقال الترمذي: هو أشهر شيء في هذا الباب، وقد فسر الهمز بالموتة، (وهي)[٥] الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر. كما رواه أبو[٦] داود، وابن ماجه، من حديث شعبة، وعن عمرو بن مرة، عن عاصم (العنزي)[٧]، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصلاة قال: «الله أكبر كبيراً ـ ثلاثاً، والحمد لله كثيراً ـ ثلاثاً، سبحان الله بكرةً وأصيلاً ـ ثلاثاً، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان، من همزه ونفخه ونفثه».

قال عمرو: همزه: الموتة[٨]. ونفخه: الكبر. ونفثه: الشعر.

---

(١) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ى)، ووقع في (ن): «علي بن الرفاعي اليشكري» وسقط ذكر «الرفاعي» من (ج) و(ك) و(ل) و(المسند).

(٢) كذا في (ك) و(ن) و(هـ) وهو الموافق لما في «المسند»، ووقع في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ى): «ويقول».

(٣) ساقط من (ج) و(ز) ووقع في (ك) و(ل) تقديم وتأخير في بعض الكلمات.

(٤) ساقط من (ن) و(هـ).

(٥) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ى)، ووقع في (ج) و(ك) و(ل): «وهو».

(٦) أخرجه أبو داود (٦٧٤)؛ وابن ماجه (٨٠٧)؛ وأحمد (٤/ ٨٥)؛ وابن خزيمة (٤٦٨)؛ وابن حبان (٤٤٣، ٤٤٤)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢/ ٤٨٨، ٤٨٩)؛ والطيالسي (٩٤٧)؛ وأبو يعلى (ج١٣/رقم ٧٣٩٨)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (١٨٠)، والطبراني في «الكبير» (ج٢/رقم ١٥٦٨)؛ والحاكم (١/ ٢٣٥)؛ والبيهقي (٢/ ٣٥)؛ وابن حزم في «المحلى» (٣/ ٢٤٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٤٣) من طرق عن شعبة بسنده سواء. قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي! وليس كما قالا؛ لأن عاصماً العنزي مجهول ما وثقه إلا ابن حبان، وقد اختلف في اسمه. فرواه حصين بن عبد الرحمٰن عن عمرو بن مرة فقال: «عن عباد بن عاصم» عن نافع بن جبير، عن أبيه فذكره.
أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٣١، ٢٣٨ و١٠/ ١٩٢)؛ وأحمد (٤/ ٨٣)؛ وابن خزيمة (٤٦٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢/رقم ١٥٧٠). ورواه مسعر بن كدام عن عمرو بن مرة فقال: «عن رجل من عنزة» عن نافع بن جبير، عن أبيه. أخرجه أبو داود (٧٦٥)؛ وأحمد (٤/ ٨٠، ٨١)؛ والطبراني في «الكبير» (١٥٦٩)؛ والخطيب في تاريخه (١٣/ ٤٣٦، ٤٣٧)؛ وذكر البخاري في «تاريخه» أن أبا عوانة رواه عن حصين عن عمرو بن مرة عن عمار بن عاصم، عن نافع بن جبير، عن أبيه. ورواه أيضاً زائدة عن عمرو بن مرة عن عمار بن عاصم مثله قال البزار: «اختلفوا في اسم العنزي الذي رواه وهو غير معروف». وقال ابن خزيمة: «وعاصم العنزي وعباد بن عاصم مجهولان لا يدري من هما ولا يعلم الصحيح ما روى حصين أو شعبة». اهـ. هكذا فرق بينهما ابن خزيمة، وكذا فعل البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان، والذي يبدو لي أنه رجل واحد اضطرب الرواة في تعيينه والله أعلم ولعل الصواب في هذا المتن الوقف كما يأتي. والله أعلم.

(٧) في (ك) و(ن): «الغزى»! وهو خطأ.

(٨) الموتة: يعني الجنون.

وقال ابن ماجه[1]: حدثنا علي بن المنذر، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ؛ قال: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه».

قال: همزه الموتة، (ونفثه الشعر، ونفخه الكبر)[2].

وقال الإمام أحمد[3]: حدثنا إسحاق بن يوسف، حدثنا شريك، عن يعلى بن عطاء، عن رجل حدثه ـ أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إله إلا الله ـ ثلاث مرات، [4](وسبحان الله وبحمده ـ ثلاث مرات)[4] ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه».

وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في «مسنده»[5]: حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي، حدثنا علي بن هاشم بن البريد، عن يزيد بن زياد، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أُبي بن كعب ؓ؛ قال: تلاحى رجلان عند النبي ﷺ

---

(١) في «سننه» (٨٠٨)؛ وأخرجه أحمد (١/ ٤٠٤)؛ وابنه في «زوائد المسند»؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ١٨٥، ١٨٦)؛ وأبو يعلى (ج٨/رقم ٤٩٩٤، ٩/رقم ٥٠٧٧)؛ وابن خزيمة (١/ ٢٤٠)؛ والحاكم (١/ ٢٠٧)؛ والبيهقي (٢/ ٣٦) من طريق محمد بن فضيل بسنده سواء.
قال الحاكم: «صحيح وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب» ووافقه الذهبي! كذا قالا! وهذا إسناد ضعيف؛ لأن ابن فضيل سمع من عطاء في الاختلاط كما قال أبو حاتم الرازي وغيره، ولكنه توبع فتابعه ورقاء بن عمر وعمار بن رزيق فروياه عن عطاء بن السائب بسنده سواء.
أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣)؛ وأبو يعلى (ج٩/رقم ٥٣٨٠)؛ والبيهقي (٢/ ٣٦) وقد سمعا من عطاء في الاختلاط أيضاً كما يعلم من مطالعة ترجمة «عطاء».
وخالفهم حماد بن سلمة، فرواه عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن ابن مسعود أنه كان يتعوذ في الصلاة من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه.
أخرجه الطيالسي (٣٩٦ ـ منحة المعبود) وعنه البيهقي (٢/ ٣٦). وهذه الرواية عندي أولى؛ لأن حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل الاختلاط وبعده، ولكن أعله البوصيري في «الزوائد» (١/ ٣١٠) فقال: «وقيل: إن أبا عبد الرحمٰن السلمي لم يسمع من ابن مسعود». قلت: وهذا القول خطأ من قائله، وقد دللت على ذلك في تخريج حديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». ولله الحمد. ويكفي الآن قول البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١/ ٧٣) وفي «الصغير» (١/ ٢٠١): «سمع علياً وعثمان وابن مسعود».
والبخاري حجة في هذا الباب. والله أعلم.
(٢) في (ن) و(هـ): «نفخه الكبر ونفثه الشعر».
(٣) في «مسنده» (٥/ ٢٥٣): وشريك النخعي ساء حفظه لكنه لم يتفرد به. فتابعه حماد بن سلمة أنا يعلي بن عطاء بسنده سواء أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٣) قال: حدثنا بهز، ثنا حماد بن سلمة به فانحصرت العلة في جهالة الراوي عن أبي أمامة. والله أعلم.
(٤) ساقط من (ج).
(٥) لم أجده في «مسنده» المطبوع، فلعله في «المسند الكبير».
وأخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» (١٢٣٦) من طريق أبي يعلى بسنده سواء. وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٣٩١)؛ وعنه الضياء في «المختارة» (١٢٣٨) من طريق الفضل بن موسى، نا يزيد بن زياد بسنده سواء؛ وهذا سند ظاهره الجودة: ولكنه معل بالمخالفه كما يأتي.

فتمزع[١] أنف أحدهما غضباً؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم شيئاً لو قاله لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» عن يوسف بن عيسى المروزي، عن الفضل بن موسى، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد، به.

وقد روى هذا الحديث أحمد[٢] بن حنبل، عن أبي سعيد، عن زائدة، وأبو داود، عن يوسف بن موسى، عن جرير بن عبد الحميد، والترمذي، والنسائي في «اليوم والليلة»، عن بندار، عن ابن مهدي، عن الثوري. والنسائي أيضاً (١/٤٧/١) من حديث زائدة بن قدامة، ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ قال: استب رجلان عند النبي ﷺ، فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى يخيل إلي أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه؛ فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب». فقال: ما هي يا رسول الله؟ قال: يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

قال: فجعل معاذ يأمره، فأبى، وجعل يزداد غضباً. وهذا لفظ أبي داود.

قال الترمذي: مرسل؛ يعني: أن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل، فإنه مات قبل سنة عشرين.

قلت: وقد يكون (عبد الرحمٰن)[٣] بن أبي ليلى (رحمه الله)[٤] سمعه من أُبي بن كعب، كما تقدم، وبلغه عن معاذ بن جبل؛ فإن هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

قال البخاري[٥]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت؛ قال: قال سليمان بن صرد رضي الله عنه: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه؛ فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهبَ عنه ما (يجد)[٦]؛ لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون.

وقد رواه[٧] أيضاً مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الأعمش به، وقد جاء

---

(١) تمزع: يعني تقطع، وتشقق، يريد: اشتد غضبه.

(٢) في «مسنده» (٥/ ٢٤٠)؛ وأخرجه أبو داود (٤٧٨٠)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٣٨٩، ٣٩٠)؛ والترمذي (٣٤٥٢)؛ وابن أبي شيبة (٨/ ٣٤٦)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٤٥٤)؛ والضياء في «المختارة» (١٢٣٧)؛ وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٥) من طرق عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل. . . فذكره.

قلت: هكذا رواه سفيان الثوري وزائدة بن قدامة وجرير بن عبد الحميد مخالفين يزيد بن زياد وروايتهم أرجح، فالصواب أن الحديث من «مسند معاذ بن جبل» وقد أعلَّه الترمذي بالإرسال؛ لأن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى لم يدرك معاذاً.

(٣) ساقط من (ك). (٤) من (ج).

(٥) في «كتاب الأدب» من «الصحيح» (١٠/ ٥١٨، ٥١٩)؛ وأخرجه أيضاً (٦/ ٣٣٧، ١٠/ ٤٦٥)؛ وفي «الأدب المفرد» (٤٣٤، ١٣١٩)؛ ومسلم (٢٦١٠/ ١٠٩، ١١٠).

(٦) في (ن): «يجده». (٧) يعني: البخاري.

في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هاهنا، وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال. والله أعلم.

وقد روى أن جبريل ﷺ أول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ أمره بالاستعاذة، كما قال الإمام أبو جعفر[١] بن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس؛ قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: «يا محمد استعذ».

قال: «أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»؛ ثم قال: «قل: بسم الله الرحمٰن الرحيم». ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ [العلق].

قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها (الله)[٢] على محمد ﷺ بلسان جبريل.

وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف؛ فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً. والله أعلم.

[٣][مسألة

وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمه يأثم تاركها. وحكى (فخر الدين)[٤] (الرازي)[٥]، عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة! قال: وقال ابن سيرين. إذا تعوذ مرةً واحدةً في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب.

واحتج (فخر الدين)[٤] (الرازي)[٥] لعطاء بظاهر الآية: (فاستعذ)؛ وهو أمر ظاهره الوجوب؛ وبمواظبة النبي ﷺ عليها؛ لأنها تدرأ شر الشيطان؛ وما لا يتم الواجب إلا به (١/٤٧/٢) فهو واجب؛ ولأن الاستعاذة أحوط، وهو أحد مسالك الوجوب.

وقال بعضهم: كانت واجبةً على النبي ﷺ دون أمته. وحكي عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة، ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه.

مسألة

وقال الشافعي في «الإملاء»: يجهر بالتعوذ، وإن أسر فلا يضر.

وقال في «الأم» بالتخيير؛ لأنه أسر ابن عمر، وجهر أبو هريرة.

واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى؛ هل يستحب التعوذ فيها؟ على قولين؛ ورجح عدم الاستحباب. والله أعلم][٣].

[٦][فإذا قال المستعيذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كفى ذلك عند الشافعي، وأبي حنيفة][٦].

---

(١) في «تفسيره» (١٣٧، ١٣٨، ١٣٩) وسنده ضعيف جداً، وبشر بن عمارة تركه الدارقطني وضعفه النسائي والبخاري وابن حبان. والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس كما قال الأئمة المحققون، ونازع في ذلك الشيخ أبو الأشبال رحمه الله وقد ناقشته في ذلك في «التسلية».

(٢) زيادة من (ز) و(ل) و(ن).

(٣) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٦) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

[1][زاد بعضهم: أعوذ بالله السميع العليم.

[2](وقال آخرون: بل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ إن الله هو السميع العليم)[2]؛ قاله الثوري، والأوزاعي.

وحكى عن بعضهم أنه يقول: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لمطابقة أمر الآية، ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور. والأحاديث الصحيحة، كما تقدم، أولى بالاتباع من هذا. والله أعلم][1].

[3][مسألة

ثم الاستعاذة في الصلاة إنما هي للتلاوة، وهو قول أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف: بل للصلاة؛ فعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ، ويتعوذ في العيد بعد الإحرام وقبل تكبيرات العيد. والجمهور بعدها قبل القراءة.

ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له. وهو لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطن الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلت على ذلك][3] [4][آيات من القرآن في ثلاث من المثاني. وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].

وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشرى (يوم بدر)[5]، فمن قتله العدو (الظاهري)[6] البشري كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطن كان طريداً، ومن غلبه العدو (الظاهر)[7] كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مفتوناً أو موزوراً، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان][4].

[8]فصل

والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق (بجنابه)[9]، من شر كل ذي شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ (يكون)[10] لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي[11]:

[12](يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به ممن أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ... ولا يهيضون عظماً أنت جابره)[12]

---

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٢) كذا في (ل) و(ن) وسقط في (ج) و(ك).

(٣) ساقط من (ز) و(ع).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٦) في (ن): «الظاهري».

(٧) ساقط من (ز) و(ع).

(٨) هذا الفصل إلى آخر بيتي المتنبي ساقط من (ز) و(ع).

(٩) في (ك) و(ل): «بجانبه».

(١٠) من (ن) و(هـ).

(١١) في «ديوانه» (٢/ ٢٢٥ بشرح البرقوقي).

(١٢) إلى هنا انتهى السقط من (ز) و(ع) والذي ابتدأ من قوله: «مسألة، وجمهور العلماء. . . إلخ» ثم اعلم أن المتنبي قال هذه الأبيات في جعفر بن كيغلغ، فنسأل الله السلامة، ولا ينبغي أن يخاطب بهذا إلا الله تعالى.

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أي: أستجير بجناب الله من الشيطان (الرجيم)[1] أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر (الله تعالى)[2] بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوةً (١/٤٨/١)، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه.

وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن، لا أعلم لهن رابعةً.

(قوله تعالى في الأعراف)[3]: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [١٩٩] فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر.

ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف].

وقال تعالى في سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون]

وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت].

والشيطان في لغة العرب مشتق من «شطن»، إذا بعد؛ فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير.

وقيل: مشتق من «شاط»؛ لأنه مخلوق من نار؛ ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب؛ قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه (الصلاة والسلام)[4].

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن (والأغلال)[5]

فقال: أيما شاطن ولم يقل: أيما شائط.

وقال النابغة الذبياني، وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع (بن غيظ)[6] بن مرة بن سعد بن ذبيان:

---

(١) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى).

(٢) كذا في (ز) و(ع) و(ك) و(ى)، ووقع في (هـ): «الله سبحانه» وسقط لفظ «تعالى» من (ج) و(ل) وفي (ن) لم يذكر لفظ الجلالة.

(٣) كذا في (ع) و(ك) و(هـ) و(ى)، ووقع في (ج) و(ل): «قوله تعالى» وفي (ز): «قوله في الأعراف» وفي (ن): «قوله».

(٤) كذا في (ع) و(ك) و(ل) و(ى)، ووقع في (ج): «السلام والصلاة». وسقط لفظ «الصلاة» من (ز) و(ن) و(هـ).

(٥) أشار في (ج) و(ع) و(ى) إلى أنه في نسخة: «والأكبال» بدل «الأغلال».

(٦) بياض في (ج) و(ع) و(ن) و(ى) واستدركته من «طبقات فحول الشعراء» (١/٥١)؛ لابن سلام الجمحي، ووقع في (ز) و(ك) و(ل): «يروبع بن مرة».

نــأت بــســعــاد عــنــك نــوًى شــطــون فــبــاتــت والــفــؤاد بــهــا رهــيــن

يقول: بعدت بها طريق بعيدة.

(١)(وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان، إذا فعل فعل الشياطين، ولو كان من: «شاط» لقالوا: تشيط)(١).

فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل من تمرد من جنيٍّ وإنسيٍّ وحيوان: شيطاناً. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي «مسند (الإمام)(٢) أحمد»، عن أبي ذر (رضي الله عنه)(١)، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن» فقلت: أو للإنس شياطين؟ قال: «نعم»(٣).

وفي «صحيح مسلم»(٤)، عن أبي ذرٍّ (أيضاً)(٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «يقطع الصلاة: المرأة والحمار والكلب الأسود». فقلت: يا رسول الله، ما بال الكلب الأسود من الأحمر (من)(٦) الأصفر؟ فقال: «الكلب الأسود شيطان».

وقال ابن وهب(٧): أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذوناً، فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً، فنزل عنه، وقال: ما حملتوني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي. إسناده صحيح.

والرجيم: فعيل بمعنى مفعول (١/ ٤٨/ ٢)؛ أي: إنه مرجوم مطرود عن الخير كله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

---

(١) ساقط من (ز). (٢) من (ز) و(ن).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٨، ١٧٩)؛ والنسائي (٨/ ٢٧٥)؛ والطيالسي (٤٧٨)؛ والبزار في «مسنده» (١٦٠ ـ كشف)؛ وابن مردويه في «تفسيره»؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٣/رقم ٣٥٧٦) من طرق عن المسعودي، عن أبي عمر، ويقال: أبو عمرو، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر مطوّلاً ومختصراً. وسنده واهٍ، وأبو عمر هذا تركه الدارقطني وعبيد بن الخشخاش، بمعجمتين، ويقال: الحسحاس بمهملتين، تركه الدارقطني أيضاً كما في «سؤالات البرقاني» (٣٢٧) وأما ابن حبان فوثقه!! وقال البخاري: عبيد بن الخشخاش لم يذكر سماعاً من أبي ذر، أما الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٥٩، ١٦٠) فقال: «فيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط» كذا قال!! وكان ينبغي له أن يعل الحديث بواحدة مما ذكرت على الأقل؛ لأن المسعودي واسمه عبد الرحمٰن بن عبد الله إنما اختلط ببغداد وسماع أهل الكوفة منه جيد كما قال أحمد وغيره وقد رواه عنه: جعفر بن عون، ويعلى بن عبيد، وعبيد الله بن موسى وكلهم كوفيون وقد ذكر المصنف رحمه الله (في تفسير الآية ١١٢ من سورة الأنعام) بعدما ذكر الحديث وطرقه: «فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته. والله أعلم».اهـ.

كذا! وفيه نظر ذكرته في «التسلية»، نعم كثير من فقراته. ثابت بشواهد أخرى. والله أعلم.

(٤) أخرجه مسلم (٥١٠/ ٢٦٥). (٥) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى). ووقع في (ز) و(ن) و(هـ): «والأصفر».

(٧) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣٦) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا ابن وهب بسنده سواء، وسنده جيد وهشام بن سعد فيه مقال لكنه أثبت الناس في زيد بن أسلم كما قال أبو داود. وروايته هنا عنه، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر] إلى غير ذلك من الآيات.

[(١)](وقيل: رجيم بمعنى راجم؛ لأنه يرجم الناس بالوسواس (والربائث)[(٢)]. (والأول أشهر)[(٣)] (وأصح)[(٤)])[(١)].

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح بها الصحابة كتاب الله، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل؛ ثم اختلفوا: هل هي آية مستقلة في أول كل سورة، أو من أول كل سورة كتبت في أولها أو أنها بعض آية من (أول)[(٥)] كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها إنما كتبت للفصل، لا أنها آية ـ على أقوال للعلماء؛ سلفاً وخلفاً؛ وذلك مبسوط في غير هذا الموضع.

وفي «سنن أبي داود»[(٦)] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السور حتى ينزل عليه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾.

---

(١) ساقط من (ز).

(٢) جمع: ربيثة، وهي: الخديعة أو ما يحجب المرء عن الخير، ووقع في (ل): «الرفائث».

(٣) ساقط من (هـ) و(ى).

(٤) من (ن).

(٥) ساقط من (ن).

(٦) أخرجه أبو داود (٧٨٨) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن محمد المروزي، وابن السرح قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال قتيبة فيه: عن ابن عباس قال: فذكره فهذا يدل على أن رواية أحمد بن محمد وابن السرح مرسلة ليس فيها ذكر «ابن عباس». وأخرجه أبو داود أيضاً «المراسيل» (٣٦) من طريق أحمد بن محمد المروزي بسنده سواء. وقال: «قد أسند هذا الحديث، وهذا أصح» يعني: المرسل. وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٢)، وفي «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٢٥) من طريق أبي داود السالفة. وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢١٠) من طريق أبي داود عن قتيبة بسنده موصولاً.

ورواه أيضاً يونس بن عبد الأعلى والحميدي عن ابن عيينة، عن عمرو، عن سعيد بن جبير مرسلاً. أخرجه الحميدي (٥٢٨)؛ والطحاوي في «المشكل» (١٣٧٦) وخالفهم أبو كريب وأحمد بن عبده وقتيبة بن سعيد ومعلى بن منصور والحسن بن الصباح فرووه عن ابن عيينة، عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موصولاً.

أخرجه أبو داود (٧٨٨)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢١٨٧)؛ وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (٧٧٩)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٥٥، ٢٥٦)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢١٠)؛ والحاكم (١/ ٢٣١) وعنه البيهقي في «المعرفة» (٢/ ٣٦٥، ٣٦٦) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» وقال الذهبي: «أما هذا فثابت» ويعضد الرواية المرسلة أن ابن جريج رواه عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير مرسلاً أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٢/رقم ٢٦١٧) عن ابن جريج وخولف عبد الرزاق، خالفه الوليد بن مسلم فرواه عن ابن جريج، ثنا عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موصولاً. أخرجه الحاكم (١/ ٣٢١، ٣٢٢) وعنه البيهقي (٢/ ٤٣) من طريق محمد بن عمرو الضرير، ثنا الوليد بن مسلم وصرح =

وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في «مستدركه» أيضاً. وروى مرسلاً عن سعيد بن جبير.

وفي «صحيح ابن خزيمة»(١)، عن أم سلمة ﵂ أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة، وعدها آية؛ لكنه من رواية عمر(٢) بن هارون البلخي، وفيه ضعف، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عنها، وروى له الدارقطني متابعاً(٣) عن أبي هريرة مرفوعاً. وروى مثله عن علي، وابن عباس، وغيرهما. وممن حكي عنه أنها آية من كل سورة، إلا «براءة»: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وعلي. ومن التابعين: عطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وبه يقول عبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله.

= الوليد بالتحديث، ولكن رواه دحيم عن الوليد مثل رواية محمد بن عمرو لكنه أسقط سعيد بن جبير من الإسناد، وقصر في إسناده كما قال البيهقي وصحح الرواية الموصولة في «المعرفة» والرواية الموصولة صحيحة، فقد أخرج الطبراني في «الكبير» (ج١٢/رقم ١٢٥٤٦) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان جبريل ﵇ ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فإذا قال: «بسم الله الرحمٰن الرحيم افتتح سورة أخرى». وسنده صحيح.

(١) أخرجه ابن خزيمة (٤٩٣) ومن طريقه الحاكم (١/ ٢٣٢) وأخرجه أيضاً ابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ١١٩، ١٢٠)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٢)، وفي «الشعب» (ج٥/رقم ٢١١٤، ٢١١٥)؛ وأبو أحمد الحاكم في «شعار أصحاب الحديث» (ص٦٣)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩/ ١) من طريق عمر بن هارون بسنده سواء وقال الحاكم: «عمر بن هارون أصل في السنة ولم يخرجاه وإنما أخرجته شاهداً».اهـ. وهو يشير إلى ضعفه. وقول المصنف ﵀ في عمر بن هارون «فيه ضعف» فيه تسامح فقد قال ابن معين وصالح جزرة: «كذاب» زاد ابن معين: «خبيث» وتركه ابن مهدي وأحمد والنسائي وأبو علي النيسابوري، وضعفه الدارقطني جداً، وقال أبو داود: «غير ثقة» وختم الذهبي (٣/ ٢٢٩) بقوله: «وكان من أوعية العلم على ضعفه وكثرة مناكيره، وما أظنه ممن يتعمد الباطل».اهـ. وقد مضى الحديث في «فضائل القرآن» من وجه آخر عن ابن جريج فراجعه إن شئت والحمد لله على التوفيق.

(٢) ساقط من (ز).

(٣) كذا قال المصنف ﵀، وفيه نظر من وجهين:

الأول: أن المتابعات تكون في السند خاصة، ولم يتابع عمر بن هارون أحد على عد البسملة آية من الفاتحة، بل خالفه يحيى بن سعيد الأموي فلم يذكرها، فلعل المصنف قصد المتابعة في المعنى، وهو ما يسمى «الشاهد»، والخطب في مثل هذا سهل.

الثاني: أن الشاهد الذي عناه المصنف أخرجه الدارقطني (١/ ٣١٢) من طريق ابن سمعان، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام...» ثم ذكر الحديث القدسي: «قال الله ﷿: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها له، يقول عبدي إذا افتتح الصلاة: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فيذكرني عبدي... الحديث». قال الدارقطني: ابن سمعان هو عبد الله بن زياد بن سمعان متروك الحديث وروى هذا الحديث جماعة من الثقات عن العلاء بن عبد الرحمٰن منهم: مالك بن أنس، وابن جريج، وروح بن القاسم، وابن عيينة، وابن عجلان، والحسن بن الحر وأبو أويس وغيرهم على اختلاف منهم في الإسناد واتفاق منهم على المتن فلم يذكر أحد منهم في حديثه «بسم الله الرحمٰن الرحيم» واتفاقهم على خلاف ابن سمعان أولى بالصواب.اهـ.

وذكر الدارقطني طريقاً آخر عن أبي هريرة لكنه معل بالوقف، وتقدم الكلام عليه.

وقال مالك، وأبو حنيفة، وأصحابهما: ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور.

وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه: هي آية من الفاتحة، وليست من غيرها. وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة، وهما غريبان.

وقال داود: هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها. وهذا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل. وحكاه أبو بكر الرازي، عن أبي الحسن الكرخي، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله.

هذا ما يتعلق بكونها آيةً من الفاتحة أم لا؟

وأما الجهر بها (فمفرع)[(١)] على هذا؛ فمن رأى أنها ليست «منها»[(٢)] فلا يجهر بها.

وكذا من قال: إنها آية (في)[(٣)] أولها: وأما من قال بأنها من أوائل السور، فاختلفوا؛ فذهب الشافعي (رَحِمَهُ اللهُ)[(٤)] إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة؛ وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين (سلفاً وخلفاً)[(٥)] فجهر بها من الصحابة: أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، ومعاوية، وحكاه ابن عبد البر، والبيهقي، عن عمر، وعلي. ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهو غريب، ومن التابعين عن سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبي قلابة، والزهري وعلي بن (الحسين)[(٦)]، وابنه محمد، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وسالم، ومحمد بن كعب القرظي (ومحمد بن عبيد)[(٧)]، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن عبد الله بن عباس، وابنه محمد، ونافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، وعمر بن عبد العزيز، والأزرق بن قيس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، ومكحول، وعبد الله بن معقل بن مقرن.

زاد البيهقي: وعبد الله بن صفوان، ومحمد ابن الحنفية.

زاد ابن عبد البر: وعمرو بن دينار.

والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة، فيجهر بها كسائر أبعاضها.

وأيضاً فقد روى النسائي في «سننه»[(٨)]، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، والحاكم

---

(١) كذا في كل «الأصول»، ما عدا (ج) و(ل) ففيها «ففرع».

(٢) وقع في (ن): «من الفاتحة» وأشار في (ى) إلى هذه اللفظة.

(٣) في (ز): «من».
(٤) من (ز).

(٥) كذا في (ز) و(ن) و(هـ)، ووقع في بقية «الأصول»: «خلفاً وسلفاً» وما أثبته أليق.

(٦) وقع في (ن): «الحسن» وهو خطأ.
(٧) من (ن) وحدها.

(٨) أخرجه النسائي (٢/ ١٣٤)؛ وابن خزيمة (١/ ٢٥١)؛ وابن حبان (٤٥١)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ١٩٩)؛ والحاكم (١/ ٢٣٢)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (١٨٤)؛ والبيهقي (٢/ ٤٦، ٥٨) من طريق الليث بن سعد، قال: حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم المجمر، عن أبي هريرة فذكره مطولاً ومختصراً.

وتابعه حيوة بن شريح عن خالد بن يزيد بسنده سواء. أخرجه ابن حبان (٤٥٠)؛ والدارقطني (١/ ٣٠٦) وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد (٤/ ٤٩٧) من طريق رشدين، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال به. ورشدين بن سعد ضعيف.

في «مستدركه»، عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة. وقال بعد أن فرغ: إني لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ، وصححه الدارقطني، والخطيب، والبيهقي، وغيرهم.

وروى أبو داود[١] والترمذي، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمٰن الرحيم.

ثم قال الترمذي: وليس إسناده بذاك.

وقد رواه الحاكم في «مستدركه»[٢]، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم. ثم قال: «صحيح».

وفي «صحيح البخاري»، عن أنس بن مالك، أنه سئل عن قراءة (رسول الله)[٣] ﷺ فقال: كانت (قراءته)[٤] مدًّا ثم قرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد الرحمٰن، ويمد الرحيم[٥].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن أبي داود»، و«صحيح ابن خزيمة»، و«مستدرك الحاكم»، عن أم سلمة ﵂؛ قالت: كان رسول الله ﷺ يقطِّع قراءته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾[٦] وقال الدارقطني: إسناده صحيح.

وروى (الإمام أبو عبد الله)[٧] الشافعي (﵀)[٨]؛ والحاكم في «مستدركه»، عن أنس؛ أن

---

(١) أخرجه أبو داود، كما في «أطراف المزي» (٥/ ٢٦٥)؛ والترمذي (٢٤٥)؛ وابن حبان في «الثقات» (٥/ ٥٦٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٠٥)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٨٠، ٨١)؛ والدارقطني (١/ ٣٠٤)؛ والبيهقي (٢/ ٤٧) من طريق المعتمر بن سليمان، عن إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن أبي خالد عن ابن عباس، فذكره. وضعفه أبو داود وابن عدي والعقيلي وإسماعيل بن حماد ضعيف، وذكر الترمذي أن أبا خالد هذا يقال: أنه الوالبي واسمه هرمز، والصواب أنه غيره وقد فرق بينهما البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان وهو ظاهر صنيع ابن عدي والعقيلي، وجعلهما المزي وابن حجر واحداً!

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٠٨) من طريق عبد الله بن عمرو بن حسان، ثنا شريك، عن سالم عن ابن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم. ثم قال الحاكم: «قد احتج البخاري بسالم هذا وهو ابن عجلان الأفطس، واحتج مسلم بشريك وهذا إسناد صحيح وليس له علة».اهـ. فتعقبه الذهبي بقوله: «كذا قال المصنف! وابن حسان كذبه غير واحد ومثل هذا لا يخفى على المصنف!!»

قلت: وشريك لم يحتج به مسلم كما قال الحاكم وقد خالفه في متنه مبشر بن عبد الله فرواه عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان جبريل ﵇ إذا نزل على رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمٰن الرحيم علم أن السورة قد انقضت. أخرجه الطحاوي في «المشكل» (١٣٧٥) وسنده جيد، وقد رواه عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه، ومرّ تخريجه قريباً والحمد لله.

(٣) في (ن): «النبي».

(٤) كذا في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ى) وسقط من (ج) و(ل).

(٥) تقدم تخريجهما في كتاب «فضائل القرآن» باب: القراءة بالمد.

(٦) تقدم تخريجهما في كتاب «فضائل القرآن» باب: القراءة بالمد.

(٧) زيادة من (ن).

(٨) من (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ى).

معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة، فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك، فلما صلى المرة الثانية بسمل[١].

وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداه.

فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر.

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مغفل، وطوائف من سلف التابعين والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة، والثوري، وأحمد بن حنبل.

وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهراً ولا سراً، واحتجوا بما في «صحيح مسلم»[٢]، عن عائشة ﵂، قالت: كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين.

وبما في «الصحيحين»[٣]، عن أنس بن مالك؛ قال: صليت خلف النبي (١/ ٤٩/ ٢) ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا (يستفتحون)[٤] بالحمد لله رب العالمين.

«ولمسلم»[٥]: لا يذكرون بسم الله الرحمٰن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها.

---

(١) أخرجه الشافعي في «كتاب الأم» (١/ ٣، ٩٣) ومن طريقه الحاكم (١/ ٢٣٣)؛ والدارقطني (١/ ٣١١)؛ والبيهقي قال: أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم، أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبره أن أنس بن مالك أخبره قال: صلى معاوية بالمدينة صلاةً فجهر فيها بالقراءة، فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، ولم يكبر حين يهوى حتى قضى تلك الصلاة، فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين: يا معاوية! أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلى بعد ذلك قرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن، وكبر حين يهوى ساجداً».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد أحتج بعبد المجيد بن عبد العزيز وسائر الرواة متفق على عدالتهم».

قلت: وكان ابن أبي رواد أعلم الناس بحديث ابن جريج كما قال ابن معين وتابعه عبد الرزاق عند الدارقطني، وهذا سند جيد رجاله رجال مسلم، لكن في كونه على شرط مسلم نظر، فإن هذه الترجمة: «ابن جريج عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي بكر بن حفص عن أنس» ما احتج بها مسلم، إنما احتج بابن أبي رواد عن ابن جريج فقط. والله أعلم. وقال الدارقطني: «كلهم ثقات» وقد اختلف في سنده.

(تنبيه) ظهر لك بعد ذكر سياق هذا الأثر أن المصنف ﵀ اختصره اختصاراً مخلا، فإن ما ذكره المصنف يدل على أن معاوية ترك البسملة بالكلية، وليس كذلك بل تركها عند قراءته للسورة التي بعد أم الكتاب. والله أعلم، نعم ما ذكره المصنف ظاهر في رواية إسماعيل بن عياش عند الدارقطني لكنها معلة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩٨/ ٢٤٠) من طريق حسين المعلم، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة بسياق أطول.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧)، وفي (جزء القراءة) (١١٧)؛ ومسلم (٣٩٩/ ٥٠، ٥١) من طريق شعبة، قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس فذكره ولم يقع عند البخاري ذكر «عثمان» ﵁، نعم أخرجه البخاري في «جزء القراءة»، (١١٨) فذكر «عثمان».

(٤) في (ن): «يفتتحون».

(٥) في «صحيحه» (٣٩٩/ ٥٢) من طريق الأوزاعي، عن قتادة، عن أنس.

ونحوه في «السنن»[(١)] عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

فهذه مآخذ الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة وهي قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر ولله الحمد والمنة.

فصل في فضلها

قال الإمام [(٢)][(العلم)[(٣)] الحبر العابد][(٢)] أبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم رحمه الله في «تفسيره»[(٤)]: حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا زيد بن المبارك الصنعاني، حدثنا سلام بن وهب الجندي، حدثنا أبي، عن طاوس، عن ابن عباس: أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «هو اسم من أسماء الله، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب».

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه، عن سليمان بن أحمد، عن علي بن المبارك، عن زيد بن المبارك، به.

وقد روى الحافظ بن[(٥)] مردويه من طريقين: عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى،

---

(١) هذا يوهم أن أصحاب السنن الأربعة رووه، ولم يروه منهم أبو داود؛ فأخرجه النسائي (٢/ ١٣٥)؛ والترمذي (٢٤٤)؛ وابن ماجه (٨١٥)؛ وأحمد (٤/ ٨٥)؛ (٥/ ٥٤، ٥٥)؛ والطحاوي في «الشرح» (١/ ٢٠٢)؛ والبيهقي (٢/ ٥٠)؛ والقاضي عبد الجبار في «تاريخ داريا» (ص٥٧) من طريق الجريري وعثمان بن غياث عن أبي نعامة الحنفي قيس بن عباية، عن ابن عبد الله بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا في الصلاة، أقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال لي: أي بني! محدث، إياك والحدث، قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدث في الإسلام؛ يعني: منه، قال: قد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت صليت فقل: «الحمد لله رب العالمين». قال الترمذي: «حديث حسن»؛ واختلف في إسناده.

ونقل الزيلعي في «نصب الراية» (١/ ٣٣٢) عن النووي في «الخلاصة» أنه قال: «وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب وقالوا: إن مداره على ابن عبد الله بن مغفل وهو مجهول».اهـ. وله متابعات متكلم فيها، والمقام في تحقيقه طويل.

(٢) ساقط من (ل).

(٣) كذا في (ج) و(ع) و(ى) ووقع في (ز) و(ك) و(ن) و(هـ): «العالم».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (٥). وأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٢) وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢١٢٣) من طريق جعفر بن مسافر بسنده سواء وصححه الحاكم ووافقه الذهبي! وليس كما قالا، وقد قال الذهبي في ترجمته «سلام بن وهب»: «خبر منكر بل كذب»، وسأل ابن أبي حاتم أباه عنه كما في «العلل» (ج٢/رقم ٢٠٢٩)، فقال: «هذا حديث منكر»؛ وقال الذهبي في «المغنى» (١/ ٢٧٢): «سلام بن وهب عن ابن طاوس بخبر موضوع، لا يعرف». واختلف في سنده فأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٦٢)؛ والخطيب في «تاريخه» (٧/ ٣١٣) وعنه الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٨٢) من طريق سلام بن وهب عن ابن طاوس عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعاً فذكره، ووجه الاختلاف أن سلام بن وهب رواه أولاً عن أبيه عن طاوس ثم رواه عن ابن طاوس عن أبيه. قال العقيلي: «سلام بن وهب الجندعي عن ابن طاوس لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به».

وجملة القول الثابت أن هذا الحديث باطل. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن جرير (١/ ٤١، ٤٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٩٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٥١، =

عن مسعر، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم عليه السلام أسلمته أمه (إلى)[1] الكُتَّاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب (قال)[2]: ما أكتب؟ قال: بسم الله. قال له عيسى: وما بسم الله؟ قال المعلم: ما أدري».

قال له عيسى: «الباء بهاء الله والسين سناؤه، والميم مملكته، والله إله الآلهة، والرحمٰن رحمٰن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة».

وقد رواه[3] ابن جرير [4][من حديث إبراهيم بن العلاء الملقب (زبريق)[5]، عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مليكة، عمن حدثه، عن ابن مسعود، ومسعر، عن عطية][4]، عن أبي سعيد، (عن النبي)[6] ﷺ... فذكره.

وهذا غريب جداً، وقد يكون[7] صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ. وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات. والله أعلم.

= ٢٥٢) وفي «حديث الكديمي» (ق٣٦٠/١)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٠٣، ٢٠٤)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/١٨/٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى، عن مسعر، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. قال ابن عدي: «باطل بهذا الإسناد، لا يرويه غير إسماعيل».

وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع محال، ما يضع هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام، أو جاهل في غاية الجهل وقلة المبالاة بالدين ولا يجوز أن يفرق حروف الكلمة المجتمعة فيقال: الألف من كذا: واللام من كذا، وإنما هذا يكون في الحروف المقطعة... ثم قال: فقد جمع واضع هذا الحديث جهلاً وافراً وإقداماً عظيماً، وأتى بشيء لا تخفى برودته والكذب فيه» وأقرّ السيوطي بوضعه في «اللآلئ» (١/ ١٧٢)؛ وقال في «تدريب الراوي» (١/ ٥٦): «غريب جداً» وقال في «الدر المنثور» (١/ ٨): «سنده ضعيف جداً» وعلته إسماعيل بن يحيى هذا فقد كذبه الدارقطني وأبو علي النيسابوري والحاكم، وقال الأزدي: «ركن من أركان الكذب» واتهمه صالح جزرة بوضع الحديث وكذلك ابن حبان.

(١) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى).

(٢) في (ل) و(ن): «فقال».

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤٠ ـ شاكر) قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، وهو يلقب بزبريق، بسنده سواء.

وأخرجه أبو نعيم في «حديث محمد بن يونس الكديمي» (ق٣٦٠/١) من طريقه، ثنا الحسين بن علي بن مصعب النخعي، ثنا عبد الوهاب بن الضحاك، أنا إسماعيل بن عياش بسنده سواء وسنده تالف، والكديمي واهٍ والحسين بن علي أحد مشايخ الإسماعيلي ذكره في «معجمه» (ق٨٣/ ٣) وقال: «قد غلب عليه البلغم شيخ كبير» وقال الذهبي: «عمر وتغير لا يعتمد عليه»، وعبد الوهاب بن الضحاك ساقط ألبتة، وزبريق قال الحافظ: مستقيم الحديث إلا في حديث واحد يقال: إن ابنه محمداً أدخله عليه، ومداره على إسماعيل بن يحيى وقد مرَّ حاله.

(٤) ساقط من (هـ). (٥) في (ن): «ابن زبريق»!

(٦) في (ن): «قال: قال رسول الله».

(٧) ونقل الشيخ أبو الأشبال في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ١٢٢) قول ابن كثير هذا وقال: «وما أدري كيف فات الحافظ ابن كثير أن في إسناده هذا الكذاب فتسقط روايته بمرة، ولا يحتاج إلى هذا التردد».اهـ.

قلت: فلعل الحافظ ابن كثير يشير إلى سند آخر، فقد رأيت السيوطي قال في «الدر المنثور» (٢/ ٢٥): «وأخرج ابن المنذر بسند صحيح إلى سعيد بن جبير قال: لما ترعرع عيسى جاءت به أمه إلى الكُتّاب، فدفعته إليه...» ثم ساقه بنحوه، فهذا يرجح كونه من الإسرائيليات، ويصدق ظن المصنف رحمه الله.

وقد روى جويبر[١]، عن الضحاك نحوه من قبله.

وقد روى ابن مردويه[٢] من حديث يزيد بن خالد، عن سليمان بن بريدة، وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية، عن (ابن)[٣] بريدة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت عليّ آية لم تنزل على نبي غير سليمان (بن داود)[٤] وغيري، وهي: بسم الله الرحمٰن الرحيم».

وروى بإسناده عن (عبد الكبير)[٥] بن المعافي بن عمران، عن أبيه، عن عمر بن ذر، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله؛ قال: لما نزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ألا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه.

[٦][وقال وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾ فيجعل الله له من كل حرف منها جنةً من كل واحد][٦].

[٦][ذكره ابن عطية[٧] والقرطبي[٨] ووجهه ابن عطية (ونظره)[٩] بحديث: «لقد رأيت بضعة][٦]

---

(١) أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس وساق كلاماً طويلاً، راجع «الدر المنثور» (٢/ ٢٦) وسنده تالف جداً، وجويبر هالك والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وإسحاق بن بشر صاحب «كتاب المبتدأ» ساقط أيضاً. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢) عن جويبر عن الضحاك قوله.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٢٩)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» (٦/ ١١٨/ ٢)؛ وأبو أحمد الحاكم في «شعار أصحاب الحديث» (ص٦٨)؛ والدارقطني (١/ ٣١٠)؛ والبيهقي (١٠/ ٦٢) من طريق علي بن الجعد وإبراهيم بن مجشر، نا سلمة بن صالح الأحمر، عن يزيد بن أبي خالد، عن عبد الكريم بن أبي أمية عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا أخرج من المسجد حتى أعلمك آية من سورة لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري» قال: فمشى وتبعته حتى انتهى إلى باب المسجد، فأخرج رجله من أسكفة المسجد وبقيت الأخرى؛ فقلت بيني وبين نفسي أنسي؟ قال: فأقبل علي بوجهه وقال: بأي شيء تفتح القراءة إذا افتتحت الصلاة؟ قال: قلت: ببسم الله الرحمٰن الرحيم، قال: «هي هي» ثم خرج. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧) لابن أبي حاتم.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن ابن بريدة إلا عبد الكريم، ولا عنه إلا يزيد، تفرد به سلمة».
قلت: وسنده ضعيف جداً، وسلمة بن صالح، قال الذهبي: تركوه.
وابن أبي المخارق ضعيف. وقال البيهقي والسيوطي: «إسناده ضعيف».

(٣) في (ن): «أبي»!!
(٤) ساقط من (ج).

(٥) وقع في (ن): «عبد الكريم الكبير»!! وفي (ز): «عبد الكريم»! وهذا السند الذي أورده المصنف جيد، لكنني أخشى من دون عبد الكبير وأسانيد ابن مردويه يغلب عليها ما يغلب على أسانيد الطبراني. وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» (ج١/ ق٦/ ٢) من وجه آخر عن عمر بن ذر بسنده سواء.

(٦) ساقط من (ز).

(٧) في «تفسيره» (١/ ٨٢) وأشار إلى القول دون أن ينسبه إلى ابن مسعود ثم قال: «وهذا من ملح التفسير، وليست من متين العلم». ولعله لم يقف على قائله وأنه ابن مسعود ﷺ، والسند صحيح إليه، وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٦/ ٢) من طريق عبد الله بن هاشم، ثنا وكيع بإسناده سواء وهذا الأثر له حكم الرفع كما لا يخفى، وقد أشار ابن عطية إلى هذا الأثر بقوله: «فقال بعض الناس» فهذا يدل على ما ذكرته والله أعلم.

(٨) في «تفسيره» (١/ ٩٢).

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى): «نظَّره» بالظاء المعجمة المشددة قبلها نون، ووقع في (ن): =

(١)[وثلاثين ملكاً يبتدرونها»(٢) لقول الرجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفاً وغير ذلك](١).

وقال الإمام أحمد (بن حنبل)(٣) في «مسنده»(٤): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم؛ قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي ﷺ؛ قال: عثر بالنبي ﷺ (حماره)(٥)؛ فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب».

هكذا وقع في رواية الإمام أحمد.

وقد روى النسائي في «اليوم والليلة»، وابن مردويه في «تفسيره»، من حديث خالد الحذاء،

= «ونصره» بالصاد المهملة وكذا وقع في المطبوعات التي وقعت عليها من «التفسير» وهو خطأ فاحش؛ لأن ابن عطية ما نصر هذا القول، كيف وهو يقول: «هذا من مُلح التفسير وليست من متين العلم» ولكن معنى «نظّره» أي جعل لهذا القول نظائر. والله أعلم.

(١) ساقط من (ز). (٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨٤ ـ فتح).

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٥٩) قال: حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة، عن عاصم قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن ردف النبي ﷺ. قال شعبة: قال عاصم: عن أبي تميمة، عن رجل عن رديف النبي ﷺ... وذكر الحديث.

وأخرجه أحمد أيضاً (٥/ ٧١) قال: حدثنا عفان، حدثنا شعبة مثله على الشك ووافق شعبة على الرواية الأولى من غير شك: سفيان الثوري ومعمر بن راشد فروياه عن عاصم الأحول، عن أبي تميمة الهجيمي، عمن كان ردف النبي ﷺ... فذكره. أخرجه عبد الرزاق (ج١١/رقم ٢٠٨٩٩)؛ وأحمد (٥/ ٥٩، ٣٦٥)؛ والطحاوي في «المشكل» (١/ ١٥٩)؛ البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٣٥٣، ٣٥٤). قال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٨١): «إسناده جيد»! ويأتي ما فيه.

وقد تابع عاصم الأحول: خالد الحذاء، فرواه عن أبي تميمة، عن رديف النبي ﷺ مثله. أخرجه الحاكم (٤/ ٢٩٢) من طريق يزيد بن زريع، عن خالد الحذاء وقال: «صحيح الإسناد» ورده الذهبي بالمخالفة. وقد خولف يزيد بن زريع في إسناده. فخالفه وهب بن بقية وابن المبارك فروياه عن خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن أبي المليح، عن رجل كان ردف النبي ﷺ وساق الحديث.

أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)؛ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٤) وخالفهما محمد بن حمران القيسي، فرواه عن خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن أبي المليح، عن أبيه قال: كنت ردف النبي ﷺ فذكره.

أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٥٥٥)، وعنه ابن السني (٥٠٩)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٠٦٨) وعنه ابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٨٢)؛ الطحاوي في «المشكل» (١/ ١٥٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١/رقم ٥١٦)؛ الحاكم (٤/ ٢٩٢)؛ وأبو عبد الله الصوري في «جزء من حديثه» (ق٣٠٦/ ١).

قال النسائي: هذا عندي خطأ، والصواب عندنا حديث عبد الله بن المبارك. اهـ. وهذا نقد صحيح، ومحمد بن حمران، قال ابن حبان: «يخطئ» فقول الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٢): «محمد بن حمران ثقة» فيه تسامح وخالف جميع من تقدم عبد الوهاب بن عطاء فرواه عن خالد الحذاء عن أبي تميمة عن أبي المليح قال: كان رجل رديف النبي ﷺ... وساقه نحوه.

أخرجه النسائي (٥٥٦)؛ والخطيب في «المتفق والمفترق» (١١/ ١٦١/ ٢) والصواب في كل هذا رواية ابن المبارك ووهب بن بقية، وجهالة الصحابي لا تضر والحمد لله. وبهذا يظهر ما في تجويد المنذري لرواية أحمد من النظر، والله أعلم.

(٥) ساقط من جميع «الأصول» واستدركته من «المسند».

عن أبي تميمة، وهو الهجيمي، عن أبي المليح بن أسامة بن عمير، عن أبيه؛ قال: كنت رديف النبي ﷺ... فذكره؛ وقال: «لا تقل هكذا، فإنه يتعاظم حتى يكون كالبيت؛ ولكن قل: باسم الله، فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة».

فهذا من تأثير بركة «باسم الله»؛ ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول؛ فتستحب في أول الخطبة لما جاء: «كل (أمر)[١] لا يبدأ فيه ببسم الله (الرحمٰن الرحيم)[٢]. فهو أجذم»[٣].

[٤][وتستحب البسملة عند دخول الخلاء، لما ورد من الحديث[٥] في ذلك][٤].

وتستحب في أول الوضوء لما جاء في «مسند الإمام أحمد»[٦]، و«السنن»، من رواية أبي

---

(١) كذا في «ز» و(ل) و(ن)، ووقع في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى): «خطبة» وأشار في (ج) و(ع) و(ى) إلى أنه وقع في نسخة ما أثبته في المتن.

(٢) من (ز).

(٣) أخرجه عبد القادر الرهاوي في «الأربعين» ومن طريقه ابن السبكي في «طبقات الشافعية» (١/ ٦) وسنده ضعيف جداً، وعزاه المناوي في «فيض القدير» (٥/ ١٤) للخطيب البغدادي في «تاريخه»، وأخرجه أبو داود (٤٨٤٠)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٤٩٤)؛ وابن ماجه (١٨٩٤)؛ وأحمد (٢/ ٣٥٩)؛ وابن حبان (١، ٢)؛ وأبو عوانة في «مستخرجه»؛ والدارقطني (١/ ٢٢٩)؛ والغافقي في «مسند الموطأ» (ق٢/ ١)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢٠٨، ٢٠٩) والشريف الرضى في «المجازات النبوية» (ص١٦٦، ١٦٧)؛ والخطيب في «الجامع» (٢/ ٦٩، ٧٠) من طرق عن الأوزاعي، عن قرة بن عبد الرحمٰن، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع». واختلف في متنه كثيراً قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري مرسلاً، وصوب الدارقطني المرسل، وأخرج المرسل النسائي في «اليوم والليلة» (٤٩٥، ٤٩٦) وهو الصواب، وقرة بن عبد الرحمٰن ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة وآخرون، وقد خالفه الإثبات من أصحاب الزهري فأرسلوه، وبهذا تعلم خطأ من حسنه كابن الصلاح والنووي وابن السبكي في «الطبقات» (١/ ٥ ـ ٢٠) وأطال في غير طائل، وللنووي حجة واهية في تحسينه فقال: «وهو حديث حسن، وقد روى موصولاً ومرسلاً ورواية الموصول جيدة الإسناد، وإذا روى الحديث موصولاً ومرسلاً فالحكم للاتصال عند الجمهور». اهـ. كذا قال! وهذا الباب، يعني الاتصال والإرسال إنما يحكم فيه المحدثون دون غيرهم، هم لا يحكمون للموصول إذا خالف المرسل، بل يرجحون بالعدد والحفظ والملازمة ونحو ذلك، فإذا روى الحديث رجل ضعفه النقاد وخالفه الثقات الأثبات فلا يحكم لروايته عليهم أبداً، وقد أيد النووي الدارقطني في تضعيفه لزيادة «وإذا قرأ فأنصتوا» التي رواها مسلم في «صحيحه» مع أن راويها هو سليمان التيمي وهو ثقة ثبت؛ لأنه خالف أصحاب قتادة، فكيف يحكم لرواية قرة بن عبد الرحمٰن ومرَّ حاله على رواية أصحاب الزهري المتقنين؟! هذا ما تأباه الأصول وطرائق المحدثين. والله أعلم، وجملة القول أن الحديث ضعيف، والصواب فيه الإرسال. والحمد لله على التوفيق، وانظر: «الإرواء» (١/ ٢٩ ـ ٣٢) لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٤) ساقط من (ز).

(٥) يشير إلى ما رواه المعمري في «اليوم والليلة» من طريق عبد الله بن المختار، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس مرفوعاً: «إذا دخلتم الخلاء فقولوا: بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث» قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٤٤): «إسناده على شرط مسلم وفيه زيادة التسمية، ولم أرها في غير هذه الرواية» وقال في «نتائج الأفكار» (١/ ١٩٦): «رواته موثقون». وقد روى هذا الحديث شعبة وابن علية وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وآخرون فلم يذكروا التسمية، وقد حققت هذا البحث في «بذل الإحسان» (١/ ١٩٧ ـ ١٩٩) فراجعه.

(٦) أما حديث أبي هريرة: فأخرجه أحمد (٢/ ٤١٨)؛ وأبو داود (١٠١)؛ وابن ماجه (٣٩٩)؛ والترمذي في «العلل الكبير» (١/ ١١١)؛ وأبو يعلى (ج١١/ رقم ٦٤٠٩) وغيرهم من طريق يعقوب بن سلمة، عن أبيه، =

هريرة، وسعيد بن زيد، وأبي سعيد ـ مرفوعاً: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه». وهو حديث حسن.

ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا، ومنهم من قال بوجوبها مطلقاً، وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقاً في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه (إن شاء الله)(١).

(٢)[وقد ذكر الرازي في «تفسيره»(٣) في فضل البسملة أحاديث منها: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتيت أهلك فسم الله، فإنه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات». وهذا لا أصل له، ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها](٢).

وهكذا تستحب عند الأكل لما في «صحيح مسلم»(٤): أن رسول الله ﷺ قال لربيبه عمر بن أبي سلمة: «قل: بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه، وكذلك تستحب عند الجماع لما في «الصحيحين»(٥) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن (أحدهم)(٦) إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله،

= عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله تعالى». وصححه الحاكم (١/١٤٦) وتعقبه ابن الصلاح والنووي في «المجموع» (١/٣٤٤)؛ وابن حجر في «التلخيص» (١/٧٢) وفي «النتائج» (١/٢٦٦) وله علتان.

وأما حديث سعيد بن زيد: فأخرجه أحمد (٤/٧٠، ٦/٣٨٢)؛ والترمذي (٢٥)؛ وابن ماجه (٣٩٨) وآخرون يطول الأمر بذكرهم وهو أمثل أحاديث الباب.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه أحمد (٣/٤١)؛ والترمذي في «العلل» (١/١١٢، ١١٣)؛ وابن ماجه (٣٩٧)؛ وابن أبي شيبة (١/٢، ٣)؛ وأبو عبيد في «الطهور» (ق٧/٢)؛ وأبو يعلى (٢/٣٢٤، ٤٢٤) وآخرون. وقد استوفيت الكلام على طرقه وشواهده في «بذل الإحسان» (٢/٣٤٠ ـ ٣٧١) ولي فيه جزء مفرد باسم «كشف المخبوء بثبوت حديث التسمية عند الوضوء» وهو مطبوع وانفصلت فيه على أنه حديث حسن ثابت. والله أعلم.

(١) من (ك) و(ن).

(٢) ساقط من (ز) و(ع) و(ل).

(٣) انظر تفسير «الرازي» (١/١١٧) والحديث المذكور أخرجه أبو الحسين بن المهتدي في «فوائده» وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/١٨٥، ١٨٦) وساق حديثاً طويلاً، ثم قال ابن الجوزي: «هذا حديث ليس له أصل، وفي إسناده جماعة مجاهيل لا يعرفون أصلاً ولا نشك أنه من وضع بعض القصاص أو الجهال وقد خلط الذي وضعه في الإسناد، ومن المعروفين في إسناده: حماد بن عمرو، قال يحيى: كان يكذب ويضع الحديث، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث وضعاً على الثقات، لا يحل كتب حديثه إلا على وجه التعجب» وانظر: «اللآلئ» (٢/٣٧٧، ٣٧٨)، «وتنزيه الشريعة» (٢/٣٤٠).

(٤) لم يخرجه مسلم في «صحيحه» بهذا اللفظ، إنما أخرجه (٢٠٢٢/١٠٨) بلفظ: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك».
أخرجه البخاري (٩/٥٢٣)؛ ومسلم (٢٠٢٢/١٠٩).

(٥) أخرجه البخاري (٩/٢٢٨)؛ ومسلم (١٠/٥ ـ شرح النووي).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ى) وهو الموافق لما في «الصحيحين»، ووقع في (ز) و(ك) و(ن): «أحدكم».

اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً».

ومن ههنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في (تقدير)[(١)] المتعلق بالباء في (قولك)[(٢)]: باسم الله - هل هو اسم أو فعل - متقاربان، وكل قد ورد به القرآن؛ أما من قدره باسم تقديره باسم الله ابتدائي؛ فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود] ومن قدره بالفعل [(٣)](أمراً أو خبراً؛ نحو: أبدأ باسم الله، أو ابتدأت بسم الله)[(٣)] فلقوله (تعالى)[(٤)]: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق] وكلاهما صحيح؛ فإن الفعل لا بدّ له من مصدر؛ فلك أن تقدر الفعل ومصدره، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قياماً أو قعوداً أو أكلاً أو شرباً، أو قراءةً أو وضوءاً أو صلاةً؛ فالمشروع ذكر (اسم)[(٥)] الله في الشروع في ذلك كله؛ تبركاً وتيمناً واستعانةً على الإتمام والتقبل. والله أعلم.

ولهذا روى ابن جرير[(٦)]، وابن أبي حاتم، من حديث بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: إن أول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمد؛ قل: أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ثم قال: قل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ قال: قال له جبريل: (قل)[(٧)]: باسم الله يا محمد.

يقول: اقرأ بذكر الله ربك، وقم واقعد بذكر الله تعالى. لفظ ابن جرير.

وأما مسألة الاسم؛ هل هو المسمى أو غيره، ففيها للناس ثلاثة أقوال: [(٨)][أحدها: أن الاسم؛ هل هو المسمى، وهو قول أبي عبيدة، وسيبويه؛ واختاره الباقلاني، وابن فورك. وقال (فخر الدين)[(٩)] الرازي][(٨)]؛ [(١٠)][وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب (الري)[(١١)] في «مقدمات تفسيره»[(١٢)]: قالت الحشوية، والكرامية، والأشعرية: الاسم نفس المسمى، (وغير التسمية)[(١٣)]، وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى ونفس التسمية.

والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية، ثم نقول: إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمّى، وإن][(١٠)]

---

(١) في (ج): «تقديم» وهو تصحيف.

(٢) في (ن): «قوله» وذكر في الهامش أن في نسخة «قولك».

(٣) ساقط من (ز).

(٤) من (ل) و(ن).

(٥) ساقط من (ز).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٣٨)؛ وابن أبي حاتم (٤) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا بشر بن عمارة بسنده سواء.
وإسناده ضعيف جداً وبشر بن عمارة تركه الدارقطني وضعفه البخاري والنسائي وغيرهما والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس، وسبق أن نبه المصنف على هذا.

(٧) سقط من سائر «الأصول» واستدركته من «الطبري» و«ابن أبي حاتم».

(٨) من أول هنا إلى «الله علم على الرب تبارك وتعالى» ساقط من (ز).

(٩) ساقط من (ن).

(١٠) ساقط من (ز).

(١١) في (ك): «الذي»! وفي (ل): «ابن الخطيب الرازي».

(١٢) انظر: «تفسيره» (١/ ١١٤ - ١١٦).

(١٣) وقع في (ن): «غير نفس التسمية».

(١)[كان المراد بالاسم ذات المسمّى فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات، وهو عبث، فثبت أن (الخوض)(٢) في هذا (البحث)(٣) على جميع التقديرات يجري مجرى العبث.

ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجوداً والمسمى مفقوداً؛ كلفظة المعدوم، وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة؛ كالمترادفة، وقد يكون الاسم واحداً والمسميات متعددةً كالمشترك، وذلك دال على تغاير الاسم والمسمّى.

وأيضاً فالاسم لفظ وهو عرض. والمسمّى قد يكون ذاتاً ممكنةً أو واجبةً بذاتها.

وأيضاً فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمّى لوجد اللافظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك؛ ولا يقوله عاقل](١).

(٤)[وأيضاً فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً»(٥)؛ فهذه أسماء كثيرة والمسمّى واحد، وهو الله تعالى.

وأيضاً فقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ (ٱلْحُسْنَىٰ)﴾(٦) أضافها إليه، كما قال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة] ونحو ذلك؛ فالإضافة تقتضي المغايرة. وقوله (تعالى)(٧): ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي: فادعوا الله بأسمائه؛ وذلك دليل على أنها غيره.

واحتج من قال: الاسم هو المسمى بقوله (تعالى)(٧): ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن] والمتبارك هو الله (تعالى)(٧).

والجواب أن الاسم (يعظم)(٨) لتعظيم الذات المقدسة.

وأيضاً فإذا قال الرجل: زينب طالق - يعني: امرأته - طلقت، ولو كان غير المسمى لما وقع الطلاق.

والجواب أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق.

قال الرازي: وأما التسمية فإنها جعل الاسم معيناً لهذه الذات، فهي غير الاسم أيضاً. والله أعلم)](٤).

(الله): علم على الرب تبارك وتعالى، يقال: إنه الاسم الأعظم. لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر] فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) في (ع) و(هـ) و(ى): «المختص»!! وأشار في (ى) إلى أن الصواب ما أثبته.
(٣) في (ج) و(ل): «المبحث».
(٤) إلى هنا انتهى السقط الواقع في (ز).
(٥) يأتي تخريجه إن شاء الله بعد قليل.
(٦) من (ج) و(ل) و(هـ).
(٧) من (ن).
(٨) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ى)، ووقع في (ن) و(هـ): «معظم».

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفي «الصحيحين»[(١)] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة». وجاء تعدادها في رواية الترمذي[(٢)] [(٣)][وابن ماجه، وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان.

وقد ذكر (فخر الدين)[(٤)] (الرازي)[(٥)] في «تفسيره» عن بعضهم][(٣)] أن لله خمسة آلاف اسم، [(٦)][ألف في الكتاب والسنة الصحيحة، وألف في التوراة، وألف في الإنجيل، وألف في الزبور، وألف في اللوح المحفوظ][(٦)].

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى، ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل؛ فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له.

[(٧)][وقد نقله القرطبي[(٨)] عن جماعة من العلماء، منهم الشافعي، والخطابي، وإمام الحرمين، والغزالي وغيرهم.

ووى عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة، قال الخطابي: ألا ترى أنك تقول: يا الله، ولا تقول: يا الرحمٰن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام][(٧)].

وقيل: إنه مشتق، واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المُدَّه[(٩)] سبحن واسترجعن من تألهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر، وهو التأله، من أله يأله إلاهةً وتألهاً، كما روي عن ابن عباس[(١٠)] أنه قرأ: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قال: عبادتك؛ أي: أنه كان يعبد ولا يعبد. وكذا قال مجاهد وغيره.

[(١١)][وقد استدل بعضهم على كونه مشتقاً بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾][(١١)]

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٤، ١١/ ٢١٤، ١٣/ ٣٧٧)؛ ومسلم (٥/ ٢٦٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧) وضعفه وابن ماجه (٣٨٦١)؛ وابن حبان (٨٠٨)؛ والحاكم (١/ ١٦)؛ والبيهقي في «الأسماء» (ص٥)، وكذلك ضعفه سائر أهل العلم، وصححه الحاكم وحسنه النووي، وردوه عليهما، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الأمر في «سورة الأعراف» إن شاء الله تعالى.

(٣) ساقط من (ز).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ج) و(ك) و(هـ) و(ى) ووقع في (ل): «فخر الدين الرازي».

(٦) ساقط من (ز).

(٧) ساقط من (ز).

(٨) في «تفسيره» (١/ ١٠٣).

(٩) المدة: أي المادحات، ومده؛ يعني: مدح، وانظر: «اللسان» (٥/ ٤١٦١). ومعنى البيت: أنهن مدحن حسنه وجماله، واسترجعن حسرة عليه، أنه تنسك وطلب العبادة وهجر الدنيا ولم يستفد بحسنه شيئاً.

(١٠) ولم تثبت هذه القراءة، ويأتي بيانه في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى.

(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).

[الأنعام: ٣] [١][(أي: المعبود في السمٰوات والأرض)][٢] كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله إلاه مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة].

[قال سيبويه: مثل الناس، أصله أناس. وقيل: أصل الكلمة: «لاه»، فدخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيبويه؛ قال الشاعر:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عنى ولا أنت دياني فتخزوني

قال القرطبي[٣]: بالخاء المعجمة؛ أي: فتسوسني.

وقال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية، كما قال: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف: ٣٨] أي: لكن أنا. وقد قرأها كذلك الحسن.

قال القرطبي[٣]: ثم قيل: هو مشتق من وله إذا تحير. والوله: ذهاب العقل يقال: رجل واله، وامرأة ولهى، (وماء موله)[٤] إذا أرسل في][١] [٥][الصحراء. فالله تعالى (تتحير الألباب والفكر)[٦] في حقائق صفاته؛ فعلى هذا يكون (أصله)[٧]: «ولاه»، فأبدلت الواو همزةً، كما قالوا في وشاح: إشاح، ووسادة: إسادة.

وقال (فخر الدين)[٨] الرازي[٩]: وقيل: إنه مشتق من: «ألهت إلى فلان»؛ أي: سكنت إليه؛ فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته؛ لأن الكامل على الإطلاق دون غيره. قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

قال: وقيل: من «لاه، يلوه»، إذا احتجب. وقيل: اشتقاقه من أله الفصيل: أولع بأمه.

والمعنى أن العباد (مولهون)[١٠] مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال.

قال: وقيل: مشتق من أله الرجل يأله، إذا فزع من أمر نزل به، فألهه؛ أي: أجاره، فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وهو المنعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]][٥].

[١١][وهو المطعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وهو الموجد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨].

---

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٢) ساقط من (ن).
(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ١٠٢).
(٤) في (ن): «مالوها»!!
(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).
(٦) كذا في (ج) و(ل) وفي (ك): «يتحير أولو الألباب والفكر» وفي (ن): «يتحير الفكر».
(٧) ساقط من (ن).
(٨) ساقط من (ك) و(ن).
(٩) «تفسير الرازي» (١/ ١٦٥).
(١٠) في (ن): «مألوهون».
(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

وقد اختار (فخر الدين)[1] (الرازي)[2] أنه اسم غير مشتق (البتة)[3]؛ قال: وهو قول الخليل، وسيبويه، وأكثر الأصوليين والفقهاء؛ ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه، منها أنه لو كان مشتقاً لاشترك في معناه كثيرون. ومنها أن بقية الأسماء تذكر صفات له، فتقول: الله الرحمٰن الرحيم الملك القدوس؛ فدل أنه ليس بمشتق؛ قال: فأما قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١، ٢] على قراءة الجر، فجعل ذلك من باب عطف البيان. ومنها: قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامداً غير مشتق نظر. والله أعلم.

[4][وحُكي (فخر الدين)[1] (الرازي)[2] عن بعضهم (أنه ذهب إلى)[5] أن اسم الله تعالى عبراني لا عربي، ثم ضعفه، وهو حقيق بالتضعيف، كما قال. وقد][4] حكى (فخر الدين)[1] (الرازي)[2] هذا القول، ثم قال: واعلم أن (الخلق)[6] قسمان: واصلون إلى ساحل بحر المعرفة، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة، وتيه الجهالة][7].

[8][فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم. وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور، وفسحة الكبرياء والجلال، فتاهوا في ميادين الصمدية، وبادوا في عرصة الفردانية؛ فثبت أن الخلائق كلهم والهون في معرفته.

وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه ـ بنصب اللام (وجرها)[9] ـ لغتان.

وقيل: إنه مشتق من الارتفاع؛ فكانت العرب تقول لكل شيءٍ مرتفع: لاهاً، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت.

وقيل: إنه مشتق من أله الرجل، إذا تعبد، وتأله إذا تنسك. وقرأ ابن عباس ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]][8].

وأصل ذلك الإله، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها للتعريف، فأدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاماً واحدةً مشددةً وفخمت تعظيماً، فقيل: «الله».

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة. ورحمٰن أشد مبالغة من رحيم. وفي كلام ابن جرير ما يفهم (منه)[10] حكاية الاتفاق على هذا. وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك، كما تقدم في الأثر[11] عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمٰن رحمٰن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة.

---

(١) من (ج) و(ك) و(ل).
(٢) من (ن).
(٣) البتة: بهمزة وصل، وانظر ضبطها في «فتح الباري» (٩/ ٣٩٢) للحافظ.
(٤) ساقط من (ك).
(٥) ساقط من (ن).
(٦) في (ن): «الخلائق».
(٧) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٨) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٩) كذا في (ج) و(ل) وفي (ك) و(ن): «كسرها».
(١٠) من (ن).
(١١) لكنه لا يصح كما تقدم شرحه، والله أعلم.

(١)[وزعم بعضهم أنه غير مشتق؛ إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم؛ وقد قال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]](١).

(٢)[وحكى ابن الأنباري في «الزاهر»، عن المبرد ـ أن الرحمٰن اسم عبراني ليس بعربي. وقال أبو إسحاق الزجاج في «معاني القرآن»: وقال أحمد بن يحيى: الرحيم عربي، والرحمٰن عبراني، فلهذا جمع بينهما.

قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوب عنه.

وقال القرطبي(٣): والدليل على أنه مشتق ما خرجه الترمذي(٤)، وصححه عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمٰن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من أسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته».

قال: وهذا نص في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشقاق.

قال: وإنكار العرب لاسم الرحمٰن لجهلهم بالله، وبما وجب له](٢).

(٥)[قال القرطبي(٦): (ثم قيل)(٧): هما بمعنًى واحد؛ كندمان ونديم؛ قاله أبو عبيد.

وقيل: ليس بناء فعلان كفعيل؛ فإن «فعلان» لا تقع إلا على مبالغة الفعل، نحو قولك: رجل غضبان، «للرجل الممتلئ غضباً»(٨). (وفعيل) قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول.

قال أبو علي الفارسي: الرحمٰن اسم (عام)(٩) في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى. والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر؛ أي: أكثر رحمةً.

ثم حكى(١٠) عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة، وقالوا: لعله أرفق، كما في](٥)

---

(١) ساقط من (ز). (٢) ساقط من (ز).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ١٠٤).

(٤) في «سننه» (١٩٠٧)؛ وأبو داود (١٦٩٤)؛ وأحمد (١/ ١٩٤)؛ وابن أبي شيبة (٨/ ٣٤٧، ٣٤٨)؛ والبزار (ج١/ ق١١/ ١)؛ والحميدي (٦٥)؛ والبرتي في «مسند عبد الرحمٰن بن عوف» (ق١٧٩/ ٢)؛ وأبو يعلى (ج٢/ رقم ٨٤٠)؛ والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٦١) وفي «المساوئ» (٢٦٥)؛ والبيهقي في «الآداب» (١١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٢) من طريق ابن عيينة، عن الزهري، عن أبي سلمة، قال: اشتكى أبو الرداد، فجاءه عبد الرحمٰن بن عوف عائداً، فقال: خيرهم وأوصلهم ما علمت أبا محمد فقال عبد الرحمٰن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: . . . فذكره ولكن عند الترمذي وغالب المخرجين «بتته» بدل «قطعته» وصححه الترمذي وتعقبه المنذري في «مختصر سنن أبي داود» (٢/ ٢٦٢) بأن أبا سلمة بن عبد الرحمٰن لم يسمع من أبيه شيئاً كما قال ابن معين».
وقد اختلف في إسناده، وللحديث شواهد كثيرة يصح بها.

(٥) ساقط من (ز).

(٦) في «تفسيره» (١/ ١٠٥).

(٧) ساقط من (ل) وسقطت لفظة: «ثم» من (ج).

(٨) ساقط من (ج) و(ل)، وسقطت لفظة «للرجل» من (ك) و(هـ) و(ى).

(٩) كذا في (ك) و(ن) و(هـ) و(ى) ووقع في (ج) و(ل): «غاية».

(١٠) يعني: القرطبي في «تفسيره» (١/ ١٠٦).

[1][الحديث[2]: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، وإنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف».

وقال ابن المبارك: الرحمٰن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب. وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي، وابن ماجه][1]، [3][من حديث أبي صالح الفارسي الخوزي، عن أبي هريرة ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[4]. وقال بعض الشعراء:

---

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٨٨)؛ وابن حبان (١٩١٤ ـ موارد)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٠٦)؛ والدولابي في «الكنى» (٢/ ٤١) من طريقين عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. وهو حديث صحيح وله شواهد عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن المغفل وأنس، وأبي بكرة ﷺ.

(٣) ساقط من (ز).

(٤) أخرجه الترمذيُّ (٣٣٧٣)، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (١/ ١١٤) عن حاتم بن إسماعيل، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٣، ٤٧٧)، وابنُ أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، والبزار في «البحر الزخار» (ج٢/ ق٢٣٢/ ٢)، وابنُ عدي في «الكامل» (٧/ ٢٧٥٠)، والبغويُّ في «شرح السنة» (٥/ ١٨٨)، وفي «تفسيره» (٤/ ١٠٣) عن وكيع، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، والحاكمُ (١/ ٤٩١)، وأحمد (٢/ ٤٤٢)، ومن طريقه: ابن بشران في «الأمالي» (ج٢٢/ ق٢٤٤/ ٢)، عن مروان بن معاوية، والبزار (٢/ ٢٣٢/ ٢)، والحاكم (١/ ٤٩١)، وعنه البيهقيُّ في «الدعوات» (٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٣١)، ومن طريقه: المزي في «التهذيب» (٣٣/ ٤١٨)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٢٩٠) عن أبي عاصم النبيل، والرامهرمزي أيضاً عن صفوان بن عيسى، خمستهم عن أبي المليح، عن أبي صالح الخوزي، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره، قال الترمذيُّ: «لا نعرفُه إلَّا من هذا الوجه». وقال الطبرانيُّ: «لم يرو هذا الحديث عن أبي صالح، إلَّا أبو المليح»، وقال ابنُ عدي: «وهذا يُعرف بأبي صالح هذا»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، فإن أبا صالح الخوزي، وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح، إنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث»، **قُلْتُ**: فإذا كانا في عدادِ المجاهيل فكيف يصحح إسنادُ حديثهما؟ وأخشى أن يكون مذهب الحاكم كمذهب ابن حبان، أنَّ العدل من لم يُعرف منه جرح؛ ولم سلمنا ذلك، فإن أبا صالح الخوزي عُرف بالجرح، فقد ضعَّفه ابنُ معين، ومشاه أبو زرعة، فقال: «لا بأس به»، وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٩٥): «مختلف فيه»، وقد تفرَّد به كما قال هؤلاء الحفاظ، ومثله لا يحتمل تفرُّده. فإسناد حديثه ضعيفٌ، واللهُ أعلمُ.

فائدة: قال الحافظ في «الفتح»: «ووقع في رواية البزار والحاكم: عن أبي صالح الخوزي: سمعتُ أبا هريرة». اهـ.

قُلْتُ: ولم يقع هذا التصريح بالسماع لا عند البزار، ولا الحاكم، أما «المستدرك» فلا أجزم أن اللَّفظة لم تقع فيه، لكثرة التصحيف الواقع فيه.

وأما «مسند البزار» فإنه رواه من طريق وكيع، وأبي عاصم بالإسناد إلى أبي صالح، عن أبي هريرة هكذا بالعنعنة، واللهُ أعلمُ.

فائدة ثانية: قال البزار: «وأبو صالح الخوزي إنما قيل: الخوزي، لأنه كان ينزل بمكة في شعب الخوز».

فائدة ثالثة: قال الحافظ في «الفتح»: «ظنَّ الحافظ ابنُ كثير أنه ـ يعني: أبا صالح الخوزي ـ أبو صالح السمان، فجزم بأن أحمد تفرد بتخريجه، وليس كما قال، فقد جزم شيخُه المزي في «الأطراف» بما قلتُهُ» اهـ.

قُلْتُ: كذا قال الحافظ، وقد قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١٤٣): «تفرد به أحمد، وهذا إسناد لا بأس به».

=

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب][1]

وقال ابن جرير[2]: حدثنا السري بن يحيى التميمي، حدثنا عثمان بن زفر، سمعت العرزمي يقول: الرحمٰن الرحيم؛ قال: الرحمٰن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين. قالوا: ولهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فذكر الاستواء باسمه الرحمٰن، ليعم جميع خلقه برحمته. وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] فخصهم باسمه الرحيم؛ قالوا: فدل على أن الرحمٰن أشد مبالغةً في الرحمة؛ لعمومها في الدارين لجميع خلقه. والرحيم خاصة بالمؤمنين؛ لكن جاء في الدعاء المأثور[3]: «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما».

= وقال الحافظ ابن كثير بعد ذلك بسطرين: «وأما أبو صالح هذا فهو الخوزي، سكن شعب الخوز. قال البزار في «مسنده»، فأنت ترى أن ابن كثير لم يشتبه عليه الخوزي بالسمان، فقد صرح بأن أبا صالح هو الخوزي. إلّا أن يكون ابن كثير قد جزم بأن أبا صالح هو السمان في كتاب آخر؛ نعم أخطأ في قوله: «تفرد به أحمد» فقد أخرجه الترمذي. وكذلك أيضاً في قوله: «هذا إسناد لا بأس به» فقد عرفناك ما فيه من البأس. والله أعلم.

(١) في «تفسيره» (١٤٦) وسنده جيد والسري بن يحيى هو ابن أخي هناد بن السري قال ابن أبي حاتم ـ كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ٢٨٥): «كان صدوقاً» وعثمان بن زفر وثقه مطين وابن حبان. وقال أبو حاتم: «صالح الحديث صدوق»؛ والعرزمي هو محمد بن عبد الله وهو تالف، لكنه لم يرو شيئاً ههنا فلا يضعف الإسناد به والله أعلم.

(٢) ورد ذكره في الهامش رقم (٣) في الصفحة السابقة.

(٣) لكنه لا يثبت، فأخرجه البزار (ج٤/رقم ٣١٧٧)؛ والحاكم (١/ ٥١٥)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ١٧١، ١٧٢)؛ وابن أبي الدنيا في «الدعاء» ـ كما في «إتحاف السادة» (٥/ ١٠٠)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (١٢٥٤)؛ والطبراني في «الدعاء» (١٠٤١)؛ والمروزي في «مسند أبي بكر» (٤٠) من طريق الحكم بن عبد الله الأيلي، عن القاسم بن محمد، عن عائشة أن أبا بكر الصديق ﷺ دخل عليها فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاءً كان يعلمناه وذكر أن عيسى ﷺ كان يعلمه أصحابه ويقول: لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناه لقضاه الله ﷻ عنه: اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت رحماني، فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك» قال أبو بكر ﷺ: فكان علي بقية من دين وكنت للدين كارهاً فكنت أدعو بذلك حتى قضاه الله ﷻ عني.

قال البزار: «لا نعلم أحداً رواه مرفوعاً إلا أبو بكر، ولا نعلم له عنه إلا هذا الطريق، والحكم ضعيف جداً وإنما ذكرناه إذ لم نحفظه عن غيره وقد حدث به أهل العلم على ما فيه».

أما الحاكم فزعم أنه حديث صحيح، فرده عليه الذهبي ومن قبله المنذري، أما الذهبي فقال في «تلخيص المستدرك»: «الحكم ليس بثقة» وأما المنذري فقال في «الترغيب» (٢/ ٦١٦) بعد ذكر تصحيح الحاكم: «كيف والحكم متروك متهم والقاسم مع ما قيل فيه لم يسمع من عائشة»!!

كان قال المنذري: وهو ذهول غريب؛ لأن القاسم هو ابن محمد بن أبي بكر، وعائشة هي عمته وهو مكثر من الرواية عنها حتى قال ابن معين، كما في «معجم ابن المقرئ» (ج٦/ ق١٢٣/ ١): «القاسم عن عائشة؛ مشبك بالذهب» وهو يشير إلى متانة هذه الترجمة، والله أعلم.

واقتصر السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٩) على تضعيف الإسناد! والصواب أنه ضعيف جداً، وكذلك أعله الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٨٦) فقال: «فيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك». وله شاهد عن عبد الرحمٰن بن سابط مرفوعاً.

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٤٤١) وهو مرسل حسن الإسناد. والله أعلم.

(١)[واسمه تعالى الرحمٰن خاص به لم يسم به غيره؛ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف] ولما تجهرم مسيلمة الكذاب، وتسمى برحمٰن اليمامة، كساه الله جلباب الكذب، وشهره به، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب، فسار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر (وأهل المدر)(٢) وأهل (الوبر)(٣) من أهل البادية والأعراب](١).

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغةً من الرحمٰن؛ لأنه أُكِّدَ به. (والمؤكد)(٤) لا يكون إلا أقوى من المؤكد.

والجواب: أن هذا ليس من باب (التأكيد)(٥)، وإنما هو من باب النعت (بعد النعت)(٦)؛ ولا يلزم فيه ما ذكروه.

وعلى هذا فيكون (تقديم)(٧) اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره، ووصفه أولاً بالرحمٰن الذي منع من التسمية به لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وإنما تجهرم مسيلمة اليمامة في التسمي به، ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلالة.

وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره حيث قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] كما وصف غيره (بغير ذلك)(٨) من أسمائه، (في قوله)(٩): ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان].

والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره؛ (كاسمه)(١٠) الله، والرحمٰن، والخالق، و(الرزاق)(١١) ونحو ذلك؛ فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمٰن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء؛ فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص.

فإن قيل: فإذا كان الرحمٰن أشد مبالغةً فهلا اكتفى به عن الرحيم؟ فقد روى عن عطاء الخراساني ما معناه أنه لما تسمى غيره ـ تعالى ـ بالرحمٰن جيء بلفظ الرحيم؛ ليقطع (التوهم)(١٢)

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) في (هـ) و(ى): «... الحضر من أهل المدر».
(٣) في (ك): «المدر».
(٤) في (ز) و(هـ) و(ى): «والتأكيد».
(٥) في (ز): «التوكيد».
(٦) ساقط من (ز) و(ن).
(٧) في (ن): «تقدير»!! وفي (ك): «تقدم»!
(٨) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى)، ووقع في (ز) و(ن): «كما وصف غيره بذلك». وفي (ل): «غيره بعد ذلك من أسمائه».
(٩) في (ن): «كما قال تعالى».
(١٠) ساقط من (ن) وفي (ز): «كاسم».
(١١) كذا في (ز) و(ع) و(ك)، ووقع في (ج) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى): «الرازق» بتقديم الألف على الزاي، ولعله سبق قلم.
(١٢) في (ن): «الوهم» وأشار في الهامش إلى ما أثبته.

بذلك؛ فإنه لا يوصف بالرحمٰن الرحيم إلا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير(١)، عن عطاء؛ ووجهه بذلك، والله أعلم.

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمٰن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعلي: «اكتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾» فقالوا: لا نعرف الرحمٰن ولا الرحيم. رواه البخاري(٢). وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمٰن إلا رحمٰن اليمامة. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝٦٠﴾ [الفرقان].

والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمٰن.

قال ابن جرير(٣): وقد أنشد بعض الجاهلية (الجهلاء)(٤).

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ... ألا قضب الرحمٰن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندب (الطهوي)(٥):

عجلتم علينا (عجلتينا)(٦) عليكم ... وما يشأ الرحمٰن يعقد ويطلق

وقال ابن جرير(٧): حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، حدثنا أبو روق عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس؛ قال: الرحمٰن الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب، وقال: (﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) الرقيق الرفيق لمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماؤه كلها.

وقال ابن جرير(٨) أيضاً: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا حماد بن مسعدة، عن عوف، عن الحسن، قال: الرحمٰن اسم ممنوع.

---

(١) في «تفسيره» (١٤٩) ورجاله ثقات إلا نصر بن عمرو اللخمي الفلسطيني فلم أجد فيه إلا ما ذكره الدولابي في «الكنى» (١/ ١١٠) من أنه روى عنه يحيى بن صالح الوحاظي.

(٢) في «صحيحه» (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣).
وأخرجه مسلم (١٧٨٤/ ٩٣)؛ وأحمد (٣/ ٢٦٨) من طريق عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة بسنده سواء وفيه: «ما ندري ما بسم الله الرحمٰن الرحيم».

(٣) في «تفسيره» (١/ ١٣١ ـ شاكر).

(٤) كذا في (ج) و(ل) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، ووقع في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ى): «الجهال».

(٥) هذه النسبة ثابتة في كل «الأصول» وأنكرها الشيخ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ١٣١).

(٦) في (ك) و(ل) و(ن): «عجلنا».

(٧) في «تفسيره» (١٤٨) وسنده ضعيف جداً وتقدم القول فيه.

(٨) في «تفسيره» (١٥٠) وإسناده صحيح، وعوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي.

وقال ابن أبي[(١)] حاتم: حدثنا أبو سعيد (بن)[(٢)] يحيى بن سعيد القطان، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو الأشهب، عن الحسن؛ قال: (الرحيم)[(٣)] اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى.

[(٤)][وقد جاء في حديث[(٥)] أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرفاً حرفاً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ فقرأ بعضهم كذلك، وهم طائفة. ومنهم من وصلها بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ وكسرت][(٥)] [(٦)][الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور، وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة، فيقولون: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها، كما قرئ قوله تعالى: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١، ٢].

قال ابن عطية[(٧)]: ولم ترد هذه قراءةً عن أحد فيما علمت.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾.

(القراء)[(٨)] السبعة على ضم الدال في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وهو مبتدأ وخبر.

وروى عن سفيان بن عيينة بن العجاج أنهما قالا: (الحمد لله) ـ بالنصب، وهو على إضمار فعل. وقرأ ابن أبي عبلة «الحمد لله» بضم الدال واللام إتباعاً للثاني الأول، وله شواهد لكنه شاذ. وعن الحسن وزيد بن علي (الحمد لله) بكسر الدال إتباعاً للأول الثاني][(٧)].

قال أبو جعفر بن جرير (رَحِمَهُ اللهُ)[(٩)]: معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً.

---

(١) في «تفسيره» رقم (٧) وإسناده صحيح، وأبو سعيد بن يحيى، هو أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، قال ابن أبي حاتم: «كان صدوقاً» وقال ابن حبان: «كان متقناً. وأبو الأشهب، هو جعفر بن حيان السعدي».

(٢) ساقط من (ز).

(٣) وقع في (ز) و(ن) و(هـ): «الرحمٰن»، وما أثبته وقع في سائر الأصول، وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» ولما في «الدر المنثور» (١/٩)، وإن كان كلام الحسن أليق أن يجعل لاسم: «الرحمٰن» والله أعلم.

(٤) ساقط من (ز).

(٥) مرّ تخريجه في أول الفاتحة.

(٦) ساقط من (ز).

(٧) في «تفسيره» (١/٩٣).

(٨) في (ك): «القرأة».

(٩) ساقط من (ز) و(هـ).

(١)[وقال ابن جرير (رَحِمَهُ اللَّهُ)(٢): الحمد لله حدّثناء أثنى به على نفسه. وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا: الحمد لله](١).

قال: وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله ثناء عليه (بأسمائه الحسنى وصفاته العلى)(٣).

وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه.

ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلاً من الحمد والشكر مكان الآخر. (١)[وقد نقل السلمي هذا المذهب: أنهما سواء، عن جعفر الصادق، وابن عطاء من الصوفية.

وقال ابن عباس: الحمد لله كلمة كل شاكر. وقد استدل القرطبي(٤) لابن جرير بصحة قول القائل: الحمد لله شكراً](١).

وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان؛ كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم: الحمد أو الشكر؟ على قولين: والتحقيق أن بينهما عموماً وخصوصاً، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته، وحمدته لكرمه، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه؛ لأن يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم. وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته؛ وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليَّ.

هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين(٥). والله أعلم.

---

(١) ساقط من (ز). (٢) من (ن).

(٣) كذا في «الأصول» كلها، ووقع في (ز): «بأسمائه وصفاته الحسنى»، وهذا هو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١/ ١٣٧).

(٤) في «تفسيره» (١/ ١٣٣).

(٥) لكن هذا التحرير فيه إبهام وأوضح منه ما قاله الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧): «وتكلم الناس في الفرق بين الحمد والشكر أيهما أعلى وأفضل؟ وفي الحديث: «الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره» والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً، ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان.اهـ.

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الحمد: نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل أحمده حمداً (ومحمدة)[١]، فهو حميد، ومحمود. والتحميد: أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر.

وقال في الشكر: هو الثناء على المحسن بما (أولاكه)[٢] من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح. [٣][وأما المدح فهو أعم من الحمد؛ لأنه يكون للحي وللميت وللجماد أيضاً، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضاً؛ فهو أعمُّ][٣].

ذكر (أقوال)[٤] السلف في الحمد:

قال ابن أبي[٥] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو معمر القطيعي، حدثنا حفص، عن حجاج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال عمر رضي الله عنه: قد علمنا سبحان الله، ولا إله إلا الله، فما الحمد لله؟ فقال علي: كلمة رضيها الله لنفسه.

[٦](ورواه (غير)[٧] أبي معمر)[٦] عن حفص؛ فقال: قال عمر[٨] لعلي - وأصحابه عنده - لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر - قد عرفناها، فما الحمد لله؟ قال علي: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال.

وقال علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران؛ قال ابن عباس: الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد: «الحمد لله» قال: شكرني عبدي. رواه ابن أبي[٩] حاتم.

وروى أيضاً هو[١٠]، وابن جرير، من حديث بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك،

---

(١) ساقط من (ج) ووقع في (ل): «مجدته»!!
(٢) في (ن) و(هـ): «أولاه».
(٣) ساقط من (ز).
(٤) في (ج) و(ل): «قول».
(٥) في «تفسيره» (١٢).
(٦) كذا في (ز) و(ك) و(ن) و(ى)، ووقع في (هـ): «ورواه غيره عن أبي معمر» وهو خطأ.
(٧) في (ج) و(ل): (عن)! وهو خطأ واضح.
(٨) كذا نقله المصنف عن «تفسير ابن أبي حاتم»، وسبق قلمه في نقل النص فقد أخرجه ابن أبي حاتم (١٣) قال: وحدثنا به الأشج فقال: ثنا حفص، وخالفه فيه، فقال فيه: قال عمر لعلي رضي الله عنه وأصحابه عنده: لا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر قد عرفناها؟ فما: «سبحان الله؟» فقال علي، كلمة أحبها لنفسه ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال. وكذا رواه ابن أبي حاتم (٣٤٧) بذات السند في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [البقرة: ٣٢] فأنت ترى أن عمر سأل عن معنى «سبحان الله» بينما ابن كثير نقل أن عمر سأل عن معنى «الحمد لله» وفي سنده هذا الأثر أو ذاك ضعف؛ لأجل الحجاج وهو ابن أرطأة.
(٩) في «تفسيره» (٨) قال: حدثنا أبي، ثنا أبو معمر المنقري، ثنا عبد الوارث، ثنا علي بن زيد بن جدعان بسنده سواء وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ١١) لابن جرير وابن المنذر وسنده ضعيف لأجل علي بن زيد.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٩)؛ وابن جرير (١٥١) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، ثنا بشر بن عمارة بسنده سواء وسنده ضعيف جداً لوهاء بشر بن عمارة والانقطاع بين الضحاك وابن عباس. وقد تقدم هذا الإسناد.

عن ابن عباس ـ أنه قال: الحمد لله هو الشكر لله، والاستخذاء له، والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك.

وقال كعب[١] الأحبار: الحمد لله ثناء الله. وقال الضحاك[٢]: الحمد لله رداء الرحمٰن وقد ورد الحديث بنحو ذلك.

قال ابن[٣] جرير: حدثنا سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكم بن عمير، وكانت له صحبة، قال: قال (النبي)[٤] ﷺ: «إذا قلت: الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك».

وقد روى الإمام أحمد[٥] بن حنبل: حدثنا روح، حدثنا عوف، عن الحسن، عن الأسود بن

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٣)؛ وابن أبي حاتم (١٠) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن السلولي، عن كعب. وسنده صحيح، وتكلم الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله في رواية كعب الأحبار وقوله، وأسقطه كله، فلو أنه تحفظ قليلاً؟!!

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١) من طريق بزيع أبي حازم، عن يحيى بن عبد الرحمٰن أبي بسطام، عن الضحاك بن مزاحم. وسنده ضعيف، وبزيع ضعفه ابن معين والنسائي وكان أبو نعيم الفضل يتكلم فيه، ويحيى بن عبد الرحمٰن قال أبو حاتم: «ليس بالقوى».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٥٢) وسنده ضعيف جداً وله علل:
الأولى: عنعنه. بقية بن الوليد، فينبغي أن يصرح في كل طبقات السند؛ لأنه كان يدلس تدليس التسوية.
والثانية: عيسى بن إبراهيم: هو ابن طهمان تركه النسائي وأبو حاتم.
وقال البخاري: «منكر الحديث».
الثالثة: ضعف موسى بن أبي حبيب، ضعفه أبو حاتم.
الرابعة: قال الذهبي في «الميزان» (٤/٢٠٢): «وله، يعني لموسى هذا، عن الحكم بن عمير رجل قيل: له صحبة، والذي أرى أنه لم يلقه، وموسى مع ضعفه متأخر عن لقي صحابي كبير، وإنما أعرف له رواية عن علي بن الحسين...» وبالجملة فالحديث ضعيف جداً.

(٤) في (ن): «رسول الله».

(٥) في «المسند» (٣/٤٣٥). وأخرجه النسائي في «النعوت» (٤/٤١٦ ـ السنن الكبرى)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٥٩)؛ وابن سعد (٧/٤٢)؛ وابن منده في «التوحيد» (٧٥٤، ٧٥٥)؛ وأبو أحمد الحاكم في «الكنى» (ج١٧/ق٢٩٧/١)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٥٩)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٥٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١/رقم ٨٢٠ ـ ٨٢٥، ٨٣٦)؛ والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٤١٣)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (٨٩٧)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/٢٩٨)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (ج١/٤/١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٨/رقم ٤٠٥٧)؛ وابن عدي في «الكامل» (٥/١٧٦٣)؛ وأبو محمد الجوهري في «حديث أبي الفضل الزهري» (ج٦/ق١٠١/١)؛ والحاكم (٣/٦١٤)؛ والمحاملي في «الآمالي» (ق٧٨/٢)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٨٢)؛ وعبد الغني المقدسي في «أحاديث الشعر» (٣٠) من طرق كثيرة عن الحسن، عن الأسود بن سريع فذكره.
قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي! وليس كما قالا فقد قال علي ابن المديني وأبو داود والبزار وعباس الدوري وابن منده: «لا يصح سماع الحسن من الأسود» قال ابن المديني: «الأسود بن سريع قتل أيام الجمل، وإنما قدم الحسن البصرة بعد ذلك». قال الحافظ في «التهذيب» (١/٣٣٩) بعد ذكر أشياء: «وكل هذا يدل على أن الحسن وأقرانه لم يلحقوه».
قلت: ولكن قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/٤٤٥): «وقال لنا مسلم: حدثنا السري بن يحيى، حدثنا الحسن، حدثنا الأسود بن سريع أنه غزا مع النبي ﷺ أربع غزوات». =

سريع؛ قال: قلت: يا رسول الله؛ ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى؟ فقال: «أما إن ربك يحب الحمد».

ورواه النسائي عن علي بن حجر، عن ابن علية، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن الأسود بن سريع، به. (أبو عيسى الحافظ)[1] الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن[2] عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله».

وقال الترمذي: «حسن غريب».

[3][وروى ابن ماجه[4]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال][3] [5][رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمةً، فقال الحمد لله، إلا كان الذي أعطى أفضل ما أخذ».

وقال القرطبي في «تفسيره»[6]: وفي «نوادر الأصول»، عن أنس[7]][5] [8][عن النبي ﷺ][8]،

= وهذا سند صحيح يثبت سماع الحسن من الأسود في الجملة ولكن الحسن مدلس فنحتاج إلى تصريحه بالسماع، ولم يتفرد به الحسن، فتابعه عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن الأسود بن سريع قال: قدمت على نبي الله ﷺ فذكره وفيه: «فجعلت أنشده فدخل رجل طوال أقنى، فقال لي: «أمسك» فلما خرج قال: «هات» فجعلت أنشده، فلم ألبث أن عاد! فقال لي: «أمسك» فلما خرج قال: «هات» فقلت: من هذا يا نبي الله الذي دخل قلت: «أمسك» وإذا خرج قلت: «هات»؟ قال: «هذا عمر بن الخطاب، وليس من الباطل في شيء».

(١) من (ن).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٨٣١)؛ وابن ماجه (٣٨٠٠)؛ وابن حبان (٢٣٢٦ ـ موارد)؛ والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٧)؛ وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٢)؛ والحاكم (١/٤٩٨، ٥٠٣)؛ والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٣)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٦/٤٢، ٤٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٨/رقم ٤٠٦١)؛ وفي «الأسماء والصفات» (١/١٧٩)؛ وفي «الدعوات الكبير» (١١٧)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (٢٤٨١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٥/٤٩) وفي «تفسيره» (٤/١٥٥)؛ والشجري في «الأمالي» (١/١٣) من طرق عن موسى بن إبراهيم الأنصاري بسنده سواء. وحسنه الترمذي كما رأيت وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقد تفرد به موسى بن إبراهيم هذا، ولم يوثقه إلا ابن حبان (٧/٤٤٩) ورغم ذلك قال: «كان ممن يخطئ» وتسامح الحافظ فقال في «التقريب»: «صدوق يخطئ» فمثل هذا الراوي المقل في روايته إذا غمزه ابن حبان مع تسامحه، فلا ينبغي تحسين حديثه إلا بالشواهد المجدية. فالصواب أن سنده ضعيف، ولعل الترمذي حسنه لوجود شواهد. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٥)؛ والخرائطي في «فضيلة الشكر» (١)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٣٥٦)؛ والطبراني في «الأوسط» (١٣٧٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٨/رقم ٤٠٩١)؛ والضياء في «المختارة» (٢١٩٤، ٢١٩٥، ٢١٩٦) من طرق عن الضحاك بن مخلد أبي عاصم، عن شبيب بن بشر، عن أنس بن مالك مرفوعاً فذكره.
قال الطبرني: «لم يرو هذا الحديث عن شبيب إلا أبو عاصم».
وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٣/١٩٢): «هذا إسناد حسن، شبيب بن بشر مختلف فيه». وقال الضياء: «رواه أبو مسلم الكشي عن أبي عاصم فلم يرفعه».

(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٦) «تفسير القرطبي» (١/١٣١).

(٧) وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/٢٧٦/٢) بسند مظلم. وانظر: «الضعيفة» (٨٧٥) لشيخنا أبي عبد الرحمٰن الألباني رحمه الله.

(٨) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

[1]] قال: «لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي، ثم قال: الحمد لله، لكان الحمد لله أفضل من ذلك». قال القرطبي[2] وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكبر نعمةً عليه من نعم الدنيا؛ لأن ثواب الحمد لا يفنى، ونعيم الدنيا لا يبقى؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

وفي «سنن ابن ماجه»[3]، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم أن «عبداً من عباد الله قال: يا رب؛ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى الله، فقالا: يا ربنا، إن عبداً قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها. قال الله ـ وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب، إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: «اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها»».

وحكى القرطبي[4] عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد: الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله: لا إله إلا الله، لاشتمال: «الحمد لله رب]‏[1] [5][العالمين» على التوحيد مع الحمد][5].

[5][وقال آخرون: لا إله إلا الله أفضل؛ لأنها (الفصل)[6] بين الإيمان والكفر، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، كما ثبت في الحديث «المتفق عليه»[7].

وفي الحديث[8] الآخر][5] ....

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى). (٢) «تفسير القرطبي» (١/ ١٣١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ رقم ١٣٢٩٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٨/ رقم ٤٠٧٧) من طريق إبراهيم بن المنذر حدثني صدقة بن بشير قال: سمعت قدامة بن إبراهيم الجمحي يحدث عن عبد الله بن عمر فذكره مرفوعاً.
قال البوصيري في «الزوائد» (٣/ ١٩١): «هذا إسناد فيه مقال، قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في «الثقات»، وصدقه بن بشير لم أر من جرحه ولا من وثقه وباقي رجال الإسناد ثقات، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» من هذا الوجه». اهـ.
قلت: فالإسناد ضعيف، ولم أجده عند أحمد، ولم يذكره الحافظ في «أطراف المسند». فالله أعلم.

(٤) في «تفسيره» (١/ ١٣٢). (٥) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى).

(٦) كذا في (ج) و(ل) وفي (ن): «التفصيل»!

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢ و١٢/ ٢٧٥ و١٣/ ٢٥٠)؛ ومسلم (٢٠/ ٣٢، ٢١/ ٣٣، ٣٤، ٣٥).

(٨) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٩٩ ـ ١٦٠٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٨/ رقم ٣٧٧٨) من طريق عبد الرحمٰن بن يحيى المدني، عن مالك، عن سمي مولى أبي بكر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير».
قلت: كذا روى عبد الرحمٰن بن يحيى عن مالك ووهم عليه قال ابن عدي: «حدث عن الثقات بالمناكير» وقال العقيلي: «مجهول لا يقيم الحديث من جهته» وصرح بغلطه ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣٩)؛ والبيهقي في «السنن» (٥/ ١١٧) وفي «الشعب» وقال: «هكذا رواه عبد الرحمٰن بن يحيى وغلط فيه إنما رواه مالك في «الموطأ» مرسلاً».
وقال ابن عدي: «هذا منكر عن مالك.. لا يرويه غير عبد الرحمٰن هذا، وعبد الرحمٰن غير معروف».
وقال ابن عبد البر: «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، ولا أحفظه بهذا الإسناد مسنداً من =

[1][في «السنن»[2]: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وقد تقدم عن جابر مرفوعاً «أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» وحسنه الترمذي][1].

والألف واللام في «الحمد» لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث[3]: «اللهم لك (الحمد كله، ولك الملك كله)[4]، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله». الحديث.

والرب: هو المالك المتصرف. ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح؛ وكل

= وجه يحتج بمثله».

فقد رواه يحيى بن يحيى وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر ويحيى بن بكير وعبد الرزاق ومطرف بن عبد الله جماعتهم عن مالك وهو في «الموطأ» (١/ ٢١٤، ٢١٥/ ٣٢ و١/ ٤٢٢/ ٢٤٦) عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن النبي ﷺ قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وأخرجه من طريق مالك عبد الرزاق في «المصنف» (ج٤/رقم ٨١٢٥): والمحاملي في «الدعاء» (٦٣)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ١١٧) وفي «فضائل الأوقات» (١٩١) وفي «الدعوات الكبير»، كما في «إتحاف السادة» (٤/ ٣٧٣)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ١٥٧) وقال البيهقي: «هذا مرسل حسن» وله شاهد عن علي بن أبي طالب مرفوعاً مثله أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٧٤) وفي «فضل عشر ذي الحجة» (١٣/ ٢) بسند قال فيه الترمذي (٣٥٢٠): «ليس إسناده بالقوي» وشاهد آخر عن عبد الله بن عمرو أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)؛ وأحمد (٦٩٦١)؛ والمحاملي في «الدعاء» (٦٤)؛ والبيهقي في «فضائل الأوقات» (١٩٢) بإسناد ضعيف وشاهد ثالث عن ابن عمر أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦٢)؛ والطبراني في «الدعاء» (٨٧٥) وفي «كتاب المناسك» كما في «الإتحاف» (٤/ ٣٧٣) بسند فيه الفرج بن فضالة وهو منكر الحديث. وله شاهد رابع من مرسل المطلب بن عبد الله بن حنطب. أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» (٢٤٨٢) وهو مرسل حسن الإسناد، فالحديث محتمل للتحسين بهذا المرسل، ومرسل طلحة بن عبيد الله بن كريز، بفتح الكاف، والله أعلم.

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٢) ساقط من (ن) وفي قوله: «السنن» تساهل إذ لم يخرجه إلا الترمذي كما مر بك.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٨/رقم ٤٠٨٨) من طريق خالد بن يزيد، حدثنا ابن أبي ذئب عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أي الدعاء خير أدعو به في صلاتي؟ قال: نزل جبريل ﷺ فقال: «إن خير الدعاء أن تقول في الصلاة: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، ولك الخلق كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله».

ونقل البيهقي عن الحاكم أنه قال: «تفرد به خالد بن يزيد العمري، عن ابن أبي ذئب».

قلت: وسنده ضعيف جداً، وخالد بن يزيد كذبه أبو حاتم وقال البخاري: «ذاهب الحديث» وقال ابن حبان: «منكر الحديث، يروى الموضوعات عن الثقات» وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص أن أعرابياً قال للنبي ﷺ: علمني دعاءً لعل الله أن ينفعني به قال: «قل: اللهم لك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله».

أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٠٨٧) وسنده مقارب. والله أعلم.

(٤) في (ج) و(ل): «الملك كله، والحمد كله».

ذلك صحيح في حق الله تعالى، [1][ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة؛ تقول: رب الدار ورب كذا. وأما الرب فلا يقال إلا لله ﷻ، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم][1].

والعالمين: جمع عالم، [1][وهو كل موجود سوى الله ﷻ][1].

والعالم: جمع لا واحد له من لفظه. والعوالم أصناف المخلوقات في السمٰوات وفي البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضاً.

وقال بشر بن عمارة[2]، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: «الحمد لله رب العالمين»: الحمد لله الذي له الخلق كله: السمٰوات (والأرضون)[3] (ومن فيهن)[4] وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم.

وفي رواية سعيد بن[5] جبير، وعكرمة[6]، عن ابن عباس: رب الجن والإنس. وكذلك قال سعيد[7] بن جبير، ومجاهد[8]، وابن جريج[9]، وروي عن علي نحوه. (قال)[10] ابن أبي حاتم،

---

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٥٦)؛ وابن أبي حاتم (١٤) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، حدثنا عثمان بن سعيد الزيات، ثنا بشر بن عمارة بسنده. وسنده ضعيف جداً، ومرّ الكلام عليه.

(٣) في (ن): «الأرض».

(٤) ساقط من (هـ) ووقع في (ن): «وما فيهن».

(٥) رواية سعيد بن جبير: أخرجها ابن جرير (١٥٨)؛ وابن أبي حاتم (١٨)؛ والحاكم (٢/ ٢٥٨) من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره وسنده صحيح وعطاء بن السائب وإن كان اختلط فقط رواه عنه سفيان الثوري عند الحاكم وسمع منه قديماً، وقد أردف الحاكم هذا الأثر بقوله: «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند» وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وزعم أن ابن أبي حاتم صححه! ونسب الشوكاني في «فتح القدير» (١/ ٢١) التصحيح إلى الحاكم وهو أقرب وإن لم أر تصحيحه في «المستدرك» فلعله سقط منه فإنه كثير السقط والتحريف.

(٦) ورواية عكرمة: أخرجها ابن جرير (١٥٧) من طريق الضحاك بن مخلد، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله ورجاله ثقات إلا شبيب بن بشر فمختلف فيه فوثقه ابن معين وابن شاهين ولينه أبو حاتم وغمزه ابن حبان وضعفه ابن الجوزي.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٥٩، ١٦٠) من طريق عطاء بن السائب وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير، ورواية عمرو بن دينار فيها زيادة والأثر حسن بمجموع الطريقين. والله أعلم.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٦١) قال: حدثني محمد بن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد فذكره. وسنده ضعيف جداً. وابن حميد الرازي واهٍ، ومهران هو ابن أبي عمر في روايته عن الثوري اضطراب وقد خالفه أبو أحمد الزبيري فرواه عن الثوري، عن رجل، عن مجاهد أخرجه ابن جرير (١٦٢) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، ثنا أبو أحمد الزبيري وهذه الرواية أولى من الأولى مع ضعف سندها، فإن الثوري لم يسمع من مجاهد شيئاً؛ لأن الثوري ولد سنة (٩٧) ومات مجاهد سنة (١٠٠) أو بعدها بقليل كما قال الشيخ أحمد شاكر وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ١٣) لعبد بن حميد.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٦٥) من طريق الحسين بن داود قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج به وسنده جيد، والحسين هو «سنيد» وسماعه من حجاج الأعور صحيح كما بين ذلك الشيخ العلامة ذهبي العصر المعلمي اليماني رحمه الله في «التنكيل» (١/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(١٠) في (ج) و(ز): «قاله».

بإسناد لا يُعتمد عليه [(١)][واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وهم الجن والإنس. قال الفراء، وأبو عبيدة: العالم عبارة عما يعقل، وهم الإنس والجن، والملائكة، والشياطين؛ ولا يقال للبهائم عالم][(١)].

[(٢)][وعن زيد بن أسلم (وأبي عمرو بن العلاء)[(٣)]، (وأبى محيصن)[(٤)]: العالم كل ما له روح ترفرف][(٢)].

وقال قتادة[(٥)]: رب العالمين: كل صنف عالم [(٦)][وقال الحافظ (ابن عساكر)[(٧)] في «ترجمة مروان بن الحكم»[(٨)]، وهو (أحد)[(٩)] خلفاء بني أمية، وهو يعرف (بالجعدي)[(١٠)] ويلقب بالحمار: أنه قال: خلق الله سبعة عشر ألف عالم؛ أهل السمٰوات وأهل الأرض عالم واحد، وسائرهم لا يعلمهم إلا الله ﷻ][(٦)].

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية ـ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ـ قال: الإنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف، أو أربعة عشر ألف عالم ـ هو يشك ـ الملائكة على الأرض، وللأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته رواه ابن[(١١)] جرير، وابن أبي حاتم.

[(١٢)][وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح][(١٢)].

وقال ابن أبي[(١٣)] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الفرات ـ يعني ابن الوليد، عن (مغيث)[(١٤)] بن سمي عن تبيع ـ يعني الحميري ـ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: العالمين ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر.

[(١٥)][وحكى مثله عن سعيد بن المسيب][(١٥)].

وقد روى نحو هذا مرفوعاً، كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في «مسنده»[(١٦)]: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد، حدثني محمد بن

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) ساقط من (ز) و(ع).
(٣) من (ج) و(ك) و(ل).
(٤) من (ن) و(هـ) و(ى).
(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٣) بسند صحيح.
(٦) ساقط من (ز) و(ع) و(ك).
(٧) ساقط من (ن).
(٨) في «تاريخ دمشق» (ج١٦/ل٣٣٨ ـ ٣٦٣).
(٩) كذا في (ن) و(هـ) و(ى) ووقع في (ج) و(ل): «آخر» وهو خطأ.
(١٠) في (ن): «الجعد».
(١١) أخرجه ابن جرير (١٦٤)؛ وابن أبي حاتم (١٥) وسنده جيد.
(١٢) ساقط من (ز) و(ى).
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٤٥) من طريق أبي حاتم الرازي بسنده سواء ورجاله ثقات إلا فرات بن الوليد فلم أجد له ترجمة، ولعله «فرات الجبيلي» المترجم في «تاريخ دمشق» (ج١٤/ل٢٠٤) لابن عساكر فقد ذكر أن الوليد بن مسلم روى عنه والله أعلم وسقط ذكره في «مختصر تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٦١) لابن منظور.
(١٤) في (ز) و(ك): «معتب»! وهو خطأ ظاهر.
(١٥) ساقط من (ز) و(ى).
(١٦) لم أجده في «مسنده» المطبوع، فلعله في «المسند الكبير» وقد نسبه لأبي يعلى: السيوطي في «الدر المنثور» =

عيسى بن كيسان، حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله؛ قال: قل الجراد في سنة من سني عمر التي وُلي فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشيء، فاغتم لذلك، فأرسل راكباً يضرب إلى كدا[1]، وآخر إلى الشام، وآخر إلى العراق، يسأل: هل رؤى من الجراد شيء أم لا؟ قال: فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد، فألقاها بين يديه؛ فلما رآها كبر، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله ألف أمة؛ ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر؛ فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد؛ فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه». محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي، ضعيف[2].

[3][وحكى البغوي[4]، عن سعيد بن المسيب ـ أنه قال: لله ألف عالم: ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وقال وهب[5] بن منبه: لله ثمانية عشر ألف عالم؛ الدنيا عالم منها. وقال مقاتل: العوالم ثمانون ألفاً. وقال كعب الأحبار: لا يعلم عدد العوالم إلا الله ﷻ ـ (نقله كله البغوي)[6].

وحكى القرطبي[7] عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن لله أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها.

وقال الزجاج: العالم: (كل ما خلق الله)[8] في الدنيا والآخرة][3].

= (١/ ١٣)، وفي «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٨١)؛ والحافظ في «المطالب العالية» (٢٣٣٩)؛ وأخرجه ابن أبي عاصم في «الأوائل» (ق١٣/ ١، ٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٩٠، ٦/ ٢٢٤٨)؛ ونعيم بن حماد في «الفتن» (٦٧٤)؛ وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧)؛ والدولابي في «الكنى» (٢/ ٢٥)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٣٨)؛ والحكيم الترمذي في «النوادر»، كما في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٩٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٧/ رقم١٠١٣٢ ـ ١٠١٣٥)؛ والخطيب في «تاريخه» (١١/ ٢١٧، ٢١٨) من طريق عبيد بن واقد بسنده سواء.

ووقع عند الخطيب: «جابر عن ابن عمر» وأرى أن ذكر «ابن عمر» خطأ في الإسناد وهذا حديث باطل، قال ابن حبان: «موضوع لا شك فيه» وكذلك قال ابن الجوزي، ومحمد بن عيسى ذاهب الحديث تالف.

(١) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى): وكذلك وقع في «المجروحين» من رواية أبي يعلى. ووقع في (ز) و(ن): «اليمن» وكذا وقع في «المطالب» وعند البيهقيِّ والخطيب وابن عدي فكأن قوله: «اليمن» تفسير لهذا الإبهام، ووقع في «الدر المنثور»: «كداء» فإن صح هذا فلعله يفسر ما في (ع) فقد رسمت الكلمة فيها هكذا «كدى» فلعله أراد «كدى» وهي مناخ من خرج من مكة يريد اليمن كما في «مراصد الاطلاع» (٣/ ١١٥١) وبهذا تجتمع الروايتان والله أعلم.

(٢) في هذا التضعيف تسامح، فالرجل ضعيف جداً كما يعلم من كلمات العلماء فيه.

(٣) ساقط من (ز) و(هـ).

(٤) في «تفسيره» (١/ ٤٠)

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٤٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٧٠) من طريق عبد المنعم بن إدريس وحماد بن سلمة، عن إدريس بن سنان، عن وهب بن منبه. وسنده ضعيف أو واهٍ وإدريس بن سنان ضعفه ابن عدي وتركه الدارقطني، وقال ابن معين: «يكتب من حديثه الرقاق» وهذا تضعيف له.

(٦) من (ج) و(ل) و(ى).

(٧) في «تفسيره» (١/ ١٣٨).

(٨) كذا في (ن). وفي (ى): «ما خلقه» وكذلك في (ج) ولكنه لم يذكر لفظ الجلالة. وفي (ك): «العالم كلما خلقه في الدنيا. . .»! وفي (ل): «العالم كلما خلقه الله»!!

(١)[قال القرطبي(٢): وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين؛ كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء].

والعالم: مشتق من العلامة. قلت: لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته؛ كما قال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يعصى الإلـ ... ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد](١)

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الإعادة.

(٣)[قال القرطبي(٢): إنما وصف نفسه بالرحمٰن الرحيم بعد قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب؛ كما قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] قال: فالرب فيه ترهيب، والرحمٰن الرحيم ترغيب](٣).

(٤)[وفي «صحيح مسلم»(٥)، عن إبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد»](٤).

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾(٦).

قرأ بعض القراء: «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» وقرأ آخرون ﴿مَالِكِ﴾ وكلاهما صحيح متواتر في السبع (٤)[ويقال: «مَلْكِ»(٧) ـ بكسر اللام وبإسكانها، ويقال: «مليك» أيضاً، وأشبع نافع كسرة الكاف؛ فقرأ «ملكي يوم الدين». وقد رجح كلاً من القرائتين مرجحون من حيث المعنى، وكلاهما (صحيحة)(٨) حسنة. ورجح الزمخشري(٦): «ملك»؛ لأنها قراءة أهل الحرمين؛ ولقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] وقوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وحُكي عن أبي حنيفة أنه قرأ «مَلَكَ يوم الدين» عن أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدًّا](٤).

وقد روى أبو بكر بن أبي داود(٩) في ذلك شيئاً غريباً حيث قال: حدثنا أبو عبد الرحمٰن

---

(١) ساقط من (ز) و(هـ).
(٢) في «تفسيره» (١/ ١٣٩).
(٣) ساقط من (ز) و(هـ).
(٤) ساقط من (ز) و(هـ).
(٥) أخرجه مسلم (٢٧٥٥/ ٢٣) من طريق العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً. وأخرجه البخاري (١١/ ٣٠١) من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة وفيه زيادة.
(٦) في «الكشاف» (١/ ٧).
(٧) وقع في (ن): «مالك» وهو تحريف.
(٨) في (ك): «صحيح»!
(٩) في «المصاحف» (ص٩٣).

(الأذرمي)[١]، حدثنا عبد الوهاب (عن)[٢] عدي بن الفضل، عن أبي المطرف، عن ابن شهاب[٣] - أنه بلغه أن رسول الله ﷺ وأبا بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية، كانوا يقرؤون ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال ابن شهاب: وأول من أحدث «ملك» مروان.

قلت: مروان عنده علم بصحة ما قرأه، لم يطلع عليه ابن شهاب. والله أعلم.

وقد روى من طرق[٤] متعددة أوردها مردويه أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ومالك مأخوذ من المُلْك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ۝٤٠﴾ [مريم]. وقال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الناس] و«ملك» مأخوذ من الملك. كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾[٥] [الفرقان].

وتخصيص المُلْك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين؛ لأنه لا يدعى أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال (تعالى)[٦]: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨﴾ [النبأ] وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ۝١٠٥﴾ [هود].

وقال الضحاك[٧] عن ابن عباس: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يقول: لا يملك أحد في ذلك

---

(١) وقع في (ل) و(ن): «الأزدي»! وهو تصحيف. (٢) وقع في جميع «الأصول»: «ابن» وهو تصحيف.

(٣) وسنده ضعيف جداً، وهو مع إرساله أو إعضاله، فإن عدي بن الفضل ساقط، لكنه توبع تابعه عبد الوارث بن سعيد ووهيب بن خالد، وهارون الأعور ثلاثتهم عن أبي المطرف طلحة بن عبيد الله بن كريز، بفتح الكاف، عن الزهري أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرؤون «مالك». ولم يذكر «عثمان» في رواية عبد الوارث. أخرجه أبو عمر الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (٤، ٥، ٦) وأخرجه الدوري (٨) قال: حدثنا عفان، ثنا خالد بن يزيد، عن شيخ يكنى أبا مطرف، أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ومعاوية قرأوا «مالك» وأول من قرأها «ملك» مروان. وأخرجه أبو داود (٤٠٠٠) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال معمر: وربما ذكر ابن المسيب، فساقه مثله.

(٤) ومدارها على الزهري، واختلف عليه فيه اختلافاً كثيراً، فمرة يروونه عنه عن أنس ومرة عنه عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، ومرة عنه عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ومرة عنه عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وتارة يروونه عنه معضلاً أو مرسلاً، والحديث لا يصح من جميع وجوهه وقد فصلتها في «التسلية» والحمد لله.

(٥) من (ن) و(هـ).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤) من طريق أبي كريب، ثنا عثمان بن سعيد الزيات، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس فذكره. وسنده ضعيف جداً، وبشر بن عمارة واهٍ. والضحاك لم يسمع من ابن عباس ومرّ الكلام عليه.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤) من طريق أبي كريب، ثنا عثمان بن سعيد الزيات، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس فذكره. وسنده ضعيف جداً، وبشر بن عمارة واهٍ. والضحاك لم يسمع من ابن عباس ومرّ الكلام عليه.

اليوم معه[(١)] حكماً، كملكهم في الدنيا؛ قال: ويوم الدين: يوم الحساب للخلائق؛ وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه. وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف، وهو ظاهر.

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى أن تفسير ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ أنه القادر على إقامته، ثم شرع يضعفه.

والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم، وأن كلاً من القائلين (بهذا)[(٢)] القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر، ولا ينكره؛ ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ (وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا)[(٣)]﴾ [الفرقان: ٢٦].

والقول الثاني يشبه قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] والله أعلم.

[(٤)][والملكُ في الحقيقة هو الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ . . .﴾ [الحشر: ٢٣].

وفي «الصحيحين»[(٥)]][(٤)].

[(٦)][عن أبي هريرة (رضي الله عنه)[(٧)] مرفوعاً: «أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك، ولا (مالك)[(٨)] إلا الله (تعالى)[(٧)]».

«وفيهما»[(٩)] عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقبض الله الأرض،][(٦)] [(١٠)][ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»].

وفي القرآن العظيم ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ [الكهف: ٧٩] ﴿إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ [المائدة: ٢٠]. وفي «الصحيحين»[(١١)]: «مثل الملوك على الأسرة».

والدين: الجزاء والحساب كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] وقال: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي: مجزيون محاسبون. وفي الحديث[(١٢)]: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما][(١٠)] ....

---

(١) ساقط من (ك) ووقعت العبارة في (ن): «لا يملك أحد معه في ذلك. . . إلخ».
(٢) في (ن): «لهذا». (٣) زيادة من (ن).
(٤) ساقط من (ز).
(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٨٨)؛ ومسلم (٢١٤٣/ ٢٠).
(٦) ساقط من (ز). (٧) من (ن).
(٨) كذا وقع في «ن» ووقع في سائر «الأصول»: «ملك» وإنما أثبت ما في (ن)؛ لأنها الموافقة لما في «مسلم» و«البيهقي» في كتابيه فقد رواه كلاهما عن ابن أبي شيبة بلفظ: «مالك».
(٩) يعني: في «الصحيحين». فأخرجه البخاري (١١/ ٣٧٢، ١٣/ ٣٦٧)؛ ومسلم (٢٧٨٧/ ٢٣).
(١٠) ساقط من (ز).
(١١) أخرجه البخاري (٦/ ١٠ و١٢/ ٣٩١)؛ ومسلم (١٩١٢/ ١٦٠).
(١٢) لكنه حديث ضعيف.

=

[1][بعد الموت»؛ أي: حاسب نفسه؛ كما قال عمر[2] رضي الله عنه:][1] [3][«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر (على من لا تخفى عليه أعمالكم)[4] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من ﴿إِيَّاكَ﴾ وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر، وهي قراءة شاذة (مرذولة)[5]؛ لأن «إيا» ضوء الشمس. وقرأ بعضهم أياك ـ بفتح الهمزة وتشديد الياء. وقرأ بعضهم هياك؛ فالهاء بدل الهمزة، كما قال الشاعر:

فهياك والأمر الذي إن تراحبت[6] ... موارده ضاقت عليك مصادره

و﴿نَسْتَعِينُ﴾ بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب، والأعمش، فإنهما كسراها؛ وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم (وقيس)[7]][3].

والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد؛ أي: مذلل.

وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

= أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) وحسنه؛ وابن ماجه (٤٢٦٠)؛ وأحمد (٤/ ١٢٤)؛ وفي «الزهد» (ص٣٨)؛ وابن المبارك في «الزهد» (١٧١)؛ والطيالسي (١١٢٢)؛ وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٧/ رقم ٧١٤٣)؛ وفي «مسند الشاميين» (١٤٨٥)؛ والحارث بن أبي أسامة في «مسنده»؛ والحاكم (١/ ٥٧ ـ ٤/ ٢٥١)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٦٩)؛ وفي «الشعب» (ج٧/رقم ١٠٥٤٦)؛ وفي «الآداب» (١١٣٠)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٧، ٢٦٨، ٨/ ١٧٤)؛ والعسكري في «الأمثال»؛ والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٥٠)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٠٨، ٣٠٩)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٨٥)؛ وأبو يعلى الفراء في «الأمالي» (ج٦/ ق٤١/ ١)؛ وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣٦، ٣٧) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس مرفوعاً وتمامه: «والعاجز من أتبع نفسه هواها، ثم تمني على الله». قال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري» فرده الذهبي بقوله: «لا والله! وأبو بكر واهٍ» وقال ابن طاهر: مدار هذا الحديث عليه وهو ضعيف جداً، كما في «إتحاف السادة» (٧/ ٤٤)، وقال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٧٣): «ولأبي بكر بن أبي مريم غير ما ذكرت من الحديث والغالب على حديثه الغرائب، وقل ما يوافقه الثقات، وأحاديثه صالحة، وهو ممن لا يحتج بحديثه». ونقل الزبيدي في «إتحاف السادة» (٨/ ٤٢٨) عن أبي نعيم الأصبهاني أن للحديث طريقاً آخر وذكره فعلق الزبيدي قائلاً: وكأنه نظر إلى هذا الحاكم فصححه وتعقبه الذهبي بأن ابن أبي مريم واهٍ وكذا قال ابن طاهر: إن مداره على أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف جداً وكأنهم لم يروا ما توبع عليه فتأمل». اهـ.

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٨) معلقاً بصيغة التمريض ووصله ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، ثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب فذكره وفيه: «قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم..» وأخرجه أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص٤٤٢، ٤٤٣) من طريق سفيان به. وهذا سند رجاله ثقات لكنه منقطع بين ثابت بن الحجاج وعمر بن الخطاب فلم يدركه.

(٣) ساقط من (ز).

(٤) من (ن) و(هـ) و(ى).

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(هـ) و(ى) ووقع في (ك) و(ن): «مردودة».

(٦) في «تفسير القرطبي» (١/ ١٤٦): «توسعت».

(٧) من (ج) و(ل).

وقدم المفعول، وهو «إياك»، وكرر؛ للاهتمام والحصر؛ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك؛ وهذا هو كمال الطاعة.

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين.

وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله ﷻ. وهذا المعنى في غير آية من القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل] وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهو (مناسب)[1]؛ لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه، كما جاء في «الصحيحين»[2]، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث العلاء بن عبد الرحمٰن مولى الحرقة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل؛ إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة] قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».

وقال الضحاك[4]، عن ابن عباس ﵄: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: إياك نوحد ونخاف (ونرجو)[5] يا ربنا لا غيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك، وعلى أمورنا كلها.

وقال قتادة[6]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أموركم.

---

(١) في (ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى): «مناسبة».

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٦، ٢٣٧)؛ ومسلم (٣٩٤/ ٣٤) وقد مضى تخريجه.

(٣) (٣٩٥/ ٣٩) ومضى تخريجه.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧١، ١٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٢٧) من طريق أبي كريب، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس. وسنده ضعيف جداً وتقدم مراراً.

(٥) في (ن): «نرجوك».

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨) من طريق مطر الوراق عن قتادة. وسنده لا بأس به ومطر الوراق كان أكبر أصحاب قتادة كما قال أبو حاتم، وقال ابن معين: «صالح» وضعفه غيره وروايته عن عطاء ضعيفة.

وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم، والله أعلم.

(١)[فإن قيل: فما معنى النون في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فإن كانت للجمع فالداعي واحد، وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام؟](١).

(٢)[وقد أجيب بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد، والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم؛ فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها، وتوسط لهم بخير.

ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له: إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض؛ فقل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

وإن كنت خارج العبادة فلا تقل: نحن، ولا فعلنا، ولو كنت في مائة ألف، أو ألف ألف، (لافتقار الجميع إلى الله ﷻ)(٣).

ومنهم من قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ألطف في التواضع من «إياك (أعبد)(٤)»؛ لما في الثاني من (تعظيمه)(٥) نفسه من جعله نفسه وحده أهلاً لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته، ولا يثني عليه كما يليق به؛ والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد، لانتسابه إلى جناب الله تعالى؛ كما قال بعضهم:](٢)

(٦)[لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

وقد سمى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته؛ (فقال)(٧): ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١] فسماه: عبداً عند إنزاله عليه، وقيامه في الدعوة، وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر].

وقد حكى (فخر الدين)(٨) (الرازي)(٩) في «تفسيره»(١٠) عن بعضهم أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة، لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق، والرسالة من (الحق إلى الخلق)(١١)؛ قال: ولأن الله (يتولى)(١٢) مصالح عبده، والرسول (يتولى)(١٢) مصالح (أمته)(١٣).

وهذا القول خطأ، والتوجيه أيضاً ضعيف لا حاصل له، ولم يتعرض](٦) (١٤)[له (فخر الدين)(١٥)](١٤)

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) ساقط من (ز).
(٣) وقع في (ن): «لاحتياج الجميع إلى الله ﷻ وفقرهم إليه».
(٤) في (ن): «عبدنا».
(٥) في (ن): «تعظيم».
(٦) ساقط من (ز).
(٧) من (ن) و(هـ) و(ى).
(٨) ساقط من (ن).
(٩) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى).
(١٠) «تفسير الرازي» (١/ ٢٥٤).
(١١) ساقط من (هـ).
(١٢) في (ج) و(ل): «متولى».
(١٣) في (هـ) و(ى): «العبد» وهو سبق قلم.
(١٤) ساقط من (ز).
(١٥) ساقط من (ن).

[١][(الرازي)[٢] بتضعيف ولا رد.

وقال بعض الصوفية: العبادة إما لتحصيل ثواب (ورد)[٣] عقاب؛ قالوا: وهذا ليس بطائل؛ (إذ مقصوده تحصيل مقصوده)[٤] وإما (للتشرف)[٥] بتكاليف الله تعالى؛ وهذا أيضاً عندهم ضعيف؛ بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال؛ قالوا: ولهذا يقول المصلي: أصلي لله، ولو كان لتحصيل الثواب (ودرء العذاب)[٦] لبطلت (صلاته)[٧].

وقد رد ذلك عليهم آخرون، وقالوا: كون العبادة لله ﷻ لا ينافي أن يطلب معها ثواباً، ولا أن يدفع عذاباً، كما قال ذلك الأعرابي: أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ؛ إنما أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار؛ فقال النبي ﷺ: «حولها ندندن»[٨]][١].

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

[١][(قراءة الجمهور بالصاد)[٩]، وقرئ السراط؛ وقرئ بالزاي. قال الفراء: وهي لغة بني عذرة وبني كلب][١]. لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال؛ كما قال: «فنصفها لي؛ ونصفها لعبدي؛ ولعبدي ما سأل». وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله، ثم يسأل حاجته [١][وحاجة إخوانه المؤمنين (بقوله)[١٠]: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[١١]][١]؛ لأنه أنجح للحاجة؛ وأنجع للإجابة؛ ولهذا أرشد الله إليه؛ لأنه الأكمل؛ وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى (عليه السلام)[١٢]: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى).
(٣) في (ن) و(ى): «أو درء».
(٤) كذا في (ج) و(ل) و(ن) ووقع في (ك): «إذ يحصل مقصوده»، ووقع في (هـ) و(ى): «إذ تحصيله تحصيل مقصوده».
(٥) في (ن) و(ك): «للتشريف».
(٦) كذا في (ج) و(ل) و(ى) وفي (هـ): «درء عقاب» وفي (ن): «درء العقاب» وفي (ك): «رد العذاب».
(٧) في (ن): «الصلاة».
(٨) أخرجه ابن ماجه (٩١٠، ٣٨٤٧)؛ وابن خزيمة (٧٢٥)؛ وابن حبان (٥١٤) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «ما تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار... الحديث. وإسناده صحيح، وصححه النووي والبوصيري في «الزوائد» ولكن خولف جرير بن عبد الحميد، خالفه زائدة بن قدامه، فرواه عن الأعمش، عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ... فذكره، أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٤)؛ وأبو داود (٧٩٢)، ويمكن حمل إحدى الروايتين على الأخرى مع أن رواية زائدة أشبه، والحديث صحيح على كل حال، فقد أخرجه أبو داود (٧٩٣)؛ وابن خزيمة (١٦٣٣، ١٦٣٤)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٧٤)؛ والبيهقي (٣/ ١١٦، ١١٧) بسند جيد. من حديث جابر وأصلحه في «الصحيحين» من وجه آخر. وأخرجه أحمد (٥/ ٧٤) عن رجل من بني سلمة يقال له: سليم فذكر نحوه. ورجاله ثقات.
(٩) من (ن) و(هـ).
(١٠) في (ج): «فقوله»!
(١١) من (ن).
(١٢) من (ز) و(ن).

فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسؤول؛ كقول ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول؛ كقول[١] الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شميتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضه الثناء

والهداية ههنا: الإرشاد والتوفيق، وقد تتعدى الهداية بنفسها، كما هنا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا، أو ارزقنا أو أعطنا: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾ [البلد] أي: بيّنا له الخير والشر. وقد تُعدى بإلى؛ كقوله (تعالى)[٢]: ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ١٢١] ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة؛ وكذلك قوله (تعالى)[٣]: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢] وقد تعدى باللام؛ كقول أهل الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أي: وفقنا لهذا، وجعلنا له (أهلا)[٤].

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر[٥] بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه؛ (وكذلك)[٦] في لغة جميع العرب؛ فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن (تحصر)[٧] قال: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول؛ فروي أنه كتاب الله؛ قال ابن أبي[٨] حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني يحيى بن يمان، عن حمزة الزيات، عن سعد - وهو أبو المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصراط المستقيم كتاب الله».

وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات، وقد [٩][تقدم في فضائل القرآن فيما][٩] رواه أحمد والترمذي، من رواية الحارث الأعور عن علي مرفوعاً؛ «وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم».

---

(١) هو أُمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان. وهي في «ديوانه» (١٧) وهذان البيتان من أعذب الشعر وأجمله. ووقع في بعض الكتب: «الحباء» بالموحدة بدل التحتانية وهو تصحيف.

(٢) من (ز) و(ن).

(٣) من (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى).

(٤) ساقط من (ع) و(هـ) و(ى). وفي (ج): «وجعلنا أهلاً له».

(٥) في «تفسيره» (١/ ١٧٠ - شاكر).

(٦) في (ن): «وذلك».

(٧) كذا في سائر «الأصول»، ووقع في (ك): «تحصى» وهو الموافق لما في «تفسير ابن جرير».

(٨) في «تفسيره» (٣٢) وهو حديث ضعيف جداً وقد تقدم تخريجه في أوائل «فضائل القرآن».

(٩) ساقط من (ز).

وقد روي موقوفاً (على)[١] علي ﷺ؛ وهو أشبه[٢]. والله أعلم.

وقال الثوري[٣]، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: الصراط المستقيم كتاب الله. وقيل: هو الإسلام.

وقال الضحاك[٤]، عن ابن عباس؛ قال: قال جبريل لمحمد ﷺ: «قل يا محمد: اهدنا الصراط المستقيم»، يقول: (ألهمنا)[٥] الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا (عوج)[٦] فيه.

وقال ميمون بن[٧] مهران، عن ابن عباس ـ في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ ـ قال: ذاك الإسلام.

وقال إسماعيل[٨] بن عبد الرحمٰن السدي الكبير، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن

---

(١) في (ز) و(ك): «عن».

(٢) كذا قال المصنف ﷺ! ولا يصح الموقوف أيضاً؛ لأن مداره على الحارث الأعور، وهو واهٍ.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٧)؛ والحاكم (٢/٢٥٨)؛ البيهقي في «الشعب» (ج٤/رقم ١٧٩٠) من طريق سفيان الثوري بسنده سواء.
قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.
قلت: إن كان بالنظر إلى الإسناد من عند سفيان الثوري فصاعداً فنعم، وإلا فقد رواه الحاكم من طريق الحسن بن علي بن عفان العامري عن أبي داود الحفري عمر بن سعد عن الثوري. والعامري من رجال ابن ماجه وحده، والحفري من أفراد مسلم دون البخاري فليس الإسناد على شرط واحد منهما وإن كان صحيحاً.
وأخرجه ابن نصر في «السنة» (٢٤)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/١٠٣)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/٢/١٢) من طريق مسعر بن كدام عن منصور مثله. وأخرجه ابن نصر في «السنة» (٢١) عن إسحاق بن راهويه. والآجري في «الشريعة» (ص١٢)؛ وعنه ابن بطة في «الإبانة» (١٣٥) عن عثمان بن أبي شيبة كلاهما عن جرير، عن منصور عن أبي وائل، عن عبد الله قال: إن هذا الصراط محتضر يحتضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله! هلم هذا الصراط ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله. وهذا لفظ ابن أبي شيبة.
وأخرجه ابن نصر (٢٢) من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود مثله وهذه أسانيد صحيحة وعزاه السيوطي في «الدر» (١/١٥) لوكيع وابن المنذر وعبد بن حميد وابن الأنباري في «كتاب المصاحف».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٩)؛ وابن أبي حاتم (٣١، ٣٦) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، ثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك به وسنده ضعيف جداً وقد تقدم مراراً.

(٥) كذا في سائر «الأصول» وقع في (ز): «اهدنا». (٦) في (ن): «اعوجاج».

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٠) من طريق الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران به. وسنده ضعيف جداً لأجل الفرات هذا فقد قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/١/١٣٠) «تركوه، منكر الحديث» وقال أحمد: «قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك». والطحان هذا قال فيه أحمد: «كذاب أعور يضع الحديث» وتركه الدارقطني وغيره. وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٠٧): «كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويأتي بالمعضلات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه ولا كتب حديثه إلا على سبيل الاختبار».

(٨) أخرجه ابن جرير (١٦٨، ١٨٢)؛ والحاكم (٢/٢٥٨)، من طريق عمرو بن حماد بن طلحة القناد، قال: حدثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي فذكره.
قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.
والصواب أنه حسن الإسناد، وأوجز الكلام على هذا الإسناد لكثرة دورانه في كتب التفسير، وقد اختلف =

عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ قالوا: هو الإسلام.

وقال عبد[1] الله بن محمد بن عقيل، عن جابر: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [2][قال: (الإسلام هو أوسع)[3] مما بين السماء والأرض.

وقال ابن[4] الحنفية في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾][2]، قال: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره.

= فيه العلماء، وفهمت عبارات بعضهم خطأً.

فاعلم أيها المسترشد أن ابن جرير يروي تفسير السدي من طريق شيخه موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثني عمرو بن حماد القناد، قال: «حدثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي، عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ»...

فالإسناد إلى السدي واحد، ثم يتفرع من عنده. ولتنظر فيه.

فاعلم أن السدي يروي تفسيره بعدة أسانيد وبيانها هكذا:

١ ـ السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس. ٢ ـ السدي عن أبي صالح، عن ان عباس.

٣ ـ السدي عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود. ٤ ـ السدي عن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

فأما الإسناد الأول: فأبو مالك هو الغفاري، واسمه غزوان وثقه ابن معين وابن حبان، وقال ابن سعد (٦/ ٢٩٥): «كان قليل الحديث».

وأما الإسناد الثاني: ففيه أبو صالح وهو مولى أم هانئ، واسمه باذام ويقال: باذان وفيه كلام كثير والصواب في حاله أنه ضعيف، وهو يروي في التفسير ما لم يتابعه أهل التفسير عليه كما قال ابن عدي، لكنه متابع بأبي مالك الغفاري.

وأما الإسناد الثالث: فمرة الهمداني هو ابن شراحيل، وهو من كبار التابعين الثقات.

وأما الإسناد الرابع: فمنقطع، فإن السدي لم يدرك كبير أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ وجملة الكلام أن السدي يروي تفسير القرآن عن اثنين من التابعين عن ابن عباس، وعن تابعي واحد عن ابن مسعود، ومن رواية نفسه عن ناس من الصحابة.

فالإسنادان الأول والثالث جيدان، والثاني والرابع ضعيفان.

وقد أثنى العلماء على تفسير السدي، فقال أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (١/ ٣٩٧، ٣٩٨): «وتفسير إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي فإنما يسنده بأسانيد إلى عبد الله بن مسعود وابن عباس وروى عن السدي الأئمة مثل: الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه عنه أسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي». اهـ.

وجملة القول: أن إسناد تفسير السدي جيد حسن. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن نصر في «السنة» (٢٥)؛ وابن جرير (١٧٨)؛ والحاكم (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢/ ٢) من طريق الحسن بن صالح، زاد ابن جرير: وعلي بن صالح، كلاهما عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، والصواب: أن إسناده حسن؛ لأجل الكلام الذي قيل في ابن عقيل. والله أعلم. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٤، ١٥) لـ«وكيع، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والمحاملي في «الأمالي»».

(٢) ساقط من (ل).

(٣) في (ن): «هو الإسلام أوسع» وفي (هـ): «هو الإسلام هو أوسع».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٨١) من طريق إسماعيل الأزرق، عن أبي عمر البزار، عن ابن الحنفية. وإسناده واهٍ، وإسماعيل الأزرق هو ابن سلمان تركه ابن نمير والنسائي. وقال ابن معين: «ليس حديثه بشيء» وقال =

وقال عبد الرحمٰن[١] بن زيد بن أسلم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو الإسلام.

وفي معنى هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «مسنده»[٢] حيث قال: حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، حدثنا ليث ـ يعني: ابن سعد، عن معاوية بن صالح ـ أن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه، عن النواس بن سمعان، عن رسول الله ﷺ، قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تعوجوا، وداع يدعو من (جوف)[٣] الصراط؛ فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه؛ فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله؛ وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم».

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث [٤][الليث بن سعد، به ورواه الترمذي، والنسائي، جميعاً، عن علي بن حجر، عن بقية، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن][٤] [٥][النواس بن سمعان، به وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم.

وقال مجاهد[٦]: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: الحق، وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدم][٥].

= ابن حبان: «ينفرد بمناكير يرويها عن المشاهير».

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٥) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٢، ١٨٣).
وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٧٢١٦)؛ وابن مردويه وعنه الأصبهاني في «الترغيب» (٤٧٣) من طريق إسحاق بن الحسن ثنا الحسن بن سوار بسنده سواء ثم أخرجه البيهقي والطحاوي في «المشكل» (٢١٤٢)؛ وابن جرير (١٨٧)؛ والآجري في «الشريعة» (ص١١، ١٢)؛ ومحمد بن نصر في «السنة» (١٧) من طريق آدم بن أبي إياس، عن الليث بن سعد بسنده سواء. وتوبع الليث بن سعد. تابعه عبد الله بن صالح أبو صالح كاتب الليث، فرواه عن معاوية بن صالح به أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣)؛ وابن جرير (١٨٦)؛ والطحاوي (٢٠٤٣، ٢١٤١)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩)؛ وابن نصر في «السنة» (١٦)؛ والآجري في «الشريعة» (ص١٢، ١٣)؛ والرامهرمزي في «الأمثال» (٣)؛ والحاكم (١/ ٧٣)؛ وابن مردويه وعنه الأصبهاني في «الترغيب» (٤٧٣)؛ والثعلبي (١/ ١٢/ ٢)؛ وابن بطة في «الإبانة» (١٣١) من طرق عن عبد الله بن صالح.
وأخرجه النسائي في «التفسير» (٢٥٣)؛ والترمذي (٢٨٥٩)؛ وأحمد (٤/ ١٨٣)؛ والطحاوي (٢١٤٣)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (١٨)؛ وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٨٠)؛ والطبراني في «مسند الشاميين» (١١٤٧)؛ وابن نصر في «السنة» (١٨) من طرق عن بقية بن الوليد، قال: حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان فذكره مرفوعاً. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» كذا في «أطراف المزي» (٩/ ٦١) ووقع في «المطبوعة»: «حديث غريب» وهي كثيرة السقط والتحريف.

(٣) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ن) و(ى) ووقع في (ز) و(ل) و(هـ): «فوق» وأشار في (ن) إلى أنه ورد في نسخة «فوق».

(٤) ساقط من (ج).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٥) من طريق خالد بن عبد الرحمٰن المخزومي، ثنا عمر بن ذر، عن =

(١)[وروى ابن أبي(٢) حاتم، وابن جرير، من حديث] (١) أبي النضر هاشم بن القاسم، حدثنا حمزة بن المغيرة، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو النبي ﷺ وصاحباه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية ونصح.

وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ، واقتدى باللذين من بعده: أبي بكر، وعمر ـ فقد اتبع الحق؛ (١)[ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن](١)؛ وهو كتاب الله، وحبله المتين، وصراطه المستقيم؛ فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً، ولله الحمد.

وقال الطبراني(٣): حدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله؛ قال: الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ.

ولهذا قال الإمام أبو جعفر(٤) بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني: ﴿(ٱهۡدِنَا)(٥) ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أن يكون معنياً به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل؛ وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة، وكل عبد صالح؛ وكل ذلك من الصراط المستقيم.

فإن قيل: (فكيف)(٦) يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها، وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من تحصيل الحاصل أم لا؟ فالجواب: أن لا، ولولا احتياجه ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في (تثبيته)(٧) على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله؛ فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده

= مجاهد فذكره. وسنده ضعيف جداً والمخزومي تالف. قال أبو حاتم: «تركوا حديثه» وقال البخاري: «ذاهب الحديث». وأما عمر بن ذر فثقه، لكن قال البرديجي: «روى عن مجاهد أحاديث مناكير» ويبدو أنه قصد الأحاديث المرفوعة كما هو ظاهر.

(١) ساقط من (ج).

(٢) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٢٩) معلقاً؛ ووصله ابن جرير (١٨٤)؛ وابن أبي حاتم (٣٤)؛ وابن نصر في «السنة» (٢٧) من طرق عن هشام بن القاسم بسنده سواء؛ وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٩) من طريق الحارث بن أبي أسامة عن هاشم بن القاسم بسنده سواء لكنه جعله عن «أبي العالية عن ابن عباس»، وكأن ذكر «ابن عباس» مقحم في السند؟! وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وإسناده جيد، وحمزة بن المغيرة بن نشيط وثقه ابن حبان، وقال ابن معين: «ليس به بأس».

(٣) في «معجمه الكبير» (ج١٠/رقم ١٠٤٥٤) وسنده صحيح. ومحمد بن الفضل هو ابن جابر السقطي شيخ الطبراني، قال الدارقطني: «صدوق» ووثقه الخطيب في «تاريخه» (٣/ ١٥٣) ومن فوقه ثقات.

(٤) في «تفسيره» (١/ ١٧١).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ز): «كيف».

(٧) في (ج): «تثبته».

بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه (الله تعالى)(١) لسؤاله؛ فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار.

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الآية [النساء: ١٣٦] فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس من باب تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك. والله أعلم.

(٢)[(وقد)(٣) قال تعالى آمراً لعباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران] وقد كان الصديق(٤) (رضي الله](٢) (٥)[عنه)(٦) يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سراً؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ استمر بنا عليه، ولا تعدل بنا إلى غيره، (ولا تضلنا عنه)(٧)](٥).

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

قد تقدم الحديث فيما إذا قال العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦...﴾ إلى آخرها أن الله (تعالى)(٨) يقول: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

وقوله (تعالى)(٨): ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مفسر للصراط المستقيم، هو بدل منه عند النحاة. ويجوز أن يكون عطف بيان، والله أعلم.

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في «سورة النساء» حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾.

---

(١) كذا في (ز) و(ك) و(ن) ووقع في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ى): «من وفقه لسؤاله».

(٢) ساقط من (ز). (٣) من (هـ).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٧٩/ ٢٥) ومن طريقه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٢/رقم ٢٦٩٨)؛ وابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ١١٢) بسند صحيح عن أبي عبد الله الصنابحي قال: قدمت المدينة في خلافة أبي بكر الصديق، فصليت وراءه المغرب، فقرأ في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورة سورة من قصار المفصل، ثم قام في الثالثة فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه، فسمعته قرأ بأم القرآن وبهذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران] زاد عبد الرزاق: قال أبو عبيد: يعني شيخ مالك، وأخبرني عبادة؛ يعني: ابن نسي، أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته، فقال عمر لقيس؛ يعني: ابن الحارث، كيف أخبرتني عن أبي عبد الله؛ يعني: الصنابحي، فحدثه، فقال عمر: ما تركناها منذ سمعناها، وإن كنت قبل ذلك لعلي غير ذلك، فقال رجل: وعلى أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك؟ قال: كنت أقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] وأخرجه عبد الرزاق (٢٦٩٩)؛ وابن أبي شيبة (١/ ٣٧١) من طريق عن ابن عون، عن رجاء بن حيوة، عن محمود بن الربيع، أن الصنابحي قال: صليت مع أبي بكر المغرب، فدنوت منه... وساقه مثله وسنده صحيح أيضاً، زاد عبد الرزاق: عن محمد بن راشد قال: سمعت رجلاً يحدث به مكحولاً عن سهل بن سعد الساعدي أنه سمع أبا بكر قرأها في الركعة الثالثة، فقال له مكحول: إنه لم يكن من أبي بكر قراءة، إنما كان دعاءً منه.

(٥) ساقط من (ز). (٦) ساقط من (ج) و(ل).

(٧) ساقط من (ن). (٨) من (ج) و(ع) و(ل) و(ى).

وقال الضحاك[١]، عن ابن عباس: صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين؛ وذلك نظير ما قال ربنا تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم...﴾ الآية.

وقال أبو جعفر[٢] الرازي، عن الربيع بن أنس: (﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾) قال: هم النبيُّون.

وقال ابن[٣] جريج، عن ابن عباس: هم المؤمنون، وكذا قال مجاهد[٤]. وقال وكيع[٥]: هم المسلمون. وقال عبد الرحمٰن[٦] بن زيد بن أسلم: هم النبي ﷺ ومن معه.

والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أعم وأشمل. والله أعلم.

وقول تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [٧][قرأ الجمهور «غير» بالجر على النعت. قال الزمخشري[٨]: وقرئ بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب، ورويت[٩] عن ابن كثير؛ وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت][٧].

(والمعنى)[١٠] اهدنا الصراط المستقيم صراط الذي أنعمت عليهم، ممن تقدم وصفهم ونعتهم؛ وهم أهل الهداية والاستقامة، والطاعة لله ورسله، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره، غير صراط المغضوب عليهم؛ وهم الذين فسدت (إراداتهم)[١١]، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين؛ وهم الذين فقدوا العلم؛ فهم هائمون في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق.

وأكد الكلام بـ«لا» ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين؛ وهما طريقة اليهود والنصارى.

وقد زعم بعض النحاة أن «غير» هاهنا استثنائية، فيكون على هذا منقطعاً لاستثنائهم من المنعم عليهم، وليسوا منهم؛ وما أوردناه أولى؛ لقول الشاعر[١٢]:

---

(١) من (ن).
(٢) أخرجه ابن جرير (١٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٣٨) وسنده ضعيف جداً كما تقدم.
(٣) أخرجه ابن جرير (١٨٩)؛ وأبو جعفر الرازي وثقه جمع وتكلم فيه آخرون بسوء الحفظ، ولكن روايته هنا جيدة، فقد كان عالماً بتفسير القرآن معتنياً به، وتفسير أبي العالية نسخة يرويها عنه أبو جعفر، وهذا أحرى أن يكون جودها واعتنى بها بخلاف الحديث السرد. والله أعلم.
(٤) أخرجه ابن جرير (١٩٠) وإسناده ضعيف لانقطاعه بين ابن جريج وابن عباس.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير (١٩١، ١٩٢) وإسناداه صحيحان.
(٧) ساقط من (ز).
(٨) في «الكشاف» (١/٩).
(٩) واختلف عن ابن كثير في هذا الحرف، فروى عنه الوجهان معاً: النصب والجر.
وانظر: «الحجة للقراء السبعة» (١/١٤٢ - ١٦٢)؛ لأبي علي الفارسي. وابن كثير هو عبد الله بن كثير بن عمرو المكي، أحد القراء السبعة المشاهير، قرأ على مجاهد وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء. توفي سنة (١٢٢هـ) رحمه الله.
(١٠) في (ز): «يعني».
(١١) كذا في (ج) و(ع) و(ى) ووقع في (ز) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ): «إرادتهم» وأشار في (ى) أنه وقع في «نسخة»: «آراؤهم».
(١٢) هو النابغة الذبياني، وهو في «ديوانه» (١٩٨) وهو يصف عيينة بن حصن بالجبن والجور كأنه جمل من =

كـأنـك مـن جـمـال بـنـي أقـيـش يـقـعـقـع عـنـد رجـلـيـه بـشـن

أي: كأنك جمل من جمال بني أقيش، فحذف الموصوف، واكتفى بالصفة. وهكذا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: غير صراط المغضوب عليهم، اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف. وقد دل عليه سياق الكلام؛ وهو قوله (تعالى)[١]: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم قال (تعالى)[١]: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

ومنهم من زعم أن «لا» في قوله (تعالى)[١]: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ زائدة وأن تقدير الكلام عنده: «غير المغضوب عليهم والضالين»؛ واستشهد ببيت العجاج:

فـي بـئـر لا حـور سـعـى ومـا شـعـر

أي: في بئر حور. والصحيح ما قدمناه، ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «فضائل القرآن»[٢] عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أنه كان يقرأ: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين». وهذا إسناد صحيح.

وكذلك حُكي عن أُبي بن كعب أنه قرأ كذلك، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير. فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء بـ«لا» لتأكيد النفي [٣][لئلا يتوهم أنه معطوف على: «الذين أنعمت عليهم»][٣]، وللفرق بين الطريقتين؛ ليجتنب كل (واحد)[٤] منهما؛ فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق، والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى؛ لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم؛ والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع (الرسول)[٥] الحق، ضلوا. وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب، [٦][كما قال (تعالى)[٧] عنهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]][٦]، وأخص أوصاف النصارى الضلال، [٦][كما قال (تعالى)[٧] عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]][٦].

وبهذا جاءت الأحاديث والآثار؛ [٦][وذلك واضح بيِّن فيما][٦] قال الإمام أحمد[٨]: حدثنا

= جمال بني أقيش، وهم حي من اليمن في إبلهم نفار شديد، وكانت إبلهم إذا سمعت صوت الشن، وهو القربة البالية، نفرت نفوراً شديداً.

(١) من (ز) و(ن).

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص١٦٢)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (١٧٧)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٥١) من طرق عن الأعمش، بسنده سواء وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٥) لوكيع وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في «المصاحف».

(٣) ساقط من (ز). (٤) من (ن).

(٥) ساقط من (ن). (٦) ساقط من (ز).

(٧) من (ز) و(ن).

(٨) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٨، ٣٧٩)؛ وعنه الطبراني في «الكبير» (ج١٧/رقم ٢٣٧)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٣٩، ٣٤٠) مطولاً.

وأخرجه الترمذي (٨/ ٢٨٩، ٢٩٠ تحفة الأحوذي)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٠)؛ وابن جرير (١٩٤، =

محمد بن جعفر، حدثنا شعبة؛ قال: سمعت سماك بن حرب يقول: سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم؛ قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمتي وناساً، فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفوا له، فقالت: يا رسول الله؛ ناء الوافد، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمُنَّ علي، مَنَّ الله عليك. قال: «من وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الذي فرّ من الله ورسوله»! قالت: فمُنَّ عليّ. فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى أنه علي، قال سليه حملاناً، فسألته فأمر لها؛ قال: فأتتني فقالت: لقد فعلت فعلةً ما كان أبوك يفعلها فإنه قد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان. . . وذكر قربهم من النبي ﷺ؛ قال: فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر؛ فقال: يا عدي، ما أفرك؟ أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله؟ ما أفرك؟ أن يقال: الله أكبر، فهل شيء أكبر من الله ﷻ؟ قال: فأسلمت فرأيت وجهه استبشر. وقال: إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى. وذكر الحديث.

ورواه الترمذي من حديث سماك بن حرب. وقال: «حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه».

قلت: وقد رواه حماد[1] بن سلمة، عن سماك، عن مرى بن قطري، عن عدي بن أبي حاتم؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم اليهود. ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾؟ قال: النصارى هم الضالون.

وهكذا رواه سفيان[2] بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم، به.

= ٢٠٨)؛ وابن حبان (١٧١٥)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٣/ ١) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب بسنده سواء مختصراً ولم يذكروا القصة. ثم أخرجه الترمذي (٨/ ٢٨٦، ٢٨٩) من طريق عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب بسنده سواء مطولاً. وأخرجه ابن أبي حاتم (٤١) من هذا الوجه مختصراً. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٧/ رقم ٢٣٦) من طريق قيس بن الربيع عن سماك به مطولاً.

قلت: وهذا سند ضعيف، ومداره على عباد بن حبيش فهو وإن وثقه ابن حبان وتبعه الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٣٣٥) فقد جهله ابن القطان وقال الذهبي: «لا يعرف» وقع في سنده اختلاف يأتي ذكره إن شاء الله.

(١) أخرجه ابن جرير (١٩٥، ٢٠٩) من طريق محمد بن مصعب، عن حماد بن سلمة بسنده سواء قلت: وخولف حماد بن سلمة في إسناده، فخالفه شعبة وعمرو بن أبي قيس، وقيس بن الربيع ثلاثتهم رووه عن سماك، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم كما تقدم تخريجه وحماد بن سلمة ثقة تغير في آخر حياته رحمه الله، ولكن ليس عليه عهدة هذا الاختلاف إذ الراوي عنه هو محمد بن مصعب القرقساني ضعفه النقاد أحمد وابن معين والنسائي وغيرهم لغفلته عن ضبط الحديث، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فلم يصب! وخالفهم جميعاً عمرو بن ثابت فرواه عن سماك عمن سمع عدي بن حاتم فذكره. أخرجه الطيالسي في «سنده» (١٠٤٠) وعمرو بن ثابت الكوفي متروك، ورواية شعبة ومن معه هي الراجحة وقد مرّ ذكر ما فيها.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٣، ٢٠٧) قال: حدثني أحمد بن الوليد الرملي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الرقيّ، قال: حدثنا سفيان بن عيينة بسنده سواء وأخرجه تمام الرازي في «الفوائد» (١٤٨) عن أحمد بن الوليد به وصحح إسناده الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله لكنه معل بالمخالفة فقد خولف عبد الله بن جعفر، خالفه سعيد بن منصور فرواه في «تفسيره» (١٧٩) قال: نا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد أن رسول الله ﷺ فذكره هكذا معضلاً، ورواية سعيد أرجح للتفاوت بينه وبين عبد الله بن جعفر في الحفظ، =

وقد روى حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها.

وقال عبد[١] الرزاق: أخبرنا معمر، عن بديل العقيلي، أخبرني عبد الله بن شقيق - أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ وهو بوادي القرى على فرسه، وسأله رجل من بني القين؛ فقال: يا رسول الله؛ من هؤلاء؟ قال: «﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾». وأشار إلى اليهود، «والضالون هم النصارى».

وقد رواه الجريري، وعروة، وخالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، فأرسلوه ولم يذكروا من سمع النبي ﷺ.

ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله (بن عمر)[٢]. فالله أعلم.

وقد روى ابن مردويه[٣] من حديث إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم. قال: «اليهود». قلت: الضالين؟ قال: «النصارى».

وقال السدي[٤]، عن أبي مالك؛ عن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أنس من أصحاب النبي ﷺ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم النصارى.

= لا سيما أن هذا مع ثقته كان اختلط وبقي في اختلاطه إلى أن مات رحمه الله، كما قال ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٣٥١، ٣٥٢).

(١) في «تفسيره» (١/ ٣٧) ومن طريقه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢، ٣٣)؛ وابن جرير (١٩٨، ٢١٢)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٣/ ١). قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١١): «رجاله رجال الصحيح».
قلت: خولف فيه بديل العقيلي. خالفه سعيد بن إياس الجريري وخالد الحذاء فروياه عن عبد الله بن شقيق أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر وادي القرى وساقه. أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (٧٦٥)؛ وابن جرير (١٩٦، ١٩٩، ٢١٠). وأخرجه أيضاً (١٩٧، ٢١١) من طريق ابن علية عن الجريري عن عروة بن عبد الله بن قشير، عن عبد الله بن شقيق أن رجلاً أتى النبي ﷺ فذكره. والوجهان ثابتان عن الجريري وأنه يرويه مرة عن عبد الله بن شقيق ومرة عن عروة بن عبد الله عن عبد الله بن شقيق؛ لأن ابن علية روى عنه الوجهين، وابن علية سمع من الجريري قبل الاختلاط. فالذين أرسلوا الحديث أكثر عدداً مع الثقة والضبط، لولا أنه اختلف على خالد الحذاء فيه فرواه حماد بن زيد عنه وعن بديل بن ميسرة والزبير بن الخريت عن عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين أنه أتى النبي ﷺ بوادي القرى... فذكره.
أخرجه حميد بن زنجويه في «الأموال» (١١٣٦)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ٣٣٦) ورواه خالد الواسطي، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من بلقين، عن ابن عم له فساقه. أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٨/ رقم ٤٠٢٠). والذي عندي أن رواية الوصل أشبه. والله أعلم.

(٢) في (ن): «ابن عمرو».

(٣) وعزاه إلى ابن مردويه: الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٥٩) وقال: «بإسناد حسن».
قلت: وهذا أحد وجوه الاختلاف في هذا الحديث. وقد خولف إبراهيم بن طهمان كما مرّ بك مخالفة معمر بن راشد له وروايته أشبه، ولعلّ الراوي عن إبراهيم بن طهمان فيه كلام والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢١٧) وسنده لا بأس به. والاعتماد في رواية ابن عباس على رواية أبي مالك عنه، وليس علي رواية أبي صالح باذام.

وقال الضحاك[(١)]، وابن جريج[(٢)]، عن ابن عباس: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ النصارى.

وكذلك قال الربيع[(٣)] بن أنس، وعبد الرحمٰن بن[(٤)] زيد بن أسلم، وغير واحد.

وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافاً. وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، النصارى ضالون الحديث المتقدم.

وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في «سورة البقرة»: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ وقال في «المائدة»: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

وفي [«السيرة»][(٥)] عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. فقال: أنا من غضب الله أفر. وقالت له النصارى: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله. فقال: لا أستطيعه. فاستمر على فطرته، وجانب عبادة الأوثان، ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى. وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية؛ لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي رضي الله عنه.

[(٦)][(مسألة) والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء، لقرب مخرجيهما؛ وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا؛ ولأن كلاً من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة، ومن الحروف المطبقة؛ فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم.

وأما حديث: «أنا أفصح من نطق بالضاد»[(٧)] فلا أصل له، والله أعلم][(٦)].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢١٥)؛ وابن أبي حاتم (٤٢) بسند ضعيف جداً.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢١٦) وهو منقطع بين ابن جريج وابن عباس.

(٣) أخرجهما ابن جرير (٢١٨، ٢١٩).

(٤) وقع في (ج) و(ل) و(ى): «أأنبئكم» وهو سبق قلم.

(٥) وقع في (ج) و(ل): «السنن» وهو خطأ.
وأخرجه البخاري (٧/ ١٤٢، ١٤٣) مطولاً.

(٦) ساقط من (ز).

(٧) ولم أقف له على إسناد، ونقل العجلوني في «كشف الخفا» (١/ ٢٠٠، ٢٠١) عن السيوطي أنه قال في =

فَصْلٌ

اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده، والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته (العلى)[(١)] وعلى ذكر المعاد، وهو يوم الدين؛ وعلى إرشاده (عبيده)[(٢)] إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبرئ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه، حتى (يفضي بهم ذلك)[(٣)] إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل؛ لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم، والضالون.

وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ...﴾ الآية [المجادلة: ١٤] وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره؛ كما قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] وقال: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقول الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه؛ ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن؛ ويتركون ما يكون فيه صريحاً في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي.

وقد ورد في الحديث الصحيح[(٤)]: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» - يعني في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] فليس، بحمد الله، لمبتدع في القرآن حجة صحيحة؛ لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل، مفرقاً بين الهدى والضلال؛ وليس فيه تناقض ولا اختلاف؛ لأنه من عند الله ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فَصْلٌ

يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: «آمين»، (مثل يس)[(٥)]. ويقال: أمين - بالقصر أيضاً. ومعناه: اللهم استجب.

= «اللآلئ»: «معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ وأورده أصحاب الغريب ولا يعرف له إسناد» وقال مثله الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص٣٢٧).

(١) في (ز) و(ن): «العليا». (٢) في (ك) و(ل): «عبده».

(٣) في (ن): «يقضي لهم بذلك».

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٢٠٩)؛ ومسلم (٢٦٦٥/ ١). (٥) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى).

والدليل (على استحباب التأمين)(١) ما رواه الإمام(٢) أحمد، وأبو داود، والترمذي، عن وائل بن حجر؛ قال: سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال: آمين - مد بها صوته، «ولأبي داود»: «رفع بها صوته». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وروي عن علي(٣) وابن مَسعود، وغيرهم.

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: «آمين»

---

(١) في (ز) و(ع) و(هـ) و(ى): «والدليل على ذلك».

(٢) أخرجه أحمد (٤/٣١٦، ٣١٧)؛ ومسلم في «التمييز» (ص١٨٠)؛ وأبو داود (٩٣٢)؛ والترمذي (٢٤٨)؛ والدارمي (١/٢٢٨)؛ وابن أبي شيبة (١٠/٥٢٥)؛ وابن المنذر في «الأوسط» (٣/١٣١)؛ وابن أبي شيبة (٢/٤٢٥)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢٢/رقم ١١١)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٤)؛ والدارقطني (١/٣٣٤)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢/٥٧)؛ وفي «المعرفة» (٢/٣٩٠)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/١٣/٢)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣/٥٨) من طرقٍ عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن حجر بن عنبس، عن وائل بن حجر فذكره ورواه الثوري باللفظين معاً: «يمد بها صوته» و«يرفع بها صوته» ورواه أصحابه عنه هكذا: فرواه يحيى القطان وابن مهدي ووكيع والمحاربي والأشجعي عنه بلفظ: «يمد بها» ورواه قبيصة بن عقبة ومحمد بن كثير والفريابي وخلاد بن يحيى وأبو داود الحفري عنه بلفظ: «يرفع» فهذا يدل على أن المقصود بـ«المد» هنا: رفع الصوت. قال الترمذي: «حديث حسن» وصحح إسناده الدارقطني. وقد رواه العلاء بن صالح ومحمد بن سلمة بن كهيل كلاهما عن سلمة بن كهيل بسنده سواء نحوه. أخرجه أبو داود (٩٣٣)؛ والترمذي (٢٤٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢٢/رقم ١١٣، ١١٤)، وخالفهم في هذا الحرف: شعبة بن الحجاج فرواه عن سلمة بن كهيل، عن حجر أبي العنبس، قال: حدثني علقمة بن وائل، عن وائل بن حجر فذكره لكن قال: «وقال آمين وأخفى بها صوته».

أخرجه مسلم في «التمييز» (ص١٨٠)؛ أحمد (٤/٣١٦)؛ والطيالسي (١٠٢٤)، وابن حبان (١٨٠٥)؛ والدارقطني (١/٣٣٤)؛ والحاكم (٢/٢٣٢)؛ وصححه على شرط الشيخين، والطبراني (ج٢٢/رقم ١٠٩، ١١٠، ١١٢)؛ وأبو حفص الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (١١)؛ والبيهقي (٢/٥٧) من طرق عن شعبة. وقد تكلم العلماء في رواية شعبة وغلطوه فيها منهم البخاري ومسلم والدارقطني والبيهقي وغيرهم ولكن قال البيهقي في «المعرفة» (٢/٣٩٢): «وقد رويناه بإسناد صحيح عن أبي الوليد الطيالسي عن شعبة كما رواه الثوري». اهـ.

ثم أخرجه في «سننه» (٢/٥٨) ثم إن شعبة خالف الثوري في موضعين من الإسناد، وقد فصلته في «التسلية» ولله الحمد.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٨٥٤)؛ وابن أبي حاتم في «العلل» (ج١/رقم ٢٥١) من طريق ابن أبي ليلى، عن سلمة بن كهيل، عن حجية بن عدي، عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ إذا قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قال: «آمين» قال البوصيري في «الزوائد» (١/٢٩٧): «هذا إسناد ضعيف فيه مقال، وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى ضعفه الجمهور، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وباقي رجاله ثقات؛ وله شاهد من حديث وائل بن حجر...». اهـ.

قلت: حديث وائل لا يشهد له؛ لأن ابن أبي ليلى خالف شعبة والثوري والعلاء بن صالح ومحمد بن سلمة بن كهيل فأربعتهم، على خلاف بينهم وبين شعبة في الإسناد، رووه عن سلمة بن كهيل فجعلوه من مسند «وائل بن حجر» وخالفهم ابن أبي ليلى، وهو سيئ الحفظ فرواه عن سلمة بن كهيل فجعله من «مسند علي» فروايته منكرة والله أعلم.

وقال أبو حاتم: «هذا عندي خطأ، إنما هو سلمة، عن حجر أبي العنبس عن وائل بن حجر، عن النبي ﷺ ثم قال أبو حاتم: كان ابن أبي ليلى سيئ الحفظ».

حتى يسمع من يليه من الصف الأول. رواه أبو داود[١]، وابن ماجه ـ وزاد فيه: «(فيرتج)[٢] بها المسجد» ـ والدارقطني، وقال: «هذا إسناد حسن».

وعن بلال أنه قال: يا رسول الله، لا تسبقني بآمين. رواه أبو داود[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٩٣٤)؛ وعنه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣)؛ وابن ماجه (٨٥٣)؛ وأبو يعلى (ج١١/ رقم ٦٢٢٠)؛ والمزي في «التهذيب» (٣٤/ ٢٨) من طريق صفوان بن عيسى عن بشر بن رافع، عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة فذكره. وما ذكره المصنف هو لفظ أبي داود. وعند ابن ماجه، قال: ترك الناس التأمين ثم ساق مثله.

قال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٢٩٦): هذا إسناد ضعيف، أبو عبد الله لا يعرف حاله، وبشر ضعفه أحمد، وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات».اهـ.

فأما نقل المصنف تحسين الدارقطني للإسناد ففيه تسامح؛ لأن طريق الدارقطني مختلف عن طريق أبي داود وابن ماجه. فقد أخرجه في «سننه» (١/ ٣٣٥) وكذلك ابن حبان (٤٦٣ ـ موارد)؛ والحاكم (١/ ٢٢٣)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤)؛ والبيهقي (٢/ ٥٨) من طريق إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي، قال: حدثنا عمرو بن الحارث، قال: حدثنا عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع صوته وقال: «آمين» وهذا الطريق قال فيه الدارقطني: «هذا إسناد حسن» وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي! وليس كما قالوا: فأما قول الحاكم فخطأ؛ لأن هذا الترجمة: «إسحاق بن إبراهيم عن عمرو بن الحارث الحمصي، عن عبد الله بن سالم عن الزبيدي» ما خرجها الشيخان ولا أحدهما، بل ولا احتجا برواتها عدا الزبيدي فمن رجالهما وعبد الله بن سالم الأشعري من رجال البخاري وحده، ثم إسحاق بن إبراهيم الملقب بـ(زبريق) ضعيف وعمرو بن الحارث هو الحمصي وليس المدني فإن هذا أعلى منه في الطبقة، وهذا الحمصي وثقه ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤٨٠) وقال: «مستقيم الحديث» فرده الذهبي في «الميزان» فقال: «تفرد بالرواية عنه إسحاق بن إبراهيم زبريق ومولاة له اسمها علوة فهو غير معروف العدالة وابن زبريق ضعيف».اهـ. وبهذا يظهر ما في قول الدارقطني أيضاً. والله أعلم.

وقوله: «فيرتج المسجد» لا يصح في المرفوع، إنما أخرج البخاري (٢/ ٢٦٢) معلقاً ووصله عبد الرزاق (ج٢/ رقم ٢٦٤٠)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٧) في «مصنفيهما»؛ وابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ١٣٢)؛ والفاكهي في «أخبار مكة» (٣/ ٩٦)؛ والبيهقي (٢/ ٥٩) من طريق ابن جريج عن عطاء أن ابن الزبير كان يؤمن ويؤمن من خلفه حتى إن للمسجد للجة. وفي رواية: «لرجة» قلتُ وسنده صحيح لولا عنعنة ابن جريج فإنه قبيح التدليس، وكان شيخنا أبو عبد الرحمٰن الألباني، رحمه الله، يمشيها عن عطاء وحده. وأخرج البيهقي (٢/ ٥٩) من طريق أبي حمزة السكري محمد بن ميمون، عن مطرف بن طريف عن خالد بن أبي أيوب، عن عطاء قال: أدركت مائتين من أصحاب النبي ﷺ في هذا المسجد إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] سمعت لهم رجةً بـ«آمين» وهذا سند رجاله ثقات خلا خالد بن أبي أيوب، ما عرفته ثم ظهر لي أنه تصحيف وصوابه خالد بن أبي نوف. ووقع في ترجمة عطاء بن أبي رباح من «التهذيب» (٢٠/ ٧٣) «.. ابن أبي عوف» وكل هذا خطأ، وخالد بن أبي نوف هذا ما وثقه إلا ابن حبان فهو مجهول الحال، وأشار المزي في «تحفة الأشراف» (٣/ ٣٨٧) إلى الحديث الوحيد الذي رواه له النسائي (١/ ١٧٤) وقال: «وإسناده مجهول» وكل رجال الإسناد معروفون، فيتجه الكلام إلى ابن أبي نوف، والظاهر عندي أن قوله: «إسناده مجهول» من كلام النسائي كما يعرف من عادة المزي في كتابه، فلو صح هذا الأثر لكان له حكم الرفع كما لا يخفى والله أعلم.

(٢) في (ز): «يرتج».

(٣) أخرجه أبو داود (٩٣٧) قال: حدثنا إسحاق بن راهويه، حدثنا وكيع، عن الثوري: عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن بلال فذكره. وتوبع وكيع. تابعه عبد الرحمٰن بن مهدي، عن الثوري بسنده =

= مثله. أخرجه ابن خزيمة (ج١/رقم ٥٧٣) قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق بخبر غريب غريب، إن كان حفظ اتصال الإسناد، حدثنا ابن مهدي. ثم أبان بن خزيمة عن وجه الغرابة فقال عقب تخريجه للحديث: «هكذا أملى علينا محمد بن حسان هذا الحديث من أصله عن ابن مهدي، عن الثوري، عن عاصم فقال: «عن بلال» والرواة إنما يقولون في هذا الإسناد: «عن أبي عثمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ».

* قلت: محمد بن حسان الأزرق ثقة مأمون، وثقه الدارقطني، وابن حبان وابن أبي حاتم وزاد: «صدوق» والعجلي وقال عبد الله بن أحمد: «كان صدوقاً لا بأس به»، وفي رواية إسحاق بن راهويه عن وكيع ما يشد روايته. وخالفهما، أعني: وكيعاً وابن مهدي: عبد الرزاق فرواه عن الثوري عن عاصم، عن أبي عثمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ فأرسله أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١/رقم ١١٢٤)؛ والبيهقي (٢/٥٦) من طريق عبد الرزاق وهو في «مصنفه» (ج٢/رقم ٢٦٣٦) ثم قال البيهقي: «ورواية عبد الرزاق أصح» ووكيع أثبت في الثوري من عبد الرزاق لولا أنه اختلف عليه.

فرواه موسى بن معاوية، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا سفيان، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ... فذكره. أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥) وموسى هذا ما عرفته ويغلب على ظني أنه مصحَّفٌ، ومهما كان من أمر فإن إسحاق بن راهويه راويه عن وكيع إمام حافظ يقظ فالراجح روايته عن وكيع، ثم رواية وكيع عندي أرجح من رواية عبد الرزاق لا سيما وقد رواه شعبة عن عاصم، عن أبي عثمان عن بلال. أخرجه الحاكم (١/ ٢١٩) وعنه البيهقي (٢/ ٥٦) من طريق روح بن عبادة وآدم بن أبي إياس كلاهما عن شعبة. وخالفهما غندر فرواه عن شعبة، عن عاصم عن أبي عثمان: قال بلال للنبي ﷺ فذكره أخرجه أحمد (٦/ ١٥).

وتابع شعبة على هذه الرواية عبد الواحد بن زياد، عن عاصم به أن بلالاً فذكره.

أخرجه البيهقي (٢/ ٢٣) وتابع شعبة على الرواية الأولى وهي: «عن بلال» القاسم بن معن وعباد بن عباد كلاهما عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان عن بلال به.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١/رقم ١١٢٥)؛ وفي «الأوسط» (ج٢/ق١٧/ ١)؛ والبيهقي (٢/ ٢٢، ٢٣).

وأخرجه أحمد (٦/ ١٢) من طريق محمد بن فضيل، عن عاصم، عن أبي عثمان قال: قال بلال يا رسول الله لا تسبقني بآمين. وكذا وقع في «أطراف المسند» (١/ ٦٤٥) للحافظ وأشار المحقق أنه وقع في أحد النسخ: «أن رسول الله ﷺ قال لبلال: «لا تسبقني بآمين» فصار قائل هذا القول هو النبي ﷺ ليس بلالاً، وهذا هو الصواب في رواية محمد بن فضيل عن عاصم يدل عليه أن البيهقي قال (٢/ ٢٣): ورواه محمد بن فضيل عن عاصم بلفظ آخر. ثم رواه من طريق «مسند أحمد» فجعل المقالة من لفظ النبي ﷺ، وكذلك رواه (٢/ ٥٦) بهذا السياق. ثم قال: «فكأن بلالاً كان يؤمن قبل تأمين النبي ﷺ فقال: لا تسبقني بآمين، كما قال إذا أمن الإمام فأمنوا». اهـ.

وأشار الحافظ في «الفتح» (٢/ ٢٦٣) إلى هذا الحديث وقال: «ورجاله ثقات لكن قيل: إن أبا عثمان لم يلق بلالاً، وقد روى عنه بلفظ: أن بلالاً قال: وهو ظاهر الإرسال، ورجحه الدارقطني وغيره على الموصول» والصواب أن الوجهين متكافئان، بل جهة الوصل أقوى، فيبقى قول من قال: «أبو عثمان لم يلق بلالاً» وهو قول ضعيف، وكأنه لذلك مرَّضه الحافظ، فإن أبا عثمان مخضرم أدرك الجاهلية وهو أكبر سناً من عائشة ومن أنس وابن عباس وثبت سماعه من عمر بن الخطاب في «صحيح البخاري» وغيره ورد الحاكم على هذه المقالة فقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأبو عثمان النهدي مخضرم قد أدرك الطائفة الأولى من الصحابة». اهـ.

وفي تصحيحه الحديث على شرط الشيخين نظر من جهة أن الشيخين لم يحتجا بـ«أبي عثمان عن بلال» ولكن الإسناد صحيح والحمد لله. ثم قال البيهقي (٢/ ٢٣): «وروى بإسناد ضعيف عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال: قال بلال... وليس بشيء إنما رواه الجماعة الثقات عن عاصم دون ذكر سلمان».

قلت: ما أشار إليه البيهقي: أخرجه الطبراني (ج٦/رقم ٦١٣٦) قال: حدثنا محمد بن العباس الأخرم =

(١)[ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن، وجعفر الصادق، أنهما شددا الميم من «آمين»؛ مثل: ﴿ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]](١).

قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلِّي، وسواء كان منفرداً أو إماماً أو مأموماً، وفي جميع الأحوال؛ لما جاء في «الصحيحين»(٢) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

«ولمسلم»(٣) أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين والملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه» (٤)[قيل: بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان](٤). (٥)[وقيل: في الإجابة. وقيل(٦): في صفة الإخلاص](٥).

وفي «صحيح(٧) مسلم» عن أبي موسى ـ مرفوعاً: «إذا قال ـ يعني الإمام ـ ولا الضالين فقولوا: آمين يجبكم الله».

وقال جويبر(٨)، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: قلت: يا رسول الله؛ ما معنى آمين؟ قال: «رب افعل».

(٩)[وقال الجوهري: معنى آمين: كذلك فليكن. وقال الترمذي(١٠): معناه: لا تخيب رجاءنا. وقال الأكثرون: معناه: اللّهم استجب لنا](٩).

= ثنا أحمد بن يحيى الصوفي، ثنا سعيد بن عمرو الأشعثي ثنا سفيان بن عيينة، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ: «لا تسبقني بآمين»، وأخرجه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (ج٢/ق٣٨/ ١) من طريق ابن أبي عمر ثنا سفيان بن عيينة به ولكن شيخ أبي بكر الشافعي فيه ضعيف. قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١١٣): «رجاله موثقون». وسنده صحيح كلهم أئمة أثبات، ولا يتجه إعلاله بالشذوذ مع إمكان الجمع، وهذا الإمكان ظاهر بل راجح. والله أعلم.

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٦٢، ٢٦٦)؛ ومسلم (١/ ٣٠٧ ـ عبد الباقي).

(٣) في «صحيحه» (٤٠٩/ ٧٥)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٣/ ٢).

(٤) ساقط من (ز). (٥) ساقط من (ز).

(٦) هذا قول ابن حبان، فقال في «صحيحه» (٥/ ١٠٨): «معنى قوله ﷺ: «فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة» أن الملائكة تقول: آمين من غير علة: من رياء وسمعة، أو إعجاب، بل تأمينها يكون خالصاً لله، فإذا أمن القارئ لله من غير أن يكون فيه علة من إعجاب أو رياء أو سمعة كان موافقاً تأمينه في الإخلاص تأمين الملائكة، غفر له حينئذٍ ما تقدم من ذنبه». اهـ. وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٢/ ٢٥٦) ورجح أن الموافقة في القول والزمان. وما ذهب إليه الحافظ هو الحق. والله أعلم.

(٧) أخرجه مسلم (٤٠٤/ ٦٢).

(٨) يعني: في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (١/ ١٧) وجويبر هالك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس كما مرّ ذكره وله طريق آخر عن ابن عباس. أخرجه الثعلبي (١/ ١٣/ ٢) من طريق محمد بن فضيل، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس مثله. وسنده ساقط. والكلبي تالف.

(٩) ساقط من (ز).

(١٠) هو محمد بن علي المعروف بـ«الحكيم الترمذي»، وليس صاحب «السنن»، كما عند الثعلبي (١/ ١٣/ ٢) وله ترجمة في «سير النبلاء» (١٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٢).

(١)[وحكى القرطبي(٢) عن مجاهد(٣)، وجعفر الصادق، وهلال(٤) بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى. وروى عن ابن عباس مرفوعاً، ولا يصح؛ قاله أبو بكر(٥) بن العربي المالكي](١).

وقال أصحاب مالك: لا يؤمن الإمام ويؤمن المأموم، لما رواه(٦) «مالك» عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (١)[«وإذا قال ـ يعني الإمام: ولا الضالين فقولوا: آمين. . .» الحديث](١).

(٧)[واستأنسوا أيضاً بحديث أبي موسى (عند مسلم)(٨): «وإذا قرأ ولا الضالين فقولوا: آمين»](٧).

وقد قدمنا في «المتفق عليه»: «إذا أمن الإمام فأمنوا»، وأنه عليه (الصلاة)(٩) والسلام كان يؤمن إذا قرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية. وحاصل الخلاف أن الإمام إن نسي التأمين جهر المأموم به قولاً واحداً؛ وإن أمن الإمام جهراً فالجديد أنه لا يجهر المأموم، وهو مذهب أبي حنيفة، ورواية عن مالك؛ لأنه ذكر من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة. والقديم أنه يجهر (به)(١٠)، وهو مذهب (الإمام)(١١) أحمد بن حنبل، والرواية الأخرى عن مالك لما تقدم: «حتى يرتج المسجد»(١٢). ولنا قول آخر ثالث أنه إن كان المسجد صغيراً لم يجهر المأموم؛ لأنهم يسمعون قراءة الإمام، وإن كان كبيراً جهر، ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد. والله أعلم.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده»(١٣) عن عائشة رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) في «تفسيره» (١/١٢٨).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٤٢٦) ووكيع في «تفسيره» من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد. وليث ضعيف.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٤٢٦) عن وكيع وهذا في «تفسيره»، كما في «الدر المنثور» (١/١٧)، قال: ثنا سفيان عن منصور، عن هلال بن يساف به. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٢/رقم ٢٦٥٠)؛ والثعلبي (١/١٣/٢) من طريق سفيان الثوري وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن جرير عن منصور بسنده. وسنده صحيح. ولكن هذا الباب لا يقبل فيه إلا الصحيح المرفوع كما هو معلوم. والله الموفق. وأخرجه عبد الرزاق (ج٢/رقم ٢٦٥١) موقوفاً على أبي هريرة بسند ضعيف جداً.
(٥) في «أحكام القرآن» (١/٦) وظاهر من نقل المصنف عن ابن العربي أنه عني بقوله: «لا يصح» حديث ابن عباس المرفوع، وليس هذا في عبارة ابن العربي فقد قال: «المسألة الرابعة: . . . قيل إنها اسم من أسماء الله تعالى، ولا يصح نقله، ولا ثبت قوله».اهـ.
(٦) في «الموطأ» (١/٨٧/٤٥) ومرّ تخريجه آنفاً.
(٧) ساقط من (ل).
(٨) ساقط من (ز) و(ل).
(٩) من (ز) و(ن) وفي (ك): «ﷺ».
(١٠) ساقط من (ج).
(١١) من (ن).
(١٢) وقد قدمنا أن هذا الحديث لا يصح. والله أعلم.
(١٣) أخرجه أحمد (٦/١٣٤، ١٣٥)؛ والبيهقي (٢/٥٦) مطولاً، والبخاري في «التاريخ» (١/١/٢٢) مختصراً من طريق حصين بن عبد الرحمٰن، عن عمر بن قيس، عن محمد بن الأشعث، عن عائشة وفيه قصة =

اليهود، فقال: «إنهم لن يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله[١] (ولها) وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين».

ورواه ابن ماجه، ولفظه: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين».

«وله»[٢] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول آمين، فأكثروا من قول آمين». وفي إسناده طلحة بن عمرو، وهو ضعيف.

وروى ابن مردويه[٣]، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين».

وعن أنس[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت آمين في الصلاة، وعند الدعاء، لم يعط أحد

= وأخرجه البخاري والبيهقي من طريق مجاهد عن محمد بن الأشعث عن عائشة مختصراً ومحمد بن الأشعث لم يوثقه إلا ابن حبان، وترجمه البخاري وابن أبي حاتم (٣/٢/٢٠٦) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً. ولكن للحديث طريق آخر. أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٢٢)؛ وابن خزيمة (١٥٨٥) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. وسياق ابن خزيمة مطول قال البوصيري في «الزوائد» (١/٢٩٧): «هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته».

(١) ساقط من (ج) و(ز).

(٢) يعني: ابن ماجه، وقد أخرجه في «سننه» (٨٥٧) من طريق خالد بن يزيد بن صبيح المري، أنبأنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً به.
قال البوصيري (١/٢٩٨): «هذا إسناد ضعيف؛ لاتفاقهم على ضعف طلحة بن عمرو» قلت: فالصواب أن الإسناد ضعيف جداً، وطلحة هذا متروك، تركه أحمد والنسائي وغيرهما وضعفه ابن معين وأبو داود وابن سعد وزاد: «جداً» والكلام فيه طويل الذيل.

(٣) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢١٩)؛ وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٤٣٢)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/٢/١٣) من طريق المؤمل بن عبد الرحمٰن، عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال ابن عدي: «هذا الحديث بهذا الإسناد لا يرويه عن أبي أمية بن يعلى، وإن كان ضعيفاً، غير مؤمل هذا».
قلت: وسنده ضعيف جداً. ومؤمل بن عبد الرحمٰن ضعفه أبو حاتم الرازي. وقال ابن عدي: «عامة حديثه غير محفوظ» وشيخه أبو أمية اسمه «إسماعيل» تركه ابن معين في رواية والنسائي والدارقطني، وقال البخاري: «سكتوا عنه» وأورد له ابن عدي في «الكامل» (١/٣٠٩ ـ ٣١١) أحاديث تدل على أنه واهٍ، وهذا الحديث منكر جداً، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق١٩/١، ٢ زوائده) قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان، ثنا زربي مولى خالد، ثنا أنس مرفوعاً: «أعطيت ثلاث خصال: صلاة في الصفوف، وأعطيت السلام، وأعطيت آمين، ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم، إلا أن يكون الله أعطاها هارون، فإن موسى كان يدعو، ويؤمن هارون».
وهذا سنده واهٍ جداً، وعبد العزيز بن أبان متروك، لكنه لم يتفرد به، فتابعه حرمي بن عمارة وعبد الصمد بن عبد الوارث كلاهما عن زربي بن عبد الله عن أنس قال: كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال: «إن الله أعطاني خصالاً ثلاثة، فقال رجل من جلسائه: وما هذه الخصال يا رسول الله؟! قال: «أعطاني صلاةً في الصفوف، وأعطاني التحية، إنها لتحية أهل الجنة وأعطاني التأمين، ولم يعطه أحداً من النبيين قبل، إلا أن يكون الله أعطى هارون؛ يدعو موسى ويؤمن هارون» أخرجه ابن خزيمة (١٥٨٦) والسياق له وقال: «إن =

قبلي إلا أن يكون موسى؛ كان موسى يدعو وهارون يؤمن، فاختموا الدعاء بآمين؛ فإن الله يستجيبه لكم».

قلت: ومن هنا نزع بعضهم[(١)] في الدلالة بهذه الآية الكريمة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس] فذكر الدعاء عن موسى وحده، ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمن، فنزل منزلة من دعا؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فدل ذلك على أن من أمن على دعاء فكأنما قاله؛ فلهذا قال من قال: إن المأموم لا يقرأ؛ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها؛ ولهذا جاء في الحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة [(٢)][رواه أحمد في «مسنده»][(٢)]. وكان بلال يقول: «لا تسبقني بآمين (يا رسول الله)[(٣)]».

فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية. والله أعلم.

ولهذا قال ابن مردويه[(٤)]: حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن (ليث بن أبي سليم)[(٥)]، عن كعب، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين، فوافق «آمين» أهل الأرض «آمين» أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه ومثل من لا يقول: آمين كمثل رجل غزا مع قوم، فاقترعوا، فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه، فقال: لم لم يخرج سهمي؟ فقيل: إنك لم تقل: آمين[(٦)]».

* * *

= ثبت الخبر» وابن مردويه، والحكيم الترمذي في «النوادر» كما في «الدر» (١/ ١٧)؛ وابن عدي (٣/ ١٠٩٤) فانحصرت العلة في زربي بن عبد الله فهو واهٍ، قال ابن حبان: «منكر الحديث على قلته، ويروي عن أنس ما لا أصل له فلا يحتج به». وقال البخاري: «فيه نظر» وقال ابن عدي: «ولزربي من الحديث قليل، وأحاديثه وبعض متون أحاديث منكرة». وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٢/رقم ٢٦٥١) عن بشر بن رافع، عن أبي عبد الله، عن أبي هريرة: قال: كان موسى بن عمران إذا دخل أمَّن هارون على دعائه، قال: وسمعت أبا هريرة: آمين اسم من أسماء الله ﷻ. وسنده واهٍ. وبشر بن رافع ضعفه أحمد وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات» وأبو عبد الله هو ابن عم أبي هريرة اختلف في اسمه وقال ابن القطان والذهبي: «لا يعرف».

(١) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٢، ٢٢/ ١٦)؛ لابن عبد البر رحمه الله.

(٢) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى). (٣) من (ن).

(٤) وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (ج١١/رقم ٦٤١١) قال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير بسنده سواء قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٧): «إسناده جيد»! وليس كما قال فإن ليث بن أبي سليم ضعيف، وقد صح أوله كما مرّ قريباً. والله أعلم.

(٥) في (ن): «ليث عن ابن أبي سليم» وهو خطأ ظاهر.

(٦) في حاشية (ج): «آخر الجزء الثالث من أجزاء المؤلف» وفي حاشية (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله».

(رب يسر وأعن يا كريم)(١)

تفسير

سُورَةُ البَقَرَة

ذكر ما ورد في فضلها:

قال الإمام أحمد(٢): حدثنا عارم، حدثنا معتمر، عن أبيه، عن رجل، عن أبيه، عن معقل بن يسار. أن رسول الله ﷺ قال: «البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آيةٍ منها ثمانون ملكاً، واستخرجت ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ من تحت العرش، فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، و﴿يسٓ ۝١﴾ [يس] قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم». انفرد به أحمد.

وقد رواه أحمد(٣) أيضاً ـ عن عارم، عن عبد الله بن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي

---

(١) من «ن».

(٢) في «مسنده» (٥/ ٢٦).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٠/رقم ٥١١، ٥٤١) من طريق محمد بن عبد الأعلى ومحمد بن أبي بكر المقدمي كليهما عن معتمر بن سليمان بسنده سواء تاماً.
وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (١٠٧٥) قال: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر بسنده سواء من قوله: «يس قلب القرآن... إلخ»؛ وأخرجه الروياني (٣٠/ ٢٢٣/ ٢) عن عمرو بن علي عن المعتمر به إلى قوله: «من تحت العرش».
وأخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» (٢٧٤) عن محمد بن عبد الأعلى بسنده سواء بلفظ: «البقرة سنام القرآن وذروته»؛ وأخرجه الروياني في «مسنده» (ج٣٠/ ق٢٢٢/ ١) قال: نا أبو عبد الله الزيادي، نا معتمر، عن أبيه، عن رجل، عن معقل بن يسار مرفوعاً بتمامه. فأسقط شيخ الروياني «والد» شيخ سليمان التيمي، والأشبه إثباته، وانظر «التسلية».
وتوبع معتمر على الوجه الأول فتابعه ابن المبارك، فرواه عن سليمان التيمي، عن رجل، عن أبيه، عن معقل بن يسار مرفوعاً: «اقرأوا يس على موتاكم».
أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٩٣١)، عن ابن المبارك، وخالفه جماعة عن ابن المبارك كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وأغرب السيوطي فقال في «الدر المنثور» (١/ ٢٠): «وإسناده صحيح»!! ويأتي ما فيه.

(٣) في «مسنده» (٥/ ٢٧).
وأخرجه البخاري في «الكنى» (٥٠٥) معلقاً ووصله أبو داود (٣١٢١)؛ وابن ماجه (١٤٤٨)؛ عن ابن أبي شيبة، وهذا في «مصنفه» (٣/ ٢٣٧)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص١٣٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢٠/ رقم ٥١٠)؛ والحاكم (١/ ٥٦٥)؛ وعنه البيهقي في «سننه الكبرى» (٣/ ٣٨٣)؛ وفي «الشعب» (ج٥/رقم ٢٢٣٠)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٩٥) من طرق عن ابن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان وليس بالنهدي، عن أبيه، عن معقل بن يسار مرفوعاً فذكره.
وقد رواه عن ابن المبارك هكذا جمع يترجحون على الطيالسي، وللوليد بن مسلم فيه وجه آخر ثم الترجيح في كل ذلك نظري؛ يعني: لا يفيد الحديث قوةً إذ له ثلاث علل لخصها الحافظ ابن حجر، فقال في «التلخيص» (٢/ ١٠٤): «وأعله ابن القطان بالاضطراب، وبالوقف، وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه، ونقل =

عثمان ـ وليس بالنهدي ـ عن أبيه، عن معقل بن يسارٍ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوها على موتاكم» ـ يعني: يس.

فقد تبيَّنا بهذا الإسناد معرفة المبهم في الرواية الأولى.

وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

وقد روى الترمذي(١) من حديث حكيم بن جبير، وفيه ضعف، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آيِ القرآن: آية الكرسي».

وفي «مسند أحمد»(٢)، و«صحيح مسلم»؛ والترمذي، والنسائي، من حديث سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً؛ فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان».

وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقال أبو عبيد(٣) القاسم بن سلام: حدثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي

= أبو بكر ابن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولا يصح في هذا الباب حديث». اهـ.

(١) في «سننه» (٢٨٧٨).
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠١٩)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١١٧)؛ والحاكم (١/ ٥٦٠، ٥٦١، ٢/ ٢٥٩)؛ عن الحميدي وهذا في «مسنده» (٩٩٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢١٥٨)؛ من طريق حكيم بن جبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢٠) لابن المنذر.
وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه». اهـ وهذا هو الصواب أما الحاكم فقال: «صحيح الإسناد، والشيخان لم يخرجا عن حكيم بن جبير لوهن في رواياته، إنما تركاه لغلوه في التشيع». اهـ.
(*) **قلت**: كذا قال! ولو كان ثقةً غالٍ في تشيعه لم يضره ذلك على الصحيح من أقوال أهل العلم منهم البخاري ومسلم، ولكن ضعفه جماهير النقاد مثل أحمد وابن معين وأبي داود والنسائي وغيرهم ولأوله شاهد من حديث سهل بن سعد لكنه ضعيف أيضاً ويأتي تخريجه قريباً.
واعلم أن الراجح في هذا الحديث الوقف كما يأتي إن شاء الله، ثم قوله: «وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي» صحيح وله شواهد نذكرها إن شاء الله عند تفسير هذه الآية الكريمة والله الموفق.

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠/ ٢١٢)، من طرق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً. وصححه أيضاً: البغوي في «شرح السنة».

(٣) في «فضائل القرآن» (ص١٢١).
وابن لهيعة سيء الحفظ، وابن أبي مريم هو سعيد بن الحكم بن أبي مريم، وليس من قدماء أصحابه ولم يتفرد به ابن لهيعة فتابعه عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب بسنده سواء. أخرجه الفريابي في «الفضائل» (٣٨) من طريق ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب به وابن وهب من قدماء أصحاب ابن لهيعة فيبقى الكلام على سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان، وبه ترجم المزي في «التهذيب» وذكره باسم «سعد»: الترمذي في «سننه» (٦٤٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٩١).
وأما ابن حبان فقال في (الثقات): «أرجو أن يكون الصحيح: سنان بن سعد، وقد اعتبرت حديثه فرأيت ما =

حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه». سنان بن سعد، ويقال بالعكس، وثقه ابن معين، واستنكر حديثه: أحمد بن حنبل وغيره.

وقال أبو عبيد(١): حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ ﷺ؛ قال: إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة.

ورواه النسائي في «اليوم والليلة». وأخرجه الحاكم في «مستدركه» من حديث شعبةَ؛ ثم قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

وقال ابن مردويه(٢): حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا أيوب بن

= روى سنان بن سعد يشبه أحاديث الثقات، وما روى سعد بن سنان وسعيد بن سنان فيه المناكير، كأنهما اثنان». والظاهر من تصرف العلماء أنهما رجل واحد كما رجحه الخطيب في «موضح الأوهام» (٢/ ١٦٤، ١٦٥)، وهو ظاهر صنيع ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ٢٥١) واختلف العلماء في حاله، وجملة القول فيه أنه مقارب الحديث ولمتن حديثه شواهد صحيحة كثيرةٌ يأتي بعضها إن شاء الله تعالى.

(١) في «فضائل القرآن» (ص١٢١).
وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٩٦٤) قال: أخبرنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد؛ يعني: ابن جعفر، حدثنا شعبة بسنده سواء بلفظ: «جددوا القرآن ليربوا فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر. . .» الحديث.
وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٢١)؛ والحاكم (١/ ٥٦١) عن الفضيل بن دكين؛ والحاكم (٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) عن آدم بن أبي إياس كلاهما عن شعبة بسنده سواء بلفظ: «اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتاً. . .» الحديث وقال في الموضع الأول: «صحيح على شرط الشيخين» وقال في الموضع الثاني: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي في الموضعين!، وحكمه في الموضع الثاني أسد، لأن البخاري ما احتج برواية أبي الأحوص ـ واسمه عوف بن مالك ـ عن ابن مسعود، بل مسلم، ثم الشيخان ما أخرجا شيئاً لسلمة بن كهيل عن أبي الأحوص. والله أعلم.
ويرويه عاصم بن بهدلة عن أبي الأحوص، ويأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢١٦٢) من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي قال: حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال بسنده سواء.
وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٩٦٣) قال: أخبرنا محمد بن نصر، قال: حدثنا أيوب بن سليمان بسنده سواء.
وقد توبع ابن عجلان. تابعه حلو بن السري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله مرفوعاً فذكره.
أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٤٨، ٧٧٦٦)؛ وفي «الصغير» (١٤١) من طريق يعقوب بن إسحاق أبي يوسف القلوسي قال: نا الحارث بن محمد الكوفي، قال: نا حلو بن السري.
(*) قلت: وحلو بن السري وثقه الطبراني في «الصغير»؛ وابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٤٨) وخالفهما ـ أعني ابن عجلان وحلو بن السري ـ شعبة بن الحجاج، فرواه عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص قال: كان عبد الله يقول: «لا ألفين أحدكم يتعشى ثم يضطجع، فيضع رجلاً على رجل ويتغنى، ويدع سورة البقرة أن يقرأها، فإن الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». أخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (١٧٥) قال: أخبرنا أبو عمر وهو حفص بن عمر، ثنا شعبة. وهذا سند صحيح، وهو أقوى من رواية ابن عجلان وحلو بن السري ويؤيده ما أخرجه ابن الضريس أيضاً (١٦٤) قال: أخبرنا أبو غسان، ثنا جرير، =

سليمان بن بلال، حدثني أبو بكر بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، عن محمد بن عجلان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجليه على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها؛ فإن الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله».

وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» عن محمد بن نصر، عن أيوب بن سليمان، به.

[1][وروى الدارمي في «مسنده»[2]، عن ابن مسعود؛ قال: «ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان، وله ضراط».

وقال[3]: «إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن لكل شيء لباباً وإن لباب القرآن المفصل».

وروى أيضاً[4] من طريق الشعبي؛ قال: قال عبد الله بن مسعود:][1] [5][«من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة، أربع من أولها وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاثُ آيات من آخرها» - وفي رواية: «لم يقربه ولا أهله يومئذٍ شيطان، ولا شيء يكرهه ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق»][5].

وعن سهل بن سعد؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة، وإن من قرأها في بيته ليلةً لم يدخله (شيطان)[6] ثلاث ليالٍ، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله (شيطان)[6] ثلاثة أيام».

رواه أبو القاسم الطبراني[7]، ....

= عن إبراهيم التيمي، عن أبي الأحوص قال: سمعت عبد الله يقول: إن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله ولا ألفين أحدكم يضع إحدى رجليه على الأخرى... وساقه. وهذا سند صحيح أيضاً، فهذا يدل على أن الصحيح في هذا الحديث الوقف، ويأتي له شواهد تؤيد ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢/ ٣٢١) بسند حسن.

(٣) أخرجه الدارمي وابن الضريس (١٧٧، ١٧٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٤٤)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٠٦) من طريق حماد بن سلمة وحماد بن زيد كليهما عن عاصم، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود فذكره موقوفاً. وتابعهما أبو بكر بن عياش عن عاصم مثله. أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٢٥٨) وسنده حسن، قال الدارمي عقبة: واللباب: الخالص.

(٤) يعني: الدارمي (٢/ ٣٢٢) قال: حدثنا جعفر بن عون، أنا أبو العميس، عن الشعبي فذكره وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٧٣) من طريق أبي نعيم، ثنا أبو العميس به، وسنده جيد، وأبو العميس هو عتبة بن عبد الله بن عتبة، أخو عبد الرحمٰن المسعودي وهو ثقة، تكلم فيه أبو نعيم الفضل بن دكين، وقد توبع فتابعه عاصم بن بهدلة، عن الشعبي فذكر مثله.
أخرجه الدارمي وابن الضريس (١٦٦، ١٧٩) من طريقين عن عاصم. وسنده حسن.

(٥) ساقط من (ز).

(٦) في (ز) و(ل) و(ك): «الشيطان».

(٧) في «المعجم الكبير» (ج٦/رقم ٥٨٦٤).
وأخرجه ابن حبان (١٧٢٧ - موارد) عن أبي يعلى وهو في «مسنده» (ج١٣/رقم ٧٥٥٤)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٦)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٠١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٦١) من =

وأبو حاتم بن حبان في «صحيحه»، [(١)وابن مردويه من حديث الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن سعيد (المدني)[٢] عن أبي حازم، عن سهل، به. وعند ابن حبان: خالد بن سعيد (المديني)[٣]][١].

وقد روى الترمذي[٤]، والنسائي، وابن ماجه، من حديث عبد الحميد بن جعفر، عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)[٥]؛ قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عدد فاستقرأهم؛ فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنّاً، فقال: ما معك يا فلان؟ فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: اذهب فأنت أميرهم». فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا أني خشيت أن لا أقوم بها. فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن، واقرءوه؛ فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوٌّ مسكاً يفوح ريحه في كل مكان. ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك». هذا لفظ رواية الترمذي. ثم قال: «هذا حديث حسن».

ثم رواه من حديث الليث، عن سعيد، عن عطاء مولى أبي أحمد مرسلاً. فالله أعلم[٦].

قال البخاري[٧]: وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أسيد بن حضير رضي الله عنه، قال: بينما هو يقرأ (من)[٨] الليل سورة البقرة ـ وفرسه مربوطة عنده ـ إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت [(٩)فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت][٩]، ثم قرأ فجالت الفرس

= طريق خالد بن سعيد المدني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد مرفوعاً قال العقيلي: «خالد بن سعيد لا يتابع على حديثه»، وقال ابن المديني: «لا نعرفه» وكذلك جهله ابن القطان، وبه ضعف الهيثمي الحديث في «المجمع» (٦/ ٣١٢).

(١) ساقط من (ز).

(٢) كذا في (ن) و(هـ) ووقع في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى): «المديني».

(٣) كذا في (ك) و(ن) وفي (ع) و(هـ) و(ى): «المدني» وفي (ج) و(ل): «المزني».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٧٦)؛ والنسائي في «كتاب السير»، كما في «أطراف المزي» (١٠/ ٢٨٠)؛ وابن خزيمة (ج٣/رقم ١٥٠٩) وعنه ابن حبان (١٧٨٩ ـ موارد)؛ والبزار في «مسنده» (ج٢/ ق١٧١/ ١، ٢)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص٢٥) من طرق عن عبد الحميد بن جعفر بطوله؛ وأخرجه ابن ماجه (٢١٧)؛ والحاكم (١/ ٤٤٣)؛ وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣٣٤) مختصراً.

قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من حديث أبي هريرة بهذا الإسناد، وعطاء مولى أبي أحمد لا نعلمه حدث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ولا حدث عنه إلا سعيد المقبري».

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

(٥) من (ن).

(٦) وقع في (ج) و(ل) بعد هذا عنوان: «ما ورد في فضلها مع آل عمران» وهذا خطأ، لأن حديث أسيد بن حضير ليس فيه ذكر لـ «آل عمران»، والصواب ما ورد في سائر النسخ أن هذا العنوان موضعه بعد ذلك كما يأتي، والحمد لله تعالى.

(٧) في «فضائل القرآن» (٩/ ٦٣) ومر تخريجه في كتاب «فضائل القرآن» (١/ ٢٤٦).

(٨) في (ج) و(ل): «في».

(٩) ساقط من (ج).

فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: «اقرأ يا ابن حضير». قال: (فأشفقت)[(١)] يا رسول الله (على يحيى)[(٢)]، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: «وتدري ما ذاك؟» قال: لا. قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم».

وهكذا رواه الإمام العالم أبو عبيد[(٣)] القاسم بن سلام في كتاب «فضائل القرآن» عن عبد الله بن صالح، ويحيى بن بكير عن الليث، به.

وقد روى من وجه آخر عن أسيد بن حضير كما تقدم. والله أعلم.

وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن (شماس)[(٤)] رضي الله عنه؛ وذلك فيما رواه أبو عبيد[(٥)]: حدثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن (عمه)[(٦)] جرير بن يزيد ـ أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح. قال: «فلعله قرأ سورة البقرة».

قال: (فسئل ثابت)[(٧)]، فقال: قرأت سورة البقرة.

وهذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل. والله أعلم.

ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران:

قال الإمام أحمد[(٨)]: حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن مهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن

---

(١) في (ن): «قد أشفقت». (٢) في (ز): «أن تطأ يحيى».

(٣) في «فضائل القرآن» (ص٢٦).
وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٨٤)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (٥٠٢)؛ والحافظ في «التغليق» (٤/ ٣٨٧) من طريق يحيى بن بكير وحده، ثنا الليث بن سعد بسنده سواء.

(٤) في (ج) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي): «الشماس».

(٥) في «الفضائل» (ص٢٧). وعزاه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٧) لأبي داود وقال: «من طريق مرسلة» فالله أعلم، ولم أجده في «المراسيل» له، فلعله أراد «ابن أبي داود».

(٦) ساقط من (ز). (٧) في (ن): «فسألت ثابتاً».

(٨) في «مسنده» (٥/ ٣٤٨).
وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٢٤)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٤٩٢، ٤٩٣)، ومن طريقه ابن الضريس في «الفضائل» (٩٩)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/ ٥/ ٢)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص٣٦، ٣٧) قالوا: حدثنا أبو نعيم بسنده سواء. وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٣٥) من طريق خلاد بن يحيى، ثنا بشير بن المهاجر بسنده سواء بطوله.
وأخرج بعضه: ابن ماجه (٣٧٨١)؛ وأحمد (٥/ ٣٥٢، ٣٦١)؛ والحاكم (١/ ٥٥٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٥٤) من طرق أخرى عن بشير بن المهاجر.
قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» وسكت عنه الذهبي.
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٥٣) من طريق حميد بن زنجويه، نا أبو نعيم مثل رواية أحمد وقال: «هذا حديث حسن غريب».
وقال البوصيري في «الزوائد» (٣/ ١٨٧): «رجاله ثقات»، وقال الهيثمي (٧/ ١٥٩): «رجاله رجال =

أبيه؛ قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».

قال: ثم سكت ساعة، ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غماماتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف؛ وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بِمَ كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها؛ فهو في صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلاً».

وروى ابن ماجه، من حديث بشير بن المهاجر بعضه. وهذا إسناد (حسن)(١) على شرط مسلم؛ (٢)[فإن بشيراً هذا (أخرج)(٣) له مسلم](٢)، ووثقه ابن معين. وقال النسائي: ما به بأس، إلا أن الإمام أحمد قال فيه: «هو منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي (تجيء)(٤) بالعجب».

وقال البخاري: «يخالف في بعض حديثه». وقال أبو حاتم الرازي: «يكتب حديثه ولا يحتج به».

وقال ابن عدي: «روى ما لا يتابع عليه». وقال الدارقطني: «ليس بالقوى».

قلت: ولكن لبعضه(٥) شواهد؛ فمن ذلك حديث أبي أُمامة الباهلي: قال الإمام أحمد(٦):

= الصحيح»، وقال السيوطي في «اللآلئ» (١/ ٢٤٤): «سنده صحيح».

(١) كذا في سائر «الأصول»، ووقع في (ل): «جيد».

(٢) ساقط من (ض).

(٣) في (ن): «خرج» ولم يرو مسلم لبشير بن المهاجر غير حديث واحد في «كتاب الحدود» (١٦٩٥/ ٢٣) عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه في رجم الغامدية، وفي سياقه مخالفة لما رواه سليمان بن بريدة عن أبيه. وضبط محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «بشيراً» بضم الباء وهو خطأ، والصواب فتحها. والله أعلم.

(٤) في (ن): «تأتي». وفي «تهذيب الكمال» (٤/ ١٧٧): «فإذا هو يجيء بالعجب».

(٥) يعني: لأوله، أما آخره فلم يأت له المصنف بشاهد.

(٦) في «مسنده» (٥/ ٢٤٩).

وأخرجه أيضاً في (٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧)؛ وحميد بن زنجويه في «فضائل القرآن»، كما في «الدر المنثور» (١/ ١٨)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٥٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٨/رقم ٧٥٤٢، ٧٥٤٣)؛ وابن الضريس (٩٨)؛ والحاكم (١/ ٥٦٤)؛ والروياني في «مسنده» (ج٣٠/ق ٢١٨/ ٢، ٢٢٠/ ٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٢٧)؛ والفلاكي في «الفوائد» (ق/ ١١٠/ ١) من طرق عن يحيى بن أبي كثير بسنده سواء.

ورواه عن يحيى: «أبان بن يزيد، وعلي بن المبارك، وسعيد بن أبي هلال، وهشام الدستوائي».

وخالفهم معمر بن راشد، فرواه عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي أمامة مرفوعاً مثله؛ أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٨/ رقم ٨١١٨) من طريق عبد الرزاق وهو في «مصنفه» (ج٣/ رقم ٥٩٩١)، ويحتمل أن يكون ليحيى بن أبي كثير شيخان فيه. والله أعلم.

وأخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (٩٢) من طريق عطاء بن عجلان عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة مرفوعاً بطوله.

حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا هشام، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام، عن أبي أُمامة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه شافع (لأصحابه)[١] يوم القيامة، اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غماماتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن (أهلهما)[٢]. ثم قال: اقرءوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».

وقد رواه مسلم[٣] في «الصلاة» من حديث معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن جده [أبي سلام ممطور الحبشي، عن أبي أُمامة صدي بن عجلان الباهلي، به. الزهراوان: المنيرتان][٤]. والغياية: ما أظلك من فوقك. والفرق: القطعة من الشيء. والصواف: المصطفة المتضامة. والبطلة: السحرة. ومعنى لا تستطيعها؛ أي: لا يمكنهم حفظها. وقيل لا تستطيع النفوذ في قارئها. والله أعلم.

ومن ذلك: حديث النواس بن سمعان، قال الإمام أحمد[٥]: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، عن الوليد بن عبد الرحمٰن الجرشي، عن جبير بن نفير؛ قال: سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران». وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد؛ قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما (شرق)[٦] أو كأنهما فرقان من طير (صواف)[٧] يحاجان عن صاحبهما».

ورواه مسلم، عن إسحاق بن منصور، عن يزيد بن عبد ربه، به.

والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمٰن الجرشي، به. وقال: «حسن غريب»[٨].

---

(١) في (ن): «لأهله» وفي (هـ): «لصاحبه» بالإفراد.

(٢) في (ل) و(ن): «أهلهما يوم القيامة» وهذه الزيادة ليست في «المسند» أيضاً.

(٣) في «صحيحه» (٨٠٤/ ٢٥٢).
وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦)؛ والحاكم (٢/ ٢٨٧).
ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٢١٥٦)؛ وفي «الكبرى» (٢/ ٣٩٥)؛ وفي «الصغرى» (٩٥٦)؛ وفي «الأسماء» (٢/ ٢١٤)؛ والطبراني في «الكبير» (٧٥٤٤) وفي «الأوسط» (٤٦٨)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج٦/ ق٦٢٨)؛ والجورقاني في «الأباطيل» (٦٧٨) من طرق عن معاوية بن سلام بسنده سواء. وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن زيد إلا معاوية بن سلام».

(٤) ساقط من (ج). (٥) في «مسنده» (٤/ ١٨٣).
وأخرجه مسلم (٨٠٥/ ٢٥٣)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ١٤٧، ١٤٨)؛ والترمذي (٢٨٨٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢١٥٧) من طريق الوليد بن عبد الرحمٰن بسنده سواء.

(٦) في (ك): «شرف» بالفاء! والشرق، بسكون الراء: الضوء كما في «النهاية» (٢/ ٤٦٤).

(٧) في (ج): «صاف».

(٨) ووقع في مطبوعة «السنن»: «غريب» وهي كثيرة السقط والتصحيف.
وقال الترمذي عقب الحديث: «ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيئ ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيئ ثواب قراءة القرآن، وفي حديث النواس عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا، إذ قال النبي ﷺ: «وأهله الذين يعملون به في الدنيا» ففي هذا دلالة أنه يجئ ثواب العمل».

وقال أبو عبيد[١]: حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن عبد الملك بن عمير؛ قال: قال حماد: أحسبه عن أبي منيب، عن عمه ـ أن رجلاً قرأ البقرة وآل عمران، فلما قضى صلاته قال له كعب: أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال: نعم. قال: فوالذي نفسي بيده، إن فيهما اسم الله الذي إذا دعي به (استجاب)[٢].

قال: فأخبرني به. قال: لا، والله لا أخبرك به، ولو أخبرتك به لأوشكت أن تدعوه بدعوة أهلكُ فيها أنا وأنت.

وحدثنا[٣] عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر ـ أنه سمع أبا أُمامة يقول: إن أخاً لكم أُرى في المنام أن الناس يسلكون في صدع جبل وعر طويل، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان: هل فيكم (من)[٤] يقرأ سورة البقرة؟ وهل فيكم (من)[٢] يقرأ سورة آل عمران؟ قال: فإذا قال الرجل نعم دنتا منه بأعذاقهما حتى يتعلق بهما فتخطران به الجبل.

وحدثنا[٥] عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن أبي عمران ـ أنه سمع أم الدرداء ـ تقول: إن رجلاً ممن قرأ القرآن أغار على جار له فقتله، وإنه أُقيد (منه)[٦] فقتل؛ فما زال القرآن ينسل منه سورةً سورةً حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة؛ ثم إن آل عمران انسلت منه وأقامت البقرة جمعة؛ فقيل لها: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق] قال: فخرجت كأنها السحابة العظيمة.

قال أبو عبيد: أراه يعني أنهما كانتا معه في قبره تدفعان عنه وتؤنسانه، فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن.

وقال أيضاً[٧]: حدثنا (أبو مسهر)[٨] الغساني، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي ـ أن يزيد بن الأسود الجرشي كان يحدث أنه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى يمسي، ومن قرأهما في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح. قال: فكان يقرؤهما كل يوم وليلة سوى جزئه.

---

(١) في «فضائل القرآن» (ص١٢٦).
وأخرجه ابن الضريس (١٧٠) قال: أخبرنا علي بن عثمان، ثنا حماد بسنده سواء.
وأخرجه أيضاً (١٦٩) عن موسى بن إسماعيل، ثنا حماد، عن عبد الملك بن عمير، عن رجل أن رجلاً قام فقرأ البقرة وآل عمران وكعب جالس. وساقه مثله.
(٢) كذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «فضائل أبي عبيد». ووقع في (ج): «أجاب».
(٣) أخرجه أبو عبيد (ص١٢٦)؛ والدارمي (٢/ ٣٢٤) قالا: حدثنا عبد الله بن صالح بسنده سواء وسنده جيد.
(٤) في (ن): «قارئ».
(٥) أخرجه أبو عبيد (ص١٢٦، ١٢٧) وسنده حسن. وأبو عمران الأنصاري مختلف في اسمه، وثقه ابن حبان وقال أبو حاتم: «صالح».
(٦) في (ز) و(ن): «به».
(٧) يعني أبا عبيد في «فضائله» (ص١٢٧) ولم يعزه السيوطي في «الدر» (١/ ١٩) لغيره ورجاله ثقات، لكنه منقطع فيما يظهر لي بين سعيد بن عبد العزيز ويزيد بن الأسود.
(٨) في (ن): «أبو سمير».

وحدثنا(١) يزيد عن (وقاء)(٢) بن إياس، عن سعيد بن جبير؛ قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان ـ أو كتب ـ من القانتين.

فيه انقطاع، ولكن ثبت في «الصحيحين»(٣) أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعة واحدة.

ذكر ما ورد في فضل السبع الطول:

قال أبو عبيد(٤): حدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي، عن محمد بن شعيب، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع، عن النبي ﷺ؛ قال: «أعطيت السبع الطِّوَل مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل».

هذا حديث غريب(٥). وسعيد بن بشير فيه لين.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص١٢٧).
وأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٤٨٥) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٢٠١) من طريق مروان بن معاوية قال: نا وقاء بن إياس الأسدي، قال: سمعني سعيد بن جبير ليلة وأنا أقرأ البقرة وآل عمران والنساء، قال: ألم أسمعك قرأت البارحة البقرة والنساء وآل عمران؟ قلت: بلى قال: فلا تفعل، عليك بآل حم والمفصل، فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: من قرأ البقرة والنساء وآل عمران كتب عند الله من الحكماء.
وسنده ضعيف ومنقطع. ووقاء بن إياس مشاه أبو حاتم وابن عدي وضعفه يحيى القطان وأحمد والنسائي والساجي وغيرهم. وسعيد بن جبير لم يدرك عمر. والله أعلم واختصر البيهقي المحاورة التي بين وقاء وسعيد بن جبير.

(٢) كذا في (ع) و(ن) و(هـ) و(ي) ووقع في (ح) و(ز) و(ك) و(ل): «ورقاء» وهو خطأ.

(٣) كذا قال! وعزوه للبخاري وهم، فقد انفرد به مسلم، وتقدم تخريجه، ولله الحمد.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص١٢٠).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٧/رقم ١٨٧) من طريق هشام بن عمار، ثنا محمد بن شعيب بن شابور بسنده سواء؛ وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢٢٥٦) من طريقين آخرين عن سعيد بن بشير بسنده سواء.
وهذا سند واهٍ، وسعيد بن بشير واه في قتادة، ومن ثم استغربه المصنف وكان الأولى أن يورد رواية عمران بن داور القطان، عن قتادة بسنده مثله، فإنها أقوى من رواية سعيد بن بشير. ورواية عمران هذه أخرجها أحمد (٤/١٠٧)؛ وابن حرير في «تفسيره» (١٢٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ١٥٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢١٩٢)؛ وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٥٥٧) من طريق الطيالسي، وهو في «مسنده» (١٠١٢) قال: حدثنا عمران بن داور فذكره. وتوبع الطيالسي.
تابعه عمرو بن مرزوق، قال: أخبرنا عمران بن داور بسنده سواء.
أخرجه الطبراني في «الكسر» (ج٢٢/رقم ١٨٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٢٥٥).
وصحح إسناده الشيخ العلامة أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ١٠٠) وفيه تساهل، لأن عمران بن داور مختلف فيه فقد ضعفه ابن معين والنسائي وأبو داود والعقيلي وغيرهم ووثقه ابن حبان ومشاه أحمد وابن عدي وغيرهما.
وعزاه شيخنا أبو عبد الرحمٰن الألباني، حفظه الله، في «الصحيحة» (١٤٨٠)؛ لابن منده في «المعرفة» (٢/ ٢٠٦/ ٢) وقال: «وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمران القطان فهو حسن الحديث للخلاف المعروف فيه».

(٥) تعقبه الشيخ أبو الأشبال رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ١٠٠) بقوله: «وهو تعليل غير محرر! فإن سعيد بن بشير لم يتفرد به كما هو ظاهر».اهـ.

وقد رواه أبو عبيد[(١)] عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن سعيد بن أبي هلال؛ قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: . . . فذكره. والله أعلم.

ثم قال[(٢)]: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن حبيب بن هند الأسلمي، عن عروة، عن عائشة ﵂، عن النبي ﷺ؛ قال: «من أخذ السبع فهو حبر».

وهذا أيضاً غريب. وحبيب بن هند بن أسماء بن (هند)[(٣)] بن حارثة الأسلمي. وروى عنه عمرو بن (أبي)[(٤)] عمرو، وعبد الله بن أبي بكرة، وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحاً. فالله أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد، عن سليمان بن داود، وحسين؛ كلاهما عن إسماعيل بن جعفر، به.

ورواه أيضاً عن أبي سعيد، عن سليمان بن بلال، عن حبيب بن هند، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر».

قال أحمد[(٥)]: وحدثنا حسين، حدثنا ابن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ (مثله)[(٦)] قال عبد الله بن أحمد: وهذا أرى فيه: «عن أبيه عن الأعرج»، ولكن كذا كان في الكتاب، فلا أدري أغفله أبي أو كذا هو مرسل؟

[(٧)][وروى الترمذي[(٨)]، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وهم ذوو عدد وقدَّم عليهم أحدثهم سنّاً لحفظه سورة البقرة؛ وقال له: «اذهب فأنت أميرهم». وصححه الترمذي][(٧)].

---

(١) في «فضائل القرآن» (ص١٢٠) وقال عقبه: قال عبد الله؛ يعني: ابن صالح، لم يحفظ الليث عن سعيد إلا أحاديث، هذا أحدها. اهـ وسنده ضعيف معضل. والله أعلم.

(٢) يعني: أبا عبيد في «الفضائل» (ص١٢٠).
وأخرجه أحمد (٦/ ٧٢، ٧٣)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٢٠)؛ والحاكم (١/ ٥٦٤)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ١٥٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢١٩١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٦٨) من طريق إسماعيل بن جعفر بسنده سواء.
قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي!
ووقع عند الحاكم والبغوي: «خير» بالخاء المعجمة والياء بدل «حبر» بالمهملة والموحدة.
وتوبع إسماعيل بن جعفر. تابعه اثنان ممن وقفت عليهما.
أولهما: عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو.
أخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (٦٥)؛ والبزار في «مسنده» (ج٣/ رقم ٢٣٢٧)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢/ ١٥٣، ١٥٤)؛ والبغوي (٤/ ٤٦٨).
ثانيهما: سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو.
أخرجه أحمد (٦/ ٨٢)؛ والخطيب في «تاريخه» (١٠/ ١٠٨)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١٤٩).
قلت: وهذا سند ضعيف وحبيب بن هند ترجمه البخاري في «الكبير» (١/ ٢/ ٣٢٧)؛ وابن أبي حاتم (١/ ٢/ ١١٠) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» وهو مجهول الحال، ولا أعلم أحداً تابعه عليه. والله أعلم.

(٣) في (ن): «هندب»!
(٤) ساقط من (ن).
(٥) في «المسند» (٦/ ٧٣).
(٦) ساقط من (ج) و(ل).
(٧) ساقط من (ز) و(ض).
(٨) مرّ تخريجه في أول السورة.

ثم قال أبو عبيد[١]: حدثنا هشيم، أنبأنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] قال: هي السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. قال: وقال مجاهد: هي السبع الطول. وهكذا قال مكحول، وعطية بن قيس، وأبو محمد (الفارسي)[٢]، وشداد بن أوس، ويحيى بن الحارث الذماري في تفسير الآية بذلك وفي تعدادها وأن يونس هي السابعة.

فصل

والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف؛ [٣][وهي من أوائل ما نزل بها، لكن قوله تعالى فيها: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٨١] يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن. ويحتمل أن تكون منها؛ وكذلك آيات الربا من (أواخر)[٤] ما نزل؛ وكان خالد بن معدان يسمى البقرة فسطاط القرآن][٣].

قال بعض العلماء: وهي مشتملة على ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي.

وقال العادون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات. وكلماتها ستة آلاف كلمة (ومائة)[٥] وإحدى وعشرون كلمةً. وحروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة ـ حرف فالله أعلم.

قال ابن جريج[٦]، عن عطاء، عن ابن عباس: نزلت بالمدينة سورة البقرة.

وقال خصيف[٧]، عن مجاهد، عن عبد الله بن الزبير؛ قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة.

وقال الواقدي[٨]: حدثني الضحاك بن عثمان، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه؛ قال: نزلت البقرة بالمدينة. وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين؛ ولا خلاف فيه.

وقال ابن مردويه[٩]: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا الحسن بن علي بن الوليد

---

(١) في «الفضائل» (ص١٢٠).
وأخرجه ابن جرير (٤/ ٥٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢١٩٥) من طريق سعيد بن منصور، وهذا في «تفسيره» (ق١٤٦/ ١) قال: حدثنا هشيم فذكره ووقع عند سعيد مختصراً جداً وعزاه السيوطي في «الدر» (٤/ ١٠٥)؛ لابن الضريس وابن المنذر وابن أبي حاتم. ويأتي تخريجه في سورة الحجر إن شاء الله تعالى.

(٢) كذا في (ز) و(ك) و(ن) ووقع في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ى): «القاري».

(٣) ساقط من (ز). (٤) في (ن): «آخر».

(٥) في (ن): «مائتان».

(٦) أخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (١٨) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وعزاه في «الدر» (١/ ١٧) لأبي جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ»؛ وابن مردويه؛ والبيهقي في «الدلائل» من طرق عن ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (١/ ١٧).

(٨) والواقدي متروك.

(٩) في «تفسيره»، كما في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٣٩)؛ وأخرجه ابن الضريس، كما في «الدر المنثور» (١/ ١٨)؛ والطبراني في «الأوسط» (ج٢/ ق٥٢/ ٢)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤١٨)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/ رقم ٢٣٤٦)؛ وابن قانع في «فوائده»، كما في «الفتح» (٩/ ٨٨)، وعنه ابن الجوزي في =

(الفارسي)[١]، حدثنا خلف بن هشام؛ وحدثنا (عُبيس)[٢] بن ميمون، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، وكذا القرآن كله؛ ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران؛ وكذا القرآن كله».

هذا حديث غريب لا يصح رفعه (عبيس)[٣] بن ميمون هذا (هو)[٤] (أبو)[٥] سلمة الخواص، وهو ضعيف الرواية لا يحتج به.

وقد ثبت في («الصحيح»)[٦]، عن ابن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي، فجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه؛ ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة. أخرجاه.

وروى ابن مردويه[٧] ....

= «الموضوعات» (١/ ٢٥٠) من طريق عبيس بن ميمون، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه مرفوعاً.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن موسى بن أنس إلا عبيس بن ميمون، تفرد به خلف بن هشام، ولا يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد».
(*) **قلت**: أما قول الطبراني: تفرد به خلف، فليس كذلك فتابعه جعفر بن عبد الله بن الزبرقان، حدثني أبو عبيدة عبيس الخزاز فذكره. أخرجه البيهقي في «الشعب».
وهذا حديث منكر، قال البيهقي: «عبيس بن ميمون منكر الحديث، وهو لا يصح وإنما يروى فيه عن ابن عمر من قوله».
ونقل العقيلي عن عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: «هذا منكر» وكذلك نقل ابن الجوزي عن أحمد. ونقل السيوطي في «اللآلئ» (١/ ٢٣٩) عن الحافظ ابن حجر أنه انتقد ابن الجوزي في إيراده الحديث في «الموضوعات»، فقال في «الأمالي»: «أفرط ابن الجوزي في إيراد هذا الحديث في «الموضوعات»، ولم يذكر مستنده، إلا قول أحمد وتضعيف عبيس، وهذا لا يقتضي وضع الحديث، وقد قال الفلاس في عبيس: هو صدوق يخطئ كثيراً». اهـ ولذلك ضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٨) وسبقه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٨٨).
والصواب في هذا الحديث الوقف، فقد أخرج البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٣٤٧) بسند صحيح عن ابن عمر قال: «لا تقولوا سورة البقرة، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة» وكأن الحجاج بن يوسف الثقفي تلقى هذا عن ابن عمر، فكان ينهى أن يقال: «سورة كذا» كما يأتي ذكره قريباً إن شاء الله تعالى.

(١) ساقط من (ز).
(٢) تصحف في «الأصول» إلى «عيسى».
(٣) تصحف في «الأصول» إلى «عيسى».
(٤) ساقط من (ج).
(٥) في (ز): «ابن»!!
(٦) في (ز): «الصحيحين» وهو فيهما وقد مرّ تخريجه.
(٧) وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (ج٦/رقم ٣٦٠٦)؛ والطبراني في «الأوسط» (٢٧٥٨) من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا عمرو بن عاصم، ثنا أبو العوام عمران القطان، عن معمر، عن الزهري، عن أنس قال: لما كان يوم حنين، انهزم الناس عن رسول الله ﷺ إلا العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث، وأمر رسول الله ﷺ أن ينادي: يا أصحاب سورة البقرة، يا معشر الأنصار!، ثم استحر النداء في بني الحارث بن الخزرج، فلما سمعوا النداء أقبلوا، فوالله ما شبهتهم إلا بالإبل تحن إلى أولادها، فلما التقوا التحم القتال فقال رسول الله ﷺ: «الآن حمي الوطيس» وأخذ كفاً من حصًى أبيض، فرمى به وقال: «هزموا ورب الكعبة» وكان علي بن أبي طالب ﷺ يومئذٍ أشد الناس قتالاً بين يديه.
قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٨١): «رجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داور القطان وهو أبو العوام وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره»، وحسنه محقق مسند «أبي يعلى» ولم يصب لأنه معل، فقد =

من حديث شعبة، عن عقيل بن طلحة، عن عتبة بن (فرقد)[١] قال: رأى النبي ﷺ في أصحابه تأخراً، فقال: «يا أصحاب سورة البقرة». وأظن هذا كان يوم حنين (حين)[٢] ولّوا مدبرين أمر العباس، فناداهم: [٣]["يا أصحاب الشجرة»؛ يعني: أهل بيعة الرضوان. وفي رواية][٣]: «يا أصحاب (سورة)[٤] البقرة» (ينشطهم)[٥] بذلك؛ فجعلوا يقبلون من كل وجه. وكذلك يوم اليمامة[٦] مع أصحاب مسيلمة جعل الصحابة يفرون لكثافة (جيش)[٧] بني حنيفة؛ فجعل المهاجرون والأنصار يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، حتى فتح الله عليهم، رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم


﴿الٓمٓ ①﴾.

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور؛ فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها [٨][حكاه القرطبي في «تفسيره»[٩]، عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود ﷺ (أجمعين)[١٠]؛ وقاله عامر الشعبي، وسفيان الثوري، والربيع بن خثيم. واختاره أبو حاتم بن حبان][٨]. ومنهم من فسرها؛ واختلف هؤلاء في معناها؛ فقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: إنما هي أسماء السور [٨][قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في «تفسيره»[١١]: وعليه إطباق الأكثر، ونقل عن سيبويه أنه نص عليه][٨].

ويعتضد (هذا)[١٢] بما ورد في «الصحيحين»[١٣] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ①﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

= خولف عمران القطان، خالفه عبد الرزاق، فرواه في «مصنفه» (ج٥/رقم ٩٧٤١) عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن أبيه العباس قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فساقه مطولاً. وليس فيه: «يا أصحاب سورة البقرة».
ومن طريق عبد الرزاق: أخرجه مسلم (١٢/ ١١٧ ـ شرح النووي)؛ وأحمد (١٧٧٥) وأبو عوانة (٤/ ٢٠١ - ٢٠٣) وتابعه ابن المبارك، ومحمد بن ثور، ومحمد بن حميد العبدي جميعاً عن معمر عن الزهري بسنده سواء.

(١) وقع في (ج) و(ل) و(ن): «مرثد». وفي (ع) و(هـ) و(ي): «مزيد» ووقع في (ز) و(ك): «مربد» وكله خطأ، والصواب أنه: «عتبة بن فرقد»، وانظر لذلك «الإصابة» (٤/ ٤٣٩) للحافظ ابن حجر رحمه الله.

(٢) في (ن): «يوم».

(٣) ساقط من (ج).

(٤) ساقط من (ز) و(ك) و(ل).

(٥) في (ز) و(ن): «لينشطهم».

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٥/رقم ٩٤٦٥) عن معمر. وابن أبي شيبة (١٢/ ٥٠٣)، عن وكيع وسعيد بن منصور في «سننه» (ج٢/رقم ٢٩٠٨) عن يعقوب بن عبد الرحمٰن ثلاثتهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان شعار المسلمين يوم مسيلمة: يا أصحاب سورة البقرة. وهو مرسل.

(٧) في (ز): «حشر».

(٨) ساقط من (ز).

(٩) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ١٥٤).

(١٠) زيادة من (ن).

(١١) في «الكشاف» (١/ ١٠).

(١٢) في (ن): «لهذا».

(١٣) أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٧، ٥٥٢)؛ ومسلم (٨٨٠/ ٦٥، ٦٦) وتقدم تخريجه.

وقال سفيان[(١)] الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾ و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ و﴿صٓۚ﴾ فواتح افتتح الله بها القرآن. وكذا قال غيره[(٢)] عن مجاهد.

وقال مجاهد[(٣)] ـ في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عنه أنه قال ـ: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ اسم من أسماء القرآن.

وهكذا قال قتادة[(٤)]، وزيد بن أسلم[(٥)]: ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمٰن[(٥)] بن زيد (بن أسلم)[(٦)]: إنه اسم من أسماء السور؛ فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن، فإنه يبعد أن يكون ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ اسماً للقرآن كله؛ لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول: قرأت ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ أنما ذلك عبارة (عن)[(٧)] سورة الأعراف لا لمجموع القرآن. والله أعلم.

وقيل: هي اسم من أسماء الله تعالى؛ (قال)[(٨)] الشعبي[(٩)]: فواتح السور من أسماء الله (تعالى)[(١٠)] وكذلك قال سالم بن عبد الله، وإسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي[(١١)] الكبير.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣٠) بسند قوي. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٣)؛ لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) كابن جريج. أخرجه ابن جرير (٢٣١)؛ وابن أبي حاتم (٥١) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله وصرح ابن جريج بالتحديث عند ابن أبي حاتم؛ وأخرجه ابن جرير (٢٢٨) عن عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي، عن ابن جريج.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢٦) قال: حدثني المثنى بن إبراهيم الآملي، ثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود به وشيخ ابن جرير: المثنى لم أجد له ترجمة، ولم يزد الشيخ أبو الأشبال رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ١٧٦) إلا أن قال: «يروى عنه الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ»، وقد راجعت «التاريخ» و«تهذيب الآثار» فلم يتكلم المحققون عليه بشيء، ثم وقفت له على متابع والحمد لله. فتابعه أبو حاتم الرازي قال: ثنا أبو حذيفة بسنده سواء. أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠).
وأبو حذيفة مختلف فيه، وهو جيد الحديث إلا عن الثوري، وشيخه هنا؛ هو شبل بن عباد المكي وبقية رجال السند معروفون، فالإسناد حسن والله أعلم. ثم رأيت في «كتاب الإرشاد» (ص٣٩٣) لأبي يعلى الخليلي أنه قال: «وتفسير ابن عباد المكي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: قريب من الصحة». اهـ.
فالحمد لله على التوفيق.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٩) ومن طريقه ابن جرير (٢٢٥) عن معمر، عن قتادة.
وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٢)؛ لابن أبي حاتم وعبد بن حميد، أما ابن أبي حاتم فلم يروه، إنما أشار إلى القول فقط.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣٢).

(٦) زيادة من (ن).

(٧) ساقط من (ز).

(٨) في (ز) و(ن): «فقال».

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في «تفسيره»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، كما في «الدر» (١/ ٢٢). [أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي شيبة عن سويد بن عمرو، عن أبي عوانة، عن إسماعيل بن سالم عن عامر الشعبي].

(١٠) من (ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي).

(١١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٦٥) من طريق محمد بن سليمان الباغندي الكبير، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن السدي. وسنده جيد. وعزاه السيوطي في «الدرر» (١/ ٢٢) لأبي الشيخ.

وقال شعبة، عن السدي: بلغني أن ابن عباس قال: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ اسم من أسماء الله (تعالى)[(١)] الأعظم؛ هكذا رواه ابن أبي حاتم[(٢)]، من حديث شعبة.

ورواه ابن جرير[(٣)]، عن بندار، عن ابن مهدي، عن شعبة؛ قال: سألت السدي عن ﴿حمٓ ۝١﴾ [غافر] و﴿طسٓ﴾ [النمل: ١] و﴿الٓمٓ ۝١﴾ فقال: قال ابن عباس: هي اسم الله الأعظم.

وقال ابن جرير[(٤)]: وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو النعمان، حدثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن مرة الهمداني؛ قال: قال عبد الله... فذكر نحوه.

[(٥)][وحكى مثله عن علي، وابن عباس][(٥)].

وقال علي بن أبي طلحة[(٦)]، عن ابن عباس: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى.

---

(١) زيادة من (ج) و(ل) و(هـ).

(٢) في «تفسيره» (٤٤) من طريق يحيى بن عباد، عن شعبة. [وسنده ضعيف لأن السدي رواه بلاغاً].

(٣) في «تفسيره» (٢٣٣) قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن شعبة. فقول ابن كثير: «رواه ابن جرير عن بندار» سبق قلم، و«بندار» لقب لمحمد بن بشار، وهو من شيوخ الطبري أيضاً، وإنما رواه الطبري عن محمد بن المثنى، لا عن محمد بن بشار إلا أن يكون التصحيف وقع في «تفسير الطبري» والله أعلم، ثم ابن مهدي أثبت في شعبة من يحيى بن عباد الضبعي، ولكن رواية ابن مهدي تؤول إلى رواية يحيى بن عباد، فإنه يبعد سماع السدي من ابن عباس، إنما يروى عنه بواسطة، وليس له عن ابن عباس في الكتب الستة ولا في مسند أحمد غير حديث واحد رواه أبو داود (٣٠٤١) في «كتاب الخراج»، فعلق عليه المنذري في «تهذيب سنن أبي داود» (٤/ ٢٥١) بقوله: «في سماع السدي من عبد الله بن عباس نظر، وإنما قيل: إنه رآه، ورأى ابن عمر، وسمع من أنس بن مالك ﷺ».اهـ.

(٤) في «تفسيره» (٢٣٤).

(٥) ساقط من (ز).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣٦) من طريق أبي صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة وهذه الصحيفة عن ابن عباس، والتي يرويها علي بن أبي طلحة في ثبوتها اختلاف بين أهل العلم، لأنهم أجمعوا على أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، ولم يره. صرح بذلك دحيم وأبو حاتم الرازي، كما في «المراسيل» (ص١٤٠)؛ وابن معين، كما في سؤالات يزيد بن الهيثم، رقم (٢٦٠)؛ وابن حبان في «الثقات» (٧/ ٢١١)؛ والخطيب في «الموضح» (١/ ٣٥٥)، ونقل الإجماع أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (ص٣٩٤) وتبعهم في ذلك الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٤، ١٥)؛ والشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ٥٢٧، ٥٢٨؛ و٣/ ٢٢٣ و٧/ ٥٣٨)، وشيخنا الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٥).

بينما يقول السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٥): «وطريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من أصح الطرق عنه». وعليها اعتمد البخاري في «صحيحه».اهـ. وأومأ الحافظ ابن حجر إلى ثبوتها فقال في «الفتح» (٨/ ٤٣٨، ٤٣٩): «وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهي عند البخاري، عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في «صحيحه» فيما يعلقه عن ابن عباس». وقد أسند أبو جعفر النحاس في «معاني القرآن» عن أحمد بن حنبل قال: «إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً، ما كان كثيراً» وليس قول أحمد صريحاً في ثبوتها، ما فيها إلا الإيماء، وإنما صححها من قبلها من العلماء على اعتبار أن علياً يرويها عن مجاهد، فقد ذكر المزي في «التهذيب» (٢٠/ ٤٩٠) رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم قال: «مرسل بينهما مجاهد»، ولو ثبت عندنا أن الواسطة مجاهد لحكمنا بقوة هذا الإسناد، وقال السيوطي =

وروى ابن أبي حاتم، وابن جرير[(١)]، من حديث ابن عُلية، عن خالد الحذاء، عن عكرمة ـ أنه قال: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ قسمٌ.

ورَويا[(٢)] أيضاً من حديث شريك بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ قال: أنا الله أعلم. وكذا قال سعيد بن جبير[(٣)].

وقال السدي[(٤)]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿الٓمٓ ۝١﴾ قال: أما ﴿الٓمٓ ۝١﴾ فهي حروف استفتحت من حروف هجاء (اسم)[(٥)] الله تعالى.

وقال أبو جعفر[(٦)] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية ـ في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ ـ قال: هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفاً: دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم.

قال عيسى بن مريم ﷺ، وعجب؛ فقال: وأعجب أنهم ينطقون بأسمائه، ويعيشون في رزقه، فكيف يكفرون به؟ فالألف مفتاح (اسمه)[(٧)] «الله»، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد، فالألف آلاء الله، واللام لطف الله، والميم مجد الله، والألف سنة، واللام (ثلاثون)[(٨)]

= في «الإتقان» (٤/ ٢٠٧): «وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير، قال ابن حجر: بعد أن عرفت الواسطة، وهو ثقة، فلا ضير من ذلك».اهـ. وقد علقها البخاري بصيغة الجزم عن ابن عباس، ولم يمرض الصيغة إلا في موضعين (٨/ ٢٤٥، ٥٦٣) ومرضها أيضاً في موضعين آخرين (٨/ ٦٨٥، ٧١١) من طريق آخر عن ابن عباس، وفي النفس غصة من تجويد هذا الإسناد، ولم أقف على قائل هذا القول: أن الواسطة بين ابن أبي طلحة وابن عباس هو مجاهد أو سعيد بن جبير، ولا على دليله على ذلك، ولقد مررت على كثير من كتب الحديث فلم أر لعلي بن أبي طلحة عن مجاهد إلا الحرف بعد الحرف، ولو سلمنا أنه روى عن مجاهد هذه الصحيفة، وهي طويلة، فما المصلحة من إسقاطه، وجعل السند منقطعاً؟ والذي يترجح عندي هو ضعف هذا الإسناد والله أعلم. [يمكن الوقوف على ذكر الواسطة بأنه مجاهد في مقدمة التفسير الصحيح فقد صرح النسائي في تفسيره وابن زنجويه في الأموال].

(١) في «تفسيره» (٥٢) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج. وابن جرير (٢٣٧) قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم كلاهما قال: ثنا ابن علية بسنده سواء. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣)؛ وابن جرير (٢٣٨)؛ والنحاس في «القطع والائتناف» (ص١٩١)؛ والبيهقي في «الصفات» (١/ ١٦٤) وسنده ضعيف، لضعف شريك النخعي، واختلاط عطاء بن السائب.
وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٢) لوكيع، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣٩) وسنده ضعيف كسابقه.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤٠)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٦٥) وسنده حسن.

(٥) في (ز) و(ن): «أسماء». [وسنده ضعيف لأن السدي خلط بين الأسانيد].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩). وهو عند ابن جرير (٢٤٣، ٢٤٤) من وجهين آخرين عن أبي جعفر الرازي لكنه جعله من قول الربيع بن أنس حسب. [وسنده جيد].

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ي) ووقع في (ز) و(ك) و(ن): «اسم».

(٨) ساقط من (ج).

سنة، والميم أربعون (سنة)[١].

هذا لفظ ابن أبي حاتم. ونحوه رواه ابن جرير؛ ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال، ويوفق بينها، وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر، وأن الجمع ممكن؛ فهي أسماء للسور، ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور؛ فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته؛ كما افتتح سوراً كثيرةً بتحميده وتسبيحه وتعظيمه؛ قال: ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله، وعلى صفة من صفاته، وعلى مدة؛ وغير ذلك؛ كما ذكره الربيع بن أنس، عن أبي العالية؛ لأن الكلمة الواحدة تطلق على (معان)[٢] كثيرة؛ كلفظة «الأمة»؛ فإنها تطلق ويراد به الدين؛ كقوله (تعالى)[٣]: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله؛ كقوله (تعالى)[٢]: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل] وتطلق ويراد بها الجماعة؛ كقوله (تعالى)[٢]: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣] وقوله (تعالى)[٢]: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] وتطلق ويراد بها الحين من الدهر؛ كقوله (تعالى)[٢]: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي: بعد حين، على أصح القولين ـ قال: فكذلك هذا.

هذا حاصل كلامه موجهاً؛ ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية؛ فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معاً، (ولفظ)[٤] «الأمة» وما (أشبهه)[٥] من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دلَّ في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام، فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول، ليس هذا موضع البحث فيها. والله أعلم.

ثم إن (لفظ)[٦] «الأمة» يدل على كل من (معانيه)[٧] في سياق الكلام بدلالة الوضع، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره؛ فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف.

والمسألة مختلف فيها، وليس فيها إجماع حتى يحكم به، وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا؛ كما قال الشاعر[٨]:

قلنا لها قفي لنا فقالت قاف ... لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

تعني: وقفت.

---

(١) ساقط من (ز). (٢) في (ج): «معاني» بإثبات الياء.

(٣) من (ن).

(٤) كذا في (هـ) وفي سائر «الأصول»: «لفظة» وقد اخترت ما في (هـ) لأن المصنف سيكررها.

(٥) كذا في سائر «الأصول»، وفي (ز) و(ن): «أشبهها».

(٦) في (ك) و(ن): «لفظة». (٧) كذا في سائر «الأصول»، وفي (ن): «معانيها».

(٨) هذا الرجز للوليد بن عقبة كما ذكر الشيخ محمود شاكر في تحقيقه «الطبري» (١/ ٢١٢). والإيجاف: حث الدابة على سرعة السير.

وقال الآخر[(١)]:

مــا لــلــظــلــيــم عــال؟ كــيــف لا يــا يــنــقــد عــنــه جــلــده إذا يــا

فقال ابن جرير: كأنه أراد أن يقول: إذا يفعل كذا وكذا، فاكتفى بالياء من يفعل.

وقال الآخر[(١)]:

بــالــخــيــر خــيــرات وإن شــرّاً فــا ولا أريــد الــشــر إلا أن تــا

يقول: وإن شراً فشر، ولا أريد الشر إلا أن تشاء، فاكتفى بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتهما، ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام. والله أعلم.

[(٢)][قال القرطبي[(٣)]: وفي الحديث[(٤)]: «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة...» الحديث، قال (سفيان)[(٥)]: هو أن يقول في «أقتل» «أق»][(٢)].

وقال خصيف[(٦)]، عن مجاهد: إنه قال: فواتح السور كلها: ﴿قٓ﴾ و﴿صٓ﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾ و﴿طسٓمٓ ۝١﴾ و﴿الٓرٰ﴾ وغير ذلك، هجاء موضوع.

وقال بعض أهل العربية: هي حروف من حروف المعجم، استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفاً؛ كما يقول القائل: ابني يكتب في ـ أ ب ت ث ـ؛ أي: في حروف المعجم الثمانية والعشرين، فيستغني بذكر بعضها عن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢١٣). (٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) في «تفسيره» (١/ ١٥٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠)؛ وأبو يعلى (ج١٠/رقم ٥٩٠٠)؛ وابن أبي عاصم في «الديات» (ص٢٣)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٨٢)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٠٤)؛ عن ابن عدي وهذا في «الكامل» (٧/ ٢٧١٤، ٢٧١٥)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٢) من طريق يزيد بن زياد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره ونقل الذهبي في «الميزان» (٤/ ٤٢٥)؛ والحافظ في «التلخيص» (٤/ ١٤) أن أبا حاتم الرازي قال: «باطل موضوع» وعزا الحافظ هذا النقل لـ«علل الحديث»؛ لابن أبي حاتم ولم أجده فيه، ولكن نقل ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٢/ ٢٦٣)، عن أبيه أنه قال في يزيد بن أبي زياد «ضعيف الحديث، كأنه حديثه موضوع» ونقل ابن الجوزي عن الإمام أحمد أنه قال: «ليس هذا الحديث بصحيح» وقال ابن عدي: «ليس بمحفوظ، وليزيد غير هذين الحديثين، وكل رواياته مما لا يتابع عليه في مقدار ما يرويه». ونقل العقيلي عن البخاري قال: «يزيد هذا منكر الحديث» قال العقيلي: «ولا يتابعه إلا من هو نحوه»؛ وأخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (ص١٠٥) عن سعيد بن المسيب مرسلاً ولا يصح أيضاً. واختلف في سنده فرواه سالم الأفطس عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعاً. أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٧٥) وقال: «هذا حديث موضوع لا أصل له من حديث الثقات»؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٧٤) عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن المسيب، عن عمر مرفوعاً مثله. وهو منكر أيضاً، وللحديث شواهد عن ابن عباس وابن عمر، وكلها ساقطة، لا يلتفت لواحد منها، فالصواب أن هذا الحديث منكر.

وقد فصلت الكلام عليه في «تسلية الكظيم» فللّه الحمد.

(٥) كذا في (ن) و(هـ) وهو الصواب، ووقع في بقية «الأصول»: «شقيق» وهو خطأ، وقائل هذه العبارة هو سفيان بن عيينة كما في «التلخيص» (٤/ ١٥) للحافظ.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤٢) بسند ضعيف. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٣) لابن المنذر.

مجموعها؛ حكان ابن جرير[١].

قلت: مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي ـ ا ل م ص ر ك هـ ي م ط (س)[٢] ح ق ن ـ يجمعها قولك: «نص حكيم قاطع له سر»؛ وهي نصف الحروف عدداً، والمذكور منها أشرف من المتروك؛ وبيان ذلك من صناعة التصريف.

[٣][قال الزمخشري[٤]: وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على (أنصاف)[٥] أجناس الحروف؛ يعني: من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة،][٣] [٦][ومن حروف القلقلة. وقد سردها مفصلةً؛ ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة (مكثورة)[٧] بالمذكورة منها؛ وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله][٦].

ومن هاهنا (لخص)[٨] بعضهم في هذا المقام كلاماً؛ فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها ﷻ عبثاً ولا سدًى؛ ومن قال من الجهلة: (إن)[٩] في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأً كبيراً، فتعين أن لها معنًى في نفس الأمر؛ فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين؛ وإنما اختلفوا؛ فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين. هذا مقام.

المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي؟ مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها.

فقال بعضهم: إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور. حكاه ابن جرير[١٠]؛ (وهذا ضعيف)[١١]؛ لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوةً وكتابةً.

وقال آخرون: بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن، حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه.

حكاه ابن جرير[١٢] أيضاً؛ وهو ضعيف أيضاً؛ لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها، بل غالبها ليس كذلك؛ ولو كان كذلك أيضاً لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك.

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٢٠٩ ـ شاكر).
(٢) في (ح): (م) وهو سبق قلم.
(٣) ساقط من (ز) و(ض).
(٤) انظر: «الكشاف» (١/ ١٧).
(٥) في (ن) و(هـ): «أصناف».
(٦) ساقط من (ز) و(ض).
(٧) كذا في (ع) و(ن) و(هـ) و(ي) وهو الموافق لما في «الكشاف» (١/ ١٧) ووقع في (ج) و(ك) و(ل): «ثلاثون»!.
(٨) كذا في (ع) و(ن) و(هـ) و(ي) ووقع في «ز» و(ك): «لحظ» وفي (ج) و(ل): «يخص»!
(٩) وقع في (ج) و(ز) و(ك) و(ل): «إنه».
(١٠) في «تفسيره» (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤).
(١١) في (ج): «وهذا حكاه ضعيف» وكأن صوابه: «وهذا الذي حكاه ضعيف».
(١٢) في «تفسيره» (١/ ٢١٠ ـ شاكر).

ثم إن هذه السورة والتي تليها ـ أعني البقرة وآل عمران ـ مدنيتان ليستا خطاباً للمشركين، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه.

وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله؛ هذا مع أنه (مركب)(١) من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. (٢)[وقد حكى هذا المذهب (فخر الدين)(٣) الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجمع من المحققين](٢).

(٤)[وحكى القرطبي(٥) عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري(٦) في «كشافه»، ونصره أتم نصر. وإليه ذهب الشيخ (الإمام)(٧) العلامة (شيخ الإسلام)(٨) أبو العباس (أحمد)(٩) (بن عبد الحليم)(١٠) لبن تيمية، وشيخنا الحافظ (الجهبذ)(١١) (الإمام)(١٢) أبو الحجاج (المزي)(١٣)، وحكاه لي عن (أبي العباس)(١٤) ابن تيمية.

قال الزمخشري(٦): ولم ترد كلها مجموعةً في أول القرآن، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي (والتبكيت)(١٥)، كما كررت قصص كثيرة، وكرر (التحدي)(١٦) (بالتصريح)(١٧) في أماكن؛ قال: وجاء (منها)(١٨) على حرف واحد؛ كقوله: ﴿صٓ﴾، ﴿نٓ﴾، ﴿قٓ﴾. وحرفين، مثل: ﴿حمٓ ۝١﴾. وثلاثة، مثل: ﴿الٓمٓ ۝١﴾. وأربعة، مثل: ﴿الٓمٓرٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾](٤).

(١٩)[وخمسة، مثل: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾؛ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات؛ ما هو على حرف، وعلى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة؛ لا أكثر من ذلك.

قلت](١٩) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف، فلا بدّ أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته؛ وهذا معلوم بالاستقراء؛ وهو الواقع في تسع وعشرين سورةً؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢] ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٣] ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١، ٢] ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١] ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾

---

(١) كذا في (ك) و(ن) و(ي) وفي (هـ): «ركب» وفي (ج) و(ل): «تركب» وسقط هذا اللفظ من (ز).
(٢) ساقط من (ز).
(٣) ساقط من (ن) و(هـ).
(٤) ساقط من (ز).
(٥) في «تفسيره» (١/ ١٥٥).
(٦) في «الكشاف» (١/ ١٢).
(٧) ساقط من (ى).
(٨) من (ك).
(٩) ساقط من (ك) و(ن).
(١٠) من (ك) و(هـ).
(١١) ساقط من (هـ) ووقع في (ن): «المجتهد».
(١٢) من (ي).
(١٣) في (ك): «النرى»!
(١٤) من (هـ).
(١٥) في (ك): «التسكيت».
(١٦) في (ك): «البخاري»!!
(١٧) كذا في (ج) و(ل) و(هـ) وفي باقي «الأصول»: «بالصريح».
(١٨) في (ج): «فيها».
(١٩) ساقط من (ز).

[السجدة] ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت] ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى] وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن (أنعم)[١] النظر. والله أعلم.

وأما من زعم أنها دالة على معرفة المُدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له؛ وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف[٢]؛ وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته، وهو ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار صاحب «المغازي»: حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رئاب؛ قال: مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله ﷺ، وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من اليهود؛ فقال: تعلمون والله، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل (الله)[٣] (تعالى)[٤] عليه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم. قال: فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من (يهود)[٥] إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد؛ ألم يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «بلى». فقالوا: جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال: «نعم». قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيَّن لنبي منهم ما مدة ملكه، وما أجل أمته غيرك!

(فقال)[٦] حُيي بن أخطب، وأقبل على من كان معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ فهذه إحدى وسبعون سنةً؛ أفتدخلون في دين نبيٍّ إنما مدة ملكه، وأجل أمته، إحدى وسبعون سنةً؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد؛ هل مع هذا غيره؟ فقال: نعم، قال: ما ذاك؟ قال: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف]. قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون. فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم. قال ما ذاك؟ قال: الر. قال: هذا أثقل وأطول؛ الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنةً، فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: «نعم». قال: ماذا؟ قال: ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد] قال: هذا أثقل وأطول؛ الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان؛ فهذه إحدى وسبعون ومائتان.

ثم قال: لقد لبِّس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً. ثم قال: قوموا عنه.

---

(١) كذا في (ج) و(ع) وأشار إليها في (ى) ووقع في (ز) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «أمعن» وأشار إليه ناسخ (ع) وهما بمعنى. والله أعلم.

(٢) بل منكر، أخرجه ابن جرير (٢٤٦) وأطال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في نقده (١/٢١٨ ـ ٢٢٠) فراجعه.

(٣) من (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي). وفي (ج) و(ل) و(هـ): «أنزل عليه» لما لم يسم فاعله.

(٤) من (ن).

(٥) في (ز) و(ن): «اليهود».

(٦) في (ز): «فقام».

ثم قال أبو ياسر لأخيه حُيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار: ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمدٍ كله إحدى وسبعون، وإحدى وثلاثون ومائة، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان؛ فذلك سبعمائة وأربع سنين.

فقالوا: لقد تشابه علينا أمره؛ فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فهذا (الحديث)[١] مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به. ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم[٢]. والله أعلم.

[٣][قال الطبراني[٤]: حدثنا فضيل بن محمد، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا أبو العميس، سمعت الشعبي يقول: (قال عبد الله)[٥]: «من قرأ عشر آيات من البقرة في بيت، لم يدخله شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربعاً من أولها، وأية الكرسي، (وآيتين)[٦] بعدها، وخواتيمها»][٣].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

قال (ابن جريج)[٧]: قال ابن عباس: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ (أي)[٨] هذا الكتاب. وكذا قال مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم، وابن جريج أن «ذلك» بمعنى هذا؛ والعرب (تقارض)[٩] بين (هذين الاسمين)[١٠] الإشارة؛ فيستعملون كلّاً منهما مكان الآخر. وهذا معروف في كلامهم [١١][وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة][١١].

[١٢][وقال [١٣][الزمخشري[١٤]: ذلك إشارة إلى ﴿الٓمٓ ۝١﴾، كما قال (تعالى)[١٥]: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] وقال (تعالى)[١٥]][١٣]: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٦٤] وأمثال ذلك [١٦][مما أشير به إلى ما تقدم ذكره[١٦]. والله أعلم][١٢].

---

(١) من (ن).
(٢) في (ع): «بلغ مقابلة بنسخة المصنف فسح الله في مدته».
(٣) من (ج) و(ل).
(٤) في «المعجم الكبير» (ج٩/رقم ٨٦٧٣).
وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٢٢) قال: حدثنا جعفر بن عون، أنا أبو العميس به وسنده جيد، وتكلمت عليه في أول السورة، وذكرت له متابعاً آخر هناك. فالحمد لله.
(٥) سقط من (ج) و(ل) واستدركته من «المعجم».
(٦) في (ل): «اثنين»!
(٧) في (ك): «ابن جرير»! [سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس، ويتقوىٰ بالآثار التي تليه]
(٨) من (ن).
(٩) في (ن): «تعارض».
(١٠) كذا في سائر «الأصول»، وفي (ن): «بين اسمي الإشارة».
(١١) ساقط من (ز).
(١٢) ساقط من (ز).
(١٣) ساقط من (هـ).
(١٤) في «الكشاف» (١/ ١٤).
(١٥) من (ن).
(١٦) ساقط من (ك).

[(١)][وقد ذهب بعض المفسرين (فيما)[(٢)] حكاه القرطبي[(٣)] وغيره][(١)] [(٤)][أن «ذلك» إشارة إلى القرآن الذي وُعِد الرسول ﷺ بإنزاله عليه، أو التوراة، أو الإنجيل، أو نحو ذلك في أقوال عشرة.

وقد ضعف هذا المذهب كثيرون. والله أعلم][(٤)].

والكتاب: القرآن. ومن قال: إن المراد بـ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الإشارة إلى التوراة والإنجيل كما حكاه ابن جرير[(٥)] وغيره، فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وتكلف ما لا علم له به.

والريب[(٦)]: الشك. قال السدي[(٧)]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه.

وقاله أبو الدرداء[(٨)]، وابن عباس[(٩)]، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو مالك، (ونافع)[(١٠)] مولى ابن عمر، وعطاء، وأبو العالية، والربيع[(١١)] بن أنس، ومقاتل بن حيان، والسدي، وقتادة[(١٢)]، وإسماعيل بن أبي خالد، وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا خلافاً.

---

(١) ساقط من (ك).
(٢) في (ج): «مما».
(٣) في «تفسيره» (١/ ١٥٧، ١٥٨).
(٤) ساقط من (ز).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٢٧، ٢٢٨ ـ شاكر).
(٦) جاء في حاشية النسخة (ع): «قال الشيخ الإمام شمس الدين ابن القيم عليه الرحمة: الريب ضد الطمأنينة واليقين، فهو قلق واضطراب وانزعاج، كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار، والفرق بين الشك والريب من وجوه: أحدها: أنه يقال: شك مريب، ولا يقال: ريب مشك.
الثاني: أن يقال: رابني أمر كذا، ولا يقال: شككني.
الثالث: أن يقال: رابه يريبه، إذا أزعجه وأقلقه، ومنه قول النبي ﷺ وقد مر بظبي خائف في أصل شجرة: «لا يريبه أحد»، ولا يحسن هنا أن يقال: لا يشككه أحد.
الرابع: أنه لا يقال للشاك في طلوع الشمس أو غروبها، أو دخول الشهر، أو وقت الصلاة: هو مرتاب في ذلك، وإن كان شاكاً فيه.
الخامس: أن يقال: رابني مجيئه وذهابه وفعله، ولا يقال: شككني، فإن الشك سبب الريب، فإنه يشك أولاً، فيوقعه شكه في الريب، فالشك مبدأ الريب، كما أن العلم مبدأ اليقين».اهـ.
(*) **قلت**: ثم وجدت كلام ابن القيم، بحمد الله، في «بدائع الفوائد» (٤/ ١٠٧) فأضاف سادساً، وهو في ترتيبه «خامساً» قال: «إن الريب ضد الطمأنينة واليقين، فهو قلق واضطراب وانزعاج كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار». وقد مضى في مطلع كلام الناقل عن ابن القيم فكأنه تصرف في عبارته. والله أعلم.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٥٤). وقال ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥): «ولا أعلم في هذا الحرف اختلافاً بين المفسرين».
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥) من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع، ثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمٰن بن أبي عوف، عن عبد الرحمٰن بن مسعود الفزاري، عن أبي الدرداء قال: الريب؛ يعني: الشك من الكفر وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٤١) وقال: حدثنا هاشم بن القاسم، ثنا حريز بسنده سواء ولم يذكر الشك. وذكر كلاماً آخر. ورجاله ثقات، إلا عبد الرحمٰن بن مسعود الفزاري، فذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/ ١٠٨) وقال: «يروى عن أبي الدرداء، عداده في أهل الشام». [ويتقوىٰ بما يليه].
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٥٥، ٢٥٦) بسندين ضعيفين. [ويتقوىٰ بما يليه].
(١٠) ساقط من (ج).
(١١) أخرجه ابن جرير (٢٥٨) بسند منقطع.
(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٥٧) وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٩) بسند قوي.

(١)[وقد يستعمل الريب في التهمة؛ قال جميل(٢):

بثينة قالت: يا جميل أربتني فقلت كلانا يا بثين مريب

واستعمل أيضاً في الحاجة، كما قال بعضهم(٢):

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم (أجمعنا)(٣) السيوفا](١)

ومعنى الكلام (هنا)(٤) أنه هذا الكتاب، وهو القرآن لا شك فيه أنه (منزل)(٥) من عند الله، كما قال (تعالى)(٦) في السجدة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

(١)[وقال بعضهم: هذا خبر، ومعناه النهي؛ أي: لا ترتابوا فيه](١).

ومن القراء من يقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾ ويبتدئ بقوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ والوقف على (قوله تعالى)(٧): ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ أولى للآية التي ذكرناها، ولأنه يصير قوله تعالى: ﴿هُدٗى﴾ صفة للقرآن؛ وذلك أبلغ من (كون)(٨) ﴿فِيهِۛ هُدٗى﴾.

وهدًى: يحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعاً على النعت، ومنصوباً على الحال، وخصت الهداية للمتقين، كما قال: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ۝٨٢﴾ [الإسراء] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن؛ لأنه هو في نفسه هدًى، ولكن لا يناله إلا الأبرار؛ كما قال (تعالى)(٩): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس].

وقد قال السُّدي(١٠)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مُرَّة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ يعني: نوراً للمتقين.

وقال الشعبي: هدى من الضلالة(١١).

وقال سعيد بن جبير: تبيان للمتقين، وكل ذلك صحيح. وقال السدي(١٢): عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس. وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب

---

(١) ساقط من (ز).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١/١٥٩)، وعزا في «اللسان»، مادة: ريب، البيت الثاني إلى كعب بن مالك الأنصاري، وكذلك عزاه إليه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (ص٥٧).

(٣) في (ك) و(هـ): «أجمعنا» وهو تصحيف ظاهر.

(٤) زيادة من (ج) و(ل) و(ن).

(٥) في (ز) و(ن): «نزل».

(٦) زيادة من (ز) و(ن).

(٧) من (ز) و(ن)، وفي (ل): «قوله» ولم يذكر «تعالى».

(٨) في (هـ): «كونه».

(٩) زيادة من (ن) و(هـ).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٦٠، ٢٦٣). [وسنده ضعيف].

(١١) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق بيان عن الشعبي].

(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٦٠ ـ ٢٦٣).

رسول الله ﷺ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: هم المؤمنون[١].

[٢][وقال أبو روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿هُدًى﴾[٣] ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ قال (للمؤمنين)[٤] ﴿الَّذِينَ﴾ [البقرة: ٣] (يتقون)[٥] الشرك بي، ويعملون بطاعتي][٢].

وقال محمد بن[٦] إسحاق، عن محمد (بن أبي محمد)[٧] مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو (عن)[٨] سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.

[٩][وقال سفيان[١٠] الثوري، عن رجل، عن الحسن البصري - قوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - قال: اتقوا ما حرم (الله)[١١] عليهم][٩]، [١٢][وأدوا ما افترض عليهم][١٢].

وقال أبو بكر بن[١٣] عياش: سألني الأعمش عن المتقين. قال: فأجبته، فقال لي: سل عنها الكلبي، فسألته، فقال: الذين يجتنبون كبائر الإثم. قال: فرجعت إلى الأعمش، فقال: (نرى)[١٤] أنه كذلك ولم ينكره.

وقال قتادة[١٥]: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هم الذين نعتهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] الآية والتي بعدها.

واختيار ابن[١٦] جرير أن الآية تعم ذلك كله؛ وهو كما قال.

وقد روى الترمذي[١٧]، ....

---

(١) [وسنده ضعيف].

(٢) هذا المقطع في (ز) متأخر عن الذي بعده. [وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس].

(٣) من (هـ).

(٤) في (ن): «هم المؤمنون».

(٥) في (ل): «يتعوذون».

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٦٢)؛ وابن أبي حاتم (٦٢) وسنده ضعيف تقدم التنبيه عليه. [لكن حسنه الحافظ ابن حجر والسيوطي، واعتبره الشيخ محمد نسيب الرفاعي من الأسانيد الثابتة، وحسنه ابن بشير كما في مقدمة التفسير الصحيح ١/ ٣٨، ٣٩].

(٧) ساقط من (ز).

(٨) ساقط من (ز) و(ن).

(٩) هذه الفقرة مقدمة في (ج) و(ل) على الفقرة السابقة عليها.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٦١) قال: حدثنا سفيان بن وكيع، ثنا أبي، عن الثوري به وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، ولجهالة شيخ الثوري.

(١١) من (ز) و(ن).

(١٢) (هذه الفقرة مقدمة في (ج) و(ل) على الفقرة السابقة عليها.

(١٣) أخرجه ابن جرير (٢٦٤).

(١٤) في (ن): «يرى».

(١٥) أخرجه ابن جرير (٢٦٥). [وسنده صحيح].

(١٦) في «تفسيره» (١/ ٢٣٣، ٢٣٤).

(١٧) أخرجه الترمذي (٢٤٥١) وقال: «حسن غريب»؛ وابن ماجه (٤٢١٥)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (٤٨٤)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١/ ١٥٨)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٧/ رقم ٤٤٦)؛ والحاكم (٤/ ٣١٩)؛ والبيهقي في «سننه» (٥/ ٣٣٥)، وفي «الشعب» (ج١٠/ رقم ٥٣٦١)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢) من طريق هاشم بن القاسم قال: ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل بسنده سواء. قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي!! وليس كما =

وابن ماجه، من رواية أبي عقيل ـ (عبد الله بن عقيل)[(١)]، عن عبد الله بن يزيد، عن ربيعة بن يزيد، وعطية بن قيس، عن عطية السعدي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً (لما)[(٢)] به بأس». ثم قال الترمذي: «حسن غريب».

وقال ابن أبي حاتم[(٣)]: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عمران، حدّثنا إسحاق بن سليمان؛ يعني: الرازي، عن المغيرة بن مسلم، عن ميمون أبي حمزة؛ قال: كنت جالساً عند أبي وائل، فدخل علينا رجل يقال له: أبو عفيف من أصحاب معاذ، فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف!، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال: بلى، سمعته يقول: يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد، فينادي مناد: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمٰن، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر.

قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة؛ فيمرون إلى الجنة.

[(٤)][ويطلق الهدى ويراد به (ما يقر في)[(٥)] القلب من الإيمان؛ وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله ﷻ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦] وقال: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات.

ويطلق ويراد به بيان الحق، وتوضيحه والدلالة عليه، والإرشاد إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد] على تفسير من قال: المراد بهما الخير والشر؛ وهو الأرجح. والله أعلم.

وأصل التقوى التوقي مما يكره؛ لأن أصلها: «وقىٰ» من الوقاية؛ قال النابغة[(٦)]][(٤)]:

[(٧)][سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

وقال (آخر)[(٨)]][(٧)]:

= قالا، وعبد الله بن يزيد ترجمه ابن عدي (٤/ ١٥٥١) وقال: «سمعت ابن حماد؛ يعني: الدولابي، يقول: عبد الله بن يزيد الذي يروى عنه أبو عقيل الثقفي أحاديثه منكرة. قاله السعدي. وهذا الذي حكاه عن السعدي، لا أقف على معرفة ذلك».اهـ.

والحديث رواه الدولابي في «الكنى» (٢/ ٣٤) وسقط بعض رجال السند، وليس عنده ما ذكره عنه ابن عدي. فالله أعلم، والكتاب كثير السقط والتحريف. فالحاصل أن السند ضعيف، لضعف عبد الله.

(١) ساقط من (ج) ووقع في (هـ): «أبي عقيل عن عبد الله بن عقيل» وزيادة (عن) خطأ.

(٢) في (ز) و(ن): «مما».

(٣) في «تفسيره» (٦١) وسنده ضعيف، وميمون الأعور ضعيف، وأبو عفيف لم أعرفه، وما وجدت له ترجمةً. والله أعلم.

(٤) ساقط من (ز).

(٥) كذا في (ن) و(هـ) و(ي) ووقع في (ج) و(ك): «ما ينزل». وفي (ل) بياض.

(٦) وهو في «ديوانه» (ص٣٤)، وانظر «تفسير القرطبي» (١/ ١٦١).

(٧) ساقط من (ز).

(٨) في (ن) و(هـ): «الآخر».

(١)[فألقت قناعا دونه الشمس وأتقت　　بأحسن موصولين كفٌّ ومعصم

وقد قيل(٢): إن عمر بن الخطاب ﷺ سأل أبي بن كعب عن التقوى، فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت. قال: فذلك التقوى.

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز؛ فقال:

خل الذنوب صغيرها　　وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر　　ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة　　إن الجبال من الحصى

وأنشد أبو الدرداء(٣) يوماً:

يريد المرء أن يؤتى مناه　　ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي　　وتقوى الله أفضل ما استفادا](١)

(٣)[وفي «سنن ابن ماجه»(٤)، عن أبي أُمامة ﷺ؛ قال](٣): (٥)[قال رسول الله ﷺ: «ما استفاد المرء بعد تقوى الله (خيراً)(٦) (له)(٧) من زوجة صالحة، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»](٥).

---

(١) وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب التقوى»، كما في «الدر» (١/ ٢٤)، عن أبي هريرة أن رجلاً قال له: ما التقوى؟ قال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب التقوى»، كما في «الدر» (١/ ٢٥)، عن محمد بن يزيد الرحبي قال: قيل لأبي الدرداء! إنه ليس أحد له بيت في الأنصار إلا قال شعراً فمالك لا تقول؟ قال: وأنا قلت فاستمعوه، وذكره.

وسنده ضعيف، ومحمد بن يزيد الرحبي ترجمه البخاري (١/ ١/ ٢٦١)؛ وابن حبان في «الثقات» (٩/ ٣٥)، وقالا: «يروى عن عروة بن رويم روى عنه إسماعيل بن عياش» فمع جهالته فظاهر أنه لم يدرك أبا الدرداء. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٨/ رقم ٧٨٨١) من طريق هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عثمان بن أبي عاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعاً قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٧٠): «هذا إسناد فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه». اهـ.

(*) **قلت**: كذا قال البوصيري: «علي بن زيد بن جدعان» وهو خطأ واضح، وكنت أظن الخلل من مطبوعة «الزوائد»، فراجعت مخطوطة الكتاب، وعندي نسختان، كلاهما بخط ولد البوصيري واسمه «محمد» النسخة الأولى كتبت سنة ٨٤٣، والنسخة الثانية كتبت في رمضان (٨٥٦) وكلتاهما اتفقتا على هذا الخطأ، والصواب أنه علي بن يزيد الألهاني، وهو واهٍ، وعثمان بن أبي العاتكة متماسك، لكن روايته عن علي بن يزيد ضعيفة أو واهية، وهشام بن عمار يضعف من قبل حفظه. فالسند ضعيف جداً.

(٥) ساقط من (ز).

(٦) في (ك) و(هـ): «خير».

(٧) ساقط من (ن) و(ي).

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

قال أبو جعفر[١] الرازي، عن العلاء بن المسيب بن رافع، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: الإيمان: التصديق. وقال علي[٢] بن أبي طلحة وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: يصدقون. وقال معمر[٣]، عن الزهري: الإيمان: العمل.

وقال أبو جعفر[٤] الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: يخشون.

قال ابن جرير[٥] (وغيره)[٦]: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً؛ (قال)[٦] وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل.

والإيمان كلمة جامعة (للإقرار)[٧] بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل.

قلت: أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال؛ كقوله (تعالى)[٨]: ﴿(إِلَّا)[٩] ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] فأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً.

هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة؛ بل قد حكاه الشافعي، وأحمد بن حنبل، (وأبو عبيد)[١٠]، وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول «شرح البخاري»؛ ولله الحمد والمنة.

ومنهم من فسره بالخشية؛ (لقوله)[١١] تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الملك: ١٢] وقوله: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق].

والخشية: خلاصة الإيمان والعلم؛ كما قال (تعالى)[١٢]: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

[١٣][وقال بعضهم: يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة، وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة] وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون] فعلى هذا يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾][١٣]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٧١) قال: حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه وسنده ضعيف للانقطاع، وأبو إسحاق تغير.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٦٨). [وسنده ثابت].

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٧٠) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٦٩). [وسنده جيد].

(٥) في «تفسيره» (١/ ٢٣٥ ـ شاكر).

(٦) ساقط من (ن).

(٧) في (ن): «للإيمان».

(٨) من (ن).

(٩) في (ك): «إن».

(١٠) في (ن): «أبو عبيدة»، وهو أبو عبيد القاسم بن سلام.

(١١) في (ن) و(هـ): «كقوله».

(١٢) من (ز) و(ن).

(١٣) ساقط من (ز).

[1][﴿بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ حالاً؛ أي: في حال كونهم غيباً عن الناس][1].

وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه؛ وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد: قال أبو جعفر[2] الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: يؤمنون بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره، ولقائه؛ ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله.

وكذا قال قتادة[3] بن دعامة.

وقال السدي[4]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: أما الغيب: فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار، وما ذكر في القرآن.

وقال محمد بن[5] إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ـ قال: بما جاء منه ـ؛ يعني: من الله تعالى.

وقال سفيان[6] الثوري، عن عاصم، عن زر؛ قال: الغيب: القرآن.

وقال عطاء بن[7] أبي رباح: من آمن بالله فقد آمن بالغيب.

وقال إسماعيل[8] بن أبي خالد: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، قال: بغيب الإسلام.

وقال زيد بن[9] أسلم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، قال: بالقدر؛ فكل هذه متقاربة في معنًى واحد؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به.

وقال سعيد بن منصور[10]: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمٰن بن (يزيد)[11]؛ قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، فذكرنا أصحاب النبي ﷺ

---

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٧٦)؛ وابن أبي حاتم (٦٧) من طريقين عن أبي جعفر الرازي. وسنده حسن. [وقال الحافظ ابن حجر: سنده جيد. ينظر مقدمة التفسير الصحيح].

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٧٥) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٧٣). [وسنده ضعيف].

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٧٢) وسنده [حسن].

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٧٤)؛ وابن أبي حاتم (٦٩) من طريق أبي أحمد الزبيري، ثنا سفيان. وسنده صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٠) بسند قوي.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١). [بسند صحيح من طريق إبراهيم بن حميد عن إسماعيل بن أبي خالد].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢) بسند ضعيف، فيه عبد الله بن جعفر السعدي.

(١٠) في «تفسيره» (١٨٠).

وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٦)؛ وابن منده في «الإيمان» (٢٠٩)؛ والحاكم (٢/ ٢٦٠) من طرق عن الأعمش به قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وهو كما قالا. [وصحح سنده الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي ص٤، ٥ (ح٢٢)].

(١١) في (ك): «زيد» وهو خطأ.

وما (سبقوا)[١] به؛ فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بيّناً لمن رآه؛ والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب؛ ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم في «مستدركه» من طرق، عن الأعمش، به.

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

وفي معنى هذا: الحديث الذي رواه (الإمام)[٢] أحمد[٣]: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثني (أسيد)[٤] بن عبد الرحمٰن، عن خالد بن دريك، عن ابن محيريز؛ قال: قلت لأبي جمعة: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. قال: نعم، أحدثك حديثاً جيداً: تغدينا مع رسول الله ﷺ، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح؛ فقال: يا رسول الله؛ (أحد)[٥] خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك! قال: «نعم، قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني».

طريق أخرى: قال أبو بكر بن مردويه في «تفسيره»[٦]: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل (بن)[٧] عبد الله بن مسعود، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا معاوية بن صالح، عن صالح بن جبير؛ قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ببيت المقدس

---

(١) في (ن): «سبقونا».

(٢) زيادة من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٣) في «مسنده» (٤/ ١٠٦).
وأخرجه الدارمي (٢/ ٢١٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٤/رقم ٣٥٣٨)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (ج٣/ ق٣٦/ ١)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (ج١/ ق١٧٩/ ١)؛ وفي «الحلية» (٥/ ١٤٨، ١٤٩)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج٨/ ق١٨٨)؛ ونجم الدين النسفي في «ذكر علماء سمرقند» (٧٦٧) من طرق عن الأوزاعي بسنده سواء.
وقوى هذا الوجه: الحافظ في «الفتح» (٧/ ٧) وقد اختلف في إسناده على الأوزاعي وفصلته في «التسلية».
[حسنه الحافظ ابن حجر الفتح ٧/ ٦].

(٤) في (ز) و(ك) و(ن): «أسد» مكبراً، وهو خطأ.

(٥) في (ز) و(ن): «هل أحد» وفي (ك): «أأحد»، وأشار إلى هذه في (ي).

(٦) وعبد الله بن جعفر هو ابن أحمد بن فارس الأصبهاني أحد الثقات كما في «السير» (١٥/ ٥٥٣) وشيخه إسماعيل هو الملقب بـ«سمويه» صاحب الأجزاء والفوائد التي تنبئ بحفظه وسعة علمه وثقه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهما. وانظر «السير» (١٣/ ١٠، ١١)؛ وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٢٤)، وفي «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ٣١١)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٣٦) والروياني في «مسنده» (ج٣٣/ ق٢٦٥/ ٢ ـ ٢٦٦/ ١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٤/رقم ٣٥٤٠)؛ والهروى في «ذم الكلام» (ق١٤٨/ ١، ٢)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج٨/ ق١٨٧، ١٨٨)؛ والنسفي في «الأربعين من حديث السلفي»، كما في «الإصابة» (٧/ ٦٧) للحافظ، من طريق عبد الله بن صالح بسنده سواء.
قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٧): «وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة».
(*) **قلت:** يعني الحافظ رَحِمَهُ اللهُ بالرواية المتقدمة هي التي حكم بحسن إسنادها ويرويها أسيد بن عبد الرحمٰن، عن صالح بن جبير، عن أبي جمعة وفيها: «هل أحد خير منا؟ قال: نعم» أما في رواية معاوية بن صالح، عن صالح بن جبير ففيها: «هل قوم أعظم أجراً منا؟»، فليس هناك خير من الصحابة، وإن زاد بعضهم في الأجر عليهم في بعض العمل. هذا مراد الحافظ والله أعلم.

(٧) في (ن): «عن» وهو خطأ ظاهر.

(ليصلي)[١] فيه، ومعنا يومئذٍ رجاء بن (حيوة)[٢] (رضي الله عنه)[٣]؛ فلما انصرف خرجنا نشيعه؛ فلما أراد الانصراف قال: إن لكم جائزةً وحقاً أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ. قلنا: هات رحمكَ الله. قال: كنا مع رسول الله ﷺ، ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة، فقلنا: يا رسول الله، هل من قوم أعظم منا أجراً؟ آمنا بالله واتبعناك. قال: «ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحى من السماء؛ بل قوم (من)[٤] بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به، ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجراً» ـ مرتين.

ثم رواه من حديث[٥] ضمرة بن ربيعة، عن مرزوق بن نافع، عن صالح بن جبير، عن أبي جمعة، بنحوه.

وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث، كما قررته في أول «شرح البخاري»؛ لأنه مدحهم على ذلك، وذكر أنهم أعظم أجراً من هذه الحيثية لا مطلقاً.

وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة[٦] العبدي، حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن المغيرة بن قيس التميمي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده؛ قال: قال رسول الله ﷺ: أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم! قالوا: فالنبيون. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم! قالوا: فنحن. قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «ألا إن أعجب الخلق إليَّ إيماناً لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها».

قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث.

قلت: ولكن قد روى أبو يعلى في «مسنده»[٧]، وابن مردويه في «تفسيره»؛ والحاكم في

---

(١) في (ن): «يصلى». (٢) في (هـ): «حياة»!!

(٣) من (ن)، وقد استقر أن الترضى خاص بالصحابة دفعاً للإيهام، ورجاء بن حيوة تابعي.

(٤) ساقط من (ن)، والعبارة فيها: «قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين».

(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ٣١٠) معلقاً، ووصله ابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ٣٦/ ١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٤/ رقم ٣٥٤١)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (١/ ١٧٩/ ١)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج٨/ ق١٨٧) من طرق عن ضمرة بن ربيعة.
ومرزوق بن نافع ترجمه البخاري في «الكبير» (٤/ ١/ ٣٨٣، ٣٨٤)؛ وابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٢٦٥) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ١٨٩) على طريقته في توثيق المجاهيل ولكنه متابع.

(٦) في «جزئه» المشهور (١٩).
ووقع في «الدر المنثور» (١/ ٢٦): «الحسن بن عروة في حزبه»!!
ومن طريقه إسماعيل الصفار في «جزئه» (٩٠/ ٢)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٣٨)؛ والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٦١)؛ وطراد أبو الفوارس في «ما أملاه يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ٤٧٨»، كما في «الضعيفة» (٦٤٧)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٤٨)، وسنده ضعيف وله علتان:
الأولى: أن رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين والعراقيين منكرة، وهذه منها، والمغيرة بن قيس بصري.
الثانية: أن المغيرة ترجمه ابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٢٢٧) ونقل عن أبيه قال: «هو منكر الحديث»، وقد اختلف في إسناده.

(٧) أبو يعلى في «مسنده» (ج١/ رقم ١٦٠). =

«مستدركه»، من حديث محمد بن أبي حميد ـ وفيه ضعف ـ عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي ﷺ بمثله أو نحوه.

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد. ولم يخرجاه».

وقد روى نحوه[1] عن أنس بن مالك ـ مرفوعاً. والله أعلم.

وقال ابن أبي[2] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد المسندي، حدثنا إسحاق بن

= وأخرجه أبو القاسم البغوي في «حديث مصعب بن الزبير» (٢/١٥٢)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢٨٣٩)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٢٣٨)؛ والحاكم (٤/٨٥، ٨٦)؛ والهروى في «ذم الكلام» (ق١٤٨/١)؛ وابن أبي شريح في «جزء بيبي» (١٠٤)؛ والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٣٦، ٣٧)؛ وابن عساكر (ج١٦/ق٥٤٨) من طريق محمد بن أبي حميد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد» فرده الذهبي قائلاً: «بل محمد ضعفوه».

(*) **قلت:** وهو واه قال البزار: «إنما نعرف هذا من حديث محمد بن أبي حميد وهو مدني ليس بالقوي حدث بهذا وبحديث آخر لم يتابع عليه».

وقد توبع تابعه يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن أسلم بسنده سواء.

أخرجه البزار (٢٨٣٩)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٢٣٨) من طريق منهال بن بحر، قال: حدثنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير به.

قال العقيلي: «وهذا الحديث إنما يعرف بمحمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم، وليس بمحفوظ من حديث يحيى بن أبي كثير، ولا يتابع منهال عليه أحد».

وقال البزار: «لا نعلمه يروى عن عمر إلا من هذا الوجه، وحديث المنهال بن بحر يرويه الحفاظ الثقات، عن هشام، عن يحيى، عن زيد مرسلاً».

أما الهيثمي فقال في «المجمع» (١٠/٦٥) أشار إلى هذا الإسناد: «أحد إسنادي البزار المرفوع حسن، المنهال بن بحر وثقه أبو حاتم وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح».اهـ.

(*) **قلت:** وكيف يكون حسناً مع وجود هذه العلة التي أشار إليها البزار، وهي المخالفة، لا سيما قد قال: يرويه الحفاظ الثقات عن هشام مرسلاً، ومع تصريح العقيلي أن الحديث غير محفوظ عن يحيى بن أبي كثير؟!

(١) أخرجه البزار (٢٨٤٠) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً مثله. وقال: «غريب من حديث أنس».

أما الهيثمي فقال (١٠/٦٥): «فيه سعيد بن بشيير، وقد اختلف فيه، فوثقه قوم وضعفه آخرون، وبقية رجاله ثقات».اهـ.

(*) **قلت:** رواية سعيد بن بشير عن قتادة خاصة تكثر فيها المناكير، ولذلك استغربها البزار.

(٢) في «تفسيره» (٧٣).

وأخرجه الطبراني، ومن طريقه ابن مردويه في «تفسيره»، كما عند المصنف (١/٢٧٩)، قال: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا رجاء بن محمد السقطي، حدثنا إسحاق بن إدريس به. وأخرجه ابن أبي عاصم، وعنه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/٢٨٤) من وجه آخر عن إسحاق بن إدريس.

وسنده ضعيف جداً، وإسحاق كذبه ابن معين، ووهاه أبو زرعة وتركه النسائي وغيره لكنه لم يتفرد به.

فتابعه إبراهيم بن حمزة الزبيري، عن إبراهيم بن جعفر بسنده سواء ولم يذكر «أولئك قوم آمنوا بالغيب».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٤/ (رقم٥٣٠)؛ وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/٤٤)؛ وإبراهيم بن حمزة ثقة، وثقه ابن سعد، وابن حبان، ومسلمة بن قاسم.

وقال أبو حاتم: «صدوق»، وقال النسائي: «لا بأس به». =

إدريس، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري، أخبرني جعفر بن محمود، عن جدته (نويلة)[١] بنت أسلم؛ قالت: صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة، فاستقبلنا مسجد إيلياء، فصلينا سجدتين، ثم جاءنا من يخبرنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن (مستقبلوا)[٢] البيت الحرام. قال إبراهيم: فحدثني رجال من بني حارثة أن رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك قال: «أولئك قوم آمنوا بالغيب».

هذا حديث غريب من هذا الوجه.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

قال ابن عباس: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يقيمون الصلاة بفروضها[٣].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: (إقامة)[٤] الصلاة: (إتمام)[٥] الركوع والسجود، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها فيها.

وقال قتادة[٦]: (إقامة)[٧] الصلاة: المحافظة على مواقيتها [٨][ووضوئها، وركوعها وسجودها. وقال مقاتل[٩] بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها][٨]، وإسباغ الطهور (فيها)[١٠]، وتمام

= وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٤): «رجاله موثقون».

وإبراهيم بن جعفر ذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٧)، وترجمه البخاري في «الكبير» (١/ ١/ ٢٧٨، ٢٧٩)؛ وابن أبي حاتم (١/ ١/ ٩١) ونقل عن أبيه قال: «هو صالح» وأبوه جعفر بن محمود ذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ١٠٧)، وترجمه البخاري (١/ ٢/ ١٩٩)؛ وابن أبي حاتم (١/ ١/ ٤٨٩) ونقل عن أبيه قال: «محله الصدق» ووقع عندهما: «مسلمة» بدل «سلمة» وهذا الإسناد حسن، وهو أجود من الذي أورده المصنف، لكن عذر المصنف في عدم إيراده، والله أعلم، أنه ليس فيه محل الشاهد الذي أورده من أجله وهو قوله: «أولئك قوم آمنوا بالغيب».

(١) في (ن): «بديلة» وهو وجه في اسمها، ووجه ثان: «تويلة» بالتاء.

(٢) في (ز) و(ل) و(ن): «مستقبلون».

(٣) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس].

(٤) في (ج) و(ل): «إقام».

(٥) في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ): «تمام».
[وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ومعناه صحيح].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٥) بسند صحيح.
وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٧) لعبد بن حميد وحده.

(٧) في (ج): «إقام». (٨) ساقط من (ج).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٦) من طريق محمد بن مزاحم أنبأ بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان وهذا سند جيد، وبكير بن معروف متماسك، قال أحمد وأبو داود والنسائي: «لا بأس به» وضعفه أحمد في رواية وابن المبارك، وقال ابن عدي: «بكير بن معروف ليس بكثير الرواية، وأرجو أنه لا بأس به، وليس حديثه بالمنكر جداً». وهذا الذي قاله ابن عدي يتعلق بالأحاديث المرفوعة، والرجل فكان صاحب تفسير، اهتم به وعانى عليه، ولا شك أنه في تفسيره أضبط وأحفظ، والله أعلم.

(١٠) أشار في (ج) و(ع) أنه وقع في نسخة: «لها».

ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي ﷺ؛ فهذا إقامتها.

وقال علي بن أبي[(١)] طلحة وغيره[(٢)]، عن ابن عباس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: زكاة أموالهم.

وقال السدي[(٣)]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: نفقة الرجل على أهله. وهذا قبل أن تنزل الزكاة.

وقال جويبر[(٤)]، عن الضحاك: كانت النفقات (قربات)[(٥)] يتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم، حتى نزلت فرائض الصدقات: سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن الناسخات المثبتات.

وقال قتادة[(٦)]: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم الله، هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم يوشك أن تفارقها.

واختار ابن جرير[(٧)] أن الآية عامة في الزكاة والنفقات؛ فإنه قال: وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين ـ زكاةً (كان)[(٨)] ذلك، أو نفقة من لزمته نفقته، من أهل (و)[(٩)]عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك، وغير ذلك؛ لأن الله تعالى عم وصفهم، ومدحهم بذلك. وكل من الإنفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه.

قلت: كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال؛ فإن الصلاة حق الله وعبادته، وهي مشتملة على توحيده، والثناء عليه، وتمجيده والابتهال إليه، ودعائه والتوكل عليه. والإنفاق: هو من الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك، ثم الأجانب؛ فكل من النفقات الواجبة، والزكاة المفروضة، داخل في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

ولهذا ثبت في «الصحيحين»[(١٠)]، عن ابن عمر (رضي الله عنهما)[(١١)]: أن رسول الله ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

والأحاديث في هذا كثيرة.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٨٦) [وسنده ثابت].

(٢) أخرجه ابن إسحاق، ومن طريقه الطبري (٢٨٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٧) قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه، [وسنده حسن].

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٨٨) وهو حسن، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٨) من قول السدي. [وسنده ضعيف لخلط السدي بين الأسانيد].

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٨٧) وجويبر تالف.

(٥) كذا في (ز)، وفي سائر «الأصول»: «قرباناً»!!

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وسنده صحيح.

(٧) في «تفسيره» (١/ ٢٤٤ ـ شاكر).

(٨) في (ن): «كانت»، وسقط اللفظ من (ل).

(٩) في (ز) و(ن): «أو».

(١٠) أخرجه البخاري (١/ ٤٩)؛ ومسلم (١٦/٢٢).

(١١) من (ن).

وأصل الصلاة في كلام العرب: الدعاء؛ قال الأعشى(١):

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وإن ذبحت صلى عليها وزمزما

وقال أيضاً(١):

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنِّها وارتسم(٢)

أنشدهما ابن جرير مستشهداً على ذلك.

وقال الآخر، وهو الأعشى أيضاً(١):

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضى نوماً فإن لجنب المرء مضطجعا

يقول: عليك من الدعاء مثل الذي دعيته لي. وهذا ظاهر.

ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة، وصفاتها وأنواعها المشهورة.

قال ابن جرير(٣): (وأرى)(٤) أن الصلاة (المفروضة)(٥) سميت صلاة لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه (فيها)(٦) من حاجته(٧).

(٨)[وقيل: هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما عرقان (يمتدان)(٩) من الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب. ومنه سمي المصلي، وهو (التالي)(١٠) للسابق في حلبة الخيل. وفيه نظر.

وقيل: هي مشتقة من «الصِلي»، وهو الملازمة للشيء، من قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ [الليل: ١٥] أي: لا يلزمها ويدوم فيها، ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥].

وقيل: مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوَّم، كما أن المصلي يقوِّم عوجه بالصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر. والله أعلم](٨).

وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه إن شاء الله (تعالى)(١١).

---

(١) هو في «ديوانه» (ص٢٩٣) و(ص٣٥) و(ص١٠١).
(٢) في حاشية (ج): «ارتسم؛ أي: كبر ودعا لها. قالها الجوهري».
(٣) في «تفسيره» (١/٢٤٣ ـ شاكر).
(٤) في (ن): «وروى» وأشار في الحاشية أنه وقع في نسخة: «أرى».
(٥) ساقط من (ن).
(٦) ساقط من (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن جرير».
(٧) عند «ابن جرير» بعدها: «تعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجته وسؤله».
(٨) ساقط من (ز).
(٩) في (ج) و(ل): «ممتدان».
(١٠) في (ج): «الثاني».
(١١) من (ن).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

قال ابن[1] عباس: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: (يصدقونك)[2] بما جئت به من الله، وما جاء به من قبلك من المرسلين، لا يفرقون بينهم، ولا يجحدون ما جاؤوهم به من ربهم.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: بالبعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان، وإنما سميت الآخرة؛ لأنها بعد الدنيا.

وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هنا، هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة] ومن هم؟ على ثلاثة أقوالٍ حكاها ابن جرير[3]:

أحدها: أن الموصوفين أولاً هو الموصوفون ثانياً، وهم كل مؤمن؛ مؤمنوا العرب و(مؤمنو)[4] أهل الكتاب وغيرهم؛ قاله مجاهد، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة.

والثاني: هما واحد، وهم مؤمنو أهل الكتاب.

وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات، كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى] وكما قال الشاعر[5]:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

فعطف الصفات بعضها على بعض، والموصوف واحد.

والثالث: أن الموصوفين أولاً مؤمنو العرب، والموصوفون ثانياً بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ (مؤمنوا)[6] أهل الكتاب. نقله السدي[7] في «تفسيره» عن ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من الصحابة.

واختاره ابن جرير (رَحِمَهُ اللَّهُ)[8]، ويستشهد لما قال بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ...﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩].

وبقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص] وبما ثبت في «الصحيحين»[9] من حديث الشعبي، عن أبي

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٨٩)؛ وابن أبي حاتم (٨٠) من طريقين عن سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فيما حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. [وسنده حسن].

(٢) في (ز) و(ن) و(هـ): «يصدقون».

(٣) في «تفسيره» (١/ ٢٤٥).

(٤) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٥) والبيت في «خزانة الأدب» (١/ ٤٠٧) غير منسوب. وانظر «شواهد الكشاف» (١/ ١٨).

(٦) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٩٢) [وسنده ضعيف].

(٨) من (ن).

(٩) [أخرجه الشيخان من طريق الشعبي به (صحيح البخاري، العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله (ح٩٧)؛ =

بُردة، عن أبي موسى ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بي. ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه. ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها».

وأما ابن جرير[١] فما استشهد على صحة ما قال إلا بمناسبة، وهي أن الله (تعالى)[٢] وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين، فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين: (منافق، وكافر)[٣]، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين: عربي، وكتابي.

قلت: والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري[٤]، عن رجل، عن مجاهد. ورواه غير[٥] واحد عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ـ أنه قال: أربع آيات من (أول)[٦] سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، (وثلاث عشرة)[٧] في المنافقين؛ فهذه الآيات الأربع عامات في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي وكتابي من إنسي وجني، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى؛ بل كل واحدة مستلزمة للأخرى، وشرط معها؛ فلا يصح الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول (ﷺ)[٨]، وما جاء به من قبله من الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)[٩] والإيقان بالآخرة؛ كما أن هذا لا يصح إلا (بهذاك)[١٠].

وقد أمر الله المؤمنين بذلك، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ الآية [النساء: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ ...﴾ الآية [العنكبوت: ٤٦] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٧] وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك؛ فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال (تعالى)[١١]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [النساء: ١٥٢] إلى غير ذلك من

= وصحيح مسلم، الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ح١٥٤)].

(١) في «تفسيره» (١/ ٢٤٨، ٢٤٩).

(٢) من (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٣) في (ن): «كافر ومنافق».

(٤) أخرجه ابن جرير (٣١٦) من طريق سفيان بن وكيع قال: ثنا أبي، عن الثوري.

(٥) مثل عيسى بن ميمون، وشبل بن عباد المكي. أخرج ذلك ابن جرير (٣١٤، ٣١٥) وهو صحيح الإسناد، وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر.

(٦) زيادة من (ن).

(٧) في (ن): «ثلاثة عشر»!

(٨) من (ز) و(ن) و(هـ).

(٩) من (ن).

(١٠) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ز) و(ن): «بذاك»، وفي (ل): «بذلك».

(١١) يعني: «صحيح البخاري» ولكن المصنف رحمه الله وهم في عزوه هذا اللفظ إلى البخاري، فليس عنده «إذا حدثكم أهل الكتاب» وكأن المصنف كتب الحديث من حفظه فلفقه من حديثين كما يأتي وإنما الذي عند =

الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسوله وكتبه، لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية؛ وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلاً؛ فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلاً كان لهم على ذلك الأجر مرتين. وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجملاً، كما جاء في «الصحيح»(١): «إذا حدثكم أهل الكتاب (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) ولكن قولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾».

ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بعث به محمد ﷺ أتم وأكمل، وأعمَّ وأشمل، من إيمان من دخل منهم في الإسلام؛ فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيثية، فغيرهم (قد)(٢) يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصلا لهم. والله أعلم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾.

يقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق من الذي رزقهم الله، والإيمان بما أنزل إلى الرسول ومن قبله من الرسل، والإيقان بالدار الآخرة؛ وهو (يستلزم)(٣) الاستعداد لها من (العمل بالصالحات)(٤) وترك المحرمات. ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ أي: على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

وقال محمد بن إسحاق(٥)، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ أي: على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم (به)(٦)؛ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.

وقال ابن جرير(٧): وأما معنى قوله (تعالى)(٨): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾.

فإن معنى ذلك أنهم على نور من ربهم، وبرهان واستقامة، وسداد (بتسديد الله)(٩) إياهم، وتوفيقه لهم.

وتأويل قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: المنجحون، المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم، وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب، والخلود في الجنات، والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب.

وقد حكى ابن جرير(١٠) قولاً عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ

= البخاري: عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا... الآية».

(١) في (ن): «فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم».
(٢) ساقط من (ز) و(ل) و(ن).
(٣) في (ن): «مستلزم».
(٤) في (ن): «الأعمال الصالحة».
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٩٣، ٢٩٤)؛ وابن أبي حاتم (٨٤ ـ ٨٨) من طريق سلمة بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن إسحاق به [وسنده حسن].
(٦) من (ن).
(٧) في «تفسيره» (١/٢٤٩).
(٨) من (ن).
(٩) في (ن): «بتسديده».
(١٠) في «تفسيره» (١/٢٤٨).

هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ إلى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله (تعالى)[١]: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ . . .﴾ [البقرة: ٤] (الآية)[٢]، [٣][على ما تقدم من الخلاف. وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾][٣]. منقطعاً مما قبله، وأن يكون مرفوعاً على الابتداء وخبره ﴿[أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ][٤] وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ واختار أنه عائد إلى جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب، لما رواه السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ. أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هم المؤمنون من أهل الكتاب، ثم جمع الفريقين: فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ وقد تقدم من الترجيح أن ذلك صفة (المؤمنين)[٥] عامةً والإشارة عائدة عليهم. والله أعلم.

وقد نقل (هذا)[٦] عن مجاهد، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة؛ رحمهم الله.

وقال ابن أبي[٧] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، حدثني عبيد الله بن المغيرة، عن (أبي الهيثم)[٨] - واسمه سليمان بن (عبد)[٩]، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ؛ وقيل له: يا رسول الله، إنا نقرأ من القرآن فنرجوا، ونقرأ (من القرآن)[١٠] فنكاد أن نيأس، أو كما قال. قال: «أفلا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله؛ قال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ هؤلاء أهل الجنة. قالوا: إنا نرجوا أن نكون هؤلاء، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ . . .﴾ [البقرة: ٦] إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧] هؤلاء أهل النار. قالوا: لسنا هم يا رسول الله؟ قال: أجل»[١١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: غطوا (الحق)[١٢] وستروه، وقد كتب الله تعالى عليهم

---

(١) من (ز) و(ن).
(٢) من (ز).
(٣) ساقط من (ج).
(٤) ساقط من (ز) و(ن).
(٥) في (ز) و(ن): «للمؤمنين».
(٦) ساقط من (ن).
(٧) في «تفسيره» (٨٦) ورجاله ثقات غير ابن لهيعة، ففيه مقال مشهور.
(٨) في (ج) و(ل): «أبي القاسم»! وهو تصحيف.
(٩) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي) وهو الموافق لما في تفسير ابن أبي حاتم ووقع في (ن) و(هـ): «عبيد الله» وكتب ابن المحب في حاشية (ج) وأشار إلى «عبد» صوابه «عمرو» وهو سليمان بن عمرو بن عبيد أو عبد العتواري.
قلت: فكأنهم نسبوه إلى جده. والله أعلم.
(١٠) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» وسقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).
(١١) [سنده ضعيف].
(١٢) في (ز): «الكفر» وهو خطأ واضح.

ذلك، سواء عليهم إنذارك وعدمه؛ فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس] وقال تعالى في حق المعاندين من أهل الكتاب: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٤٥] أي: إن من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له، ومن أضله فلا هادي له؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرسالة، فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولى فلا تحزن عليهم، (ولا يهمدنك)[١] ذلك؛ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

وقال علي بن أبي[٢] طلحة، عن ابن عباس ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على الهدى؛ فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول.

وقال محمد بن[٣] إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة ـ أو سعيد بن جبير ـ، عن ابن عباس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: بما أنزل إليك، وإن قالوا: إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق، وقد كفروا بما جاءك، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذاراً وتحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك؟

وقال أبو جعفر[٤] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: نزلت هاتان الآيتان في قادة الأحزاب، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

والمعنى الذي ذكرناه أولاً، وهو المروي عن ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة أظهر، (ويفسره[٥] بقية) الآيات التي في معناها. والله أعلم.

وقد ذكر ابن أبي حاتم[٦] هاهنا حديثاً؛ فقال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح

---

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ي)، ووقع في (هـ): «يهدنك»، وفي (ن): «يهمنك»، وسقط هذا اللفظ من (ل).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٩٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٢/رقم ١٣٠٢٥)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٤٦) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح [وسقط ذكره عند الطبري] عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره. [وسنده ثابت]. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢٨، ٢٩) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٩٥)؛ وابن أبي حاتم (٩٢) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق به وعزاه السيوطي (١/ ٢٩) لابن إسحاق. [وسنده حسن].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٣) من طريق آدم بن أبي إياس، عن أبي جعفر الرازي به. [وسنده جيد].
وأخرجه ابن جرير (٢٩٨) من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس من قوله ولم يذكر «أبا العالية».

(٥) في (ز) و(ن): «يفسر ببقية».

(٦) في «تفسيره» (٨٦) ومر الكلام عليه آنفاً.

المصري، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، حدثني عبيد الله بن المغيرة، عن أبي الهيثم، عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قيل: يا رسول الله؛ إنا نقرأ من القرآن فنرجوا؛ ونقرأ فنكاد أن نيأس؛ فقال: «ألا أخبركم»؟ ثم قال: «﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ هؤلاء أهل النار». قالوا: لسنا (هم)[1] يا رسول الله. قال: «أجل»[2].

[3][وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ محله من الإعراب أنه جملة مؤكدة للتي قبلها ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي: هم كفار في كلا الحالين؛ فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ويحتمل أن يكون «لا يؤمنون» خبراً؛ لأن تقديره إن الذين كفروا لا يؤمنون، ويكون قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ جملةً معترضةً. والله أعلم][3].

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾.

قال السدي[4]: ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ أي: طبع الله. وقال قتادة في هذا الآية: استحوذ عليهم الشيطان؛ إذ أطاعوه، فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدًى، ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون[5].

وقال ابن جريج[6]: قال مجاهد: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال (الطبع)[7] ثبتت الذنوب على القلب، فحفت به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه، فالتقاؤها عليه: الطبع. والطبع: الختم.

قال ابن جريج[8]: الختم على القلب والسمع.

قال ابن جريج[9]: وحدثني عبد الله بن كثير: أنه سمع مجاهداً يقول: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد (من)[10] ذلك كله.

وقال الأعمش[11]: أرانا مجاهد بيده؛ فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذه ـ يعني: الكف، فإذا أذنب العبد ذنباً ضم منه، وقال بإصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضم، وقال بإصبع أخرى، فإذا أذنب ضم، وقال بإصبع أخرى هكذا، حتى ضم أصابعه كلها، قال: ثم يطبع عليه بطابع.

وقال مجاهد: كانوا يرون أن ذلك الرين. ورواه ابن جرير[12]، عن أبي كريب، عن وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، بنحوه.

---

(١) في (ن): «منهم».
(٢) [سنده ضعيف].
(٣) ساقط من (ز).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٧) عن السدي، عن أبي مالك قوله. وسنده حسن.
(٥) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة].
(٦) أخرجه ابن جرير (٣٠٢)؛ وابن أبي حاتم (٩٩) من طريق حجاج بن محمد، ثنا ابن جريج، عن مجاهد. وابن جريج مدلسٌ، ولم يسمع من مجاهد إلا حرفاً واحداً.
(٧) ساقط من (ز).
(٨) أخرجه ابن جرير (٣٠٢ ـ ٣٠٦).
(٩) أخرجه ابن جرير (٣٠٣) وسندهُ قويٌ.
(١٠) من (ن).
(١١) أخرجه ابن جرير (٣٠٠) من طريق يحيى بن عيسى، عن الأعمش. وسنده حسن.
(١٢) في «تفسيره» (٣٠١).

قال ابن جرير[(١)]: وقال بعضهم: إنما معنى قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إخبار من الله عن تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق؛ كما يقال: إن فلاناً (لأصم)[(٢)] عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبراً؛ قال: وهذا يصح؛ لأن الله (تعالى)[(٣)] قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم.

[(٤)][قلت: وقد أطنب الزمخشري[(٥)] في تقرير ما رده ابن جرير هاهنا، وتأول الآية من خمسة أوجه؛ وكلها ضعيفة جداً، وما (حداه)[(٦)] على ذلك إلا اعتزاله؛ لأن الختم على قلوبهم ومنعها عن وصول الحق إليها قبيح عنده، يتعالى الله عنه في اعتقاده؛ ولو فهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام] وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم، وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقاً على تماديهم في الباطل، وتركهم الحق؛ وهذا عدل منه تعالى حسن، وليس بقبيح، فلو أحاط علماً بهذا لما قال ما قال والله أعلم.

قال القرطبي[(٧)]: وأجمعت الأمة على أن الله (تعالى)[(٨)] قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاةً لكفرهم، كما][(٤)] [(٩)][قال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وذكر حديث تقليب القلوب[(١٠)]، و«يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك»[(١١)]][(٩)].

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٢٦٠).

(٢) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ن): «أصم»؛ وفي (ك): «لأهتم»!!

(٣) من (ن). (٤) ساقط من (ز).

(٥) في «الكشاف» (١/ ٢١).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ن): «جرأه».

(٧) في «تفسيره» (١/ ١٨٧).

(٨) كذا في (ك) وهو الموافق لما في «القرطبي»، ووقع في (ن): «ﷻ» ولم يذكر لا هذا ولا ذاك في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٩) ساقط من (ز).

(١٠) يعني حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «مثل القلب مثل ريشة، تقلبها الرياح بفلاة». أخرجه ابن ماجه (٨٨)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٨) من طريق يزيد الرقاشي، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى.
ويزيد الرقاشي واه، وخالفه سعيد الجريري، فرواه عن غنيم بن قيس قال: قال أبو موسى فذكره موقوفاً.
أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٩٩) قال: حدثنا إسماعيل، عن الجريري. وهذا سند جيد، وإسماعيل بن علية سمع من الجريري قبل الاختلاط، وخالفه يزيد بن هارون فرواه عن الجريري به مرفوعاً. أخرجه أحمد (٤/ ٤١٩)؛ وابن أبي عاصم (٢٢٧) ورواية إسماعيل أصح ويزيد سمع من الجريري في الاختلاط، ومما يؤيد رواية الوقف أن علي بن مسهر رواه عن عاصم الأحول، عن أبي كبشة السدوسي، عن أبي موسى قال: «إنما سمى القلب لتقلبه... إلخ». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٣) وتوبع علي بن مسهر.
تابعه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (٣٥٨)، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» للطبراني في «الكبير» وصححه قال الشارح المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٢): «قال العراقي: إسناده حسن».

(١١) أخرجه النسائي في «النعوت» (٤/ ٤١٤ ـ الكبرى)؛ وابن ماجه (١٩٩)؛ وأحمد (٤/ ١٨٢)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٩ ـ ٢٣٠)؛ وابن حبان (٢٤١٩ ـ موارد)؛ والحاكم (٢/ ٢٨٩ و٤/ ٣٢١)؛ والطبراني =

[1][وذكر حديث حذيفة الذي في «الصحيح»[2] عن رسول الله ﷺ؛ قال: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً؛ فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السمٰوات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً...» الحديث][1].

قال (ابن جرير)[3]: والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ؛ وهو ما حدّثنا به محمد بن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب ونزع (واستغفر)[4] صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين].

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي، والنسائي، عن قتيبة (عن)[5] الليث بن سعد؛ وابن ماجه، عن هشام بن عمار، عن حاتم بن إسماعيل، والوليد بن مسلم، ثلاثتهم عن محمد بن عجلان، به. وقال الترمذي: «(حديث)[6] حسن صحيح».

ثم قال ابن جرير[7]: فأخبر (رسول الله)[8] ﷺ أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذٍ الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا

= في «الدعاء» (١٢٦٢)؛ والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧) من طريق عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، سمعت بسر بن عبيد الله، قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: حدثني النواس بن سمعان مرفوعاً: «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمٰن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك» قال: «والميزان بيد الرحمٰن يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة».
قال البوصيري في «الزوائد» (١/٨٧): «هذا إسناد صحيح» ونقل المناوي في «فيض القدير» (٥/٤٩٣) عن العراقي أنه قال: «إسناده جيد» وللحديث شواهد عن جماعة من الصحابة يأتي تخريجها إن شاء الله تعالى في تفسير سورة الأنفال الآية [٢٤].

(١) ساقط من (ز).

(٢) يعني: «صحيح مسلم» وهو في «كتاب الإيمان» (١٤٤/٢٣١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠٤)؛ وأخرجه الترمذي (٣٣٣٤)؛ والنسائي في «التفسير» (٦٧٨)، وفي «اليوم والليلة» (٤١٨)؛ وابن ماجه (٤٢٤٤)؛ وأحمد (٢/٢٩٧)؛ وابن حبان (١٧٧١ ـ موارد)؛ وابن جرير (٣٠/٦٢)؛ والآجري في «الشريعة» (١١١)؛ والحاكم (٢/٥١٧)؛ والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١٨٨) وفي «الشعب» (٦٨٠٨)، وفي «الآداب» (١١٧٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٥/٨٨، ٨٩) من طرق عن محمد بن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً. وسنده جيد.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» وصححه الحاكم على شرط مسلم وفيه نظر، فإن مسلماً لم يحتج بابن عجلان.

(٤) كذا في «تفسير الطبري» وسائر الكتب التي خرجت هذا الحديث، ووقع في سائر «الأصول»: «واستعتب».

(٥) في (ن): «و» وهو خطأ فاحش.

(٦) من (ج).

(٧) في «تفسيره» (١/٢٦١).

(٨) من (ز) و(ن)، ووقع في (ك): «النبي» وضرب عليها الناسخ.

للكفر (منها)(١) مخلص؛ فذلك هو الختم والطبع (٢)[الذي (ذكره الله في قوله)(٣): ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ)(٤)﴾ نظير الختم والطبع](٢) على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا (بفض)(٥) ذلك عنها ثم حلها؛ فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد (فضه)(٦) خاتمه وحله رباطه (عنها)(٧).

واعلم أن الوقف التام على قوله (تعالى)(٨): ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾ جملة تامة؛ فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة ـ وهي الغطاء ـ تكون على البصر، كما قال السدي في «تفسيره»(٩)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون. ويقول: «وجعل على أبصارهم غشاوة» يقول: على أعينهم فلا يبصرون.

وقال ابن جرير(١٠): حدثني محمد بن سعد، حدثنا أبي، حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، والغشاوة على أبصارهم.

قال(١١): وحدثنا القاسم، حدثنا الحسين: يعني: ابن داود، وهو سُنيد، حدثني حجاج، وهو ابن محمد الأعور، حدثني (ابن)(١٢) جريج؛ قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾ [الشورى: ٢٤] وقال: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال ابن جرير: (ومن)(١٢) نصب «غشاوةً» من قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾ يحتمل أنه نصبها بإضمار فعل؛ تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوةً. ويحتمل أن يكون نصبها على الاتباع على محل ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الواقعة].

وقول الشاعر:

(علفتها)(١٣) تبناً وماء بارداً ... حتى شتت همالةً عيناها

وقال الآخر(١٤):

(١) في (ز) و(ن): و«عنها».
(٢) ساقط من (ك).
(٣) كذا في (ج) و(ل) و(ى) وفي (ز) و(ن): «ذكر في قوله تعالى»؛ وفي (هـ): «قال الله».
(٤) من (ن).
(٥) في (ل): «بنقض».
(٦) كذا في (ج) و(ي)؛ وفي (ز) و(هـ): «فض»؛ وفي (ك) «فض به»؛ وفي (ن): «فظ»؛ وفي (ل): «نقض».
(٧) ساقط من (ز).
(٨) من (ز) و(ن).
(٩) أخرجه ابن جرير (٣٠٨)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٥) عن السدي قوله.
(١٠) في «تفسيره» (٣٠٥) وسنده ضعيف...
(١١) يعني: ابن جرير. وهو في «تفسيره» (٣٠٦).
(١٢) ساقط من (ج). [وسنده ضعيف لضعف سُنيد].
(١٣) في (ج) و(ك) و(ل) و(ي): «فعلفتها».
(١٤) نسبه القرطبي إلى عبد الله بن الزبعري، وهو في «الكامل» (١/ ٣٤٤) أيضاً.

ورأيـــت زوجـــك فـــي الـــوغـــى مـــتـــقـــلـــداً ســـيـــفـــاً ورمـــحـــا

تقديره: وسقيتها ماءً بارداً. ومعتقلاً رمحاً.

لما تقدم وصفُ المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين - شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة؛ كل منها نفاق، كما أنزل سورة براءة فيهم، وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفاً لأحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضاً؛ فقال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

النفاق: هو إظهار الخير، وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي؛ وهو الذي يخلد صاحبه في النار. وعملي؛ وهو من أكبر الذنوب، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله (تعالى)[(١)].

وهذا كما قال (ابن جريج)[(٢)]: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه[(٣)].

وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق؛ بل كان خلافه؛ من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنامَ على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج؛ وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلَّ من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام ﷺ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف؛ بل قد كان عليه (الصلاة)[(٤)] والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرةً من أحياء العرب حوالي المدينة؛ فلما كانت وقعة بدر العظمى، وأظهر الله كلمته، (وأعلا)[(٥)] الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أُبي بن سلول - وكان رأساً في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه؛ فبقي في نفسه من الإسلام وأهله. فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه؛ فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب؛ فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب.

فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد (نافق)[(٦)] (لأنه لم يكن أحد)[(٧)] يهاجر مكرهاً، بل يهاجر

---

(١) من (ز) و(ك) و(ن).
(٢) في (ج): «ابن جرير»!
(٣) أخرجه ابن جرير (٣١٩) وسنده قوي.
(٤) من (ز) و(ن)؛ وفي (ك): «ﷺ».
(٥) في (ن): «وأعز».
(٦) من (ن).
(٧) ساقط من (ي).

(فيترك)[(١)] ماله وولده وأرضه رغبةً فيما عند الله في الدار الآخرة.

قال محمد بن إسحاق[(٢)]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ يعني: المنافقين من الأوس والخزرج، ومن كان على أمرهم.

وكذا فسرها بالمنافقين (من الأوس والخزرج)[(٣)] أبو العالية والحسن، وقتادة، والسدي؛ ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر؛ وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير؛ فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ أي: يقولون ذلك قولاً ليس وراءه شيء آخر كما قال (تعالى)[(٤)]: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ)[(٥)]﴾ [المنافقون: ١] أي: إنما يقولون ذلك إذا جاءوك فقط لا في نفس الأمر؛ ولهذا يؤكدون في الشهادة بـ«إن» ولام التأكيد في خبرها، كما أكدوا (قولهم)[(٦)]: قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وليس الأمر كذلك، كما (أكذبهم)[(٧)] الله في شهادتهم، وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] وبقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: بظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر، يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك، وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه، كما قد يروج على بعض المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٨﴾ [المجادلة].

ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا (يَخْدَعُونَ)[(٨)] إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

[(٩)][يقول: وما يغرون بصنيعهم هذا، ولا يخدعون إلا أنفسهم، وما يشعرون][(٩)] بذلك من أنفسهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ومن[(١٠)] القراء من قرأ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ وكلتا القراءتين ترجع إلى معنًى واحد.

قال ابن جرير[(١١)]: فإن قال قائل: كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعاً، وهو لا يظهر

---

(١) في (ز): «ويترك».
(٢) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» (١/ ٢٩)، ومن طريقه ابن جرير (٣١٢)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤). [وسنده حسن].
(٣) ساقط من (ي).
(٤) من (ز) و(ن).
(٥) من (ن).
(٦) في (ن): «أمرهم».
(٧) في (ن): «كذبهم».
(٨) كذا في (ز) و(ل) و(ن) و(هـ) ووقع في (ج) و(ع) و(ك) و(ي): «يخادعون» وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء.
(٩) ساقط من سياق (ج)، واستدركته من الحاشية.
(١٠) وهم بقية السبعة دون من سميتهم آنفاً.
(١١) في «تفسيره» (١/ ٢٧٣ ـ شاكر).

بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقيةً؟ قيل: لا تمنع العرب أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف مخادعاً، فكذلك المنافق سمي مخادعاً لله وللمؤمنين بإظهار ما ظهره بلسانه تقية بما يخلص به من القتل (والسباء)[1] والعذاب العاجل، وهو لغير ما أظهره مستبطن؛ وذلك من فعله وإن كان خداعاً للمؤمنين في عاجل الدنيا، فهو لنفسه بذلك من فعله خادع؛ لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيتها، ويسقيها كأس سرورها، وهو (مُوردها)[2] حياض عطبها، ومجرعها به كأس عذابها، (ومُزيرها)[3] من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به؛ فذلك خديعته نفسه ظنّاً منه، مع إساءته إليها في أمر معادها، أنه إليها محسن؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إعلاماً منه عباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم، في إسخاطهم عليها ربهم، بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين، ولكنهم على (عمياء)[4] من أمرهم مقيمون.

ومقال ابن أبي[5] حاتم: أنبأنا علي بن المبارك فيما كتب إلي، حدثنا زيد بن المبارك، حدثنا محمد بن ثور، عن ابن جريج ـ في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ـ قال: يظهرون لا إله إلا الله، يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم، وفي أنفسهم غير ذلك.

وقال سعيد[6]، عن قتادة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ نعت المنافق عند كثير: خنع الأخلاق، يصدق بلسانه، وينكر بقلبه، ويخالف بعمله، يصبح على حال، ويمسي على غيره، ويمسي على حال، ويصبح على غيره، ويتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح (هب)[7] معها.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾.

قال السدي[8]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب (النبي)[9] ﷺ في هذه الآية: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: شك، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: شكّاً.

وقال ابن إسحاق[10]، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ـ قال: شك.

---

(١) في (ك) و(ن): «السبي». (٢) في «تفسير ابن جرير»: «موردها به».
(٣) في (ك): «يزيدها» وفي «ابن جرير»: «مذيقها» وأثبت الشيخ محمود شاكر حفظه الله ما أثبته هنا عن هذا الموضع وأزاره: يعني حمله على الزيارة، وهذا من باب السخرية بهم.
(٤) في (ن): «عمي». (٥) في «تفسيره» (١٠٧) وسنده جيد.
(٦) هو سعيد بن أبي عروبة، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٨) من طريق يزيد بن زريع، ثنا ابن أبي عروبة. وسنده صحيح.
(٧) في (ن): «هبت»، ووقع كذلك عند «ابن أبي حاتم»، وهو خطأ فإن هذا الفعل عائد على «المنافق» والله أعلم.
(٨) أخرجه ابن جرير (٣٢٤) [وسنده ضعيف]. (٩) في (ن) و(هـ): «رسول الله».
(١٠) أخرجه ابن إسحاق ومن طريقه ابن جرير (٣٢٢)؛ وابن أبي حاتم (١١٢، ١١٤) [وسنده حسن].

وكذلك قال مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة.

وعن عكرمة، وطاوس: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: الرياء.

وقال الضحاك[(١)]، عن ابن عباس: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ـ قال: نفاق. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ ـ قال: نفاقاً. وهذا كالأول.

وقال عبد الرحمٰن[(٢)] بن زيد بن أسلم: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: هذا مرض في الدين، وليس مرضاً في الأجساد؛ وهم المنافقون. والمرض: الشكُّ الذي دخلهم في الإسلام.

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: زادهم رجساً؛ وقرأ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] قال: شرّاً إلى شرهم، وضلالةً إلى ضلالتهم. وهذا الذي قاله عبد الرحمٰن رَحِمَهُ اللَّهُ حسن، وهو الجزاء من جنس العمل. وكذلك قاله الأولون؛ وهو نظير قوله تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧﴾ [محمد].

[(٣)][وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ وقرئ[(٤)] «يُكذِّبون». وقد كانوا متصفين بهذا وهذا؛ فإنهم كانوا كذبة ويكذبون (بالحق)[(٥)]، يجمعون بين هذا وهذا.

وقد سئل القرطبي[(٦)] وغيره من المفسرين عن حكمة كفه عليه (الصلاة)[(٧)] والسلام [(٨)][عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان بعضهم، وذكروا أجوبةً عن ذلك؛ منها ما ثبت في «الصحيحين»][(٨)] أنه][(٣)] [(٩)][(ﷺ)][(١٠)] قال لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أكره[(١١)] أن يتحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه».

ومعنى هذا خشية (أن يقع)[(١٢)] بسبب ذلك (تنفير)[(١٣)] لكثير من][(٩)]. [(١٤)][الأعراب عن الدخول في الإسلام ولا يعلمون حكمة قتله لهم، وأن قتله إياهم إنما هو على الكفر؛ فإنهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون: إن محمداً يقتل أصحابه][(١٤)].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٢٣)؛ وابن أبي حاتم (١١١) وسنده ضعيف كما تقدم.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٢٥) وسنده صحيح.

(٣) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٤) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب.

(٥) في (ن): «بالغيب».

(٦) كما في «تفسيره» (١/١٩٨، ١٩٩).

(٧) من (ن).

(٨) ساقط من (ك).

(٩) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(١٠) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(١١) أخرجه البخاري (٦/٥٤٦؛ و٨/٦٤٨، ٦٥٢)؛ ومسلم (٢٥٨٤/٦٣)، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمعها عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوها، والله! لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» واللفظ لمسلم. وأخرجه البخاري في «فرض الخمس» (٦/٢٣٨) مختصراً.

(١٢) في (ج) و(ل): «أن لا يقع».

(١٣) كذا في (ج) و(ك) وفي (ل) و(ن): «تغير».

(١٤) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

[1][قال القرطبي[2]: وهذا قول علمائنا وغيرهم، كما كان يعطي المؤلفة (قلوبهم)[3] مع علمه (بسوء)[4] اعتقادهم.

قال ابن عطية[5]: وهي طريقة أصحاب مالك، نص عليه محمد بن الجهم، والقاضي إسماعيل، (و)[6] الأبهري (و)[7] ابن الماجشون][1].

[8][ومنها: ما قال مالك (رَحِمَهُ اللهُ)[9]: إنما كف رسول الله ﷺ عن المنافقين (ليبين)[10] لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه.

قال القرطبي[11]: وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام][8].

[12][قال[13]: ومنها ما قال الشافعي: إنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم؛ لأن ما يظهرونه يجب ما قبله.

ويؤيد هذا قوله عليه (الصلاة)[14] والسلام في الحديث المجمع على صحته في «الصحيحين»[15] وغيرهما: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله ﷻ».

ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهراً؛ فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة، وإن لم يعتقدها لم ينفعه (في الآخرة)[16] جريان الحكم عليه في الدنيا، وكونه كان خليط أهل الإيمان: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الآية [الحديد: ١٤][12].

[17][فهم يخالطونهم في بعض المحشر، فإذا حقّت المحقوقية تميزوا منهم، وتخلفوا بعدهم، وحيل بينهم وبينهم، ولم يمكنهم أن يسجدوا معهم، كما نطقت بذلك الأحاديث[18]][17].

ومنها ما قاله بعضهم: إنه إنما لم يقتلهم؛ لأنه كان (لا يخاف)[19] من شرهم مع وجوده ﷺ بين أظهرهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات، فأما بعده فيُقتلون إذا أظهروا النفاق، وعلمه

---

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).
(٢) في «تفسيره» (١/ ١٩٩).
(٣) من (ج).
(٤) في (ج): «بشر».
(٥) في «تفسيره» (١/ ١٧١).
(٦) ساقط من (ج). والأبهري هو الفقيه المحدث محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر، مترجم في «سير النبلاء» (١٦/ ٣٣٢).
(٧) في (ن): «وعن».
(٨) ساقط من (ز).
(٩) من (ج) و(ل).
(١٠) في (ن): «ليبين».
(١١) في «تفسيره» (١/ ١٩٨).
(١٢) ساقط من (ز).
(١٣) يعني «القرطبي» (١/ ٢٠٠).
(١٤) من (ن).
(١٥) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢؛ و١٢/ ٢٧٥؛ و١٣/ ٢٥٠)؛ ومسلم (٢٠/ ٣٢).
(١٦) ساقط من (ن).
(١٧) ساقط من (ز).
(١٨) وقد ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ بعضها في سورة القلم عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].
(١٩) في (ج): «يخاف».

(١)[المسلمون؛ قال مالك: المنافق في عهد رسول الله ﷺ هو الزنديق اليوم.

قلت: وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق إذا أظهر الكفر؛ هل يستتاب أم لا؟ أو يفرق بين أن يكون داعيةً أم لا؟ أو يتكرر منه ارتداده أم لا؟ أو يكون إسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه، أو بعد أن ظهر عليه؟ على أقوال متعددة، موضع بسطها وتقريرها وعزوها «كتاب الأحكام».

تنبيه: قول من قال: كان عليه (الصلاة)(٢) والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين إنما مستنده حديث(٣) حذيفة بن اليمان في تسمية](١). (١)[أولئك الأربعة عشر منافقاً في غزوة تبوك الذين هموا أن يفتكوا برسول الله ﷺ في ظلماء الليل عند عقبة (هنالك)(٤) عزموا على أن ينفروا به الناقة ليسقط عنها؛ فأوحى (الله)(٥) إليه أمرهم (وأطلع)(٦) على ذلك حذيفة. ولعلَّ الكف عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك أو لغيرها. والله أعلم.

فأما غير هؤلاء فقد قال الله (تعالى)(٥): ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝٦١﴾ [الأحزاب] ففيها دليل على أنه لم يغر بهم، ولم (يدل)(٧) على أعيانهم؛ وإنما كان يذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [محمد: ٣٠].

وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أُبي بن سلول، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين، ومع هذا](١). (٨)[لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين وقد عاتبه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)(٩) فيه، فقال: «إني أكره أن تتحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه»(١٠).

وفي رواية في «الصحيح»(١١): «إني خيرت فاخترت». وفي رواية(١١): «لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت»](٨).

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) من (ن).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٧٩/٩ ـ ١١).
(٤) في (ن): «هناك».
(٥) من (ن).
(٦) في (ن): «فاطلع».
(٧) في (ن): «يدرك»!
(٨) ساقط من (ز).
(٩) من (ن).
(١٠) لم يقل النبي ﷺ هذا الكلام في هذا الموضع، فلعل قلم المصنف رحمه الله سبقه، وقد مرت مناسبة هذا الحديث منذ قليل. والله أعلم.
(١١) يعني: «صحيح البخاري» وقد رواه في «الجنائز» (٢٢٨/٣)؛ وفي «التفسير» (٣٣٣/٨).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

قال السدي في «تفسيره»[(١)]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الطيب (الهمداني)[(٢)]، عن ابن مسعود، وعن أنس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ (قال: هم المنافقون)[(٣)].

أما ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: الفساد هو الكفر، والعمل بالمعصية.

وقال أبو جعفر[(٤)]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: يعني لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك معصية الله؛ لأنه من عصى الله في الأرض، (أو)[(٥)] (بمعصية الله)[(٦)]، فقد أفسد في الأرض لأنَّ صلاح الأرض والسماء بالطاعة.

وهكذا[(٧)] قال الربيع بن أنس، وقتادة.

وقال ابن[(٨)] جريج، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم: لا تفعلوا كذا وكذا، قالوا: إنما نحن (على الهدى)[(٩)] مصلحون.

و(قد)[(١٠)] قال وكيع، وعيسى بن يونس، وعثام بن علي، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن سلمان الفارسي[(١١)]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ قال سلمان: لم يجئ أهل هذه (الآية)[(١٢)] بعد.

وقال ابن جرير[(١٣)]: حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا عبد الرحمٰن بن شريك، حدثني أبي، عن الأعمش، عن زيد بن وهب وغيره، عن سلمان (الفارسي)[(١٤)] في هذه الآية، قال: ما جاء هؤلاء.

---

(١) ومن طريقه: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٣٩).
(٢) من (ز) و(ن).
(٣) من (ن) وحدها، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». [وسنده ضعيف].
(٤) أخرجه ابن جرير (٣٤٠)؛ وابن أبي حاتم (١٢١) من طريقين عن أبي جعفر الرازي عن الربيع، عن أبي العالية. [وسنده جيد].
(٥) في (ج) و(ل): «و».
(٦) في (ن): «بمعصيته».
(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٢).
(٨) أخرجه ابن جرير (٣٤٢).
(٩) ساقط من (ج)، ووقع في (هـ): «مصلحون على الهدى» وأشار الناسخ إلى أنه وقع تقديم وتأخير في الكلام.
(١٠) ساقط من (ن).
(١١) أخرجه ابن جرير (٣٣٧)؛ وابن أبي حاتم (١٢٣) من طريق ثلاثتهم عن الأعمش به وسنده ضعيف لضعف عباد بن عبد الله ولكن تابعه زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي مثله.
أخرجه ابن جرير (٣٣٨) من طريق عبد الرحمٰن بن شريك، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني الأعمش، عن زيد بن وهب. وسنده ضعيف أيضاً وعبد الرحمٰن بن شريك وثقه ابن حبان ولكن وهاه أبو حاتم الرازي، وأبوه شريك النخعي سيء الحفظ وانضمام أحد السندين إلى آخر يشعر أن للكلام أصلاً. والله أعلم.
(١٢) في (ك): «الأمة»!!
(١٣) في «تفسيره» (٣٣٨).
(١٤) ساقط من (ن).

قال ابن جرير: يحتمل أن سلمان (رضي الله عنه)[١] أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فساداً من الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، لا أنه عنى أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد.

قال ابن جرير[٢]: فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد (عملاً)[٣] إلا بالتصديق به، والإيقان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ فذلك إفساد المنافقين في (الأرض)[٤]، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها.

وهذا الذي قاله حسن؛ فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال] فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء].

ثم قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء] فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين، فكان الفساد من جهة المنافق حاصل؛ لأنه هو الذي غرَّ المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له؛ ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على (حاله الأول)[٥] لكان شره أخف، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين؛ ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء؛ كما قال محمد[٦] بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب.

يقول الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه، ويزعمون أنه إصلاح، هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى: وإذا قيل للمنافقين: ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أي: كإيمان الناس بالله وملائكته،

---

(١) من (ن). (٢) في «تفسيره» (١/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) كذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، ووقع في (ز): «عمل» بالرفع، على اعتبار أن الفعل مبني لما لم يسم فاعله.

(٤) في «الطبري»: «أرض الله». (٥) في (ز) و(هـ): «حالته الأولى».

(٦) أخرجه ابن إسحاق ومن طريقه: ابن جرير (٣٤١)؛ وابن أبي حاتم (١٢٤). [وسنده حسن].

وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، وغير ذلك مما أخبر (المؤمنون)[١] به وعنه؛ وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعنون ـ لعنهم الله ـ: أصحاب رسول الله ﷺ ﷺ؛ قاله أبو العالية[٢]، والسدي في «تفسيره»[٣] بسنده عن ابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من الصحابة؛ وبه يقول الربيع بن[٤] أنس، وعبد الرحمٰن بن زيد[٥] بن أسلم، وغيرهم: يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة، وعلى طريقة واحدة، وهم سفهاء؟

والسفهاء: جمع سفيه كما أن الحكماء جمع حكيم، (والحلماء جمع حليم)[٦]. والسفيه: هو الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار؛ ولهذا سمى الله النساء والصبيان سفهاء في قوله (تعالى)[٧]: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ [النساء: ٥] قال عامة علماء (التفسير)[٨]: هم النساء والصبيان.

وقد تولى الله (ﷻ) (جوابهم)[٩] في هذه المواطن كلها؛ فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فأكد وحصر السفاهة فيهم.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ يعني: ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل؛ وذلك أردى لهم، وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾.

يقول تعالى: وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ (أي)[١٠]: أظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة غروراً منهم للمؤمنين ونفاقاً، ومصانعةً وتقيةً، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم.

﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ يعني: وإذا انصرفوا وذهبوا (وخلصوا)[١١] إلى شياطينهم؛ فضمن «خلوْا» معنى انصرفوا؛ لتعديته بـ«إلى»، ليدلَّ على الفعل المضمر، والفعل الملفوظ به.

ومنهم من قال: «إلى» هنا بمعنى «مع». والأول أحسن. وعليه يدور كلام ابن جرير[١٢].

وقال السدي[١٣]، عن أبي مالك: ﴿خَلَوۡاْ﴾ يعني: مضوا. وشياطينهم: سادتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين.

---

(١) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي) ووقع في (ز) و(ل) و(ن): «المؤمنين» على اعتبار أن الفعل مبني للمعلوم.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٩). [وسنده جيد].
(٣) أخرجه ابن جرير (٣٤٤). [وسنده ضعيف ويتقوىٰ بالآثار التي تليه].
(٤) أخرجه ابن جرير (٣٤٥، ٣٤٦). [وسنده جيد].
(٥) ساقط من (ز).
(٦) من (ز) و(ن).
(٧) في (ز): «السلف».
(٨) ليس في (ع) و(ل) و(هـ) و(ي) وسقط لفظ «تعالى» من (ز) و(ن).
(٩) في (ل): «إخوانهم».
(١٠) ساقط من (ن).
(١١) في (ز): «وأخلصوا».
(١٢) في «تفسيره» (١/٢٩٨).
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٠). [وسنده حسن].

قال السدي في «تفسيره»[١]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة (الهمداني)[٢]، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [٣][يعني: هم رؤوسهم في الكفر][٣].

[٤][وقال الضحاك[٥]، عن ابن عباس: وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم][٤].

وقال محمد بن[٦] إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب، وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ.

وقال مجاهد[٧]: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين.

وقال قتادة[٨]: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: إلى رؤوسهم وقادتهم في الشرك والشر.

وبنحو ذلك فسره أبو مالك، وأبو العالية، والسدي، والربيع بن أنس.

قال ابن جرير: وشياطين كل شيء مردته، ويكون الشيطان من الإنس والجن؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي «المسند»[٩]، عن أبي ذرٍّ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوَّذ بالله من شياطين الإنس والجن». فقلت: يا رسول الله، أو للإنس شياطين؟ قال: «نعم».

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ قال محمد بن إسحاق[١٠]، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أي: إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم.

وقال الضحاك[١١]، عن ابن عباس؛ قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ساخرون بأصحاب محمد ﷺ.

---

(١) ومن طريقه ابن جرير (٣٥١). [وسنده ضعيف، ويشهد له سابقه].

(٢) من (ن). (٣) ساقط من (ك).

(٤) ساقط من (ك).

(٥) أخرجه ابن جرير (٣٤٩)؛ وابن أبي حاتم (١٣٦) وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (٣٥٠)؛ وابن أبي حاتم (١٣٧). [وسنده حسن].

(٧) أخرجه ابن جرير (٣٥٥)؛ وابن أبي حاتم (١٣٩)؛ وعبد بن حميد، كما في «الفتح» (٨/ ١٦١)، من طريقين عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد وسنده صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (٣٥٢)؛ وابن أبي حاتم (١٣٨) من طريق عبد الوهاب بن عطاء ويزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وهذا سند صحيح، وعبد الوهاب ويزيد من قدماء أصحاب سعيد.

(٩) للإمام أحمد (٥/ ١٧٨، ١٧٩) وتقدم تخريجه في «سورة الفاتحة» عند الكلام على الاستعاذة.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٣٥٠)؛ وابن أبي حاتم (١٤١). [وسنده حسن].

(١١) أخرجه ابن جرير (٣٥٩)؛ وابن أبي حاتم (١٤٢) وسنده ضعيف [ويشهد له ما يليه].

وكذلك قال الربيع[(١)] بن أنس، وقتادة.

وقوله تعالى جواباً لهم ومقابلةً على صنيعهم: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥﴾.

وقال ابن جرير[(٢)]: أخبر تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله (تعالى)[(٣)]: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣﴾ الآية [الحديد] وقوله (تعالى)[(٣)]: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٨].

قال[(٤)]: فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره، وسخريته ومكره، وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به، عند قائل هذا القول ومتأول هذا التأويل.

قال[(٥)]: وقال آخرون: بل استهزاؤه بهم توبيخه إياهم، ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به.

قال[(٥)]: وقال آخرون: هذا وأمثاله على سبيل الجواب؛ كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به: أنا الذي خدعتك. ولم يكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه.

قالوا: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آل عمران] و﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ على الجواب؛ والله لا يكون منه المكر ولا الهزء. والمعنى أن المكر والهزء حاق بهم.

وقال آخرون: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ وقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله: ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩] و﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧] وما أشبه ذلك، إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء، (ومعاقبهم)[(٥)] عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن (جزائه)[(٦)] إياهم، وعقابه لهم، مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ، وإن اختلف المعنيان، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[(٧)] [الشورى: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] فالأول ظلم، والثاني عدل، فهما وإن اتفق لفظهما فقد اختلف معناهما. قال: وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك.

قال[(٨)]: وقال آخرون: إن معنى ذلك أن الله أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا: إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد (ﷺ)[(٩)] وما جاء به وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزئون؛ فأخبر تعالى أنه يستهزئ بهم، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا ـ يعني: من عصمة دمائهم وأموالهم ـ خلاف الذي لهم عنده في الآخرة؛ يعني: من العذاب والنكال.

---

(١) أخرجهما ابن جرير (٣٦١، ٣٦٢). [بسندين ثابتين].
(٢) في «تفسيره» (١/ ٣٠١).
(٣) من (ز) و(ن).
(٤) يعني: ابن جرير (١/ ٣٠٢، ٣٠٣).
(٥) في (ز): «يعاقبهم».
(٦) في (ز): «جوابه».
(٧) في (ن): «فمن عفا وأصلح فأجره على الله».
(٨) يعني: ابن جرير (١/ ٣٠٣).
(٩) من (ز) و(ن).

ثم شرع ابن جرير[١] يوجه هذا القول وينصره؛ لأن المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب (والعبث)[٢] (منتف)[٣] عن الله ﷻ بالإجماع. وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك.

قال: وبنحو ما قلنا فيه روي الخبر عن ابن عباس[٤]: حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان، حدثنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس ـ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ قال: يسخر بهم للنقمة منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال السدي[٥]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة (الهمداني)[٦]، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ: يمدهم: يملي لهم. وقال مجاهد[٧]: يزيدهم.

[٨][وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون] وقال:][٨] [٩][﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] قال بعضهم: كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمةً، وهي في الحقيقة نقمة. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾][٩] [الأنعام].

قال ابن[١٠] جرير: والصواب يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم؛ كما قال (تعالى)[١١]: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام].

والطغيان: هو المجاوزة في الشيء، كما قال (تعالى)[١٢]: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة].

وقال الضحاك[١٣]، عن ابن عباس: ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في كفرهم يترددون. وكذا فسره السدي[١٤] بسنده عن الصحابة، وبه[١٥] يقول أبو العالية، وقتادة، والربيع بن أنس، ومجاهد، وأبو مالك، وعبد الرحمٰن بن زيد: في كفرهم وضلالتهم.

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٣٠٣).
(٢) في (ج): «العنت»!
(٣) في (ن): «منتفى»!
(٤) يعني ابن جرير (٣٦٣) وسنده ضعيف.
(٥) في (تفسيره)، ومن طريقه ابن جرير (٣٦٤)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].
(٦) من (ن).
(٧) أخرجه ابن جرير (٣٦٥)؛ وابن أبي حاتم (١٤٥). [وسنده صحيح] وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٣١) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٨) ساقط من (ز).
(٩) ساقط من (ز).
(١٠) في «تفسيره» (١/ ٣٠٧).
(١١) من (ز) و(ن).
(١٢) من (ن).
(١٣) أخرجه ابن جرير (٣٦٦)؛ وابن أبي حاتم (١٤٨) وسنده ضعيف [ويشهد له ما يليه].
(١٤) أخرجه ابن جرير (٣٦٧). [وسنده ضعيف ويشهد له ما يليه].
(١٥) أخرج أقوالهم: ابن جرير (٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠)؛ وابن أبي حاتم (١٤٧). [وكلها أسانيد ما بين صحاح وجياد].

قال ابن جرير[١]: والعمه: الضلال، يقال: عَمِه فلان يعمه عمهاً وعموها، إذا ضل. قال: وقوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في ضلالتهم، وكفرهم الذي غمرهم دنسه، وعلاهم رجسه، يترددون حيارى ضُلالاً، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً؛ لأن الله (تعالى)[٢] قد طبع على قلوبهم، وختم عليها، وأعمى أبصارهم عن الهدى، وأغشاها؛ فلا يبصرون رشداً، ولا يهتدون سبيلاً.

[٣][وقال بعضهم: العمى في العين، والعمه في القلب؛ وقد يستعمل العمى في القلب أيضاً؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وتقول: عمه الرجل يعمه عموهاً فهو عمه وعامه، وجمعه عُمَّهٌ. وذهبت إبله (العمهى)[٤]؛ إذا لم يدر أين ذهبت][٣].

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

قال السُّدِيُّ في «تفسيره»[٥]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ قال: أخذوا الضلالة، وتركوا الهدى.

وقال (محمد)[٦] بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس[٧]: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: الكفر بالإيمان.

وقال مجاهد[٨]: آمنوا ثم كفروا.

وقال قتادة[٩]: استحبوا الضلالة على الهدى.

وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

وحاصل قول المفسرين فيما تقدم أن المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضلال، واعتاضوا عن الهدى بالضلالة؛ وهو معنى قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: بذلوا الهدى ثمناً للضلالة. وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه إلى الكفر؛ كما قال (تعالى)[١٠] فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣] وأنهم استحبوا

---

(١) في «تفسيره» (١/٣٠٩).
(٢) ليس في (ن).
(٣) ساقط من (ز) و(هـ).
(٤) في (ن): «العمهاء».
(٥) ومن طريقه ابن جرير (٣٨١)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٥٥) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].
(٦) من (ل).
(٧) أخرجه ابن جرير (٣٨٠)؛ وابن أبي حاتم (١٥٣) [وسنده حسن].
(٨) أخرجه ابن جرير (٣٨٣، ٣٨٤)؛ وابن أبي حاتم (١٥٤) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وسنده صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٣٨٢)؛ وابن أبي حاتم (١٥٢) من طريقين عن قتادة، وسنده جيد.
(١٠) من (ز) و(ن).

الضلالة على الهدى، كما (قد)[١] يكون حال فريق آخر منهم؛ فإنهم أنواع وأقسام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ أي: ما ربحت (صفقتهم)[٢] في هذه البيعة.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ أي: راشدين في صنيعهم ذلك.

وقال ابن[٣] جرير: حدثنا (بشر)[٤]، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم[٥] من حديث يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة بمثله سواء.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[٦][يقال: مثلي ومثل ومثيل أيضاً. والجمع أمثال؛ قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾][٦] [العنكبوت].

(وتقرير)[٧] هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، وانتفع بها، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها؛ فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي؛ وهو مع (ذلك)[٨] أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصره؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد.

وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا، ثم كفروا، كما أخبر (تعالى عنهم)[٩] في غير هذا الموضع. والله أعلم.

[١٠][وقد حكى هذا الذي قلناه (فخر الدين)[١١] الرازي في][١٠] [١٢][«تفسيره» عن السدي[١٣]؛ ثم قال: والتشبيه ها هنا في غاية الصحة؛ لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولاً نوراً، ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك (النور)[١٤] فوقعوا في حيرة عظيمة؛ فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين][١٢].

---

(١) ساقط من (ز) و(ن).

(٢) في (ج): «صفتهم»!!

(٣) في «تفسيره» (٣٨٥).

(٤) في (ن): «بشير» وهو خطأ وفي «تفسير الطبري»: «بشر بن معاذ». [وسنده صحيح].

(٥) في «تفسيره» (١٥٧) من طريق العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع به. [وسنده صحيح].

(٦) ساقط من (ز).

(٧) في (ن): «وتقدير».

(٨) في (ن): «هذا».

(٩) كذا في (ل) و(ن) وفي (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي): «عنهم تعالى».

(١٠) ساقط من (ز).

(١١) ساقط من (ل) و(ن).

(١٢) ساقط من (ز).

(١٣) وأخرجه ابن جرير (٣٨٨) عن السدي.

(١٤) ساقط من (ن).

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل ها هنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات؛ واحتج بقوله (تعالى)[(١)]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة].

والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم؛ وهذا لا ينفى أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه، وطبع على قلوبهم. ولم يستحضر ابن جرير (رَحِمَهُ اللَّهُ)[(١)] هذه الآية ها هنا، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون] فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظهروه من كلمة الإيمان؛ أي: في الدنيا؛ ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة. قال: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: كدوران الذي يغشى عليه من الموت، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] [(٢)][وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

وقال بعضهم: تقدير الكلام: مثل قصتهم (كقصة)[(٣)] (الذي استوقد)[(٤)] ناراً.

وقال بعضهم: المستوقد واحد لجماعة معه. وقال آخرون: «الذي» ها هنا بمعنى «الذين»، كما قال الشاعر[(٥)]:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد][(٢)]

قلت: وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ وهذا أفصح في الكلام، وأبلغ في النظام.

وقوله (تعالى)[(٦)]: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: (أذهب)[(٧)] عنهم ما ينفعهم، وهو النور، وأبقى لهم ما يضرهم، وهو الإحراق والدخان.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ لا يهتدون إلى (سبيل)[(٨)] خير، ولا يعرفونها، وهم مع ذلك ﴿صُمٌّۢ﴾ لا يسمعون خيراً، (﴿بُكْمٌ﴾) لا يتكلمون بما ينفعهم، (﴿عُمْىٌ﴾) في ضلالة وعماية البصيرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة.

---

(١) من (ز) و(ن).
(٢) ساقط من (ز).
(٣) في (ك): «كمثل».
(٤) في (ن): «الذين استوقدوا».
(٥) قال الشيخ محمود شاكر حفظه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ٣٢٠): «هذا الشعر للأشهب بن رميلة وعزا ذلك لـ«الخزانة» (٢/ ٥٠٧، ٥٠٨)؛ و«البيان» (٤/ ٥٥)؛ و«كتاب سيبويه» (١/ ٩٦)؛ و«المؤتلف والمختلف» (٣٣) للآمدي، وذكر البغدادي أن أبا تمام أنشد البيت في أبيات لحريث بن محفض في كتابه «مختار أشعار القبائل». وروايته «إن اللألى» ولا شاهد فيه، وهم يقولون: إن النون حذفت من «الذين» فصارت «الذي لطول الكلام وللتخفيف، وهي بمعنى الجمع لا المفرد، و«فلج» وادٍ بين البصرة وحمى ضرية، كانت فيه هذه الواقعة التي ذكرها». اهـ.
(٦) من (ز) و(ن).
(٧) في (ك) و(ن): «ذهب»؛ وفي (ن): «ذهب عنهم بما».
(٨) في (ز): «سبل».

ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه:

قال السدي في «تفسيره»[(١)]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة (الهمداني)[(٢)]، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة - في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ زعم أن ناساً دخلوا في الإسلام مقدم نبي الله ﷺ المدينة، ثم إنهم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد ناراً؛ (﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾)[(٣)] ما حوله من قذى أو أذى، فأبصره حتى عرف ما يتقى (منها)[(٤)] فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتقى من أذى (فكذلك)[(٥)] المنافق؛ كان في ظلمة الشرك، فأسلم، فعرف الحلال والحرام، والخير والشر؛ فبينما هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر.

[(٦)][وقال العوفي، عن ابن عباس[(٧)]، في هذه الآية؛ قال: أما النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به. وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به؛ وهم قوم كانوا على هدًى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك][(٦)].

وقال مجاهد[(٨)]: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى.

وقال عطاء[(٩)] الخراساني - في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: هذا مثل المنافق يبصر أحياناً، ويعرف أحياناً، ثم يدركه عمى القلب.

وقال ابن أبي حاتم: وروى عن عكرمة، والحسن، والسدي، والربيع[(١٠)] بن أنس، نحو قول عطاء الخراساني.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[(١١)] - في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ إلى آخر الآية؛ قال[(١٢)]: هذه صفة المنافقين، كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا (﴿نَارًا﴾)[(١٣)]، ثم كفروا، فذهب الله بنورهم، فانتزعه، كما ذهب بضوء هذه النار، فتركهم في ظلمات لا يبصرون.

---

(١) وعنه ابن جرير (٣٨٨)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].
(٢) من (ن). (٣) في (ز): «فأضاءت».
(٤) في (ز) و(ن): «منه».
(٥) كذا في (ز) و(ع) و(هـ) و(ى) ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(ن): «فذلك».
(٦) ساقط من (ز).
(٧) أخرجه ابن جرير (٣٨٩) وسنده ضعيف كما قدمت.
(٨) أخرجه ابن جرير (٣٩٣)؛ وابن أبي حاتم (١٦١) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده صحيح، وأخرجه ابن جرير (٣٩٥) عن ابن جريج عن مجاهد مثله.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٠) بسند ضعيف. [ويتقوىٰ بالآثار التالية].
(١٠) أخرجه ابن جرير (٣٩٦).
(١١) وأخطأ ناسخ (ن) فجعل قول عطاء الخراساني السابق قولاً لعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، فكأن نظره انتقل أثناء النسخ.
(١٢) أخرجه ابن جرير (٣٩٧) وسنده صحيح.
(١٣) من (ل) و(ن).

وأما قول ابن جرير[١] فيشبه ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[٢]، في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام، فيناكحهم المسلمون، ويوارثونهم، ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلب صاحب النار ضوءه.

وقال أبو جعفر الرازي[٣]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ فإنما ضوء النار ما أوقدتها، فإذا خمدت ذهب نورها، وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص بلا إله إلا الله أضاء له، فإذا شك وقع في الظلمة.

وقال الضحاك[٤]: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ «أما نورهم»[٥] فهو إيمانهم الذي تكلموا به.

وقال عبد الرزاق[٦]، عن معمر، عن قتادة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ فهي لا إله إلا الله، أضاءت لهم، فأكلوا بها وشربوا، وأمنوا في الدنيا، (ونكحوا)[٧] النساء، وحقنوا دماءهم، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

وقال سعيد[٨]، عن قتادة في هذه الآية: إن المعنى أن المنافق تكلم بلا إله إلا الله، فأضاءت له في الدنيا، فناكح بها المسلمين، وغازاهم بها، ووارثهم بها، وحقن بها دمه وماله؛ فلما كان عند الموت سلبها المنافق؛ لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ قال علي[٩] بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ يقول: في عذاب إذا ماتوا.

وقال (محمد) بن إسحاق[١٠]، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن[١١] عباس: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ أي: يبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم في ظلمات الكفر؛ فهم لا يبصرون هدًى، ولا يستقيمون على حق.

وقال السدي في «تفسيره»[١٢] بسنده: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ فكانت الظلمة نفاقهم.

وقال الحسن البصري[١٣]: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ فذلك حين يموت المنافق، فيظلم

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٣٢٤، ٣٢٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٣٨٧)؛ وابن أبي حاتم (١٥٨) [وسنده ثابت].
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٩) وهو عند ابن جرير (٣٩٦) عن الربيع بن أنس قوله. [وسنده جيد].
(٤) أخرجه ابن جرير (٣٩٢) وسنده حسن.
(٥) من (ن).
(٦) في «تفسيره» (١/ ٣٩) وعنه ابن جرير (٣٩١)؛ وابن أبي حاتم (١٦٤) وسنده صحيح.
(٧) في (ن): «وأنكحوا».
(٨) هو ابن أبي عروبة. وأخرجه ابن جرير (٣٩٠) عن يزيد بن زريع، عن سعيد به. [وسنده صحيح].
(٩) أخرجه ابن جرير (٣٨٧)؛ وابن أبي حاتم (١٦٧). [وسنده ثابت].
(١٠) من (ز) و(ن).
(١١) أخرجه ابن إسحاق كما في «الدر المنثور» (١/ ٣٢) ومن طريقه ابن جرير (٣٨٦)؛ وابن أبي حاتم (١٦٨). [وسنده حسن].
(١٢) وعنه ابن جرير (٣٨٨)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١) بسند ضعيف.

عليه عمله عمل السوء، فلا يجد له عملاً من خيرٍ عمل به يصدق به قول لا إله إلا الله.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال السدي[(١)] بسنده: صم بكم عمى؛ فهم خرس عمي.

وقال علي بن أبي طلحة[(٢)]، عن ابن عباس: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يقول: لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه؛ ولا يعقلونه. وكذا قال أبو العالية، وقتادة بن دعامة.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قال ابن عباس[(٣)]: أي لا يرجعون إلى هدًى. وكذا قال الربيع بن أنس.

وقال السدي[(٤)] بسنده: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ إلى الإسلام.

وقال قتادة[(٥)]: فهم لا يرجعون؛ أي: لا يتوبون، ولا هم يذكرون.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

وهذا مثل آخر ضربه (الله)[(٦)] تعالى لضربٍ آخر من المنافقين، وهم قوم يظهر لهم الحق تارةً، ويشكون تارةً أخرى؛ فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (﴿كَصَيِّبٍ﴾).

والصيب: المطر؛ قاله[(٧)] ابن مسعود، وابن[(٨)] عباس، وناس من الصحابة، وأبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن البصري، وقتادة، وعطية العوفي، وعطاء الخراساني، والسدي، والربيع بن أنس.

وقال الضحاك: هو السحاب. والأشهر هو المطر نزل من السماء، في حال ظلمات؛ وهي الشكوك، والكفر، والنفاق.

﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو ما يزعج القلوب من الخوف؛ فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد، والفزع؛ كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة].

والبرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان؛

---

(١) أخرجه ابن جرير (٤٠٠) وهو عند ابن أبي حاتم (١٧٤) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٩٩)؛ وابن أبي حاتم (١٧٣). [وسنده ثابت].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم (١٧٩) قوله. [وسنده ضعيف].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠)؛ وابن جرير (٤٠١) نحوه. [وسنده صحيح].

(٦) من (ز) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي).

(٧) أخرجه ابن جرير (٤٠٨).

(٨) أخرجه ابن جرير (٤٠٥)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٧٤٣) من طريق محمد بن عبيد عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس فذكره. وسنده قوي، وبقية الآثار عند ابن جرير وأبي الشيخ (٧٤٤)؛ وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» (١/ ٥٤). [وهذه الآثار أسانيدها ثابتة سوىٰ أثر عطية العوفي ويتقوىٰ بالآثار الأخرىٰ].

ولهذا قال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: (ولا يجدي)[1] عنهم حذرهم شيئاً؛ لأن الله محيط بقدرته، وهم تحت مشيئته وإرادته؛ كما قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾[2] [البروج].

ثم قال: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي: لشدته وقوته في نفسه، وضعف بصائرهم، وعدم ثباتها للإيمان.

وقال علي بن أبي[3] طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يقول يكاد: محكم القرآن يدل على عورات المنافقين.

وقال ابن[4] إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي: لشدة ضوء الحق، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ أي: كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه؛ وتارةً تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم، فوقفوا حائرين.

وقال علي بن[5] أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ يقول: كلما [أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه، وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر؛ كقوله (تعالى)[7]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

وقال محمد[8] بن إسحاق، عن محمد (بن أبي محمد)[9]، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿كُلَّمَآ﴾][6] ﴿أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ أي: يعرفون الحق، ويتكلمون به؛ فهم (من)[10] قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا؛ أي: متحيرين.

---

(١) في (ج) و(ل): «يجزي».

(٢) قال في حاشية (ج): «حاشية: الصواعق: جمع صاعقة، وهي نار تنزل من السماء في وقت الرعد الشديد، وحكى الخليل بن أحمد عن بعضهم: صاعقة، وحكى بعضهم: صاعقة، وصعقة، وصاقعة ونقل عن الحسن البصري أنه قرأ: من الصواقع حذر الموت؛ بتقديم القاف وأنشدوا لأبي اللحم:

يحكون بالمصقولة القواطع   تشقق البرق عن الصواقع

قال النحاس: وهي لغة بني تميم وبعض بني ربيعة. حرر ذلك القرطبي». اهـ.

قلت: وقد ثبتت هذه الحاشية في (ى) ولكن ناسخ (ل) وضعها في سياق الكلام، وكذلك ناسخ (ع) كتبها على حاشية نسخته وأشار في السياق إلى موضعها، والصواب أنها حاشية كما صرح به في (ج) والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن جرير (٤٥٤) مطولاً. واختصره المصنِّف وهو كذلك عند ابن أبي حاتم (٢٠٤). [وسنده ثابت].

(٤) أخرجه ابن جرير (٤٥١) مطولاً؛ وابن أبي حاتم (٢٠٧) مختصراً. [وسنده حسن].

(٥) أخرجه ابن جرير (٤٥٤)؛ وابن أبي حاتم (٢٠٩). [وسنده ثابت].

(٦) ساقط من (ك).   (٧) من (ن).

(٨) أخرجه ابن جرير (٤٥١). وهو عند ابن أبي حاتم (٢١٢) مختصر. [وسنده ثابت].

(٩) ساقط من (ج) و(ع).   (١٠) في (ز): «في».

وهكذا[١] قال أبو العالية، والحسن البصري، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي بسنده عن الصحابة؛ وهو أصح وأظهر. والله أعلم.

وهكذا يكونون يوم القيامة عند ما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم؛ فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ، وأكثر من ذلك وأقل من ذلك؛ ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء (له)[٢] أخرى، (ومنهم من يمشي)[٣] على الصراط تارة ويقف أخرى؛ ومنهم من يطفأ نوره بالكلية، وهم الخُلَّص من المنافقين الذين قال (تعالى)[٤] فيهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

وقال في حق المؤمنين: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية [الحديد: ١٢] وقال (تعالى)[٤]: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

ذكر الحديث الوارد في ذلك:

قال سعيد بن أبي عروبة، (عن قتادة)[٥] في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾ الآية [الحديد: ١٢]. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن (أبين)[٦] فصنعاء ودون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه. رواه ابن جرير[٧] ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن داور القطان، عن قتادة بنحوه.

وهذا كما قال المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود؛ قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة؛ ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم؛ وأدناهم نوراً على إبهامه يطفأ مرةً ويتقد مرةً.

وهكذا رواه ابن جرير[٨]، عن ابن مثنى، عن ابن إدريس، عن أبيه، عن المنهال.

---

(١) أخرج هذه الآثار عنهم ابن جرير (٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠) [وهذه الآثار أسانيدها ثابتة سوىٰ سند السدي فضعيف ويتقوىٰ بتلك الآثار].

(٢) ساقط من (ن).

(٣) كذا في (ع) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ك): «يمشي»؛ وفي (ج) و(ز) و(ل): «فيمشي».

(٤) من (ز) و(ن).

(٥) ساقط من جميع الأصول ولا بدّ منه.

(٦) ذكر في (ي) أن «أبين» اسم رجل نسبت إليه «عدن».

(٧) في «تفسيره» (١٢٨/٢٧) وسنده ضعيف لإعضاله وله شواهد يأتي النظر فيها في تفسير سورة الحديد إن شاء الله تعالى.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٥/٢) عن معمر، عن قتادة. قال: بلغنا أن المؤمنين... إلخ ولم يذكر رفعاً، مع أن السيوطي لما عزاه في «الدر المنثور» (١٧٢/٦) إلى عبد الرزاق ذكر «الرفع» فلعله تسامح في عزوه هكذا. والله أعلم.

(٨) في «تفسيره» (١٢٨/٢٧).
وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٩/١٣) ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (٤٧٨/٢) قال: حدثنا عبد الله بن إدريس بسنده سواء. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٢/٦)؛ لابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ووقع في «تلخيص المستدرك» أنه على =

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا (علي بن محمد)[١] (الطنافسي)[٢]، حدثنا ابن إدريس، سمعت أبي (يذكر)[٣] عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله (بن مسعود)[٤]: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨] ـ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرةً ويطفأ أخرى[٥].

وقال ابن أبي حاتم (أيضاً)[٦]: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا أبو يحيى الحمَّاني، حدثنا (عتبة)[٧] بن (اليقطان)[٨] عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره؛ فالمؤمن مشفق مما يرى من إطفاء نور المنافقين، فهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٩] [التحريم: ٨].

وقال الضحاك بن مزاحم: يعطى كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نوراً؛ فإذا انتهى إلى الصراط طُفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنين أشفقوا فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[١٠] [التحريم: ٨].

فإذا تقرر هذا صار الناس أقساماً: مؤمنون خلص، وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة. وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها. ومنافقون، وهم قسمان: خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون؛ تارةً يظهر لهم لمع (من)[١١] الإيمان، وتارةً يخبو؛ وهم أصحاب المثل المائي، وهم أخف حالاً من الذين قبلهم.

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور، من ضرب مثل المؤمن، وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دُري؛ وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان، واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط، كما سيأتي تقريره في موضعه[١٢] إن شاء الله.

ثم ضرب مثل العُبَّاد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء، وليسوا على شيء، وهم أصحاب الجهل المركب في قوله (تعالى)[١٣]: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ الآية [النور: ٣٩].

= شرط البخاري! وكلا القولين خطأ فليس هو على شرط أحدهما والمنهال بن عمرو من مفاريد البخاري، وقيس بن السكن من مفاريد مسلم، وهو سند جيد. والله أعلم.

(١) في (ن): «محمد بن علي بن محمد» و«محمد» الأولى مقحمةٌ.

(٢) في (ز) و(ل): «الطيالسي» وهو خطأ.

(٣) في (ز): «بكر»!!

(٤) من (ن).

(٥) [سنده حسن].

(٦) من (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ي).

(٧) في (هـ): «عقبة» بالقاف، وهو خطأ ظاهر.

(٨) في (ز): «القطان» وهو خطأ أيضاً.

(٩) [سنده ضعيف لضعف عتبة بن يقظان (التقريب ص٢٣٨١)].

(١٠) [يشهد له سابقه].

(١١) ساقط من (ن).

(١٢) في سورة النور عند الآية [٣٥].

(١٣) من (ن).

ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط، وهم الذين قال (الله)[١] (تعالى)[٢] فيهم: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ [النور].

فقسم الكفار ها هنا إلى قسمين: داعيةٍ ومقلد، كما ذكرهما في أول سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾ [الحج] وقال (بعده)[٣]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ [الحج].

وقد قسَّم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها. وفي سورة الإنسان إلى قسمين: سابقون وهم المقربون، وأصحاب يمين وهم الأبرار.

فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان: مقربون وأبرار، وأن الكافرين صنفان: دعاة ومقلدون، وأن المنافقين أيضاً صنفان: منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في «الصحيحين»[٤]، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق؛ إما عملي لهذا الحديث، أو اعتقادي كما دلت عليه الآية، كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض العلماء، كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله (تعالى)[٥].

قال الإمام[٦] أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية ـ يعني: شيبان ـ عن ليث، عن

---

(١) من (ج) و(ل) و(هـ).

(٢) من (ن) ووقع في (ز) و(ع) و(ك) و(ي): «قال فيهم».

(٣) من (ز) وحدها ووقع ترتيب الآيتين هكذا في (ك) وأما في (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي) فقد ذكرت الآية الثانية قبل الأولى.

(٤) كذا عزاه المصنف رحمه الله لـ«الصحيحين» من حديث ابن عمرو بلفظ: «ثلاث» وهو وهم، ولم أر لفظ «ثلاث» في حديث ابن عمرو إلا موقوفاً. أخرجه الفريابي في «صفة المنافق» (١٦، ١٧)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ١٩٢) بسندين فيهما مقال.

أما لفظ حديث ابن عمرو في «الصحيحين» وفي غيرهما: «أربع من كن فيه» أو «أربع خلال من كن فيه» أو «أربعة من كن فيه» وزاد على ما ذكره المصنف: «وإذا خاصم فجر».

أخرجه البخاري في «الإيمان» (١/ ٨٩)؛ وفي «المظالم» (٥/ ١٠٧)؛ وفي «الجزية» (٦/ ٢٧٩)؛ ومسلم في «الإيمان» (٥٨/ ١٠٦)؛ وأبو عوانة (١/ ٢٠)؛ وأبو داود (٤٦٨٨)؛ والنسائي (٨/ ١١٦)؛ والترمذي (٢٦٣٢)؛ وأحمد (٢/ ١٨٩، ١٩٨) وآخرون من طرق عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً فذكره. وقد خرَّجته في «الصمت» (٤٧١)؛ لابن أبي الدنيا وعزاه الزبيدي في «الإتحاف» (٢/ ٢٦٩) لابن ماجه وهو وهم.

(٥) من (ج) و(ك) و(ل) و(هـ).

(٦) في «مسنده» (٣/ ١٧)؛ وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/ ١٠٩، ١١٠) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٥) من طريق أحمد بن خالد الوهبي قال: ثنا شيبان بن عبد الرحمٰن بسنده سواء.

قال الطبراني: «لم يروه عن شيبان إلا أحمد بن خالد الوهبي، ولا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد». =

عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح؛ فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن (سراجه)[1] فيه نوره. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر [وأما القلب المنكوس فقلب (المنافق)[3]][2]، عرف ثم أنكر. وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق. ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب. ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم؛ فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه».

وهذا إسناد جيد حسن.

وقوله (تعالى)[4]: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [قال (محمد)[6] بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير؛ عن ابن[7] عباس - في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ قال: لما تركوا من (الحق)[8] بعد معرفته.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾][5]: قال (ابن إسحاق)[9]: أي إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير.

وقال ابن جرير[10]: إنما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع، لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير. ومعنى قدير قادر، كما (أن)[11] معنى عليم عالم.

[وذهب ابن جرير (الطبري)[13] ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين، وتكون «أو» في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بمعنى الواو؛ كقوله (تعالى)[14]: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] أو تكون للتخيير؛ أي: اضرب لهم مثلاً بهذا، وإن شئت بهذا][12].

= (*) **قلت**: لم يتفرد به الوهبي كما رأيت، وقد تابعه أيضاً هاشم بن القاسم ثنا شيبان. [قال محققو المسند: إسناد ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سُليم، ولانقطاعه، أبو البختري، وهو سعيد بن فيروز، لم يدرك أبا سعيد الخدري (المسند ١٧/ ٢٠٨ ح١١١٢٩)].

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ل) وهو الموافق لما في «المسند»؛ ووقع في (ع) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ي): «فسراجه».

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ن): «المنافق الخالص»!!

(٤) من (ن).

(٥) ساقط من (ك).

(٦) ساقط من (ك).

(٧) أخرجه ابن جرير (٤٧٠)؛ وابن أبي حاتم (٢١٤) من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق به. [وسنده حسن].

(٨) في (ج): «حق».

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي) و(هـ) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٢١٥). ووقع في (ز) و(ن): «ابن عباس»! وهو خطأ.

(١٠) في «تفسيره» (١/ ٣٦١).

(١١) ساقط من (ج).

(١٢) ساقط من (ز).

(١٣) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(١٤) من (ن).

[1][قال القرطبي[2]: «أو» للتساوي، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري[3] إن كلا منهما مساوٍ للآخر في إباحة] [1] [1][الجلوس إليه، ويكون معناه على قوله: سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا، فهو مطابق لحالهم.

قلت: وهذا يكونُ باعتبار جنس المنافقين؛ فإنهم أصناف، ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله (تعالى)[4] في سورة (براءة)[5]؛ ومنهم؛ ومنهم؛ ومنهم ـ يذكر أحوالهم وصفاتهم، وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال؛ فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقةً لأحوالهم وصفاتهم. والله أعلم؛ كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين؛ في قوله (تعالى)[6]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ...﴾ إلى أن قال: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ ...﴾ الآية [النور: ٣٩، ٤٠] فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب. والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين. والله أعلم بالصواب[7]][1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

شرع[8] تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشاً؛ أي: مهداً كالفراش (مقررةً)[9] موطأةً، مثبتةً بالرواسي الشامخات، والسماء بناءً وهو السقف، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء] وأنزل لهم من السماء ماءً؛ والمراد به السحاب ها هنا في وقته عند احتياجهم إليه؛ فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد، رزقاً لهم ولأنعامهم، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن.

ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٢١٥).
(٢) في «الكشاف» (١/ ٣٣).
(٣) ساقط من (ز).
(٤) من (ك) و(ن) و(هـ) و(ي).
(٥) في (ج): «إبراهيم» وهو خطأ.
(٦) من (ن).
(٧) في حاشية (ع): «بلغ مقابلة، قرأه المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».
(٨) في حاشية (ج): «حاشية: قال الحافظ أبو بكر البزار: ثنا محمد بن عبد الملك الواسطي، ثنا طلق بن غنام، ثنا قيس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن عبد الله قال: كل شيء نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] فهو بمكة، وكل شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤] فهو بالمدينة. ثم قال: لا نعلم أحداً أسنده إلا قيس وغيره يرويه مرسلاً»، وأدخل ناسخ (ل) هذه الحاشية في سياق كلام المصنف وفيه نظر إذ صرح ابن المحب ناسخ (ج) أنها حاشية، ولم يشر أنها من صنع المؤلف لذلك ما وجدتها في أي نسخة مسبوكة في سياق الكتاب والله أعلم.
(٩) في (ز): «مقدرة». ومعنى «مقررة»: مسواةً مدحوة كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ [غافر: ٦٤] ويأتي ذكر المؤلف لها قريباً إن شاء الله تعالى.

ومضمونه أنه الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها، ورازقهم؛ فبهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وفي «الصحيحين»[(١)]، عن ابن مسعود؛ قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك...» الحديث.

وكذا حديث[(٢)] معاذ: «أتدري ما حق الله على عباده؟... أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً...» الحديث.

وفي الحديث[(٣)] الآخر: «لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شاء فلان».

وقال حماد بن[(٤)] سلمة: حدثنا عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة أم المؤمنين لأمها؛ قال: رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفر من اليهود؛ فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

قال: ثم مررت بنفر من النصارى [(٥)][فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى][(٥)] قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته؛ فقال: «هل أخبرت بها أحداً؟» قلت: نعم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٦٣؛ و١٠/ ٤٣٣ ؛ و١٣/ ٤٩١، ٥٠٣)؛ ومسلم (٨٦/ ١٤١)؛ وأبو عوانة (١/ ٥٦)؛ وأبو داود (٢٣١٠)؛ وأحمد (١/ ٤٣٤) وغيرهم من طريق منصور بن المعتمر، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل، عن ابن مسعود. ووقع في سنده اختلاف لا يضر، ذكرته في «التسلية».

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٩٧؛ و١١/ ٦٠، ٦١، ٣٣٧)؛ وفي «الأدب المفرد» (٩٤٣)؛ ومسلم (٣٠/ ٤٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٩٨٥)؛ وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)؛ وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤١)؛ وابن أبي شيبة (٩/ ١١٧؛ و١٠/ ٣٤٦)؛ والطيالسي (٤٣٠)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٧١)؛ والطحاوي في «المشكل» (١/ ٩٠)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢١٦)؛ وفي «الأسماء والصفات» (ص١٤٤)؛ وفي «الاعتقاد» (١٥٦، ١٥٧) من طرق عن شعبة، عن منصور بن المعتمر قال: سمعت عبد الله بن يسار، عن حذيفة مرفوعاً فذكره. قال الذهبي في «مهذب سنن البيهقي» (٣/ ١٩٠): «إسناده صالح»!! وصححه النووي في «الأذكار» (ص٣٠٨)، وهو كما قال. ووقع في سنده اختلاف لا يضره. والله أعلم.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٧٢)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٤٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٨/ رقم٨٢١٤)؛ والحاكم (٣/ ٤٦٣)؛ والخطيب في «الموضح» (١/ ٣٠٣) من طرق، عن حماد بن سلمة بسنده سواء مطولاً ومختصراً. [وسكت عنه الحاكم والذهبي ويشهد له سابقه].

(٥) ساقط من (ج).

هكذا رواه ابن مردويه[١] في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن سلمة، به. وأخرجه ابن ماجه[٢] من وجه آخر، عن عبد الملك بن عمير، به، بنحوه.

وقال سفيان بن سعيد الثوري، عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس؛ قال: قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله نداً؟ (قل)[٣]: ما شاء الله وحده». رواه ابن مردويه، وأخرجه النسائي[٤]، وابن ماجه، من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح، به.

وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد. والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق[٥]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين؛ أي: وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم.

وبه[٦] عن ابن عباس: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم (يرزقكم)[٧] غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من (توحيده)[٨] هو الحق الذي لا شك فيه؛ وهكذا قال قتادة.

وقال ابن أبي[٩] حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، حدثنا أبي عمرو، حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم، حدثنا شبيب بن بشر، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس - في قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ - قال الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي. ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة. ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت. وقول الرجل لولا الله وفلان - لا تجعل فيها «فلان»؛ هذا كله به شرك.

---

(١) هكذا عزاه المصنف لابن مردويه وحده، وفيه قصور لا يخفى، فقد أخرجه من طريق حماد بن سلمة أحمد وغيره كما مر آنفاً.

(٢) في «سننه» (٢/٢١١٨) قال: حدثنا عبد الملك بن محمد بن أبي الشوارب، ثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير به مختصراً. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٧٢١)].

(٣) من (ن). وفي (ل): «بل»!

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)؛ وابن ماجه (٢١١٧)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)؛ وأحمد (١/٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)؛ وابن أبي شيبة (٩/١١٧، ١١٨؛ و١٠/٣٤٦)؛ وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٢)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٧٢)؛ والطحاوي في «المشكل» (١/٩٠)؛ والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٥، ١٣٠٠٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٩٩)؛ والبيهقي (٣/٢١٧) من طرق عن الأجلح عن يزيد الأصم، عن ابن عباس مرفوعاً. وسنده حسن. [وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح٦٠١)].

(٥) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» ومن طريقه ابن جرير (٤٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٢١٦).

(٦) أخرجه ابن جرير (٤٨٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٣٢) [سنده حسن].

(٧) ساقط من (ج) و(ل).

(٨) في (ن): «التوحيد».

(٩) في «تفسيره» (٢٣٠) وسنده جيد، وأخرجه الطبري (٤٨٥) عن عكرمة قوله.

وفي الحديث[١] أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال: «أجلعتني لله نداً».

وفي الحديث الآخر[٢]: «نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون: تقولون: ما شاء الله وشاء فلان».

قال أبو العالية[٣]: فلا تجعلوا لله أنداداً؛ أي: عدلاء شركاء.

وهكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد.

وقال مجاهد[٤]: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة:

قال الإمام[٥] أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو خلف موسى بن خلف، وكان يعد من البدلاء، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلَّام، عن جده ممطور، عن الحارث الأشعري - أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلماتٍ أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، (فكان يبطئ)[٦] بها، فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي، إني أخشى إن سبقتني أن أُعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن؛ أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك (مثل)[٧] رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب،

---

(١) مر تخريجه آنفاً.

(٢) أخرجه النسائي (٦/٧) بهذا اللفظ وهو من حديث قتيلة بن صيفي. وصححه الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٣٨٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٣١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير (٤٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٢٣٣) من طريقين عن سفيان الثوري، عمن حدثه عن مجاهد وسنده ضعيف لجهالة الراوي عن مجاهد؛ وأخرجه ابن جرير (٤٨٩) أيضاً عن قبيصة بن عقبة، عن الثوري، عن مجاهد، فأسقط الواسطة، وهذا الوجه ضعيف أيضاً فإن الثوري لم يدرك مجاهداً.

(٥) في «مسنده» (٤/ ١٣٠، ٢٠٢).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٣/رقم ٣٤٢٧)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٢٥)؛ وابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٣٨٣) من طريق موسى بن خلف، ثنا يحيى بن أبي كثير بسنده سواء.
وأخرجه الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)؛ والبخاري في «الكبير» (١/ ٢/ ٢٦٢)؛ والطيالسي (١١٦١، ١١٦٢)؛ وابن خزيمة (ج٣/رقم ١٨٩٥)؛ وأبو يعلى (ج٣/رقم ١٥٧١)؛ وابن نصر (١٢٤، ١٢٦)؛ وابن حبان (١٢٢٢، ١٥٥٠)؛ وابن منده في «الإيمان» (٢١٢)؛ والآجري في «الشريعة» (ص٨)؛ والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٧، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩)؛ والحاكم (١/ ١١٨، ٤٢١، ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي كلهم من طرق عن يحيى بن أبي كثير بسنده مثله وصرح يحيى بالتحديث عند أبي يعلى وابن حبان والآجري. وتابعه معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام بسنده سواء مثله.

(٦) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ن): «وأنه كاد أن يبطئ»؛ وفي (هـ): «كاد أن يبطئ» وهو الموافق لما في «المسند».

(٧) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ي). وفي (ن) و(هـ): «كمثل» وسقط هذا اللفظ من (ك).

فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وآمُركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صُرَّةٌ من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك. وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه. فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكَّ نفسه.

وآمركم بذكر الله كثيراً. وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه؛ وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمسٍ الله أمرني بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله؛ فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلعَ (ربقة)[1] الإسلام من عنقه إلا أن يراجع. ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جُثَى جهنم».

قالوا: يا رسول الله؛ [2][وإن صام (وإن)[3] صلَّى؟ فقال:][2] «وإن صلَّى وصام، وزعم أنه مسلم؛ فادعوا المسلمين بأسمائهم (على ما)[4] سماهم الله ﷻ المسلمين المؤمنين عباد الله».

هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً».

[5][وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع (تعالى)[6]، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى؛ فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها، ومنافعها، ووضْعها في مواضع النفع بها محكمة ـ علم قدرة خالقها، وحكمته وعلمه، وإتقانه، وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب ـ وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله! إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج! ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير!.

وحكى (فخر الدين)[7] (الرازي)[8] عن الإمام مالك ـ أن الرشيد سأله عن ذلك، فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات][5].

---

(١) في (ع) و(ل): «ربق». (٢) ساقط من (ع) و(ى).
(٣) من (ج) و(ك).
(٤) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ى)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل): «بل بما».
(٥) ساقط من (ز) و(ك).
(٦) من (ع) و(ن) و(هـ) و(ى)؛ وفي (ل): «فقال». (٧) ساقط من (ن).
(٨) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ى)؛ وفي (هـ): «فخر الدين الرازي».

(١)[وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينةً في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيءُ وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد](١).

(١)[فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل. فقال: ويحكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟! فبهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه](١).

(٢)[وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد، يأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة (والبعير)(٣) والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الظباء فيخرج (منها)(٤) المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد (بن حنبل)(٥) (رَحِمَهُ اللَّهُ)(٦) أنه سئل عن ذلك، فقال: ها هنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز؛ فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح - يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس عن ذلك، فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك](٢)
(٧)[عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يعصى الإلـ ... ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وقال آخرون: من تأمل هذه السمٰوات في ارتفاعها واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار (المنيرة)(٨) من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرةً، ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قال (تعالى)(٩): ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]](٧).

---

(١) ساقط من (ز) و(ك).
(٢) ساقط من (ز) و(ك) و(هـ) و(ي).
(٣) كذا في (ج) و(ل)؛ وفي (ن): «البقر».
(٤) كذا في (ج) و(ن)؛ وفي (ل): «منه».
(٥) من (ن).
(٦) من (ل).
(٧) ساقط من (ز) و(ك) و(هـ) و(ى).
(٨) في (ن): «النيرة».
(٩) في (ن).

(١)[وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قُطر للمنافع؛ وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم والأراييح والأشكال، مع اتحاد طبيعة التربة والماء، استدل على وجود الصانع، وقدرته العظيمة، وحكمته، ورحمته ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم، لا إله غيره، ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب.

والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً](١).

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو؛ فقال مخاطباً للكافرين: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني: محمد ﷺ - فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك.

قال ابن(٢) عباس: ﴿شُهَدَاءَكُم﴾ أعوانكم (٣)[أي: قوماً آخرين يساعدونكم على ذلك](٣).

(٤)[وقال السدي، عن أبي مالك: شركاءكم(٥) (٦)[أي: استعينوا بآلهتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم](٦).

وقال مجاهد: وادعوا شهداءكم، قال: ناس يشهدون به(٧)؛ (يعني: حكم الفصحاء)(٨).

وقد تحداهم الله تعالى بهذا](٤) في غير موضع من القرآن، فقال في سورة القصص: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص].

وقال في سورة سبحان: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

وقال في سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود].

وقال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) ساقط من (ز) و(ك) و(هـ) و(ى).
(٢) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» (١/ ٣٥)، ومن طريقه ابن جرير (٤٩٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤١) [وسنده حسن].
(٣) من (ج) و(ل)؛ وفي (ن): «قال السدي، عن أبي مالك: شركاءكم؛ أي: قوماً آخرين يساعدونكم على ذلك؛ أي: استعينوا... إلخ» فأدخل الناسخ إحدى العبارتين في الأخرى.
(٤) ساقط من (هـ). (٥) من (ج) و(ل).
(٦) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق السدي به].
(٧) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد].
(٨) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس].

وكل هذه الآيات مكية.

ثم تحداهم بذلك أيضاً في المدينة؛ فقال في هذه الآية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾، (أي: شك[١]) ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني: محمداً ﷺ - ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ يعني: من مثل القرآن؛ قاله مجاهد، وقتادة[٢]، واختاره ابن جرير [٣][الطبري، والزمخشري (وفخر الدين)[٤] الرازي، ونقله عن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن البصري، وأكثر المحققين؛ ورجح ذلك بوجوه؛ من أحسنها أنه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين، سواء في ذلك أُميُّهم وكتابيهم؛ وذلك أكمل في التحدي؛ وأشمل من أن يتحدى آحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئاً من العلوم][٣]، وبدليل قوله (تعالى)[٥]: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣] وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال بعضهم: من مثل محمد ﷺ؛ يعني: من رجل أمي مثله.

والصحيح الأول؛ لأن التحدي عام لهم كلهم، مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له، وبغضهم لدينه (وتعصبهم لدينهم)[٦] ومع هذا عجزوا عن ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ «ولن» لنفي التأبيد (في المستقبل)[٧]؛ أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً.

وهذه أيضاً معجزة أخرى، وهو أنه أخبر [٨][خبراً جازماً قاطعاً مقدماً غير خائف ولا مشفق][٨] أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد [٨][الآبدين ودهر الداهرين][٨]؛ وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا، ولا يمكن؛ وأنى يتأتى ذلك لأحد والقرآن كلام الله خالق كل شيء؟ وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين.

[٩][ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرةً وخفيةً، من حيث اللفظ، ومن جهة المعنى؛ قال الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود] فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، أو بالعكس على الخلاف؛ فكل من لفظه ومعناه فصيح (لا يجارى)[١٠] ولا يدانى؛ فقد أخبر عن مغيبات ماضية؛ وكانت ووقعت طبق ما أخبر سواءً بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الأحكام؛][٩] [١١][فكله حق وصدق، وعدل وهدًى][١١]،

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة].

(٣) ساقط من (ز).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) من (ن).

(٦) ساقط من (ز) و(ن). ووقع في (ل): «وتعصبهم على دينهم».

(٧) ساقط من (ز).

(٨) ساقط من (ز).

(٩) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).

(١٠) في (ن): «لا يحاذى».

(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).

[١][ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها؛ كما (يقال)[٢] في الشعر: إن أعذبه أكذبه.

وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء، أو الخيل، أو الخمر، أو في مدح شخص معين، أو فرس، أو ناقة، أو حرب، أو كائنة (أو سير)[٣] أو مخافة، أو سبع، أو شيء من المشاهدات المتعيِّنة التي لا تفيد شيئاً إلا قدرة المتكلم المعين على (التعبير عن)[٤] الشيء الخفي أو الدقيق، وإبرازه إلى الشيء الواضح. ثم تجد له فيه بيتاً أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد، وسائرها هذر لا طائل تحته.

وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير؛ فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطةً أو وجيزةً، وسواء تكررت أم لا؛ وكلما تكرر حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء؛ وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات؛ فما ظنك بالقلوب الفاهمات؛ وإن وعد أتى بما][١]. [٥][يفتح القلوب والآذان، (ويشوق)[٦] إلى دار السلام، ومجاورة عرش الرحمٰن؛ كما قال في الترغيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة] وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال في الترهيب: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ [الإسراء: ٦٨] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك].

وقال في الزجر: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال في الوعظ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء].

إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة.

وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب؛ والنهي عن كل قبيح رذيل دنيءٍ؛ كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤] فأرعها سمعك، فإنها خير يأمر به، أو شر ينهى عنه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ][٥] [٧][عَنِ ٱلْمُنكَرِ][٧] [٨][وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]][٨].

---

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٢) في (ن): «قيل».
(٣) ساقط من (ن).
(٤) ساقط من (ن)؛ وفي (ج): «التعبير على الشيء».
(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).
(٦) في (ج): «نوف»!
(٧) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).
(٨) ساقط من (ج) و(ل).

[١][وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال (وبيان الأحوال)[٢]، وفي وصف الجنة والنار، وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم (والملاذ)[٣] والعذاب الأليم؛ بشرت (به)[٤]، وحذرت وأنذرت؛ ودعت إلى فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، وزهَّدت في الدنيا، ورغبَّت في الأخرى، وثبتت على (الطريق)[٥] المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم، وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم][١].

ولهذا ثبت في «الصحيحين»[٦]، عن أبي هريرة ﵁ ـ أن رسول الله ﷺ قال: «(ما من الأنبياء من نبي)[٧] إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» ـ لفظ مسلم.

وقوله ﷺ: «وإنما كان الذي أوتيت (وحياً)[٨]؛ أي: الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزةً (عند كثير من العلماء)[٩]». والله أعلم.

وله عليه (الصلاة و)[١٠]السلام من الآيات الدالة على نبوَّته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر. ولله الحمد والمنة.

[١١][وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في (الصرفة)[١٢]؛ فقال: إن كان هذا القرآن معجزاً في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا في قواهم معارضته، فقد حصل المدعى وهو المطلوب. وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، ولم يفعلوا ذلك، مع شدة عداوتهم له، كان ذلك دليلاً على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك. وهذه الطريقة، وإن لم تكن مرضيةً؛ لأن القرآن في نفسه معجز، لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا، إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة، والمنافحة عن الحق؛ وبهذه الطريقة أجاب (فخر الدين)[١٣] (الرازي)[١٤] في «تفسيره»[١٥] عن سؤاله في السور القصار كـ«العصر»، و«﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]»][١١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أما الوقود ـ بفتح الواو ـ فهو ما يلقى في النار لإضرامها؛ كالحطب ونحوه، كما قال (تعالى)[١٦]: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ

---

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).
(٢) ساقط من (ن).
(٣) كذا في (ك) و(ن)؛ وفي (ج) و(ل): «المداد».
(٤) من (ن).
(٥) كذا في (ج) و(ك) و(ل)؛ وفي (ن): «الطريقة».
(٦) سبق تخريجه في «فضائل القرآن» (١/ ١٤٦).
(٧) في (ز) و(ن): «ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر» وهو مخالف للفظ مسلم.
(٨) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).
(٩) ساقط من (ز).
(١٠) من (ز) و(ن).
(١١) ساقط من (ز).
(١٢) كذا في (ك) و(ن) و(ي)؛ وفي (ج) و(ل): «الصوفية»! ووقع في (هـ) بياض في موضع هذه الكلمة.
(١٣) من (ج) و(ك) و(ل) و(ي).
(١٤) من (ل) و(ن)؛ وفي (هـ): «الفخر الرازي».
(١٥) راجع بحثه في «تفسيره» (١/ ١٢٦ ـ ١٢٨).
(١٦) من (ن).

لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[١] [الأنبياء].

والمراد بالحجارة ها هنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة، وهي أشد الأحجار حراً إذا حميت، أجارنا الله منها.

وقال عبد الملك بن ميسرة الزراد، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود ـ في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السمٰوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين.

رواه ابن[٢] جرير؛ وهذا لفظه، وابن أبي حاتم، والحاكم في «مستدركه»؛ وقال: «على شرط الشيخين».

وقال السدي في «تفسيره»[٣]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة؛ أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار.

وقال مجاهد[٤]: حجارة من كبريت أنتن من الجيفة.

وقال أبو جعفر[٥] محمد بن علي: حجارة من كبريت.

وقال ابن جريج[٦]: حجارة من كبريت أسود في النار.

قال لي عمرو بن دينار: أصلب من هذه الحجارة وأعظم.

[٧][وقيل: المراد بها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله، كما قال (تعالى)[٨]: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ...﴾ [الأنبياء: ٩٨] حكاه القرطبي (وفخر الدين)[٩]][٧].

[١٠][(الرازي)[١١]، ورجحه على الأول؛ قال: لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر، فجعلها هذه الحجارة أولى.

وهذا الذي قاله ليس بقويٍّ؛ وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد][١٠]

---

(١) في (ن) بعد هذه الآية «لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون».

(٢) في «تفسيره» (٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٧)؛ وابن أبي حاتم (٢٤٥)؛ والحاكم (٢/ ٢٦١، ٤٩٤) من طرق عن مسعر بن كدام، عن عبد الملك بن ميسرة بسنده سواء.

ومن هذا الوجه: أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٠)؛ وهناد بن السري في «الزهد» (٦٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٩٠٢٦)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (ق١٨٢/ ٢)؛ والبيهقي في «الشعب». وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٣٦) لعبد بن حميد وابن المنذر والفريابي. وسنده صحيح.

(٣) ومن طريقه ابن جرير (٥٠٥) وسنده حسن. وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٦) من قول السدي. [وسنده ضعيف].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٧) وسنده ضعيف.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم عنه بلا إسناد.

(٦) أخرجه ابن جرير (٥٠٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤٨) وسنده صحيح.

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) من (ن).

(٩) من (ج) و(ك) و(ل) و(ى).

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) من (ن)؛ وفي (هـ): «فخر الدين الرازي».

(١)[لحرها، وأقوى لسعيرها، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك؛ ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضاً مشاهد؛ وهذا الجص يكون أحجاراً، فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك. وكذلك سائر الأحجار تفجرها النار وتحرقها؛ وإنما سيق هذا في حر النار التي وعدوا بها وشدة ضرامها وقوة لهبها؛ كما قال (تعالى)(٢): ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧] وهكذا رجح القرطبي(٣) أن المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحمر ويشتد لهبها؛ قال: ليكون ذلك أشد عذاباً لأهلها.

قال(٤): وقد جاء في الحديث(٥) عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مؤذ في النار»](١).

(١)[(قلت)(٦) وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف؛ ثم قال القرطبي: وقد فسر بمعنيين: أحدهما: أن كل من آذى الناس دخل النار. والآخر أن كل ما يؤذي في النار يتأذى به أهلها من السباع والهوام وغير ذلك](١).

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ الأظهر أن الضمير في «أعدت» عائد إلى النار التي وقودها الناس والحجارة. ويحتمل عوده إلى الحجارة، كما قال ابن مسعود. ولا منافاة بين القولين في المعنى؛ لأنهما متلازمان.

و(﴿أُعِدَّتۡ﴾)؛ أي: أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله، كما قال ابن إسحاق، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر. (٧)[وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن، لقوله (تعالى)(٨): ﴿أُعِدَّتۡ﴾ أي: أرصدت](٧).

(٩)[وهيئت، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها: «تحاجت الجنة والنار»(١٠). ومنها: «استأذنت النار ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في](٩)

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) من (ن).
(٣) في «تفسيره» (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).
(٤) يعني القرطبي.
(٥) حديث باطل. أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١١/ ٢٩٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الواهيات» (٢/ ٢٦٣) من طريق عثمان بن الخطاب أبي عمرو الأشج المعروف بـ«أبي الدنيا» أنهم اجتمعوا عليه في بغداد في دار إسحاق وأحدقوا به وضايقوه، فقال: لا تؤذوني فإني سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال رسول الله ﷺ... فذكره.
قال الخطيب في ترجمة أبي الدنيا هذا: «والعلماء لا يثبتون قوله ولا يحتجون بحديثه.. ثم قال: وما علمت أن أحداً ببغداد كتب عنه حرفاً واحداً، ولم يكن عندي بذاك الثقة».
وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، والأشج غير موثوق بقوله عند العلماء».
وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٣) في ترجمة «الأشج»: «حدث بقلة حياء بعد الثلاثمائة عن علي». اهـ
ونقل المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٣٠) عن الذهبي في «ديوان الضعفاء» أنه قال: «خبر غريب» ولم أجد هذا في «ديوان الضعفاء» (رقم ٢٧٥٧) بل قال في ترجمة الأشج هذا: «طرقي كذاب جريء».
(٦) ساقط من (ن).
(٧) ساقط من (ز).
(٨) من (ن).
(٩) ساقط من (ز).
(١٠) أخرجه البخاري (٨/ ٥٩٥)؛ ومسلم (٢٨٤٦/ ٣٦).

[1](الصيف»[2]. وحديث ابن مسعود: (سمعنا)[3] وجبة، فقلنا: (ما هذا؟ فقال)[3]](1)
[1]([رسول الله ﷺ)[4]: «هذا حجر أُلقى به من شفير جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها». وهو عند مسلم[5]، وحديث صلاة الكسوف[6]؛ وليلة الإسراء[7]، وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا المعنى. وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا، ووافقهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الأندلس][1].

[8][تنبيه ينبغي الوقوف عليه:

قوله (تعالى)[9]: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ وقوله في سورة يونس: ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨] يعم كل سورة في القرآن طويلةً كانت أو قصيرةً؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين، كما هو مقرر في موضعه؛ فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها؛ وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين الناس سلفاً وخلفاً.

وقد قال (العلامة فخر الدين)[10] (الرازي)[11] في «تفسيره»[12]: فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ يتناول سورة الكوثر، وسورة العصر، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝﴾ [الكافرون] ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله، أو بما يقرب منه ممكن.

فإن قلتم: إن الإتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان (ذلك)[13] مكابرةً، والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق (التهم)[14] إلى الدين][8].

[15][قلنا: فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني، وقلنا: إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود؛ وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى (توهين)[16] أمره معجزاً؛ فعلى التقديرين يحصل المعجز. هذا لفظه بحروفه][15].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٨)، والسياق له.
(٢) ساقط من (هـ).
(٣) ساقط من (ز).
(٤) ساقط من (هـ).
(٥) أخرجه في «صحيحه» (٢٨٤٤/ ٣١)، ووهم المصنف رحمه الله إذ جعله من حديث ابن مسعود وإنما رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوى في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها».
(٦) يشير إلى حديث ابن عباس قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى والناس معه فقام قياماً طويلاً... الحديث وفيه: «قالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كعكعت؟ قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أر منظراً قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء...» الحديث. أخرجه البخاري (١/ ٨٣، ٢/ ٢٣٢، ٥٤٠، و٦/ ٢٩٧، ٩/ ٢٩٨)؛ ومسلم (٩٠٧/ ١٧).
(٧) ويأتي تخريج أحاديثها في سورة الإسراء إن شاء الله تعالى.
(٨) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).
(٩) من (ن).
(١٠) من (ج) و(ك) و(ل).
(١١) من (ل) و(ن).
(١٢) راجع بحثه في «تفسيره» (١/ ١٢٦ ـ ١٢٨).
(١٣) ساقط من (ن).
(١٤) في (ن): «بالتهمة».
(١٥) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).
(١٦) في (ك) و(ن): «تهوين».

(١)[والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة، لا يستطيع البشر معارضتها طويلةً كانت أو قصيرةً [العصر].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم، فقال له مسيلمة: ماذا أُنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ ...﴾ (إلى آخرها)[٢] ففكر ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: ولقد أُنزل علي مثلها؛ فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر. يا وبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر فقر، ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني لأعلم أنك تكذب[٣]](١).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٥﴾.

لما ذكر تعالى ما أعده لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة؛ وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء، كما سنبسطه في موضعه؛ وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه، أو حال السعداء، ثم الأشقياء، أو عكسه.

وحاصله ذكر الشيء ومقابله.

وأما ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه، كما سنوضحه إن شاء الله؛ فلهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار، (٤)[كما وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة. ومعنى تجري من تحتها الأنهار](٤)؛ أي: من تحت أشجارها وغرفها.

وقد جاء في الحديث[٥]: ....

(١) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).

(٢) ساقط من (ن).

(٣) [سيأتي تخريجه في سورة العصر].

(٤) ساقط من (ن).

(٥) أخرجه ابن مردويه في «تفسيره»، كما في «ابن كثير» (٧/ ٢٩٧، طبع الشعب)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٥) وفي «صفة الجنة» من طريق مهدي بن حكيم، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا الجريري، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك مرفوعاً: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض، حافتاها خيام اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر». قلت: يا رسول الله! وما الأذفر؟ قال: «الذي لا خلط فيه».

وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٣٨) للضياء المقدسي في «صفة الجنة».

(*) **قلت**: وهذا سند ضعيف، والجريري واسمه سعيد بن إياس كان اختلط، وسماع يزيد بن هارون من متأخر، وقد اضطرب فيه، فقد رواه يعقوب بن عبيدة وبشر بن معاذ كلاهما عن يزيد بن هارون بسنده سواء موقوفاً. أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» كما في «ابن كثير» (٧/ ٢٩٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» =

«أن أنهارها تجري في غير أخدود» وجاء في الكوثر[١] «أن (حافتيه)[٢] قباب اللؤلؤ المجوف» ولا منافاة بينهما؛ فطينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر، نسأل الله من فضله (وكرمه)[٣] إنه هو البر الرحيم.

وقال ابن أبي[٤] حاتم: قرئ على الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من (تحت تلال أخر أو من)[٥] تحت جبال المسك».

وقال (أيضاً)[٦]: حدثنا أبو سعيد، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق؛ قال: قال عبد الله[٧]: «أنهار الجنة تفجر من جبل مسك».

وقوله (تعالى)[٨]: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ قال السدي

= (٣١٦)؛ ورجح المنذري في «الترغيب» (٤/ ٥١٨) الموقوف وقال: «هو أشبه بالصواب» كذا! وطريق الموقوف والمرفوع واحد، فالظاهر أنه لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً، ولكن معنى كلام المنذري أنه إذا تردد الناقد في الحكم بالرفع والوقف فإن الأخذ بالوقف هو الأشبه، لأنه المناسب للاحتياط، إذ الأخذ بالأقل عند الاختلاف هو مذهب الجماهير من أهل الحديث والله أعلم.
وقد صح هذا من قول مسروق قال: «أنهار الجنة تجري في غير أخدود وثمرها كالقلال، كلما أخذت ثمرة عادت مكانها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعاً»؛ أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٩٧)؛ وهناد بن السري في «الزهد» (٩٥، ١٠٣)؛ والمروزي في «زوائد الزهد» (١٤٨٩)؛ وابن صاعد أيضاً (١٤٩٠)؛ وابن جرير في «تفسيره» (٥٠٩، ٥١٠، ٥١١)؛ وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٥)؛ والبيهقي في «البعث» (٢٩٢) من طرق عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن مسروق. وسنده صحيح.

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٤٦٤).
(٢) في (ج): «حافتاه» بالرفع، وإنما يصح ذلك بحذف «إن».
(٣) ساقط من (ز) و(ن).
(٤) في «تفسيره» رقم (٢٥٣).
وأخرجه ابن حبان (٢٦٢٢)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٢٦)؛ والحاكم كما في «حادي الأرواح» و«إتحاف السادة» (١٠/ ٥٣٤)؛ وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٣)؛ والبيهقي في «البعث» (٢٦٦) من طريق أسد بن موسى بسنده سواء. ولفظ البيهقي مطول أخرج بعضه الطبراني في «الأوسط» (ج٢/ ق٢٦٦/ ١) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن ابن ثوبان إلا أسد بن موسى».
وحسن إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٥٢٢) وقال المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٠٠، ٢٦٢): «رواه الطبراني في «الأوسط» ورواته ثقات إلا شيخه المقدام بن داود وقد وثق».
(*) **قلت:** تابعه الربيع بن سليمان ويوسف بن يزيد القراطيسي كلاهما عن أسد بن موسى به.
(٥) ساقط من (ل).
(٦) ساقط من (ج) و(ك).
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٥)؛ وابن أبي شيبة (١٣/ ٩٦)؛ والبيهقي في «البعث» (٢٦٧) من طريقين عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود به قال البيهقي: «هذا موقوف صحيح».
وأخرجه عبد الرزاق (ج١١/ رقم ٢٠٨٧٣) أخبرنا معمر، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق قوله ولم يذكر «ابن مسعود» فلعل معمر قصر في إسناده وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧)؛ لأبي الشيخ في «تفسيره».
(٨) من (ز) و(ن).

في «تفسيره»[(١)]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة؛ قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل؛ قال: إنهم أتوا بالثمرة في الجنة، فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا.

وهكذا قال قتادة[(٢)]، وعبد الرحمٰن بن زيد بن[(٣)] أسلم، ونصره ابن[(٤)] جرير.

وقال عكرمة[(٥)]: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ قال: معناه مثل الذي كان بالأمس. وكذا قال الربيع بن أنس.

وقال مجاهد[(٥)]: يقولون: ما أشبهه به.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل تأويل ذلك الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة من قبل هذا، لشدة مشابهة بعضه بعضاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ قال سنيد[(٦)] بن داود: حدثنا شيخ من أهل المصيصة، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير؛ قال: يؤتى أحدهم بالصحفة من الشيء، فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى، فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل، فتقول الملائكة: كل، فاللون واحد، والطعم مختلف.

وقال ابن[(٧)] أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عامر بن يساف، عن يحيى بن أبي كثير، قال عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه، فيأكلونها، ثم يؤتون بمثلها؛ فيقول لهم أهل الجنة: هذا الذي أتيتمونا آنفاً به؛ فتقول لهم الولدان: كلوا (فإن)[(٨)] اللون واحد، والطعم (مختلف)[(٩)]؛ وهو قول الله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾.

وقال أبو جعفر[(١٠)] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: يشبه بعضه بعضاً، ويختلف في الطعم.

قال ابن أبي حاتم[(١١)]: وروي عن مجاهد، والربيع بن أنس، والسدي، نحو ذلك.

وقال ابن جرير[(١٢)] بإسناده، عن السدي في «تفسيره» عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٥١٢)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٨)، عن السدي قوله [وسنده ضعيف].
(٢) أخرجه ابن جرير (٥١٣) وسنده صحيح. (٣) أخرجه ابن جرير (٥١٦) وسنده صحيح.
(٤) في «تفسيره» (١/ ٣٨٧، ٣٨٨).
(٥) أخرجه ابن جرير (٥١٤، ٥١٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٥٩، ٢٦٠) [وسنده صحيح] وعزاه في «الدر» (١/ ٣٨) لعبد بن حميد عن عكرمة.
(٦) أخرجه ابن جرير (٥١٨). [وسنده ضعيف لإبهام شيخ سنيد، ويشهد له ما يليه، وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس نحوه].
(٧) في «تفسيره» (٢٦٢)؛ وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٥٣) عن داود بن رشيد، عن عامر بن يساف. [وسند ابن أبي حاتم حسن].
(٨) ساقط من (ن). (٩) ساقط من (ج).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٥٢٧) بسند ضعيف.
(١١) [أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي جعفر به وسنده جيد].
(١٢) أخرجه ابن جرير (٥٢٤). [وسنده ضعيف].

ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ يعني: في اللون والمرأى، وليس يشتبه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير.

وقال عكرمة[١]: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أطيب.

وقال سفيان[٢] الثوري، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس: لا يشبه شيء مما في الجنة في الدنيا إلا في الأسماء.

وفي رواية: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، ورواه ابن جرير من رواية الثوري، وابن أبي حاتم، من حديث أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، به.

وقال عبد الرحمٰن[٣] بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا: الفتاح بالتفاح، والرمان بالرمان، قالوا في الجنة: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وأتوا به متشابهاً، يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال ابن أبي[٤] طلحة، عن ابن عباس: مطهرة من القذر والأذى.

وقال مجاهد[٥]: من الحيض والغائط، والبول والنخام والبزاق، والمني والولد.

وقال قتادة[٦]: مطهرة من الأذى والمأثم. وفي رواية عنه: لا حيض ولا كلف.

وروى عن عطاء، والحسن، والضحاك، وأبي صالح، وعطية، والسدي نحو ذلك.

وقال ابن جرير[٧]: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، قال: المطهرة التي لا تحيض، قال: وكذلك خلقت حواء ﷺ (فلما)[٨] عصت قال الله تعالى: إني خلقتك مطهرةً وسأُدميك كما أدميت هذه الشجرة. وهذا غريب.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٥٣٣)؛ وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١) وعنه ابن جرير (٥٣٢) قال: أخبرنا معمر عن قتادة فذكره بلفظه. وتابعه محمد بن ثور عن معمر مثله، [وسنده صحيح]، أخرجه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص٣٨٦).

(٢) أخرجه وكيع في «نسخته عن الأعمش» (١)؛ وابن جرير (٥٣٤) من طريق الثوري به.
وأخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٣، ٨)؛ وابن جرير (٥٣٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٦١) من طرق عن الأعمش بسنده سواء. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٨)؛ لمسدد وابن المنذر والبيهقي في «البعث» وهو أثر صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٥٣٦) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٥٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٢٦٥) [وسنده ثابت].

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» (٢٧ ـ ٢٩)؛ ونعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (٢٤٣)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١)؛ وابن جرير (٥٤٢ ـ ٥٤٥)؛ والبيهقي في «البعث» (٣٦٠)؛ وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٢) من طرق عن مجاهد. وهو صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤١)؛ وابن جرير (٥٤٦ ـ ٥٤٨)؛ وأبو نعيم (٣٦١) من طرق عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٧) في «تفسيره» (٥٥٠) وإسناده صحيح، واستغربه المصنف وأصاب، ولا يقبل مثل هذا الكلام إلا من النبي ﷺ أو ينزل به وحي.

(٨) في (ز): «حتى».

وقال الحافظ أبو بكرة[1] بن مردويه: حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثني جعفر بن محمد بن حرب، وأحمد بن محمد (الجوري)[2]؛ قالا: حدثنا محمد بن عبيد الكندي، حدثنا عبد الرزاق بن عمر البزيعي، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن شعبة، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال: من الحيض والغائط، والنخاعة والبزاق.

هذا حديث غريب. وقد رواه الحاكم في «مستدركه» عن محمد بن يعقوب، عن الحسن بن علي بن عفان، عن محمد بن عبيد، به. وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

وهذا الذي ادعاه فيه نظر؛ فإن عبد الرزاق بن عمر البزيعي هذا قال فيه أبو حاتم ابن حبان البستي: «لا يجوز الاحتجاج به».

قلت: والأظهر أنَّ هذا من كلام قتادة كما تقدم. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هذا هو تمام السعادة، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فلا آخر له، ولا انقضاء؛ بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام. والله المسؤول أن يحشرنا في زمرتهم، إنه جواد كريم (بر)[3] رحيم.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

قال السُّدِّيُّ في «تفسيره»[4] عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين - يعني: قوله (تعالى)[5]: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ [البقرة: ١٩] الآيات الثلاث - قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال؛ فأنزل الله هذه الآية إلى قوله (تعالى)[5]: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

---

(١) في «تفسيره». وعزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٩) وقال: «أخرج الحاكم وابن مردويه وصححه» ولعل الصواب: «الحاكم وصححه وابن مردويه».
ولم أقف عليه في «المستدرك» فالله أعلم.
وأخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٢٠٤) قال: نا محمد بن عبيد، نا عبد الرزاق بن عمر بسنده سواء، وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٣) من طريق محمد بن عبيد مثله. وذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة «البزيعي» (٢/ ٦٠٨، ٦٠٩) وقال: «أخطأ»؛ يعني: في رفعه. وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٢٠): «لا يصح إسناده» وهو الصواب. وكأنه نسي هذا التحقيق فقال في «التغليق» (٣/ ٤٩٩): «إسناده لا بأس به»!!

(٢) في (ن): «الخواري»، في (ج): «الجوازي»! وهو أحمد بن محمد بن جوري، ترجمه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ٤١٠) وقال: «في حديثه غرائب ومناكير».

(٣) ساقط من (ج).

(٤) ومن طريقه ابن جرير (٥٥٤)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٣) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(٥) من (ن).

وقال عبد الرزاق[(١)]، عن معمر، عن قتادة: لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله (تعالى)[(٢)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

وقال سعيد[(٣)]، عن قتادة: أي إن الله لا يستحي من الحق أن يذكر شيئاً ما قل أو كثر، وإن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا! فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

قلت: العبارة الأولى عن قتادة فيها إشعار أن هذه الآية مكية، وليس كذلك؛ وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب. والله أعلم.

وروى ابن[(٤)] جريج، عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة.

وقال ابن أبي حاتم: روي عن الحسن، وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي، وقتادة.

وقال أبو جعفر[(٥)] الرازي، عن الربيع بن أنس في هذه الآية ـ قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت؛ وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضُرب لهم المثل في القرآن: إذا امتلئوا من الدنيا (رياً)[(٦)] أخذهم الله (تعالى)[(٧)] عند ذلك؛ ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ (حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟)﴾[(٨)] [الأنعام: ٤٤].

هكذا رواه ابن جرير، ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية بنحوه. فالله أعلم.

فهذا اختلافهم في سبب النزول.

وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي؛ لأنه أمس بالسورة؛ وهو مناسب.

ومعنى الآية أنه تعالى أخبر أنه لا يستحيي «أي: لا يستنكف. وقيل: لا يخشى، أن يضرب مثلاً ما؛ أي: أي مثل كان بأي شيء كان صغيراً كان أو كبيراً».

و«ما» هاهنا للتقليل (زائدة)[(٩)] وتكون «بعوضةً» منصوبةً على البدل، كما تقول: لأضربن ضرباً ما؛ فيصدق بأدنى شيء، [(١٠)][أو تكون «ما» نكرةً موصوفةً ببعوضة][(١٠)].

واختار ابن جرير أن «ما» موصولة، و«بعوضة» معربة بإعرابها؛ قال: وذلك سائغ في كلام العرب أنهم يعربون صلةَ «ما» و«من» بإعرابهما؛ لأنهما يكونان معرفةً تارةً ونكرةً أخرى، كما قال حسان بن ثابت:

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٤١) ومن طريقه ابن جرير (٥٥٨)؛ وابن أبي حاتم (٢٧٤) وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٤١) لعبد بن حميد وابن المنذر. [وسنده صحيح].

(٢) من (ج)، وفي (ك): «ﷻ».

(٣) أخرجه ابن جرير (٥٥٧) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٥٦١) [وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد].

(٥) أخرجه ابن جرير (٥٥٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٧١). [وسنده جيد].

(٦) ساقط من (ك).

(٧) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٨) من (ج).

(٩) ساقط من (ز) و(ن) و(هـ).

(١٠) ساقط من (ز) و(ي).

(يكفي)[(١)] بنا فضلاً علىٰ من غيرنا حب النبي محمد إيانا

قال: ويجوز أن تكون «بعوضة» منصوبةً بحذف الجار وتقدير الكلام: إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها [(٢)][وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء.

وقرأ الضحاك، وإبراهيم بن أبي عبلة «بعوضة» ـ بالرفع[(٣)]. قال ابن جني: وتكون صلةً لـ«ما» وحذف العائد، كما في قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] (أي على الذي هو أحسن)[(٤)].

وحكى سيبويه: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً؛ (أي)[(٥)] (يعني)[(٦)] (بالذي هو قائل لك شيئاً)[(٧)]][(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: فيه قولان:

أحدهما: فما دونها في الصغر والحقارة؛ كما إذا وصف رجل باللؤم والشح، فيقول السامع: نعم، وهو فوق ذلك ـ يعني: فيما وصفت. [(٢)][وهذا قول الكسائي، وأبي عبيدة؛ (قاله)[(٨)] الرازي[(٩)]، وأكثر][(٢)] [(١٠)][المحققين.

[(١١)](وفي الحديث[(١٢)]: «لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء»)[(١١)]][(١٠)].

---

(١) كذا في (ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ)؛ وفي (ج) و(ي): «فكفى»؛ وفي (ز): «وكفى» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١/ ٤٠٤).

(٢) ساقط من (ز).

(٣) [وهي قراءة شاذة].

(٤) ساقط من (ج)؛ وفي (ك): «أي على الذي أحسن هو أحسن».

(٥) ساقط من (ك).

(٦) من (ج) و(ك) و(ن).

(٧) ساقط من (ك).

(٨) كذا في (ن). وفي جميع الأصول: «قال».

(٩) في «تفسيره» (١/ ١٤٨، ١٤٩).

(١٠) ساقط من (ز).

(١١) ساقط من (ك).

(١٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٥٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٢٥) عن عبد الحميد بن سليمان.
وابن ماجه (٤١١٠)؛ والحاكم (٤/ ٣٠٦)؛ والبيهقي في «الشعب» عن زكريا بن منظور. والطبراني في «الكبير» (ج٦/ رقم ٥٩٢١) عن زمعة بن صالح ثلاثتهم عن أبي حازم، عن سهل بن سعد مرفوعاً. فذكره.
قال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه».
(*) **قلت**: الرواة الثلاثة عن أبي حازم ضعفاء. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»! فرده الذهبي بقوله: «زكريا ضعفوه» ولكن للحديث شاهد عن أبي هريرة أخرجه البزار (٣٦٩٣)؛ وابن عدي (٦/ ٢٢٣٥)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٤٠) وفي إسناده صالح مولى التوأمة وكان اختلط؛ وأخرجه ابن أبي الفوارس في «المنتقى من حديث المخلص» (ق١٠٥/ ٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٧/ رقم ١٠٤٧٠) من طريق أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. وأبو معشر ضعيف. ثم وقفت له على طريق آخر صحيح. أخرجه ابن بشران في «الأمالي» (ج٢٢/ ق٢٤١/ ٢) قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ثنا محمد بن بشر، ثنا أحمد بن حاتم، ثنا محمد بن عجلان، ثنا سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. وهذا سند صحيح، ولم يذكره كل من تكلم على الحديث ممن وقفت عليهم فللّه الحمد. وأبو سهل القطان ثقة، مترجم في «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٥، ٤٦)، ومحمد بن بشر هو ابن مطر أبو بكر الوراق، ترجمه الخطيب (٢/ ٩٠) ونقل عن إبراهيم الحربي: «صدوق لا يكذب» وقال الدارقطني: «ثقة». وأحمد بن حاتم هو ابن يزيد الطويل، ترجمه الخطيب أيضاً ونقل توثيقه عن عبد الله بن أحمد والدارقطني وابن معين، وبقية رجاله ثقات معروفون. وله طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد عن الصحابة ذكرتها في «التسلية».

والثاني: فما فوقها: فما هو أكبر منها؛ لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة؛ وهذا [(١)][قول قتادة بن دعامة، و][(١)] اختيار ابن جرير؛ [(١)][(ويؤيده)][(٢)] ما رواه مسلم[(٣)] عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يشاك شوكةً فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»][(١)]؛ فأخبر أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً؛ ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة، [(٤)][وكما (لم)[(٥)] يستنكف عن خلقها، كذلك (لا)[(٦)] يستنكف من ضرب المثل بها][(٤)]، كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج] وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ الآية [النحل: ٧٥] ثم قال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ الآية [النحل: ٧٦] كما قال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ الآية [الروم: ٢٨].

وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ . . .﴾ الآية [الزمر: ٢٩].

وقد قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت].

وفي القرآن أمثال كثيرة.

قال بعض السلف: إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله (يقول)[(٧)]: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾.

وقال مجاهد (في)[(٨)] قوله (تعالى)[(٨)]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾: الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنها الحق من ربهم، ويهديهم الله بها[(٩)].

وقال قتادة[(١٠)]: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ أي: يعلمون أنه كلام الرحمٰن، وأنه من عند الله.

---

(١) ساقط من (ز). (٢) في (ن): «فإنه يؤيده».
(٣) في «صحيحه» (٤٧/٢٥٧٢) من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة مرفوعاً.
(٤) ساقط من (ز) و(ك). (٥) في (ن): (لا).
(٦) في (هـ): «لم». (٧) في (ن): «قال».
(٨) من (ن).
(٩) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد].
(١٠) أخرجه ابن جرير (٥٦٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٧٧) من طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وسنده صحيح.

وروى(١) عن مجاهد، والحسن، والربيع بن أنس، نحو ذلك.

وقال أبو العالية(٢): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني: هذا المثل ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ كما قال في سورة المدثر: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدثر: ٣١].

وكذلك قال هاهنا: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

وقال السدي في «تفسيره»(٣)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ يضل به كثيراً؛ يعني (به)(٤) المنافقين؛ ﴿وَيَهْدِي﴾ كثيراً؛ يعني (به)(٢) المؤمنين؛ فيزيد هؤلاء ضلالةً إلى (ضلالتهم)(٥)؛ لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله (بما ضرب لهم)(٦)، وأنه لما (ضربه)(٧) له موافق، فذلك إضلال الله إياهم به. ويهدي به ـ يعني: بالمثل ـ كثيراً من أهل الإيمان والتصديق؛ فيزيدهم هدًى إلى هداهم، وإيماناً إلى إيمانهم؛ لتصديقهم بما قد علموه حقاً يقيناً أنه موافق لما ضربه الله له مثلاً، وإقرارهم به؛ وذلك هداية من الله لهم به.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ قال: هم المنافقون. وقال أبو العالية(٨): ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ قال: هم أهل النفاق، وكذا قال الربيع(٩) بن أنس.

وقال ابن جريج(١٠)، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ قال: يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به.

وقال قتادة(١١): ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ فسقوا، فأضلهم الله على فسقهم.

وقال ابن أبي حاتم(١٢): حدثت، عن إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد، عن سعد ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ يعني: الخوارج.

وقال شعبة(١٣)، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد، قال: سألت أبي، فقلت: قوله

---

(١) هذه الآثار عند ابن جرير (٥٦٤ ـ ٥٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٧٩). [وأسانيدها ما بين صحيح وجيد].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٦) بسند حسن.

(٣) ومن طريقه ابن جرير (٥٦٧) [وسنده ضعيف].

(٤) من (ن).

(٥) في (ز): «ضلالهم».

(٦) كذا في (ز) و(ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(هـ): «لما ضرب له»؛ وفي (ع) و(ي): «بما ضرب له».

(٧) في (ن): «ضرب».

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٣). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن جرير (٥٧٠).

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٧) وفيه عنعنة ابن جريج. [وسنده ضعيف].

(١١) أخرجه ابن جرير (٥٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٢٨٦) من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وسنده صحيح.

(١٢) في «تفسيره» (٢٨٢) وسنده ظاهر الضعف.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٨، ٢٩٣) من طرق، عن شعبة بسنده سواء.

وأخرجه البخاري (٨/ ٤٢٥)؛ والنسائي في «التفسير» (٣١٣)؛ وابن أبي حاتم (٢٩٦) مختصراً من طريق =

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ إلى آخر الآية؛ فقال: هم الحرورية.

وهذا الإسناد (إن)(١) صح عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، فهو تفسير على المعنى، (لا)(٢) أن الآية أريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان؛ فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية؛ وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل؛ لأنهم سموا خوارج، لخروجهم، عن طاعة الإمام، والقيام بشرائع الإسلام.

والفاسق في اللغة: هو الخارج عن الطاعة أيضاً. وتقول العرب: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرتها؛ ولهذا يقال للفأرة: فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد.

وثبت في «الصحيحين»(٣) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور»؛ فالفاسق يشمل الكافر والعاصي، ولكن فسق الكافر أشد وأفحش، والمراد به من الآية الفاسق الكافر، والله أعلم؛ بدليل أنه وصفهم بقوله (تعالى)(٤): ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

وهذه الصفات صفات الكفار المباينة لصفات المؤمنين، كما قال تعالى في سورة الرعد: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ . . .﴾ الآيات، إلى أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه؛ فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله؛ ونقضهم ذلك: هو تركهم العمل به.

وقال آخرون: بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم؛ وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد ﷺ إذا بعث، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم؛ ونقضهم ذلك: هو جحودُهم به بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك (عن)(٥) الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا

= شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد قال: سألت أبي ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسميهم الفاسقين.

(١) هكذا في كل «الأصول» ووقع في بعض النسخ المطبوعة «وإن» بزيادة الواو والفرق بينهما واضح، ولا شك أن هذا التفسير صح عن سعد بن أبي وقاص كما مرَّ بك، وكأن اللائق بعلم ابن كثير رحمه الله أن تكون العبارة (وإن) لأن صحة هذه الأسانيد لا تخفي على مثله إن شاء الله تعالى. والله أعلم.

(٢) في (ج): «إلا» وقد أفسد المعنى.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٣٤ و٦/ ٣٥٥)؛ ومسلم (٦٨/١١٩٨، ٧٠، ٧١).

(٤) من (ن).

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(هـ)، وسقط من (ز) و(ع) و(ن) و(هـ). ووقع في (ك): «من» وأشار إليها في (ي).

يكتمونه؛ فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً.

وهذا اختيار ابن جرير[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ، و(هو)[(٢)] قول مقاتل بن حيان.

وقال آخرون: بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق. وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته؛ وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي (بمثلها)[(٣)]، الشاهدة لهم على (صدقهم)[(٤)]؛ قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق.

وروي عن مقاتل بن حيان (أيضاً)[(٥)] نحو هذا[(٦)]. وهو حسن. [(٧)][وإليه مال الزمخشري[(٨)]؛ فإنه قال: فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد، كأنه أمر وصّاهم به][(٧)].

[(٩)][ووثقه عليهم؛ وهو معنى قوله (تعالى)[(١٠)]: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إذ أخذ الميثاق عليهم (في)[(١١)] الكتب المنزلة عليهم؛ كقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]][(٩)].

وقال آخرون: العهد الذي ذكره تعالى: هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيتين. ونقضهم ذلك: تركهم الوفاء به.

وهكذا روي[(١٢)] عن مقاتل بن حيان أيضاً، حكى هذه الأقوال ابن جرير في «تفسيره»[(١٣)].

وقال أبو جعفر الرازي[(١٤)]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ـ قال: هي ست خصال من المنافقين؛ إذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا أؤتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض؛ وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا أؤتمنوا خانوا.

وكذا قال الربيع بن أنس[(١٥)] أيضاً.

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٤١٠، ٤١١).
(٢) من (ج) و(هـ) و(ي).
(٣) كذا في (ز) و(ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي): «بمثله».
(٤) كذا في (ز) و(ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي): «صدقه».
(٥) ساقط من (ز).
(٦) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان].
(٧) ساقط من (ز) و(هـ).
(٨) في «الكشاف» (١/ ٤٨).
(٩) ساقط من (ز) و(هـ).
(١٠) من (ن).
(١١) كذا في (ج) و(ي)؛ وفي (ك) و(ل) و(ن): «من».
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٩٥) [بسند جيد].
(١٣) (١/ ٤٤١، ٤١٢).
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٩). [وسنده جيد].
(١٥) أخرجه ابن جرير (٥٧٣).

وقال السدي في «تفسيره»[١] بإسناده. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ قال: هو ما عهد إليهم في القرآن، فأقروا به، ثم كفروا فنقضوه.

وقوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قيل: المراد به صلة الأرحام والقرابات، كما فسره قتادة[٢]؛ كقوله (تعالى)[٣]: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد] ورجحه ابن جرير[٤].

وقيل: (المراد)[٥] أعم من ذلك؛ فكل ما أمر الله بوصله وفعله (قطعوه)[٦] وتركوه.

وقال مقاتل بن حيان[٧] في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ قال: في الآخرة. وهذا كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال الضحاك[٨]، عن ابن عباس: كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل «خاسر» فإنما يعني به الكُفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب.

وقال ابن جرير[٩] في قوله (تعالى)[١٠]: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الخاسرون)[١١] جمعُ خاسرٍ، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته، كما يخسر الرجل في تجارته، بأن يوضع من رأس ماله في بيعه. وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته. يقال منه: خسر الرجل يخسر خسراً وخسراناً وخساراً، كما قال جرير بن عطية[١٢]:

إن سليطاً في الخسار إنه ... أولاد قوم خلقوا أقنه

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى: محتجّاً على وجوده وقدرته، وأنه الخالق المتصرف في عباده: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي: كيف تجحدون وجوده، أو تعبدون معه غيره؟ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ أي: وقد كنتم عدماً فأخرجكم إلى الوجود، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور] وقال (تعالى)[١٣]: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان] والآيات في هذا كثيرة.

وقال سفيان الثوري[١٤]: عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٩١) عن السدي قوله، وعادة ابن أبي حاتم أنه يختصر إسناد السدي في «تفسيره» فليتنبه لذلك.
(٢) أخرجه ابن جرير (٥٧٤) بسند صحيح.
(٣) من (ز) و(ن).
(٤) في «تفسيره» (١/ ٤١٦).
(٥) من (ن).
(٦) في (ن): «فقطعوه».
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٩٨) [بسند جيد].
(٨) أخرجه ابن جرير (٥٧٥) بسند ضعيف.
(٩) في «تفسيره» (١/ ٤١٧).
(١٠) من (ن).
(١١) ساقط من (ج) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).
(١٢) هو في ديوانه (٥٩٨). وانظر «تفسير الطبري» (١/ ٤١٧).
(١٣) من (ن).
(١٤) أخرجه ابن جرير (٥٧٧)؛ وابن أبي حاتم (٣٠١) من طريق عبد الرحمٰن بن مهدي، ثنا سفيان الثوري به؛ =

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: ١١] قال: هي التي في البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

وقال (ابن جريج)(١)، عن عطاء، عن ابن عباس(٢): كنتم أمواتاً فأحياكم: أمواتاً في أصلاب آبائكم، لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم، ثم يميتكم موتة الحق، ثم يحييكم حين يبعثكم، قال: وهي مثل قوله (تعالى)(٣): ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

(٤)[وقال الضحاك، عن ابن عباس(٥)، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾](٤) قال: كنتم تراباً قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة؛ ثم أحياكم فخلقكم، فهذه حياة؛ ثم يميتكم فترجعون إلى القبور؛ فهذه ميتة أخرى؛ ثم يبعثكم يوم القيامة (٦)[فهذه حياة (أخرى)(٧)](٦) فهذه ميتتان وحياتان؛ فهو كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

وهكذا روي عن السدي(٨) بسنده عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة، وعن أبي العالية، والحسن (البصري)(٩)، ومجاهد، وقتادة، وأبي صالح، والضحاك، وعطاء الخراساني نحو ذلك.

وقال الثوري(١٠)، عن السدي، عن أبي صالح: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ قال: يحييكم في القبر ثم يميتكم.

وقال ابن جرير(١١)، عن يونس، عن ابن وهب، عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم؛ قال: خلقهم في ظهر آدم، ثم أخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم، ثم أحياهم يوم القيامة؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] وهذا غريب، والذي قبله.

والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود، وابن عباس، وأولئك الجماعة من التابعين؛ وهو كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية]، (١٢)[و(عبَّر)(١٣) عن الحال قبل الوجود بالموت، لجامع ما يشتركان فيه من عدم](١٢)

= وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٩٠٤٤)؛ والحاكم (٢/٤٣٧) من طريق إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق بسنده سواء. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي!
وليس كما قالا، والصواب أنه على شرط مسلم وهذه الترجمة: «أبو إسحاق عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود» لم يخرجها البخاري في «صحيحه» بل في «الأدب المفرد» والله أعلم.

(١) في (ج): «ابن جرير»!
(٢) أخرجه ابن جرير (٥٨١) بسند ضعيف.
(٣) من (ن).
(٤) ساقط من (ج) و(ك) و(هـ).
(٥) أخرجه ابن جرير (٥٨٣)؛ وابن أبي حاتم (٣٠٢) بسند ضعيف.
(٦) ساقط من (ك).
(٧) ساقط من (ج) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي).
(٨) في «تفسيره» ومن طريقه ابن جرير (٥٧٦). [وسنده ضعيف ويتقوىٰ بالآثار التي تليه].
(٩) ساقط من (ن).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٥٨٤) بسند حسن.
(١١) رقم (٥٨٦) وسنده صحيح.
(١٢) ساقط من (ز).
(١٣) في (ك): «يخبر».

(١)[الإحساس، كما قال في الأصنام: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ...﴾ الآية [النحل: ٢١] وقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣﴾](١) [يس].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾.

لما ذكر تعالى دلالةً من خلقهم، وما يشاهدونه من أنفسهم، ذكر دليلاً آخر مما يشاهدونه من خلق السمٰوات والأرض؛ فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ أي: قصد إلى السماء. والاستواء ها هنا: (مضمَّنٌ)(٢) معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بـ«إلى» «فسواهن»؛ أي: فخلق السماء سبعاً.

والسماء ها هنا: اسم جنس؛ فلهذا قال: (﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾)(٣)، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: وعلمه محيط بجميع ما خلق؛ كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

وتفصيل هذه الآية في سورة «حم السجدة»(٤) وهو قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فصلت].

ففي هذه دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولاً، ثم خلق السمٰوات سبعاً؛ وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله، ثم أعاليه بعد ذلك.

وقد صرح المفسرون بذلك، كما سنذكره بعد هذا (إن شاء الله)(٥).

فأما قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ (مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣)(٦)﴾ [النازعات] فقد قيل: إن «ثُمَّ» ها هنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر، لا لعطف الفعل على الفعل؛ كما قال الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقيل: إن الدحي كان بعد خلق (السمٰوات)(٧)؛ رواه علي بن أبي طلحة(٨)، عن ابن عباس.

وقد قال السدي في «تفسيره»(٩)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة،

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) في (ز): «تضمن».
(٣) في (ن): «فسواهن سبع سمٰوات» ولا يظهر قصد المصنف بإتمامها كما لا يخفى.
(٤) من (ز) و(ك) و(ن).
(٥) من (ز) و(ك) و(ن).
(٦) من (ن).
(٧) في (ن): «السمٰوات والأرض»!!
(٨) أخرجه ابن جرير (٥٩٤) [وسنده ثابت].
(٩) أخرجه ابن جرير (٥٩١)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/١١٨، ١١٩)؛ وابن أبي حاتم (٣٠٧) واختصر هذا سنده كما نبهت عليه. [وسنده ضعيف].

عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ (وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)﴾[1] قال: إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء؛ فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق (الماء)[2]، فسما عليه، فسماه سماءً، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدةً، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين، في الأحد والإثنين؛ فخلق الأرض على حوت، والحوت هو الذي ذكره الله في القرآن: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١]. والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح؛ وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوت فاضطرب، فتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال، فقرت؛ فالجبال تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وخلق الجبال فيها، وأقوات أهلها، وشجرها، وما ينبغي لها في يومين، في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩، ١٠] يقول: أنبت شجرها، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] [3][يقول: أقواتها لأهلها][3] ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يقول: من سأل فهكذا الأمر؛ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماءً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سمٰوات في يومين، في الخميس والجمعة؛ وإنما سمي يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السمٰوات والأرض؛ ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] قال: خلق (الله)[4] في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومما لا يعلم؛ ثم زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينةً وحفظاً تحفظ من الشياطين.

فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال ابن جرير[5]: حدثني المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني أبو معشر، عن سعيد بن

---

(١) من (ل) و(ن). (٢) في (ج): «السماء»!

(٣) كذا في (ك) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٥٩١) ووقع في (ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «لأهلها» وسقط من (ج).

(٤) من (ز) و(ن).

(٥) في «تفسيره» (٥٩٥)؛ وفي «تاريخه» (١/٤٧، ٥٥).
وأخرجه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٨٨٢) من طريق محمد بن بكير الحضرمي، ثنا أبو معشر به. وهذا سند ضعيف، لضعف أبي معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمٰن، ولكن تابعه ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن عبد الله بن سلام فذكره.
أخرجه ابن منده في «كتاب التوحيد» (٦١)؛ والبيهقي في «الأسماء» (٢/١٢٣، ١٢٤)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/٤٨)؛ والفريابي في «القدر» (٢ ـ بتحقيقي) وسنده صحيح.
ولكن رواه حماد بن خالد الخياط، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام فذكره فزاد في الإسناد «والد سعيد المقبري».
أخرجه عباس الدوري في «تاريخ ابن معين» (٣/٤٩).

أبي سعيد، عن عبد الله بن سلام ـ أنه قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين؛ وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السمٰوات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل؛ فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة.

وقال مجاهد(١) في قوله (تعالى)(٢): ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قال: خلق الله الأرض قبل السماء، فلما خلق الأرض (ثار)(٣) منها دخان؛ فذلك حين يقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قال: بعضهن فوق بعض؛ وسبع أرضين ـ يعني (بعضهن)(٤) تحت بعض.

(٥)[وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، كما قال في آية السجدة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ](٥) (٦)[وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير(٧) عن قتادة ـ أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي(٨) في «تفسيره» لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾(٩) [النازعات] قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض.

وفي «صحيح البخاري»(١٠) أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء.

وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً. وقد حررنا ذلك في سورة النازعات](٦).

(١١)[وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله (تعالى)(١٢): ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا](١١)

---

(١) أخرجه ابن جرير (٥٩٢)؛ وابن أبي حاتم (٣١٢)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٨٣) من طريق عبد الرزاق وهو في «تفسيره» (١/ ٤١، ٤٢) قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وسنده صحيح.

(٢) من (ن).

(٣) في (ز): «بان».

(٤) كذا في (ز) و(ك)؛ وفي (ن) و(هـ): «بعضها» وسقطت الكلمة من (ج) و(ع) و(ل) و(ي).

(٥) ساقط من (ز) و(هـ).

(٦) ساقط من (ز) و(هـ).

(٧) في «تفسيره» (١/ ١٥٣).

(٨) في «تفسيره» (١٩/ ٢٠٤).

(٩) في (ن) بعدها: «والجبال أرساها».

(١٠) في «كتاب التفسير» (٨/ ٥٥٥، ٥٥٦) قال: حدثنيه يوسف بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي وساق حديثاً طويلاً.

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٥٥٩): «وأخرجه الطبري من رواية مطرف من طريق المنهال بن عمرو بتمامه».

(١١) ساقط من (ز) و(هـ).

(١٢) من (ن).

[١]﴿مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾[٢] [النازعات] ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعاً فيها بالقوة إلى الفعل، لما (اكتملت)[٣] صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الأرض، فأخرجت ما كان مودعاً فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها، وألوانها وأشكالها، وكذلك جرت (هذه)[٣] الأفلاك، فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة، والله سبحانه وتعالى أعلم][١].

وقد ذكر ابن أبي[٤] حاتم، وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الذي رواه مسلم، والنسائي، في «التفسير» أيضاً، من رواية ابن جريج؛ قال: أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

وهذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم»؛ وقد تكلم عليه علي ابن المديني، والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار؛ وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً؛ وقد حرر ذلك البيهقي.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾.

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك.

وحكى ابن جرير[٥] عن بعض أهل العربية (وهو أبو عبيدة)[٦] أنه زعم أن «إذ» ها هنا زائدة، وأن تقدير الكلام: وقال ربك. ورده ابن جرير[٢].

[٧][قال القرطبي[٨]: وكذا رده جميع المفسرين، حتى قال الزجاج: هذا اجتراء من أبي عبيدة][٧].

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد

---

(١) من (ك) و(ل) و(ن). (٢) في (ك) و(ن): «أكملت».
(٣) ساقط من (ز) و(هـ).
(٤) في «تفسيره» (٣٠٥).
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٤١٣) معلقاً ووصله مسلم (٢٧٨٩/ ٢٧).
(٥) في «تفسيره» (١/ ٤٣٩) وعبارته: «زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة» ولم يسمه.
(٦) ساقط من (ز) و(هـ). (٧) ساقط من (ز).
(٨) في «تفسيره» (١/ ٢٦٢).

جيل؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف] وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩، ومريم: ٥٩].

(١)[وقرئ في الشاذ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيقَةً﴾ ـ حكاها الزمخشري(٢) وغيره. ونقله القرطبي(٣) عن زيد بن علي](١).

وليس المراد ها هنا بالخليفة آدم ﷺ فقط، (١)[كما يقوله طائفة من المفسرين](١).

(٤)[وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، وابن مسعود، وجميع أهل التأويل. وفي ذلك نظر؛ بل الخلاف في ذلك كثير؛ حكاه (فخر الدين)(٥) الرازي في «تفسيره»(٦) وغيره. والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً](٤)؛ إذ لو كان ذلك لما حسُنَ قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؛ فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو فهموه من الطبيعة البشرية؛ فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون؛ (٤)[أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم، ويردعهم عن المحارم والمآثم؛ قاله القرطبي](٤). أو أنهم قاسوهم على من سبق، كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين؛ (١)[وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول؛ أي: لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه؛ وها هنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقاً؛ قال قتادة: وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية](١).

وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا؛ ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض، ويسفك الدماء؟ فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك؛ أي: نصلي لك كما سيأتي؛ أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلّا وقع الاقتصار علينا؟

قال الله تعالى ـ مجيباً لهم عن هذا السؤال ـ: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون، والعباد والزهاد، والأولياء والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون، والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

(٧)[وقد ثبت في «الصحيح»(٨) أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم ـ](٧)

---

(١) ساقط من (ز).
(٢) في «الكشاف» (١/ ٥٠).
(٣) في «تفسيره» (١/ ٢٦٣).
(٤) ساقط من (ز) و(هـ).
(٥) ساقط من (ن).
(٦) في «تفسيره» (١/ ١٨٠، ١٨١).
(٧) ساقط من (ز) و(هـ).
(٨) مرَّ تخريجه في «كتاب فضائل القرآن» (١/ ٢٥١).

[(١)][وهو أعلم: «كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون». وذلك لأنهم يتعاقبون فينا، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال، كما قال عليه (الصلاة و)[(٢)]السلام: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل»[(٣)]][(١)].

[(٢)][فقولهم: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله (لهم)[(٤)]: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقيل: معنى قوله (تعالى)[(٥)] - جواباً لهم -: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ إني لي حكمة (مفصلة)[(٦)] في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها.

وقيل: إنه جواب (لقولهم)[(٧)] ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: من وجود إبليس بينكم، وليس هو كما وصفتم أنفسكم به.

وقيل: بل تضمَّن قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ طلباً منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم؛ فقال الله تعالى لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم ذكره (فخر الدين)[(٨)] (الرازي)[(٥)] مع غيرها من الأجوبة والله (سبحانه)[(٩)] (وتعالى)[(١٠)] أعلم][(٢)].

ذكر أقوال المفسرين (ببسط)[(١١)] ما ذكرناه:

قال ابن جرير[(١٢)]: حدثني القاسم بن الحسن، (قال: حدثنا الحسين قال)[(١٣)]: حدثني الحجاج، عن جرير بن حازم؛ ومبارك عن الحسن، وأبي بكر، عن الحسن وقتادة؛ قالوا: قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾. قال لهم: إني فاعل، (وهذا)[(١٤)] معناه أنه أخبرهم بذلك.

وقال السدي: استشار الملائكة في خلق آدم، رواه ابن أبي[(١٥)] حاتم؛ وقال: وروي عن قتادة نحوه[(١٦)]؛ وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل [(١٧)][وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن. والله أعلم][(١٧)].

---

(١) ساقط من (ز) و(هـ).
(٢) من (ن). وفي (ك): «ﷺ».
(٣) أخرجه مسلم (١٧٩/٢٩٣، ٢٩٤).
(٤) ساقط من (ج) و(ل).
(٥) من (ن).
(٦) في (ك): «منفصلة»!
(٧) ساقط من (ن).
(٨) من (ج) و(ك) و(ل) و(ى).
(٩) من (ى).
(١٠) من (ل).
(١١) في (ل): «وبسط».
(١٢) في «تفسيره» (٥٩٧)؛ وفي «تاريخه» (١/١٠١) وطريق حجاج، عن جرير، عن الحسن جيد، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣١٦) من طريق سعيد بن سليمان، ثنا مبارك بن فضالة، ثنا الحسن. فذكره.
(١٣) ساقط من جميع «الأصول» وهو ثابت في «تفسير الطبري».
(١٤) في (ن): «هذا ومعناه».
(١٥) في «تفسيره» (٣١٥) وهو خبر غريب.
(١٦) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة].
(١٧) ساقط من (ز) و(هـ).

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن أبي حاتم[١]: حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد، (حدّثنا)[٢] عطاء بن السائب، عن عبد الرحمٰن بن سابط ـ أن رسول الله ﷺ قال: «دحيت الأرض من مكة، وأول من طاف بالبيت الملائكة؛ فقال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ـ يعني: مكة».

وهذا مرسل، وفي سنده ضعف، وفيه مدرج؛ وهو أن المراد بالأرض مكة. والله أعلم؛ فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك.

﴿خَلِيفَةً﴾ قال السدي في «تفسيره»[٣]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة ـ: إن الله (تعالى)[٤] قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. قالوا: ربنا، وما يكون ذاك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً.

قال ابن جرير[٥]: فكأن تأويل الآية على هذا: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم[٦] بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه.

قال ابن جرير: وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله (تعالى)[٧] إنما هي خلافة (قرن)[٨] منهم قرناً.

قال[٩]: والخليفة: الفعيلة، من قولك: خلف فلان فلاناً في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس] ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة؛ لأنه خلف الذي كان قبله، فقام (بالأمر)[١٠]، فكان منه خلفاً.

قال[٩]: وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يقول: ساكناً وعامراً يعمرها ويسكنها خلقاً ليس منكم.

(قال ابن جرير)[١١]: وحدثنا أبو كريب، حدثنا (عثمان)[١٢] بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: إن أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها، وسفكوا فيها الدماء، وقتل بعضهم بعضاً؛ قال: فبعث الله إليهم إبليس، فقتلهم إبليس ومن

---

(١) في «تفسيره» (٣١٨). وأخرجه ابن جرير (٥٩٦) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن ابن سابط. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/٤٦) لابن عساكر.
(٢) في (ن): «ابن».
(٣) ومن طريقه ابن جرير (٦٠٥). [وسنده ضعيف].
(٤) من (ن).
(٥) في «تفسيره» (١/٤٥٢).
(٦) في (ن): «في الحكم بالعدل»، وليس في «الأصول» ولا في «الطبري».
(٧) من (ل).
(٨) ساقط من (ل).
(٩) يعني ابن جرير (١/٤٤٩).
(١٠) في «الطبري» (١/٤٤٩): «فقام بالأمر مقامه».
(١١) ساقط من (ج) و(ك) و(ل) وهو في «تفسير ابن جرير» (٦٠١) وسنده ضعيف.
(١٢) في (ز): «عمر» كذا نبه محققو طبعة «الشعب» ورسمها قريب جداً من عثمان، فإنهم يكتبونها هكذا «عثمن» فلعلها اشتبهت عليهم. والله أعلم.

معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق آدم فأسكنه إياها؛ فلذلك قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

وقال سفيان[١] الثوري، عن عطاء بن السائب، عن ابن سابط: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال: يعنون به بني آدم.

وقال[٢] عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: قال الله للملائكة: إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً، وأجعل فيها خليفة، وليس لله ﷻ خلق إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق. قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟.

وقد تقدم ما رواه السدي، عن ابن عباس، وابن مسعود وغيرهما من الصحابة: أن الله أعلم الملائكة بما (يفعل)[٣] ذرية آدم؛ فقالت الملائكة ذلك.

وتقدم (آنفاً)[٤] ما رواه الضحاك، عن ابن عباس: أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم؛ فقالت الملائكة ذلك، فقاسوا هؤلاء بأولئك.

وقال ابن أبي[٥] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن (بكير)[٦] بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو؛ قال: كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فبعث الله جنداً من الملائكة، فضربوهم حتى (ألحقوهم)[٧] بجزائر البحور؛ فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال أبو جعفر[٨] الرازي، عن الربيع (بن أنس)[٩]، عن أبي العالية ـ في قوله (تعالى)[١٠]: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] ـ، قال: خلق الله الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فكفر قوم من الجن، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم (فكانت الدماء بينهم)[١١] وكان الفساد في الأرض؛ فمن ثم قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكوا؟

---

(١) أخرجه ابن جرير (٦٠٣ ـ ٦٠٨)؛ وابن أبي حاتم (٣٢٧)، وسنده جيد.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٠٤) وسنده صحيح. (٣) في (ن) و(ل) و(هـ): «تفعل».

(٤) في (ج) و(ل): «أيضاً».

(٥) في «تفسيره» (٣٢٢) ولكن أخرجه الحاكم (٢/ ٢٦١) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية بسنده سواء لكنه جعل الصحابي «ابن عباس» بدل «ابن عمرو» فلا أدري هل تصحف في «المستدرك» والتصحيف فيه كثير أم هو اختلاف بين ابن أبي شيبة والطنافسي؟! وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وهو كما قالا وقد أخرجه ابن منده في «التوحيد» (٥٧٢) من طريق سعدان بن نصر، ثنا أبو معاوية بسنده سواء عن عبد الله بن عمرو.

(٦) في (ك): «بكر» وهو خطأ.

(٧) في (ن): «لحقوا» وهو مخالف لما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٢٣)؛ وأخرجه ابن جرير (٦٠٢)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٨٠) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس قوله. [وسنده جيد].

(٩) من (ع) و(ن) و(هـ) و(ي). (١٠) من (ن).

(١١) كذا في «جميع الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٦١٢). ووقع في (ن): «تقاتلهم ببغيهم».

قال ابن[1] أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا الحسن؛ قال: قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ قال لهم: إني فاعل، فآمنوا بربهم، فعلَّمهم علماً، وطوى عنهم عِلماً عَلِمه ولم يعلموه، فقالوا بالعلم الذي علمهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

قال الحسن: إن الجن كانوا في الأرض يفسدون، ويسفكون الدماء، ولكن جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون؛ فقالوا بالقول الذي علَّمهم.

وقال عبد الرزاق[2]، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ كان الله أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فذلك حين قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾؟

وقال ابن أبي[3] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام الرازي، حدثنا ابن المبارك، عن معروف - يعني: ابن خرَّبوذ المكي -، عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه، وكان له في كل يوم ثلاث لمحات (ينظرهن)[4] في أم الكتاب؛ فنظر نظرةً لم تكن له، فأبصر فيها خلق آدم وما (كان)[5] فيه من الأمور، فأسر ذلك إلى هاروت وماروت، وكانا من أعوانه؛ فلما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ - قالا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قالا: ذلك استطالةً على الملائكة.

وهذا أثر غريب. وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب، وفيه نكارة توجب رده. والله أعلم.

ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط، وهو خلاف السياق.

وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم[6] أيضاً حيث قال: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن (عبيد الله)[7]، حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير؛ قال: سمعت أبي يقول: إن الملائكة الذين قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ كانوا عشرة آلاف، فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم.

وهذا أيضاً إسرائيلي منكر كالذي قبله. والله أعلم.

قال ابن جريج[8]: إنما تكلموا بما أعلمهم الله أنه كائن من خلق آدم، فقالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؟

---

(١) في «تفسيره» (٣٢٤)؛ وأخرجه ابن جرير (٦١١) من طريق حجاج بن منهال، عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة، عن الحسن، وعن أبي بكر، عن الحسن وقتادة فذكره بأطول من سياق ابن أبي حاتم. [وسنده حسن].

(٢) في «تفسيره» (١/ ٤٢) ومن طريقه ابن جرير (٦١٠)؛ وابن أبي حاتم (٣٢٦). [وسنده صحيح].

(٣) في «تفسيره» (٣٢٨) وسنده ضعيف ومتنه منكر كما أشار إليه المصنف والله أعلم.

(٤) ساقط من (ن). (٥) من (ن).

(٦) في «تفسيره» (٣٢٩).

(٧) في (ز) و(ل) و(ك) و(هـ): «ابن أبي عبد الله»؛ وفي (ج) و(ع) و(ن) و(ي): «ابن أبي عبيد الله» وصوابه: «ابن عبيد الله» وهو مترجم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٢/ ٦٧).

(٨) أخرجه ابن جرير (٦١٦) وسنده صحيح.

قال ابن جرير[١]: وقال بعضهم: إنما قالت الملائكة ما قالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ لأن الله أذن (لها)[٢] في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم، فسألته الملائكة، فقالت على التعجب منها: وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم؟ فأجابهم ربهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن ذلك كائن منهم، وإن لم تعلموه أنتم ومن بعض (من)[٣] ترونه لي طائعاً.

قال[٤]: وقال بعضهم: ذلك من الملائكة على وجه [٥][الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك، فكأنهم قالوا: (يا رب)[٦]، خبرنا - (مسألة)[٧] استخبار منهم، لا على وجه][٥] الإنكار. واختاره ابن جرير.

[٨][وقال سعيد[٩]، عن قتادة؛ قوله (تعالى)[١٠]: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - قال: استشار الملائكة في خلق آدم، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ وقد علمت الملائكة (من علم الله)[١١] أنه لا شيء أكره عند الله من سفك الدماء والفساد في الأرض - ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك. قال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنة؛ قال: وذكر لنا عن ابن عباس أنه كان يقول: إن الله لما أخذ في خلق آدم (عليه السلام)[١٢] قالت الملائكة: ما الله خالق خلقاً أكرم عليه منا، ولا أعلم منا؛ فابتلوا بخلق آدم، وكل خلق مبتلًى، كما ابتليت السمٰوات والأرض بالطاعة، فقال (الله تعالى)[١٠]: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]][٨].

[١٣][(وقوله تعالى)[١٠]: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال عبد الرزاق[١٤]، عن معمر، عن قتادة، قال: التسبيح: التسبيح. والتقديس: الصلاة.

وقال السدي[١٥]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة][١٣]، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: يقولون: نصلي لك.

---

(١) في «تفسيره» (١/ ٤٦٩، ٤٧٠).

(٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي) وهو الموافق لما في «الطبري» (٦١٦). ووقع في (ز) و(ن): «لهم».

(٣) في (ن): «ما» وفي (ز): «ومن يعصيني ممن ترونه».

(٤) يعني: ابن جرير (١/ ٤٧٠).

(٥) ساقط من (ك).

(٦) ساقط من (ج).

(٧) في (ل): «مسألة الملائكة».

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٩) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٦٠٩)؛ وفي «التاريخ» (١/ ١٠٠) وسنده صحيح.

(١٠) من (ن).

(١١) ساقط من (ن).

(١٢) ساقط من (ج) و(ع) و(ل).

(١٣) هذه الفقرة وما بعدها إلى قوله: «أهل الكفر بك» مقدمة في (ك) و(هـ) على قوله في الفقرة السابقة، قال: سعيد... إلخ».

(١٤) في «تفسيره» (١/ ٤٢) ومن طريقه ابن جرير (٦٢٠، ٦٢١)؛ وابن أبي حاتم (٣٣٠) (٢٣٦) [وسنده صحيح] وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٤٦) لعبد بن حميد.

(١٥) أخرجه ابن جرير (٦١٩). [وسنده ضعيف].

وقال مجاهد[١]: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: نعظمك ونكبرك.

وقال الضحاك[٢]: التقديس: التطهير.

وقال محمد بن إسحاق[٣]: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: لا نعصي، ولا نأتي شيئاً تكرهه.

وقال ابن جرير[٤]: التقديس: هو التعظيم والتطهير. ومنه قولهم: سبوح قدوس: يعني بقولهم: سبوح: تنزيه (لله)[٥]، وبقولهم قدوس: طهارة وتعظيم له (ولذلك)[٦] قيل للأرض: أرض مقدسة؛ يعني بذلك: المطهرة؛ فمعنى قول الملائكة إذاً: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، وما أضاف إليك أهل الكفر بك.

[٧][وفي «صحيح مسلم»[٨]، عن أبي ذر ﵁ -: أن رسول الله ﷺ سُئل أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده».

وروى البيهقي[٩] عن عبد الرحمٰن بن قرط: أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به سمع تسبيحاً في السمٰوات العلى «سبحان العلي الأعلى، سبحانه وتعالى»][٧].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٦٢٣)؛ وابن أبي حاتم (٣٣٣) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده قوي وقد قدمت الدليل على ذلك في أول هذه السورة.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٢٥)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٢) لكنه جعله عن الضحاك، عن ابن عباس وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير (٦٢٤) بسند ضعيف جداً.

(٤) في «تفسيره» (١/ ٤٧٥).

(٥) في (ز) و(ن): «له».

(٦) في (ن): «كذلك».

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٨) أخرجه مسلم (٢٧٣١/ ٨٥).

(٩) في «الأسماء والصفات»، كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٣).

وأخرجه الطبراني في «الكبير»، كما في «ابن كثير» (٥/ ٧٦ - الشعب)؛ وفي «الأوسط» (٣٧٤٢)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٧، ٨)؛ وفي «عوالي سعيد بن منصور» (٤)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج١٠/ ق١٥٦) كلهم عن سعيد بن منصور، وهذا في «سننه»، كما في «الدر المنثور» قال: حدثنا ميمون بن مسكين، حدثني عروة بن رويم، عن عبد الرحمٰن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فلما رجع فكان بين زمزم والمقام وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغا السمٰوات العلى، فلما رجع قال: «سمعت تسبيحاً في السمٰوات العلى، مع تسبيح كثير: سبحت السمٰوات العلى من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا، سبحان العلي الأعلى، ﷻ».

وعزاه الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٣٥٤) للبخاري، يعني في «تاريخه»؛ وابن السكن. وعزاه السيوطي في «الدر» (٤/ ١٨٣)؛ لابن أبي حاتم، قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به سعيد بن منصور». وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ١٠١): «مسكين بن ميمون لا أعرفه وخبره منكر» وذكر له هذا الحديث. وتبعه في هذا الحكم الحافظ في «اللسان» (٦/ ٢٨)؛ والهيثمي في «المجمع» (١/ ٧٨). وخالفهم أبو نعيم الأصبهاني فقد نقل عنه الذهبي أنه صححه. وعبارة أبي نعيم في «عوالي سعيد بن منصور» هي: «هذا حديث صحيح غريب لم يروه عن عروة بن رويم غير مسكين بن ميمون فيما قالوا، وعبد الرحمٰن بن قرط يعد في الصحابة وتفرد بهذا الحديث عن النبي ﷺ في ذكر التسبيح، ومسكين بن ميمون هو الرملي وروى عنه هشام بن عمار وغيره هذا الحديث».اهـ ولكن وضع محقق «عوالي سعيد بن منصور» كلمة «صحيح» بين قوسين، فكأنه سقط من الأصل ولكنه استدركه بدلالة قول الذهبي =

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال قتادة[(١)]: فكان في علم الله أنه سيكون في تلك الخليقة أنبياء ورسل، وقوم صالحون وساكنو الجنة.

وسيأتي عن ابن مسعود، وابن عباس، وغير واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

[(٢)][وقد استدل القرطبي[(٣)] وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة، ليفصل بين الناس فيما (يختلفون)[(٤)] فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفاحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والإمامة تنال بالنص، كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر، أو بالإيماء إليه، كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده، كما فعل الصديق (في)[(٥)] عمر بن الخطاب، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته، أو بمبايعة واحد منهم له؛ فيجب التزامها عند الجمهور؛ وحكى على (ذلك)[(٦)] إمام الحرمين الإجماع والله أعلم.

أو بقهر واحد (من)[(٧)] الناس على طاعته، فتجب، لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف. وقد نص عليه الشافعي؛ وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة؟ فيه خلاف؛ فمنهم من قال: لا يشترط. وقيل: بلى؛ ويكفي شاهدان. وقال الجبائي: يجب أربعة، وعاقد][(٢)] [(٨)][ومعقود له، كما ترك عمر (رضي الله عنه)[(٩)] الأمر شورى بين ستة؛ فوقع الأمر على عاقد، وهو عبد الرحمٰن بن عوف، ومعقود له وهو عثمان (رضي الله عنه)[(١٠)]، واستنبط وجوب الأربعة الشهود من الأربعة الباقين، وفي هذا نظر. والله أعلم.

ويجب أن يكون ذكراً حراً بالغاً، عاقلاً مسلماً، عدلاً مجتهداً، بصيراً سليم الأعضاء، خبيراً بالحروب والآراء، قرشياً على الصحيح؛ ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطأ خلافاً (لغلاة)[(١١)] الروافض.

ولو فسق الإمام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف. والصحيح أنه لا ينعزل، لقوله عليه (الصلاة و)[(١٢)]السلام: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»[(١٣)]][(٨)].

= فالله أعلم لكن الإسناد قوي، وقول الذهبي في مسكين بن ميمون لا أعرفه عجيب فقد وثقه ابن معين كما في «تاريخ الدوري» (٤/ ٤٧١) وذكره ابن شاهين في «الثقات» وكذلك ابن حبان (٧/ ٥٠٥) وسمى أباه «صالحاً» وسبقه البخاري (٤/ ٢/ ٣) لكن ذكر الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٣٥٥) أن سعيد بن منصور أخرجه عن مسكين فأرسله فلو صحَّ هذا النقل لكان قد اختلف على سعيد في وصله وإرساله فالله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير (٦٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٣٣٩) من طريقين عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٢) ساقط من (ز) و(هـ).

(٣) في «تفسيره» (١/ ٢٦٤).

(٤) في (ن): «اختلفوا».

(٥) في (ن): «بعمر».

(٦) في (ك): «تلك».

(٧) ساقط من (ج).

(٨) ساقط من (ز) و(هـ).

(٩) من (ن).

(١٠) من (ك).

(١١) في (ن): «للغلاة».

(١٢) من (ن): وفي (ك): «ﷺ».

(١٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٥)؛ ومسلم (١٧٠٩/ ٤٢) والسياق له.

(١)[وهل له أن يعزل نفسه؛ فيه خلاف، وقد عزل الحسن بن علي (رضي الله عنه)(٢) نفسه، وسلم الأمر إلى معاوية؛ لكن هذا لعذر؛ وقد مدح على ذلك.

فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز، لقوله عليه (الصلاة و)(٢)السلام: «من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائناً من كان»(٣).

وهذا قول الجمهور، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، منهم إمام الحرمين.

وقالت الكرامية: يجوز (اثنان)(٤) فأكثر، كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة؛ قالوا: وإذا جاز بعث نبيين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الإمامة؛ لأن النبوة أعلى رتبةً بلا خلاف](١).

(٥)[وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار، واتسعت الأقاليم بينهما. وتردد إمام الحرمين في ذلك.

قلت: وهذا يشبه حال (خلفاء)(٦) بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر، والأمويين بالمغرب، (٧)[ولنقرر هذا كله في موضع آخر من «كتاب الأحكام» إن شاء الله تعالى](٧)(٥).

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم. وهذا كان بعد سجودهم له؛ وإنما قدم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا، ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾.

قال السدي(٨)، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، قال: (عرض عليه)(٩) أسماء ولده إنساناً إنساناً، والدواب؛ فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضحاك(١٠)، عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس؛ إنسان، (ودابة)(١١)، وسماء، وأرض، وسهل، وبحر، (وجبل)(١٢)، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

---

(١) ساقط من (ز) و(هـ).
(٢) من (ن).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢/ ٦٠). واللفظ له.
(٤) في (ن): «اثنين».
(٥) ساقط من (ز) و(هـ).
(٦) في (ن): «الخلفاء».
(٧) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٠) وسنده ضعيف.
(٩) في (ن) و(هـ): «علمه» وهو مخالف لما في «تفسير ابن أبي حاتم».
(١٠) وأخرجه ابن جرير (٦٤٦) وسنده ضعيف.
(١١) في (ن): «دواب».
(١٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ)؛ وفي (ز) و(ى): «جمل»؛ وفي (ن): «خيل»!

وروى[١] ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث عاصم بن كليب، عن سعيد بن معبد، عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: علمه اسم الصحفة والقدر؟ قال: نعم حتى الفسوة والفسية.

وقال مجاهد[٢]: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ـ قال: علمه اسم كل دابة، وكل طير، وكل شيء.

[٣][وكذلك روي[٤] عن سعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم من السلف، أنه علمه أسماء كل شيء][٣].

وقال الربيع[٥] ـ في رواية عنه ـ: أسماء الملائكة.

وقال حميد[٦] الشامي: أسماء النجوم. وقال عبد الرحمٰن[٧] بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم.

واختار ابن[٨] جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية؛ لأنه قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ وهذا عبارة عما يعقل.

وهذا الذي رجح به ليس بلازم؛ فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب، كما قال (تعالى)[٩]: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور].

[١٠][وقد قرأ عبد الله بن مسعود: «ثم عرضهن». وقرأ أُبي بن كعب: «ثم عرضها»؛ أي: المسميات][١٠].

والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها؛ وذواتها (وصفاتها)[١١] وأفعالها، كما قال ابن عباس: حتى الفسوة والفسية؛ يعني: أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر؛ ولهذا قال البخاري[١٢] في تفسير هذه الآية في «كتاب التفسير» من «صحيحه»: حدثنا مسلم بن إبراهيم،

---

(١) وأخرجه ابن جرير (٦٥١)؛ وابن أبي حاتم (٣٤١)؛ وسعيد بن معبد ترجمه البخاري في «الكبير» (٢/١/٤٦٨)؛ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/١/٦٣) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٤٧)؛ وابن أبي حاتم (٣٤٢) من طريقين، عن مجاهد. وهو صحيح.

(٣) ساقط من (ج). [أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة].

(٤) أخرج هذه الآثار ابن جرير (٦٥٠، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧).

(٥) أخرجه ابن جرير (٦٥٩) وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٣)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (١٠٤٣) وسنده جيد.

(٧) أخرجه ابن جرير (٦٦٠) وسنده صحيح.

(٨) في «تفسيره» (١/ ٤٨٥).

(٩) من (ن).

(١٠) ساقط من (ز) و(هـ). [وهاتان القراءتان شاذتان تفسيريتان].

(١١) من (ن).

(١٢) في «صحيحه» (٨/ ١٦٠ ـ فتح) وقد رواه البخاري بإسنادين عن قتادة.
أحدهما: هشام الدستوائي، عن قتادة.
وقد رواه أيضاً في «كتاب التوحيد» من «صحيحه» (١٣/ ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٧٧، ٤٧٨)؛ ومسلم (١٩٣/ ٣٢٤، ٣٢٥).

حدثنا هشام، (حدثنا)[١] قتادة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: [٢][وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال][٢]: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا (عند)[٣] ربِّك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحيي؛ (فيقول) ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ فيأتونه فيقول: لست هُنَاكم، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي؛ فيقول: ائتوا خليل الرحمٰن فيأتونه فيقول: لست هناكم، فيقول: ائتوا موسى عبداً كلَّمه الله، وأعطاه التوراة؛ فيأتونه، فيقول: لَست هناكم. ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحيي من ربه؛ (فيقول)[٤]: ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي (فيؤذن)[٥] لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل تسمع، واشفع تشفع؛ فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدّاً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه؛ فإذا رأيت ربي مثله؛ ثم أشفع فيحد لي حدّاً فأدخلهم الجنة [٦][ثم أعود الثالثة][٦] ثم أعود الرابعة، فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود.

هكذا ساق البخاري هذا الحديث ها هنا، وقد رواه مسلم، والنسائي من حديث هشام، وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي، عن قتادة، به. وأخرجه مسلم، والنسائي، وابن ماجه من حديث سعيد، وهو ابن أبي عروبة، عن قتادة.

ووجه إيراده ها هنا، والمقصود منه قوله عليه (الصلاة و)[٧]السلام: فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس؛ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء.

فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يعني: المسميات، كما قال عبد الرزاق[٨]، عن معمر، عن قتادة؛ قال: ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة، ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقال السدي في «تفسيره»[٩]، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ثم عرض الخلق على الملائكة.

---

(١) في (ن): «عن».
(٢) ساقط من (ج).
(٣) في (ن): «إلى».
(٤) ساقط من (ج).
(٥) في (ن): «فيأذن».
(٦) ساقط من (ن).
(٧) من (ز) و(ن)؛ وفي (ك): «ﷺ».
(٨) في «تفسيره» (١/ ٤٢، ٤٣)، ومن طريقه ابن جرير (٦٦٤)؛ وابن أبي حاتم (٣٤٤) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قال: علمه اسم كل شيء؛ هذا بحر، وهذا جبل، وهذا كذا، وهذا كذا؛ لكل شيء، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة. هذا لفظ عبد الرزاق، واختصره ابن جرير، وابن أبي حاتم. وسنده صحيح.
(٩) ومن طريقه ابن جرير (٦٦٢)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥)؛ عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

وقال ابن جريج[١]، عن مجاهد: (ثم عرضهم)[٢]: عرض أصحاب الأسماء على الملائكة.

وقال ابن جرير[٣]: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثني الحجاج، عن جرير بن حازم، ومبارك بن فضالة، عن الحسن وأبي بكر، عن الحسن، وقتادة؛ قالا: علمه اسم كل شيء، وجعل يسمي كل شيء باسمه، وعرضت عليه أُمّة أُمة.

وبهذا الإسناد[٤] عن الحسن وقتادة - في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ - إني لم أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

وقال الضحاك[٥]، عن ابن عباس: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفة.

وقال السدي[٦]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

وقال ابن جرير[٧]: وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله، ومعنى ذلك: فقال أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ من غيرنا أم منا؟ فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قيلكم: (إني)[٨] إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني (ذريته)[٩]، وأفسدوا، وسفكوا الدماء، وإن جعلتكم فيها أطعتموني، واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس؛ فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أحرى أن تكونوا غير عالمين.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى [١٠][أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء (أو)[١١] أن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى][١٠]؛ ولهذا قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٦٦٥)؛ وابن جريج مدلس، ولم يسمع من مجاهد إلا حرفاً.

(٢) ساقط من (ن).

(٣) في «تفسيره» (٦٦٧)؛ والحجاج هو ابن محمد الأعور فيرويه مرة عن جرير بن حازم، ومبارك بن فضالة عن الحسن، ويرويه مرة عن أبي بكر الهذلي عن الحسن، وقتادة.
والوجه الأول أجود، وأبو بكر الهذلي متروك.

(٤) أخرجه ابن جرير (٦٧٣). [وسنده ضعيف].

(٥) أخرجه ابن جرير (٦٧١)، وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (٦٧٢) [وسنده ضعيف].

(٧) في «تفسيره» (١/ ٤٩٠، ٤٩١).

(٨) كذا في (ز) و(ض) و(ن) و(هـ) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» ووقع في: (ج) و(ك) و(ل): «أي».

(٩) في (ن): «وذريته».

(١٠) ساقط من (ك).

(١١) كذا في (ج) و(هـ) و(ى) ووقع في: (ز) و(ض) و(ل) و(ن): «و».

ٱلْحَكِيمُ﴾ [(١)][أي: العليم بكل شيء، الحكيم][(١)] في خلقك وأمرك، وفي تعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك؛ والعدل التام.

قال ابن أبي حاتم[(٢)]: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: سبحان الله، قال: تنزيه الله نفسه عن السوء (قال)[(٣)]؛ ثم قال عمر لعلي وأصحابه عنده: «لا إله إلا الله» قد عرفناها، فما سبحان الله؟ فقال له علي: كلمة أحبها الله لنفسه، ورضيها، وأحب أن تقال.

قال[(٤)]: وحدثنا أبي، حدثنا (ابن نفيل)[(٥)]، (حدثنا)[(٦)] النضر بن (عربي)[(٧)]؛ قال: سأل رجل ميمون بن مهران عن: «سبحان الله» قال: اسم يعظم الله به، ويحاشي به من السوء.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قال زيد بن أسلم[(٨)]: قال: أنت جبرائيل، أنت ميكائيل، أنت إسرافيل، حتى عدد الأسماء كلها حتى بلغ الغُراب.

وقال مجاهد[(٩)] - في (قول الله)[(١٠)]: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ - قال: اسم الحمامة والغراب، واسم كل شيء.

وروي عن سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة نحو ذلك[(١١)].

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) في «تفسيره» (٣٤٧)؛ وأخرجه المحاملي في «الأمالي» (٤٣٩) قال: حدثنا يوسف ابن موسى القطان، ثنا حفص بن غياث بسنده سواء.
وقد سبق الكلام على هذا الأثر (١/ ٤٥٦).
وأخرجه ابن جرير (١١/ ٦٤)، قال: حدثنا أبو كريب وأبو السائب، وخلاد بن أسلم قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا قابوس، عن أبيه أن ابن الكوا سأل عليًّا ﷺ عن: «سبحان الله» قال: كلمة رضيها الله لنفسه.
وأخرجه علي بن محمد الحميري في «جزئه» رقم (٥) قال: حدثنا أبو كريب، ثنا عبد الله بن إدريس بسنده سواء.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١١٠)؛ لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وسنده ضعيف لضعف قابوس بن أبي ظبيان، وهو يمشي في المتابعات ولعل الأثر يتقوى بمجموع الطريقين. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) يعني: ابن أبي حاتم؛ وهو في «تفسيره» (٣٤٨) وسنده جيد.

(٥) في (ن): «ابن فضيل»!! وهو عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل، أبو جعفر النفيلي وهو ثقة حافظ.

(٦) في (ن): «ابن». (٧) في (ن): «عدي». [وسنده حسن].

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٥٤)، وسنده ضعيف، لضعف محمد بن أبان راويه عن زيد بن أسلم. فقد ضعفه ابن معين وأبو داود.
وقال البخاري: «ليس بالقوي».

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٥٥)، وفي إسناده قيس بن الربيع، وهو سيئ الحفظ. [ويشهد له ما سبق].

(١٠) في (ج): «قوله».

(١١) [ذكره ابن أبي حاتم ونسبه إلى ثلاثتهم بحذف السند].

فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما علَّمه الله تعالى من أسماء الأشياء قال الله تعالى للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: ألم أتقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه] وكما قال تعالى إخباراً عن الهدهد أنه قال لسليمان: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝٢٦﴾ [النمل].

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ غير ما ذكرناه؛ فروى الضحاك[١] عن ابن عباس: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ـ قال: أعلم السر كما أعلم العلانية؛ يعني: ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

وقال السدي[٢]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة؛ قال: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ . . .﴾ [البقرة: ٣٠] (الآية)[٣] فهذا الذي أبدوا؛ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

وكذلك قال سعيد بن[٤] جبير، ومجاهد، والسدي، والضحاك، والثوري[٥]. واختار ذلك ابن جرير[٦].

وقال أبو العالية[٧]، والربيع[٨] بن أنس، والحسن[٩]، وقتادة[١٠]: هو قولهم: (لن)[١١] يخلق ربنا خلقاً إلا كنا (نحن)[١٢] أعلم منه، وأكرم (عليه منه)[١٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٦٧٨) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وسنده ضعيف؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٥٨) من طريق الفضل بن خالد النحوي، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس، وسنده ضعيف أيضاً، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٧٩). و[سنده ضعيف].
(٣) من (ن).

(٤) أخرجه ابن جرير (٦٨٠)، وفي إسناده عمرو بن ثابت بن هرمز، وهو متروك؛ رافضي خبيث كما قال أبو داود.

(٥) أخرجه ابن جرير (٦٨١)، وسنده جيد.
(٦) في (١/ ٥٠٠، ٥٠١).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٦٠) وسنده حسن.

(٨) أخرجه ابن جرير (٦٨٤)؛ وابن أبي حاتم (٣٦١).

(٩) أخرجه ابن جرير (٦٨٢) قال: وحدثني المثنى بن إبراهيم، قال: أخبرنا الحجاج الأنماطي، قال: حدثنا مهدي بن ميمون قال: سمعت الحسن بن دينار قال للحسن، ونحن جلوس عنده في منزله، يا أبا سعيد! أرأيت قول الله للملائكة: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] ما الذي كتمت الملائكة؟ فقال الحسن: إن الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقاً عجيباً، فكأنهم دخلهم من ذلك شيء، فأقبل بعضهم إلى بعض، وأسروا ذلك بينهم، فقالوا: «وما يهمكم من هذا المخلوق، إن الله لن يخلق خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه».
ورجال السند ثقات معروفون إلا شيخ ابن جرير فلم أعرفه ولم أجد له ترجمة، والحسن بن دينار لا مدخل له في الرواية إنما هو سائل، وإنما يرويه مهدي بن ميمون عن الحسن البصري، وابن دينار تالف البتة.
وقد نبه على ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ٤٩٩).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٦٨٣) وسنده صحيح.
(١١) في (ز)، (ل)، (ن): «لم».

(١٢) من (ج) و(ى).
(١٣) ساقط من (ج).

(١)[وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فكان الذي أبدو هو قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] وكان الذي كتموا بينهم هو قولهم: لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم](١)؛ فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم.

وقال ابن جرير(٢)، حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، في قصة الملائكة وآدم: فقال الله للملائكة: كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم، إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها، هذا عندي قد علمته، (فلذلك)(٣) أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني.

قال: وقد سبق من الله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] قال: ولم تعلم الملائكة ذلك، ولم يدروه. قال: فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا له بالفضل.

وقال ابن جرير(٤): وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس؛ وهو أن معنى قوله (تعالى)(٥): ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ وأعلم - مع علمي غيب السمٰوات والأرض - ما تظهرونه بألسنتكم، وما كنتم (تخفونه)(٦) في أنفسكم، فلا يخفى علي شيء، سواء عندي سرائركم وعلانيتكم. والذي أظهروه بألسنتهم قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ والذي كانوا يكتمون ما كان (منطوياً)(٧) (عليه)(٨) إبليس من الخلاف على الله في (أمره)(٩) والتكبر عن طاعته.

قال(١): وصح ذلك كما تقول العرب: قُتل الجيش وهُزموا، وإنما قتل الواحد أو البعض، وهزم الواحد أو البعض؛ فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] ذكر أن الذي نادى إنما كان واحداً من بني تميم، قال: وكذلك قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وقد دل على ذلك (أحاديث أيضاً كثيرة)(١٠)؛ منها حديث الشفاعة المتقدم، وحديث موسى(١١) عليه السلام: «رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة؛ فلما اجتمع به قال: أنت آدم الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته»؟ قال: وذكر الحديث كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) ساقط من (ج). [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق أبي جعفر به].
(٢) في «تفسيره» (٦٧٧) وسنده صحيح.
(٣) في (ن): «فكذلك».
(٤) في «تفسيره» (١/ ٥٠٠، ٥٠١).
(٥) من (ز) و(ن).
(٦) في (ز) و(هـ): «تخفون».
(٧) في (ج): «مبطوناً».
(٨) ساقط من (ج).
(٩) في (ز) و(ن): «أوامره».
(١٠) في (ن): أيضاً أحاديث كثيرة.
(١١) أخرجه الشيخان ويأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

وقال ابن جرير[(١)]: حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم: (الجن)[(٢)]، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة؛ وكان اسمه الحارث، وكان خازناً من خُزَّان الجنة؛ قال: وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي؛ قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، [(٣)][وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت؛ قال: وخلق الإنسان من طين][(٣)].

فأول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها، وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً؛ قال: فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، وهم هذا الحي الذين يقال لهم: الجن، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال؛ فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه؛ فقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد؛ قال: فاطلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه؛ فقال الله تعالى للملائكة الذين (كانوا)[(٤)] معه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

فقالت الملائكة ـ مجيبين له ـ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] كما أفسدت الجن وسفكت الدماء؛ وإنما بعثتنا عليهم لذلك؟ فقال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] يقول: إني قد اطلعت (من)[(٥)] قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره.

قال: ثم أمر بتربة آدم، فرفعت؛ فخلق الله آدم من طين لازب، واللَّازب: (اللزج)[(٦)] (الصلب)[(٧)] من حمإٍ مسنون منتن؛ وإنما كان حمأً مسنوناً بعد التراب، فخلق منه آدم بيده.

قال: فمكث أربعين ليلةً جسداً ملقىً، وكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوّت؛ فهو قول الله تعالى: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤] يقول: كالشيء (المنفوخ)[(٨)] الذي ليس بمصمت.

قال: ثم يدخل (في فيه)[(٩)] ويخرج من دبره، ويدخل من دبره ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئاً للصلصلة، ولشيء ما خُلقت، ولئن سلطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطت علي لأعصينك.

قال: فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده، فذهب لينهض، فلم يقدر؛ فهو قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] قال:

---

(١) في «تفسيره» (٦٨٥)، وأيضاً (١٥/ ١٦٩) بطوله، وابن أبي حاتم (٣٦٦)؛ وابن الأنباري في «الأضداد» (ص٣٣٦) مختصراً جداً وسنده ضعيف.

(٢) كذا في (ز) بالحاء المهملة وفي باقي الأصول بالجيم، ولعل الصواب بالمهملة، وقد ذكر في «القاموس» أن «الحن»، بكسر الحاء، حي من أحياء الجن ويدل عليه أن الأثر فرق بينه وبين الجن والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز).

(٤) من (ن) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٥) في جميع الأصول: «علي».

(٦) في (ن): «اللازج».

(٧) كذا في «تفسير الطبري» (٦٠٦) ووقع في جميع الأصول: «الطيب».

(٨) كذا في (ج) و(ل) و(هـ) وهو الموافق لما في الطبري. ووقع في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(ى): «المنفرج».

(٩) كذا في جميع الأصول وهو الموافق لما في الطبري. وفي (ج): «ثم يدخل فيه من فيه».

ضجراً لا صبر له على سراء ولا ضراء، قال: فلما تمت النفخة في جسده عطس، فقال: «الحمد لله رب العالمين» بإلهام الله؛ فقال الله له: «يرحمك الله يا آدم».

قال: ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السمٰوات: اسجدوا لآدم، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاغترا؛ فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه، وأكبر سنّاً، وأقوى خلقاً؛ ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] يقول: إن النار أقوى من الطين.

قال: فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله؛ (أي)[(١)] آيسه، من الخير كله، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبةً لمعصيته.

ثم علَّم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها؛ (ثم)[(٢)] عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة ـ يعني: الملائكة الذين كانوا مع إبليس الذين خُلقوا من نار السموم؛ وقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة: ٣١] أي: يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إن كنتم تعلمون لِمَ أَجعل في الأرض خليفة.

قال: فلما علمت الملائكة (مؤاخذة)[(٣)] الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي ليس لهم به علم ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ [البقرة: ٣٢] تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره، تُبنا إليك، ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] تبرياً منهم من علم الغيب، إلا ما علمتنا كما علمت آدم؛ فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول: أخبرهم بأسمائهم ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ [البقرة: ٣٣] (يقول: أخبرهم)[(٤)] ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٣٣] أيتها الملائكة خاصةً: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣] ولا يعلم غيري؛ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول: ما تظهرون، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية؛ يعني: ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها؛ وهذا الإسناد إلى ابن عباس يُروى به تفسير مشهور.

وقال السدي في «تفسيره»[(٥)]، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن أنس من أصحاب النبي ﷺ: لما فرغ الله من خلق ما أحبَّ استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك السماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم: الجن؛ وإنما سموا الجن لأنهم خُزَّان الجنة؛ وكان إبليس مع مُلكه خازناً، فوقع في صدره[(٦)]؛ وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي على الملائكة. فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك

---

(١) من (ز) و(ن).
(٢) في (ح): «في».
(٣) كذا في (ك) وهو الموافق لما في الطبري (١/ ٤٥٧) ووقع في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى): «موجدة».
(٤) من (ج) و(ع) و(ك) و(ى) و(هـ) وسقط لفظ: «يقول» من (ل).
(٥) ومن طريقه ابن جرير (٦٠٧) [وسنده ضعيف، وفي متنه بعض الإسرائيليات].
(٦) في «تفسير الطبري»: «في صدره كبر».

منه؛ فقال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فقالوا: ربنا، وما يكون (ذلك)(١) الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً. قالوا: ربنا؛ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] يعني: من شأن إبليس.

فبعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن (تنقص)(٢) مني، أو تشينني. فرجع ولم يأخذ، وقال: (يا)(٣) رب؛ إنها عاذت بك فأعذتها. فبعث ميكائيل فعاذت منها فأعاذها؛ فرجع فقال كما قال جبريل. فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض، وخلط ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به؛ فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً؛ واللَّازب هو الذي (يلتزق)(٤) بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص] فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه، ليقول له: تتكبر عما عملت بيدي، ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشراً؛ فكان جسداً من طين أربعين سنةً من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة، ففزعوا منه لما رأوه (وكان)(٥) أشدهم فزعاً منه إبليس؛ فكان يمر به فيضربه فيصوّت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة؛ فذلك حين يقول: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤] ويقول: لأمر ما خلقت. ودخل من فيه فخرج من دبره. وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صمد، وهذا أجوف؛ لئن سلطت عليه لأهلكنه.

فلما بلغ الحين الذي يريد الله ﷻ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له.

فلما نفخ فيه الروح، فدخل الروح في رأسه عطس؛ فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: «يرحمك ربك». فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل الروح إلى جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر] ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قال الله له: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت بيدي؟ قال: أنا خير منه، لم أكن لأسجد (لبشر)(٦) خلقته من طين، قال الله له: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣] يعني: ما ينبغي لك، ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، والصغار: هو الذل.

---

(١) في (ج): «ذاك».

(٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في الطبري. وفي (ز): «تقبض»؛ وفي (هـ): «تنقصني».

(٣) من (ن).

(٤) كذا في جميع الأصول وهو الموافق لما في الطبري. وفي (ج): «يلتزب».

(٥) في (ن): «فكان».

(٦) في (ز): «لمن».

قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] ثم عرض الخلق على الملائكة، ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] أن بني آدم يفسدون في الأرض، ويسفكون الدماء؛ فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ﴾ [البقرة] الله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، قال: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فهذا الذي أبدوا «﴿وَأَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٣] ما (كنتم)[١] ﴿تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]»؛ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر.

فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في «تفسير السدي»، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. والله أعلم.

والحاكم يروى في «مستدركه» بهذا الإسناد بعينه أشياء، ويقول: «(هو)[٢] على شرط البخاري»[٣].

والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم، (وتوسم)[٤] بأفعالهم؛ فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذُم في مخالفة الأمر. وسنبسط المسألة إن شاء الله تعالى عند قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

ولهذا قال محمد بن إسحاق[٥]، عن خلاد، (عن)[٦] عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس؛ قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه (عزازيل)[٧]، وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً، وأكثرهم علماً؛ (فذلك)[٨] دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون: «حنّاً».

وفي رواية[٩]: عن خلاد، عن عطاء، عن طاوس أو مجاهد، عن ابن عباس، أو غيره، بنحوه.

---

(١) ساقط من (ج). (٢) ساقط من (ز) و(ن).

(٣) كذا قال ابن كثير ﷺ، وقد راجعت «كتاب التفسير» من «المستدرك» وهو مظنة الإكثار من الرواية بهذا الإسناد، فلم أر الحاكم صرَّح فيه أن هذا الإسناد على شرط البخاري، وإنما يقول: على شرط مسلم. وانظر مثلاً (٢/ ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٢٢، ٥٧٩، ٥٩٠ (مرتان)، ٥٩٣) وفي (٢/ ٢٦٦) روى أثراً من طريق عمرو بن طلحة، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد. ولم يقيده بشرط مسلم. وساق في (٢/ ٢٧١) نفس هذا الإسناد وقال: على شرط مسلم. وذكره في (٢/ ٥٨٤) ولم يحكم عليه. والصواب أن هذا الإسناد ليس على شرط واحد منهما. وأبو مالك اسمه غزوان، ولم يخرجا له شيئاً. وقد قدمت في (١/ ٤٨٨، ٤٩٠) أن هذا الإسناد حسن، والله أعلم.

(٤) كذا في (ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي). ووقع في (ج) و(ك): «ترسم» بالراء بدل الواو.

(٥) أخرجه ابن جرير (٦٨٦) وأيضاً (١٥/ ١٦٩) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق به وهذا سند ضعيف، وابن حميد واهٍ ولكنه توبع كما يأتي، وسلمة ضعيف.

(٦) كذا في (ز) و(ك) و(هـ). ووقع في (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(ى): «ابن»! وهو تصحيف واضح.

(٧) في حاشية (ج): «عزرائيل».

(٨) من (ز)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى): «فلذلك».

(٩) هي عند ابن جرير (٦٨٧) من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي، ثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن خلاد به فشك فيه فقال: «طاوس أو مجاهد».

=

وقال ابن أبي[1] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد ـ يعني: ابن العوام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن (مسلم)[2]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان إبليس اسمه عزازيل، وكان من أشراف الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة، ثم أبلس بعد.

وقال سنيد[3]: عن حجاج، عن ابن جريج؛ قال: قال ابن عباس: كان إبليس من (أشرف)[4] الملائكة (و)[5] أكرمهم قبيلةً، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض، وهكذا روى الضحاك[6] وغيره عن ابن عباس سواء.

وقال صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس: إن من الملائكة قبيلاً يقال لهم: «الحن»: وكان إبليس منهم، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فمسخه الله شيطاناً رجيماً، رواه ابن جرير[7].

وقال قتادة[8]، عن سعيد بن المسيب: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا.

وقال ابن جرير[9]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عدي بن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن؛ قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس.

= ولم يتفرد به ابن حميد. فأخرجه ابن الأنباري في «كتاب الأضداد» (ص٣٣٤، ٣٣٥) قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء، قال: حدثنا ابن غانم وابن حميد قالا: ثنا سلمة بن الفضل بسنده سواء، وابن غانم لا أعرفه الآن، فليحرر، ولعله ابن هشام، وهو علي بن هاشم بن مرزوق الرازي فإن يكنه، فقد قال أبو حاتم: «صدوق».

(١) في «تفسيره» (٣٦٥). [وسنده حسن].
وأخرجه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص٣٣٦) من طريق عثمان بن أبي شيبة، والبيهقي في «الشعب» (ج١/ رقم ١٤٤) من طريق حنبل بن إسحاق قالا: حدثنا سعيد بن سليمان بسنده سواء. ووقع عندهم: «من ذوي الأربعة الأجنحة».

(٢) في (ك): «مسلمة»!

(٣) أخرجه ابن جرير (٦٨٩) وسنده ضعيف لانقطاعه. ورواه أيضاً (١٥/ ١٦٩).

(٤) في (ز) و(ع): «إشراف».
(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (٦٨٥) وسنده ضعيف.

(٧) في «تفسيره» (٧٠٠) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر، عن شريك بن عبيد الله بن أبي نمر، عن صالح مولى التوأمة به.
(*) **قلت**: هكذا وقع الإسناد: «شريك عن صالح مولى التوأمة» وقد أخرجه ابن جرير قبل ذلك (٦٩٠) وأيضاً في «سورة الكهف» (١٥/ ١٦٩) من طريق ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر، أحدهما أو كلاهما، عن ابن عباس فذكره.
والسند الأول ضعيف جداً لوهاء شيخ الطبري. وسلمة ضعيف.
وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١١٣٢) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن إبليس من الملائكة فلما عصى غضب الله تعالى عليه فصار شيطاناً رجيماً. وسنده جيد.

(٨) أخرجه ابن جرير (٦٩٢)، وأيضاً (١٥/ ١٦٩) ورجاله ثقات.

(٩) أخرجه ابن جرير (٦٩٦)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (١١٢٩)؛ وابن الأنباري في «الأضداد» (ص٣٣٧) من طرق عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن الحسن البصري. وسنده صحيح كما قال المصنف.

وهذا إسناد صحيح عن الحسن. وهكذا قال عبد الرحمٰن[١] بن زيد بن أسلم سواء.

وقال شهر بن حوشب[٢]: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة، فذهب به إلى السماء. رواه ابن جرير.

وقال سنيد بن داود[٣]: حدثنا هشيم، أنبأنا عبد الرحمٰن بن يحيى، عن موسى بن نمير، وعثمان بن سعيد بن كامل، عن سعد بن مسعود؛ قال: كانت الملائكة تقاتل الجن، فسُبي إبليس وكان صغيراً، فكان مع الملائكة يتعبد معها، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا، فأبى إبليس؛ فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال ابن جرير[٤]: حدثنا محمد بن سنان (القزاز)[٥]، حدثنا أبو عاصم، عن شريك، عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: إن الله خلق خلقاً، فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثم خلق خلقاً آخر، فقال: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [ص: ٧١] اسجدوا لآدم. قال: فأبوا، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثم خلق هؤلاء فقال: اسجدوا لآدم. قالوا: نعم. وكان إبليس من أولئك الذين أبَوْ أن يسجدوا لآدم.

وهذا غريب ولا يكاد يصح إسناده؛ فإن فيه رجلاً (مبهماً)[٦]، ومثله لا يحتج به. والله أعلم.

وقال قتادة[٧] في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾: فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم؛ أكرم الله آدم (بها)[٨] أن أسجد له ملائكته.

[٩][وقال بعض الناس: كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠] وقد كان هذا مشروعاً في الأمم الماضية، ولكنه (نسخ في ملتنا)[١٠].

قال (معاذ)[١١]: قدمت الشام، فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم، فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك. فقال: «لا، لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد (لبعلها)[١٢] من عظم حقه عليها»[١٣]][٩] ....

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧٠١) وسنده صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٦٩٨) وسنده ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير (٦٩٩) وفيه من لم أعرفه، وسياقه غريب جداً.
(٤) في «تفسيره» (٧٠٢)، وسنده ضعيف.
(٥) في (ن): «البزارُ»؛ وفي (ز): «العزاز»!!
(٦) في (ل): «متهماً» وهو خطأ فاحش!
(٧) أخرجه ابن جرير (٧٠٧) بسند صحيح عن قتادة. وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٦٤) من طريق الوليد بن مسلم، ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس. وسنده منقطع.
(٨) من (ز) و(هـ).
(٩) ساقط من (ز) و(ض).
(١٠) في (ك): «نسخ خفي علينا»!!
(١١) في (ك): «معاوية»!!
(١٢) في (ن): «لزوجها».
(١٣) أخرجه الترمذي (١١٥٩)؛ وابن حبان (١٢٩١)؛ والبيهقي في «السنن الكبير» (٧/ ٢٩١)؛ وفي «الصغرى» (٢٥٩٨)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (١٤٩٤) من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وكذلك وقع في «تحفة الأحوذي» (٤/ ٣٢٤)، وفي «عارضة =

(١)[ورجحه الرازي(٢)].

وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبلةً فيها، كما قال](١) (١)[تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وفي هذا التنظير نظر. والأظهر أن القول الأول أولى، والسجدة لآدم إكراماً وإعظاماً، واحتراماً وسلاماً؛ وهي طاعة لله ﷻ؛ لأنها امتثال لأمره تعالى.

وقد قواه (فخر الدين)(٣) الرازي في «تفسيره»، وضعف ما عداه من القولين الآخرين؛ وهما كونه جعل قبلةً؛ إذ لا يظهر في شرف؛ والآخر أن المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض، وهو ضعيف كما قال](١).

وقال (قتادة)(٤): في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام (على)(٥) ما أعطاه الله من الكرامة؛ وقال: أنا ناري وهذا طيني. وكان بدء الذنوب الكبر؛ استكبر عدو الله أن يسجد لآدم عليه السلام.

(٦)[قلت: وقد ثبت في «الصحيح»(٧) «لا يدخل الجنة من كان](٦) (٨)[في قلبه مثقال حبة (من)(٩) خردل من كبر». وقد كان في قلب إبليس من الكبر، والكفر والعناد، ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس](٨).

وقال ابن أبي حاتم(١٠): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، حدثنا صالح بن حيان، حدثنا عبد الله بن بريدة - قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من الذين أبوا فأحرقتهم النار.

وقال أبو جعفر(١١)، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يعني: من العاصين.

وقال السدي(١٢): ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الذين لم يخلقهم الله يومئذ، يكونون بعد.

(١٣)[وقال محمد بن كعب(١٤) القرظي: ابتدأ الله خلق إبليس على الكفر والضلالة وعمل بعمل](١٣)

= الأحوذي» (٥/ ١١٠)، و«تحفة الأشراف» (١١/ ١٨) ولكن نقل المنذري في «الترغيب» (٣/ ٥٦) أن الترمذي قال: «حسن صحيح» وكذلك وقع في سائر طبعات «الترغيب» وراجعت بعض مخطوطات «الترغيب» وعندي منها عشرة، فكلها اتفقت على هذا النقل، وكذلك نقل العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ١٦٢) فالله أعلم. وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد عن كثير من الصحابة. يصفو منها شيء حسن.

(١) في «تفسيره» (١/ ٢٣٠، ٢٣١). (٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) ساقط من (ن). (٤) ساقط من (ز) و(ض).

وأثر قتادة: أخرجه ابن أبي حاتم (٣٦٨) بسند صحيح.

(٥) ساقط من (ج) و(ك) و(هـ) و(ى). (٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) يعني: «صحيح مسلم»، وهو فيه (٩١/ ١٤٨) من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء».

(٨) ساقط من (ز) و(ض). (٩) ساقط من (ج) و(ى).

(١٠) في «تفسيره» (٣٧٠) وسنده ضعيف؛ لضعف صالح بن حيان.

(١١) أخرجه ابن جرير (٧٠٥)؛ وابن أبي حاتم (٣٧١) وسنده حسن.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٣) معلقاً. (١٣) ساقط من (ك) و(ى).

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٢) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن كعب. والربذي ضعيف.

[(١)][الملائكة، فصيره الله إلى ما (ابتدأه)[(٢)] عليه خلقه من الكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾][(١)].

[(٣)][قال محمد بن نصر[(٤)] المروزي: حدثنا أبو زرعة، حدّثنا عمرو بن][(٣)] [(٥)][رافع البجلي، حدّثنا كنانة بن جبلة، عن سهيل بن أبي (حزم)[(٦)]، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر آدم بالسجود، فسجد؛ فقال: لك الجنة ولمن سجد من ولدك، وأمر إبليس بالسجود، فأبى أن يسجد، فقال: لك النار ولمن أبى من ولدك أن يسجد»][(٥)].

[(٧)][قال بعض (المعربين)[(٨)]: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: وصار من الكافرين بسبب امتناعه؛ كما قال: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] وقال: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] وقال الشاعر:

بتيهاء قفر والمطي كأنها ... قطا الحزن قد كانت فراخاً بيوضها

أي: قد صارت.

وقال ابن فورك: تقديره: و(قد)[(٩)] كان في علم الله من الكافرين.

ورجحه القرطبي[(١٠)]، وذكر ها هنا مسألةً، فقال: قال علماؤنا (رحمهم الله)[(١١)]: من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبيٍّ كراماتٍ وخوارق للعادات؛ فليس ذلك دالاً على ولايته، خلافاً لبعض الصوفية والرافضة][(٧)].

---

(١) ساقط من (ك) و(ى).

(٢) كذا في (ن)؛ وفي (ز) و(ل): «أبدى»؛ وفي (ج): «بدأ».

(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ) و(ى).

(٤) في «كتاب الصلاة» (٣١٨).

وأخرجه البزار (٧٥٤ ـ زوائده)؛ وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٩٥) من طريق يحيى بن أبي بكير، ثنا كنانة بن جبلة بسنده سواء.

قال البزار: «غريب من حديث أنس، لا نعلمه عنه إلا من هذا الوجه؛ تفرد به: كنانة عن سهيل».

وقال ابن عدي: «وهذا لا أعلم يرويه عن سهيل غير كنانة بن جبلة».

(*) **قلت**: وكنانة بن جبلة قال ابن معين: «كذاب خبيث» وعلق عثمان الدارمي على مقالة ابن معين قائلاً: «هو قريب مما قال يحيى: خبيث الحديث». وقال الجوزجاني: «ضعيف الأمر جداً».

أما أبو حاتم الرازي فقال: «محله الصدق، يكتب حديثه، حسن الحديث». كذا في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢/ ١٦٩، ١٧٠) لولده عبد الرحمٰن.

وقال ابن عدي: «ولكنانة أحاديث غير هذا، ومقدار ما يرويه غير محفوظ» وهذا يدل على وهائه. أما صاحبنا عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي أيده الله فسبق قلمه فقال في تعليقه على الحديث في «كتاب الصلاة» أن كنانة مجهول!!

وأيضاً: سهيل بن أبي حزم ضعيف. فسند الحديث واه. والله أعلم.

وفي معناه حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، ويقول: يا ويله! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار».

أخرجه مسلم (٨١/ ١٣٣) وغيره ويأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

(٥) ساقط من (ز) و(هـ) و(ى).

(٦) في (ج) و(ل): «حسنة»! وفي بقية الأصول: «حثمة»!!

(٧) ساقط من (ز) و(هـ) و(ى).

(٨) كذا في (ج) و(ن)؛ وفي (ك) و(ى): «المفسرين» وفي (ل): «المقرئين».

(٩) من (ن).

(١٠) في «تفسيره» (١/ ٢٩٧).

(١١) ساقط من (ن).

[١][هذا لفظه، ثم استدل على ما قال بأنا لا نقطع (لهذا)[٢] الذي جرى الخارق على يديه أنه يوافى الله بالإيمان (ولا هو)[٣] يقطع لنفسه بذلك، يعني: (والولي)[٤] الذي يقطع له بذلك في نفس الأمر.

قلت: وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على (يد)[٥] غير الولي؛ بل قد يكون على (يدي)[٦] الفاجر والكافر أيضاً بما ثبت[٧] عن ابن صياد أنه قال: هو الدخ حين خبأ له رسول الله ﷺ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان] وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمر؛ وبما ثبتت[٨] به الأحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة؛ من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب؛ وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه إلى غير ذلك من الأمور المهولة.

وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره][١] [٩][على الكتاب والسنة[١٠].

فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله؛ بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء فلا تغتروا به، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة][٩].

[١١][وقد تكلم كثير من المفسرين عند هذه الآية وهي الأمر بسجود الملائكة لآدم على مسألة تفضيل البشر على الملك أو بالعكس، وقد بسط الكلام فيها فخر الدين الرازي في «تفسيره»[١٢]، وحكى عن أكثر أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة، إلا أن أبا بكر الباقلاني، وأبا عبد الله الحليمي، فإنهما ذهبا إلى تفضيل الملائكة على الأنبياء، ثم شرع بذكر دلائل كل قول من الأقوال، وهذه المسألة مقررة في علم الأصول، وفيها أقوال كثيرة منتشرة، ولم يتكلم كثير من السلف فيها، فرأينا الإضراب عن بسط الكلام فيها ها هنا والله أعلم بالصواب][١١].

[١٣][وقد حكى (فخر الدين)[١٤] (الرازي)[١٥] وغيره قولين للعلماء، هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الأرض، أو عام في ملائكة][١٣].

---

(١) ساقط من (ز) و(هـ) و(ى).
(٢) في (ن): «بهذا».
(٣) في (ن): «وهو لا».
(٤) في (ج): «والذي»!
(٥) كذا في (ج)، (ل)؛ وفي (ك) و(ن): «يدي».
(٦) في (ن): «يد».
(٧) أخرجه البخاري (٣/٢١٨؛ و٥/٢٤٩؛ و٦/١٦٠، ١٧١، ١٧٢؛ و١٠/٥٦٠، ٥٦١؛ و١١/٥١٣، ٥١٤)؛ وفي «الأدب المفرد» (٩٥٨)؛ ومسلم (٢٩٣٠/٩٥، ٩٦).
(٨) وأحاديث الدجال متواترة، خلافاً لبعض المبتدعة الذين يزعمون أنها أخبار آحاد لا تقوم بها حجة في العقيدة. ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب.
(٩) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).
(١٠) وقعت العبارة في (ن): «يمشي على الماء ويطير في الهواء». وهو سهو من الناسخ ولم يقع الطيران في الهواء في كلام الليث.
(١١) هذا المقطع من (ج) و(ل). وسقط من (ز) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ى).
(١٢) (١/٢٣٤ ـ ٢٥٥).
(١٣) ساقط من (ز) و(هـ) و(ى).
(١٤) ساقط من (ن).
(١٥) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

[(١)السموات والأرض؟ وقد رجح كلا من القولين طائفة. وظاهر الآية الكريمة العموم: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١] فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم. والله أعلم](١).

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾.

(يقول الله تعالى)(٢) - إخباراً عما أكرم به آدم: بعد أن أمر (ملائكته)(٣) بالسجود له فسجدوا إلا إبليس: إنه أباحه الجنة؛ يسكن منها حيث يشاء، ويأكل منها ما (يشاء)(٤) رغداً؛ أي: هنيئاً واسعاً طيباً.

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه(٥)، من حديث محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا سلمة بن الفضل، عن ميكائيل، عن ليث، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر؛ قال: قلت: يا رسول الله؛ أرأيت آدم؛ أنبيّاً كان؟ قال: «نعم نبيّاً رسولاً (كلّمه)(٦) الله (قِبلاً)(٧) - يعني: عياناً)(٨) فقال: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم أهي في السماء (أو)(٩) في الأرض؟ فالأكثرون على الأول.

---

(١) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٢) في (ن): «يقول تعالى».

(٣) في (ز) و(ض) و(ن): «الملائكة».

(٤) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) ووقع في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ى): «شاء».

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٥٩) قال: حدثنا العباس بن حمدان، وأيضاً رقم (٧٣٣٥) قال: حدثنا محمد بن أبان قالا: ثنا محمد بن عيسى الدامغاني بسنده سواء. قال الطبراني في «الموضع الأول»: «لم يروه عن إبراهيم التيمي إلا ليث، ولا رواه عن ليث إلا ميكال، وهو شيخ كوفي، ولا نعلمه أسند حديثاً غير هذا».

وزاد في «الموضع الثاني»: ولا، يعني: رواه، عن ميكائيل، إلا سلمة بن الفضل.

(*) **قلت**: والسند ضعيف جداً، ومن دون إبراهيم التيمي هم ما بين ضعيف ومجهول، والدامغاني فيه توثيق لين، وقد خالفه محمد بن حميد الرازي، فرواه عن سلمة بن الفضل، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن جعفر بن الزبير، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن أبي ذر فذكر مثله. أخرجه ابن جرير في «التاريخ» (١/ ١٥١)؛ وابن حميد واه، وجعفر بن الزبير ساقط ثم رأيت الدامغاني رواه عن سلمة بن الفضل مثل رواية ابن حميد.

أخرجه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (١٠١٦).

وله طريق آخر عن أبي ذر مثله. أخرجه ابن جرير في «تاريخه» (١/ ١٥٠، ١٥١). وقد اختلف في سنده. فأخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥، ٢٦٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٨/رقم ٧٨٧١) من طريق معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة وساق حديثاً طويلاً وفيه: «قلت: يا نبي الله! فأي الأنبياء أول؟ قال: آدم. قلت: يا نبي الله! أو نبي كان آدم؟ قال: نعم نبي مكلم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم قال: يا آدم قبلاً...».

وسنده ضعيف جداً، وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) في (ن): «يكلمه».

(٧) في (ن): «قبيلاً».

(٨) زيادة من (ن).

(٩) في (ز): «أم».

[1][وحكى القرطبي[2] عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض][1].

وسيأتي تقرير ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى.

وسياق الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة.

وقد صرح بذلك محمد بن[3] إسحاق؛ حيث قال: لما فرغ الله من معاتبة إبليس أقبل على آدم، وقد علَّمه الأسماء كلها؛ فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ . . .﴾ [البقرة: ٣٣] إلى قوله: [4][﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ (ٱلْحَكِيمُ)[5]﴾ [البقرة: ٣٢]][4] قال: ثم ألقيت السِّنَةُ على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، (عن ابن عباس وغيره)[6]؛ ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحماً، وآدم نائم لم يهب من نومه، حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء؛ فسواها امرأةً ليسكن إليها. فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه؛ فقال ـ فيما يزعمون والله أعلم: «لحمي ودمي (وزوجتي)[7]»؛ فسكن إليها. فلما زوجه الله، وجعل له سكناً من نفسه، قال له (قبلاً)[8]: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ويقال: إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة، كما قال السدي في (خبر)[9]، ذكره[10] عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: أُخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة؛ فكان يمشي فيها (وحشاً)[11] ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومةً، فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: (تسكن)[12] إليّ. قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم حواء؟ قال: إنها خلقت من شيء حيٍّ[13]، قال الله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ)، وسقط من سياق (ع) واستدركه الناسخ في «الحاشية» بخط دقيق جداً.

(٢) في «تفسيره» (١/ ٣٠٢) وعبارته هناك: «ولا التفات لما ذهب إليه المعتزلة والقدرية من أنه لم يكن في جنة الخلد، وإنما كان في جنة بأرض عدن، واستدلوا على بدعتهم. . . إلخ».

(٣) أخرجه ابن جرير (٧١١) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، يعني: ابن الفضل، عن ابن إسحاق بسنده سواء. وقد تقدم أن هذا الإسناد ضعيف جداً.

(٤) كذا في كل «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١/ ٥١٤ ـ شاكر)، ووقع في (ك): إلى قوله: «﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]».

(٥) سقطت هذه اللفظة من (هـ).

(٦) هذه الجملة ثابتة في كل «الأصول»، وضرب عليها ابن المحب في (ج).

(٧) كذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، ووقع في (ز) و(ض): «روحي».

(٨) في (ن): «قبيلاً» وفي هامش (ى): يعني: «مشافهة».

(٩) في (ز) و(ض): «تفسيره».

(١٠) أخرجه ابن جرير (٧١٠) [وسنده ضعيف].

(١١) في (ن): «وحيشاً»؛ وفي «القاموس»: «الوحش: حيوان البر، كالوحيش» ووقع في «القرطبي» (١/ ٣٠١): «مستوحشاً».

(١٢) في (ز) و(ن): «لتسكن» وما في سائر «الأصول» هو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(١٣) وأخرجه ابن منده في «التوحيد» (٨١) من طريق عبد الله بن محمد بن النعمان قال: حدثنا عمرو بن حماد، =

[1][وأما قوله (تعالى)[2]][1]: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فهو اختبار من الله تعالى، وامتحان لآدم.

وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي؟ فقال السدي[3]، عمن حدثه، عن ابن عباس: الشجرة التي نُهي عنها آدم عليه السلام هي الكرم. وكذا قال سعيد بن[4] جبير، والسدي، والشعبي، وجعدة بن هبيرة، ومحمد بن قيس.

وقال السدي أيضاً في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ هي الكرم[5].

(وتزعم)[6] يهود أنها الحنطة.

وقال ابن جرير[7]، وابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي، حدثنا أبو يحيى الحماني، حدثنا (النضر)[8] أبو عمر الخزاز، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: الشجرة التي نهى (الله)[9] عنها آدم (عليه السلام)[10] هي: السنبلة.

وقال عبد الرزاق[11]: أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك، عن الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، [12][قال: هي السنبلة.

وقال محمد بن[13] إسحاق، عن رجل من أهل العلم، عن مجاهد، عن ابن عباس؛][12] قال: هي البر.

= حدثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي بسنده سواء. وقال: «هذا إسناد ثابت». وهذا يوافق ما سبق أن حققته، وانفصلت على قوة هذا الإسناد فالحمد لله على التوفيق.

(١) ساقط من (ل). (٢) من (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى).

(٣) أخرجه ابن جرير (٧٣٠)؛ وابن أبي حاتم (٣٨٠) من طريق إسرائيل بن يونس، عن السدي به. وضعفه ظاهر. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٣) لابن المنذر.

(٤) أخرج هذه الآثار كلها ابن جرير (٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٣٩) ولم يذكر ابن جرير شيئاً عن الشعبي، إنما يرويه الشعبي عن جعدة بن هبيرة. وكذلك أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٤) وسنده صحيح.

(٥) [وسنده ضعيف]. (٦) في (ج) و(ك) و(ل) و(ض): «يزعم».

(٧) في «تفسيره» (٧١٨)؛ وابن أبي حاتم (٣٨١) قالا: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي بسنده سواء. وسنده واه، والنضر بن عبد الرحمن ضعيف جداً.

(٨) في (ن): «أبو النضر» وهو خطأ.

(٩) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى)، ووقع في (ز) و(ض) و(ن): «نهى عنها آدم».

(١٠) من (ز) و(ن).

(١١) أخرجه ابن جرير (٧٢٥) وسنده ضعيف جداً، والحسن بن عمارة متروك.

(١٢) ساقط من (ك).

(١٣) أخرجه ابن جرير (٧٢٤) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، بسنده سواء وسنده ضعيف جداً.
ووقع في (ز) و(ن): «محمد بن إسحاق، عن رجل من أهل العلم، عن حجاج، عن مجاهد...».
هكذا بزيادة: «حجاج» في الإسناد وهو خطأ محقق من الناسخ.

وقال ابن جرير[1]: وحدثني المثنى بن إبراهيم، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا القاسم، حدثني رجل من بني تميم - أن ابن عباس كتب إلى أبي (الجلد)[2] يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم، والشجرة التي تاب عندها آدم، فكتب إليه أبو (الجلد)[2]: سألتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم، وهي السنبلة، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهو الزيتونة.

وكذلك[3] فسره الحسن البصري، ووهب بن منبه، وعطية العوفي، وأبو مالك، ومحارب بن دثار، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى.

(وقال)[4] محمد بن إسحاق[5]، عن بعض أهل اليمن، عن وهب بن منبه - أنه كان يقول: هي البر، ولكن الحبة منها في الجنة ككلى البقر، (ألين)[6] من الزبد، وأحلى من العسل.

وقال سفيان الثوري[7]، عن حصين، عن أبي مالك: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ - قال: النخلة.

وقال (ابن جريج)[8]، عن مجاهد[9]: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ - قال: التينة.

وبه قال قتادة، وابن جريج[10].

وقال أبو جعفر[11] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: كانت الشجرة من أكل منها أحدث، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث.

وقال عبد الرزاق[12]: حدثنا عمر بن عبد الرحمٰن بن (مهرب)[13]؛ قال: سمعت وهب بن

---

(١) في «تفسيره» (٧٢٣) وسنده ضعيف. (٢) في (ض): «مجلد»! وهو خطأ ظاهر.

(٣) هذه عبارة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (ص١٢٧ - البقرة)، وهذه الآثار أسندها ابن جرير في «تفسيره» (٧٢٦، ٧٢٨، ٧٢٩).

(٤) ساقط من (ض).

(٥) أخرجه ابن جرير (٧٢٦) قال: حدثنا ابن حميد؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٨٢) عن محمد بن عيسى قالا: ثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق به. زاد ابن جرير: «وأهل التوراة يقولون: هي البر». وسنده ضعيف.

(٦) في (ن): «وألين».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٤) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أحمد، عن سفيان بسنده سواء. وسنده جيد.

(٨) في (ز) و(ن): «ابن جرير» وهو خطأ، لأن ابن جرير لم يروه عن مجاهد كما يأتي.

(٩) أخرجه ابن حاتم (٣٨٣) من طريق ابن أبي زائدة، قال ابن جريج، عن مجاهد. [وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد].

(١٠) أخرجه ابن جرير (٧٤٠) من طريق حجاج الأعور، عن ابن جريج عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: «تينة» وسنده ضعيف معضل، وواضح أن هذا ليس تفسير ابن جريج، ولكن المصنف تبع ابن أبي حاتم في هذا القول.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٥). [وسنده جيد].

(١٢) أخرجه ابن جرير (٧٤٢) مطولاً؛ وابن أبي حاتم (٣٨٦) من طريقين عن عبد الرزاق به وسنده إلى وهب صحيح.

(١٣) وقع في (ل): «مهدي» وفي (ن): «مهران» وكلاهما خطأ، والصواب ما أثبته، وهو عمر بن عبد الرحمٰن بن مهرب، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ١/ ١٢١) وقال: «يعرف بابن الدرية... سمع وهب بن منبه، روى عنه إبراهيم بن خالد الصنعاني وعبد الرزاق... ثم نقل عن ابن معين قال: ثقة». اهـ. =

منبه يقول: لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة، ونهاه عن أكل الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها (في)[1] بعض، وكان لها ثمر ـ يأكله الملائكة لخلدهم، وهي (الثمرة)[2] التي نهى الله عنها آدم وزوجته.

فهذه أقوال ستة في (تعيين)[3] هذه الشجرة.

قال الإمام العلامة أبو جعفر[4] بن جرير رَحِمَهُ اللهُ: والصواب في ذلك أن يقال إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل (شجرة)[5] بعينها من أشجار الجنة دون سائر (أشجارها)[6]، فأكلا منها ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة. وقد قيل: كانت شجرة البر. وقيل: كانت شجرة العنب. وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدةً منها؛ وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به. والله أعلم.

[7][وكذلك رجح (الإبهام)[8] (فخر الدين)[9] الرازي في «تفسيره»[10] وغيره وهو الصواب][7].

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ يصح أن يكون الضمير في قوله: «عنها» عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام ـ كما قرأ (حمزة)[11] و[12][عاصم (بن بهدلة[13] وهو ابن أبي النجود)][12]:

= وقال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ٥٢٥): «و«مهرب» لم أجد نصاً بضبطها في هذا النسب، إلا قول صاحب «القاموس» أنهم سموا من مادة: «هـ ر ب» بوزن «محسن»، يعني: بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه. . .».اهـ.

(١) في (ز) و(ن): «من».
(٢) في (ن): «الشجرة».
(٣) في (ز): «تفسير»، وأشار في هامش (ن): إلى أن ذلك وقع في نسخةٍ.
(٤) في «تفسيره» (١/ ٥٢٠، ٥٢١ شاكر).
(٥) في (ج): «الشجرة».
(٦) في (ج) و(ل): «الأشجار».
(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(٨) في (ك): «الإمام»!
(٩) ساقط من (ن).
(١٠) انظر: «تفسير الرازي» (٢/ ٦).
(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).
(١٢) ساقط من (ى) وثبت ذكر «عاصم بن بهدلة» في باقي «الأصول» والمعروف أن عاصماً وافق بقية القراء في هذا الحرف، وانفرد عنهم حمزة فقال: «فأزالهما». وانظر لذلك: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٥٤)، و«حجة القراءات» (ص٩٤)؛ لابن زنجلة، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص١١٦)؛ لأبي بكر ابن مهران الأصبهاني، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ١٤)؛ لأبي على الفارسي، و«الدر المصون» (١/ ٢٨٧)؛ للسمين الحلبي، و«زاد المسير» (١/ ٦٧)؛ لابن الجوزي، و«الكشف» لمكي (ص٢٣٥)، و«القرطبي» (١/ ٣١١).

وقال السمين الحلبي في «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» (١/ ٢٨٧، ٢٨٨): «قرأ حمزة ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ والقراءتان يحتمل أن تكونا بمعنًى واحد، وذلك أن قراءة الجماعة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة: ٣٦] يجوز أن تكون من: «زل عن المكان» إذا تنحى عنه، فتكون من الزوال كقراءة حمزة، ثم ذكر شعراً لامرئ القيس ثم قال: فرددنا قراءة الجماعة إلى قراءة حمزة، أو نرد قراءة حمزة إلى قراءة الجماعة بأن نقول: معنى: أزالهما؛ أي: صرفهما عن طاعة الله تعالى، فأوقعهما في الزلة، لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزلة سبب للزوال».اهـ. ورجح الطبري في المعنى رواية الجماعة. والله أعلم.

(١٣) ساقط من (ن).

(فأزالهما)[(١)]؛ أي: فنحاهما.

ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين، وهو والشجرة، فيكون معنى الكلام ـ كما قال الحسن[(٢)]، وقتادة: فأزلهما؛ أي: من (قبل)[(٣)] الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، كما قال (تعالى)[(٤)]: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات] أي: يصرف بسببه من هو مأفوك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أي: من اللباس، والمنزل الرحب، والرزق الهنيء، والراحة.

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: قرار وأرزاق وآجال.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة.

وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده، وأبي العالية، ووهب بن منبه، وغيرهم ها هنا أخباراً إسرائيليةً عن قصة الحية وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته؛ وسنبسط[(٥)] ذلك إن شاء الله في سورة الأعراف؛ فهناك القصة أبسط منها ها هنا. والله الموفق.

وقد قال ابن أبي حاتم[(٦)] ها هنا: حدثنا علي بن (الحسين)[(٧)] بن إشكاب، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أُبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس، كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه؛ فأول ما بدا منه عورته؛ فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فأخذت شعره شجرة، فنازعها، فناداه الرحمٰن: يا آدم، مني تفر.

فلما سمع كلام الرحمٰن قال: يا رب؛ لا، ولكن استحياءً».

قال[(٨)]: وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم (القومسي)[(٩)] سنة أربع وخمسين مائتين، حدثنا (سليم)[(١٠)] بن منصور بن عمار، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد، عن قتادة، عن أُبي بن

---

(١) في (ز) و(ض) و(ك): «فأزلهما» وفيه تضييع لهذا الوجه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٨، ٣٨٩) عنهما.

(٣) في (ز) و(ض) و(ى): «قبيل».

(٤) من (ز) و(ع) و(ن) و(ى).

(٥) ويأتي تخريجه أيضاً هناك إن شاء الله تعالى.

(٦) في «تفسيره» (٣٩٢).
وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٦٧): «إسناده حسن».

(٧) وقع في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى): «الحسن» وهو خطأ، هو علي بن الحسين بن إبراهيم بن الحر بن زعلان أبو الحسن بن إشكاب البغدادي ثقة مأمون.

(٨) يعني: ابن أبي حاتم رقم (٣٩٣).

(٩) كذا في (ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، و«قومس» بضم القاف وسكون الواو وكسر الميم ثم سين مهملة ناحية تقع بين «الري» و«نيسابور» كما في «معجم البلدان» (٤/ ٤١٤). ووقع في (ض): «القونسي» وفي (ز) و(ن): «القرشي» وكلاهما خطأ.

(١٠) وقع في كل «الأصول»: «سليمان» وهو خطأ، وصوابه: «سليم» كما ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ٢١٦)؛ والخطيب في «تاريخه» (٩/ ٢٣٢)؛ و«الميزان» (٢/ ٢٣٢)؛ و«اللسان» (٣/ ١١٢) وقال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عنه فقلت: أهل بغداد يتكلمون فيه، فقال: مه، سألت ابن أبي الثلج عنه فقلت له: إنهم يقولون: كتب عن ابن علية وهو صغير، فقال: لا، كان هو أسن منا».

كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ذاق آدم من الشجرة (فر)[(١)] هارباً، فتعلقت شجرة بشعره، فنودي: يا آدم؛ أفراراً مني؟ قال: بل حياءً منك. قال: يا آدم، أخرج من جواري، فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني، ولو خلقت مثلك ملء الأرض خلقاً، ثم عصوني، لأسكنتهم دار العاصين».

هذا حديث غريب، وفيه انقطاع؛ بل إعضال[(٢)] بين قتادة وأُبي بن كعب رضي الله (عنه)[(٣)].

وقال الحاكم[(٤)]: حدثنا أبو بكر بن (بالويه)[(٥)]، عن محمد بن أحمد بن النضير، عن معاوية بن عمرو، عن زائدة، عن عمار بن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما (أُسكن)[(٦)] آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. ثم قال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

[(٧)][وقال عبد بن حميد في «تفسيره»: حدثنا روح، عن هشام، عن الحسن؛ قال: لبث آدم في الجنة ساعةً من نهار، تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا][(٧)].

وقال أبو جعفر[(٨)] الرازي: عن الربيع بن أنس، قال: خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة، فأخرج آدم معه غصناً من شجرة الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة، وهو الإكليل من ورق الجنة.

وقال السدي[(٩)]: قال الله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ فهبطوا، ونزل آدم بالهند، ونزل معه الحجر الأسود، وقبضة من ورق الجنة، فبثه بالهند، فنبتت شجرة الطيب؛ فإنما أصل ما يجاء به من الطيب من الهند من قبضة الورق التي هبط بها آدم، وإنما قبضها آدم أسفاً على الجنة حين أخرج منها.

---

(١) في (ز) و(ن): «فر» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» وفي سائر «الأصول»: «مر».

(٢) [وسنده ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير]. (٣) في (ز): «عنهما».

(٤) في «كتاب التاريخ من المستدرك» (٢/ ٥٤٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٣/رقم ٥٥٨٠)؛ عن ابن جريج قال: حدثني حسن بن مسلم، لا أعلمه إلا، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال ابن جريج: وحدثني عثمان بن أبي سليمان نحوه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسئل عن تلك الساعة فقال: خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة، وخلقه من أديم الأرض كلها، أحمرها وأسودها، وطيبها وخبيثها، ولذلك كان في ولده الأسود والأحمر والطيب والخبيث، فأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، فللَّه ما أمسى ذلك اليوم حتى عصاه، فأخرجه منها.
وهو صحيح من الوجهين وحسن بن مسلم وعثمان بن أبي سليمان كلاهما ثقة. ثم أخرجه عبد الرزاق (٥٥٨١) عن إبراهيم بن يزيد قال: حدثني حسن بن مسلم بسنده سواء نحوه. وإبراهيم متروك.

(٥) في (ن) و(هـ): «باكويه»؛ وفي (ل): «مالويه»! وهو خطأ، وهو محمد بن أحمد بن بالويه أبو بكر النيسابوري. مترجم في «سير النبلاء» (١٥/ ٤١٩). قال الحاكم: توفي سنة أربعين وثلاثمائة.

(٦) في (ض) و(هـ): «سكن» وهو الموافق لما في «المستدرك»، ولكن في طبعته تحريف كثير.

(٧) استدركه ناسخاً (ج) و(ع) في الحاشية، وصرح في (ج) أنها حاشية.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٤) [وسنده جيد] وأخرجه ابن جرير في «تاريخه» (١/ ١١٨) مختصراً.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٠١، ٤٢٢) قال: حدثنا أبو زرعة. ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي. وسنده حسن إلى السدي.

وقال عمران[1] بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: أُهبط آدم بـ«دحنا»[2]: أرض بالهند.

وقال ابن أبي[3] حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس؛ قال: أُهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها: «دحنا» بين مكة والطائف.

وعن الحسن البصري قال: أُهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بـ«دست ميسان»[4] من البصرة على أميال، وأُهبطت الحية بأصبهان. رواه ابن أبي[5] حاتم.

وقال (ابن أبي حاتم)[6]: (حدثنا)[7] محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق، حدثنا (عمرو)[8] بن أبي قيس، عن (الزبير)[9] (بن)[10] عدي، عن ابن عمر[11]؛ قال: أُهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة.

وقال رجاء بن (أبي سلمة)[12]: أُهبط آدم عليه السلام يداه على ركبتيه مطأطئاً رأسه، وأُهبط إبليس، مشبكاً بين أصابعه، رافعاً رأسه إلى السماء.

وقال عبد الرزاق[13]: قال معمر: أخبرني عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى؛ قال:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التاريخ» (١/ ١٢١)؛ والحاكم (٢/ ٥٤٢) عن موسى بن هارون قالا: ثنا عمرو بن علي، ثنا عمران بن عيينة بسنده سواء ولم يذكر الحاكم اسم البلد، ووقع عند ابن جرير «دهنا»؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٧) عن المقدمي ثنا عمران بن عيينة به. وعطاء بن السائب كان اختلط، وقد اختلف عليه في تعيين موقع الأرض التي نزل عليها آدم عليه السلام كما يأتي.
أما الحاكم فقال: «هذا حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

(٢) و«دحنا» بفتح أوله وسكون المهملة ثم نون وألف أرض خلق الله منها آدم كما في «معجم البلدان» (٢/ ٤٤٤) وهي من مخاليف الطائف.

(٣) في «تفسيره» (٣٩٨) وربما كان هذا السند أمثل من الذي قبله من جهة أن جرير بن عبد الحميد أوثق من عمران بن عيينة، لكنه، أعني جريراً، سمع من عطاء بعد الاختلاط أيضاً.

(٤) وهي محلة جليلة بن «واسط» و«البصرة» و«الأهواز»، وهي إلى الأهواز أقرب (ياقوت) (٢/ ٤٥٥).

(٥) في «تفسيره» (٣٩٩) وسنده ضعيف.

(٦) في (ن): «محمد بن أبي حاتم» وهو غلط ظاهر، وقد سقطت أداة الكنية فهو: «أبو محمد بن أبي حاتم».

(٧) ساقط من (ل). (٨) في (ن): «عمر» بدون الواو، غلط.

(٩) ساقط من (ض). (١٠) في (ل): «عن» غلط.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٩٦) [وسنده ضعيف لأن الزبير بن عدي لم يسمع من ابن عمر والرواية من الإسرائيليات].

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٥) وسنده قوي. ووقع في كل «الأصول»: «رجاء بن سلمة» والصواب ما أثبته، واسم أبو سلمة مهران الشامي كما في «التهذيب» (٩/ ١٦١).

(١٣) في «تفسيره» (١/ ٤٣، ٤٤) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٤٢١).
وأخرجه البزار (٢٢٤٥ ـ كشف)؛ وابن جرير (٥٣٧) عن ابن أبي عدي. والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٣) وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (١٨٠) عن هوذة بن خليفة كلاهما عن عوف بن أبي جميلة. عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى الأشعري فذكره موقوفاً. ووقع في «المستدرك»: «عن أبي بكر بن أبي موسى» وهو خطأ.
(*) **قلت**: فقد رواه معمر وابن أبي عدي وهوذة بن خليفة ثلاثتهم عن عوف به موقوفاً وخالفهم ربعي بن علية ـ أخو إسماعيل بن علية ـ فرواه عن عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى مرفوعاً. أخرجه البزار =

إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علَّمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة؛ فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير.

وقال الزهري، عن عبد الرحمٰن بن هرمز الأعرج، (عن أبي هريرة)(١)؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» رواه مسلم(٢)، والنسائي.

(٣)[وقال (فخر الدين)(٤) (الرازي)(٥): اعلم أن في هذه الآية (تهديداً)(٦) عظيماً عن كل المعاصي من وجوه:](٣).

(٧)[الأول ـ أن من تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصي؛ قال الشاعر:

يا ناظراً يرنو بعيني راقد ... ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... درج الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت ربك حين أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد](٧)

قال ابن القاسم:

ولكننا سبي العدو فهل ترىٰ ... نعود إلىٰ أوطاننا ونسلم

(٨)[قال (فخر الدين)(٩) (الرازي)(١٠)، عن فتح الموصلي، أنه قال: كنا قوماً من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا، فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها(١١).

فإن قيل: فإن كانت جنة آدم التي أُخرج منها في السماء كما يقوله الجمهور من العلماء، فكيف تمكن إبليس من دخول الجنة وقد طرد من هناك طرداً قدريًّا؟ والقدريُّ لا يخالف ولا يمانع؟

فالجواب أن هذا بعينه استدل به من يقول: إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء، كما قد بسطنا هذا في أول (كتاب)(١٢) «البداية والنهاية»](٨).

= (٢٣٤٤ ـ كشف) وقال: «لا نعلم رفعه إلا ربعي». اهـ. وهو ثقة مأمون كما قال ابن معين، وقال ابن مهدي: «كنا نعد ربعي بن علية من بقايا شيوخنا» ذكره عنهما ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٥١٠)، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥) فكأنه صحيح من الوجهين معاً. والله أعلم.

(١) ساقط من (ج).

(٢) في «صحيحه» (٨٥٤/ ١٧).

(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ى). وانظر «تفسير الرازي» (٢/ ١٩).

(٦) هكذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ى). ووقع في «تفسير الرازي»: «تحذيراً».

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٩) ساقط من (ن).

(١٠) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ى).

(١١) هكذا اقتصر المصنف على نقل الوجه الأول، وترك وجهين آخرين ذكرهما الرازي، ولعله أخذ من كلام الرازي ما اقتضاه المقام. والله أعلم.
وقد أشار إلى كلام فتح الموصلي الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله في «الميمية» فقال:
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم؟

(١٢) كذا في (ج) و(ل)؛ وفي (ن) و(ى): «كتابنا» وهو فيه (١/ ٧٠ ـ ٨١).

[(١)][وأجاب الجمهور بأجوبة: أحدها أنه منع من دخول الجنة مكرماً، فأما على وجه (الرد)[(٢)] والإهانة فلا يمتنع، ولهذا قال بعضهم ـ كما جاء في التوراة ـ: إنه دخل في فم الحية إلى الجنة.

وقد قال بعضهم: يحتمل أنه وسوس لهما وهو خارج باب الجنة][(١)].

[(١)][وقال بعضهم: يحتمل أنه وسوس لهما وهو في الأرض، وهما في السماء، ذكرها الزمخشري[(٣)] وغيره.

وقد أورد القرطبي[(٤)] ها هنا أحاديث في الحيات وقتلهن وبيان حكم ذلك فأجاد وأفاد][(١)].

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾.

قيل: إن (هذه)[(٥)] الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف] وروى هذا عن مجاهد[(٦)]، وسعيد[(٧)] بن جبير، وأبي العالية[(٨)]، والربيع بن أنس، والحسن[(٩)]، وقتادة[(١٠)]، ومحمد[(١١)] بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمٰن[(١٢)] بن زيد بن أسلم.

وقال أبو إسحاق[(١٣)] السبيعي، عن رجل من بني تميم؛ قال: أتيت ابن عباس، فسألته: ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه؟ قال: علم شأن الحج.

وقال سفيان[(١٤)] الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، أخبرني من سمع عبيد بن عمير - وفي رواية

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(٢) في (ن): «السرقة»!!
(٣) في «الكشاف» (١/ ٥١).
(٤) في «تفسيره» (٣١٥١).
(٥) في (ج) و(ل): «هؤلاء».
(٦) أخرجه ابن جرير (٧٨٧) من طرق عن خصيف، عن مجاهد به.
وأخرجه ابن أبي حاتم (٤١٤) من طريق ابن مهدي، عن الثوري، عن خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جبير معاً، وسنده جيد، وتوبع خصيف. تابعه النضر بن عربي عن مجاهد مثله. أخرجه ابن جرير (٧٨٩) قال: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، عن النضر بن عربي صدوق متماسك، ولكن ابن وكيع وهو سفيان، كان يلقن، ولا بأس بروايته هنا، فهو متابع وعزاه في «الدر المنثور» (١/ ٥٩) لوكيع وعبد بن حميد.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١٤) وسنده جيد.
(٨) أخرجه ابن جرير (٧٧٩) وسنده حسن.
(٩) أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٩).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٧٧٨) عن سعيد بن أبي عروبة؛ وأيضاً (٧٩١)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٤) عن معمر كلاهما عن قتادة.
وسنده صحيح. وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج١٢/ رقم ٦٧٧٤) عن شيبان عن قتادة بلفظ أطول.
(١١) أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب» كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٩). ثم وقفت على إسناده عند البيهقي (ج١٢/ رقم ٦٧٧٢) فرواه من طريق جعفر بن عون، أخبرنا موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن كعب القرظي به. والربذي ضعيف. [ويتقوىٰ بما سبق].
(١٢) أخرجه ابن جرير (٧٧٤، ٧٩٢) وسنده صحيح.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١٢) من طريق زهير بن معاوية ثنا أبو إسحاق السبيعي به وسنده ضعيف وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧٢) لعبد بن حميد وابن المنذر.
(١٤) أخرجه ابن جرير (٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤)؛ وابن أبي حاتم (٤١٣)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» =

قال: أخبرني مجاهد، عن عبيد بن عمير أنه قال: قال آدم: يا رب!، خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته علي قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بل (كتبته)[1] عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبته عليَّ فاغفره لي قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾.

قال السدي[2]، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، قال: قال آدم ﷺ: يا رب، ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى. ونفخت فيَّ من روحك؟ قيل له: بلى. [3][وعطست فقلت: يرحمك الله، وسبقت رحمتك غضبك؟ (قيل له: بلى)][3]. وكتبت عليّ أن أعمل هذا؟ قيل له: بلى. قال: أرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: نعم.

(وكذا)[4] رواه العوفي[5]، وسعيد بن جبير، وسعيد بن معبد، عن ابن عباس، بنحوه.

ورواه الحاكم في «مستدركه»[6] من حديث ابن جبير، عن ابن عباس؛ وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

= (١٠١١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٣) من طرق عن الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عمن سمع عبيد بن عمير فذكره.
وقد رواه عن الثوري هكذا: وكيع، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبد الرحمٰن بن مهدي، ومؤمل بن إسماعيل، وخالفهم عبد الرزاق فرواه في «تفسيره» (١/ ٤٤) وعنه ابن جرير (٧٨٥) فرواه عن الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عبيد بن عمير به فأسقط الواسطة. ورواية الجماعة عن الثوري أقوى، ويحتمل أن يكون للثوري فيه وجهان وإن كان يرجح رواية الجماعة ما ذكره المصنف ﷺ أن الثوري رواه عن مجاهد عن عبيد بن عمير فإن كان راويه عن الثوري ثبتاً فالإسناد متصل. والله أعلم.

(١) في (ن): «شيء كتبته».
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١١) من طريق عبيد الله بن موسى ثنا إسرائيل، عن السدي به. وسنده ضعيف لانقطاعه ولكن سيأتي موصولاً إن شاء الله تعالى.
(٣) ساقط من (ج).
(٤) في (ز) و(ن): «وهكذا».
(٥) أخرجه ابن جرير (٧٧٧) بسند ضعيف مسلسل بالضعفاء.
(٦) «المستدرك» (٢/ ٥٤٥) من طريق الحسن بن علي بن عفان، ثنا الحسن بن عطية، ثنا الحسن بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.
(*) **قلت**: سنده جيد، والحسن بن عطية هو ابن نجيح القرشي، قال أبو حاتم: «صدوق» وقال الذهبي في «المغني»: «ضعفه أبو الفتح الأزدي، ولا بأس به»، وقال الحافظ ابن حجر: «أظنه اشتبه عليه بالذي قبله» والذي قبله هو الحسن بن عطية بن جنادة العوفي.
وأخرجه ابن جرير (٧٧٥) قال: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، عن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو بسنده سواء.
وابن عطية هو محمد بن الفضل بن عطية تالف، قال أحمد: «حديثه حديث أهل الكذب» وقال ابن معين والجوزجاني: «كان كذاباً» وكذلك قال النسائي، وقال صالح بن محمد الحافظ: «كان يضع الحديث»، واتفقوا على طرحه.
لكنه لم يتفرد به، فتابعه محمد بن يوسف الفريابي، قال: حدثنا قيس بن الربيع بسنده سواء.
أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣٠٢، ٣٠٣) ولكن قيس وابن أبي ليلى ضعيفان وقد اختلف على قيس في إسناده كما عند ابن جرير (٧٧٦) أيضاً، ورأيت صاحبنا الشيخ سعد بن عبد الله آل حميد حفظه الله =

وهكذا فسره السدي[١]، وعطية العوفي.

وقد روى ابن[٢] أبي حاتم (ها هنا حديثاً)[٣] شبيهاً بهذا، فقال: حدثنا علي بن (الحسين)[٤] بن إشكاب، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أُبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال آدم عليه السلام: أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة؟ قال: نعم. فذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وفيه انقطاع.

وقال أبو جعفر[٥] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية - في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قال: إن آدم لما أصاب الخطيئة قال: أرأيت يا رب إن تبت وأصلحت؟ قال الله: «إذاً (أُرجعك إلى)[٦] الجنة»؛ فهي من الكلمات.

ومن الكلمات أيضاً: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال ابن أبي[٧] نجيح، عن مجاهد - أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ - قال: الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك؛ رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: إنه يتوب على من تاب إليه وأناب؛ كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤] وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ الآيات [النساء]، وقوله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان] وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب، ويتوب على من يتوب؛ وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده، لا إله إلا هو التواب الرحيم[٨].

[٩][وذكرنا في «المسند[١٠] الكبير» من طريق سليمان بن سليم، عن ابن بريدة - وهو][٩]

= خرج الحديث في تحقيقه لـ«تفسير سعيد بن منصور» (٢/ ٥٥٥) من رواية ابن جرير وحده ثم قال: «والحديث لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما»، ولم يطلع حفظه الله على رواية الحاكم. والله الموفق.

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٨٦) قال: نا الحسن بن يزيد الأصم قال سمعت السدي... فذكره. وسنده قوي.

(٢) في «تفسيره» (٤١٠).

(٣) في (ك): «حديثاً ههنا».

(٤) في (ج) و(ز) و«ع» و(ك) و(ل) و(ى): «الحسن» وهو خطأ.

(٥) أخرجه ابن جرير (٧٧٩). [وسنده جيد].

(٦) في (ن): «أدخلك»، وهو مخالف لسائر الأصول، ولما في «الطبري».

(٧) أخرجه ابن جرير (٧٨٨) من طريق شبل، عن ابن أبي نجيح.
وأخرجه ابن أبي حاتم (٤١٥) من طريق عبد الله بن كثير، عن مجاهد مثله. وهو صحيح.

(٨) في (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف، معارضاً بأصله، حرسه الله».

(٩) ساقط من كل «الأصول»، واستدركته من (ج) و(ل).

(١٠) وهو «جامع المسانيد والسنن» (٢/ ١٨١، ١٨٢) للمصنف رحمه الله.

[1][سليمان ـ، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «لما أُهبط آدم إلى الأرض، طاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين، ثم قال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي، فأقبل معذرتي، وتعلم حاجتي، فأعطني سؤلي، وتعلم ما عندي، فاغفر ذنوبي، أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي. قال: فأوحى الله إليه: إنك قد دعوتني بدعاءٍ استجبت لك فيه، ولمن يدعوني به، وفرجت همومه وغمومه، ونزعت فقره من بين عينيه، (واتجرت)[2] له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي كارهة، وإن لم يردها». رواه الطبراني في «معجمه الكبير[3]»][1].

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس (حين)[4] أهطبهم من الجنة، والمراد: الذرية: إنه سينزل الكتب، ويبعث الأنبياء والرسل؛ كما قال أبو العالية: الهدى: الأنبياء، والرسل، (والبيان)[5][6].

وقال مقاتل بن حيان: الهدى: محمد ﷺ[7].

وقال الحسن: الهدى: القرآن[8]. وهذا القولان صحيحان، وقول أبي العالية أعم.

---

(١) ساقط من كل «الأصول»، واستدركته من (ج) و(ل).
(٢) في (ج): «تجرت».
(٣) لم أجده في «مسند بريدة» من «المعجم الكبير» وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٥٩) للطبراني في «الأوسط» عن بريدة، وأظنه وهماً. وساق المصنف سنده في «جامع المسانيد» (٧٤٢) عن الطبراني قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا حميد بن معاذ، عن المنهال بن عمرو، عن سليمان بن سليم، عن ابن بريدة، عن أبيه مرفوعاً وأخرجه ابن مردويه في «المنتقى من حديث الطبراني» (ق١٩٧/ ١) قال ـ يعني: الطبراني ـ حدثنا حفص بن عمر بن الصباح الرقي، ثنا محمد بن كثير، ثنا حميد بن معاذ، ثنا المنهال بن عمرو، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه مثله فسقط ذكر «سليمان بن سليم» من الإسناد، وكأن الصواب إثباته، والله أعلم. وحميد بن معاذ لم أعرفه. ثم وقفت على الحديث في «الدعوات الكبير» (٢٣١) للبيهقي فرواه من طريق محمد بن كثير، حدثنا عبد الله بن المنهال، عن سليمان بن قسيم، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه مرفوعاً مثله.
وسليمان بن قسيم [ضعيف]، والحديث لا يثبت من أي وجه، وتسامح السيوطي فقال في «الدر» (١/ ٥٩): «إسناده لا بأس به»! وله شاهد من حديث عائشة مرفوعاً مثله أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٧٤) من طريق النضر بن طاهر، ثنا معاذ بن محمد الخراساني، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وقال: «لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا معاذ بن محمد، تفرد به: النضر بن طاهر».اهـ.
(*) **قلت**: وهو متهم بالكذب.
(٤) في (ز) و(ض): «حتى». (٥) في (ن): «البينات والبيان».
(٦) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية].
(٧) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان].
(٨) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق البراء بن يزيد عن الحسن (والبراء بن يزيد ضعيف التقريب ص١١٣١)].

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ أي: من أقبل على ما أنزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما (يستقبلون)[١] من أمر الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا، كما قال في سورة طه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

قال ابن عباس: فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[٢] [طه] كما قال ها هنا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: مخلدون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص.

وقد أورد ابن[٣] جرير (رحمه الله)[٤] ها هنا حديثاً ساقه من (طريقين)[٥]، عن (أبي مسلمة)[٦] سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قُطعة، عن أبي سعيد؛ واسمه (سعد)[٧] بن مالك بن سنان الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن (أقواماً)[٨] أصابتهم النار بخطاياهم، فأماتتهم إماتةً حتى إذا صاروا فحماً أُذن في الشفاعة».

وقد رواه مسلم[٩]، من حديث شعبة، عن (أبي مسلمة)[١٠] به.

[١١][وذكر هذا الإهباط الثاني لما تعلق به ما بعده من المعنى المغاير للأول. وزعم بعضهم أنه تأكيد وتكرير؛ كما يقال: قم، قم. وقال آخرون: بل الإهباط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني عن سماء الدنيا إلى الأرض. والصحيح الأول. والله (تعالى)[١٢] أعلم (بأسرار كتابه)[١٢]][١١].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى آمراً بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة (وأتم)[١٣] والسلام، (ومهيجاً)[١٤] لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام؛ وتقديره:

(١) في (ز) و(ن) و(هـ): «يستقبلونه».
(٢) [سيأتي تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٢٣].
(٣) في «تفسيره» (٧٩٧).
(٤) ساقط من (ن).
(٥) كذا! وهو عند ابن جرير من ثلاثة طرق عن أبي مسلمة.
فأخرجه من طريق غسان بن مضر وبشر بن المفضل وإسماعيل بن علية ثلاثتهم عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد.
(٦) في (ن): «أبو سلمة» وهو خطأ.
(٧) في (ل): «سعيد» وهو خطأ.
(٨) في (ض): «لكن أقوام» بالرفع مع تسكين نون «لكن»؛ وفي «مسلم»: «لكن ناس».
(٩) في «صحيحه» (١٨٥/٣٠٧) من طريق محمد بن جعفر غندر، ثنا شعبة.
(١٠) في (ض) و(ن): «أبو سلمة».
(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(١٢) من (ل).
(١٣) من (ك).
(١٤) في (ك): «وتهييجاً».

يا بني العبد الصالح المطيع لله؛ كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم، افعل كذا؛ يا ابن الشجاع، بارز الأبطال؛ يا ابن العالم، اطلب العلم، ونحو ذلك.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء] فإسرائيل هو يعقوب (ﷺ)[1] بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي[2]: حدثنا (عبد[3] الحميد) بن بهرام، عن شهر بن حوشب؛ قال: حدثني عبد الله بن عباس؛ قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ؛ فقال لهم: «هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟» قالوا: اللهم نعم، فقال النبي ﷺ: «اللهم اشهد».

وقال الأعمش[4]، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن (عبد الله)[5] بن عباس أن إسرائيل كقولك: عبد الله.

وقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: مجاهد: نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سمي وفيما وسوى ذلك: أن فجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، (وأنجاهم)[6] من (عبودة)[7] آل فرعون.

وقال أبو[8] العالية: نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب.

قلت: وهذا كقول موسى ﷺ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] يعني: في زمانهم.

وقال محمد بن[9] إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله (تعالى)[10]: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: بلائي عندكم وعند آبائكم

---

(١) من (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى).

(٢) في «مسنده» (٢٧٣١).
وأخرجه أحمد (٢٥١٤، ٢٥١٥، ٢٤٧١)؛ وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٧٤، ١٧٥)؛ وابن جرير (١٦٠٥، ٧٤٢٠)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٥١ ـ آل عمران)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٢/رقم ١٣٠١٢)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٦٦، ٢٦٧) من طرق عن عبد الحميد بن بهرام بسنده سواء وهو حديث طويل.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٨٩) للفريابي، وعبد بن حميد وأبي نعيم في «الدلائل». وسنده محتمل للتحسين، ولأكثر فقراته شواهد. وانظر: «تسلية الكظيم».

(٣) في (ك): «حماد الحميد»!!

(٤) أخرجه ابن جرير (٧٩٨) قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن الأعمش به.
وابن حميد هو محمد، وهو واه.

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) في (ن): «ونجاهم».

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض) و(هـ) و(ن): «عبودية» وهما بمعنًى. وانظر «لسان العرب» (ص٢٧٧٧).

(٨) أخرجه ابن جرير (٨٠٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٣٩). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن إسحاق كما في «الدر المنثور» (١/ ٦٣) ومن طريقه ابن جرير (٨٠١)؛ وابن أبي حاتم (٤٣٨) [وسنده حسن].

(١٠) من (ن).

لما كان نجاهم (به)[١] من فرعون وقومه.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال[٢]: بعهدي الذي أخذت (في)[٣] أعناقكم للنبي (محمد)[٤] ﷺ إذا جاءكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه (بتصديقه)[٥]، واتباعه، بوضع ما كان عليكم من (الإصر)[٦] والأغلال التي كانت في أعناقكم، بذنوبكم التي كانت (من)[٧] إحداثكم.

[٨][وقال الحسن البصري: هو قوله (تعالى): ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢].

وقال آخرون: هو الذي أخذه الله عليهم في التوراة: أنه سيبعث من بني إسماعيل نبيًّا عظيماً يطيعه جميع (العرب)[٩]: (الشعوب)[١٠] (والقبائل)[١١]، والمراد به محمد ﷺ؛ فمن اتبعه (غفر)[١٢] له ذنبه، (وأدخل)[١٣] الجنة، وجعل له (أجران)[١٤].

وقد أورد (فخر الدين)[١٥] الرازي بشارات كثيرةً عن الأنبياء عليهم (الصلاة و)[١٦] السلام بمحمد ﷺ][٨].

وقال أبو العالية[١٧]: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال: عهده إلى عباده (دينه)[١٨] الإسلام، (أن)[١٩] يتبعوه.

وقال الضحاك[٢٠]، عن ابن عباس: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: أرض عنكم، وأدخلكم الجنة؛ وكذا قال السدي[٢١]، والضحاك[٢٢]، ....

---

(١) ساقط من (هـ).
(٢) يعني: ابن عباس. كما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٤٤٥). [والأثر تتمة لسابقه].
(٣) كذا في (ن). وفي «سائر الأصول»: «من».
(٤) من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(هـ) و(ى).
(٥) في (ن): «من تصديقه».
(٦) في (ن): «الآصار».
(٧) في (ج): «في».
(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(٩) من (ل) و(ى)، وسقط من (ج) و(ل) و(ن).
(١٠) ساقط من (ى).
(١١) من (ل).
(١٢) في (ن): «غفر الله».
(١٣) في (ن): «أدخله».
(١٤) في (ن): «أجرين» وهذا بناءً على ظهور الفاعل، وعدم استتاره.
(١٥) ساقط من (ن). وانظر «تفسير الرازي» (٢/٤٣).
(١٦) من (ن)
(١٧) أخرجه ابن جرير (٨٠٦)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٣) [وسنده جيد].
(١٨) في (ك): «الدينه» وفي (ن): «دين» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».
(١٩) في (ن): «وأن».
(٢٠) أخرجه ابن جرير (٨٠٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٤١، ٤٤٤) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس. وسنده ضعيف أو واه. وبشر بن عمارة ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وأبو روق: اسمه عطية بن الحارث؛ صدوق لا بأس به.
(٢١) أخرجه ابن جرير (٨٠٧).
(٢٢) أخرجه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (١٨٤) من طريق ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، عن الضحاك =

وأبو العالية، والربيع[(١)] بن أنس.

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي: فاخشون؛ قاله أبو العالية[(٢)]، والسدي[(٣)] والربيع بن أنس، وقتادة.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي: (أن)[(٤)] أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم؛ من المسخ وغيره[(٥)].

وهذا انتقال من الترغيب إلى الترهيب؛ فدعاهم إليه بالرغبة والرهبة لعلهم يرجعون إلى الحق، واتباع الرسول ﷺ، والاتعاظ بالقرآن وزواجره، وامتثال أوامره، وتصديق أخباره، والله (الهادي لمن)[(٦)] يشاء إلى (صراط)[(٧)] مستقيم؛ ولهذا قال: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [(٨)][و﴿مُصَدِّقٗا﴾ (منصوب)[(٩)] على الحال من «ما»؛ أي: بالذي أنزلت مصدقاً؛ أو من الضمير المحذوف من (قوله)[(١٠)]: بما أنزلته مصدقاً، ويجوز أن يكون مصدراً من غير الفعل، وهو قوله: لما أنزلت مصدقاً به][(٨)]؛ ويعني به: القرآن الذي (أنزله)[(١١)] على محمد ﷺ النبي الأمي العربي بشيراً ونذيراً، وسراجاً منيراً، مشتملاً على الحق من الله (تعالى)[(١٢)]، مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل.

قال أبو العالية[(١٣)] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ يقول: يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم؛ يقول: لأنهم يجدون محمداً ﷺ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

وروى عن مجاهد[(١٤)]، والربيع[(١٥)] بن أنس، وقتادة، نحو ذلك.

= فذكره وسنده حسن. والحسن بن يحيى وثقه ابن معين وابن حبان، ولم يذكر له المزي راوياً إلا ابن المبارك وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٦٤) لعبد بن حميد.

(١) أشار إليه ابن أبي حاتم (٤٤٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (٨١٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٧). [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن جرير (٨١٣) [وسنده حسن].

(٤) من (ن) وأشار في (ى) إلى أنها كذلك في بعض النسخ.

(٥) [هذا الأثر تتمة لرواية ابن إسحاق السابقة].

(٦) في (ن): «يهدى من».

(٧) في (ج) و(ز) و(ض): «صراطه».

(٨) ساقط من سائر (الأصول)، واستدركته من (ل)، ومن حاشية (ج) و(ع).

(٩) كذا في (ج) و(ع)؛ وفي (ل): «منصوباً» على تقدير فعل محذوف، كأنه قال: جاء منصوباً.

(١٠) في (ل): «قولهم»!

(١١) في (ج): «أنزل».

(١٢) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ن).

(١٣) أخرجه ابن جرير (٨١٦)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٨). [وسنده جيد].

(١٤) أخرجه ابن جرير (٨١٤، ٨١٥)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٩) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(١٥) أشار إلى رواية الربيع وقتادة: ابن أبي حاتم في «تفسيره».

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [(١)][قال بعض (المفسرين)[(٢)]: أول فريق كافر به، أو نحو ذلك][(١)].

قال ابن عباس[(٣)]: ولا تكونوا أول كافر به، وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم.

وقال أبو العالية[(٤)]: يقول: ولا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ؛ [(١)][يعني: من جنسكم أهل الكتاب بعد (سماعكم)[(٥)] بمبعثه][(١)]، وكذا قال الحسن، والسدي، والربيع بن أنس.

واختار ابن جرير[(٦)] أن الضمير في قوله: «به» عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ وكلا القولين صحيح؛ لأنهما متلازمان؛ لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ؛ ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن.

وأما قوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير؛ وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرةً؛ فإن يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من (كفر به)[(٧)] من جنسهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي، وتصديق رسول - بالدنيا وشهواتها؛ فإنها قليلة فانية؛ كما قال عبد الله بن المبارك[(٨)]: أنبأنا عبد الرحمٰن بن (يزيد)[(٩)] بن جابر، عن هارون بن يزيد؛ قال: سئل الحسن - يعني: البصري - عن قوله تعالى: ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ - قال: الثمن القليل الدنيا بحذافيرها[(١٠)].

وقال ابن لهيعة[(١١)]: حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٢) كذا في (ك) و(ل) و(ى). ووقع في (ج) و(ن): «المعربين».

(٣) أخرجه ابن جرير (٨١٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٥٠) وتقدم القول بضعفه.

(٤) أخرجه ابن جرير (٨١٨)؛ وابن أبي حاتم (٤٥١). [وسنده جيد].

(٥) كذا في (ن)؛ وفي (ج) و(ل) و(ن) و(ى): «سماعهم».

(٦) في «تفسيره» (١/ ٥٦٤ - شاكر).

(٧) في (ج): «كفره».

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٥٦)؛ وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤٩٧) من طريق علي بن الحسن بن شقيق، أنا ابن المبارك بسنده سواء. وسنده ضعيف، وهارون بن يزيد البصري ترجمه البخاري في «الكبير» (٤/ ٢/ ٢٢٠)؛ وابن حبان في «الثقات» (٧/ ٥٧٩) وقال: «يروى عن رجل عن أبي هريرة» ورجح الشيخ العلامة عبد الرحمٰن المعلمي في حاشيته على «تاريخ البخاري» أنه هارون بن راشد، وأنه غلط بعض الرواة في اسمه فقلبوه إلى «هارون بن يزيد»، وفي النفس غصة من هذا الترجيح، ورسمه رسم المجهول. والله أعلم.

(٩) في (ز) و(ن): «زيد» وهو خطأ.

(١٠) [أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن المبارك به وهو تفسير حسن].

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٤) قال: ذكر عن الحسن بن علي الحلواني، عن سعيد بن أبي مريم، أخبرني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. وسنده ضعيف، فقد علقه ابن أبي حاتم كما ترى، وحال ابن لهيعة معروفة، وعطاء بن دينار قال أبو حاتم: «صالح الحديث، إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بن جبير بهذا =

﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إن آياته كتابه الذي (أنزل)[١] إليهم، وإن الثمن القليل الدنيا وشهواتها.

وقال السدي[٢]: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول: لا تأخذوا (طمعاً)[٣] قليلاً، ولا تكتموا اسم الله؛ فذلك الطمع: (وهو)[٤] الثمن.

وقال أبو جعفر[٥]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول: لا تأخذوا عليه أجراً؛ قال: وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن آدم، علم مجاناً كما علمت مجاناً.

[٦][وقيل: معناه لا تعتاضوا عن البيان والإيضاح، ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس، لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة الزائلة عن قريب.

وفي «سنن أبي داود»[٧]، عن أبي هريرة ﷺ؛ قال:][٦] [٨][قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة».

فأما تعليم العلم بأُجرة فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرةً، ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم (بحاله)[٩] وعياله. فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه. (وإذا لم يتعين عليه)[١٠] فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرةً عند مالك، والشافعي، وأحمد، وجمهور العلماء، كما في «صحيح[١١] البخاري»:][٨]

= التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير». اهـ.

(١) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ى)؛ ووقع في (ز) و(ض) (ن): «أنزله».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٥)؛ وابن جرير (٨٢١) وعنده: «وذلك الثمن هو الطمع». [وسنده حسن].

(٣) ساقط من (ض)، ووضع محققو «تفسير ابن كثير، طبعة دار الشعب» والمرموز لها بالرمز (ز) أقول: وضعوا هذه اللفظة بين معكوفين، وهذا يدل على أنها ساقطة من الأصل، وقد علمت طريقتهم من متابعتي لعملهم، ثم النسخة المرموز لها بـ(ض) كأنها منقولة من (ز) فلا يكون سقط في (ز) إلا وهو في (ض). فالله أعلم.

(٤) في (ك): «هو».

(٥) يعني: الرازي، وليس أبا جعفر بن جرير، وقد أخرجه في «تفسيره» (٨٢٠)، وكذلك ابن أبي حاتم (٤٥٣). [وسنده جيد].

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٧) رقم (٣٦٦٤) من طريق فليح بن سليمان، عن أبي طوالة عبد الله بن عبد الرحمن، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة به. ولكن عنده: «لم يجد عرف الجنة...، يعني: ريحها»؛ وأخرجه ابن ماجه (٢٥٢)؛ وأبو الحسن بن سلمة في «زوائده عليه» (١/ ٩٣)؛ وأحمد (٢/ ٣٣٨)؛ وابن أبي شيبة (٨/ ٥٤٣)؛ وابن حبان (٨٩)؛ والحاكم (١/ ٨٥)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦٧)؛ وابن المقرئ في «معجمه» (ج١/ ق٩/ ١، ٢) وآخرون من هذا الوجه.

قال العقيلي: «الرواية في هذا الباب لينة». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أسنده ووصله عن فليح جماعة غير ابن وهب» ووافقه الذهبي. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٠٤)].

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ). (٩) في (ن): «به حاله».

(١٠) ساقط من (ج).

(١١) في «كتاب فضائل القرآن» (٩/ ٥٤) وقدم تخريجه في «تفسير الفاتحة» (١/ ٣٨٤، ٣٨٥).

[١][عن أبي سعيد في قصة (اللديغ)[٢] (و)[٣]: «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله»[٤]. وقوله في قصة المخطوبة[٥]: «زوجتكها بما معك من القرآن».

فأما حديث عبادة بن الصامت أنه علَّم رجلاً من أهل الصفة شيئاً من القرآن، فأهدى له قوساً، [٦][فسأل (عنه)[٧] رسول الله ﷺ][٦]، فقال: (إن)[٨] أحببت أن (تطوق)[٩] بقوس من نار فاقبله»؛ فتركه. رواه أبو[١٠] داود. وروي مثله عن أُبي بن كعب[١١] مرفوعاً[١٠]؛ فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء؛ منهم أبو عمر[١٢] ابن عبد البر - على أنه (لما)[١٣] علَّمه الله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس.

فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في حديث (اللديغ؛ وحديث)[١٤] سهل في المخطوبة. والله أعلم][١].

(وقوله)[١٥]: (﴿وَإِيَّيَ[١٦]) فَٱتَّقُونِ﴾ قال ابن[١٧] أبي حاتم: حدثنا أبو عمر الدوري، حدثنا أبو

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٢) في (ك): «الملدوغ».

(٣) من (ل) وهي زيادة ضرورية، إذ بدونها يكون حديث أبي سعيد هو: «إن أحق ما أخذتم... إلخ» وإنما هو حديث ابن عباس كما يأتي، وهذا المتن لم يقع في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ على اختلاف ألفاظه. والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٨، ١٩٩).

(٥) مرّ تخريج القصة في «فضائل القرآن» (١/ ٢٨١).

(٦) في (ك): «فقال رسول الله ﷺ عن ذلك».

(٧) ساقط من (ج) و(ل) و(ى).

(٨) في (ك): «إني»!

(٩) في (ك): «تطوف».

(١٠) في «سننه» (٣٤١٦) [وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح٢٩١٠)].

(١١) أخرجه ابن ماجه (٢١٥٨) قال: حدثنا سهل بن أبي سهل، ثنا يحيى بن سعيد، عن ثور بن يزيد، ثنا خالد بن معدان، حدثني عبد الرحمٰن بن سلم، عن عطية الكلاعي، عن أُبي بن كعب قال: علمت رجلاً القرآن فأهدى إليَّ قوساً، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن أخذتها أخذت قوساً من نار» فرددتها. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٨٥١)].

(١٢) في «كتاب التمهيد» (٢١/ ١١٤) وعبارته: «وحديث عبادة أُبي يحتمل التأويل أيضاً، لأنه جائز أن يكون علمه لله، ثم أخذ عليه أجراً؛ ونحو هذا».اهـ. وقول ابن عبد البر هنا يخالف ما نقله عنه ابن كثير، فلعل ابن عبد البر قال ما نقله ابن كثير في موضع آخر، أو في كتاب آخر. والله أعلم.

(١٣) في (ك) و(ى): «كان».

(١٤) ساقط من (ج) و(ل).

(١٥) من (ك) و(ن).

(١٦) في (ل): «فإياي»!!

(١٧) في «تفسيره» (٤٥٧) وسنده جيد، وأبو عمر الدوري اسمه حفص بن عمر قال أبو حاتم: «صدوق» وضعفه الدارقطني، وسمع منه ابن أبي حاتم وهو صغير، فقد ولد ابن أبي حاتم سنة (٢٤٠) وتوفي أبو عمر الدوري سنة (٢٤٦) وقيل: سنة (٢٤٨) ولكن له طريق آخر فأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٣) قال: أخبرنا سفيان، عن عاصم، عن بكر بن عبد الله قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث، قال طلق: اتقوها بالتقوى. قال بكر له: أجمل لنا التقوى. قال: التقوى عمل بطاعة الله. وساق نحوه.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٤) من طرق قبيصة بن عقبة، عن سفيان الثوري بسنده سواء وسنده صحيح. والله أعلم.

إسماعيل المؤدب، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية، عن (طلق)[١] بن حبيب؛ قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله (والتقوى)[٢] أن تترك معصية الله [٣][مخافة عذاب الله، على نور من الله][٣].

ومعنى قوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ أنه تعالى يتوعدهم فيما (يعتمدونه)[٤] من كتمان الحق وإظهار خلافه، ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ناهياً لليهود عما كانوا يعتمدونه من تلبيس الحق بالباطل، وتمويهه به، وكتمانهم الحق، وإظهارهم الباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فنهاهم عن الشيئين معاً، وأمرهم بإظهار الحق، والتصريح به؛ ولهذا قال الضحاك[٥]، عن ابن عباس: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [٦][لا تخلطوا الحق بالباطل، والصدق بالكذب][٦].

وقال أبو العالية[٧]: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يقول: ولا تخلطوا الحق بالباطل، وأدوا النصيحة لعباد الله (في)[٨] (أمر)[٩] محمد ﷺ.

(وروي)[١٠] عن سعيد بن جبير، والربيع بن أنس، نحوه.

وقال قتادة[١١]: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية [١٢][بالإسلام ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن دين الله الإسلام، (وأن)[١٣] اليهودية والنصرانية][١٢] بدعة ليست من الله.

وروي عن الحسن البصري نحو ذلك[١٤].

وقال محمد[١٥] بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن

---

(١) ساقط من (ج).
(٢) ساقط من (ن).
(٣) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، ووقع في (ن): «على نور من الله، تخاف عقاب الله».
(٤) في (ن): «يتعمدونه».
(٥) أخرجه ابن جرير (٨٢٣) وسنده واه.
(٦) كذا في (ز) و(ن) وسقطت هذه الجملة من (ك) ووقع في سائر «الأصول»: «تخلطوا» والذي في «تفسير الطبري»: «لا تخلطوا الصدق بالكذب».
(٧) أخرجه ابن جرير (٨٢٤)؛ وابن أبي حاتم (٤٥٨) [وسنده جيد].
(٨) كذا في (ن) وهو الموافق لما في «الطبري» و«ابن أبي حاتم» وفي سائر «الأصول»: «من».
(٩) كتب ناسخ (ن) فوقها «أمة».
(١٠) في (ز) و(ن): «ويروى» وأشار إلى هذين الأثرين ابن أبي حاتم في «تفسيره» [بحذف السند] (ص١٤٧ - البقرة).
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٩) [وسنده حسن]. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٤) إلى عبد بن حميد.
(١٢) ساقط من (ك) والعبارة عنده: «ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله»!!
(١٣) من (ع) و(ن) و(هـ).
(١٤) [ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند].
(١٥) أخرجه ابن جرير (٨٣٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٦١) [وسنده حسن].

ابن عباس: ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: (لا تكتموا)(١) ما عندكم من المعرفة برسولي، وبما جاء به، وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم.

وروي عن أبي(٢) العالية نحو ذلك.

وقال مجاهد(٣)، والسدي(٤)، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

(٥)[قلت: ﴿وَتَكۡتُمُواْ﴾(٦) يحتمل أن يكون مجزوماً، (ويجوز)(٧) أن يكون منصوباً؛ أي: لا تجمعوا بين هذا وهذا؛ كما يقال: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

قال الزمخشري(٨): وفي مصحف ابن مسعود: وتكتمون الحق(٩)؛ أي: في حال كتمانكم الحق، «وأنتم تعلمون» حال أيضاً، ومعناه: وأنتم تعلمون الحق. ويجوز أن يكون المعنى: وأنتم تعلمون ما في ذلك من](٥) (١٠)[الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النار إن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق، لتروجوه عليهم.

والبيان: الإيضاح، (وعكسه)(١١) الكتمان، وخلط الحق بالباطل](١٠).

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ قال مقاتل(١٢): قوله: (تعالى)(١٣) لأهل الكتاب: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أمرهم أن يصلُّوا مع النبي ﷺ، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أمرهم أن يؤتوا الزكاة؛ أي: يدفعونها إلى النبي ﷺ؛ ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد ﷺ. يقول: كونوا (منهم، ومعهم)(١٤).

وقال علي(١٥) بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(١٦) يعني: بالزكاة طاعة الله والإخلاص.

وقال وكيع(١٧)، عن (أبي جناب)(١٨)، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال: ما يوجب الزكاة؟ قال: مائتان فصاعداً.

---

(١) في (ج): «لا تكتموا الحق»!

(٢) أخرجه ابن جرير (٨٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٦٠). [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن جرير (٨٣٠، ٨٣١) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٢). [وسنده حسن].

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) في (ج) و(ل): «وتكتموا الحق» ووقع في (ك): «وتكونوا»!!

(٧) في (ن): «ويحتمل».

(٨) في «الكشاف» (١/٥٣).

(٩) [وهي قراءة شاذة].

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) في (ل): «والعكس».

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٧) من طريق محمد بن علي، أنبأ أبو وهب ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان به وهذا سند لا بأس به، وأبو وهب هو محمد بن مزاحم صدوق، وبكير بن معروف فيه ضعف يسير مع الصدق والأمانة.

(١٣) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى).

(١٤) في (ع) و(ن) و(هـ) و(ى): «معهم ومنهم».

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٨) [وسنده ثابت].

(١٦) ساقط من (ز) و(ن).

(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٩) قال: حدثنا علي بن الحسين ثنا أبو بكر وعثمان أبناء أبي شيبة قالا: ثنا وكيع بسنده سواء. وأبو جناب الكلبي اسمه يحيى بن أبي حية ضعفوه لكثرة تدليسه، ولم يصرح بتحديث هنا؛ ورواية وكيع هذه مقدمة في (ك) على رواية مبارك بن فضالة.

(١٨) في (ض) و(ك) و(ل) و(هـ): «أبي خباب» بالخاء المعجمة والباء وهو تصحيف.

وقال مبارك[١] بن فضالة، عن الحسن - في قوله (تعالى)[٢]: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال: فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا (بها)[٣] وبالصلاة.

وقال ابن أبي حاتم[٤]: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن أبي حيان التيمي، عن الحارث العكلي - في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال: صدقة الفطر.

[٥][وقوله (تعالى)[٦]: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم، ومن أخص ذلك (وأكمله)[٧] الصلاة][٥].

[٨][وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة. (ولبسط)[٩] ذلك «كتاب الأحكام الكبير» إن شاء الله تعالى، وقد تكلم القرطبي[١٠] على (مسائل)[١١] الجماعة والإمامة، (فأجاد)[١٢]][٨].

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم، فلا (تأتمروا)[١٣] بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم! فتنتبهوا من رقدتكم، (وتتبصروا)[١٤] من عمايتكم.

وهذا كما قال عبد الرزاق[١٥]، عن معمر، عن قتادة - في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر؛ ويخالفون؛ فعيرهم الله ﷻ. وكذلك قال السدي[١٦].

وقال ابن جريج[١٧]: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس؛ فعيرهم الله بذلك؛ فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعةً.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٧١). [وسنده حسن]. (٢) من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن).
(٣) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، وفي سائر «الأصول»: «به».
(٤) في «تفسيره» (٤٧٢)، وأخاف أن يكون أبو حيان التيمي واسمه يحيى بن سعيد بن حيان لم يدرك الحارث بن أقيش العكلي، والناظر في ترجمة أبي حيان يميل إلى هذا. والله أعلم.
(٥) ساقط من (ض). (٦) من (ز) و(ن).
(٧) في (ك): «وأجمله»! (٨) ساقط من (ز) و(ض).
(٩) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى)؛ وفي (ل): «وبسط ذلك»؛ وفي (ن): «وأبسط ذلك في».
(١٠) في «تفسيره» (١/ ٣٥٢). (١١) في (ل): «مسألة».
(١٢) في (ل): «وأجاد». (١٣) في (ن) و(هـ): (تأتمرون).
(١٤) في (ض) و(ن) و(هـ): «تبصروا».
(١٥) في «تفسيره» (١٠/ ٤٤) ومن طريقه ابن جرير (٨٤٣)؛ وابن أبي حاتم (٤٧٨) وسنده صحيح.
(١٦) أخرجه ابن جرير (٨٤٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٧٩) وسنده جيد.
(١٧) أخرجه ابن جرير (٨٤٤) وسنده صحيح.

وقال محمد بن[١] إسحاق، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تتركون أنفسكم.

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم؛ أي: وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، (وتجحدون)[٢] ما تعلمون من كتابي.

وقال الضحاك[٣]، عن ابن عباس في هذه الآية: يقول: أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ؛ وغير ذلك مما أمرتم به، من إقام الصلاة؛ وتنسون أنفسكم.

وقال أبو جعفر[٤] بن جرير (رحمه الله)[٥]: حدثني علي بن الحسن، حدثنا (مسلم)[٦] الجرمي، حدثنا مخلد بن الحسين، عن أيوب السختياني، عن أبي قلابة - في قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ قال (أبو الدرداء)[٧] (رضي الله عنه)[٨]: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً.

وقال عبد الرحمن[٩] بن زيد بن أسلم في هذه الآية: هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل يسألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة (ولا شيء)[١٠] أمروه بالحق، (فقال الله تعالى)[١١]: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه. وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له؛ (بل على تركهم[١٢] له)؛ فإن الأمر بالمعروف (معروف)[١٣]؛ وهو واجب على العالم، ولكن (الواجب[١٤] و) الأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم؛ كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٨٤٠) بطوله؛ وابن أبي حاتم (٤٧٧) حتى قوله: «العهد من التوراة». [وسنده حسن].

(٢) في (ض): «وتحجون»!

(٣) أخرجه ابن جرير (٨٤١) وسنده ضعيف.

(٤) في «تفسيره» (٨٤٦) ورجاله ثقات لكن رجح الشيخ أبو الأشبال رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ٩) أن أبا قلابة لم يسمع من أبي الدرداء قال: «فإن أبا الدرداء مات سنة (٣٢) وأبو قلابة متأخر الوفاة مات سنة (١٠٤) وقيل: (١٠٧)».اهـ. وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢١٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٤) لعبد الرزاق وابن أبي شيبة. وروى ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٥) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١٢) قال: أخبرنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان قال: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر ثم يعود إلى نفسه فتكون هي أحقر حاقر». وسنده صحيح.

(٥) من (ل).

(٦) في (ن): «سالم»! وهو خطأ.

(٧) في (ك): «أبو الخالد رداء»!!

(٨) من (ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (٨٤٥) قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فذكره. وسنده صحيح.

(١٠) ساقط من (ن).

(١١) في (ك): «فقال تعالى».

(١٢) ساقط من (ج).

(١٣) ساقط من (ز).

(١٤) من (ج) و(ك) و(ل) و(ن).

أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف.

وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف. وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها.

والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه؛ (١)[قال مالك، عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر](١).

(٢)[قال مالك: وصدق؛ من ذا الذي ليس فيه شيء؟

(قلت)(٣)](٢): لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة، وفعله المعصية، لعلمه بها ومخالفته على بصيرة؛ فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم؛ ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك؛ كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في «معجمه(٤) الكبير»: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، والحسن بن علي (المعمري)(٥)؛ قالا: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا علي بن سليمان الكلبي، حدثنا الأعمش، عن أبي تميمة الهُجيمي، عن جُندب (بن)(٦) عبد الله (رضي الله عنه)(٧)، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه».

هذا حديث غريب من هذا الوجه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده»(٨): حدثنا وكيع، حدثنا حماد بن سلمة،

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) ساقط من (ز) و(ض).
(٣) ساقط من (ك).
(٤) (ج٢/رقم ١٦٨١) ومن طريقه الشجري في «الأمالي» (١/ ٦٧) مطولاً وفيه قصة.
وأخرج الخطيب في «الاقتضاء» (٧٠)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (٢١٤٤) منه محل الشاهد. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٣٢): «فيه علي بن سليمان، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات»! كذا قال! وعلي بن سليمان ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ١/ ١٨٨، ١٨٩) ونقل عن أبيه أنه قال: «ما أرى بحديثه بأساً، صالح الحديث ليس بالمشهور». ونقل الأصبهاني في «الترغيب» (٢١٤٤)، عن هشام بن عمار قال: «ثنا علي بن سليمان وهو من أهل دمشق ثقة» ونقله ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١٢/ق١٠٩). ثم رأيت الهيثمي ذكر الحديث في موضع آخر من «المجمع» (١/ ١٨٤، ١٨٥) وقال: «رجاله موثقون»، وحسنه شيخنا الألباني في تعليقه على «الاقتضاء»، وجود إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٥).
(٥) في (ك): «العمرى»!
(٦) في (ل): «عن»! وهو خطأ ظاهر.
(٧) ساقط من (ل).
(٨) (١/ ١٢٠، ١٨٠) قال: حدثنا وكيع بسنده سواء.
وأخرجه وكيع في «الزهد» (٢٩٧) ومن طريقه أحمد في «الزهد» (ص٤٥)؛ وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٠٨) وتابعه عبد الله بن المبارك في «مسنده» (٢٧، ١٣٢)؛ وفي «الزهد» (٨١٩) ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٠٩) قال: أخبرنا حماد بن سلمة بسنده سواء.
وتابعهما عفان بن مسلم وشيبان بن عبد الرحمن كلاهما عن حماد بن سلمة به. أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٦/ ١٩٩)؛ وفي «الموضح» (٢/ ١٧٠).
=

عن علي بن زيد ـ هو ابن جدعان ـ عن أنس بن مالك ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على قوم (تقرض شفاههم)[(١)] بمقاريض من نار».

قال: «قلت: من هؤلاء؟» قالوا: «خطباء: (أمتك)[(٢)] من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون».

ورواه عبد[(٣)] بن حميد في «مسنده» و«تفسيره»، عن الحسن بن موسى، عن حماد بن سلمة، به.

ورواه ابن مردويه في «تفسيره» من حديث يونس بن محمد[(٤)] المؤدب، والحجاج بن منهال؛ كلاهما عن حماد بن سلمة به.

وكذا رواه يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، (به)[(٥)]؛ ثم قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببلخ، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا عمر بن قيس، عن علي بن زيد، عن ثمامة؛ عن أنس؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم».

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»[(٦)]، وابن أبي حاتم، وابن مردويه أيضاً، من حديث هشام الدستوائي، عن المغيرة ـ يعني: ابن حبيب ختن مالك بن دينار ـ عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس بن مالك؛ قال: لما عرج برسول الله ﷺ مر بقوم تقرض شفاههم؛ فقال: «يا جبريل؛

= وهذا سند فيه ضعف، وحماد بن سلمة كان من أثبت الناس في علي بن زيد، وقد اختلف في إسناده كما يأتي. والحديث صحيح على كل حال فله طرق. وقد ذكرتها في «التسلية».

(١) كذا في (ع) و(ل) و(ن) و(هـ) وهو الموافق لما في «المسند» و(زهد وكيع)، ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ى): «شفاههم تقرض»، وأشار ناسخ (ع) إلى ذلك.

(٢) من (ن) وهو الموافق للرواية الثانية في «المسند» (٣/ ١٨٠) عن وكيع. وخلت منها الرواية الأولى في «المسند» (٣/ ١٢٠) عن وكيع، وهي كذلك في «زهد وكيع».

(٣) في «المنتخب من المسند» (١٢٢٢)؛ وأخرجه أحمد (٣/ ٢٣٩، ٢٤٠) قال: حدثنا حسن بن موسى بسنده سواء.

(٤) وحديث يونس: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣١) قال: حدثنا يونس بن محمد، ثنا حماد بن سلمة به وقد توبع حماد بن سلمة، تابعه المبارك بن فضالة، عن علي بن زيد به مختصراً؛ أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٠٦٠). والمبارك فيه لين، ثم هو يدلس.

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) رقم (٥٣) من طريق يزيد بن زريع، حدثنا هشام الدستوائي، حدثنا المغيرة ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار، عن أنس فذكره مرفوعاً ثم قال: «روى هذا الخبر أبو عتاب الدلال، عن هشام، عن المغيرة، عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس، ووهم فيه، لأن يزيد بن زريع أتقن من مائتين من مثل أبي عتاب وذويه». ونقل كلام ابن حبان هذا الضياء في «المختارة» (٧/ ٢٠٨) وبهذا يظهر وهم المصنِّف ﷺ لأنه عزا رواية «ثمامة عن أنس» إلى «صحيح ابن حبان»؛ وأخرجه أبو يعلى (ج/٧/رقم ٤١٦٠)؛ والطبراني في «الأوسط» (ج/١/ ق١٦٠/ ٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٨٦ و٦/ ٢٤٨، ٢٤٩)؛ والضياء في «المختارة» (٢٦٤٦، ٢٦٤٧) من طريق يزيد بن زريع عن هشام الدستوائي بسنده سواء. قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن المغيرة، عن مالك، إلا هشام» وقال أبو نعيم: «تفرد به يزيد بن زريع، عن هشام».

من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون».

حديث آخر: قال الإمام أحمد[(١)]: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن أبي وائل؛ قال: قيل لأسامة وأنا رديفه: ألا تكلم عثمان؟ فقال: إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أُسمعكم. إني لأكلمه فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتتحه، والله لا أقول لرجل: إنك خير الناس، وإن كان عليَّ أميراً، بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه، فيدور بها في النار، كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار؛ فيقولون: يا فلان؛ ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ (فقال)[(٢)]: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش، به، نحوه.

[(٣)][(وقال[(٤)] أحمد): حدثنا (سيار)[(٥)] بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس[(٦)]؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعافي الأميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء»][(٣)].

[(٧)][وقد ورد في بعض الآثار[(٨)] أنه «يغفر للجاهل سبعين مرةً][(٧)] [(٩)][حتى يغفر للعالم مرةً واحدةً، ليس من يعلم كمن لا يعلم»][(٩)].

---

(١) في «مسنده» (٥/ ٢٠٥)؛ وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٩٤، ٩٥) من طريق محمد بن عبد الوهاب، وفي «الشعب» (ج١٣/رقم ٧١٦١) من طريق محمد بن يحيى قالا: حدثنا يعلى بن عبيد به؛ وأخرجه أحمد (٥/ ٢٠٧، ٢٠٩)؛ والبخاري (٦/ ٣٣١ و١٣/ ٤٨)؛ ومسلم (٨٩٨٩/ ٥١).

(٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) وهو الموافق لما في «المسند»؛ وفي (هـ) و(ى): «قال»؛ وفي (ز) و(ض): «فيقول».

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) ساقط من (ع) و(هـ) و(ى).

(٥) في (ل): «يسار»؛ وفي (ى): «بشار» وكلاهما خطأ.

(٦) لم يروه أحمد في «المسند»؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٣١ و٩/ ٢٢٢)؛ والخطيب في «الاقتضاء» (٨٠)؛ والضياء في «المختارة» (١٦٠٩)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ١٣٣)؛ وابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (١١) كلهم من طريق الإمام أحمد قال: حدثني سيار بن حاتم بسنده سواء؛ وأخرجه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٤٩٢) من طريق أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي بحلب قال: قلت لأحمد بن حنبل: أكتبت عن سيار، عن جعفر، عن ثابت، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يعفى عن الأميين قبل أن يعفى عن العلماء»؟ قال: «نعم» وقال أبو نعيم في الموضع الأول: «هذا حديث غريب تفرد به سيار، عن جعفر، ولم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل» وقال في الموضع الثاني: «غريب من حديث ثابت، تفرد به سيار، عن جعفر. قال عبد الله؛ يعني: ابن الإمام أحمد: قال أبي: هذا حديث منكر، وما حدثني به إلا مرةً».اهـ.

وقال ابن عساكر: «غريب، تفرد ابن سيار العنزي». وذكره الذهبي في «الميزان» (١/ ٤١١) في ترجمة «جعفر بن سليمان» وقال: «قيل: أخطأ من حدث به عن جعفر»، ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: «الخطأ من جعفر».

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٨٦، ٨/ ١٠٠) من طريقين عن ابن عيينة، قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» وقد ورد بنحوه مرفوعاً عن أبي هريرة وهو منكر لا يصح.

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

[1][(وقد)[2] قال (الله)[3] تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

[4][وروى ابن[5] عساكر في «ترجمة الوليد بن عقبة»، عن]4 النبي ﷺ؛ قال: «إن أناساً من أهل الجنة يطّلعون (إلى)[6] أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم؟ فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل».

ورواه (من حديث[7]: الطبراني)، عن أحمد بن يحيى (بن حيان[8] الرقي)، عن زهير بن عباد الرواسي، عن أبي بكر (الداهري)[9] عبد الله بن حكيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن الوليد بن عقبة؛ فذكره][6].

وقال الضحاك[10]، عن ابن عباس ـ أنه جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس؛ إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: (أوبلغت)[11] ذلك؟ قال: أرجو؛ قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل. قال: وما هن؟ قال: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ أحكمت هذه؟ قال: لا. قال: فالحرف الثاني؟ قال: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف] أحكمت هذه؟ قال: لا. قال: فالحرف الثالث؟ قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ [هود: ٨٨] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا. قال: فابدأ بنفسك. رواه ابن مردويه في «تفسيره».

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) من (هـ).
(٣) من (ج) و(ع) و(ك) و(ى).
(٤) ساقط من (ك).
(٥) في «تاريخ دمشق» (ج١٧/ ق٨٦٧).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٢/رقم ٤٠٥)؛ وفي «الأوسط» (٩٩)، ومن طريقه الخطيب في «الاقتضاء» (٧٣) قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان، قال: نا زهير بن عباد، قال: نا أبو بكر الداهري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعب، عن الوليد بن عقبة مرفوعاً.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد، إلا أبو بكر الداهري، تفرد به: زهير».
(*) **قلت**: زهير ثقة، ولكن أبا بكر الداهري متروك ساقط، كذبه الجوزجاني، وقال ابن معين والنسائي. «ليس بثقة»، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٧٦) وقال: «ضعيف جداً»؛ أما السيوطي فإنه اقتصر في «الدر المنثور» (١/ ٥٦) على تضعيفه حسب.
(٦) في (ن) و(هـ): «على».
(٧) وقع في «ن»: «ابن جرير الطبري»!!
(٨) في (ن): «الخباز الرملى»!! وهو أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان أبو العباس الرقى، توفي في ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائتين، ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» حوادث سنة (٢٩١ ـ ٣٠٠).
(٩) في (ن) و(ى): «الزاهري»!!
(١٠) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج١٣/رقم ٧١٦٢) من طريق بشر بن الحسين، حدثنا الزبير بن عدي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس.
وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٦٥)؛ لابن مردويه وابن عساكر. وسنده ساقط، وبشر بن الحسين تالف، قال الدارقطني: «بشر بن الحسين أصبهاني متروك، عن الزبير بن عدي بواطيل، وله عنه نسخة موضوعة، قال: والزبير ثقة». والضحاك لم يسمع من ابن عباس.
(١١) في (ن): «أبلغت».

وقال الطبراني(١): حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا زيد بن (الحريش)(٢)، حدثنا عبد الله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن (المسيب)(٣) بن رافع، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف، أو يعمل ما قال أو دعا إليه».

(٤)[إسناده فيه ضعف.

وقال إبراهيم النخعي: إني لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الصف] وقوله ـ إخباراً عن شعيب ـ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود]](٤).

(٥)[وما أحسن ما قال مسلم بن عمرو:

ما أقبح التزهيد من واعظ ... يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيته المسجد
إن رفض الناس فما باله ... يستمنح الناس ويسترفد
الرزق مقسوم على من ترى ... يسعى له الأبيض والأسود

وقال بعضهم: جلس أبو عثمان الحيرى الزاهد يوماً على مجلس للتذكير فأطال السكوت، ثم أنشأ يقول](٥):

(٦)[وغير تقيٍّ يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو مريض

قال: فضج الناس بالبكاء.

وقال أبو العتاهية الشاعر:

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى ... وريح الخطايا من ثيابك يسطع

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم](٦)

---

(١) كما في «المجمع» (٧/٢٧٦)؛ ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢). قال الهيثمي: «فيه عبد الله بن خراش، وثقه ابن حبان وقال: «يخطئ» وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات». وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (١/٦٥). والصواب أن إسناده ضعيف جداً، وعبد الله بن خراش قال فيه البخاري: «منكر الحديث» وكذلك قال أبو حاتم الرازي وزاد: «ذاهب الحديث ضعيف الحديث»، وقال أبو زرعة: «ليس بشيء ضعيف الحديث» وضعفه الساجي جداً وقال: «كان يضع الحديث»، وكذبه ابن عمار الموصلي. فقول المصنف: «إسناده فيه ضعف» فيه تسامح. والله أعلم.

(٢) في (ن): «الحارث» وهو تصحيف.

(٣) في (ج): «سعيد بن المسيب بن رافع» وهو خطأ واضح.

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) من (ج) و(ك) و(ل) و(ى).

(٦) من (ج) و(ك) و(ل) و(ى).

(١)[وذكر الحافظ ابن عساكر(٢) في ترجمة «عبد الواحد بن زيد البصري» العابد الواعظ قال: «دعوت الله أن يريني رفيقي في الجنة؛ فقيل لي في المنام: هي امرأة بالكوفة يقال لها: «ميمونة السوداء»، فقصدت الكوفة لأراها، فقيل لي: هي ترعى غنماً بواد هناك، فجئت إليها فإذا هي قائمة تصلي، والغنم ترعى حولها، وبينهن الذئاب لا ينفرن منهن ولا تسطو الذئاب عليهن، فلما سلمت قالت: يا ابن زيد! ليس الموعد هاهنا! إنما الموعد ثم، فسألتها عن شأن الذئاب والغنم، فقالت: إني أصلحت ما بيني وبين سيدي، فأصلح ما بين الذئاب والغنم!، فقلت لها: عظيني، فقالت: يا عجباً من واعظ يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد! إنك لو وضعت موازين القسط على](١) (٣)[جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها، يا ابن زيد! إنه بلغني: ما من عبد أعطى من الدنيا شيئاً، فابتغى إليه ثانياً، إلا سلبه الله حب الخلوة، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة، ثم أنشأت تقول:

يا واعظاً قام لاحتساب ... يزجر قوماً عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقًّا ... هذا من المنكر العجيب
تنهى عن الغي والتمادي ... وأنت في النهي كالمريب
لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي ... موضع صدق من القلوب](٣)

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى آمراً عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة؛ كما قال مقاتل بن(٤) حيان في تفسير هذه الآية: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة؛ فأما الصبر فقيل: إنه الصيام، نص عليه مجاهد(٥).

(٦)[قال القرطبي(٧) وغيره: ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر، كما نطق به الحديث(٨)](٦).

---

(١) من (ج) و(ل) و(ى).
(٢) في «تاريخ دمشق» (ج١٠/ق٥٦٠، ٥٦١) بسياق أخصر، ولوائح الكذب عليها واضحة!
(٣) من (ج) و(ل) و(ى).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٧/رقم ٩٦٨٥). [وسنده جيد].
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٨٤)؛ وابن شاهين في «الترغيب» (٢٧٨) من طريق سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وأشار إليه البيهقي في «الشعب» (٧/ ١١٣ ـ طبع بيروت). [وسنده صحيح].
(٦) ساقط من (ز) و(ض).
(٧) في «تفسيره» (١/ ٣٧٣).
(٨) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (ج٣/رقم ١٨٨٧)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٧/رقم ٢٣٣٦)؛ وابن أبي الدنيا (٤١)؛ وابن شاهين (١٦) كلاهما في «فضائل رمضان»؛ والواحدي في «الوسيط» (ج١/ق٦٤٠/ ١، ٢)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (١٧٢٦)؛ وابن عساكر في «جزء فيه أحاديث شهر رمضان وفضل صيامه» (١٦) من طريق علي بن حجر، ثنا يوسف بن زياد، ثنا همام بن يحيى، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان الفارسي فذكر حديثاً مرفوعاً في فضل رمضان وفيه: «وهو شهر =

وقال سفيان الثوري[١]، عن أبي إسحاق، عن جري بن كليب، عن رجل من بني سليم، عن النبي ﷺ؛ قال: «الصوم نصف الصبر».

وقيل: المراد بالصبر الكف عن المعاصي؛ ولهذا قرنه بأداء العبادات؛ وأعلاها فعل الصلاة.

قال ابن[٢] أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا (عبيد الله)[٣] بن حمزة بن إسماعيل، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن عمر بن الخطاب ﷺ؛ قال: الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن؛ وأحسن منه الصبر عن محارم الله.

(قال)[٤]: وروي عن الحسن[٥] البصري نحو قول عمر.

وقال ابن المبارك[٦]، عن ابن لهيعة، عن (عطاء)[٧] بن دينار، عن سعيد بن جبير؛ قال: الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب (منه)[٨]، واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر.

= الصبر، والصبر ثوابه الجنة...» قال ابن خزيمة: «إن صح الخبر».

(*) **قلت**: وهو لم يصح، بل هو حديث منكر كما قال أبو حاتم في «العلل» (٧٣٣) ومداره على علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٣) عن وكيع، والبيهقي في «شعب الإيمان» (ج٢/رقم ٦٢٢) عن محمد بن كثير كلاهما عن سفيان الثوري بسنده سواء.
وأخرجه الترمذي (٣٥١٩)؛ والدارمي (١/ ١٣٢)؛ وأحمد (٤/ ٢٦٠ و٥/ ٣٧٠)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (ج١١/رقم ٢٠٥٨٢)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (ق٢٩٣/ ٢)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٣٢، ٤٣٣) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي بسنده سواء.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن، وقد رواه شعبة وسفيان، عن أبي إسحاق». وهذا سند حسن. وجرى بن كليب وثقه ابن حبان والعجلي، وصحح له الترمذي حديثاً.

(٢) في «تفسيره» (٤٨٨) وسنده ضعيف للانقطاع بين أبي سنان واسمه سعيد بن سنان البرجمي وبين عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) في (ن): «عبد الله»، وهو خطأ، [والصواب]: عبيد الله بن حمزة، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢/ ٣١٢) وقال: «سئل أبي عنه فقال: صالح».

(٤) ساقط من (ز) و(ض) والقائل هو ابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٧/رقم ٩٧٠٩) من طريق عبد الله بن الجراح، نا عمران بن خالد الخزاعي عن عمران القصير، عن الحسن قال: «الإيمان الصبر والسماحة، الصبر عن محارم الله وأداء فرائض الله».
وسنده ضعيف. وعمران بن خالد ضعيف الحديث أو واه وهو يروى عن الحسن وابن سيرين كما في «الجرح والتعديل» (٣/ ١/ ٢٩٧) وعمران بن مسلم القصير في حفظه ضعف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٩) قال: حدثنا أبي، ثنا هشام بن عبيد الله، ثنا ابن المبارك، وهذا في «الزهد» (١١١ ـ زوائد نعيم) قال: أخبرني ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبير قال: فذكره. وعطاء بن دينار قال أبو حاتم: «صالح الحديث، إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير». وكذلك قال أحمد بن صالح: «تفسيره عن سعيد بن جبير صحيفة». [وسنده حسن].

(٧) وقع في سائر «الأصول»: «مالك» وهو خطأ، ولعله سبق قلم من المصنف رحمه الله.

(٨) كذا في (ن) و(هـ) و(ى)، ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل): «فيه».

وقال أبو العالية[١]، في قوله (تعالى)[٢]: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: على مرضاة الله، وعلموا أنها من طاعة الله.

وأما قوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر؛ كما قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٥].

وقال الإمام أحمد[٣]: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي؛ قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة؛ قال حذيفة - يعني: ابن اليمان (رضي الله عنه)[٤] -: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلَّى.

ورواه أبو داود، [٥][عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمار، كما سيأتي][٥].

وقد رواه ابن جرير[٦] من حديث ابن جريج، عن عكرمة بن عمار، عن محمد (بن عبيد)[٧] بن أبي قدامة، عن عبد العزيز بن اليمان، عن حذيفة؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

[٨][ورواه بعضهم عن عبد العزيز بن أخي حذيفة، ويقال: أخي حذيفة، مرسلاً، عن النبي ﷺ.

وقال محمد بن نصر[٩] المروزي في «كتاب الصلاة»: حدثنا سهل بن عثمان (أبو مسعود)[١٠] العسكري، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة؛ قال: قال عكرمة بن عمار: قال محمد بن عبد الله الدؤلي. قال عبد العزيز: قال حذيفة: رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى.

حدثنا[١١]][٨] ....

(١) أخرجه ابن جرير (٨٥٣)؛ وابن أبي حاتم (٤٨٥). [وسنده جيد].

(٢) من (ن).

(٣) في «مسنده» (٥/ ٣٨٨).
وأخرجه ابن جرير (٨٥٠) قال: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا خلف بن الوليد بسنده سواء.
ووقع في إسناد الحديث اضطراب يترشح منه ضعف الحديث. والله أعلم.

(٤) من (ن).

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) في «تفسيره» (٨٤٩) قال: حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: حدثنا الحسين بن رتاق الهمداني، عن ابن جريج بسنده سواء. [وصححه أحمد شاكر وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/ ٢١٥].
هكذا وقع في «مطبوعة الطبري»: «الحسين بن رتاق». وهو تصحيف صوابه: «الحسن بن زياد الهمداني» كما في «ثقات ابن حبان» (٨/ ١٦٨)؛ و«تحفة الأشراف» (٣/ ٥٠) للمزي.

(٧) في (ن): «ابن أبي عبيد».

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٩) في «كتاب تعظيم قدر الصلاة» (٢١٢).

(١٠) ساقط من (ن)، ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(هـ): «ابن مسعود» وهو خطأ.

(١١) أخرجه ابن نصر (٢١٣) أيضاً.
وأخرجه النسائي في «الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (٧/ ٣٥٨)؛ وأحمد (١٠٢٣، ١١٦١)؛ والطيالسي =

[1][(عبيد الله)[2] بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرب، سمع عليًّا ﷺ يقول: لقد رأيتنا ليلة بدر، وما فينا إلا نائم، غير رسول الله ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح][1].

قال ابن جرير[3]: وروي عنه عليه (الصلاة و)[4]السلام أنه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه، فقال له: [«اشكنب[5] درد»]، ومعناه: أيوجعك بطنك؟ قال: نعم. قال: «قم فصل، فإن الصلاة شفاء».

= (١١٦)؛ وأبو يعلى (٢٨٠، ٣٠٥)؛ وابن خزيمة (ج٢/رقم ٨٩٩) وعنه ابن حبان (٢٢٥٧)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٩) من طرق عن شعبة، عن أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرب، سمع علياً فذكره. ولفظ النسائي: «لقد رأيتنا ليلة بدر، وما فينا إنسان إلا نائم إلا رسول الله ﷺ، فإنه كان يصلى إلى سحره، ويدعو حتى أصبح». وهذا سند صحيح.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٢) في (ك) و(ن): «عبد الله» وهو خطأ.

(٣) في «تفسيره» (٨٥١) وتصديره الحديث بصيغة التمريض مشعر بضعفه عنده، وهو حديث منكر؛ أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٨)؛ وابن القطان في «زوائده عليه»؛ وأحمد (٢/ ٣٩٠، ٤٠٣)؛ والبزار في «مسنده» (ج٢/ ق٢٢٩/ ١)؛ وابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٩٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩٨٥)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (١١٤٣)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٤٨)؛ وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص٢٥٥)؛ وأبو نعيم في «الطب» (ق٦٤/ ٢)؛ وابن شاهين في «الأفراد» (ج٥/ ق١١٥/ ١)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ١٧٠، ١٧١) من طريق ذواد بن علبة، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن أبي هريرة فذكره.
ومعنى «إشكنب درد»: أتشتكي بطنك؟ ووقع عند البزار «دردش كم» وعند ابن ماجه: «اشكمت درد» قال ابن شاهين: هذا حديث غريب الإسناد، حسن المتن، وهذا الحديث منكر غير صحيح، وذواد، بالذال ثم واو مشددة وآخره دال مهملة، هو ابن علبة، بضم العين المهملة وسكون اللام بعدها باء موحدة قال ابن حبان: «منكر الحديث جداً، يروى عن الثقات ما لا أصل له، وعن الضعفاء ما لا يعرف». وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، وحديث أبي هريرة يرويه ذواد بن علبة أبو المنذر الحارثي. قال يحيى: لا يكتب حديثه، وقال مرة: ليس شيء».
قال ابن عدي: «هذا معروف بـ«ذواد بن علبة» عن ليث، أسنده. وغيره أوقفه على أبي هريرة» فقال ابن الجوزي: «ولعله أخذه من ذوائد». والصلت بن الحجاج قال فيه ابن عدي: «في حديثه بعض النكرة.. ثم قال: وللصلت غير ما ذكرت من الحديث، وليس بالكثير، وفي بعض أحاديثه ما ينكر عليه، بل عامته كذلك، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً فأذكره». اهـ..
ثم قال ابن الجوزي: «وقد روى هذا الحديث عن أبي هريرة موقوفاً وهو أصح».
(*) **قلت**: وهذا الموقوف: أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (٢/ ٢٥٨) ومن طريقه العقيلي (٢/ ٤٨)؛ وابن عدي (٣/ ٩٨٥)؛ وابن الجوزي (١/ ١٧٠) قال: ثنا ابن الأصبهاني، ثنا المحاربي ـ هو عبد الرحمٰن بن محمد ـ عن ليث، عن مجاهد قال: قال لي أبو هريرة: يا فارسي! اشكنب درد؟ قال ابن الأصبهاني: «رفعه ذواد بن علبة، وليس له أصل، أبو هريرة لم يكن فارسياً، إنما مجاهد فارسي».
وقال العقيلي: «الموقوف أولى». وقال ابن عدي: «وأظن أن بعض الضعفاء أيضاً قد رواه عن ليث فرفعه وأظنه معلى بن هلال». وقال ابن الجوزي: «فقد بان بهذا أن المتكلم بالفارسية أبو هريرة لا رسول الله ﷺ، وإنما الذي رفعه وهم». وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٣): «والأصح ما رواه المحاربي عن ليث عن مجاهد مرسلاً». اهـ.
وقد رجح وقفه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص٢٠٦) وتلميذه المحقق ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٢١٠).

(٤) من (ز) و(ض) و(ن).

(٥) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ز) و(ض) و(هـ): «اشكيت درد»؛ وفي (ن): «اشكم درد».

قال ابن جرير[١]: وقد حدثنا محمد بن (العلاء)[٢]، ويعقوب بن إبراهيم؛ قالا: حدثنا ابن علية، حدثنا (عيينة)[٣] بن عبد الرحمٰن، عن أبيه - أن ابن عباس (نُعي)[٤] إليه أخوه قُثم، وهو في سفر؛ فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته؛ وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وقال سُنيد[٥]، عن حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ قال: إنهما معونتان على رحمة الله.

والضمير في قوله: [٦]["و﴿وَإِنَّهَا﴾"][٦] عائد إلى الصلاة؛ نص عليه مجاهد[٧]. واختاره ابن جرير[٨]. ويحتمل أن يكون عائداً على ما (دل)[٩] عليه الكلام، وهو الوصية بذلك؛ كقوله تعالى في قصة قارون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت] أي: وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا، وما يلقاها؛ أي: يؤتاها ويلهمها إلا ذو حظٍّ عظيم.

وعلى كل تقدير فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين.

قال ابن أبي[١٠] طلحة، عن ابن عباس؛ يعني: المصدقين بما أنزل الله.

وقال مجاهد[١١]: المؤمنين حقاً. وقال أبو العالية[١٢]: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ الخائفين.

وقال مقاتل[١٣] بن حيان: إلا على الخاشعين؛ يعني به: المتواضعين.

وقال الضحاك[١٤]: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين

---

(١) في «تفسيره» (٨٥٢) وإسناده صحيح.
(٢) وقع في (ن): «الفضل»! وهو خطأ ظاهر.
(٣) وقع في (ض): «ابن عيينة»!!
(٤) في (ك): «نقى»، بقاف!!
(٥) أخرجه ابن جرير (٨٥٤) وسنده صحيح.
(٦) في (ن) و(هـ): «وإنها لكبيرة».
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم رقم (٤٩٠) وسنده قوي.
(٨) في «تفسيره» (٢/ ١٥) وقال: «إنها، وإن الصلاة، فالهاء والألف في «وإنها» عائدتان إلى الصلاة. وقد قال بعضهم: إن قوله: «وإنها» بمعنى: إن إجابة محمد ﷺ! ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر، فتجعل «الهاء والألف» كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته». اهـ.
(٩) في (ز) و(ن): «يدل».
(١٠) أخرجه ابن جرير (٨٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٣) [وسنده ثابت].
(١١) أخرجه ابن جرير (٨٥٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٤) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح]. وأخرجه ابن جرير (٨٥٨) من طريق الثوري، عن جابر، عن مجاهد مثله. وجابر هو ابن يزيد الجعفي وهو متروك.
(١٢) أخرجه ابن جرير (٨٥٧)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٥) بسند حسن.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (٩٦٨٥) من طريق بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان. ولفظ البيهقي مطول. وسنده حسن، وبكير بن معروف مختلف فيه، ولكنه مشهور برواية التفسير عن مقاتل، فهذا يقوى أمره أن يروى نسخةً يتعاهدها. والله أعلم.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩١) معلقاً ووصله ابن جرير (٨٥٦) من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا جويبر، عن =

(سطواته)[١]، المصدقين بوعده ووعيده.

وهذا يشبه ما جاء في الحديث[٢]: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه».

وقال ابن جرير[٣]: معنى الآية: واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقربة من (رضا)[٤] الله (تعالى)[٥]، (العظيمة)[٦] إقامتها إلا على (المتواضعين)[٧] (المستكينين)[٨] لطاعته المتذللين من مخافته.

هكذا قال! والظاهر أن الآية وإن كانت خطاباً في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص؛ وإنما هي عامة لهم ولغيرهم. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله؛ أي: إن الصلاة أو الوصاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم؛ أي: (يعلمون أنهم)[٩] (محشورون)[١٠] إليه يوم القيامة، معروضون عليه.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها ما يشاء بعدله؛ فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات، وترك المنكرات.

فأما قوله: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ﴾ قال ابن جرير[١١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العرب قد تسمي اليقين ظنًّا، والشك ظنًّا، نظير تسميتهم الظلمة سُدفةً، (والضياء سدفةً)[١٢]، والمغيث صارخاً، والمستغيث

= الضحاك. وسنده ضعيف جداً، وجويبر تالف. ووقع في «تفسير ابن جرير»: «ابن يزيد» والصواب «يزيد». هذا، وقد خلط ابن كثير بين عبارة الضحاك وكلام ابن جرير فوصل القولين، والصواب أن العبارة التي نسبت إلى الضحاك: «إنها لثقيلة» ثم قال ابن جرير: «ويعني بقوله: «إلا على الخاشعين، إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده».

(١) في (ن): «سطوته». وفي (ض): «لسطواته».

(٢) وهو قطعة من حديث: أخرجه النسائي في «التفسير» (٤١٤)؛ والترمذي (٢٦١٦)؛ وابن ماجه (٣٩٧٣)؛ وأحمد (٥/ ٢٣١)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/(١٩٤)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (١١٢)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٩٦) وغيرهم من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه، ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: «لقد سألتني عن عظيم. . .» الحديث. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح» كذا قال! وقد نفى المنذري في «الترغيب» (٣/ ٥٢٩)؛ وابن رجب في «جامع العلوم» (٢/ ١٢٧، ١٢٨) سماع أبي وائل من معاذ. ولكن للحديث طرق أخرى يرتقى بها الحديث إلى درجة الحسن. والحمد لله على توفيقه.

(٣) في «تفسيره» (٢/ ١٧).

(٤) في «ابن جرير»: «مراضي».

(٥) من (ع) و(هـ) و(ى).

(٦) وقع في (ج) و(ك): «العظيم».

(٧) في (ن): «الخاشعين؛ أي: المتواضعين».

(٨) في (ل): «المسلك»! وكتب فوقها بخط دقيق جداً كلمة ذهبت في التصوير، لعلها كانت تصحيحاً لهذه الكلمة.

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) في (ض): «يحشرون»

(١١) في «تفسيره» (٢/ ١٧ ـ شاكر).

(١٢) ساقط من (ج).

صارخاً، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده؛ كما قال (دريد)[(١)] بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي (المسرد)[(٢)]

يعني بذلك: تيقنوا بألفي مدجج يأتيكم.

وقال (عميرة)[(٣)] بن طارق:

فإن (تغتزوا)[(٤)] قومي وأقعد فيكم وأجعل مني الظن غيباً مرجماً

يعني: وأجعل مني اليقين غيباً مرجماً.

قال[(٥)]: والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصر، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية. ومنه قول الله (تعالى)[(٦)]: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

ثم قال ابن جرير[(٧)]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان، عن جابر، عن مجاهد (قال): «كل ظن في القرآن يقين؛ أي: ظننت، وظنوا».

وحدثني[(٨)] المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا أبو داود (الحفري)، عن سفيان، عن (ابن)[(٩)] أبي نجيح، عن مجاهد؛ قال: «كل ظن في القرآن فهو علم» وهذا سند صحيح.

وقال أبو جعفر[(١٠)] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ قال: الظن ها هنا يقين.

قال ابن أبي حاتم[(١١)]: وروي عن مجاهد، والسدي، والربيع بن أنس، وقتادة نحو قول أبي العالية.

وقال سنيد[(١٢)]، عن حجاج، عن ابن جريج: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ (علموا أنهم ملاقو ربهم)[(١٣)]؛ كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة] يقول: «علمت». وكذا قال عبد الرحمٰن بن زيد[(١٤)] بن أسلم.

---

(١) في (ج) و(ل): «زيد»!!

(٢) في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى): «المسود»!

(٣) في (ك): «عمرة»! وفي «ض» و(ع) و(ن) و(ى): «عمير»!

(٤) كذا في (ج) و(ز) وهو الموافق لما في «ابن جرير» وقد وقع اضطراب عجيب في هذه الكلمة ففي (ل): «نصروا» وفي (ع): «تعيروا»؛ وفي (ض) و(ن): «يعبروا»؛ وفي (هـ): «تفروا» وفي (ك): «يغتروا»!

(٥) يعني: ابن جرير.

(٦) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى).

(٧) في «تفسيره» (٨٦٢) وفي سنده جابر الجعفي وهو متروك.

(٨) القائل هو ابن جرير (٨٦٣) وشيخه المثنى هو ابن إبراهيم الآملي يروى عنه ابن جرير كثيراً في «التفسير» و«التاريخ» لكني لم أجد له ترجمة، [وصحح سنده الحافظ ابن كثير].

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٨٦١)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٧). [وسنده جيد].

(١١) في «تفسيره» (٤٩٨) وهذه الآثار التي أشار إليها أخرج منها ابن جرير أثر مجاهدٍ (٨٦٢، ٨٦٣)؛ والسدي (٨٦٤) وسند هذا الأخير حسن.

(١٢) أخرجه ابن جرير (٨٦٥) وسنده صحيح. [لكن في سُنيد مقال].

(١٣) من (ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن جرير»، وسقط من سائر «الأصول».

(١٤) أخرجه ابن جرير (٨٦٦) بسند صحيح عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم قال: «لأنهم لم يعاينوا فكان ظنُّهم يقيناً».

قلت: وفي «الصحيح»[(١)]: «أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أُسخّر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس (وتربع)[(٢)]؟ فيقول: بلى؛ (أي رب)[(٣)]؛ فيقول (الله)[(٤)] (تعالى)[(٥)]: (أفظننت)[(٦)] إنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول الله: اليوم أنساك كما نسيتني.

وسيأتي مبسوطاً عند قوله (تعالى)[(٣)]: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] (إن شاء الله تعالى)[(٧)] (والله تعالى أعلم)[(٨)].

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

يذكرهم تعالى (بسالف)[(٩)] نعمه على آبائهم وأسلافهم، وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم، وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة].

قال أبو جعفر[(١٠)] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: بما أُعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان؛ فإن لكل زمان عالماً.

وروي[(١١)] عن مجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك.

ويجب الحمل على هذا؛ لأن هذه الأمة أفضل منهم؛ لقوله تعالى - خطاباً لهذه الأمة -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) يعني: «صحيح مسلم»، وهو فيه (١٦/٢٩٦٨) عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٨)؛ وابن أبي داود في «البعث» (٣٤) من طريق مالك بن سعير، عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً نحوه.

(٢) في (ك): «ترتع» بتاء قبل العين المهملة، وهو تصحيف. ومعنى قوله: «تربع» قال ابن أبي داود في «البعث» (ص٧٤ بتحقيقي): «وأما قوله: «تربع»؛ تأخذ المرباع. والمرباع: كان أهل الجاهلية إذا أغاروا فغنموا غنيمة، أعطوا سيدهم ربع ما غنموا؛ يضيف به الضيف، ويقوم به عن نوائب الحي، فهذا المرباع». اهـ. ومعنى قوله: «ترأس» أي: تكون رئيساً.

(٣) من (ك).

(٤) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ى).

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) في (ن): «أظننت».

(٧) من (ك) و(ن).

(٨) كذا في (ل). وفي (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى): «الله أعلم».
ووقع في (ع): «يلغ مقابلة بقراءة المصنف مما رضا بأصله، فسح الله في مدته».

(٩) في (ز) و(ض) و(ل): «سالف»؛ وفي (هـ): «سوالف».

(١٠) أخرجه ابن جرير (٨٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٠١) من طريقين عن آدم بن أبي إياس ثنا أبو جعفر الرازي [وسنده جيد] وأثر قتادة عند عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٤، ٤٥) وعنه ابن جرير (٨٦٨). [وسند صحيح].

(١١) هذا قول ابن أبي حاتم (ص١٥٨ - البقرة). وأثر مجاهد عند ابن جرير (٨٧٠، ٨٧١). [وسنده صحيح].

وفي «المسانْد»[١] و«السنن» عن معاوية بن[٢] حيدة القشيري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمةً أنتم خيرها وأكرمها على الله».

والأحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله (تعالى)[٣]: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

[٤][وقيل: المراد (تفضيل)[٥] بنوع ما من الفضل على سائر الناس، ولا يلزم تفضيلهم مطلقاً؛ حكاه (فخر الدين)[٦] الرازي[٧]، وفيه نظر.

وقيل: إنهم فضلوا على سائر الأمم لاشتمال أمتهم على الأنبياء منهم، حكاه القرطبي في «تفسيره»[٨]. وفيه نظر؛ لأن العالمين عام يشمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء؛ فإبراهيم الخليل قبلهم، وهو أفضل من سائر أنبيائهم. ومحمد بعدهم، وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه][٤].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٩][بحث فخر الدين الرازي[١٠] ها هنا مع المعتزلة في إثبات][٩] [١١][الشفاعة، فأورد لهم شبهاً وأجاب عنها.

قلت: وقد بسطت الكلام على الأحاديث المتواترة في الشفاعة وأقسامها وتعدادها وأنواعها في كتابنا «البعث والنشور» ولله الحمد والمنة][١١].

لما ذكرهم (تعالى)[١٢] بنعمه أولاً عطف على ذلك التحذير من (حلول)[١٣] نقمه بهم يوم القيامة، فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا يغني أحد عن أحد؛ كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وغيرها. وقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣] فهذا أبلغ المقامات أن كلاً من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئاً.

وقوله (تعالى)[١٤]: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ يعني: (عن)[١٥] الكافرين؛ كما قال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ

---

(١) في (ض) و(ك) و(ن): «المسانيد». ووقع في (ك): «السنن والمسانيد».
(٢) حديث حسن. وقد مر تخريجه (١/ ٢٥٤، ٢٥٥).
(٣) من (ز) و(ن).
(٤) ساقط من (ز) و(ض).
(٥) في (ج) و(ع) و(ل): «تفضل».
(٦) ساقط من (ن) و(هـ).
(٧) وهو في «تفسير الرازي» (٢/ ٥٦).
(٨) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٣٧٦).
(٩) من (ل) وكتبها ناسخ (ج) و(ع) و(ى) في الحاشية.
(١٠) في «تفسيره» (٢/ ٥٩، ٧٠).
(١١) من (ل) وكتبها ناسخ (ج) و(ع) و(ى) في الحاشية.
(١٢) من (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ى).
(١٣) في (ن): «طول».
(١٤) من (ز) و(ن).
(١٥) في (ن): «من».

﴿شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر] وكما قال عن أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء].

وقوله (تعالى)[(١)]: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: لا يقبل منها فداء، كما قال (تعالى)[(١)]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٣٦﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ...﴾ الآية [الحديد: ١٥].

فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله، ويتابعوه على ما بعثه به، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاهٍ، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً؛ كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

[(٢)][قال سنيد[(٣)]: حدثني حجاج، حدثني ابن جريج؛ قال: قال مجاهد: قال ابن عباس: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: بدل، والبدل: الفدية.

وقال السدي[(٤)]: أما «عدل» فيعدلها من («العدل»[(٥)])؛ يقول: لو جاءت بملء الأرض ذهباً تفتدي به ما تقبل منها.

وكذا قال عبد الرحمٰن[(٦)] بن زيد بن أسلم][(٢)].

وقال أبو جعفر[(٧)]: الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] يعني فداء.

قال ابن[(٨)] أبي حاتم: وروي عن أبي مالك، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والربيع بن أنس، نحو ذلك.

وقال عبد[(٩)] الرزاق: أنبأنا الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن علي ﷺ في حديث طويل؛ قال: والصرف والعدل: التطوع والفريضة.

وكذا قال الوليد[(١٠)] بن مسلم، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن عمير بن هانئ. وهذا

---

(١) من (ز) و(ن).
(٢) ساقط من (ز) و(ض).
(٣) أخرجه ابن جرير (٨٨٤). [وسنده ضعيف].
(٤) أخرجه ابن جرير (٨٨٢) وسنده حسن.
(٥) في (ج) و(ل): «العذاب»!!
(٦) أخرجه ابن جرير (٨٨٥) وسنده صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٨٨١)؛ وابن أبي حاتم (٥٠٥) وسنده حسن.
(٨) في (تفسيره) (ص١٦٠ ـ البقرة). وأثر قتادة عند ابن جرير (٨٨٣) من طريق عبد الرزاق، وهذا في «تفسيره» (١/ ٤٥). [وسنده صحيح].
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٦) وهذه سند قوي، وعنعنة الأعمش عن شيوخه الذين أكثر عنهم مثل إبراهيم التيمي يمشيها الذهبي وغيره. وقال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٨٦): «وعند الجمهور الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة. ورواه ابن خزيمة بإسناد صحيح عن الثوري».اهـ.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٧) وسنده ضعيف لضعف عثمان بن أبي العاتكة.

القول غريب ها هنا، والقول الأول أظهر في تفسير هذه الآية.

وقد ورد حديث يقويه(١)، وهو ما قاله ابن جرير: حدثني نجيح بن إبراهيم، حدثنا علي بن حكيم، حدثنا حميد بن عبد الرحمٰن، (٢)[عن أبيه، عن عمرو بن قيس الملائي، عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء](٢)؛ قال قيل: يا رسول الله؛ ما العدل؟ قال: «العدل: الفدية».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله، كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذو جاه، ولا يقبل منهم فداء؛ هذا كله من جانب التلطف، ولا لهم ناصر من أنفسهم، ولا من غيرهم، كما قال: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ [الطارق] أي: إنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فديةً ولا شفاعةً، ولا ينقذ أحداً من عذابه منقذ، (ولا يخلص(٣) منه أحد)، (ولا يجيره)(٤) منه أحد؛ كما قال (تعالى)(٥): ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦﴾ [الفجر] وقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾ [الصافات] وقال: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٨ . . .﴾ [الأحقاف].

وقال الضحاك(٦)، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ ما لكم اليوم لا تمانعون منا، هيهات! ليس ذلك لكم اليوم.

قال ابن جرير(٧): وتأويل قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني: أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية؛ بطلت هنالك المحاباة، واضمحلت الرشا والشفاعات، وارتفع من القوم (التعاون والتناصر)(٨)، وصار الحكم إلى (العدل الجبار)(٩) الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنصراء؛ فيجزى بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾ [الصافات].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾.

(١٠)[آل الرجل من ينتسب إليه بنسب أو سبب؛ وقيل: هم أتباعه وأشياعه؛ وقيل: من هو على](١٠)

---

(١) كذا قال المصنف ﷺ! والحديث الذي أشار إليه أخرجه ابن جرير (٨٨٦) وسنده ضعيف جداً لجهالة شيخ عمرو بن قيس، ثم لإعضاله فإن بين عمرو بن قيس والنبي ﷺ اثنان على الأقل.
(٢) ساقط من (ج).
(٣) من (ن).
(٤) في (ن): «ولا يجير».
(٥) من (ز) و(ن).
(٦) أخرجه ابن جرير (٨٨٧) بسند ضعيف.
(٧) في «تفسيره» (٢/ ٣٥، ٣٦).
(٨) في (ن): «التناصر والتعاون».
(٩) في (ن): «الجبار العدل» وفي (ض): «عدل الجبار».
(١٠) ساقط من (ل)، وهو في حاشية (ج) و(ع).

(١)[دينه وملته، وقد يطلق على الرجل نفسه، ويضاف إلى المعظم، فيقال: آل فلان، ولا يضاف إلى البلدان على المشهور، وجوز بعضهم: «آل المدينة»، كما يقال: أهل المدينة، وحكى أبو عبيدة: «آل مكة آل الله»، وهكذا يضاف إلى المضمر على الأشهر.

قال عبد المطلب:

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال غيره:

أنا الفارس الحامي حقيقة والدي وآلي كما تحمي حقيقة (آلكا)(٢)](١)

يقول (الله تبارك(٣) و)تعالى: اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون؛ أي: خلصتكم منهم، وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى ﷺ؛ وقد كانوا يسومونكم؛ أي: يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب؛ وذلك أن فرعون ـ لعنه الله ـ كان قد رأى رؤيا هالته: رأى ناراً خرجت من بيت المقدس، فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلا بيوت بني إسرائيل مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل. ويقال: بل تحدث سُمَّاره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم تكون لهم به دولة ورفعة.

وهكذا جاء في [«حديث(٤) الفتون»] كما سيأتي في موضعه (في «سورة(٥) طه») إن شاء الله (تعالى)(٦)؛ فعند ذلك أمر فرعون ـ لعنه الله ـ بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال (وأراذلها)(٧).

وها هنا فسر العذاب بذبح الأبناء. وفي سورة إبراهيم عطف عليه؛ كما قال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦] وسيأتي تفسير ذلك في أول «سورة القصص» إن شاء الله تعالى. وبه الثقة والمعونة والتأييد.

(٨)[ومعنى يسومونكم: يولونكم؛ قاله أبو عبيدة، كما يقال: سامه خطة خسف؛ إذ أولاه إياها؛ قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقر الخسف فينا

وقيل: معناه يديمون عذابكم، كما يقال: سائمة الغنم؛ من إدامتها الرعي؛ نقله القرطبي(٩)](٨).

---

(١) ساقط من (ل)، وهو في حاشية (ج) و(ع).
(٢) ساقط من (ل).
(٣) من (ل).
(٤) في (ض): «الحديث المصون»! وسقطت لفظة «الفتون» من (ك)، ويأتي تخريج هذا الحديث إن شاء الله تعالى في موضعه من سورة «طه».
(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ى).
(٦) من (ن).
(٧) في (ن): «أرذلها».
(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ى).
(٩) في «تفسيره» (١/ ٣٨٤).

[١][وإنما قال ها هنا: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ليكون ذلك تفسيراً للنعمة عليهم في قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ثم فسره بهذا لقوله ها هنا: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وأما في سورة إبراهيم فلما قال: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] أي: بأياديه ونعمه عليهم؛ فناسب أن يقول هناك: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ فعطف عليه الذبح، ليدل على تعدد النعم والأيادي على بني إسرائيل][١].

وفرعون: علم على كل من ملك مصر كافراً من العماليق وغيرهم، كما أن «قيصر» علم على كل من ملك الروم مع الشام كافراً (وكذلك)[٢]، «وكسرى» لمن ملك الفرس، «وتُبَّع» لمن ملك اليمن كافراً، «والنجاشي» لمن ملك الحبشة، («وبطليموس» لمن ملك الهند)[٣].

ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في (زمان)[٤] موسى ﷺ الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل: مصعب بن الريان، وأياً ما كان، فعليه لعنة الله [٥][وكان من سلالة عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح، وكنيته: أبو مرة وأصله فارسي من «اصطخر»][٥].

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال ابن جرير[٦]: وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا إياكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون، بلاء لكم من ربكم عظيم؛ أي: نعمة عظيمة عليكم في ذلك.

وقال علي بن أبي طلحة[٧]، عن ابن عباس: قوله تعالى: ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال: نعمة.

وقال مجاهد[٨]: ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال: نعمة من ربكم عظيمة. وكذا قال أبو العالية، وأبو مالك، والسدي[٩]، وغيرهم.

وأصل البلاء: الاختبار. وقد يكون بالخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] قال ابن جرير[١٠]: وأكثر ما يقال في الشر بلوته أبلوه بلاء، وفي الخير أبليه إبلاءً وبلاءً؛ قال زهير بن أبي سُلمى:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

قال: فجمع بين اللغتين؛ (لأنه)[١١] أراد: فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده.

[١٢][وقيل: المراد بقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ (أنه)[١٣] إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين، من ذبح الأبناء، واستحياء النساء. قال القرطبي[١٤]: وهذا قول الجمهور، ولفظه ـ بعد ما حكى][١٢]

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) ساقط من (ن).
(٣) ساقط من (ز) و(ض).
(٤) في (ز) و(ن): «زمن».
(٥) ساقط من (ز) و(ض)، ووقع تقديم وتأخير في هذه الفقرة في (ن).
(٦) في «تفسيره» (٤٨/٢).
(٧) أخرجه ابن جرير (٨٩٩)؛ وابن أبي حاتم (٥١١). [وسنده ثابت].
(٨) أخرجه ابن جرير (٩٠١، ٩٠٢). [وسنده صحيح].
(٩) أخرجه ابن جرير (٩٠٠). [وسنده حسن].
(١٠) في «تفسيره» (٤٩/٢). والبيت في ديوان زهير (١٠٩).
(١١) في (ج): «لا أراد»!
(١٢) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(١٣) ساقط من (ى).
(١٤) في «تفسيره» (٣٧٨/١).

[1][القول الأول، ثم قال: وقال الجمهور: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء (ها هنا)[2] في الشر. والمعنى: وفي الذبح مكروه وامتحان][1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ معناه: وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون، وخرجتم مع موسى عليه السلام، خرج فرعون في طلبكم، ففرقنا بكم البحر؛ كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلاً، كما سيأتي في مواضعه. ومن أبسطها ما في «سورة الشعراء» إن شاء الله.

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ أي: خلصناكم منهم، وحجزنا بينكم وبينهم، وأغرقناهم وأنتم تنظرون؛ ليكون ذلك أشفى لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوكم.

قال عبد الرزاق[3]: أنبأنا معمر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن عمرو بن ميمون الأودي، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: لما خرج موسى ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون؛ فقال: لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة. قال: فوالله ما صاح ليلتئذ ديك، حتى أصبحوا؛ فدعا بشاة، فذبحت؛ ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط؛ فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط. فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون: أين (أمرك)[4] ربك؟ قال: أمامك، يشير إلى البحر، فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر؛ فذهب به الغمر؛ ثم رجع فقال: أين (أمرك)[2] ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت (ولا)[5] كُذبت - فعل ذلك ثلاث مرات.

ثم أوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم - يقول: مثل الجبل، ثم سار موسى ومن معه، واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم؛ فلذلك قال: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

وكذلك قال غير واحد من السلف كما سيأتي بيانه في موضعه.

وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء، كما قال الإمام أحمد[6]: حدثنا عفان، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عبد الله بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس؛ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ فقال: «ما هذا اليوم الذي تصومون؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله عز وجل فيه بني إسرائيل (من عدوهم)[7]، فصامه موسى عليه السلام؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنا أحق بموسى منكم». فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصومه.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٢) في (ك): «هنا» وهو الموافق لما في «تفسير القرطبي»؛ وفي (ج) و(ل): «هناك».

(٣) في «تفسيره» (١/ ٤٥، ٤٦) ومن طريقه ابن جرير (٩٠٨)؛ وابن أبي حاتم (٥١٢)؛ وأبو إسحاق السبيعي مدلس. [سنده صحيح لكنه من الإسرائيليات].

(٤) في (ز) و(ن): «أمر».

(٥) كذا في (ل) و(ن) و(هـ) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض): «وما»، وسقط هذا الحرف من (ج).

(٦) وأخرجه هو أيضاً (١/ ٣١٠، ٣٣٦)؛ والبخاري (٤/ ٢٤٤؛ و٦/ ٤٢٩)؛ ومسلم (١١٣٠/ ١٢٨).

(٧) كذا في (ز) و(ن) و(هـ)؛ وفي (ج) و(ض) و(ى): «من غرقهم». وقال في حاشية (ج): «لعله: عدوهم»؛ وفي (ك): «من الغرق».

وروى هذا الحديث البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، من طرق عن أيوب السختياني، به، نحو ما تقدم.

وقال أبو يعلى(١) الموصلي: حدثنا أبو الربيع، حدثنا سلَّام - يعني: ابن سليم، عن زيد العمي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ؛ قال: «فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء».

وهذا ضعيف من هذا الوجه؛ فإن زيداً العمي فيه ضعف، وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة، وكانت أربعين يوماً، وهي المذكورة في «الأعراف» في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] قيل إنها ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة؛ وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون، وإنجائهم من البحر.

وقوله (تعالى)(٢): ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة؛ ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ وهو ما يفرق بين الحق والباطل، والهدى (والضلال)(٣) ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وكان ذلك أيضاً بعد خروجهم من البحر، كما دل عليه سياق الكلام في «سورة الأعراف»؛ ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص].

(٤)[وقيل: الواو زائدة، والمعنى: وإذ آتينا موسى الكتاب الفرقان. وهذا غريب.

وقيل: عطفه عليه، وإن كان المعنى واحداً؛ كما في قول الشاعر(٥):

وقدمت الأديم (لراهشيه)(٦) ... فألفى قولها كذباً وميناً](٤)

(٧)[وقال الآخر(٨):

ألا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأي والبعد

فالكذب هو المين. والنأي هو البعد.

وقال عنترة(٩):

حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فعطف الإقفار على الإقواء، وهو هو](٧).

---

(١) في «مسنده» (ج٧/رقم ٤٠٩٤) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٩) لابن مردويه. وسنده ضعيف جداً. ويزيد الرقاشي متروك، وزيد العمي ضعيف.

(٢) من (ن) و(ى).

(٣) في (ض) و(ن): «الضلالة».

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) نسبه في «لسان العرب» مادة: «مين» إلى عدي بن زيد.

(٦) في (ن): «لراقشيه»! والراهشان: عرقان في باطن الذراعين، أو «الرواهش» عروق ظاهر الكف كما في «القاموس»، والأديم: الجلد.

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) هو الحطيئة. والبيت في «ديوانه» (٣٩).

(٩) هو في «ديوانه» (١٢٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل؛ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ - في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ فقال ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع، (حين)[1] قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا (لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)﴾[2] [الأعراف: ١٤٩] قال: فذلك حين يقول موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

وقال أبو العالية[3]، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ أي: إلى خالقكم.

قلت: وفي قوله ها هنا: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ - تنبيه على عظم جرمهم؛ أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره.

وقد روى النسائي[4]، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث يزيد بن هارون، عن الأصبغ بن زيد الوراق، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: فقال الله تعالى: إن توبتهم أن يقتل كل (رجل)[5] منهم (كل)[6] من لقي من ولد (أو)[7] والد فيقتله بالسيف، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن؛ فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به، فغفر الله للقاتل والمقتول.

وهذا قطعة من حديث الفتون. وسيأتي في سورة طه بكماله إن شاء الله.

وقال ابن جرير[8]: حدثني عبد الكريم بن الهيثم، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة؛ قال: قال أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: قال موسى لقومه: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ قال: أمر موسى

---

(١) في (ن): «حتى».

(٢) من (هـ)، وسقط من (ج)؛ و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض): «الآية» إشارة إلى تتمتها.

(٣) أخرجه ابن جرير (٩٤٦)؛ وابن أبي حاتم (٥٣٠). [وسنده جيد].

(٤) في «تفسيره» (٣٤٦).
وأخرجه أبو يعلى (ج٥/رقم ٢٦١٨)؛ وابن جرير (١٦/ ١٢٥)؛ وابن أبي حاتم (٥٣١)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص٨٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٦٦). وسيأتي الكلام عليه في تفسير سورة (طه) إن شاء الله تعالى.

(٥) في (ن): «واحد».

(٦) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (هـ): (ما) وسقطت هذه اللفظة من «ن».

(٧) كذا في (ج) و(ك) و(ى). ووقع في (ز) و(ض) و(ن) و(هـ): «و»؛ وفي (ن): «والد وولد».

(٨) في «تفسيره» (٩٣٦) وسنده صحيح. [والخبر من الإسرائيليات].

قومه عن أمر ربه ﷻ أن يقتلوا أنفسهم. قال: (واحتبى)[(١)] الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم (ظلمة)[(٢)] شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فانجلت (الظلمة)[(٣)] عنهم، وقد (أجلوا)[(٣)] عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة.

وقال (ابن[(٤)] جريج): أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن[(٥)] جبير ومجاهداً يقولان في قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ قالا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر، يقتل بعضهم بعضاً؛ لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد، حتى (ألوى)[(٦)] موسى بثوبه، فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي؛ فقد اكتفيت؛ فذلك حين ألوى موسى بثوبه [(٧)][وروي عن علي[(٨)] ﷺ نحو ذلك][(٧)].

وقال قتادة[(٩)]: أُمر القوم بشديد من الأمر، فقاموا (يتناجزون)[(١٠)] بالشفار يقتل بعضهم بعضاً حتى بلغ الله فيهم نقمته، فسقطت الشفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل، فجعل لحيهم توبةً، وللمقتول شهادة.

وقال الحسن[(١١)] البصري: أصابتهم ظلمة (حِنْدِسٌ)[(١٢)]، فقتل بعضهم بعضاً، ثم انكشف عنهم، فجعل توبتهم في ذلك.

وقال السدي[(١٣)]: في قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ قال: فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قتل من الفريقين شهيداً، حتى كثر القتل، حتى كادوا أن يهلكوا، حتى قتل

---

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ك) و(ل) و(ى) من: الاحتباء؛ وهو أن يضم الرجل رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، وقد يكون الاحتباء باليدين عوضاً عن الثوب. ووقع في (ض) و(هـ): «اختبى» بالخاء المعجمة من الاختباء وهو الاختفاء. وفي (ن): «أخبر» وكلاهما تصحيف.

(٢) في (ز): «ظلة».

(٣) في (ن): «جلوا».

(٤) في (ن): «ابن جرير».

(٥) أخرجه ابن جرير (٩٣٥) قال: حدثني عباس بن محمد؛ وابن أبي حاتم (٥٣٢) قال: حدثنا الحسن بن الصباح قالا: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٦) ألوى يعني: أشار.

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٦) من طريق إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق، عن عمارة بن عبد وأبي عبد الرحمٰن، عن علي بن أبي طالب قال: قالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً. فأخذوا السكاكين، فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وأمه، ولا يبالي من قتل، حتى قتل منهم سبعون ألفاً، فأوحى الله إلى موسى: مرهم فليرفعوا أيديهم، وقد غفر لمن قتل، وتيب على من بقي. وسنده صحيح لولا تدليس أبي إسحاق، وعمارة بن عبد الكوفي وثقه ابن حبان. وقال أبو حاتم: «شيخ مجهول لا يحتج بحديثه» ولكنه متابع كما رأيت. [والخبر من الإسرائيليات].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٣) وفي إسناده سعيد بن بشير وهو ضعيف خصوصاً في قتادة.

(١٠) كذا في (ج) و(ع) و(هـ) و(ى). ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن): «يتناحرون» بالحاء والراء المهملتين.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٤) وسنده جيد.

(١٢) حندس، بالكسر: الليل المظلم، والمراد: ظلمة شديدة.

(١٣) أخرجه ابن جرير (٩٣٧) مطولاً وابن أبي حاتم (٥٣٧) وسنده حسن.

منهم سبعون ألفاً، وحتى دعا موسى وهارون: ربنا أهلكت بني إسرائيل، ربنا، البقية، البقية.

فأمرهم أن (يضعوا)[(١)] السلاح، وتاب عليهم؛ فكان من قُتل منهم من الفريقين شهيداً، ومن بقي مكفراً عنه؛ فذلك قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال الزهري[(٢)]: لما أُمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى، فاضطربوا بالسيوف، وتطاعنوا بالخناجر، وموسى رافع يديه حتى إذا (أفنوا)[(٣)] بعضهم قالوا: يا نبي الله، ادع الله لنا؛ وأخذوا بعضديه يسندون يديه؛ فلم يزل أمرهم على ذلك حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض، فألقوا السلاح.

وحزن موسى (وبنو)[(٤)] إسرائيل للذي كان من القتل فيهم، فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى ما يحزنك؟ أما من قتل منهم فحي عندي يرزقون. وأما من بقي فقد قبلت توبته؛ فسر بذلك موسى وبنو إسرائيل. رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه.

وقال ابن إسحاق[(٥)]: لما رجع موسى إلى قومه، وأحرق العجل وذراه في اليم، خرج إلى ربه (بمن)[(٦)] اختار من قومه، فأخذتهم الصاعقة، ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل؛ فقال: لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم؛ قال: فبلغني أنهم قالوا لموسى: نصبر لأمر الله؛ فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده؛ فجلسوا بالأفنية، وأصلت عليهم القوم السيوف، فجعلوا يقتلونهم (وبكى)[(٧)] موسى، (وبهش)[(٨)] إليه النساء والصبيان، يطلبون العفو عنهم، [(٩)][فتاب (الله)[(١٠)] عليهم، وعفا عنهم][(٩)]؛ وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف.

وقال عبد الرحمٰن[(١١)] بن زيد بن أسلم: لما رجع موسى إلى قومه (وكان)[(١٢)] سبعين رجلاً قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه، فقال لهم موسى: انطلقوا إلى (موعد[(١٣)] ربكم)؛ فقالوا: يا موسى! ما من توبة؟ قال: بلى؛ ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ . . .﴾ الآية. فاخترطوا السيوف (والجِرزة)[(١٤)] والخناجر والسكاكين.

قال: وبعث عليهم ضبابةً. قال: فجعلوا يتلامسون بالأيدي، ويقتل بعضهم بعضاً.

---

(١) في (ن): «يلقوا».

(٢) أخرجه ابن جرير (٩٤١) وجوَّد المصنف سنده.

(٣) في (ن): «فتر».

(٤) في (ج) و(ع): «وبنى»! وهو تصحيف.

(٥) أخرجه ابن جرير (٩٤٤) بسند ضعيف جداً.

(٦) في (ج) و(ل): «ثم».

(٧) في (ن): «فهش».

(٨) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ى) ومعناه: تهيأ للبكاء. وفي (ل): «أهش» وفي (هـ): «جهش».

(٩) ساقط من (هـ).

(١٠) من (ز) و(ن).

(١١) أخرجه ابن جرير (٩٤٥) بسند صحيح.

(١٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» وتقديره: وكان القوم. ووقع في (ز) و(ض) و(ل) و(ن) و(هـ): «وكانوا».

(١٣) في (ج) و(ل): «موعدكم».

(١٤) الجرزة: في (ك): «الجرد»، ووقع في (هـ) بياض موضع هذه الكلمة. والجرزة: عمود من حديدٍ، جمع (جرز)، بضم الجيم.

قال: (و)[١] يلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو لا يدري. قال: (ويتنادون)[٢] (فيها)[٣] رحم الله عبداً (صبر)[٤] حتى يبلغ الله رضاه. قال: فقتلاهم شهداء، وتيب على أحيائهم؛ ثم قرأ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق؛ إذ سألتم رؤيتي جهرةً عياناً مما لا يستطاع لكم، ولا لأمثالكم. كما قال ابن جريج[٥]: قال ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: علانيةً.

وكذا قال إبراهيم[٦] بن طهمان، عن عباد بن إسحاق، عن أبي الحويرث، عن ابن عباس ـ أنه قال في قول الله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: علانيةً؛ أي: حتى نرى الله.

وقال قتادة[٧]، والربيع بن أنس: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عياناً.

وقال أبو جعفر[٨]: عن الربيع بن أنس: هم السبعون الذين اختارهم موسى، فساروا معه؛ قال: فسمعوا كلاماً، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: فسمعوا صوتاً فصعقوا، يقول: ماتوا.

وقال مروان[٩] بن الحكم فيما خطب به على منبر مكة: الصاعقة صيحة من السماء.

وقال السدي[١٠] في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الصاعقة: نار.

وقال عروة[١١] بن رويم في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: صعق بعضهم، وبعض ينظرون؛ ثم بُعث هؤلاء، وصُعق هؤلاء.

وقال السدي[١٢]: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا

---

(١) ساقط من (ج).
(٢) في (ل): «وينادون».
(٣) ساقط من (ز) و(ض).
(٤) في (ن): «وصبر نفسه».
(٥) أخرجه ابن جرير (٩٤٧) وسنده ضعيف لإعضاله.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٨) وفي سنده ضعف.
(٧) أخرجه ابن جرير (٩٥٠) بسند صحيح، وهو عند ابن أبي حاتم (٥٣٩) بسند فيه سعيد بن بشير. وهو ضعيف في قتادة، ولكنه متابع.
(٨) أخرجه ابن جرير (٤٥٢)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٣). [وسنده جيد].
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٥) من طريق ابن محيصن، عن أبيه قال: رأيت مروان بن الحكم على منبر مكة... فذكره. وابن محيصن هو عمر بن عبد الرحمٰن، كذا سماه في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٤٢٩) وقال البخاري: ومنهم من قال: محمد بن عبد الرحمٰن. وبه ترجمه الذهبي في «معرفة القراء الكبار» (١/ ٩٨) وهو ثقة احتج به مسلم ولكني لم أجد لأبيه ترجمة. فالله أعلم.
(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٥٣)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٤). [وسنده حسن].
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٠، ٥٤٦) بسند جيد.
(١٢) أخرجه ابن جرير (٩٥٨)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٩) وسياق الطبري أطول. [وسنده حسن].

﴿فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن (اتخذ)[1] العجل؛ ثم إن الله أحياهم، فقاموا (وعاش)[2] رجل رجل، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون؟ قال: فذلك قوله (تعالى)[3]: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وقال الربيع[4] بن أنس: كان موتهم عقوبةً لهم، فبعثوا من بعد الموت، ليستوفوا آجالهم. وكذا قال قتادة[5].

وقال ابن[6] جرير: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق؛ قال: لما رجع موسى إلى قومه، فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال، وحرق العجل وذراه في اليم، اختار موسى منهم سبعين رجلاً الخير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله، وتوبوا إلى الله مما صنعتم، (وسلوه)[7] التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا، وطهروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقَّته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم؛ فقال له السبعون ـ فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمروا به، وخرجوا للقاء الله ـ قالوا: يا موسى، اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا. فقال: أفعل.

فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل ـ كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه؛ فضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل، ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الرجفة، وهي: الصاعقة، فماتوا جميعاً.

وقام موسى يناشد ربه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] قد سفهوا؛ أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ أي: إن هذا لهم هلاك، واخترت منهم سبعين رجلاً الخير فالخير، أرجع إليهم؛ وليس معي منهم رجل واحد؛ فما الذي يصدقوني به، ويأمنوني عليه بعد هذا؟ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فلم يزل موسى يناشد ربه ﷻ، ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم، [8][(فطلب)[9] إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل؛ فقال: لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم][8].

(هذا سياق محمد بن إسحاق)[10].

---

(١) في (ز) و(ن): «اتخذوا»؛ وفي (ك): «اتخذتهم»!

(٢) في (ز) و(ض) و(ن) و(هـ): «عاشوا».

(٣) من (ز) و(ن).

(٤) أخرجه ابن جرير (٩٦١) بسياق أطول؛ وابن أبي حاتم (٥٤٨). [وسنده جيد].

(٥) أخرجه ابن جرير (٩٦٠)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٧). [وسنده صحيح].

(٦) في «تفسيره» (٩٥٧) وسنده ضعيف.

(٧) في (ن): «واسألوه».

(٨) ساقط من (ج).

(٩) كذا في (ك) و(ل) و(هـ) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ز) و(ن): «وطلب».

(١٠) ساقط من (ك).

(وقال)(١) (إسماعيل بن عبد الرحمٰن)(٢) السدي (الكبير)(٢): لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض، كما أمرهم الله به، أمر الله موسى أن يأتيه في كل أُناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل؛ (ووعدهم)(٣) موسى؛ فاختار موسى (قومه)(٤) سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا.. وساق البقية.

(٥)[وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ والمراد: السبعون المختارون منهم، ولم يحك كثير من المفسرين سواه](٥).

(٦)[وقد أغرب (فخر الدين)(٧) الرازي في «تفسيره» حين حكى في قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد إحيائهم قالوا: يا موسى؛ إنك لا تطلب من الله شيئاً إلا أعطاك، فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك، فأجاب الله (ﷻ)(٨) دعوته.

وهذا غريب جداً؛ إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون، ثم يوشع بن نون.

وقد غلط أهل الكتاب أيضاً في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله ﷻ؛ فإن موسى الكليم (عليه السلام)(٩) قد سأل ذلك، فمنع منه، فكيف يناله هؤلاء السبعون؟

القول الثاني في الآية](٦): قال عبد الرحمٰن(١٠) بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية: قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح قد كُتب فيها التوراة، فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم، ففعلوا؛ فتاب الله عليهم؛ فقال: إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمركم الذي أمركم به، ونهيكم الذي نهاكم عنه؛ فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا، والله حتى نرى الله جهرةً حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه؛ فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى؟ وقرأ قول الله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: فجاءت غضبة من الله؛ فجاءتهم صاعقة بعد التوبة، فصعقتهم فماتوا أجمعون.

قال: ثم أحياهم الله من بعد موتهم، وقرأ قول الله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله؛ فقالوا: لا. فقال: أي شيء أصابكم؟ فقالوا: أصابنا أنا متنا ثم أحيينا، قال: خذوا كتاب الله. قالوا: لا. فبعث الله ملائكةً فنتقت الجبل فوقهم.

(١١)[وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا.

وقد حكى الماوردي(١٢) في ذلك قولين:

أحدهما: أنه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرةً حتى صاروا مضطرين إلى التصديق](١١).

---

(١) بياض في «ض».
(٢) ساقط من (ك).
(٣) كذا في (ج) و(ض) و(هـ) و(ى). وفي (ن): «وواعدهم»؛ وفي (ل): «وعدهم».
(٤) ساقط من (ن).
(٥) ساقط من (ز) و(ض).
(٦) ساقط من (ز) و(ض).
(٧) ساقط من (ن) و(هـ).
(٨) من (ج).
(٩) من (ن).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٥٩).
(١١) ساقط من (ز) و(ض).
(١٢) لم أجد قوله هذا في «تفسيره» (١/١٢٣) عند تفسير هذه الآية، فلعله ذكره في موضع آخر أو في كتاب آخر. وقوله هذا نقله القرطبي في «تفسيره» عنه.

[(١)][والثاني: أنهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف. قال القرطبي[(٢)]: وهذا هو الصحيح؛ لأن معاينتهم للأمور (القطعية)[(٣)] لا تمنع تكليفهم؛ لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أموراً عظاماً من خوارق العادات، وهم في ذلك مكلفون. وهذا واضح[(٤)]. والله أعلم][(١)].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضاً بما أسبغ عليهم من النعم فقال: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ وهو جمع غمامة، سمي بذلك لأنه يغم السماء؛ أي: يواريها ويسترها، وهو السحاب الأبيض، ظللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس، كما رواه النسائي وغيره، عن ابن عباس في «حديث (الفتون)[(٥)]»؛ قال: ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام.

قال ابن أبي[(٦)] حاتم: وروي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وأبي مجلز، والضحاك، والسدي نحو قول ابن عباس.

وقال الحسن، وقتادة[(٧)]: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ كان هذا في البرية، ظلل عليهم الغمام من الشمس.

وقال (ابن جريج)[(٨)]: (وقال آخرون): وهو غمام أبرد من هذا وأطيب.

وقال ابن أبي[(٩)] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قال: ليس بالسحاب؛ هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن إلا لهم.

وهكذا رواه ابن جرير عن المثنى بن إبراهيم، عن أبي حذيفة؛ وكذا رواه الثوري[(١٠)] وغيره، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وكأنه يريد ـ والله أعلم ـ أنه ليس من زي هذا السحاب؛ بل أحسن منه، وأطيب وأبهى منظراً؛ كما قال سنيد في «تفسيره»[(١١)] عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج؛ قال: قال ابن عباس: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قال: غمام أبرد من هذا وأطيب، وهو الذي يأتي الله فيه في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ (وَالْمَلَائِكَةُ)[(١٢)]﴾ [البقرة: ٢١٠] وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض). (٢) في «تفسيره» (١/ ٤٠٥).

(٣) في (ل) و(هـ) و(ن): «الفظيعة».

(٤) في حاشية (ج): «آخر الجزء الخامس من أجزاء المؤلف».

(٥) في (ك): «المفتون». (٦) في «تفسيره» (ص١٧٤ ـ البقرة).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٢) بسند جيد. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٠) لعبد بن حميد وسياقه أطول.

(٨) وقع في (ز) و(ن) و(هـ): «ابن جرير» وهو خطأ. وقول ابن جريج هذا قاله ابن أبي حاتم في «تفسيره» (ص١٧٥).

(٩) في «تفسيره» (٥٥٣) وهو عند ابن جرير (٩٦٣). [وسنده صحيح].

(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٦٢) من طريق أبي أحمد الزبيري، ثنا سفيان الثوري. [وسنده صحيح].

(١١) ومن طريقه ابن جرير (٩٦٥) وسنده ضعيف لإعضاله.

(١٢) من (ز) و(ن).

قال ابن عباس: وكان معهم في التيه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المن ما هو؟ فقال علي بن أبي[١] طلحة، عن ابن عباس: كان المن ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه، فيأكلون منه ما شاءوا.

وقال مجاهد[٢]: المن: صمغة. وقال عكرمة[٣]: المن: شيء أنزله الله عليهم مثل الطل شبه الرُّبِّ الغليظ.

وقال السدي[٤]: قالوا: يا موسى! كيف لنا بما ها هنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان يسقط على (الشجرة الزنجبيل)[٥].

وقال قتادة[٦]: كان المن ينزل عليهم في محلتهم سقوط الثلج، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك؛ فإذا (تعدى)[٧] ذلك فسد، (و)[٨]لم يبق، حتى إذا كان يوم سادسه [٩][اليوم جمعته][٩] أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عيد، لا يشخص فيه لأمر معيشته، ولا يطلبه لشيء؛ وهذا كله في البرية.

وقال الربيع[١٠] بن أنس: المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.

وقال وهب بن[١١] منبه ـ وسئل عن المن ـ فقال: (خبز الرقاق)[١٢] مثل الذرة، أو مثل النقي.

وقال أبو جعفر[١٣] بن جرير: حدثني (أحمد)[١٤] بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد، حدثنا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٦). [وسنده ثابت].

(٢) أخرجه ابن جرير (٩٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٥٥٧) وهو صحيح، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٦٤) للفريابي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٠) لوكيع وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٨) وفي سنده حفص بن عمر العدني وهو متروك. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧٠) لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه ابن جرير (٩٧٣)؛ وابن أبي حاتم (٥٥٩). [وسنده حسن].

(٥) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم». ووقع في «تفسير الطبري»: «شجر الزنجبيل» وهو الموافق لما في (ز)؛ وفي (ن): «شجرة الزنجبيل».

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٠) وفي إسناده سعيد بن بشير، وهو ضعيف لا سيما في قتادة. وأخرجه ابن جرير (٩٦٨) من وجه آخر جيد مختصراً.

(٧) في (ل): «بعد»! (٨) في (ل): «أو».

(٩) ساقط من (هـ).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٦٢). [وسنده جيد].

(١١) أخرجه ابن جرير (٩٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٥٦١) من طريقين عن إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل، سمعت وهباً فذكره وسنده جيد.

(١٢) في (ن): «خبز رقاق».

(١٣) في «تفسيره» (٩٧١) وفي سنده جابر الجعفي، وهو واه.

(١٤) في (ن): «محمد» وهو خطأ.

إسرائيل، عن جابر، عن عامر ـ وهو الشعبي ـ قال: عسلكم هذا جزء من سبعين جزءاً من المن.

وكذا قال عبد الرحمٰن[(١)] بن زيد بن أسلم إنه العسل.

ووقع في شعر أُمية بن أبي الصلت حيث قال[(٢)]:

فـرأى الله أنـهـم بـمـضـيـع ... لا بـذي مـزرع ولا مـثـمـوراً

فـسـنـاهـا[(٣)] عـلـيـهـم غـاديـات ... ومـرى مـزنـهـم خـلايـا وخـوراً

عـسـلاً نـاطـفـاً ومـاءً فـراتـاً ... وحـلـيـبـاً ذا بـهـجـة (مـرمـوراً)[(٤)]

فالناطف هو السائل. والحليب المرمور: الصافي منه.

والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن؛ فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب، وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد؛ فالمن المشهور إن أُكل وحده كان طعاماً وحلاوةً، وإن مزج مع الماء صار شراباً طيباً، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر؛ ولكن ليس هو المراد من الآية وحده.

والدليل على ذلك قول البخاري[(٥)]: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن عبد الملك، عن عمرو بن حريث، عن سعيد بن زيد ﷺ؛ قال: قال النبي ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

وهذا الحديث رواه الإمام[(٦)] أحمد، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الملك؛ وهو ابن عمير، به. وأخرجه الجماعة في كتبهم إلا أبا داود من طرق: عن عبد الملك، وهو ابن عمير، به.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٩٧٠) وسنده صحيح. (٢) هو في «ديوانه» (ص٣٤، ٣٥).

(٣) في «الديوان»: «فعفا لها» ووقعت الأبيات في «تفسير الطبري» مخالفة لبعض ما نقله المصنف هاهنا. ونصها عنده هكذا:

فـرأى الله أنـهـم بـمـضـيـع ... لا بـذي مـزرع ولا مـعـمـورا

فـنـسـاهـا عـلـيـهـم غـاديـات ... ومـرى مـزنـهـم خـلايـا وخـوراً

عـسـلاً نـاطـفـاً، ومـاءً فـراتـاً ... وحـلـيـبـاً ذا بـهـجـة مـثـمـوراً

وقد تكلم الأستاذ الألمعي محمود شاكر حفظه الله تعالى في شأن هذا الاختلاف، وزيف بعض الكلمات فيه، وذلك في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ٩٤، ٩٥) فراجعه.

(٤) كذا في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ى)، برائين؛ وفي (ج) و(ن): «مزموراً» بزاي ثم راء مهملة. وقال الشيخ محمود شاكر حفظه الله (٢/ ٩٥) بعد أن نقل عن ناسخ مخطوطة «الطبري» أنه قال في طرف الصفحة: «المزمور: الصافي من اللبن. قال: وذلك شيء لا وجود له في كتب اللغة». ثم جعل مكان هذه اللفظة: «مثموراً» ثم قال: «ولم أجد «مثموراً» في كتب اللغة، ولكن يقال: الثمر والثميرة: اللبن الذي ظهر زبده وتحبب. قال ابن شميل: إذا مخض رؤي عليه أمثال الحصف في الجلد، ثم يجتمع فيصير زبداً، وما دامت صغاراً فهو ثمير. ويقولون: إن لبنك لحسن الثمر، وقد أثمر مخاضك. فكأنه قال: «مثموراً» ويعني: «ثميراً» لأن «فعيلاً» بمعنى «مفعول» هنا». اهـ.

(٥) في «كتاب التفسير» من «صحيحه» (٨/ ١٦٣) وسفيان هنا: هو الثوري. ثم رواه في «تفسير سورة الأعراف» (٨/ ٣٠٣) قال: حدثنا مسلم، ثنا شعبة، عن عبد الملك بن عمير بسنده سواء. وأخرجه في «الطب» (١٠/ ١٦٣) عن غندر عن شعبة به.

(٦) في «مسنده» (١/ ١٨٧) وعنه القطيعي في «جزء الألف دينار» (٤٧) قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك به وأخرجه مسلم (٢٠٤٩).

[(١)][وقال الترمذي: «حسن صحيح».

ورواه البخاري[(٢)] ومسلم (والنسائي)[(٣)] من رواية الحكم عن الحسن العرني، عن عمرو بن حريث، به][(١)].

وقال الترمذي[(٤)]: حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومحمود بن غيلان؛ قالا: حدثنا سعيد بن عامر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم، والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

تفرد بإخراجه الترمذي؛ ثم قال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن عمرو، وإلا من حديث (سعيد)[(٥)] بن عامر عنه. وفي الباب عن سعيد بن زيد، وأبي سعيد، وجابر - كذا قال!

وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في «تفسيره»[(٦)] من طريق آخر، عن [(٧)][أبي هريرة، فقال: حدثنا أحمد بن (الحسين)[(٨)] بن أحمد البصري، حدثنا أسلم بن سهل، حدثنا القاسم بن عيسى، حدثنا][(٧)] طلحة بن عبد الرحمٰن، (هذا سلمي واسطي يكنى بأبي محمد)[(٩)]، [(١٠)][عن (قتادة)[(١١)]، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»][(١٠)].

---

(١) ساقط من (هـ).

(٢) أخرجه البخاري في «الطب» من «صحيحه» (١٠/ ١٦٣)؛ ومسلم (٢٠٤٩).

(٣) ساقط من (ن).

(٤) في «سننه» (٢٠٦٦).
وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (٥٦٧٥)؛ وأبو الحسن أحمد بن محمد بن القاسم بن الصلت في «جزء من حديث ابن عبد العزيز الهاشمي وابن المطيري» (ق٧٦/ ١) من طريق سعيد بن عامر بسنده سواء.
وقال البغوي في «شرح السنة» (١١/ ٣٢٦): «إسناده غريب».
(*) **قلت**: وهو إسناد حسن.

(٥) في (ل): «محمد» وهو خطأ.

(٦) وإسناده ضعيف جداً. وطلحة بن عبد الرحمٰن هذا، ذكره بحشل في «تاريخ واسط» (ص١٦٣) وترجمه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٣٢، ١٤٣٣) وقال: «روى عن قتادة شيئاً لا يتابعونه عليه» ثم روى له بعض المناكير وقال: «ولطلحة غير ما ذكرت من الحديث مما يرويه عن قتادة، منه ما يتابعونه عليه، ومنه ما لا يتابع عليه». ثم رواية قتادة عن سعيد بن المسيب، كان ابن المديني يضعفها.
قال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن»: سمعت علي بن المديني يضعف أحاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفاً شديداً وقال: «أحسب أن أكثرها بين قتادة وسعيد فيها رجال».
وهو يشير إلى تدليس قتادة. ولم أقف على من خرّج هذا الوجه عن أبي هريرة ﷺ إلا ما ذكره ابن أبي حاتم الرازي في «العلل» (١٦٩٨) وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله قريباً.

(٧) ساقط من (هـ).

(٨) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض) و(ن): «الحسن» وهو خطأ.
وانظر: «ثلاثة مجالس لابن مردويه» رقم (٤٧) وقال المحقق: «لم أعرفه».

(٩) من (ج). (١٠) ساقط من (ك).

(١١) في (ج) و(ل): «عبادة»!! وهو خطأ ظاهر.

[١][وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وطلحة بن عبد الرحمٰن][١] هذا (سلمي واسطي)[٢] يكنى بأبي محمد، وقيل: أبو سليمان المأدب، قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي: «روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها».

ثم قال الترمذي[٣]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة ـ أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: الكمأة جدري الأرض. فقال نبي الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة، وهي شفاء من السم».

[٤][وهذا الحديث قد رواه النسائي[٥]، عن محمد بن بشار، به؛ وعنه[٦]، عن غندر، عن][٤]

---

(١) ساقط من (ك).

(٢) في (ن): «السلمى الواسطي».

(٣) في «سننه» (٢٠٦٨).
وأخرجه أبو نعيم في «الطب» (ق٩٦/١) من هذا الوجه بذكر العجوة حسب.
وأخرجه أحمد (٢/٥١١) قال: حدثنا أبو داود، يعني: الطيالسي، ثنا هشام الدستوائي بسنده سواء بتمامه وتوبع هشام الدستوائي. تابعه أبان بن يزيد العطار، عن قتادة، عن شهر، عن أبي هريرة فذكره أخرجه أحمد (٢/٣٥٧) قال: حدثنا أسود بن عامر، ثنا أبان به. وتابعه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة بسنده سواء. أخرجه أحمد (٢/٣٥٦، ٤٩٠) قال: حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، ثنا ابن أبي عروبة. وخولف السهمي؛ خالفه روح بن عبادة وعبد الأعلى بن عبد الأعلى فروياه عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمٰن بن غنم، عن أبي هريرة فذكره. فزاد في الإسناد: «عبد الرحمٰن بن غنم» بين «شهر» و«أبي هريرة». أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦٦٧٠)؛ وأحمد (٢/٣٢٥)؛ وأخرجه النسائي أيضاً (٦٧٢١) مختصراً بذكر العجوة فقط.
وهذا الوجه أقوى، وعبد الأعلى من قدماء أصحاب سعيد بن أبي عروبة غير أن قتادة توبع على الوجه الأول، وهو أن شهر بن حوشب يرويه عن أبي هريرة بلا واسطة كما يأتي تحقيقه إن شاء الله.

(٤) ساقط من (هـ).

(٥) في «السنن الكبرى» كما في «أطراف المزي» (١٠/١١٢) ولم أجد رواية محمد بن بشار عن معاذ بن هشام في «المطبوعة»، فلعله سقط منها؛ وأخرجه النسائي أيضاً (٦٦٧١، ٦٧٢٠) قال: أخبرنا نصير بن الفرج، ثنا معاذ بن هشام بسنده سواء. واختصره في الموضع الثاني فذكر العجوة وحدها.

(٦) يعني: أن النسائي رواه عن محمد بن بشار أيضاً، لكن عن غندر، وهو محمد بن جعفر، عن شعبة... إلخ. وهو عنده في «السنن الكبرى» (٦٦٧٣) ورواه أيضاً من هذا الوجه (٦٧١٩) بشطره الثاني وهو ذكر العجوة.
وأخرجه أحمد (٢/٣٠١، ٣٠٥، ٤٨٨)؛ والطيالسي (٢٣٩٧)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٥٠٧)؛ وأبو يعلى (ج١١/رقم ٦٣٩٨)؛ والطبراني في «الأوسط» (٣٣٨٨) من طرق عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة. وعند أحمد بتمامه. ورواه عن أبي بشر هكذا: «شعبة، وحماد بن سلمة، وهشيم بن بشير، وأبان بن تغلب» وخالفهم الأعمش فرواه عن أبي بشر، عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله مرفوعاً فذكره. أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦٦٧٤) وخالف كل من تقدم: سعَّاد، بتشديد العين المهملة، الكوفي فرواه عن أبي بشر، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً. ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (١٦٩٨) وسأل عنه أباه فقال: «إنما هو جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ».اهـ فحكم أبو حاتم على رواية سعاد بالغلط، ولا جرم، فقد قال أبو حاتم فيه: «ليس بقوي في الحديث» كما نقله عنه ابنه في «الجرح والتعديل» أما حديث أبي سعيد وجابر فسيأتي الكلام عليه قريباً إن شاء الله.

[١][شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن][١] [١][شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، به، وعن[٢] محمد بن بشار، عن عبد الأعلى، عن خالد الحذاء، عن شهر بن حوشب بقصة الكمأة فقط.

(ورواه)[٣] النسائي[٤] أيضاً، وابن ماجه، من حديث محمد بن بشار، عن أبي عبد الصمد (عبد العزيز)[٥] بن عبد الصمد، عن مطر الوراق، عن شهر بقصة العجوة عند النسائي، وبالقصتين عند ابن ماجه][١].

وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة؛ فإنه لم يسمع[٦] منه، بدليل ما رواه النسائي[٧] في «الوليمة» من «سننه» عن علي بن الحسين الدرهمي، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي هريرة؛ قال: خرج رسول الله ﷺ وهم يذكرون الكمأة، وبعضهم يقول: جدري الأرض. فقال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

وروى عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد، وجابر؛ كما قال الإمام أحمد[٨]: حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري؛ قالا: قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم».

---

(١) ساقط من (هـ).

(٢) يعني: ورواه النسائي أيضاً عن محمد بن بشار، عن عبد الأعلى... إلخ. وهو عنده في «السنن الكبرى» (٤/ ١٥٧) ولم يذكر العجوة. وأخرجه إسحاق بن راهويه في «المسند» (١٤٨) عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به.

(٣) في (ز) و(ن): «وروى».

(٤) في «سننه الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (١٠/ ١١٢)؛ وابن ماجه (٣٤٥٥)؛ والطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٩٥)؛ والجرجاني في «الأمالي» (ق٢٧/ ٢ - ٢٨/ ١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ٣٣٣) من طرق عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة فذكره وهو عند النسائي مختصر كما قال المصنف رحمه الله. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٧٨٣)].

(٥) في (ن): «ابن عبد العزيز».

(٦) يعني: لم يسمع منه هذا الحديث بخصوصه، لا أنه لم يسمع منه مطلقاً، ولم أر من نفي سماعه من أبي هريرة وقال عبد الحميد بن بهرام، وهو من العالمين بشهر: «أتى على شهر بن حوشب ثمانون عاماً» وقال أيضاً: «مات شهر سنة ثمان وتسعين» وأقصى ما قيل في تاريخ وفاته، أنه مات سنة (١١٢). ومات أبو هريرة رضي الله عنه سنة (٥٨) وقيل قبلها بسنة أو بعدها بسنة فقد أدركه طويلاً. والله أعلم.

(٧) في «سننه الكبرى» (٦٦٧٠).
وأخرجه أحمد (٢/ ٣٢٥) قال: حدثنا روح بن عبادة، ثنا سعيد بن أبي عروبة. بسنده سواء.
هكذا رواه عبد الأعلى بن عبد الأعلى وروح بن عبادة. وخالفهما عبد الله بن بكر السهمي، فرواه عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة به فسقط ذكر «عبد الرحمن بن غنم»؛ أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٦، ٤٩٠). ورواية عبد الأعلى وروح أقوى، لا سيما وعبد الأعلى من قدماء أصحاب سعيد بن أبي عروبة، لكن الشأن في شهر بن حوشب كما يأتي إن شاء الله.

(٨) في «مسنده» (٣/ ٤٨).
وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٦٦٧٤، ٦٦٧٦)؛ وابن ماجه (٣٤٥٣)؛ والطحاوي في «المشكل» (٥٦٧٤)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٢٠) من طرق عن الأعمش بسنده سواء. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه دون العجوة في الجنة (ح٢٧٨١)].

وقال النسائي[١] في «الوليمة» أيضاً: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد وجابر ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

ثم رواه أيضاً وابن ماجه من طرق عن الأعمش، عن أبي بشر، عن شَهْرٍ عنهما، به.

[٢][وقد روياه - أعني النسائي[٣]][٢] - (من حديث جرير)[٤]، وابن ماجه (من حديث)[٥] سعيد (بن مسلمة)[٦]، كلاهما عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد. (زاد)[٧] النسائي (حديث)[٨] جابر، عن النبي ﷺ قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

ورواه ابن مردويه، عن أحمد بن عثمان، عن عباس الدوري، عن لاحق ابن صؤاب، عن عمار بن رزيق، عن الأعمش؛ كابن ماجه.

وقال ابن مردويه أيضاً: حدثنا أحمد بن عثمان، حدثنا عباس الدوري، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كمآت، فقال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

وأخرجه النسائي[٩] عن عمرو بن منصور، عن الحسن بن الربيع، به.

ثم ابن مردويه رواه أيضاً عن عبد الله بن إسحاق، عن الحسن بن سلام، عن عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن الأعمش، به.

وكذا رواه النسائي[١٠]، عن أحمد بن عثمان بن حكيم، عن عبيد الله بن موسى.

وقد روي من حديث أنس[١١] بن مالك ﵁، كما قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن

---

(١) في «سننه الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (٢/ ١٨٩).
(٢) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ل) و(ى)؛ وفي (ك) و(ن) و(هـ): «ثم رواه».
(٣) في «السنن الكبرى» (٦٦٧٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٥٦٧٤) من حديث جرير بن عبد الحميد عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد وجابر به.
وأخرجه ابن ماجه (٣٤٥٣/ ٢) من حديث سعيد بن مسلمة بن هشام عن الأعمش مثله ولم يذكر «جابراً».
[وصححه الألباني كما سبق دون ذكر العجوة].
(٤) من (ل) و(ن) و(ى).
(٥) في (ك) و(هـ): «من طرق».
(٦) في (ن): «ابن أبي سلمة» وهو خطأ.
(٧) في (ن): «ورواه».
(٨) ساقط من (ز) و(ض).
(٩) في «سننه الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (٣/ ٣٨٨، ٣٨٩).
وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٢٠) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحسن بن الربيع مثله.
(١٠) في «سننه الكبرى» رقم (٦٦٧٨).
وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٦)؛ وأبو يعلى (١٣٤٨)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٢٠) من طريق عبيد الله بن موسى، ثنا شيبان به.
(١١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٧٩) من طريق محمد بن موسى الجرشي، ثنا حسان بن سياه، ثنا ثابت، عن أنس مرفوعاً. . . فذكره بتمامه.
=

إبراهيم، حدثنا حمدون بن أحمد، حدثنا حوثرة بن أشرس، حدثنا حماد، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس: أن أصحاب رسول الله ﷺ تدارءوا في الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار؛ فقال بعضهم: نحسبه الكمأة، فقال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم».

وهذا الحديث محفوظ أصله[(١)] من رواية حماد بن سلمة.

وقد روى الترمذي، والنسائي، من طريقه شيئاً من هذا. والله (تبارك وتعالى)[(٢)] أعلم.

(وقد)[(٣)] روي عن شهر، عن ابن عباس؛ كما رواه النسائي[(٤)] أيضاً في «الوليمة» عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد، عن عبد الله بن عون الخراز، عن أبي عبيدة الحداد، عن عبد الجليل بن عطية، عن (شهر)[(٥)]، عن عبد الله بن عباس، عن النبي ﷺ؛ قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

فقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشب.

ويحتمل عندي أنه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها، وقد سمعه من بعض الصحابة، وبلغه عن بعضهم؛ فإن الأسانيد إليه جيدة؛ وهو لا يتعمد الكذب. وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله ﷺ كما تقدم من رواية سعيد بن زيد (رضي الله عنه)[(٦)].

= قال ابن عدي: «وحسان بن سياه له أحاديث غير ما ذكرت، وعامتها لا يتابعه غيره عليها، والضعف يتبين على رواياته وحديثه». اهـ.

(*) **قلت**: وهو متروك. والله أعلم.

(١) يقصد المصنف رحمه الله بـ«أصل الحديث» ما أخرجه النسائي في «التفسير» (٢٨٢)؛ والترمذي (٣١١٩)؛ وأبو يعلى (٤١٦٥)؛ وابن حبان (٤٧٥)؛ والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣٦)؛ والحاكم (٢/ ٣٥٢)؛ والضياء في «المختارة» (٦/ ١٩٢، ١٩٣) من طرق عن حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى بقناع جزء فقال: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤] فقال: «هي النخلة» ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم] قال: «هي الحنظلة». وأعله الترمذي بالوقف ويأتي الكلام عليه في تفسير «سورة إبراهيم» إن شاء الله تعالى.

فظاهر من هذا الحديث أنه لا يشترك مع حديث «الكمأة» في شيء من معانيه، اللهم إلا قوله: «الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض» وهذا القدر لا يكفي أن يقال فيه: «أصل الحديث» إلا إذا كان فيه شيء من صلب معناه والله أعلم.

(٢) من (ل).

(٣) من (ج).

(٤) في «سننه الكبرى» (٦٦٦٩).

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٢/رقم ١٣٠١٠) ومن طريقه الضياء في «المختارة» (١٠/ ٢١٥) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عبد الله بن عون بسنده سواء.

وسنده ضعيف. وعبد الجليل بن عطية مختلف فيه فوثقه ابن معين، ولينه البخاري. وقال أبو أحمد الحاكم: «حديثه ليس بالقائم». وقال ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤٢١): «يعتبر حديثه عند بيان السماع في خبره إذا رواه عن الثقات، وكان من دونه ثقة» وهذا الشرط مفقود هنا في شيخه. وله طريق آخر عن ابن عباس أخرجه الطبراني في «معاجمه الثلاثة» بسند ضعيف.

(٥) ساقط من (ن).

(٦) من (ل) و(ن).

وأما السلوى فقال علي بن[١] أبي طلحة، عن ابن عباس: السلوى: طائر (شبيهة)[٢] بالسماني؛ كانوا يأكلون منه.

وقال السدي[٣] في خبر ذكره عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: السلوى: طائر يشبه[٤] السماني.

وقال ابن أبي[٥] حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا قرة بن خالد، عن جهضم، عن ابن عباس؛ قال: السلوى هو السماني.

وكذا[٦] قال مجاهد، والشعبي، والضحاك، والحسن، وعكرمة، والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى؛ وعن عكرمة[٧]: أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور. أو نحو ذلك.

وقال قتادة[٨]: السلوى كان من طير إلى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى فسد، ولم يبق عنده، حتى إذا كان يوم سادسه [ليوم (جمعته)[١٠] أخذ ما يكفيه ليوم سادسه][٩] ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه لشيء ولا يطلبه.

وقال وهب[١١] بن منبه: السلوى: طير سمين مثل (الحمام)[١٢]، كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت. وفي رواية ـ عن وهب[١٣]؛ قال: سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لحماً،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٤) وسنده منقطع. (٢) في (ن): «يشبه».

(٣) أخرجه ابن جرير (٩٧٩) بسند حسن.

(٤) السماني: بتشديد السين المهملة بعدها ميم مخففة. قال الجوهري في «الصحاح» (٥/ ٢١٣٨): «طائر، ولا يقال: سماني بالتشديد» يعني: بتشديد الميم.

(٥) في «تفسيره» (٥٦٣) ورجاله مشهورون بالثقة إلا جهضماً هذا، فلم أستطع تعيينه، وأظنه جهضم أبا رؤبة الباهلي ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ٢٤٧)؛ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ٥٣٤، ٥٣٥)؛ وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ١١٣، ١١٨) روى عنه محرر بن قعنب وهو من شيوخ عبد الصمد بن عبد الوارث كما عند البخاري، وذكر ابن حبان أن عبد الصمد بن عبد الوارث يروى عنه، وهو مجهول الحال.

(٦) وهذا قول ابن أبي حاتم في «تفسيره». وأثر مجاهد عند ابن جرير (٩٨٢، ٩٨٣) وكذلك الشعبي (٩٨٧) وسنده ضعيف. وكذلك أثر الضحاك (٩٩٠) وسنده صحيح وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧١)؛ لأبي الشيخ وعبد بن حميد. وأثر الربيع بن أنس عنده برقم (٩٨٦).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٨) وسنده واه فيه حفص بن عمر العوني وهو متروك.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٦) بطوله وفي سنده سعيد بن بشير وهو ضعيف في قتادة. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٦) ومن طريقه ابن جرير (٩٨١) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة بلفظ: «والسلوى كانت تحشرها عليهم الريح الجنوب» وفي رواية عبد الرزاق كلام عن «المن» تقدم ذكره. وعزاه السيوطي (١/ ٧٠) لعبد بن حميد.

(٩) ساقط من (ج). (١٠) في (ل): «جمعه».

(١١) أخرجه ابن جرير (٩٨٤) مختصراً وأيضاً (٩٩٥) مطولاً وابن أبي حاتم (٥٦٧) وسنده جيد. وعزاه السيوطي (١/ ٧١) لعبد بن حميد.

(١٢) في (ن): «الحمامة».

(١٣) أخرجه سفيان بن عيينة، كما في «الدر المنثور» (١/ ٧١) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٥٦٥) بسند صحيح.

فقال الله: لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض، فأرسل عليهم ريحاً، فأذرت عند مساكنهم السلوى، وهو السماني، مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء، فخبأوا للغد، فنتن اللحم، وخنز الخبز.

وقال السدي[(١)]: لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى ﷺ: كيف لنا بما ها هنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان (يسقط)[(٢)] على (الشجر)[(٣)] (الزنجبيل)[(٤)] والسلوى، وهو طائر يشبه السماني أكبر منه؛ فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كما سميناً ذبحه وإلا أرسله؛ فإذا سمن أتاه فقالوا: هذا الطعام، فأين الشراب؟ فأُمر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، فشرب كل سبط من عين، فقالوا: هذا الشراب، فأين الظل؟ فظلل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان، ولا (يتخرق)[(٥)] لهم ثوب؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ (الآية)[(٦)] [البقرة: ٦٠].

وروي عن وهب[(٧)] بن منبه، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي.

وقال سنيد[(٨)]، عن حجاج، عن ابن جريج؛ قال: قال ابن عباس: خلق لهم في التيه ثياب لا (تخرق)[(٩)] ولا تدرن.

قال ابن جريج: (وكان)[(١٠)] الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسداً.

[(١١)][قال ابن[(١٢)] عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين؛ وقد غلط الهذلي في قوله: إنه العسل، وأنشد في ذلك مستشهداً:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألذ من السلوى إذا ما (أشورها[(١٣)])

قال: فظن أن السلوى عسلاً][(١١)].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٩٩١) بسند حسن. واختصره المصنف.

(٢) في (ن): «ينزل». (٣) في (ل) و(ن): «شجر».

(٤) في «تفسير ابن جرير»: «الترنجبين» وأشار المحقق إلى أنه وقع في «مخطوطة ابن جرير» أن الكلمة «الزنجبيل» وكذلك وقعت الكلمة هكذا في كل أصول «تفسير ابن كثير» نقلاً عن «ابن جرير» مما يدل على صحتها، وأن ما اختاره المحقق حفظه الله ضعيف والله أعلم.

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(ن) و(ى) ؛ وفي (ز) و(ض) و(ك) و(هـ): «ينخرق».

(٦) من (ن). (٧) أخرجه ابن جرير (٩٩٥) مطولاً.

(٨) أخرجه ابن جرير (٩٩٧) وسنده ضعيف لإعضاله.

(٩) في (ل): «تخلق». (١٠) في (ز) و(ن): «فكان».

(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(١٢) في «تفسيره» (١/ ٣٠٥) وقد اختصر المصنف عبارته.

(١٣) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير ابن عطية» و«القرطبي»: «نشورها» بنون في أوله. وفي «لسان العرب» (٣/ ٢٣٥٦): «شار العسل يشوره شوراً وشياراً وشيارةً ومشاراً ومشارةً: استخرجه من الوقبة واجتناه».

(١)[قال القرطبي(٢): دعوى الإجماع لا تصح؛ لأن (المؤرج)(٣) أحد علماء اللغة والتفسير قال: إنه العسل؛ واستدل ببيت الهذلي هذا، وذكر أنه كذلك في لغة كنانة لأنه (يسلى)(٤) به، ومنه: عين سلوان.

وقال الجوهري: السلوى: العسل. واستشهد ببيت الهذلي أيضاً. والسلوانة ـ بالضم: خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر](١) (١)[فشربها العاشق سلا؛ قال الشاعر:

شربت على سلوانة ماء مزنة ... فلا وجديد العيش يا ميُّ ما أسلو

واسم ذلك الماء: السلوان.

وقال بعضهم: السلوان دواء (يشفي)(٥) الحزين فيسلو، والأطباء يسمونه («المفرج»)(٦).

قالوا: والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضاً، كما يقال: «سمانا» للمفرد والجمع (٧)[(ودفلى)(٨) كذلك](٧). وقال الخليل: واحده سلواة، وأنشد:

وإني لتعروني لذكراك هزة ... كما انتفض السلواة من بلل القطر

وقال الكسائي: السلوى واحدة، وجمعه سلاوى: نقله كله القرطبي](١).

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أمر إباحة وإرشاد وامتنان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا، كما قال: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ [سبأ: ١٥] فخالفوا وكفروا، فظلموا أنفسهم؛ هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات، والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات.

ومن ها هنا (تتبين)(٩) فضيلة أصحاب محمد (ﷺ)(١٠) ورضي الله عنهم، على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، (كما كانوا)(١١) معه في أسفاره وغزواته، منها عام تبوك، في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد، لم يسألوا خرق عادة، ولا إيجاد أمر، مع أن ذلك كان سهلاً على (الرسول)(١٢) ﷺ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم، فجمعوا ما معهم، فجاء قدر مبرك الشاة، فدعا الله فيه، وأمرهم فملئوا كل وعاء معهم. وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى، (فجاءت)(١٣) سحابة فأمطرتهم فشربوا وسقوا الإبل، وملئوا أسقيتهم، ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر.

فهذا هو الأكمل في الاتباع: المشي مع قدر الله، مع متابعة الرسول ﷺ.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(٢) في «تفسيره» (١/٤٠٧).
(٣) بكسر الراء المشددة، ابن عمرو، أبو فيد السدوسي أحد أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي، من طبقة سيبويه والنضر بن شميل. توفي سنة (١٩٥) يوم موت أبي نواس الشاعر المعروف.
(٤) في (ل): «سبلى»!
(٥) في (ك): «يسقى»؛ وفي (ل): «شفى».
(٦) في (ن): «مفرج».
(٧) بياض في (ع) و(ى).
(٨) في (ن): «وويلى»!
(٩) في (ج): «يتبين».
(١٠) في (ج) و(ض) و(ك): «صلوات الله وسلامه عليه».
(١١) في (ن): «مع ما كانوا».
(١٢) في (ن): «النبي».
(١٣) في (ن): «فجاءتهم».

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى، لائماً لهم على نكولهم عن الجهاد، ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى ﷺ؛ فأُمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم، وضعفوا، واستحسروا؛ فرماهم الله (تعالى)[١] في التيه عقوبةً لهم، كما ذكره تعالى في «سورة المائدة».

ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نص على ذلك السدي[٢]، والربيع[٣] بن أنس، وقتادة[٤]، [٥][أبو مسلم الأصفهاني، وغير واحد. [٦][وقد قال (الله)[٧] تعالى][٦]، حاكياً عن موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (وَلَا تَرْتَدُّوا) . . .﴾ الآيات [المائدة: ٢١][٨]][٥].

وقال آخرون: هي أريحا، [٩][ويحكى عن ابن عباس، وعبد الرحمٰن[١٠] بن زيد][٩]، وهذا بعيد؛ لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحا، [٩][وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر، حكاه (فخر الدين)[١١] (الرازي)[١٢] في «تفسيره»[١٣] والصحيح الأول: أنها بيت المقدس][٩].

(وكان[١٤] هذا) لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنةً مع يوشع بن نون ﷺ، وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح[١٥]. [١٦][وأما «أريحا»، فقرية ليست مقصودةً لبني إسرائيل][١٦].

ولما فتحوها أُمروا أن يدخلوا الباب، باب البلد، ﴿سُجَّدًا﴾ أي: شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، ورد بلدهم عليهم، وإنقاذهم من التيه والضلال.

قال العوفي[١٧] في «تفسيره»، عن ابن عباس إنه كان يقول في قوله (تعالى)[١٨]: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: ركعاً.

---

(١) من (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ى).
(٢) أخرجه ابن جرير (١٠٠٠) وسنده حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير (١٠٠١) وسنده ضعيف لجهالة شيخ الطبري.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٦) ومن طريقه ابن جرير (٩٩٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٧٣). [وسنده صحيح].
(٥) ساقط من (ز) و(ض).
(٦) ساقط من (هـ).
(٧) لفظ الجلالة من (ن).
(٨) من (ن).
(٩) ساقط من (ز) و(ض).
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٠٠٢) وسنده صحيح.
(١١) ساقط من (ن) و(هـ).
(١٢) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).
(١٣) انظر: «تفسير الرازي» (٢/ ٩٤).
(١٤) في (ز) و(ك) و(ن): «وهذا كان». وفي (هـ): «وهذا».
(١٥) وسيأتي الكلام عن هذا مفصلاً في سورة «المائدة» إن شاء الله تعالى.
(١٦) ساقط من (ز) و(ض).
(١٧) ومن طريقه ابن جرير (١٠٠٦) وسنده ضعيف.
(١٨) من (ن).

وقال ابن جرير[(١)]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ [(٢)][في قوله (تعالى)[(٣)]][(٢)] ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال: رُكعاً من باب صغير.

ورواه الحاكم من حديث سفيان به. ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان ـ وهو الثوري ـ به؛ وزاد: فدخلوا من قبل أستاههم.

[(٤)][وقال الحسن البصري: أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم. واستبعده الرازي[(٥)]. وحكى عن بعضهم أن المراد بالسجود (ها هنا)[(٦)] الخضوع لتعذر حمله على حقيقته][(٤)].

وقال خصيف[(٧)]: قال عكرمة: قال ابن عباس: كان الباب قبل القبلة، وقال [(٨)](ابن عباس، و)[(٨)] مجاهد[(٩)]، والسدي، وقتادة[(١٠)]، والضحاك: هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس، [(٨)][وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهةً من جهات القبلة][(٨)].

وقال خصيف[(١١)]: قال عكرمة: قال ابن عباس: فدخلوا على شق.

وقال السدي[(١٢)]، عن أبي سعد الأزدي، عن أبي الكنود، عن عبد الله بن مسعود؛ قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً، فدخلوا مقنعي رؤوسهم؛ أي: رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا.

[(١٣)][وقوله (تعالى)[(١٤)]:][(١٣)] ﴿(وَقُولُوا)[(١٥)] حِطَّةٌ﴾ قال الثوري[(١٦)]، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال: مغفرة استغفروا.

وروي عن عطاء[(١٧)]، والحسن[(١٨)]، وقتادة، والربيع[(١٩)] بن أنس نحوه.

وقال الضحاك[(٢٠)]، عن ابن عباس: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال: قولوا هذا الأمر حق، كما قيل لكم.

---

(١) في «تفسيره» (١٠٠٧) وأخرج نحوه (١٠٠٨) من طريق أبي أسامة عن الثوري بسنده سواء وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٧٧، ٥٨٠، ٥٩٤)؛ والحاكم (٢/ ٢٦٢) من طريق سفيان الثوري به. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ل) و(ى).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) في «تفسيره» (٢/ ٩٤).

(٦) ساقط من (ع) و(هـ) و(ى). ووقع في (ن): «هاهنا بالسجود».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٧٧) وسنده صالح.

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد].

(١٠) [ذكرهم ثلاثتهم ابن أبي حاتم بحذف السند].

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٨١). [وفي سنده خصيف: سيء الحفظ].

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٨٣) بسند ضعيف.

(١٣) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ى).

(١٤) من (ن).

(١٥) ساقط من (ك).

(١٦) أخرجه ابن جرير (١٠١٢، ١٠١٦)؛ وابن أبي حاتم (٥٨٤). [وسنده حسن].

(١٧) أخرجه ابن جرير (١٠١٤) بسند جيد.

(١٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٧) عن الحسن وقتادة معاً ومن طريقه ابن جرير (١٠٠٩). [وسنده صحيح].

(١٩) أخرجه ابن جرير (١٠١٣) بسند ضعيف.

(٢٠) أخرجه ابن جرير (١٠١٧)؛ وابن أبي حاتم (٥٨٥) بسند ضعيف.

وقال عكرمة[١]: قولوا: «لا إله إلا الله».

[٢][وقال الحسن، وقتادة: أي: احطط عنا خطايانا][٢].

وقال الأوزاعي[٣]: كتب ابن عباس إلى رجل قد سماه، يسأله عن قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ فكتب إليه أن أقروا بالذنب.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هذا جواب الأمر؛ أي: إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات، وضاعفنا لكم الحسنات[٤].

وحاصل الأمر أنهم أُمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم، ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها، والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر] فسره بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر. وفسره ابن عباس[٥] بأنه نعى إلى رسول الله ﷺ أجله فيها، وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه.

ولا منافاة بين أن يكون قد أُمر بذلك عند ذلك، ونُعي إليه روحه الكريمة أيضاً؛ ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جداً عند النصر؛ كما رُوي[٦] أنه كان يوم الفتح ـ فتح المكة ـ داخلاً إليها من الثنية العليا، وإنه لخاضع لربه حتى إن (عثنونه)[٧] ليمس مورك رحله (يشكر)[٨] الله على ذلك. ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات؛ وذلك ضحًى؛ فقال بعضهم: هذه صلاة الضحى. وقال آخرون: بل هي صلاة الفتح[٩]. فاستحبوا للإمام وللأمير إذا

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٠١٥)؛ وابن أبي حاتم (٥٨٦) من طريق حفص بن عمر، ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة. وحفص بن عمر متروك ولكنه لم يتفرد به فتابعه إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه مثله. أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٥٦٤)؛ وإبراهيم شبه المتروك. وعزاه السيوطي (١/ ٧١) لعبد بن حميد.

(٢) قول الحسن وقتادة متأخر بعد قول الأوزاعي في (ز) و(ض) و(ن). وأخرج قولهما هذا عبد الرزاق (١/ ٤٧) ومن طريقه ابن جرير (١٠٠٩) وتقدم الإشارة إليه. [وسنده صحيح].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٨٧) وسنده ضعيف لإعضاله.

(٤) جاء بعد هذه الجملة في (ع) و(هـ): «وحكى الرازي أنه عني بالباب جهة من جهات القرية» وقد تقدم هذا الكلام في موضعه عند قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ [النساء: ١٥٤] ولا معنى لذكره هنا. والله أعلم.

(٥) كما أخرجه البخاري (٦/ ٦٢٨؛ و٨/ ٢٠، ١٢٠، ٧٣٥)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه مختصراً.

(٦) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٤/ ١٩)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٦٨) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: «لما نزل رسول الله ﷺ بذي طوى، ورأى ما أكرمه الله به من الفتح، جعل رسول الله ﷺ يتواضع لله، حتى إنه ليقول: قد كاد عثنونه أن يصيب واسطة الرحل».
وهذا مرسل حسن الإسناد، وله شاهد موصول أخرجه البيهقي (٥/ ٦٨، ٦٩) من طرق عبد الله بن أبي بكر المقدمي، ثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وذقنه على رحله متخشعاً، وسنده صحيح.

(٧) في (ل): «عيونه»! ووقع في (ك) و(هـ): «عسنونه» بالسين وكلاهما تصحيف والعثنون: اللحية، أو ما فضل منها بعد العارضين.

(٨) في (ن) و(هـ): «شكراً لله».

(٩) وهكذا رجح ابن القيم رحمه الله. وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٤١٠).

فتح بلداً أن يصلِّي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله، كما فعل سعد بن أبي وقاص[١] ﷺ لما دخل إيوان كسرى؛ صلى فيه ثماني ركعات. والصحيح أنه يفصل بين كل ركعتين بتسليم؛ وقيل: يصليها كلها بتسليم واحد. والله أعلم.

[٢][وقد تكلم القرطبي[٣] ها هنا على مسألة رواية الحديث بالمعنى، وأطال الكلام فيها، وحكى عن الجمهور وعن محمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة المنع، واختار ابن العربي[٤] المالكي أن ذلك يجوز (في زمن)[٥] الصحابة والتابعين لعلمهم باللغة، وقدرتهم على المطابقة، وأما من بعدهم فلا يجوز وقد أنكر بعض العلماء[٦] على ابن العربي التفرقة والله أعلم.

قال وكيع: إن لم تكن الرواية بالمعنى فقد هلك الناس. وصدق وكيع.

وقال الحسن البصري: إذا أصبت المعنى أجزأك. وقال قتادة عن زرارة: لقيت عدةً من الصحابة، فاختلفوا علي في اللفظ، واجتمعوا في المعنى][٢].

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: قال البخاري[٧]: (حدثني)[٨] محمد، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا حبة في شعرة».

ورواه النسائي، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمٰن (بن مهدي)[٩] به - موقوفاً؛ وعن محمد بن عبيد بن محمد، عن ابن المبارك ببعضه مسنداً في قوله تعالى: ﴿حِطَّةٌ﴾ قال: [١٠][فبدلوا (فقالوا)[١١]][١٠] حبة.

---

(١) ذكر المصنف رحمه الله خبر سعد ﷺ في «البداية والنهاية» (٧/ ٧٤) في أحداث سنة «ست عشرة».

(٢) من (ل)، وكتب في (ج) و(ى) في الحاشية. (٣) في «تفسيره» (١/ ٤١١ - ٤١٤).

(٤) في «أحكام القرآن» (١/ ٢٢).

(٥) كذا في (ج) و(ى)؛ وفي (ل): «في المطابقة ومن»!!

(٦) قال القرطبي (١/ ٤١٤) بعد تلخيص كلام ابن العربي: «قال بعض علمائنا: لقد تعاجم ابن العربي رحمه الله، فإن الجواز إذا كان مشروطاً بالمطابقة فلا فرق بين زمن الصحابة والتابعين وزمن غيرهم، ولهذا لم يفصل أحد من الأصوليين ولا أهل الحديث هذا التفصيل. نعم؟ لو قال: المطابقة في زمنه أبعد كان أقرب. والله أعلم». اهـ.
وانظر بحث الرواية بالمعنى وجوازه من عدمه في «الكفاية» (ص١٧١ - ٢٠٣) للخطيب البغدادي.

(٧) في «تفسير سورة البقرة» من «صحيحه» (٨/ ١٦٤).

(٨) من (ز) وهو الموافق لما في «الصحيح»، وفي بقية الأصول: «حدثنا». ومحمد، شيخ البخاري قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٦٤): «لم يقع منسوباً إلا في رواية أبي علي بن السكن، عن الفربري فقال: محمد بن سلام، ويحتمل عندي أن يكون محمد بن يحيى الذهلي فإنه يروى عن عبد الرحمٰن بن مهدي أيضاً، أما أبو علي الجياني فقال: الأشبه أنه محمد بن بشار».

(٩) ساقط من (ن).

(١٠) ساقط من (ج) و(ل).

(١١) في (ن): «وقالوا».

وقال عبد[1] الرزاق: أنبأنا معمر، عن همام بن منبه ـ أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «قال الله لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم: فقالوا: حبة في شعرة.

وهذا حديث صحيح رواه البخاري، عن إسحاق بن نصر، ومسلم، عن محمد بن رافع، والترمذي عن (عبد)[2] بن حميد، كلهم عن عبد الرزاق، به.

وقال الترمذي: «حسن صحيح»[3].

وقال محمد بن[4] إسحاق: كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، وعمن لا أتهم، عن ابن عباس ـ أن رسول الله ﷺ قال: «دخلوا الباب ـ الذي أُمروا أن يدخلوا فيه سجداً ـ يزحفون: على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شعيرة».

وقال أبو[5] داود: حدثنا أحمد بن صالح، وحدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)[6] عن النبي ﷺ: «قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولها حطة نغفر لكم خطاياكم»؛ ثم قال[7] أبو داود: حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا ابن أبي فديك، عن هشام (بمثله)[8].

هكذا رواه منفرداً به في «كتاب الحروف» مختصراً.

وقال ابن مردويه[9]: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن (فهد)[10]، حدثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز، حدثنا محمد بن إسماعيل بن (أبي)[11] فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦/ ٤٣٦).

(٢) في (ن): «عبد الرحمٰن»!!

(٣) [السنن (٢٩٥٦)].

(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٢٠) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة وعلي بن مجاهد، قالا: حدثنا محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة مرفوعاً وسنده ضعيف جداً، ومحمد بن حميد الرازي شيخ الطبري واه، وصالح مولى التوأمة ضعيف لاختلاطه لأنه طعن في الكبر، حتى قال ابن عيينة: «سمعت منه ولعابه يسيل من الكبر» وطعن فيه مالك لأنه أدركه بعد ما تغير واختلط كما قال أحمد وابن معين، فمن سمع منه قبل الاختلاط مثل ابن أبي ذئب فسماعه جيد. والراوي عنه هنا هو صالح بن كيسان، ولم ينصوا أنه سمع منه قبل الاختلاط. والله أعلم.

(٥) في «سننه» (٤٠٠٦) وسنده جيد، وهشام بن سعد وإن تكلم فيه بعض أهل العلم، فهو من أثبت الناس في زيد بن أسلم وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧١) للضياء في «المختارة». [وقال الألباني: حسن صحيح وصحيح سنن أبي داود ح].

(٦) من (ز) و(ن).

(٧) رقم (٤٠٠٧).

(٨) في (ز) و(ض) و(ك) و(هـ): «مثله».

(٩) وأخرجه البزار (١٨١٢ ـ كشف الأستار) قال: حدثنا إسحاق بن بهلول الأنباري، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك بسنده سواء وفيه قصة. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» مثله، قال البزار: «لا نعلم أحداً رواه هكذا إلا محمد بن إسماعيل». وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٤٤): «رجاله ثقات».

(١٠) في (ز) و(ن): «مهدي».

(١١) ساقط من (ك) و(ض).

إذا كان من آخر الليل (أجزنا)(١) في (ثنية)(٢) يقال لها: «ذات الحنظل»؛ فقال رسول الله ﷺ: «ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم».

وقال سفيان(٣) الثوري: عن أبي إسحاق، عن البراء: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] قال اليهود: قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً ـ قال: رُكعاً، وقولوا حطة؛ أي: مغفرة؛ فدخلوا على أستاههم، وجعلوا يقولون: حنطة حمراء فيها شعيرة؛ فذلك قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال الثوري(٤)، عن السدي، عن أبي سعد الأزدي، عن أبي الكنود، عن ابن مسعود: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ (فقالوا(٥): حنطة) حبة حمراء فيها شعيرة؛ فأنزل الله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال أسباط(٦)، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود: أنه قال: إنهم قالوا: «هطا سمعاثا أزبة مزبا»؛ فهي بالعربية حبة حنطة حمراء (مثقوبة)(٧) فيها شعرة سوداء؛ فذلك قوله (تعالى)(٨): ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال الثوري(٩)، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد، عن ابن عباس في قوله (تعالى)(٣): ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال: رُكعاً من باب صغير، (يدخلون)(١٠) (فيه)(١١) من قبل أستاههم،

---

(١) في (هـ): «اجتزنا».

(٢) في (ج) و(ض) و(ى): «سرية»، وأشار في (ى) إلى أنه وقع في نسخة: «ثنية».

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «الطبقات» (٧٨٣) قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جميل، ثنا عبد الله بن عمر، ثنا وكيع، عن سفيان الثوري به. وشيخ أبي الشيخ صدوق، وبقية السند ثقات معروفون، وهو سند صحيح لولا تدليس أبي إسحاق. واستغرب أبو الشيخ هذا الحديث. وأما قوله في الحديث أن السفهاء هم اليهود فقد أخرجه النسائي والترمذي وغيرهما ويأتي تخريجه عند الآية (١٤١) إن شاء الله.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٢٣)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٢) من طريق عبد الرحمٰن بن مهدي؛ والطبراني في «الكبير» (ج٩/رقم ٩٠٢٧) عن محمد بن يوسف الفريابي كلاهما عن سفيان الثوري بسنده سواء.
ووقع عند ابن جرير وابن أبي حاتم: «عن أبي سعيد الأزدي» وصوابه: «أبو سعد» وقد ترجمه البخاري في «الكنى» رقم (٣١٣) وقال: «سمع زيد بن أرقم، روى عنه السدي ويزيد بن أبي زياد وعن أبي الكنود».اهـ فقوله: وعن أبي الكنود؛ يعني: أنه روى عن أبي الكنود ولم يذكر فيه شيئاً وترجمه ابن أبي حاتم (٤/٢/٣٧٨) ولم يحك فيه شيئاً وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/٥٦٨)؛ وأبو الكنود وثقه ابن حبان (٥/٤٤)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٦/١٧٧) وقال: «له أحاديث يسيرة» وقد روى ابن ماجه (٤١٢٧) حديثاً من طريق السدي، عن أبي سعد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب ﷺ، فقال البوصيري في «الزوائد» (٣/٢٧٧): «هذا إسناد صحيح». [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٣٣٢٩)].

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٣) بسند حسن.

(٧) في (ض): «مستوية»؛ وفي (ل): «منقوشة». (٨) من (ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٢٤) عن أبي أحمد الزبيري، وابن أبي حاتم (٥٩٤) عن يحيى بن آدم كلاهما عن سفيان الثوري بسنده سواء. وهذا سياق ابن أبي حاتم وسنده جيد.

(١٠) في (ز) و(ن): «فدخلوا». (١١) من (هـ).

وقالوا: حنطة؛ (فهو)[(١)] قوله (تعالى)[(٢)]: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وهكذا روى عن عطاء، ومجاهد[(٣)]، وعكرمة[(٤)]، والضحاك، والحسن[(٥)]، وقتادة[(٥)]، والربيع[(٦)] بن أنس، ويحيى بن رافع.

وحاصل ما ذكره المفسرون، وما دل عليه السياق (من الحديث)[(٧)] أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً، فدخلوا يزحفون على أستاههم (من قبل أستاههم)[(٨)]، رافعي رؤوسهم. وأُمروا أن يقولوا حطة؛ أي: احطط عنا ذنوبنا (وخطايانا)[(٩)] فاستهزوا فقالوا: حنطة في (شعرة)[(١٠)]. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم؛ وهو خروجهم عن طاعته.

ولهذا قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

وقال الضحاك[(١١)]، عن ابن عباس: كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب.

وهكذا روى عن مجاهد، وأبي مالك، والسدي، والحسن، وقتادة[(١٢)] - أنه العذاب.

وقال أبو العالية[(١٣)]: الرجز: الغضب.

وقال الشعبي[(١٤)]: الرجز: إما الطاعون، وإما البرد.

وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون.

وقال ابن أبي[(١٥)] حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن إبراهيم بن سعد - يعني: ابن أبي وقاص -، عن سعد بن مالك، وأسامة بن زيد، وخزيمة بن ثابت ﷺ؛ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجز عذاب عُذب به من كان قبلكم».

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري، به.

---

(١) في (ن): «فذلك». (٢) من (ن).
(٣) أخرجه ابن جرير (٧/ ١٠، ١٠٢٨). [وسنده صحيح].
(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٣١) من طريق النضر بن عربي، عن عكرمة. وفي إسناده سفيان بن وكيع شيخ ابن جرير وفيه مقال. ووقع عند ابن جرير: «النضر بن عدي»! وهو تصحيف.
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٧) ومن طريقه ابن جرير (١٠٢٦) أنبأنا معمر، عن قتادة والحسن فذكره. [وسنده صحيح].
(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٣٢) قال: حدثت عن عمار بن الحسن، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس. وهذا إسناد منقطع.
(٧) ساقط من (ن). (٨) ساقط من (ج).
(٩) من (ن). (١٠) في (ك) و(ل) و(ن): «شعيرة».
(١١) أخرجه ابن جرير (١٠٤٢)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٦) بسند ضعيف.
(١٢) أخرجه ابن جرير (١٠٣٨). [وسنده صحيح].
(١٣) أخرجه ابن جرير (١٠٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٧). [وسنده جيد].
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٩٨) وسنده ضعيف جداً.
(١٥) في «تفسيره» (٥٩٥). وأخرجه مسلم (٢٢١٨/ ٩٧).

وأصل الحديث في «الصحيحين»[١] من حديث حبيب بن أبي ثابت: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها...» الحديث.

قال ابن جرير[٢]: أخبرني يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن يونس، عن الزهري؛ قال: (أخبرني)[٣] عامر بن سعد بن أبي وقاص؛ عن أسامة بن زيد، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن هذا الوجع (أو)[٤] السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم».

وهذا الحديث أصله مخرج في «الصحيحين» من حديث الزهري؛ ومن حديث مالك[٥]، عن محمد بن المنكدر، وسالم بن أبي النضر، عن عامر بن سعد بنحوه.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، (وتفجير)[٦] الماء لكم منه من ثنتي عشرة عيناً، لكل سبط من أسباطكم عين قد (عرفوها)[٧] فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد، واعبدوا الذي سخر لكم ذلك؛ ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها.

وقد بسطه المفسرون في كلامهم، كما قال ابن عباس (رضي الله عنه)[٨] وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع، وأمر موسى عليه السلام، فضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، في كل ناحية منه ثلاث عيون، وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها، لا يرتحلون من (مَنْقَلَة)[٩] إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول.

وهذا قطعةٌ من الحديث الذي رواه النسائي[١٠]، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وهو حديث الفتون الطويل.

وقال عطية[١١] العوفي: وجعل لهم (حجر)[١٢] مثل رأس الثور، يحمل على ثور؛ فإذا نزلوا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٠/ ١٧٨، ١٧٩)؛ ومسلم (٢٢١٨/ ٩٧).
(٢) في «تفسيره» (١٠٣٦)؛ وأخرجه أيضاً في «تهذيب الآثار» (٨٩ ـ القسم المتمم).
وأخرجه البخاري (١٢/ ٣٤٤)؛ ومسلم (٢٢١٨/ ٩٦).
(٣) في (خـ): (أخبرنيه).
(٤) في (ن): (و).
(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٥١٣)؛ ومسلم (٢٢١٨/ ٩٨).
(٦) في (ز): «تفجيرى».
(٧) في (ج): «عرفوا».
(٨) من (ن).
(٩) في (ك): «مقلة»!
(١٠) ويأتي تخريجه إن شاء الله تعالى في «سورة طه».
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٣) وإسناده حسن. أما المعلق على تفسير ابن أبي حاتم فقال: «حديث منكر والمتهم به عطية» فنقول: أين هذا الحديث الذي اتهم به عطية؟ إنما هو قوله، وإنما ينظر في السند إليه، فلو أن كذاباً قال قولاً وصح السند إليه، فهل نقول: لم يقله لأنه كذاب؟!
(١٢) في (هـ): «حجراً» على اعتبار أن الفعل «جعل» مبني للمعلوم.

منزلاً وضعوه، فضربه موسى (عليه[1] السلام) بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، فإذا ساروا حملوه على ثور، فاستمسك الماء.

وقال عثمان[2] بن عطاء الخراساني، عن أبيه: كان لبني إسرائيل حجر، فكان يضعه هارون، ويضربه موسى بالعصا.

وقال قتادة[3]: كان حجراً طورياً من الطور، يحملونه معهم، حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه.

[4][وقال الزمخشري[5]: وقيل كان من رخام، وكان ذراعاً في ذراع. وقيل: مثل رأس الإنسان. وقيل: كان من (آس)[6] الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى، وله شعبتان تتقدان في الظلمة، وكان يحمل على حمار.

قال[7]: وقيل: أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب، فدفعه إليه مع العصا.

وقيل: هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل، فقال له جبريل: ارفع هذا الحجر، فإن فيه قدرةً، ولك فيه معجزة؛ فحمله في مخلاته.

قال الزمخشري[5]: ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد؛ أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر][4].

[8][وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه.

قال[9]: وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة؛ فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر، ثم يضربه فييبس؛ فقالوا: إن فقد موسى (عصاه)[10] عطشنا؛ فأوحى الله إليه أن يكلم الحجارة فتنفجر، ولا يمسها بالعصا لعلهم يقرون. والله أعلم][8].

وقال يحيى[11] بن النضر: قلت لجويبر: كيف علم كل أناس مشربهم؟ قال: كان موسى يضع الحجر، ويقوم من كل سبط رجل، ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً، فينضح من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين.

[12][وقال الضحاك[13]: قال ابن عباس: لما كان بنو إسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهاراً][12]، وقال (سفيان)[14] الثوري، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس[15]؛ قال:

---

(١) من (ن).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٤) وعثمان بن عطاء متروك.
(٣) أخرجه ابن جرير (١٠٤٣) وسنده صحيح.
(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(٥) في «الكشاف» (١/ ٧١).
(٦) ساقط من (ن).
(٧) يعني: الزمخشري.
(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(٩) يعني: الزمخشري.
(١٠) في (ن): «هذا الحجر».
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٩) وسنده ضعيف جداً. ويحيى بن النضر، هكذا وقع في «أصول» التفسير، وصوابه: «يحيى أبو النضر» وهو يحيى بن كثير، وهو واه.
(١٢) هذه الفقرة مؤخرة عن التي تليها في (ج).
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧) وسنده ضعيف لانقطاعه بين الضحاك وابن عباس.
(١٤) ساقط من (ن).
(١٥) أخرجه ابن جرير (١٠٤٥) قال: حدثني عبد الكريم، قال: أخبرنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان، =

ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر، فصار منه اثنتا عشرة عيناً من ماءٍ، لكل سبط منهم عين يشربون منها.

وقال مجاهد[١] نحو قول ابن عباس.

وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في «سورة الأعراف»، ولكن تلك مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب؛ لأن الله تعالى يقص على رسوله ﷺ ما فعل بهم.

(وأما)[٢] في هذه السورة وهي «البقرة» فهي مدنية؛ فلهذا كان الخطاب (فيها)[٣] متوجهاً إليهم، وأخبر هناك بقوله: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الأعراف: ١٦٠] وهو أول الانفجار. وأخبر ها هنا بما آل إليه الحال آخراً، وهو الانفجار؛ فناسب ذكر (هذا)[٤] ها هنا وذاك هناك. والله أعلم. [٥][وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية ومعنوية، قد سأل عنها (الرازي)[٦] في «تفسيره»[٧]، وأجاب عنها بما عنده، والأمر في ذلك قريب. والله أعلم»][٥].

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾.

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى طعاماً طيباً نافعاً، هنيئاً سهلاً؛ واذكروا دَبَركم[٨] وضجركم مما (رزقناكم)[٩]، وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة[١٠] من البقول ونحوها مما سألتم.

وقال الحسن البصري: فبطروا ذلك (ولم)[١١] يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه،

= عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس. وسفيان الواقع في السند هو ابن عيينة وإبراهيم بن بشار الرمادي من قدماء أصحابه، فقول المصنف رحمه الله أن سفيان هو الثوري فيه نظر، فإن الرمادي لم يدرك الثوري وبين وفاتيهما سبع وستون عاماً أو أقل قليلاً. وقد صرح ابن جرير أن سفيان هو ابن عيينة في موضع آخر من «تفسيره» (٨٩٢) بذات السند هنا وأبو سعيد هو عبد الكريم بن مالك الجزري. وهذا سند جيد.

(١) أخرجه ابن جرير (١٠٤٦). [بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد].

(٢) في (ج): «وما».

(٣) من (ز) و(ن).

(٤) في (ن): «الانفجار»!

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).

(٦) في (ن): «الزمخشري».

(٧) انظر: «تفسير الرازي» (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٤).

(٨) يعني: تألمكم ونفوركم؛ من «دبر البعير وحفي».

(٩) كذا في (ك) و(ل) و(ن) و(هـ)؛ وفي (ز) و(ض) و(ى): «رزقتكم»؛ وفي (ج): «رزقكم».

(١٠) كذا قال المصنف رحمه الله: والمعروف أن باء الاستبدال إنما تلتحق بالمتروك، فلا يقال: استبدلت الثوب القديم بثوب جديد، وإنما يقال: استبدلت الثوب الجديد بثوب قديم، فـ«الباء» إنما تلتحق بما تركته، وأنت تركت القديم لا الجديد وفي هذه الآية ما يدل على ذلك فقال تعالى: «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير» فهم تركوا الذي هو خير، فالتحقت الباء بما تركوه. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ [النساء: ٢] فقد نهوا أن يتركوا الطيب، فالتحقت الباء به. والله أعلم.

(١١) في (ن): «فلم».

وكانوا قوماً أهل أعداس وبصل (وبقول)[(١)] وفوم؛ فقالوا: ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[(٢)] [(٣)][وإنما قالوا على طعام واحد، وهم يأكلون المن والسلوى؛ لأنه لا (يتبدل)[(٤)] ولا يتغير كل يوم؛ فهو مأكل واحد][(٣)].

فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة.

وأما الفوم فقد اختلف السلف في معناه؛ فوقع في قراءة[(٥)] ابن مسعود؛ «وثومها» بالثاء.

وكذا فسره مجاهد[(٦)] في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم. وكذا الربيع[(٧)] بن أنس، وسعيد بن جبير.

وقال ابن أبي[(٨)] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحاق البصري، عن يونس، عن الحسن في قوله: (﴿وَفُومِهَا﴾)؛ قال: قال ابن عباس: الثوم. قال: وفي اللغة القديمة: فوِّموا لنا بمعنى اختبزوا.

وقال ابن جرير[(٩)]: فإن كان ذلك صحيحاً فإنه من الحروف المبدلة؛ كقولهم: وقعوا في عاثور شر وعافور شر، وأثافي وأثاثي، ومغافير ومغاثير، وأشباه ذلك مما تقلب الفاء ثاءً والثاء فاءً لقرب مخرجيهما. والله أعلم.

وقال آخرون: الفوم: الحنطة، وهو البر الذي يعمل منه الخبز.

قال ابن أبي[(١٠)] حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءةً، أنبأنا ابن وهب قراءةً، حدثني

---

(١) في (ن): «بقل».

(٢) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق عباد بن منصور عن الحسن البصري].

(٣) ساقط من (ح) و(ز) و(هـ).

(٤) في (ج): «يبدل».

(٥) ذكرها ابن جرير (٢/ ١٣٠ ـ شاكر) بصيغة التمريض فقال: «وذكر أن ذلك قراءة عبد الله بن مسعود: «ثومها»» بالثاء، فإن كان ذلك صحيحاً، فإنه من الحروف المبدلة، كقولهم: وقعوا في عاثور شر، وعافور شر، وكقولهم: للأثافي، أثاثي؛ وللمغافير: «مغاثير، وما أشبه ذلك مما تقلب الثاء فاءً، والفاء ثاءً، لتقارب مخرج الفاء مخرج الثاء...».اهـ. ولم تصح هذه القراءة عن ابن مسعود، وذكرها سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٩١)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٥٦) بسندين معضلين إلى ابن مسعود وهذه القراءة التي نسبها ابن جرير إلى ابن مسعود لم يقرأ بها أحد من أصحاب القراءات المتواترة. والله أعلم.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٧٧). وليث بن أبي سليم ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٠٧٨) وشيخ ابن جرير: المثنى بن إبراهيم لم أجد له ترجمة. والله أعلم.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٩) ورجاله موثقون؛ إلا أنه منقطع بين الحسن وابن عباس.

(٩) في «تفسيره» (٢/ ١٣٠ ـ شاكر).

(١٠) في «تفسيره» (٦١٨).

وأخرجه ابن جرير (١٠٧٦) من طريق عبد العزيز بن منصور، عن نافع بن أبي نعيم عن ابن عباس وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٠/رقم ١٠٥٩٧) من طريق جويبر، عن الضحاك بن مزاحم الهلالي قال: خرج نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رؤوس الخوارج لينقروا عن العلم ويطلبوه، حتى قدموا مكة فإذا هم بعبد الله بن عباس، فذكر صحيفة من أسئلتهم له وفيها هذا القدر. والوجه الأول منقطع بين نافع بن أبي نعيم وابن عباس. والوجه الثاني ساقط، لأن جويبراً هالك. والله أعلم. [وأخرجه نافع بن أبي نعيم متصلاً عن عبد الرحمٰن الأعرج عن ابن عباس. تفسير نافع بن أبي نعيم بتحقيق حكمت بشير ص٤٥].

نافع بن أبي نعيم ـ أن ابن عباس سئل عن قول الله: ﴿وَفُومِهَا﴾ ما فومها؟ قال: الحنطة. قال ابن عباس: أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح، وهو يقول:

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن[١] جرير: حدثنا علي بن الحسن، [٢][حدثنا مسلم (الجرمي)[٣]][٢]، حدثنا عيسى بن يونس، عن (رشدين بن كريب)[٤]، عن أبيه، عن ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿وَفُومِهَا﴾ (قال: الفوم)[٥]: الحنطة بلسان بني هاشم.

[٦][وكذا قال علي[٧] بن أبي طلحة، (و)[٨]الضحاك[٩]، عن ابن عباس؛ وعكرمة[١٠]، عن ابن عباس إن الفوم: الحنطة][٦].

وقال سفيان[١١] الثوري: عن ابن جريج، عن مجاهد، وعطاء: ﴿وَفُومِهَا﴾ قالا: خبزها.

وقال هشيم[١٢]، عن يونس، عن الحسن، وحصين، عن أبي مالك: ﴿وَفُومِهَا﴾ قال: الحنطة.

وهو قول عكرمة، والسدي[١٣]؛ والحسن البصري[١٤]، وقتادة[١٤]، وعبد الرحمٰن[١٥] بن زيد بن أسلم، وغيرهم. فالله أعلم.

[١٦][وقال الجوهري: الفوم: الحنطة. وقال ابن دريد: السنبلة. وحكى القرطبي[١٧]، عن عطاء وقتادة ـ أن الفوم كل حب يختبز. قال: وقال بعضهم: هو الحمص، لغة شامية، ومنه يقال لبائعه: فاميٌّ مغير عن فومي][١٦].

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٠٧٥) وسنده ضعيف، لضعف رشدين بن كريب. [ويتقوىٰ بسابقه].
(٢) ساقط من (ل).
(٣) وقع في (ن): «الجرمي الجهني»! وهو مسلم بن عبد الرحمٰن، أو مسلم بن أبي مسلم، ترجمه الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ١٠٠) وقال: «كان ثقة» وترجمه الحافظ في «اللسان» (٦/ ٣٢) ونقل توثيقه عن ابن حبان وقال: «ربما أخطأ». وقال الأزدي: «حدث بأحاديث لا يتابع عليها، وكان إماماً بطرسوس».
(٤) في (ض): «زييد بن كعريب»!! وفي «ن»: «رشيد بن كريب»!.
(٥) في (ج): «فالفوم»؛ وفي (ل): «إن الفوم».
(٦) ساقط من (ل).
(٧) أخرجه ابن جرير (١٠٧٣). [وسنده ثابت].
(٨) في (ج): «عن»! وهو خطأ.
(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٧٤) وسنده ضعيف.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٧) وسنده واه، في سنده سعيد بن المرزبان متروك. [ويتقوىٰ بما سبق].
(١١) أخرجه ابن جرير (١٠٦٣)؛ وأخرجه أيضاً (١٠٦٤) من طريق أبي عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله. [وسنده صحيح].
(١٢) أخرجه ابن جرير (١٠٦٩) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: حدثنا هشيم به. والمثنى بن إبراهيم لم أقف له على ترجمة، ولكن أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٩٠) قال: نا خالد بن عبد الله. وأخرجه ابن جرير (١٠٦٧) عن هشيم كلاهما عن حصين، عن أبي مالك فذكر مثله. وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٧٧) لعبد بن حميد.
(١٣) أخرجه ابن جرير (١٠٦٨) وسنده حسن.
(١٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٧)، ومن طريقه ابن جرير (١٠٦٦) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن. [وسنده صحيح].
(١٥) أخرجه ابن جرير (١٠٧٢) وسنده صحيح.
(١٦) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ).
(١٧) في «تفسيره» (١/ ٤٢٥، ٤٢٦).

قال البخاري: وقال بعضهم: الحبوب التي تأكل كلها فوم.

وقوله تعالى: ﴿(قَالَ)[١] أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (فيه)[٢] تقريع لهم، وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد، والطعام الهنيء الطيب النافع.

وقوله (تعالى)[٣]: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ هكذا هو منونٌ مصروف مكتوب بالألف في المصاحف الأئمة العثمانية، وهو قراءة الجمهور بالصرف.

قال ابن جرير[٤]: ولا أستجيز القراءة بغير ذلك، لإجماع المصاحف على ذلك.

وقال ابن عباس: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال: مصراً من الأمصار. رواه ابن[٥] أبي حاتم من حديث أبي (سعد)[٦] البقال سعيد بن المرزبان، عن عكرمة، عنه؛ قال[٧]: وروي عن السدي[٨]، وقتادة[٩]، والربيع[١٠] بن أنس نحو ذلك.

وقال ابن جرير[١١]: وقع في قراءة أُبي بن كعب وابن مسعود «اهبطوا مصر» من غير إجراء؛ يعني: من غير صرف؛ ثم روي عن أبي العالية[١٢] والربيع بن أنس أنهما فسرا ذلك بمصر فرعون. [١٣][وكذا رواه ابن أبي حاتم[١٤] عن (أبي العالية)[١٥]، وعن الأعمش[١٦] أيضاً.

قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون][١٣] على قراءة الإجراء أيضاً. ويكون ذلك من باب الاتباع لكتابة المصحف؛ كما في قوله (تعالى)[١٧]: ﴿قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] ثم توقف في المراد ما هو؟ أمصر فرعون، أم مصر من الأمصار؟

---

(١) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).
(٢) ساقط من (ج).
(٣) من (ن).
(٤) في «تفسيره» (٢/ ١٣٦).
(٥) في «تفسيره» (٦٢٢) من طريق ابن عيينة وهذا في «تفسيره»؛ كما في «الدر المنثور» (١/ ٧١)، وعزاه السيوطي لابن جرير، ولم أجده فيه. فالله أعلم. وسنده واهٍ وأبو سعد البقال متروك.
(٦) في (ز) و(ض): «أبو سعيد» وكذلك هو في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ن): «أبو معبد» وكلاهما تصحيف.
(٧) يعني: ابن أبي حاتم.
(٨) أخرجه ابن جرير (١٠٨٢) وسنده حسن.
(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٨١) وسنده صحيح، ثم أخرجه (١٠٨٣) من وجه آخر عن قتادة فيه ضعف. وعزاه السيوطي (١/ ٧٣) لعبد بن حميد.
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٠٨٧) وسنده ضعيف.
(١١) في «تفسيره» (٢/ ١٣٥). [والقراءة شاذة].
(١٢) أخرجه ابن جرير (١٠٨٦)، وكذلك أخرج أثر الربيع برقم (١٠٨٧). [وسنده جيد].
(١٣) ساقط من (ل).
(١٤) في «تفسيره» (٦٢٣). [وسنده جيد].
(١٥) في (ن): «... أبي العالية والربيع»، وذكر «الربيع» غلط ولم يرو ابن أبي حاتم أثر الربيع، إنما رواه ابن جرير.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٤). وعزاه السيوطي (١/ ٧٣) إلى ابن الأنباري؛ وابن أبي داود في «المصاحف» وسنده صالح، وفيه إسحاق بن الحجاج الطاحوني ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ٢١٧) وذكر أن أباه وأبا زرعة كانا عزماً أن يخرجا إليه، وظاهر من ترجمته أنه متماسك، ولو علم أبو حاتم وأبو زرعة فيه جرحاً لصرحا به. والله أعلم.
(١٧) من (ن).

وهذا الذي قاله فيه نظر. والحق أن المراد مصر من الأمصار، كما روي عن ابن عباس وغيره. والمعنى على ذلك؛ لأن موسى عليه السلام يقول لهم: هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز؛ بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه.

ولهذا قال: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي: ما طلبتم؛ ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر، ولا ضرورة فيه، لم يجابوا إليه. والله أعلم.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي: وضعت عليهم، وألزموا بها شرعاً وقدراً؛ أي: لا يزالون (مستذلين)[١]؛ من وجدهم استذلهم، وأهانهم، وضرب عليهم الصغار؛ وهم (مع)[٢] ذلك في أنفسهم أذلاء (مستكينون)[٣].

قال الضحاك[٤]، عن ابن عباس - (في قوله)[٥]: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ قال: هم أصحاب القبالات؛ يعني: (أصحاب)[٤] الجزية.

وقال عبد الرزاق[٦]، عن معمر، عن الحسن، وقتادة - في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ قالا: يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

وقال الضحاك[٧]: وضربت عليهم الذلة - قال: الذل.

وقال الحسن[٨]: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين؛ ولقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجبيهم الجزية.

وقال أبو العالية[٩]، والربيع بن أنس، والسدي[١٠]: المسكنة: الفاقة.

---

(١) إلى هنا وانقطعت النسخة (هـ) إلى آخر سورة البقرة.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) كذا في (ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(ى): «مستكينين»؛ وفي (ض): «متمسكنين»؛ وفي (ز): «متمسكنون»؛ وفي (ل): «مستذلين».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٦) من طريق محمد بن القاسم الأسدي، عن عبيد بن طفيل الطفاوي، أبي سيدان، عن الضحاك، عن ابن عباس. وسنده واه جداً. ومحمد بن القاسم ساقط والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٥) ساقط من (ن).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٦٢٧) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (١/ ٤٧). [وسنده صحيح].

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٨) وسنده ضعيف جداً. وفي سنده جويبر وهو ساقط.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٩) وسنده جيد.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٨٩)؛ وابن أبي حاتم (٦٣١) وسنده حسن.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٠٩٠) وسنده حسن.

وقال عطية[١] العوفي: الخراج.

وقال الضحاك[٢]: الجزية.

وقوله (تعالى):[٣] ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الضحاك[٤]: استحقوا الغضب من الله.

وقال الربيع[٥] بن أنس: فحدث عليهم غضب من الله.

وقال سعيد بن[٦] جبير: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يقول: استوجبوا سخطاً.

وقال ابن[٧] جرير: يعني بقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ انصرفوا ورجعوا. ولا يقال: «باء» إلا موصولاً إما بخير وإما بشر؛ يقال منه: باء فلان بذنبه يبوء (به)[٨] بوءاً (وبواء)[٢]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩] يعني: تنصرف متحملهما، وترجع بهما قد صارا عليك دوني.

فمعنى الكلام: إذا رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب، ووجب عليهم من الله سخط.

وقوله (تعالى)[٩]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يقول تعالى: هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة وإحلال الغضب (بهم)[١٠] بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع، وهم الأنبياء وأتباعهم؛ فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا (كبر)[١١] أعظم من هذا؛ إنهم كفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياء الله بغير الحق؛ ولهذا جاء في الحديث «المتفق على[١٢] صحته» ـ أن رسول الله ﷺ قال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس».

وقال الإمام أحمد[١٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا إسماعيل، عن ابن عون، عن عمرو بن سعيد، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٢) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٣) وسنده ضعيف جداً، فيه جويبر وهو متروك.

(٣) من (ز) و(ن).

(٤) أخرجه جرير (١٠٩٣) وسنده ضعيف جداً.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٠٩٢)؛ وابن أبي حاتم (٦٣٥). [وسنده جيد].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٤) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. [وسنده حسن].

(٧) في «تفسيره» (٢/ ١٣٨).

(٨) ساقط من (ج).

(٩) من (ز) و(ن).

(١٠) في (ن): «بهم من الذلة».

(١١) في (ن): «كفر» وهو خطأ يدل عليه الحديث الذي رواه المصنف عقبه.

(١٢) كذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ! وهذا الحديث لم يخرجه البخاري في «صحيحه» إنما أخرجه في «التاريخ الكبير» (٣/ ١/ ٢)! وقد أخرجه مسلم (٩١/ ١٤٧).

(١٣) في «المسند» (١/ ٣٨٥) ومن طريقه الخطيب في «الأسماء المبهمة» (ص٣٧٠)؛ وأخرجه أيضاً (١/ ٤٢٧) قال: حدثنا ابن أبي عدي ويزيد، قالا: أخبرنا ابن عون بسنده سواء؛ وأخرجه أبو يعلى (ج٩/ رقم ٥٢٩١)؛ وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة»، كما في «الإصابة» (٥/ ٧٤٩)؛ والحاكم (٤/ ١٨٢)؛ وابن بشكوال في «الغوامض» (ص٢٧٩) من طرق عن ابن عون، عن عمرو بن سعيد البصري، عن حميد بن عبد الرحمٰن، عن ابن مسعود.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

حميد بن عبد الرحمٰن؛ قال: قال ابن مسعود: كنت لا أُحجب عن النجوى، ولا عن كذا ولا عن كذا، فأتيت رسول الله ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوي، (فأدركت)(١) من آخر حديثه، وهو يقول: يا رسول الله؛ قد قُسم لي من الجمال ما ترى، فما أحب أن أحداً من النَّاس فضلني بشراكين فما فوقهما؛ أليس ذلك هو البغي؟ فقال: لا، ليس ذلك من البغي، ولكن البغي من بطر»، أو قال: «سفه الحق، وغمط الناس»؛ يعني: رد الحق، وانتقاص الناس، والازدراء بهم، والتعاظم عليهم.

ولهذا لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله، وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وكساهم ذلاً في الدنيا موصولاً بذل الآخرة جزاءً وفاقاً.

قال أبو داود(٢) الطيالسي: حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود؛ قال: كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم (من)(٣) آخر النهار.

وقد قال الإمام(٤) أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبان، حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به؛ أنهم كانوا يعصون ويعتدون؛ فالعصيان: فعل المناهى. والاعتداء: المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به. والله أعلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَٰرَىٰ وَالصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

لما بيَّن تعالى حال من خالف أوامره، وارتكب زواجره، وتعدى في فعل ما (لا)(٥) إذن فيه، وانتهك المحارم؛ وما أحل بهم من النكال، نبَّه تعالى على أن من أحسن من الأمم السالفة وأطاع فإن له جزاءً الحُسنى.

---

(١) كذا في (ج) و(ل) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «المسند»؛ وفي (ز) و(ض): «فأدركته».

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي، كما في «الدر المنثور» (١/ ٧٣)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٦) وسنده صحيح. وأبو معمر هو عبد الله بن سخبرة.

(٣) كذا في (ك) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ل): «في».

(٤) في «مسنده» (١/ ٤٠٧).
وأخرجه البزار في «مسنده» (ج٢/رقم ١٦٠٣) قال: حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، حدثني أبي بسنده سواء. وقال: «لا نعلم أسنده عن أبي وائل غير أبان». وهذا سند جيد كما قال المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٠٤): وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود وشواهد عن جماعة من الصحابة ذكرتها في «تسلية الكظيم».

(٥) ساقط من (ج) و(ض) و(ل) و(ى).

وكذلك الأمر إلى قيام الساعة: كل من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس] وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

قال ابن أبي[(١)] حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر (العدني)[(٢)]، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ قال: قال سلمان (رضي الله عنه)[(٣)]: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم؛ (فذكر)[(٤)] من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ...﴾ إلى آخر الآية.

وقال السدي[(٥)]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي؛ بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه، فأخبره خبرهم؛ فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبياً. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله ﷺ: «يا سلمان؛ هم من أهل النار»؛ فاشتد ذلك على سلمان؛ فأنزل الله هذه الآية؛ فكان إيمان اليهود أنه [(٦)][من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى؛ فلما جاء عيسى كان][(٦)] من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً. وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتبع محمداً ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكاً.

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا.

(قلت)[(٧)]: وهذا لا ينافي ما روى علي بن[(٨)] أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) في «تفسيره» (٦٣٨).
وأخرجه ابن أبي عمر العدني في «مسنده»، كما في «الدر المنثور» (١/ ٧٣) وسنده ضعيف لانقطاعه بين مجاهد وسلمان رضي الله عنه.

(٢) في (ز) و(ض): «العوفي»؛ وفي (ن): «العدوى» وكلاهما خطأ.

(٣) من (ن).

(٤) في (ز) و(ل) و(ن): «فذكرت».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٠) قال: حدثنا أبو زرعة. وأخرجه ابن جرير (١١١٢) قال: حدثني موسى بن هارون قالا: حدثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي فذكره. وهذا سند ضعيف للانقطاع بين السدي وسلمان رضي الله عنه، وربما اختصر السدي السند، وسند نسخته في التفسير معروف. والله أعلم.
ثم صدق ما توقعته من الاحتمال والحمد لله، فقد رأيته في «كتاب التوحيد» (١/ ٣١٥، ٣١٦) لابن منده فرواه من طريقين عن عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله بن مسعود أن سلمان الفارسي رضي الله عنه... فذكره مثل سياق ابن أبي حاتم. وهذا سند حسن كما تقدم تحقيقه.
وسياق ابن جرير أطول وأوضح من هذا.

(٦) ساقط من (ض).

(٧) في (ك): «قال».

(٨) أخرجه ابن جرير (١١١٤)؛ وابن أبي حاتم (٦٣٩) من طريقين عن أبي صالح كاتب الليث، حدثني =

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ الآية: فأنزل الله (تعالى)[1] بعد ذلك: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]؛ فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقةً ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه بما بعثه به؛ فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدًى وسبيل نجاة؛ فاليهود أتباع موسى ﷺ الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم.

واليهود: من الهوادة وهي المودة، أو التهود وهي التوبة؛ كقول موسى ﷺ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا؛ فكأنهم سُموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم (لبعض)[2].

[3][وقيل: لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة][3].

فلما بعث عيسى ﷺ وجب على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم. وقد يقال لهم أنصار أيضاً، كما قال عيسى ﷺ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] وقيل: إنهم سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها: «ناصرة». قاله قتادة[4] وابن جريج[5]، وروي عن ابن[6] عباس أيضاً. والله أعلم.

والنصارى: جمع نصران؛ كنشاوى جمع نشوان، وسكارى جمع سكران؛ ويقال للمرأة: «نصرانة»؛ قال الشاعر[7]:

نـــصـــرانـــة لـــم تـــحـــنَّـــف

فلما بعث الله محمداً ﷺ خاتماً للنبيين، ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق، ووجب عليهم

= معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة به. [وسنده ثابت].
قال ابن جرير: «وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فتأويل الآية إذن على ما ذكرنا عن مجاهد والسدي: إن الذين آمنوا من هذه الأمة، والذين هادوا، والنصارى والصابئين من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخرة، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون».اهـ.

(١) من (ج) و(ل).
(٢) كذا في (ن)، وأشار ناسخ (ى) أنها وقعت كذلك في نسخةٍ، ووقع في سائر «الأصول»: «بعض».
(٣) ساقط من (ز) و(ض).
(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٩٧، ١٠٩٨) من طريقين عن قتادة؛ وهو صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (١٠٩٥) بسند جيد.
(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٩٦) بإسناد ساقط وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧٥) إلى ابن سعد في «الطبقات».
قال ابن جرير: «طريق غير مرتضًى».
(٧) هو أبو الأخزر الحماني وانظر «تفسير الطبري» (٢/ ١٤٤) و«تفسير القرطبي» (١/ ٤٤٣)، وتمام البيت:
فـكـلـتـاهـمـا خـرت وأسـجـد رأسـهـا كـمـا سـجـدت نـصـرانـة لـم تـحـنـف
يصف ناقتين طأطأتا رؤوسهما من الإعياء، فشبه رأس الناقة برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها.

تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عما عنه زجر؛ وهؤلاء هم المؤمنون حقاً.

وسميت أمة محمد ﷺ مؤمنين، لكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية.

وأما الصابئون فقد اختُلف فيهم؛ فقال سفيان[١] الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، قال: الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى، ليس لهم دين. وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه. وروي عن عطاء[٢]، وسعيد[٣] بن جبير نحو ذلك.

وقال أبو العالية[٤]، والربيع بن أنس، والسدي[٥] وأبو الشعثاء جابر بن زيد، والضحاك، [٦][وإسحاق بن راهويه][٦]: الصابئون: فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور.

[٦][ولهذا قال أبو حنيفة، وإسحاق: لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم][٦].

وقال هشيم[٧]، عن مطرف: كنا عند الحكم بن عتيبة، فحدثه رجل من (أهل)[٨] البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين: إنهم كالمجوس. فقال الحكم: ألم أخبركم بذلك!

وقال عبد الرحمٰن[٩] بن مهدي، عن معاوية بن عبد الكريم، سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال: هم قوم يعبدون الملائكة.

[١٠][وقال ابن جرير[١١]: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسن؛ قال: أُخبر زياد أن الصابئين يصلُّون إلى القبلة، ويصلُّون الخمس، قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية؛ قال: فخُبر بعد أنهم يعبدون الملائكة][١٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٢) واللفظ له وابن جرير (١٠٩٩، ١١٠٠) من طرق عن سفيان الثوري به وسنده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم؛ وأخرجه ابن جرير (١١٠١، ١١٠٢) من طريقين آخرين عن مجاهد في سند الأول الحجاج بن أرطاة يضعف، وفي سند الثاني محمد بن حميد الرازي، وهو واه لكن أخرجه ابن جرير أيضاً (١١٠٥، ١١٠٦) من وجهين آخرين هما أحسن حالاً مما سبق يثبت به هذا القول عن مجاهد. والله أعلم وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧٥) إلى وكيع وعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٠٦) من طريق ابن جريج قال: قلت لعطاء: «الصابئين» زعموا أنها قبيلة من نحو السواد؛ يعني: سواد العراق، ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى. قال: قد سمعنا ذلك، وقد قال المشركون للنبي ﷺ: قد صبأ. وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤١) بسند صالح. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٥) إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه ابن جرير (١١١٠)؛ وابن أبي حاتم (٦٤٣). [وسنده جيد].

(٥) أخرجه ابن جرير (١١١١)، وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧٥) إلى وكيع. [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي].

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٤) قال: حدثنا أبي، ثنا محمد بن عبد الرحمٰن العرزمي، ثنا هشيم به وسنده ضعيف جداً. والعرزمي متروك كما قال الدارقطني، وشيخ الحكم بن عتيبة مجهول.

(٨) ساقط من (ج) و(ل) و(ى).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٧) قال: حدثنا أبو زرعة، ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي فذكره. وسنده جيد. ومعاوية بن عبد الكريم صدوق متماسك.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) في «تفسيره» (١١٠٨) وسنده صحيح.

وقال أبو جعفر الرازي[(١)]: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، ويقرءون الزبور، ويصلون للقبلة. وكذا قال سعيد بن أبي[(٢)] عروبة عن قتادة.

وقال ابن[(٣)] أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، عن أبيه؛ قال: الصابئون قوم مما يلي العراق، وهم بـ«كوثى»[(٤)]، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات.

وسئل وهب[(٥)] بن منبه عن الصابئين؛ فقال: (الذي)[(٦)] يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً.

وقال عبد الله[(٧)] بن وهب: قال عبد الرحمٰن بن زيد: الصابئون: أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبي إلا قول: لا إله إلا الله. قال: ولم يؤمنوا برسول؛ فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم؛ يعني: في قول: لا إله إلا الله.

[(٨)][وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام.

وحكى القرطبي[(٩)]، عن مجاهد، والحسن، وابن أبي نجيح: أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس، ولا تؤكل ذبائحهم، (قال ابن عباس)[(١٠)]: ولا تنكح نساؤهم.

قال القرطبي[(٩)]: والذي تحصَّل من مذهبهم، فيما ذكره بعض العلماء، أنهم موحدون، ويعتقدون تأثير النجوم، وأنها (فعالة)[(١١)]؛ ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري بكفرهم للقادر بالله حين سأله عنهم][(٨)].

[(١٢)][واختار (فخر الدين)[(١٣)] الرازي[(١٤)] أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب؛ بمعنى أن الله جعلها قبلةً للعبادة والدعاء؛ أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها؛ قال: وهذا القول هو المنسوب إلى الكشدانيين[(١٥)] الذين جاءهم إبراهيم (الخليل)[(١٣)] عليه السلام راداً عليهم، ومبطلاً لقولهم][(١٢)].

وأظهر الأقوال ـ والله أعلم ـ قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين

---

(١) أخرجه ابن جرير (١١١٠)؛ وابن أبي حاتم (٦٤٦).
(٢) أخرجه ابن جرير (١١٠٩) حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وسنده قوي.
(٣) في «تفسيره» (٦٤٥) وسنده حسن.
(٤) كوثى، بالضم، ثم السكون والثاء مثلثة، وألف مقصورة؛ ثلاثة مواضع بسواد العراق (ياقوت) (٤/ ٤٨٧).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٨) وسنده جيد.
(٦) ساقط من (ج).
(٧) أخرجه ابن جرير (١١٠٧) بسند صحيح.
(٨) ساقط من (ز) و(ض).
(٩) في «تفسيره» (١/ ٤٣٤، ٤٣٥).
(١٠) ساقط من (ن).
(١١) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير» القرطبي؛ وفي (ن): «فاعلة».
(١٢) ساقط من (ز) و(ض).
(١٣) ساقط من (ن).
(١٤) في «تفسيره» (٢/ ١١٢، ١١٣).
(١٥) هم طائفة من عبدة الكواكب.

اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس، ولا المشركين؛ وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه؛ ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ؛ أي: قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك.

وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي. والله أعلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى، مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق، بالإيمان، به وحده لا شريك له، واتباع رسله؛ وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم، ليقروا بما عوهدوا عليه، (ويأخذوه)[(١)] بقوة (وحزم)[(٢)] (وهمة)[(٣)] وامتثال؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف].

فالطور: هو الجبل (كما فسر بآية «الأعراف»[(٤)]) ونص على ذلك ابن عباس[(٥)]، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وغير واحد. وهذا (ظاهر)[(٦)].

وفي رواية عن ابن عباس[(٧)]: الطور: ما أنبت من الجبال، وما لم ينبت فليس بطور.

وفي «حديث الفتون»، عن ابن عباس أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا.

وقال السدي[(٨)]: فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه، وقد غشيهم، فسقطوا سجداً فسجدوا على شق، ونظروا بالشق الآخر؛ فرحمهم الله، فكشفه عنهم؛ فقالوا: والله ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم؛ فهم يسجدون كذلك.

وذلك قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾.

وقال الحسن[(٩)] ....

---

(١) في (ج) و(ل): «فأخذوه». (٢) في (ن): «جزم».
(٣) ساقط من (ن).
(٤) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ى)؛ وفي (ن): «فسر به في الأعراف»؛ وفي (ل): «فسرنا به الأعراف».
(٥) أخرجه ابن جرير (١١٢٤) من طريق ابن جريج قال: قال ابن عباس به. وسنده معضل. وأخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٦) من طريق أبي عبد الصمد العمي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الطور جبل. ورجاله ثقات. وأما أثر مجاهد وعكرمة فأخرجهما ابن جرير (١١١٧، ١١٢١)؛ وأثر عطاء عند ابن أبي حاتم (٦٥٧). [وهذه الآثار يقوي بعضها الآخر].
(٦) في (ج): «الظاهر».
(٧) أخرجه ابن جرير (١١٢٥)؛ وابن أبي حاتم (٦٥٥) بسند ضعيف جداً.
(٨) أخرجه ابن جرير (١١٢٢) قال: حدثنا موسى؛ وابن أبي حاتم (٦٥٨) قال: حدثنا أبو زرعة قالا: حدثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي به. وسنده حسن.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٩) من طريق إبراهيم بن عبد الله بن بشار، حدثني سرور بن المغيرة، عن عباد بن منصور، عن الحسن به. وسنده ضعيف. وإبراهيم بن عبد الله، ترجمه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٢٠) =

في قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ يعني: (التوراة)[١].

وقال أبو العالية[٢]، والربيع بن أنس: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بطاعة.

وقال مجاهد[٣]: ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بعمل بما فيه.

وقال قتادة[٤]: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ القوة: الجد وإلا قذفته عليكم؛ قال: فأقروا بذلك أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة.

ومعنى قوله: وإلا قذفته عليكم؛ أي: أسقطته عليكم؛ يعني: الجبل.

وقال أبو العالية[٥]، والربيع[٦]: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ يقول: اقرءوا ما في التوراة، واعملوا به.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى: ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتم عنه، وأنثنيتم، ونقضتموه؛ ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: (بتوبته)[٧] عليكم، وإرساله النبيين والمرسلين إليكم ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ يا معشر اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله، وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت، (والقيام)[٨]، بأمره؛ إذ كان مشروعاً لهم؛ فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما (وضعوه)[٩] لها من (الشصوص)[١٠] والحبائل والبرك قبل يوم السبت؛ فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة (نشبت)[١١] بتلك الحبائل والحيل، فلم تخلص منها يومها ذلك؛ فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت؛ فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيءٍ بالأناسي في الشكل الظاهر،

= ولم يحك فيه شيئاً. وسرور بن المغيرة. ترجمه ابن أبي حاتم (٢/ ١/ ٣٢٥) ونقل عن أبيه قال: «شيخ» وتكلم فيه الأزدي، وبيَّن الحافظ في «اللسان» (٣/ ١٢) أن الأزدي تكلم في روايته عن الشعبي. وقال ابن حبان: «روى عنه أبو سعيد الحداد الغرائب». وعباد بن منصور متكلم فيه، وهو متماسك.

(١) في (ك): «التورية»؛ وفي (ج): «التوبة».

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٢٨)؛ وابن أبي حاتم (٦٦٠). [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن جرير (١١٢٦، ١١٢٧)؛ وابن أبي حاتم (٦٦١) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٤) أخرجه ابن جرير (١١٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٦٦٢) من طريق عبد الرزاق وهو في «تفسيره» (١/ ٤٧) أنبأ معمر، عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٥) أخرجه ابن جرير (١١٣٣)؛ وابن أبي حاتم (٦٦٣). [وسنده جيد].

(٦) أخرجه ابن جرير (١١٣٤) بسند ضعيف.

(٧) في (ز) و(ض): «توبته».

(٨) في (ك): «العباة»!!

(٩) في (ن): «وضعوا».

(١٠) في (ل): «الشقوص» وهو تصحيف، والشصوص، جمع «شص» قال ابن منظور في «لسان العرب» (ص٢٢٥٩): «الشص والشِّص: شيء يصاد به السمك».اهـ. كأنه يعني الشباك. قال ابن دريد: «لا أحسبه عربياً».

(١١) في (ل): «نشبه».

وليست بإنسان حقيقةً؛ فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهةً للحق في الظاهر، ومخالفةً له في الباطن، كان جزاؤهم من جنس عملهم.

وهذه القصة مبسوطة في «سورة الأعراف» حيث يقول تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف] القصة بكمالها.

وقال السدي[(١)]: أهل هذه القرية هم أهل أيلة، وكذا قال قتادة.

وقوله [تعالى: ﴿فَقُلْنَا[(٢)] لَهُمْ] كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

قال ابن[(٣)] أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردةً؛ وإنما هو مثل ضربة الله ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

ورواه ابن جرير عن المثنى، عن أبي حذيفة؛ وعن (محمد بن عمرو)[(٤)] الباهلي؛ عن أبي عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، به.

وهذا سند جيد عن مجاهد، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام، وفي غيره. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية [المائدة: ٦٠].

وقال العوفي في «تفسيره»[(٥)]، عن ابن عباس: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فجعل الله منهم القردة والخنازير؛ فزعم أن شباب القوم صاروا قردةً، وأن المشيخة صاروا خنازير.

وقال شيبان النحوي[(٦)]، عن قتادة: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فصار القوم قردةً تعاوى، لها أذناب بعد ما كانوا رجالاً ونساءً.

وقال عطاء الخراساني[(٧)]: نودوا: يا أهل القرية؛ ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فجعل الذين نهوهم

---

(١) أخرجه ابن جرير (١١٤٢) مطولاً [بسند حسن من طريق أسباط عن السدي، لكنه من الإسرائيليات] ويأتي في «سورة الأعراف» إن شاء الله تعالى.

(٢) من (ن).

(٣) في «تفسيره» (٦٧٧ ـ البقرة). [وسنده صحيح].
وأخرجه ابن جرير (١١٤٤) حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة بسنده سواء.

(٤) من (ن) ووقع في سائر «الأصول»: «عمر» بلا «واو»، وهو خطأ. وذكر الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ١٦٦) أنه: «محمد بن عمرو بن العباس أبو بكر الباهلي المترجم في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٢٧)».

(٥) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٦٧٨)؛ وابن بطة في «إبطال الحيل» (٦١) مطولاً، وسنده ضعيف جداً، وقد تقدم تفصيل القول في ضعفه.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٦) من طريق يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان النحوي به. وسنده صحيح وأخرجه ابن جرير (١١٤٠) من طريق يزيد بن زريع، ثنا سعيد، هو ابن أبي عروبة، عن قتادة بأطول مما هنا. وسنده صحيح أيضاً. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٧٥) إلى عبد بن حميد.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٣) بسند ضعيف جداً.

يدخلون عليهم، فيقولون: يا فلان، ألم ننهك؟ فيقولون برؤوسهم؛ أي: بلى.

وقال ابن[(١)] أبي حاتم: حدثنا علي بن (الحسين)[(٢)]، حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة، بالمصيصة، حدثنا محمد بن مسلم ـ يعني: الطائفي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس؛ قال: إنما كان الذين اعتدوا في السبت، فجعلوا قردة فواقاً[(٣)]، ثم هلكوا، ما كان للمسخ نسل.

وقال الضحاك[(٤)]، عن ابن عباس: فمسخهم الله قردةً بمعصيتهم؛ يقول: إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثةَ أيام. قال: ولم يعش (مسخ)[(٥)] قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب، ولم ينسل.

وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الأيام التي (ذكر)[(٦)] الله في «كتابه»، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة؛ وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء، ويحوله كما يشاء.

وقال[(٧)] أبو جعفر (الرازي)[(٨)]، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: يعني: أذلةً صاغرين.

وروى عن مجاهد[(٩)]، وقتادة[(١٠)]، والربيع[(١١)]، وأبي مالك، نحوه.

وقال محمد بن[(١٢)] إسحاق، عن داود بن (الحصين)[(١٣)]، عن عكرمة؛ قال: قال ابن عباس: إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم: يوم الجمعة، فخالفوا إلى السبت فعظموه، وتركوا ما أمروا به؛ فلما أبو إلا لزوم السبت، ابتلاهم الله فيه، فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره؛ وكانوا في قرية بين «أيلة» «والطور» يقال لها: «مدين»؛ فحرم الله عليهم في السبت الحيتان: صيدها وأكلها؛ وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت ذهبن [(١٤)][فلم يروا حوتاً صغيراً ولا كبيراً، حتى إذا كان يوم السبت أتين شرعاً حتى إذا ذهب السبت ذهبن][(١٤)]؛ فكانوا كذلك، حتى طال عليهم الأمد،

---

(١) في «تفسيره» (٦٧٥) وسنده واه وعبد الله بن محمد أحد الضعفاء، له مناكير وهو شبه المتروك. والطائفي يضعف.

(٢) في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى): «الحسن» وهو خطأ.

(٣) الفواق: ما بين الحلبتين من الراحة، يريد: وقتاً قصيراً.

(٤) أخرجه ابن جرير (١١٣٨) مطولاً وسنده ضعيف.

(٥) في (ك): «مسيخ».

(٦) في (ز) و(ن): «ذكرها».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٩). [وسنده جيد].

(٨) ساقط من (ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (١١٤٥، ١١٤٧) بسندين جيدين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخرجه أيضاً (١١٤٦) من طريق الثوري عن رجل عن مجاهد. وهذا «الرجل» عندي هو ابن أبي نجيح. والله أعلم.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨/١) ومن طريقه ابن جرير (١١٤٨) أخبرنا معمر، عن قتادة. [وسنده صحيح].

(١١) أخرجه ابن جرير (١١٤٩).

(١٢) أخرجه ابن جرير (١١٣٩) قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن إسحاق بسنده سواء. وسنده ضعيف، وقد قدمت الكلام عليه مراراً.

(١٣) في (ن): «أبي الحصين»!!.

(١٤) ساقط من (ك).

وقرموا[١] إلى الحيتان - عمد رجل منهم فأخط حوتاً سراً يوم السبت (فخزمه)[٢] (بخيط)[٣] ثم أرسله في الماء، وأوتد له وتداً في الساحل فأوثقه؛ ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه؛ أي: إني لم آخذه في يوم السبت، فانطلق به فأكله، حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك.

ووجد الناس ريح الحيتان، فقال أهل القرية: والله! لقد وجدنا ريح الحيتان؛ ثم عثروا على (صنع)[٤] ذلك الرجل.

قال: ففعلوا كما فعل، (وأكلوا)[٥] سراً زماناً طويلاً لم يعجل الله عليهم (بعقوبة)[٦]، حتى صادوها علانيةً، وباعوها (بالأسواق)[٧]؛ فقالت طائفة منهم من أهل البقية: ويحكم، اتقوا الله؛ ونهوهم عما (كانوا)[٨] يصنعون؛ فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤] (لسخطنا)[٩] أعمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم؛ (فقدوا)[١٠] الناس فلم يروهم؛ قال: فقال بعضهم لبعض: إن للناس (لشأناً)[١١]، فانظروا ما هو؟ فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقةً عليهم، قد دخلوها ليلاً فغلقوها على أنفسهم، كما يغلق الناس على أنفسهم؛ فأصبحوا فيها قردةً؛ وإنهم ليعرفون الرجل بعينه، وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد.

قال: (يقول)[١٢] ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه (أنجى)[١٣] الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم.

قال: وهي القرية التي قال جل ثناؤه لمحمد ﷺ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ...﴾ [الأعراف: ١٦٣].

وروى الضحاك[١٤]، عن ابن عباس نحواً من هذا.

وقال السدي[١٥] في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ قال: هم أهل أيلة؛ وهي القرية التي كانت حاضرة البحر؛ فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت، وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئاً، لم يبق في البحر حوت إلا خرج، حتى يخرجن خراطيمهن من الماء؛ فإذا كان يوم الأحد لزمن (مقل)[١٦] البحر، فلم ير

---

(١) القرم: اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم.
(٢) في (ض) و(ع) و(ل) و(ن): «فحزمه» بالحاء المهملة والزاي.
(٣) ساقط من (ك).
(٤) في (ن): «صنيع».
(٥) في (ز) و(ن): «وصنعوا».
(٦) في (ز) و(ن): «العقوبة».
(٧) في (ل): «في الأسواق».
(٨) من (ن).
(٩) في (ن): «بسخطنا».
(١٠) في (ز): «وفقدوا».
(١١) في (ن): «شأناً».
(١٢) في (ن): «قال».
(١٣) في (ن): «نجى».
(١٤) أخرجه ابن جرير (١١٣٨) بسند ضعيف.
(١٥) أخرجه ابن جرير (١١٤٢) وسنده حسن.
(١٦) كذا في سائر «الأصول». ومقل البحر: مغاصه كما في «النهاية» (٤/٣٤٧). وانظر أيضاً «لسان العرب» =

منهن شيء، حتى يكون يوم السبت؛ فذلك قوله (تعالى)[١]: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣] فاشتهى بعضهم السمك، فجعل الرجل يحفر الحفيرة، ويجعل لها نهراً إلى البحر؛ فإذا كان يوم السبت فتح النهر، فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر، فيمكث (فيها)[٢]؛ فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه، فجعل الرجل يشوي السمك، فيجد جاره (روائحه)[٢]، فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره، حتى فشا فيهم أكل السمك؛ فقال لهم علماؤهم: ويحكم! إنما تصطادون يوم السبت، وهو لا يحل لكم، فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه. فقال (الفقهاء)[٣]: لا، ولكنكم صدتموه يوم (فتحتم)[٤] له الماء فدخل.

قال: (وغلبوا)[٥] أن ينتهوا؛ فقال بعض الذين نهوهم لبعض: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] يقول: لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فلما أبوا قال المسلمون: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار، ففتح المسلمون باباً، والمعتدون في السبت باباً، ولعنهم داود ﷺ؛ فجعل المسلمون يخرجون من بابهم، والكفار من بابهم؛ فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم؛ فلما أبطئوا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فإذا هم قردة، يثب بعضهم على بعض، ففتحوا عنهم؛ فذهبوا في الأرض؛ فذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف] وذلك حين يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ...﴾ (الآية)[٦] [المائدة: ٧٨] فهم القردة.

قلت: والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم إنما كان معنوياً لا صورياً؛ بل الصحيح أنه (معنوي صوري)[٧] والله (تعالى)[٢] أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا [٨][نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا][٨]﴾ قال بعضهم: الضمير في «فجعلناها» عائد على القردة. وقيل: على الحيتان. وقيل: على العقوبة. وقيل: على القرية. حكاها ابن جرير.

والصحيح أن الضمير عائد على القرية؛ أي: فجعل الله هذه القرية؛ والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم ﴿نَكَٰلًا﴾ أي: عاقبناهم عقوبةً، فجعلناها عبرةً؛ كما قال الله على فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات].

= (ص٤٢٤٥). ووقع في (ن): «أسفل»؛ وفي «تفسير الطبري»: «سفل».

(١) من (ن).
(٢) في «تفسير الطبري»: «ريحه».
(٣) في (ز) و(ض): «العلماء».
(٤) في (ز) و(ض): «فتحكم».
(٥) في «تفسير الطبري»: «وعتوا».
(٦) من (ن).
(٧) في (ل): «صورى لا معنوي» وهو أوضح لمراد المصنف رحمه الله.
(٨) ساقط من (ن).

وقوله (تعالى)[(١)]: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: من القرى.

قال ابن عباس: يعني جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرةً لما حولها من القرى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف] ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾ الآية [الرعد: ٤١] على أحد الأقوال.

فالمراد: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ في المكان، كما قال محمد بن[(٢)] إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من القرى، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى.

وكذا قال سعيد[(٣)] بن جبير: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ (قال)[(٤)]: (من)[(٥)] بحضرتها من الناس يومئذٍ.

وروي عن إسماعيل[(٦)] بن أبي خالد، وقتادة، وعطية العوفي: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال: ما (كان)[(٧)] قبلها من الماضيين في شأن السبت.

وقال أبو العالية[(٨)]، والربيع[(٩)]، وعطية[(١٠)]: وما خلفها (لمن)[(١١)] بقي بعدهم من الناس من بني إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم، وكأن هؤلاء يقولون: المراد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ في الزمان.

وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس، أن يكون أهل تلك القرية عبرةً لهم، وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به؛ وهو أن يكون عبرةً لمن سبقهم[(١٢)]؟

وهذا لعل أحداً من الناس لا يقوله بعد تصوره؛ فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان؛ وهو ما حولها من القرى؛ كما قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. والله أعلم.

وقال أبو جعفر[(١٣)] الرازي، عن الربيع [(١٤)][بن أنس، عن أبي العالية: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: عقوبةً لما خلا (من ذنوبهم)[(١٥)]][(١٤)].

---

(١) من (ن).
(٢) أخرجه ابن جرير (١١٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٦٨١) وسنده ضعيف.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٤) قال: ذكر لي عن سعيد بن أبي مريم، أخبرني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير فذكره. وسنده ضعيف للانقطاع بين ابن أبي حاتم وسعيد بن أبي مريم. وأيضاً فقد تكلم النسائي في رواية عطاء بن دينار التفسير عن سعيد بن جبير، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنها وجادة صحيحة. والله أعلم.
(٤) ساقط من (ز) و(ض).
(٥) ساقط من (ج).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٣) بسند صحيح.
(٧) ساقط من (ز) و(ن).
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٦). [وسنده جيد].
(٩) أخرجه ابن جرير (١١٥٥). [ويشهد له سابقه].
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٨) وإسناده لا بأس به.
(١١) في (ز) و(ن): «لما».
(١٢) وقال ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٣٩) نحواً من هذا الكلام.
(١٣) أخرجه ابن جرير (١١٥٥)؛ وابن أبي حاتم (٦٨٢) وسنده حسن كما تقدم ذكره.
(١٤) ساقط من (ج).
(١٥) في (ز) و(ض): «من دونهم».

[١][وقال ابن][١] أبي (حاتم)[٢]: وروي عن عكرمة، ومجاهد[٣]، والسدي[٤]، [٥][والحسن، وقتادة[٦]، والربيع[٧] بن][٥] [٨][أنس نحو ذلك.

[٩][وحكى القرطبي[١٠] عن ابن عباس][٨] والسدي، والفراء، وابن عطية[١١]: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من ذنوب القوم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب.

وحكى (فخر الدين)[١٢] (الرازي)[١٣] ثلاثة أقوال[١٤]:

أحدها: أن المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة، ومن بعدها.

والثاني: المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم.

والثالث: أنه (تعالى جعلها)[١٥] عقوبةً لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده؛ وهو قول الحسن.

قلت: وأرجح الأقوال: المراد بما بين يديها وما خلفها من][٩] [١٦][بحضرتها من القرى (التي)[١٧] يبلغهم خبرها، وما حل بها؛ كما قال (تعالى)[١٨]: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾...﴾ [الأحقاف] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ الآية [الرعد: ٣١]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٤] فجعلهم عبرةً ونكالاً لمن في زمانهم، وموعظةً لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾][١٦].

وقوله (تعالى)[١٩]: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال محمد بن[٢٠] إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الذين من بعدهم إلى يوم القيامة.

---

(١) ساقط من (ج). (٢) في (ك): «جرير»!

(٣) أخرجه ابن جرير (١١٥٩، ١١٦٠)؛ وابن أبي حاتم (٦٨٧) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده جيد. وأخرجه ابن جرير (١١٦١) عن ابن جريج، عن مجاهد وابن جريج مدلس.

(٤) أخرجه ابن جرير (١١٦٢). (٥) ساقط من (ن).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره (١/ ٤٨)» ومن طريقه ابن جرير (١١٥٨) نا معمر، عن قتادة، وأخرجه ابن جرير (١١٥٧) من طريق يزيد بن زريع، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة وسنده صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير (١١٥٥). (٨) ساقط من (ن).

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) في «تفسيره» (١/ ٤٤٤) وذكر ابن عطية (١/ ٣٣٨) قول ابن عباس وقال: «ما أراه يصح».

(١١) في «تفسيره» (١/ ٣٣٨) وقال: «وهذا قول جيد». (١٢) ساقط من (ن).

(١٣) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ك) و(ى). (١٤) انظر: «تفسير الرازي» (٢/ ١٢١).

(١٥) كذا في (ن) وهو الموافق لما في «تفسير الرازي»؛ وفي (ج) و(ع) و(ل) و(ى): «جعلها تعالى»؛ وفي (ك): «جعلها نكالاً»!

(١٦) ساقط من (ز) و(ض). (١٧) ساقط من (ن).

(١٨) من (ن). (١٩) من (ز) و(ن).

(٢٠) أخرجه ابن جرير (١١٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٦٨٩).

وقال الحسن[١]، وقتادة[٢]: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بعدهم، فيتقون نقمة الله، ويحذرونها.

وقال السدي[٣]، وعطية العوفي[٤]: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: أمة محمد ﷺ.

قلت: المراد بالموعظة ها هنا الزاجر؛ أي: جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله، وما تحيلوا به من الحيل؛ فليحذر المتقون صنيعهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم؛ كما قال الإمام[٥] أبو عبد الله بن بطة: حدثنا أحمد بن محمد بن (سلم)[٦]، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن (عمرو)[٧] (عن أبي سلمة)[٨]، عن أبي هريرة ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل».

وهذا إسناد جيد[٩]. وأحمد بن محمد بن سلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح. والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة، وبيان القاتل من هو بسببها، وإحياء الله المقتول ونصه على من قتله منهم.

[مسألة:[١٠]

الإبل تنحر، والغنم تذبح، [واختلفوا في البقر؛ فقيل: تذبح، وقيل: تنحر، والذبح][١١] أولى لنص القرآن، ولقرب منحرها من مذبحها][١٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٩١) وسنده ضعيف تقدم تحقيقه عند الآية (٦٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١/٤٨)؛ وعنه ابن جرير (١١٦٨) نا معمر، عن قتادة. وأخرجه ابن جرير (١١٦٧) من طريق آخر عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١١٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٦٩٣). [وسنده حسن].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٩٢) بسند لا بأس به.

(٥) في «كتاب إبطال الحيل» (ص٢٤).
وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الفتاوى» (٢٩/٢٩): «إسناده حسن» وكذلك قال ابن القيم في «تهذيب سنن أبي داود» (٥/١٠٣) وزاد: «وإسناده مما يصححه الترمذي». وحسنه أيضاً السخاوي في «الفتاوى الحديثية» (ص٢٣٦) وقال ابن القيم أيضاً في «إغاثة اللهفان» (١/٥١٣): «وهذا إسناد جيد».

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ى). ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن): «مسلم» وكذلك وقع في «الإبانة» (١/٢٨١) للمصنف ولكن الكتاب ملآن بالتصحيفات ولم أجد له ترجمة. والله أعلم.

(٧) في (ن): «عمر» بدون «واو» وهو خطأ.

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) كذا قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ، وتبع فيه شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ لكنه زاد فيه ما يتعقب به. قال ابن تيمية في «إبطال الحيل» (ص٣٥): «هذا إسناد جيد يصحح مثله الترمذي وغيره تارةً ويحسنه تارةً، ومحمد بن أحمد بن سلم المذكور مشهور ثقة ذكره الخطيب في «تاريخه» كذلك، وسائر الإسناد أشهر من أن يحتاج إلى وصفهم».

(١٠) من (ج) و(ل) و(ع) و(ى). (١١) ساقط من (ج).

(١)[قال ابن المنذر: ولا أعلم خلافاً في حل ما ذبح مما ينحر، أو نحر ما يذبح، غير أن مالكاً كره ذلك، وقد يكره الإنسان ما لا يحرمه.

قال أبو عبد الله: وكان نزول قصة البقرة على موسى ﷺ في أمر القتيل قبل نزول القسامة في التوراة](١).

[ذكر بسط القصة](٢):

(قال)(٣) ابن أبي حاتم(٤): حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني، قال: كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله؛ ثم احتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم (على)(٥) بعض.

فقال ذوو الرأي (منهم)(٦) (والنهي)(٧): علام يقتل بعضكم بعضاً، وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى ﷺ، فذكروا ذلك له؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها؛ فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهباً.

فأخذوها بملء جلدها ذهباً، فذبحوها، فضربوه ببعضها، فقام، فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا - لابن أخيه - ثم مال ميتاً؛ فلم يعط من ماله شيئاً، فلم يورث قاتل بعد.

ورواه ابن جرير من حديث أيوب، عن محمد بن سيرين، عن (عبيدة)(٨) بنحو من ذلك. والله أعلم.

(٩)[ورواه عبد (بن حميد)(١٠) في «تفسيره»: أنبأنا يزيد بن هارون، به](٩).

ورواه آدم بن أبي إياس في «تفسيره»، عن أبي جعفر - هو الرازي - عن هشام بن حسان، به.

وقال آدم بن أبي إياس في «تفسيره»(١١): أنبأنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية في قول (الله)(١٢) تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ قال: وكان رجل من بني إسرائيل،

---

(١) من (ج) و(ل) و(ع) و(ى).
(٢) ساقط من (ز) و(ض).
(٣) في (ز) و(ض): «كما قال».
(٤) في «تفسيره» رقم (٦٩٥)؛ وأخرجه البيهقي في «سننه» (٦/ ٢٢٠) من طريق يحيى بن أبي طالب ثنا يزيد بن هارون بسنده سواء. وسنده صحيح.
(٥) في «تفسير ابن أبي حاتم»: «إلى».
(٦) ساقط من (ض) و(ع) و(ك) و(ى) ومن «تفسير ابن أبي حاتم».
(٧) ساقط من (ج) و(ل).
(٨) في (ل): «عبدة»! وهو تصحيف.
(٩) هذه الفقرة مقدمة في (ى) على قوله: «رواه ابن جرير... إلخ» وهو اللائق بعلم التخريج. [وسنده صحيح].
(١٠) ساقط من (ل) وعنده: «عبدة»!!
(١١) ومن طريقه ابن جرير (١١٧٣، ١٣٠١) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس به. [وسنده جيد لكنه من الإسرائيليات].
(١٢) لفظ الجلالة من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ن) و(ى).

وكان غنياً، ولم يكن له ولد، وكان له قريب، وكان وارثه، فقتله ليرثه؛ ثم ألقاه على مجمع الطريق؛ وأتى موسى ﷺ، فقال له: إن قريبي قتل، وأُتي إلي أمر عظيم؛ وإني لا أجد أحداً يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله.

قال: فنادى موسى (ﷺ)[١] في الناس؛ فقال: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا (بينه)[٢] لنا، فلم يكن عندهم (علم)[٣] فأقبل القاتل على موسى ﷺ، فقال له: أنت نبي الله، فسل لنا ربك أن يبين لنا، فسأل ربه فأوحى الله إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فعجبوا من ذلك، فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ [البقرة: ٦٨] يعني: لا هرمة، ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة: ٦٨] يعني: ولا صغيرة، ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي: نصف بين البكر والهرمة.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩] أي: صاف لونها؛ ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] أي: تعجب الناظرين.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ [البقرة] [أي: لم يذللها العمل][١] ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١] يعني: وليست بذلول تثير الأرض؛ ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ [البقرة: ٧١] يعني: ولا تعمل في الحرث؛ ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ [البقرة: ٧١] يعني: مسلمةٌ من العيوب؛ ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] يقول: لا بياض فيها؛ ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

قال: ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استعرضوا بقرةً من البقرة فذبحوها لكانت إياها؛ ولكن شددوا على أنفسهم فشدد (الله)[٤] عليهم؛ ولولا أن القوم استثنوا، فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] لما هدوا إليها أبداً.

فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نُعتت لهم إلا عند عجوز، وعندها يتامى، وهي القيمة عليهم؛ فلما علمت أنه لا يزكو لهم غيرها أضعفت عليهم الثمن، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة؛ وأنها سألت أضعاف ثمنها؛ فقال موسى: إن الله قد خفف (عنكم)[٥] فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها. ففعلوا.

(واشتروها)[٦] فذبحوها؛ فأمرهم موسى ﷺ أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القتيل؛ ففعلوا؛ فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله؛ ثم عاد ميتاً كما كان. فأُخذ قاتله، وهو الذي كان أتى موسى (ﷺ)[٧]، فقتله إليه، فقتله الله على أسوأ عمله.

وقال محمد بن جرير[٨]: ....

---

(١) من (ك).
(٢) من (ن): «يبينه»؛ وفي (ل): «ليبينه».
(٣) ساقط من (ج).
(٤) لفظ الجلالة من (ن).
(٥) كذا في (ج). وفي سائر «الأصول»: «عليكم»، وما اخترته أولى، والفعل: «خفف» ما عدي في القرآن إلا بـ«عن» والله أعلم.
(٦) في (ج): «واشتروا».
(٧) من (ن).
(٨) في «تفسيره» (١٢٩٩) وسنده ضعيف.
أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» رقم (٥٥) قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا =

حدثني (محمد)[١] بن سعد، حدثني أبي، حدثني عمي، حدثني أبي، (عن أبيه)[٢]، عن ابن عباس، في قوله في شأن البقرة: وذلك أن شيخاً من بني إسرائيل على عهد موسى (عليه السلام)[٣] كان مكثراً من المال، وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم، وكان الشيخ لا ولد له؛ وكان بنو أخيه ورثته؛ فقالوا: ليت عمنا قد مات فورثنا ماله، وإنه لما تطاول عليهم ألا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال لهم: هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم فترثوا ماله، وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها ديته؛ وذلك أنهما كانتا مدينتين؛ كانوا في إحداهما، وكان القتيل إذا قُتل (فطرح)[٤] بين المدينتين قيس ما بين القتيل والقريتين فأيتهما كانت أقرب إليه غرمت الدية، وأنهم لما سوّل لهم الشيطان ذلك، وتطاول عليهم أن لا يموت عمهم، عمدوا إليه فقتلوه؛ ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها.

فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخي الشيخ، فقالوا: عمنا قتل على باب مدينتك؛ فوالله لتغرمن لنا دية عمنا.

قال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلنا، ولا علمنا قاتلاً، ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا، وإنهم عمدوا إلى موسى عليه السلام.

فلما أتوه قال بنو أخي الشيخ: عمنا وجدناه مقتولاً على باب مدينتهم. وقال أهل المدينة: نقسم بالله (ما قتلنا)[٥]، ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا؛ وإن جبرائيل جاء بأمر (ربه)[٦] السميع العليم إلى موسى (عليه السلام)[٧]، فقال: قل لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ فتضربوه ببعضها.

وقال السدي[٨]: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ [٩][أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ][٩]﴾ قال: كان رجل من بني إسرائيل مكثراً من المال، (وكانت)[١٠] له ابنة، وكان له ابن أخ محتاج؛ فخطب إليه ابن أخيه ابنته؛ فأبى أن يزوجه، فغضب الفتى، وقال: والله لأقتلن عمي، ولآخذن ماله، ولأنكحن ابنته، ولآكلن ديته؛ فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل، فقال: يا عم، انطلق معي، فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم، لعلي أن أصيب منها؛ فإنهم إذا رأوك معي أعطوني.

= يحيى بن سعيد، عن ربيعة بن كلثوم، قال: حدثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(١) من (ج)؛ ووقع في (ن): «محمد بن سعيد» وفي بقية «الأصول»: «ابن سعيد» وكلاهما خطأ. ووقع في (ز): «ابن سعد» وهو صواب أيضاً وهو الموافق لما في «الطبري».

(٢) في سائر «الأصول»: «عن أبيه، عن جده»، ولا معنى لذكر «الجد» في الإسناد.

(٣) من (ز) و(ن).

(٤) في (ن): «وطرح».

(٥) في (ز) و(ل) و(ن): «قتلناه».

(٦) ساقط من (ز) و(ن).

(٧) من (ل) و(ن).

(٨) أخرجه ابن جرير (١١٧٤) وسنده حسن. [لكنه من الإسرائيليات].

(٩) ساقط من (ج) و(ع).

(١٠) في (ن): «فكانت».

فخرج العم مع الفتى ليلاً، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى، ثم رجع إلى أهله؛ فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه، كأنه لا يدري أين هو فلم يجده، فانطلق نحوه؛ فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه؛ فأخذهم وقال: قتلتم عمي؛ فأدوا إليَّ ديته، فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه، وينادي: واعماه! فرفعهم إلى موسى، فقضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله، ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه؛ فيؤخذ صاحب (الفرصة)[1]، فوالله إن ديته علينا لهينة (ولكنا)[2] نستحيي أن نعير به، فذلك حين يقول (الله)[3] (تعالى)[4]: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [البقرة] فقال لهم موسى (عليه السلام)[5]: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قالوا: نسأل عن القتيل وعمن قتله، وتقول: اذبحوا بقرةً! أتهزأُ بنا! ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

قال ابن عباس[6]: فلو اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزأت عنهم، (ولكنهم)[7] شددوا وتعنتوا (على)[8] موسى، فشدد الله عليهم؛ فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]. والفارض: الهرمة التي لا تلد. والبكر: التي لم تلد إلا ولداً واحداً. والعوان: النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها.

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٨، ٦٩] قال: نقي لونها؛ ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] قال: تعجب الناظرين، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة] من بياض، ولا سواد ولا حمرة ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١]. فطلبوها فلم يقدروا عليها.

وكان رجل في بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه، وإن رجلاً مر به معه لؤلؤ يبيعه، وكان أبوه نائماً تحت رأسه المفتاح؛ فقال له الرجل: تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفاً؟ فقال له الفتى: كما أنت، حتى يستيقظ أبي، فآخذه منك بثمانين ألفاً[9].

---

(١) هكذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري»: «الجريمة»؛ وفي (ن): «القضية».

(٢) في (ن): «ولكن».

(٣) لفظ الجلالة من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).

(٤) من (ز) و(ن).

(٥) ساقط من (ن).

(٦) وأخرج قول ابن عباس هذا: ابن أبي حاتم (٦٩٨) لكن وقع عنده: «عن السدي قال: قال لي ابن عباس...» هكذا وقع «قال لي» ولفظة «لي» لا معنى لها أبداً في هذا الإسناد، والسدي روى عن ابن عباس حديثاً في «سنن أبي داود» (٣٠٤١) وقال المنذري في «مختصر سنن أبي داود» (٤/٢٥١): «في سماع السدي من عبد الله بن عباس نظر، وإنما قيل: إنه رآه، ورأى ابن عمر، وسمع من أنس بن مالك ﷺ» ثم هذه صحيفة يرويها السدي بإسناده إلى ابن عباس، [وغيره] وقد تقدم تفصيل ذلك (١/٤٨٨ - ٤٩٠).

(٧) في (ن): «ولكن».

(٨) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ى).

(٩) في (ج) بعد هذا: «قال: لا، قال الآخر... إلخ» وليست في «الطبري» أيضاً.

قال الآخر: أيقظ أباك، وهو لك بستين ألفاً، فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفاً، وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ، حتى بلغ مائة ألف. فلما أكثر عليه قال: والله لا أشتريه منك بشيء أبداً، وأبى أن يوقظ أباه، فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة، فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة، وأبصروا البقرة عنده، فسألوه أن يبيعهم إياها بقرةً ببقرة؛ فأبى؛ فأعطوه ثنتين فأبى، فزادوه حتى بلغوا عشراً[١]؛ فقالوا: والله لا نتركك حتى نأخذها منك.

فانطلقوا به إلى موسى ﷺ، فقالوا: يا نبي الله، إنا وجدناها عند هذا، وأبى أن (يعطيناها)[٢]، وقد أعطيناه ثمناً. فقال له موسى: أعطهم بقرتك. فقال: يا رسول الله؛ أنا أحق بمالي. فقال: صدقت. وقال للقوم: أرضوا صاحبكم، فأعطوه وزنها ذهباً، فأبى، فأضعفوه له حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهباً، فباعهم إياها، وأخذ ثمنها؛ فذبحوها.

قال: اضربوه ببعضها، فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين، فعاش، فسألوه من قتلك! فقال لهم: ابن أخي قال: أقتله، فآخذ ماله، وأنكح ابنته، فأخذوا الغلام فقتلوه.

وقال سنيد[٣]: حدثنا حجاج ـ هو ابن محمد، عن ابن جريج، عن مجاهد؛ وحجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ـ قالوا: إن سبطاً من بني إسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينةً فاعتزلوا شرور الناس؛ فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحداً منهم خارجاً إلا أدخلوه، وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر (وأشرف)[٤]، فإذا لم ير شيئاً فتح المدينة، فكانوا مع الناس حتى يمسوا.

قال: وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير، ولم يكن له وارث غير أخيه، فطال عليه حياته، فقتله ليرثه، ثم حمله فوضعه على باب المدينة، ثم كَمَنَ في مكان هو وأصحابه؛ قال: (فأشرف)[٥] رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئاً، ففتح الباب؛ فلما رأى القتيل رد الباب، فناداه أخو المقتول وأصحابه: هيهات؛ قتلتموه، ثم تردون الباب؟!

وكان موسى لما رأى القتل كثيراً في (أصحابه)[٦] بني إسرائيل كان إذا رأى القتيل بين ظهراني القوم أخذهم، فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال، حتى لبس الفريقان السلاح، ثم كف بعضهم عن بعض، فأتوا موسى، فذكروا له شأنهم، قالوا: (يا رسول الله!)[٧] إن هؤلاء قتلوا قتيلاً ثم ردوا الباب. قال أهل المدينة: يا رسول الله! قد عرفت اعتزالنا الشرور، وبنينا مدينةً كما رأيت، نعتزل شرور الناس؛ والله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً. فأوحى الله تعالى إليه أن يذبحوا بقرةً. فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾.

---

(١) في «تفسير الطبري»: «عشراً فأبى».
(٢) هكذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ج): «يعطينا إياها».
(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٠٠). [وسنده ضعيف، وقد أشار الحافظ ابن كثير أن الرواية من الإسرائيليات].
(٤) في (ج) و(ل) و(ى): «تشرف».
(٥) في (ج) و(ل) و(ع) و(ى): «فتشرف».
(٦) ساقط من (ن).
(٧) في (ن): «يا موسى».

وهذه السياقات عن عبيدة، وأبي العالية، والسدي، وغيرهم فيها اختلاف ما. والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب؛ فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا. والله أعلم[١].

[٢][**فائدة**: تقول العرب[٣]: أصفر فاقع، وأبيض يقق وناصع ولهق ولهاق، وأخضر ناضر، وأحمر قاني، وأسود حالك وحلكوك، وحلكوك، ودجوجي، وغربيب، وأرزق ولم أسمع][٢] [٤][أنهم أكدوه بشيء كغيره من بقية الألوان المذكورة وهي ستة، ولا زائد عليها إلا ما يركب منها، وليس يكون أصلاً. والله أعلم][٤].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

أخبر تعالى عن تعنت بني إسرائيل، وكثرة سؤالهم لرسولهم؛ ولهذا لما ضيقوا على أنفسهم ضيق (الله)[٥] عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم، كما قال ابن عباس، وعبيدة وغير واحد؛ ولكنهم شددوا فشدد عليهم؛ فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ (أي)[٦]: ما هذه البقرة؟ وأي شيء صفتها؟

قال ابن[٧] جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا (عثام)[٨] بن علي، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد (الله)[٩] عليهم. إسناد صحيح.

وقد رواه غير واحد عن ابن عباس؛ وكذا قال عبيدة[١٠]، والسدي[١١]، ومجاهد[١٢]، وعكرمة[١٣]، وأبو العالية[١٤]، وغير واحد.

---

(١) بعدها في (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».
(٢) من (ج) و(ع) و(ى).
(٣) وانظر «الأضداد» (ص١٦١، ١٦٢) لابن الأنباري.
(٤) من (ج) و(ع) و(ى).
(٥) لفظ الجلالة من (ن).
(٦) من (ن).
(٧) في «تفسيره» (١٢٣٥). [وسنده حسن].
(٨) في (ز) و(ض): «عثمان»؛ وفي (ل) و(ن): «هشام» وكلاهما تصحيف.
(٩) لفظ الجلالة في سائر «الأصول» ما عدا (ن).
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨) من طريق أيوب السختياني وهشام بن حسان كلاهما عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٩٨). [وسنده حسن].
(١٢) أخرجه ابن جرير (١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢) وهو صحيح.
(١٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٠)، ومن طريقه ابن جرير (١٢٣٩) قال: أخبرنا.
(١٤) أخرجه ابن جرير (١٢٤٣). [يشهد له ما سبق].

وقال ابن جريج[١]: قال لي عطاء: لو أخذوا أدنى بقرة (كفتهم)[٢]؛ قال ابن جريج: قال رسول الله ﷺ: «إنما أمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا (على أنفسهم)[٣] شدد الله عليهم، وايم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد»؛ قال: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ أي: لا كبيرة هرمة ولا صغيرة (لم يلقحها)[٤] الفحل، كما قاله أبو العالية[٥]، والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وعطية العوفي، وعطاء الخراساني، ووهب ابن منبه، والضحاك، والحسن، وقتادة؛ وقاله ابن عباس أيضاً.

وقال الضحاك[٦]، عن ابن عباس ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ يقول: نصف بين الكبيرة والصغيرة؛ وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر، وأحسن ما يكون.

وروى[٧] عن عكرمة، ومجاهد، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وعطاء الخراساني والضحاك، نحو ذلك.

[٨][وفي «تفسير عبد بن حميد» عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: العوان؛ هي: العانس النصف.

وعن خصيف، عن مجاهد، قال: ولدت بطناً أو بطنين][٨].

وقال السدي[٩]: العوان: النصف التي بين ذلك التي (ولدت)[١٠] وولد ولدها.

وقال هشيم[١١]، عن جويبر، عن كثير بن زياد، عن الحسن في البقرة: كانت بقرةً وحشيةً.

وقال ابن جريج[١٢]، عن عطاء، عن ابن عباس: من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٤٢) وسنده صحيح إلى عطاء بن أبي رباح. والحديث المرفوع لا يصح لإعضاله.

(٢) في (ل) و(ن): «لكفتهم». (٣) ساقط من (ن).

(٤) في (ز) و(ض) و(ع) و(ى): «يلحقها»؛ وفي (ك): «ينكحها»!

(٥) أما أثر أبو العالية، فأخرجه ابن جرير (١١٩٠، ١١٩١، ١٢٠٢، ١٢٠٣) وأثر السدي فعنده أيضاً (١١٩٤، ١٤٠٢)، وعند ابن أبي حاتم (٧٠٣، ٧٠٥). [وسنده حسن]. وأثر مجاهد فأخرجه ابن جرير (١١٨٤، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٦، ١١٩٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٠، ٧٠٦)، وأما أثر عكرمة؛ فأخرجه ابن جرير (١١٨٥، ١١٩٨) وسنده ضعيف، وأما أثر عطاء الخراساني، فأخرجه ابن جرير (١١٨٧، ١١٩٩) وأما أثر الحسن، فأخرجه ابن أبي حاتم (٧٠٧). وأما أثر قتادة، فأخرجه ابن جرير (١١٩٢، ١١٩٣)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٤٨). [وسنده صحيح]. وأما أثر ابن عباس، فأخرجه ابن جرير (١١٨٥، ١١٨٦، ١١٩٩، ١٢٠١)؛ وابن أبي حاتم (٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٢) ولا يصح، وبقية الآثار تقدم الحكم عليها مراراً.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٢١٠)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٤) وسنده ضعيف جداً.

(٧) وهذه الآثار عند ابن جرير (١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٥، ٧٠٦). [ويقوي بعضها بعضاً].

(٨) من (ل) وقيد في حاشية (ج) و(ع) و(ى). [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٢١٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٥). [وسنده حسن].

* [في سنديهما خصيف فيه مقال].

(١٠) في (ن): «وقد ولدت».

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٠٩)؛ وابن جرير (١٢٢١) وسنده ضعيف جداً.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٠/رقم ١٠٦١٢)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» (٩٦٨)؛ والخطيب في «تاريخه» (٥/٢٥) من طرق عن سهل بن عثمان، ثنا ابن العذراء، عن ابن جريج =

دام لابسها؛ وذلك [قول الله[1] تعالى]: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾.

وكذا قال مجاهد[2]، ووهب[3] بن منبه: (إنها)[4] كانت صفراء.

وعن ابن عمر[5]: كانت صفراء الظلف.

وعن سعيد[6] بن جبير: كانت صفراء القرن، والظلف.

وقال ابن أبي حاتم[7]: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا نوح بن قيس، أنبأنا أبو رجاء، عن الحسن في قوله (تعالى)[8]: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: سوداء شديدة السواد. وهذا غريب.

والصحيح الأول، ولهذا أكد صفرتها بأنه ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾.

وقال عطية[9] العوفي: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ تكاد تسود، من صفرتها.

وقال سعيد بن[10] جبير: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: صافية اللون.

= بسنده سواء وسئل عنه أبو حاتم الرازي، كما في «العلل» (٢/ ٣١٩)، فقال: «هذا حديث كذب موضوع».اهـ.

(*) **قلت**: وابن العذراء ذكره الذهبي في «الميزان» (٤/ ٥٩٤) وقال: «عن ابن جريج، له حديث في النعل الأصفر؛ لا شيء». وترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٢/ ٣٢٥) قال: «سمعت أبي يقول: ابن العذراء الذي روى حديث: من لبس نعلاً صفراء، ليس بشيء، حديث النوكي، وهو حديث كذب موضوع».اهـ.

(١) في (ج): «قول الله»؛ وفي (ز) و(ن): «قوله تعالى».

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢٢٤) عن عيسى؛ وابن أبي حاتم (٧١١) عن ورقاء كلاهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: لو أخذوا بقرة صفراء، لأجزأتهم. وسنده صحيح.

(٣) أشار إليه ابن أبي حاتم.

(٤) ساقط من (ن).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٢) وسنده ضعيف وفي إسناده شريك النخعي، وفي حفظه ضعف، وعنعنة الأعمش. ومغراء العبدي فيه توثيق لين. والله أعلم.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٢٢٢) من طريق مروان بن معاوية الفزاري، عن إبراهيم، عن أبي حفص، عن مغراء، أو عن رجل، عن سعيد بن جبير فذكره. قال الشيخ أحمد شاكر ﵀ في تخريجه لـ«تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٠): «لكن هذا الإسناد ضعيف لتردد الراوي: أنه عن مغراء أو عن رجل، فتردد بين ثقة ومبهم».اهـ.
كذا قال الشيخ، وفي الإسناد: إبراهيم بن يزيد الخوزي، شيخ الفزاري، وهو متروك كما قال أحمد والنسائي، وطرحه ابن المبارك وعد التحديث عنه ذنباً. وقال ابن معين: «ليس بثقة وليس بشيء» وضعفه البخاري جداً فقال: «منكر الحديث».
وأخرجه ابن أبي حاتم (٧١٣) من طريق حفص بن غياث، عن ليث بن أبي سليم، عن مغراء عن سعيد بن جبير مثله، ولم يشك، ولكن ليث بن أبي سليم ضعيف الحديث.

(٧) في «تفسيره» (٧١٤) وسنده صحيح. وأبو رجاء هو محمد بن سيف الأزدي الحداني وثقوه؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٠) قال: حدثنا أبي، ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا نوح بن قيس، ثنا أبو رجاء محمد بن سيف الحداني، عن الحسن قال: الفاقع: سوداء شديدة السواد. وقول الحسن هذا استغربه المصنف، ورده ابن جرير (٢/ ٢٠٠، ٢٠١)؛ وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣).

(٨) من (ن).

(٩) أخرج ابن أبي حاتم (٧١٨) وسنده قوي.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٦) وسنده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم.

وروى عن أبي العالية[(١)]، والربيع[(٢)] بن أنس، والسدي[(٣)]، والحسن، وقتادة[(٤)]، نحوه.

وقال شريك[(٥)]، عن (مغراء)[(٦)]، عن [(٧)][ابن عمر: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: (صافي)[(٨)] وقال العوفي في «تفسيره»[(٩)]، عن][(٧)] ابن عباس: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديدة الصفرة، تكاد من صفرتها تبيض.

وقال السدي[(١٠)]: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: تعجب الناظرين. وكذا قال أبو العالية، وقتادة، والربيع بن أنس.

وقال وهب بن[(١١)] منبه: إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج من جلدها.

[(١٢)][وفي التوراة أنها كانت حمراء؛ فلعل هذا خطأ في التعريب، أو كما قال الأول: إنها كانت شديدة الصفرة تضرب إلى حمرة وسواد. والله أعلم][(١٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ أي: لكثرتها؛ فميز لنا هذه البقرة وصفها وجلها لنا؛ ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إذا بينتها لنا ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها.

وقال ابن أبي[(١٣)] حاتم: حدثنا أحمد بن يحيى (الأودي)[(١٤)] الصوفي، حدثنا أبو سعيد أحمد بن داود الحداد، حدثنا سرور بن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان، عن عباد بن منصور، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن بني إسرائيل قالوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما أعطوا، ولكن استثنوا».

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» من وجه آخر عن (سرور)[(١٥)] بن المغيرة (بن)[(١٦)] زاذان، عن عباد بن منصور؛ عن الحسن، عن حديث أبي رافع، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن بني إسرائيل قالوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ما أُعطوا أبداً؛ ولو أنهم اعترضوا بقرةً من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم».

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٢٦). [وسنده جيد].
(٢) أخرجه ابن جرير (١٢٢٧). [وسنده جيد].
(٣) أخرجه ابن جرير (١٢٢٨). [وسنده حسن].
(٤) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٩) وعنه ابن جرير (١٢٢٥). [وسنده صحيح].
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٧) وسنده ضعيف.
(٦) شطب عليها ناسخ (ن)، وكتب بدلها: «معمر» وهو خطأ ظاهر، وسقط ذكره من (ك).
(٧) ساقط من (ك).
(٨) في (ز): «صاف».
(٩) أخرجه ابن جرير (١٢٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٧١٩) وسنده ضعيف.
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٢٣٣)؛ وابن أبي حاتم (٧٢١). [وسنده حسن].
(١١) أخرجه ابن جرير (١٢٣٢)؛ وابن أبي حاتم (٧٢٢) وسنده جيد.
(١٢) ساقط من (ز) و(ض).
(١٣) في «تفسيره» (٧٢٧) وسنده ضعيف.
وأخرجه تمام الرازي في «الفوائد» (٨٥) من طريق أبي إسماعيل الترمذي محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن داود بن سعيد الحداد، ثنا سرور بن المغيرة بسنده سواء.
(١٤) في (ح) و(ل): «الأزدي».
(١٥) في (ل): «مسرور».
(١٦) في (ز) و(ن): «عن» وهو خطأ.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة، كما تقدم (مثله)[١] عن السدي. والله أعلم.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي: إنها ليست مذللةً بالحراثة، ولا معدةً للسقي في السانية؛ بل هي مكرمة (حسناء)[٢] صبيحة مسلمة صحيحة لا عيب فيها.

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: ليس فيها لون غير لونها.

قال عبد الرزاق[٣]، عن معمر، عن قتادة: مسلمة؛ يقول: لا عيب فيها. وكذا قال أبو العالية[٤]، والربيع.

وقال مجاهد[٥]: مسلمة من الشية.

وقال عطاء[٦] الخراساني: مسلمة القوائم والخلق لا شية فيها؛ قال مجاهد[٧]: لا بياض ولا سواد. وقال أبو العالية[٨]، والربيع، والحسن، وقتادة: ليس فيها بياض.

وقال عطاء[٩] الخراساني: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ قال: لونها واحد بهيم.

وروي[١٠] عن عطية العوفي ووهب بن منبه، وإسماعيل بن أبي خالد، نحو ذلك.

وقال السدي[١١]: لا شية فيها من بياض، ولا سواد، ولا حمرة.

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى.

[١٢][وقد زعم بعضهم أن المعنى في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ ليست بمذللة بالعمل، ثم استأنف، فقال: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: يعمل عليها [١٣][بالحراثة لكنها][١٣] لا تسقي الحرث. [١٣][وهذا ضعيف؛ لأنه فسر الذلول التي لم تذلل بالعمل بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث][١٣]. كذا قرره القرطبي[١٤] وغيره][١٢].

---

(١) في (ج) و(ل): «نقله».

(٢) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ك) و(ن): «حسنة».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢٥٩)؛ وابن أبي حاتم (٧٣٨) كلاهما من طريق عبد الرزاق مثله وأخرجه ابن جرير (١٢٥٨) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وكلاهما صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٢٦٠) وكذا أثر الربيع عنده رقم (١٢٦١).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٢٥٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٣٧) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٣٩) وسنده حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٦٦، ١٢٦٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٠). [وسنده صحيح].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٢٦٥). وأما أثر الربيع بن أنس؛ فأخرجه ابن جرير أيضاً (١٢٧١) وأثر الحسن: أخرجه ابن أبي حاتم (٧٤١) ورجاله ثقات. وأثر قتادة: أخرجه ابن جرير (١٢٦٣، ١٢٦٤) من وجهين عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٤٢) وسنده ضعيف.

(١٠) هكذا نقلها المصنف عن ابن أبي حاتم.

(١١) أخرجه ابن جرير (١٢٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٣) وسنده حسن.

(١٢) ساقط من (ز) و(ض). (١٣) ساقط من (ج).

(١٤) في «تفسيره» (١/ ٤٥٣).

﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ قال قتادة[(١)]: الآن بينت لنا.

وقال عبد الرحمٰن[(٢)] بن زيد بن أسلم: وقبل ذلك ـ والله ـ قد جاءهم الحق؛ ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ قال الضحاك[(٣)] عن ابن عباس: كادوا أن لا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا؛ لأنهم أرادوا ألا يذبحوها.

يعني: أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد. وفي هذا ذم لهم؛ وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت؛ فلهذا ما كادوا يذبحونها.

وقال محمد بن[(٤)] كعب، ومحمد بن قيس: فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة ثمنها. وفي هذا نظر؛ لأن كثرة الثمن لم يثبت إلا من نقل بني إسائيل، كما تقدم من حكاية أبي العالية، والسدى، ورواه العوفي عن ابن عباس.

وقال عبيدة[(٥)]، ومجاهد[(٦)]، ووهب بن[(٧)] منبه، وأبو العالية[(٨)]، وعبد الرحمٰن[(٩)] بن زيد بن أسلم: إنهم اشتروها (بمال كثير)[(١٠)]. وفيه اختلاف؛ ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك.

قال عبد الرزاق[(١١)]: (أنبأنا)[(١٢)] ابن عيينة، أخبرني محمد بن سوقة، عن عكرة؛ قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير؛ وهذا إسناد جيد عن عكرمة.

والظاهر أنه نقله عن أهل الكتاب أيضاً.

وقال ابن جرير[(١٣)]: وقال آخرون: لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة إن أطلع الله على

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٧٢) عن سعيد بن أبي عروبة؛ وابن أبي حاتم (٧٤٤) عن شيبان النحوي كلاهما عن قتادة. وهو صحيح من الوجهين.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢٧٣) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢٧٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٧) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٢٧٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٨)؛ وعبد الرزاق (١/ ٤٩) وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمٰن السندي وكان تغير في آخر عمره، فلذلك ضعفه العلماء.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٩)؛ وابن جرير (١٢٧٩، ١٢٨٥، ١٢٨٦) بسند صحيح عن عبيدة قال: «اشتروها بملء جلدها دنانير».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٢٨٠، ١٢٨١) من طريقين عن مجاهد أنه باعها بملء جلدها ذهباً. [وسنده صحيح].

(٧) أخرجه ابن جرير (١٢٨٢) بسند جيد عن وهب بن منبه قال: «اشتروها منه على أن يملأوا له جلدها دنانير، ثم ذبحوها، فعمدوا إلى جلد البقرة فملأوه دنانير ثم دفعوها إليه».

(٨) أخرجه ابن جرير (١٢٨٤) بسند حسن عن أبي العالية قال: «لم يجدوها إلا عند عجوز وأنها سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: أعطوها رضاها وحكمها، ففعلوا، واشتروها فذبحوها».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٢٨٧) بسند صحيح عن عبد الرحمٰن بن زيد قال: «جعلوا يزيدون صاحبها حتى ملأوا له مشكها، وهو جلدها، ذهباً».

(١٠) كذا في (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(ى)؛ وفي (ع): «بثمن كثير» وأشار في الحاشية إلى تصويبها إلى «مال»؛ وفي (ج): «بما ذكر»؛ وفي (ل): «بما ذكروا».

(١١) في «تفسيره» (١/ ٥٠) ومن طريقه ابن جرير (١٢٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٩). [وسنده جيد].

(١٢) في (ج): «أخبرنا».

(١٣) في «تفسيره» (٢/ ٢٢١ ـ شاكر).

قاتل القتيل الذي اختصموا فيه. ولم يسنده عن أحد. ثم اختار أن الصواب في ذلك أنهم لم يكادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها، وللفضيحة.

وفي هذا نظر؛ بل الصواب، والله أعلم، ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس على ما وجهناه. وبالله التوفيق.

[(مسألة)(١)]:

استدل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت، أو تم تقييدها بعد الإطلاق، على صحة السلم في الحيوان، كما هو](١) (٢)[مذهب مالك، والأوزاعي، والليث، والشافعي، وأحمد (بن حنبل)(٣)، وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً؛ بدليل ما ثبت في «الصحيحين»(٤) عن النبي ﷺ: «لا تنعت المرأةُ المرأةَ لزوجها كأنه ينظر إليها».

وكما وصف النبي ﷺ إبل الدية في (قتل)(٥) الخطأ وشبه](٢) العمد (٦)[بالصفات المذكورة بالحديث(٧).

وقال أبو حنيفة، والثوري، والكوفيون: لا يصح السلم الحيوان؛ لأنه لا تنضبط أحواله. وحكى مثله عن ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبد الرحمٰن بن سمرة، وغيرهم](٦).

---

(١) ساقط من (ز) و(ض). (٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) ساقط من (ن).

(٤) كذا قال المصنف رحمه الله، والحديث لم يروه مسلم، ووهم القرطبي فعزاه في «تفسيره» (١/٤٥٣) لمسلم!! ثم هذا اللفظ الذي عزاه المصنف للبخاري وهو «لا تنعت المرأة...» لا وجود له فيه، وعزاه الحافظ في «التلخيص» (٣/٦) إلى البخاري بهذا اللفظ، وكل هذا خطأ، إنما هو عند البخاري (٩/٣٣٨) من طريق الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ: «لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها».

(٥) في (ج): «مثل»!

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) يشير المصنف إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٥٤١)؛ والنسائي (٨/٤٢، ٤٣)؛ وابن ماجه (٢٦٣٠)؛ وأحمد (٢/١٨٣، ١٨٦، ٢٢٤)؛ والدارقطني (٣/١٧٦)، من طرق عن محمد بن راشد، ثنا سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «من قتل خطأ فديته مائة من الإبل ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقةً وعشرة بني لبون ذكور قال: وكان رسول الله ﷺ يقومها على أهل القرى أربعمائة دينار أو عدلها من الورق ويقومها على أهل الإبل إذا غلت رفع في قيمتها وإذا هانت نقص من قيمتها على نحو الزمان ما كان فبلغ قيمتها على عهد رسول الله ﷺ ما بين الأربعمائة دينار إلى ثمانمائة دينار أو عدلها من الورق قال وقضى رسول الله ﷺ أن من كان عقله في البقر على أهل البقر مائتي بقرة ومن كان عقله في الشاة ألفي شاة وقضى رسول الله ﷺ أن العقل ميراث بين ورثة القتيل على فرائضهم فما فضل فللعصبة وقضى رسول الله ﷺ أن يعقل على المرأة عصبتها من كانوا ولا يرثون منه شيئاً إلا ما فضل عن ورثتها وإن قتلت فعقلها بين ورثتها وهم يقتلون قاتلها».اهـ. وهذا لفظ النسائي. ولفظ ابن ماجه قريب منه إلى قوله: «ألفي شاة» وهو عند الباقين مختصر. [وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢١٢٨)].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾.

قال البخاري: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ اختلفتم. وهكذا قال مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم[١] عن أبيه، عن حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ اختلفتم.

وقال عطاء[٢] الخراساني، والضحاك: اختصمتم فيها.

وقال ابن جريج[٣]: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ قال: قال بعضهم: أنتم قتلتموه، وقال آخرون: بل أنتم قتلتموه. وكذا قال عبد الرحمٰن[٤] بن زيد بن أسلم.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال مجاهد[٥]: ما تغيبون. وقال ابن[٦] أبي حاتم: حدثنا (عمرو بن[٧] سلم) البصري، حدثنا محمد بن الطفيل العبدي، حدثنا صدقة بن رستم، سمعت المسيب بن رافع يقول: ما عمل رجل حسنةً في سبعة أبيات إلا أظهرها الله، وما عمل رجل سيئةً في سبعة أبيات إلا أظهرها الله. وتصديق ذلك في كلام الله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن؛ وقد كان معيناً في نفس الأمر؛ فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود لنا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكنه أبهمه، ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه؛ فنحن نبهمه كما أبهمه الله.

ولهذا قال ابن أبي حاتم[٨]: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا (عفان)[٩] بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنةً حتى وجدوها عند رجل في بقر له، وكانت بقرة تعجبه؛ قال: فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملء مسكها دنانير، فذبحوها فضربوه ـ يعني: القتيل ـ بعضو منها، فقام تشخب أوداجه دماً، فقالوا له: من قتلك؟ قال: قتلني فلان.

وكذا قال الحسن[١٠]، وعبد الرحمٰن[١١] بن زيد بن أسلم: إنه ضُرب ببعضها.

---

(١) في «تفسيره» (٧٥١) وسنده جيد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٥٢) وسنده حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢٩٤) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٢٩٥) وسنده صحيح أيضاً.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٣٠٣)؛ وابن أبي حاتم (٧٥٣) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وسنده صحيح.

(٦) في «تفسيره» (٧٥٤).

(٧) وقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل): «عمرو بن مسلم»؛ وفي (ن): «عمرة بن أسلم» وكلاهما خطأ. وعمرو بن سلم أبو عثمان البصري ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٣٧/١/٣) وقال: «سمعت منه بالري، وهو صدوق».

(٨) في «تفسيره» (٧٥٥) وسنده جيد.

(٩) في (ز) و(ض): «عثمان»! وهو خطأ.

(١٠) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق عباد بن منصور عن الحسن].

(١١) أخرجه ابن جرير (١٣١٣) وسنده صحيح.

وفي رواية عن ابن عباس[١]: أنه ضُرب بالعظم الذي يلي الغضروف.

وقال عبد[٢] الرزاق: (أنبأنا)[٣] معمر؛ قال: قال أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة: ضربوا القتيل ببعض لحمها.

قال معمر: قال قتادة: ضربوه بلحم فخذها، فعاش، فقال: قتلني فلان.

وقال [٤][وكيع بن الجراح في «تفسيره»:][٤] حدثنا النضر بن عربي، عن عكرمة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ فضرب بفخذها فقام، فقال: قتلني فلان.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد[٥]، وقتادة[٦] وعكرمة، نحو ذلك.

وقال السدي[٧]: فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين، فعاش؛ فسألوه فقال: قتلني ابن أخي.

وقال أبو العالية[٨]: أمرهم موسى ﷺ أن يأخذوا عظماً من عظامها فيضربوا (به)[٩] القتيل، ففعلوا؛ فرجع إليه روحه؛ فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتاً كما كان.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: فضربوه ببعض آرابها[١٠]. [١١][وقيل بلسانها. وقيل بعجب ذنبها][١١].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي: فضربوه فحَيِيَ؛ ونبَّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل؛ جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجةً لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة (والعناد)[١٢].

والله تعالى (قد)[١٣] ذكر في هذه السورة (ما)[١٤] خلقه من إحياء الموتى في خمسة مواضع: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦] وهذه القصة، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ـ وقصة إبراهيم (ﷺ)[١٥] والطيور الأربعة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٥٦) وفي سنده قيس بن الربيع فيه مقال.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٩) إلى «وكيع، وابن المنذر وعبد بن حميد والفريابي».
(٢) في «تفسيره» (١/ ٤٩) ومن طريقه ابن جرير (١٣٠٩) وسنده صحيح.
(٣) في (ج): «أخبرنا».
(٤) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ن) و(ى)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل): «أبو أسامة». وقد عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٩) إلى وكيع في «تفسيره» والنضر بن عربي من شيوخه [وسنده حسن]؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٥٧) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة عن النضر بن عربي. وأخرجه ابن جرير (١٣٠٧) من طريق جابر بن نوح عن النضر بن عربي.
(٥) أخرجه ابن جرير (١٣٠٥، ١٣٠٦) من طريقين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. [وسنده صحيح].
(٦) أخرجه ابن جرير (١٣١٠) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (١٣١١). [وسنده حسن].
(٨) أخرجه ابن جرير (١٣١٢). [وسنده جيد].
(٩) من (ز) و(ن).
(١٠) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن زيد].
(١١) ساقط من (ز) و(ض).
(١٢) في (ز) و(ض): «الفساد».
(١٣) ساقط من (ج).
(١٤) في (ن): «مما».
(١٥) من (ن).

(وينبه)[١] تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميماً؛ كما قال أبو داود الطيالسي[٢]: حدثنا شعبة، أخبرني يعلى بن عطاء؛ قال: سمعت وكيع بن عدس يحدث عن أبي رزين العقيلي ﵁؛ قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ قال: «أما مررت بواد ممحل، ثم مررت به خضراً»؟ قال: بلى. قال: «كذلك النشور». أو قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾.

وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس].

[(مسألة)[٣]:

استدل لمذهب الإمام مالك في كون قول الجريح: فلان قتلني لوثاً[٤] بهذه القصة؛ لأن القتيل لما حيي سئل عمن قتله، فقال: فلان قتلني؛ فكان ذلك مقبولاً منه؛ لأنه لا يخبر حينئذٍ إلا بالحق، ولا يتهم والحالة هذه. ورجحوا ذلك؛ لحديث[٥] أنس أن يهودياً قتل جارية على أوضاح[٦] لها، فرضخ رأسها بين حجرين؛ فقيل: من فعل بك هذا، أفلان؟ أفلان؟ حتى ذكروا اليهودي؛ فأومأت برأسها؛ فأخذ][٣] [٧][اليهودي، فلم يزل به حتى اعترف؛ فأمر رسول الله ﷺ أن يرض رأسه بين حجرين.

وعند مالك إذا كان لوثاً حلف أولياء القتيل قسامةً، وخالف الجمهور في ذلك ولم يجعلوا قول القتيل في ذلك لوثاً][٧].

---

(١) في (ز) و(ن): «نبه»؛ وفي (ك): «وبينه».

(٢) في «مسنده» (١٠٨٩) ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٧٤)؛ وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٩/رقم ٤٧٠)؛ وأحمد في «المسند» (٤/ ١١، ١٢) من طريق محمد بن جعفر غندر، زاد أحمد: وعبد الرحمٰن بن مهدي، قالا: ثنا شعبة بإسناده سواء؛ وأخرجه أحمد (٤/ ١١) من طريق حماد بن سلمة أنا يعلى بن عطاء به وزاد البيهقي: «وذلك آيته في خلقه». وهو حديث طويل عند أبي داود وابن ماجه بعضه. وسنده ضعيف، ووكيع بن حدس، بالحاء المهملة، ويقال: عدس، بالعين المهملة، وصوب الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١١) أنه بالحاء المهملة. وكذلك ترجمة الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٤) قال: ويقال: عدس. ووكيع هذا قال الذهبي: «لا يعرف».

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) اللوث: أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أن يموت أن فلاناً قتلني أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما، أو تهديد منه له، أو نحوه.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٧١، ٣٧١ و١٢/ ١٩٨، ٢١٣، ٢١٤)؛ ومسلم (١٦٧٢/ ١٧)؛ وأبو داود (٤٥٢٧)؛ والنسائي (٨/ ٢٢)؛ والترمذي (١٣٩٤)؛ وابن ماجه (٢٦٦٥)؛ والدارمي(٢/ ١١٠)؛ والطيالسي (١٩٨٦)؛ وأحمد (٣/ ١٨٣، ١٩٣، ٢٦٢، ٢٦٩)؛ وابن الجارود (٨٣٧، ٨٣٨)؛ وابن أبي عاصم في «الديات» (ص١٧٥)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ١٧٩)؛ والبيهقي (٨/ ٢٨) من طرق عن قتادة، عن أنس. وقال الترمذي: «حسن صحيح» وله طريقان آخران عن أنس.

(٦) الأوضاح: حلي من قطع الفضة.

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾.

يقول تعالى، توبيخاً لبني إسرائيل، وتقريعاً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ كله؛ ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ التي لا تلين أبداً.

ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم؛ فقال: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (١٦)﴾ [الحديد].

وقال العوفي في «تفسيره»[(١)] عن ابن عباس: لما ضُرب المقتول ببعض البقرة جلس أحيا ما كان قط، فقيل له: من قتلك؟ قال: بنو أخي قتلوني. ثم قُبض؛ فقال بنو أخيه حين (قبض)[(٢)]: والله ما قتلناه، فكذبوا بالحق بعد (إذ)[(٣)] رأوه. فقال الله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [(٤)][يعني: (بني)[(٥)] أخي الشيخ][(٤)]، ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسيةً بعيدةً عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات؛ فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها، أو أشد قسوةً من الحجارة؛ فإن من الحجارة ما يتفجر منها العيون (الجارية بالأنهار)[(٦)] ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جارياً، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله.

وفيه إدراك لذلك بحسبه؛ كما قال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء].

قال ابن أبي نجيح[(٧)]، عن مجاهد: إنه كان يقول: كل حجر يتفجر منه الماء، أو (ينشق)[(٨)] عن ماء، أو يتردى من رأس جبل لمن خشية الله، نزل بذلك القرآن.

وقال محمد بن[(٩)] إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٣١٤)؛ وابن أبي حاتم (٧٦١) وسنده ضعيف.
(٢) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ن): «قبضه الله».
(٣) في (ن): «إن».
(٤) ساقط من (ل).
(٥) كذا في (ز) و(ض)؛ وفي (ن): «أبناء»؛ وفي (ج) و(ع) و(ك) و(ى): «ابن».
(٦) في (ن): «بالأنهار الجارية».
(٧) أخرجه ابن جرير (١٣١٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٦٩) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فذكره وسنده صحيح.
(٨) في (ز) و(ن) و(ى): «يتشقق».
(٩) وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٧٠). [وسنده حسن].

(١)[وقال أبو علي (الجبائي)(٢) في «تفسيره»: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ هو سقوط البرد من السحاب. قال القاضي الباقلاني: وهذا تأويل بعيد، وتبعه في استبعاده (فخر الدين)(٣) الرازي؛ وهو كما قال: فإن هذا خروج عن (ظاهر)(٤) اللفظ بلا دليل. والله أعلم](١).

وقال ابن أبي حاتم(٥): حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الحكم بن هشام الثقفي، حدثني يحيى بن أبي طالب - (يعني: يحيى)(٦) بن يعقوب - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قال: كثرة البكاء. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ قال: قليل البكاء. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ قال: بكاء القلب من غير دموع العين.

(٧)[وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: كالعيون السارحة المشاهدة، تخرج من الأحجار عياناً، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ كحجر موسى الذي كان إذا ضربه نبع منه اثنا عشرة عيناً بإذن الله في ذلك، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: من رؤوس شواهق الجبال، وهذا كقوله: «أُحد جبل يحبنا ونحبه»](٧).

(٨)[وقد زعم بعضهم أن هذا من باب المجاز، وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة، كما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] قال (فخر الدين)(٩) (الرازي)(١٠) والقرطبي(١١) وغيرهما من الأئمة: ولا حاجة إلى هذا؛ فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى](٨) (١٢)[ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ...﴾ الآية [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُ...﴾ الآية [النحل: ٤٨] ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ...﴾ الآية [الحشر: ٢١]، (١٣)[﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ (ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)(١٤)﴾](١٣) [فصلت: ٢١].

(١٥)[وفي «الصحيح»(١٦): «هذا جبل يحبنا ونحبه»](١٥) وكحنين الجذع(١٧) المتواتر خبره](١٢).

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) في (ن): «الحياني»! وأشار في الحاشية أنه وقع في نسخة: «الجبائي».
(٣) ساقط من (ن). وانظر «تفسير الرازي» (٢/ ١٤١). (٤) ساقط من (ج) و(ك) و(ن).
(٥) في (تفسيره) (٧٦٥، ٧٧١) وهشام بن عمار تغير حفظه في آخر عمره. فكان إذا لقنوه قبل التلقين.
(٦) في (ن): «يعني ويحيى» وذكر «الواو» خطأ. (٧) من (ج) و(ل).
(٨) ساقط من (ز) و(ض). (٩) ساقط من (ن).
(١٠) من (ن) وانظر «تفسير الرازي» (٢/ ١٤٠، ١٤١). (١١) في (تفسيره) (١/ ٤٦٥).
(١٢) ساقط من (ز) و(ض).
(١٣) هذه الآية ليست في (ى)، وكتب بدلها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ﴾ الآية [الحج: ١٨].
(١٤) لم يذكرها في (ن) وكتب بدلها: الآية.
(١٥) ساقط من (ى).
(١٦) أخرجه البخاري (٣/ ٣٤٣، ٣٤٤؛ و٤/ ٨٨؛ و٦/ ٢٦٦؛ و٧/ ١١٥؛ و٨/ ١٢٥)؛ ومسلم (١٣٩٢/ ١١، ١٢).
(١٧) ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (١/ ٥٤٣، ٥٤٤؛ و٤/ ٣١٩؛ و٦/ ٦٠١، ٦٠٢).

(١)[وفي «صحيح(٢) مسلم»: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

وفي صفة الحجر(٣) الأسود أنه يشهد لمن استلمه بحق يوم القيامة](١).

(٤)[وغير ذلك مما في معناه.

(٥)[وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة «أبي عبد الله(٦) الفيحي أو الفتحي» قال: سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول: تكلمت بشيء من الحكمة بين يدي هذا العمود الحجر، فقطر العمود دماءً!](٥).

قال: وخرجنا (مرة نريد دير مران)(٧)، ومعنا جماعة، منهم رجل معه في كمه محبرة، فتكلم رجل منا بشيء من الحكمة، فصاحت المحبرة صياحاً عالياً، وانفلقت!](٤).

تنبيه: اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ بعد الإجماع على استحالة كونها للشك؛ فقال بعضهم: «أو» ها هنا بمعنى الواو، تقديره: فهي كالحجارة وأشد قسوة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]. (٨)[﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ⑥﴾ [المرسلات]](٨) وكما قال النابغة (الذبياني)(٩):

(١٠)[قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا   إلى حمامتنا أو نصفه فقد

تريد ونصفه؛ قاله ابن جرير.

وقال ابن جرير(١١) بن عطية:

نال الخلافة أو كانت له قدراً   كما أتى ربه موسى على قدر

قال ابن جرير: يعني: نال الخلافة، وكانت له قدراً](١٠).

(١٢)[وحكى القرطبي(١٣) قولاً بالتخيير؛ أي: شبهوها بهذا أو بهذا، مثل: جالس الحسن](١٢)

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٧/٢).
(٣) يشير إلى ما رواه ابن عباس مرفوعاً: «ليبعثن الله الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق».
أخرجه الترمذي (٩٦١)؛ وابن ماجه (٢٩٤٤)؛ والدارمي (١/ ٣٧٢)؛ وأحمد (٢٦٤٣، ٢٧٩٦، ٢٧٩٧، ٣٥١١)؛ وابن خزيمة (٢٧٣٤، ٢٧٣٥، ٢٧٣٦)؛ وأبو يعلى (٢٧١٩)؛ وابن حبان (٣٧١١، ٣٧١٢) وآخرون من طريق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن» وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وعائشة ﷺ.
(٤) ساقط من (ز) و(ض).
(٥) من (ج) و(ل) و(ع) و(ى).
(٦) من «تاريخ دمشق» (ج١٩/ ق١٣٠) وأبو عبد الله الفيحي مجهول، والحكاية في غاية الغرابة.
(٧) كذا في (ع) و(ى) وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ولفظه: «خرجنا أيام البصري نريد دير مران»، و«دير مران»: موضع قرب دمشق كما في «معجم البلدان» (٢/ ٥٣٣) ووقع في (ج): «يزيد بن رومان»؛ وفي (ل): «يزيد ابن مروان».
(٨) ساقط من (ز) و(ض).
(٩) ساقط من (ج).
(١٠) ساقط من (ز) و(ض).
(١١) وانظر ديوانه (٢٧٥) وفيه: «نال الخلافة إذا كانت...».
(١٢) ساقط من (ز) و(ض) ووقعت هذه الفقرة في (ن) قبل: «تنبيه».
(١٣) في «تفسيره» (١/ ٤٦٣).

[١][(أو)[٢] ابن سيرين، وكذا حكاه (فخر الدين)[٣] (الرازي)[٤] في «تفسيره»[٥]، وزاد قولاً آخر وهو أنها للإبهام بالنسبة إلى المخاطب؛ كقول القائل: أكلت خبزاً أو تمراً؟ وهو يعلم أيهما أكل. وقولاً آخر: وهو أنها بمعنى قول القائل: (أكلي حلو أو حامض)[٦]؛ أي: لا يخرج عن واحد من هذين الشيئين، والله أعلم][١].

وقال آخرون: «أو» ها هنا بمعنى «بل»؛ فتقديره: فهي كالحجارة؛ بل أشد قسوة. وكقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم].

وقال آخرون: معنى ذلك ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ عندكم؛ حكاه ابن جرير.

وقال آخرون: المراد بذلك الإبهام على المخاطب، كما قال أبو الأسود:

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصايا[٧]

فإن يك حبهم رشداً أصبه (وليس)[٨] بمخطئ إن كان غيا

وقال ابن جرير: قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حب من سمي رشد، ولكنه أبهم على (من)[٩] خاطبه؛ قال: وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت؟ فقال: كلا والله، ثم انتزع بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] فقال: أو كان شاكاً من أخبر بهذا [١٠][في الهادي منهم من الضال][١٠].

وقال بعضهم: معنى ذلك: (فقلوبهم)[١١] لا تخرج عن أحد هذين المثلين؛ إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشد منها (قسوةً)[١٢].

قال ابن جرير: ومعنى ذلك على هذا التأويل: فبعضها كالحجارة قسوةً، وبعضها أشد قسوةً من الحجارة.

وقد رجحه ابن جرير[١٣] مع توجيه غيره.

قلت: وهذا القول الأخير يبقى شبيهاً بقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] مع قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] وكقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩] مع قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ...﴾ الآية [النور: ٤٠] أي: إن منهم من هو هكذا؛ ومنهم من هو هكذا. والله أعلم.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) ووقعت هذه الفقرة في (ن) قبل: «تنبيه».
(٢) في (ج): «و»!
(٣) ساقط من (ن).
(٤) ساقط من (ع).
(٥) (١٣٨/٢).
(٦) في (ن): «كل حلواً أو حامضاً».
(٧) في «تفسير القرطبي»: «أو علياً».
(٨) هكذا في كل «الأصول»؛ وفي «الطبري» و«القرطبي»: «ولست» وهو الأنسب للسياق.
(٩) ساقط من (ج).
(١٠) في (ن): «من الهادي منهم ومن الضال»؛ وفي (ج): «فالهادي منهم...»؛ وفي (ز) و(ك): «من الضلال».
(١١) في (ز) و(ن): «فقلوبكم».
(١٢) في (ن) و(ى): «في القسوة».
(١٣) في «تفسيره» (٢٣٧/٢).

وقال الحافظ أبو بكر[1] بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي الثلج، حدثنا علي بن حفص، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن حاطب، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي».

رواه الترمذي في «كتاب الزهد» من «جامعه» عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج صاحب الإمام أحمد، به.

ومن وجه آخر عن إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب، به. وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم».

[2][وروى البزار[3] عن أنس ـ مرفوعاً: «أربع من الشقاء: جمود العين، (وقساء)[4] القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا»][2].

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي: ينقاد لكم بالطاعة؟ هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه، ثم قست قلوبهم من بعد

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٩/رقم ٤٦٠٠، ٤٦٠١)؛ والواحدي في «الوسيط» (١/ ٢/٢٧)؛ وأبو جعفر الطوسي الفقيه الشيعي في «الأمالي» (ص٢)، كما في «الضعيفة» (٩٢٠)، من طريق إبراهيم بن عبد الله بن حاطب عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مرفوعاً... فذكره.
قال الترمذي: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب». كذلك نقل المنذري (٥٣٨/٣) التحسين. ونقل المصنف هنا الغرابة دون التحسين، وكذلك هو في «أطراف المزي» (٥/ ٤٤٥)؛ و«تحفة الأحوذي» (٧/ ٩٣) وهو اللائق.
وصحح إسناده الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١/ ١٦٨) والصواب أنه ضعيف الإسناد.

(٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) في «مسنده» (ج٢/ق٥٢/٢) قال: حدثنا محمد بن أبي الحسن المصري، ثنا هانئ بن المتوكل، ثنا عبد الله بن سليمان، عن إسحاق وأبان، عن أنس مرفوعاً فذكره وسقط ذكر «إسحاق» من «كشف الأستار» رقم (٣٢٣٠) وكذلك سقط لفظ «عن» بين «عبد الله بن سليمان» و«أبان».
وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٢٥) من طريق محمد بن سنان القزاز ثنا هانئ بن المتوكل به، ولم يذكر «أبان بن أبي عياش». قال البزار بعد أن روى عدة أحاديث بهذا السند: «وعبد الله بن سليمان قد حدث بأحاديث لم يتابع عليها ولا نعلم روى هذه الأحاديث عن عبد الله إلا هانئ بن المتوكل وإنما ذكرناها لأننا لا نحفظها من حديث غيره».
(*) **قلت**: وسنده ضعيف جداً.

(٤) كذا في (ج) و(ل) وهو الموافق لما في (البزار)؛ وفي (ع) و(ى): «قسوة؛ وفي (ن)»: «قساوة»؛ وفي (ك): «قساية»!

ذلك، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه على الجلية، ومع هذا يخالفونه على بصيرة، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله.

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

قال محمد بن إسحاق[١]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ أنه قال: ثم قال الله تعالى لنبيه ﷺ ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ وليس قوله: (سمعوا التوراة)[٢]، كلهم قد سمعها، (ولكنهم)[٣] الذين سألوا موسى رؤية ربهم، فأخذتهم الصاعقة فيها.

وقال محمد[٤] بن إسحاق فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى: يا موسى: قد حيل بيننا وبين رؤية (الله)[٥] تعالى، فأسمعنا كلامه حين يكلمك، فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى؛ فقال: نعم، مرهم فليتطهروا، وليطهروا ثيابهم، ويصوموا. ففعلوا؛ ثم خرج بهم حتى أتوا الطور؛ فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى (أن يسجدوا)[٦]، (فوقعوا سجوداً)[٧]، وكلمه ربه (فلما سمعوا)[٨] كلامه يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا (عنه)[٩] ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل.

فلما جاءهم (حرَّف)[١٠] فريق منهم ما أمروا به، [١١][وقالوا ـ حين قال موسى لبني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا؛ قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله ـ: إنما قال كذا وكذا، خلافاً لما قال الله ﷻ لهم][١١]؛ فهم الذين عنى الله لرسوله ﷺ.

وقال السدي[١٢]: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ قال: هي التوراة حرفوها.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٧٣). [وسنده حسن].

(٢) هكذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٧٧٥)؛ وفي (ز): «ليس قوله يسمعون كلام الله سمعوا التوراة» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٣٣٣) عن ابن إسحاق قوله. ومعنى الكلام: وليس قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] أنهم يسمعون التوراة، فكلهم قد سمعها، ولكن المراد بهذه الآية الذين سألوا موسى ﷺ رؤية ربهم.

(٣) في (ن): «ولكن هم».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٣٣٤)؛ وابن أبي حاتم (٧٧٧) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. [وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق].

(٥) في (ن): «ربنا».

(٦) ليس في «تفسير الطبري» ولا في «ابن أبي حاتم».

(٧) من (ن) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٣٣٤)، و«ابن أبي حاتم» وسقط من باقي «الأصول».

(٨) في (ن): «فسموا».

(٩) في (ن): «منه».

(١٠) في (ك): «صرف»!

(١١) من (ن) وهو الموافق لما في «الطبري».

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٣٣٠)؛ وابن أبي حاتم (٧٧٩). [وسنده حسن].

وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق؛ وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق؛ فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله (أن)[1] يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] أي: مبلغاً إليه.

ولهذا قال قتادة[2] في قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه (ووعوه)[3].

وقال مجاهد[4]: الذين يحرفونه والذين يكتمونه (هم)[5] العلماء منهم.

وقال أبو العالية[6]: عمدوا إلى ما أنزل الله في (نص)[7] كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه.

وقال السدي[8]: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنهم أذنبوا.

وقال ابن وهب[9]: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها؛ يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرامَ فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً، إذا جاءهم المحق برشوةٍ أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوةٍ أخرجوا له ذلك الكتاب؛ فهو فيه محق. (وإن جاء)[10] أحد يسألهم (شيئاً)[11] ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق؛ فقال الله لهم: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا [12][وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ][12]. . .﴾ الآية.

قال محمد بن[13] إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ أي: (بصاحبكم)[14] رسول الله ولكنه إليكم خاصةً؛ وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا؛ فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم؛ فكان منهم؛ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ﴾ أي: تقرون بأنه نبي؛ وقد علمتم أنه قد

---

(١) في (ج) و(ل): «لمن».
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨١) وسنده جيد.
(٣) ساقط من (ج) و(ض) و(ل).
(٤) أخرجه ابن جرير (١٣٢٨، ١٣٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٧٧٨) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده صحيح.
(٥) ساقط من (ج).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٠). [وسنده صحيح].
(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(ى).
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٢). [وسنده حسن].
(٩) أخرجه ابن جرير (١٣٣١) وسنده صحيح.
(١٠) في (ز) و(ل): «وإن جاءهم»؛ وفي (ن): «وإذا جاءهم».
(١١) من (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».
(١٢) من (ن).
(١٣) أخرجه ابن جرير (١٣٣٧، ١٣٤٠). [وسنده حسن].
(١٤) في (ن): «إن صاحبكم».

أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبرهم أنه النبي الذي (كنا ننتظر)[١]، ونجد في كتابنا، اجحدوه ولا تقروا به؛ يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

وقال الضحاك[٢]، عن ابن عباس: يعني: المنافقين من اليهود؛ كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا: آمنا.

وقال السدي[٣]: هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا؛ وكذا قال الربيع[٤] بن أنس، وقتادة[٥]، وغير واحد من السلف والخلف، حتى قال عبد الرحمٰن[٦] بن زيد بن أسلم فيما رواه ابن وهب عنه: كان رسول الله ﷺ قد قال: «لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن»؛ فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبوا فقولوا: آمنا، واكفروا إذا رجعتم إلينا؛ فكانوا يأتون المدينة بالبُكر، ويرجعون إليهم بعد العصر. وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران] وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة: نحن مسلمون، ليعلموا خبر رسول الله ﷺ وأمره؛ فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر؛ فلما أخبر الله نبيه ﷺ قطع ذلك عنهم، فلم يكونوا يدخلون؛ وكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون، فيقولون: أليس قد قال الله لكم كذا وكذا؟ فيقولون: بلى؛ فإذا رجعوا إلى قومهم (يعني: الرؤساء)[٧]؛ فقالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ...﴾ الآية.

وقال أبو العالية[٨]: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: بما أنزل عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ.

وقال عبد الرزاق[٩]، عن معمر، عن قتادة: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قال: كانوا يقولون: سيكون نبي. فخلا بعضهم ببعض، فقالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

قول آخر في المراد بالفتح: قال ابن جريج[١٠]: حدثني القاسم بن أبي (بزة)[١١]، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم؛

---

(١) في (ج) و(ل): «كان ينتظر».
(٢) أخرجه ابن جرير (١٣٣٦) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٣٨)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٤) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٣). [وسنده جيد].
(٥) أخرجه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (١/ ٨١).
(٦) أخرجه ابن جرير (١٣٤٩) وسنده ضعيف جداً، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم تالف، ثم هو معضل.
(٧) ساقط من (ز) و(ض).
(٨) أخرجه ابن جرير (١٣٤١)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٦). [وسنده جيد].
(٩) في «تفسيره» (١/ ٥٠) ومن طريقه ابن جرير (١٣٤٣) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٣٤٢) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٣٤٧) وهو مرسل صحيح الإسناد.
وأخرجه مجاهد في «تفسيره» (ص٢٠٧) ومن طريقه ابن جرير (١٣٤٥، ١٣٤٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٧) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.
(١١) في (ن): «برزة»! وهو خطأ.

فقال: يا إخوان القردة والخنازير، ويا عبدة الطاغوت فقالوا: من أخبر بهذا الأمر محمداً؟ ما خرج هذا (الأمر)[١] إلا منكم؛ ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما حكم الله للفتح؛ ليكون لهم حجةً عليكم.

قال ابن جريج، عن مجاهد: هذا حين أرسل إليهم علياً، فآذوا محمداً ﷺ[٢].

وقال السدي[٣]: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ هؤلاء ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا؛ فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به؛ فقال بعضهم لبعض: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم.

وقال عطاء الخراساني[٤]: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: بما قضى لكم وعليكم.

وقال الحسن البصري[٥]: هؤلاء اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قال بعضهم: لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصموكم.

وقوله (تعالى)[٦]: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ قال أبو العالية[٧]: يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد ﷺ، وتكذيبهم به، وهم يجدونه مكتوباً عندهم؛ وكذا قال قتادة[٨].

وقال الحسن[٩]: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ قال: كان ما أسروا أنهم كانوا إذا تولوا عن أصحاب محمد ﷺ، وخلا بعضهم إلى بعض، (تناهوا)[١٠] أن (يخبر أحد)[١١] منهم أصحاب محمد ﷺ بما فتح الله عليهم مما في كتابهم خشية أن يحاجهم أصحاب محمد ﷺ بما في كتابهم عند ربهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يعني: حين قالوا لأصحاب محمد ﷺ: آمنا.

وكذا قال أبو العالية[١٢]، والربيع[١٣]، وقتادة[١٤].

---

(١) في (ز) و(ن): «القول» ولا توجد هذه الكلمة في «تفسير الطبري».
(٢) [أخرجه الطبري وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد].
(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٤٨)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٨) وسنده حسن.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٩) وسنده ضعيف. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩٠) وسنده ضعيف.
(٦) من (ن).
(٧) أخرجه ابن جرير (١٣٥١)؛ وابن أبي حاتم (٧٩١). [وسنده جيد].
(٨) أخرجه ابن جرير (١٣٥٠). [وسنده جيد].
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩٢). [وسنده مرسل ويتقوىٰ بما يليه].
(١٠) ساقط من (ج).
(١١) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ج) و(ض): «يخبر واحد»؛ وفي (ك) و(ل): «تخبروا أحداً».
(١٢) أخرجه ابن جرير (١٣٥١)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٣). [وسنده جيد].
(١٣) [وهو مرسل ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه].
وكتب في هامش (ع) عند هذا الموضع: «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».
(١٤) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة لكنه مرسل ويشهد له ما سبق].

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ (أُمِّيُّونَ)﴾[1] أي: ومن أهل الكتاب؛ قاله مجاهد[2].

والأميون: جمع أمي، وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة؛ قاله أبو العالية، والربيع، وقتادة، وإبراهيم[3] النخعي، وغير واحد؛ وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ (إِلَّآ أَمَانِيَّ)﴾ أي: لا يدرون ما فيه.

ولهذا في صفات النبي ﷺ: أنه الأمي؛ لأنه لم يكن يحسن الكتابة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت] وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب: الشهر هكذا وهكذا وهكذا. . .» الحديث[4]؛ أي: لا نفتقر في عباداتنا ومواقيتها إلى كتاب ولا حساب.

وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] وقال ابن جرير[5]: نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه.

قال: وقد روي عن ابن عباس[6] رضي الله عنه قول خلاف هذا، وهو ما حدثنا به أبو كريب: حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: الأميون قوم لم يصدوقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم؛ ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله.

وقال[7]: قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله.

ثم قال ابن جرير[7]: وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن الأميَّ عند العرب الذي لا يكتب.

قلت: ثم في صحة هذا عن ابن عباس بهذا الإسناد نظر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ قال ابن أبي طلحة[8]، عن ابن عباس: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ إلا أحاديث.

---

(١) ساقط من (ج).
(٢) أخرجه ابن جرير (١٣٥٤) من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: «أناس من اليهود». وسنده ضعيف لتدليس ابن جريج، وإنما يروى ابن جريج التفسير عن مجاهد بواسطة.
(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٦) وسنده صحيح.
(٤) أخرجه البخاري (١٢٦/٤)؛ ومسلم (١٥/١٠٨٠)؛ وأبو عوانة (ص١٠١ ـ القسم المتمم)؛ وأبو داود (٢٣١٩)؛ والنسائي (٤/ ١٤٠)؛ وأحمد (٤٣/٢)؛ وابن أبي شيبة (٨٥/٣)؛ والبيهقي (٤/ ٢٥٠؛ و٧/ ٤٢) من طرق عن شعبة، ثنا الأسود بن قيس، قال: سمعت سعيد بن عمرو يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: فذكره مرفوعاً.
(٥) في «تفسيره» (٢٥٩/٢).
(٦) أخرجه ابن جرير (١٣٥٨) وسنده ضعيف.
(٧) في «تفسيره» (٢٥٩/٢).
(٨) أخرجه ابن جرير (١٣٧٠)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٧).

وقال الضحاك[١]، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ يقول: إلا قولاً يقولون بأفواههم كذباً.

وقال مجاهد[٢]: إلا كذباً.

وقال سنيد[٣]، عن حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ قال: أنا من (يهود)[٤] لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب، أماني يتمنونها.

وعن الحسن البصري[٥] نحوه.

وقال أبو العالية[٦]، والربيع، وقتادة[٧]: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ يتمنون على الله ما ليس لهم.

وقال عبد الرحمٰن[٨] بن زيد بن أسلم: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ قال: تمنوا، فقالوا: نحن من أهل الكتاب وليسوا منهم.

قال ابن جرير[٩]: والأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس؛ (وقول)[١٠] مجاهد: إن الأميين الذين وصفهم الله (تعالى)[١١] (أنهم)[١٢] لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى شيئاً، ولكنهم يتخرصون الكذب، ويتخرصون الأباطيل كذباً وزوراً؛ والتمني في هذا الموضع: هو تخلق الكذب وتخرصه؛ ومنه الخبر المروي عن عثمان[١٣] بن عفان ﷺ: «ما تغنيت ولا تمنيت» يعني: ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٣٦٥) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣٦٦، ١٣٦٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٩) وهو صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٧١) وسنده ضعيف.

(٤) في (ن): «اليهود».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٢) بسند ضعيف عن الحسن قال: «هؤلاء ناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً كما قال الله فكانوا يتكلمون بالظنون بغير ما في كتاب الله ويقولون: هو من الكتاب، أماني يتمنونها».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٣٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٨) وسنده حسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٥٠) ومن طريقه ابن جرير (١٣٦٩) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة... فذكره؛ وأخرجه ابن جرير (١٣٦٨) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٣٧٣) وسنده صحيح.

(٩) في «تفسيره»: (١/ ٢٦٢).

(١٠) في (ن): «وقال».

(١١) من (ن).

(١٢) في (ج): «في أنهم».

(١٣) أخرجه ابن أبي عمر العدني في «مسنده»، كما في «زوائد البوصيري على ابن ماجه» (١/ ١٣٣)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٢٢٥)؛ وابن ماجه (٣١١) قال: حدثنا علي بن محمد قالا: ثنا وكيع، ثنا الصلت بن دينار، عن عقبة بن صهبان سمعت عثمان ﷺ يقول... فذكره وبقية الخبر: «ولا مسست ذكرى بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ». وتوبع وكيع. تابعه المعتمر بن سليمان، قال: سمعت الصلت بن دينار يحدث عن عقبة بن صهبان قال: أتيت عثمان فلم أر عنده شرطياً ولا جلوازاً، فسمعته يقول... وذكره.
أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (١/ ٣٣٩، ٣٤٠) قال: حدثنا حاتم بن يونس الجرجاني، ثنا عبد الأعلى بن حماد، ثنا المعتمر بن سليمان به.
وهذا سند ضعيف جداً، والصلت بن دينار متروك الحديث.

[١][وقيل: المراد بقوله: إلا أماني بالتشديد والتخفيف أيضاً؛ أي: إلا تلاوةً؛ فعلى هذا يكون استثناءً منقطعاً؛ واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج: ٥٢] أي: تلا ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ...﴾ الآية [الحج: ٥٢] وقال كعب بن[٢] مالك الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر][١]

[٣][وقال آخر:

تمنى كتاب الله آخر ليله تمني داود (الكتاب)[٤] على رسل][٣]

وقال محمد بن إسحاق[٥]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: [٦][ولا يدرون ما فيه، (وهم يجدون نبوتك)[٧] بالظن.

وقال مجاهد[٨]: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾][٦] يكذبون.

وقال قتادة[٩]، وأبو العالية[١٠]، والربيع[١١]: يظنون بالله الظنون بغير الحق.

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية: هؤلاء صنف آخر من اليهود، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله، وأكل أموال الناس بالباطل.

والويل: الهلاك والدمار؛ وهي كلمة مشهورة في اللغة.

وقال سفيان الثوري[١٢]، عن زياد بن فياض: سمعت أبا عياض يقول: ويل: صديد في أصل جهنم.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) كذا نسبه لكعب، والمشهور أن قائله حسان بن ثابت ﷺ، وكذا نسبه إليه جماعة. وانظر «تفسير الفخر الرازي» (١٢/ ٥٢)؛ و«البحر المحيط» (٦/ ٣٨٢) لأبي حيان، و«اللسان» وغيرها.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) كذا في «الأصول»، ووقع في «البحر المحيط» (٦/ ٣٨٢)؛ وفي «تفسير القرطبي» (٢/ ٦)؛ وفي «تفسير ابن عطية» (١٠/ ٣٠٤)؛ وفي «تفسير القاسمي» (ص٤٣٦٦)؛ وفي «روح المعاني» (١٧/ ١٧٣)؛ وفي «أضواء البيان» (٥/ ٧٢٧): «الزبور» بدل «الكتاب» وهذا البيت نسبه الألوسي في «روح المعاني» لحسان بن ثابت!

(٥) أخرجه ابن جرير (١٣٧٧). [وسند ابن إسحاق حسن].

(٦) ساقط من (ض).

(٧) كذا في سائر النسخ؛ وفي «الطبري»: «يجحدون نبوتك». ووقع في (ل): «يحدثون فنونك»!!

(٨) في «تفسيره» (ص٢٠٧، ٢٠٨) ومن طريقه ابن جرير (١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٩، ٨٠١). [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٣٧٨). [وسنده صحيح].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٣٧٩)؛ وابن أبي حاتم (٨٠٠). [وسنده جيد].

(١١) أخرجه ابن جرير (١٣٨٠). [بسندين أحدهما جيد].

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٣٨٢) عن ابن مهدي، و(١٣٨٣) عن وكيع، و(١٣٨٤) عن زيد بن أبي الزرقاء؛ وابن أبي حاتم (٨٠٤) عن ابن مهدي، وابن المبارك في «الزهد» (٣٣٣ ـ رواية نعيم) قالوا: ثنا سفيان الثوري بسنده سواء. وما ذكره المصنف هو لفظ رواية ابن مهدي، عن الثوري. وهذا سند صحيح، وقد خولف =

وقال عطاء بن يسار[(١)]: الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت.

وقال ابن أبي حاتم[(٢)]: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره». ورواه الترمذي[(٣)] عن عبد بن حميد، عن الحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج، به. وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة».

قلت: لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى، ولكن الآفة ممن بعده؛ وهذا الحديث بهذا الإسناد ـ مرفوعاً ـ منكر، والله أعلم.

وقال ابن جرير[(٤)]: حدثنا المثنى، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام (بن)[(٥)] صالح (القشيري)[(٦)]، حدثنا علي بن جرير، عن حماد بن سلمة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن كنانة العدوي، عن عثمان بن عفان (رضي الله تعالى عنه)[(٧)]، عن رسول الله ﷺ: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ قال: «الويل جبل في النار»؛ وهو الذي أنزل في اليهود؛ لأنهم حرفوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ومحوا منها ما يكرهون، ومحوا اسم محمد ﷺ من التوراة؛ ولذلك غضب الله عليهم، فرفع بعض التوراة، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ وهذا غريب أيضاً جداً.

= الثوري خالفه الأعمش فرواه عن زياد بن فياض، عن أبي عياض، عن ابن عباس قال: «ويل واد في جهنم لا يعلمه إلا الله». فجعله من قول ابن عباس.
أخرجه أسد بن موسى في «الزهد» (١٦ ـ بتحقيقي) قال: ثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش. وقيس ضعيف الحفظ.

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٢ ـ رواية نعيم)؛ وابن جرير (١٣٩٦)؛ وابن أبي حاتم (٨٠٥)؛ وأبو محمد الفاكهي في «حديث يحيى بن أبي مسرة عن شيوخه» (رقم ٨ ـ بتحقيقي)، ومن طريقه البيهقي في «البعث» (٤٦٨) من طريق سعيد بن أبي أيوب، حدثني محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار فذكره. وسنده جيد.

(٢) في «تفسيره» (٨٠٣).
وأخرجه ابن المبارك في «المسند» (١٣٤)؛ وفي «الزهد» (٣٣٤ ـ رواية نعيم)؛ وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (ق١٤٢/ ٢)؛ وابن جرير (١/ ٣٧٨؛ و٢٩/ ٩٧)؛ وابن حبان (٧٤٦٧)؛ والحاكم (٢/ ٥٠٧؛ و٤/ ٥٩٦)؛ والبيهقي في «البعث» (٤٦٥، ٤٦٦) من طريق عمرو بن الحارث، بسنده سواء.

(٣) في «سننه» (٢١٦٤) قال: حدثنا عبد بن حميد. وهذا في «المنتخب من المسند» (٩٢٤) عن الحسن بن موسى به؛ وأخرجه أحمد (٣/ ٧٥)؛ وأسد بن موسى في «الزهد» (١٥)؛ وأبو يعلى في «المسند» (١٣٨٣) من طريق حسن بن موسى الأشيب عن ابن لهيعة به وتابعه كامل بن طلحة الجحدري، ثنا ابن لهيعة، ثنا دراج بسنده سواء؛ أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٨٧).
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي! وليس كما قالا، لأن رواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة، كما نص على ذلك غير واحد من الحفاظ.

(٤) في «تفسيره» (١٣٨٦، ١٣٩٥). وهذا خبر منكر.

(٥) في (ن): «ثنا» وهو خطأ فاحش.

(٦) في «تفسير الطبري»: «التستري».

(٧) في (ل). ولم يذكر في (ن) قوله: «تعالى».

[١][وعن ابن عباس: الويل: (المشقة)[٢] من العذاب. وقال الخليل بن أحمد: الويل شدة الشر. وقال سيبويه: «ويل»: لمن وقع في الهلكة، «وويح»: لمن أشرف عليها؛ وقال الأصمعي: الويل: تفجع. (والويح)[٣]: ترحم. وقال غيره: الويل الحزن.

وقال الخليل: وفي معنى «ويل» و«ويح» و«ويس» و«ويه» و«ويك» و«ويت». ومنهم من فرق بينها.

وقال بعض النحاة: إنما جاز الابتداء بها وهي نكرة؛ لأن فيها معنى الدعاء. ومنهم من جوز نصبها لمعنى ألزمهم ويلاً.

قلت: لكن لم يقرأ بذلك أحد][١].

وعن عكرمة[٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: هم أحبار اليهود. وكذا قال سعيد[٥]، عن قتادة: هم اليهود.

وقال (وكيع في «تفسيره»: حدّثنا)[٦] سفيان الثوري، عن عبد الرحمٰن بن علقمة: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: نزلت في المشركين وأهل الكتاب.

وقال السدي[٧]: كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله (فيأخذوا)[٨] به ثمناً قليلاً.

وقال الزهري[٩]: أخبرني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، أنه قال: يا معشر المسلمين؛ كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدثُ أخبار الله تقرؤونه (غضاً)[١٠] لم يشب، وقد حدثكم الله (تعالى)[١١] أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب؛ وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؛ ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذي أنزل عليكم. رواه البخاري من طرق عن الزهري.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري[١٢]: الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) في (ج) و(ل): «السعير».
(٣) في (ج) و(ل): «الويل» وهو سبق قلم.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٦) وسنده قوي.
(٥) أخرجه ابن جرير (١٣٩٢) وسقط ذكر سعيد بن أبي عروبة من الإسناد عنده، فليستدرك من هنا.
(٦) من (ع) وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٨٢) إلى وكيع في «تفسيره».
وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٤١٢)؛ والنسائي في «التفسير» (١١) من طريقين عن وكيع بسنده سواء وليس عندهما ذكر للمشركين. وعزاه السيوطي في «الدر» إلى ابن المنذر.
(٧) أخرجه ابن جرير (١٣٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٨٠٧).
(٨) في (ز): «ليأخذوا».
(٩) أخرجه البخاري (٥/ ٢٩١؛ و١٣/ ٣٣٣، ٣٣٤، ٤٩٦).
(١٠) أشار في (ع) أن في نسخة: «محضاً» وهي رواية البخاري وسائر المخرجين ما عدا ابن أبي حاتم فاختار المصنف روايته وكتبها ابن المحب في (ج) بخط دقيق فوق «غضا».
(١١) من (ز) و(ن).
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٦، ٨١٥)؛ وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤٩٧) وفي سنده هارون بن يزيد، =

وقوله (تعالى)[١]: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي: فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء، وويل لهم مما أكلوا به من السحت، كما قال الضحاك[٢]، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)[٣] ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾ يقول: فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى، إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم؛ من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودةً، ثم ينجون منها؛ فرد الله عليهم ذلك بقوله (تعالى)[٤]: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ أي: بذلك؛ فإن كان قد وقع (عهد)[٥] فهو لا يخلف (وعده)[٦] ولكن هذا ما جرى ولا كان؛ ولهذا أتى بـ«أم» التي بمعنى: «بل»؛ أي: بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه.

قال محمد بن إسحاق[٧]، عن سيف بن سليمان، عن مجاهد، عن ابن عباس: إن اليهود كانوا يقولون (إن)[٨] هذه الدنيا سبعة آلاف سنةً، وإنما نعذب بكل (ألف)[٩] سنة يوماً في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ...﴾ إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢].

ثم رواه[١٠] عن محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس بنحوه.

وقال العوفي[١١]، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ اليهود قالوا: لن تمسنا النار إلا أربعين ليلةً.

[١٢][زاد غيره: وهي مدة عبادتهم العجل. وحكاه القرطبي[١٣] عن ابن عباس، وقتادة][١٢].

= وعند ابن أبي الدنيا «زيد». وهارون بن يزيد هو عندي البصري الذي ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٢٢٠) وقال: «عمن حدثه عن أبي هريرة» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٥٧٩) وقال: «يروى عن رجل عن أبي هريرة».
وظاهر من ترجمته أنه مجهول، والله أعلم.

(١) من (ز) و(ن).
(٢) أخرجه ابن جرير (١٣٩٨) وسنده ضعيف.
(٣) من (ن).
(٤) من (ن).
(٥) من (ز) و(ن).
(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض) و(ن): «عهده».
(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١١/رقم ١١١٦٠) من طريق محمد بن حميد الرازي، ثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق بسنده سواء. وسنده ضعيف جداً وسكت عليه الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١٤).
(٨) من (ن).
(٩) ساقط من (ج) و(ل).
(١٠) يعني: محمد بن إسحاق وقد رواه عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس.
أخرجه ابن جرير (١٤١٠، ١٤١١)؛ وابن أبي حاتم (٨١٨). [وسنده حسن].
(١١) أخرجه ابن جرير (١٤٠٥) وسنده ضعيف.
(١٢) ساقط من (ز) و(ض).
(١٣) في «تفسيره» (٢/ ١٠).

وقال الضحاك[١]: قال ابن عباس: زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنةً إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم التي هي نابتة في أصل الجحيم، وقال أعداء الله: إنما نعذب حتى ننتهي إلى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

وقال عبد الرزاق[٢]، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ يعني: الأيام التي عبدنا فيها العجل.

وقال عكرمة[٣]: خاصمت اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلةً، وسيخلفنا (إليها)[٤] قوم آخرون ـ يعنون محمداً ﷺ وأصحابه ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ بيده على (رؤوسهم)[٥] بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم (إليها)[٤] أحد؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ...﴾ الآية.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه[٦] رحمه الله: حدثنا (عبد الله)[٧] بن جعفر، حدثنا محمد بن محمد بن صخر، حدثنا أبو عبد الرحمٰن المقرئ، حدثنا ليث بن سعد، حدثني سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)[٨]؛ قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان من اليهود ها هنا». فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم!» قالوا: فلان. قال: «كذبتم، بل أبوكم فلان». فقالوا: صدقت وبررت. ثم قال لهم: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً، ثم (تخلفونا)[٩] فيها. فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسئوا، والله لا نخلفكم فيها أبداً».

ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ فقالوا: نعم. قال: «فما حملكم على ذلك؟» فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك.

ورواه الإمام أحمد والبخاري، والنسائي، من حديث الليث بن سعدٍ بنحوه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٢٢) وسنده ضعيف. ثم أخرجه (٨١٩) من طريق آخر عن الضحاك عن ابن عباس نحوه. وسنده منقطع.

(٢) في «تفسيره» (١/ ٥١) ومن طريقه ابن جرير (١٤٠٠)؛ وابن أبي حاتم (٨٢١)؛ وأخرجه ابن جرير (٦٧٨٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وكلاهما صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٠٦)؛ وابن أبي حاتم (٨٢٠) من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة. والعدني متروك، ولكن تابعه ابن جريج قال: أخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة فذكره؛ أخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٠٧) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج. والحكم بن أبان متماسك، وفيه مقال.

(٤) في (ن): «فيها».

(٥) في (ك): «رؤوسه».

(٦) أخرجه البخاري في «الطب» (١٠/ ٢٤٤، ٢٤٥).

(٧) في (ن): «عبد الرحمٰن» وهو خطأ.

(٨) من (ج) و(ض) و(ع)؛ وفي (ل): «رضي الله تعالى عنه».

(٩) في (ل): «تخلفون».

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى: ليس الأمر كما تمنيتم، ولا كما تشتهون؛ بل الأمر أنه من عمل سيئةً وأحاطت به خطيئته، وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة؛ بل جميع أعماله سيئات؛ فهذا من أهل النار. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[١] بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، من العمل الموافق للشريعة، فهم من أهل الجنة.

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء].

قال محمد بن إسحاق[٢]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي: عمل (بمثل)[٣] أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط به كفره، فما له من حسنةٍ.

وفي رواية[٤] عن ابن عباس: قال: الشرك.

قال ابن أبي حاتم[٥]: وروى عن أبي وائل[٦]، وأبي العالية، ومجاهد[٧]، وعكرمة، والحسن، وقتادة[٨]، والربيع بن أنس[٩]، نحوه.

وقال الحسن[١٠] أيضاً، والسدي[١١]: السيئة الكبيرة من الكبائر.

وقال ابن جريج[١٢]، عن مجاهد: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: بقلبه.

---

(١) في (ن): «والذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ أي: آمنوا بالله ورسوله... إلخ».

(٢) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» (١/ ٨٥)، ومن طريقه ابن جرير (١٤٢٠)؛ وابن أبي حاتم (٨٢٧) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. [وسنده حسن].

(٣) هكذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ز) و(ن): «مثل» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٤) أخرجها ابن أبي حاتم (٨٢٧/ ٢) وسندها ضعيف جداً، والنضر بن عبد الرحمٰن الخزاز قال ابن معين: «لا يحل لأحد أن يروى عنه» وتركه النسائي وابن نمير وقال أبو نعيم الفضل ابن دكين: «لا يسوى هذا» ورفع شيئاً من الأرض، كان يجيء فيجلس عند الحماني، وكل شيء يسئل عنه يقول: عكرمة، عن ابن عباس. وضعفه سائر النقاد.

(٥) في «تفسيره» (ص٢٥١ ـ البقرة).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٤٢١) ووكيع في «كتاب الزهد» (٥٩) وسنده حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٧) وهو صحيح.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥١)، ومن طريقه ابن جرير (١٤٢٥) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٤٢٤) عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٤٢٨).

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٢٨) وسنده ضعيف.

(١١) أخرجه ابن جرير (١٤٢٦) ولفظه: «أما السيئة، فهي الذنوب التي وعد عليها النار».

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٢٩) وسنده ضعيف، لتدليس ابن جريج، وما أظنه سمعه مجاهداً، ولم أجد له رواية عنه وإنما سمع منه حرفاً واحداً، والله أعلم.

وقال أبو هريرة[١] وأبو وائل، وعطاء، والحسن: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قالوا: أحاط به شركه.

وقال الأعمش[٢]، عن أبي رزين، عن الربيع بن خثيم: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: الذي يموت على خطاياه من قبل أن يتوب.

وعن السدي[٣]، وأبي رزين[٤] نحوه.

وقال أبو العالية[٥]، ومجاهد[٦]، والحسن ـ في رواية عنهما ـ، وقتادة[٧]، والربيع بن أنس[٨]: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ (الكبيرة الموجبة)[٩].

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى، والله أعلم.

ونذكر ها هنا الحديث الذي رواه الإمام[١٠] أحمد حيث قال: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣١) من طريق يحيى بن أبي بكير، عن أبي بكر بن عياش، عن يحيى بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة فذكره.
قال المحقق «تفسير ابن أبي حاتم»: «في إسناده مجاهيل» كذا قال وكلهم معروفون، بل من رجال «التهذيب» إلا شيخ ابن أبي حاتم، وهو عبد الله بن إسماعيل البغدادي، فلا أجزم فيه بشيء وأظنه المدائني البزاز المترجم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢/ ٤)؛ و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤١٠) والله أعلم.
وأما أثر عطاء فأخرجه ابن جرير (١٤٤٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٢)؛ وابن جرير (١٤٣٠، ١٤٣٨) من طرق عن الأعمش وقد صرح الأعمش بالتحديث عند ابن جرير فالسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٤١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه وكيع في «الزهد» (٥٨)؛ وابن جرير (١٤٣٧) من طريق الثوري، عن الأعمش، عن أبي رزين؛ وأخرجه وكيع (٥٨)؛ وابن جرير (١٤٣٩) عن الأعمش قوله.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٣). [وسنده جيد].

(٦) أخرجه ابن جرير (١٤٣٦) وسنده صحيح.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥١)، ومن طريقه ابن جرير (١٤٣٤) قال: أخبرنا معمر بن راشد، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٤٣٣) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٤٤٠). [وسنده ضعيف ويتقوىٰ بما سبق].

(٩) في (ن): «الموجبة الكبيرة».

(١٠) في «مسنده» (٣٨١٨)؛ وفي «الزهد» (ص١٤، ١٥) قال: حدثنا سليمان بن داود الطيالسي، وهذا في «مسنده» (٤٠٠) وعنه أبو الشيخ في «الأمثال» (٣١٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٢/رقم ٢٨١)؛ وفي «السنن الكبير» (١٠/ ١٨٧، ١٨٨) قال: حدثنا عمران بن داور القطان بسنده سواء.
وتابعه عمرو بن مرزوق قال: ثنا عمران القطان مثله. أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٠/رقم ١٠٥٠٠)؛ وفي «الأوسط» (٢٥٢٩) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن قتادة، إلا عمران».اهـ.
(*) **قلت**: وعمران القطان مختلف فيه، فضعفه ابن معين والنسائي وأبو داود والعقيلي وقال الدارقطني: «كان كثير المخالفة والوهم» وقال البخاري: «صدوق يهم» ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال أحمد: «أرجو أن يكون صالح الحديث» وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٥٢٢): «إسناده جيد»! وقال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ١٢٨): «قال العلائي: حديث على شرط الشيخين، وقال ابن حجر: سنده حسن».اهـ.
وقال المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٨٥): «إسناده حسن».

(عمران، عن قتادة)[١]، عن عبد ربه، عن (أبي عياض)[٢]، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه. وإن رسول الله ﷺ ضرب لهم مثلاً كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيءُ بالعود حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، فأنضجوا ما قذفوا فيها».

وقال محمد بن إسحاق[٣]: حدثني محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: من آمن بما كفرتم، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها؛ يخبرهم أن الثواب بالخير، والشر مقيم على أهله (أبداً لا انقطاع له)[٤].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك، وأنهم تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً، وهم يعرفونه ويذكرونه؛ فأمرهم (تعالى)[٥] أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً؛ وبهذا أمر جميع خلقه؛ ولذلك خلقهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله (تبارك و)[٥]تعالى أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين؛ وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين؛ ولهذا يقرن (الله)[٦] (تبارك و)[٥]تعالى بين حقه وحق الوالدين، كما قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] وقال (تبارك[٥] و)تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا...﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى أن قال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وفي «الصحيحين»[٧] عن ابن مسعود: قلت: «يا رسول الله؛ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله».

ولهذا جاء في الحديث الصحيح[٨] أن رجلاً قال: يا رسول الله، من أبر؟ قال: «أمك.

---

(١) وقع في (ج) و(ع) و(ل) و(ى): «عمر بن قتادة»؛ وفي (ز) و(ن): «عمرو بن قتادة»؛ وفي (ك): «عمر بن صادق» وكل هذا خطأ.

(٢) في (ن): «أبي عياظ»!

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٤٥)؛ وابن أبي حاتم (٨٣٦). [وسنده حسن].

(٤) في (ز): «لا انقطاع له أبداً». (٥) من (ن).

(٦) لفظ الجلالة من (ز) و(ض).

(٧) أخرجه البخاري (٢/ ٩؛ و١٠/ ٤٠٠؛ و١٣/ ٥١٠)؛ وفي «الأدب المفرد» (١)؛ ومسلم (٨٥/ ١٣٩).

(٨) أخرجه مسلم (٢٥٤٨/ ٢)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (ج١٠/ رقم ٦٠٩٤) قالا: حدثنا أبو كريب، ثنا محمد بن =

قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أباك؛ ثم أدناك، أدناك».

[(١)][وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال الزمخشري[(٢)]: خبر بمعنى الطلب، وهو آكد. وقيل: كان أصله ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ (إِلَّا ٱللَّهَ)[(٣)]﴾ كما قرأها من قرأها من السلف، فحذفت «أن» (فارتفع)[(٤)].

وحُكي عن أُبيّ، وابن مسعود أنهما قرآها «لا تعبدوا إلا الله»[(٥)].

[(٦)][وقيل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ مرفوع على أنه قسم؛ أي: والله لا تعبدون إلا الله][(٦)]، ونقل هذا التوجيه القرطبي في «تفسيره»[(٧)] عن سيبويه. قال: واختاره (المبرد)[(٨)]، والكسائي، والفراء][(١)].

قال: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء[(٩)].

[(١٠)][وقال أهل اللغة: اليتيم في بني آدم من الآباء، وفي البهائم من الأم، وحكى الماوردي أن اليتيم مطلق في بني آدم من الأم أيضاً][(١٠)] والمساكين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم، وسيأتي الكلام على هذه الأصناف عند آية «النساء» التي أمرنا الله تعالى بها صريحاً في قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا. . .﴾ الآية [النساء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً؛ ويدخل في ذلك

= فضيل، عن أبيه، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رجل: من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك». وذكر لفظ «الأم» عند أبي يعلى مرةً واحدةً، وكأن أبا يعلى اختصره. وقد توبع فضيل بن غزوان.
تابعه جرير بن عبد الحميد، عن عمارة بن القعقاع بسنده سواء ولم يذكر «ثم أدناك»؛ أخرجه البخاري (١٠/ ٤٠١)؛ ومسلم (٢٥٤٨/ ١)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٧٢)؛ وابن حبان (٤٣٤)؛ وأبو يعلى (ج١٠/رقم ٦٠٨٢) من طرق عن جرير.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).
(٢) في «الكشاف» (١/ ٧٨، ٧٩).
(٣) من (ن).
(٤) ساقط من (ج).
(٥) [وهي قراءة شاذة].
(٦) ساقط من (ن).
(٧) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ١٣).
(٨) ساقط من (ن).
(٩) نقل ابن المحب ناسخ (ج) على حاشية الورقة (١١٢/ ١) كلاماً لابن كثير يتعلق بهذه الآية، لكنه كتبها عند الآية رقم (٥٧): «وظللنا عليكم الغمام. . .» ولأنه لا مناسبة بين الحاشية وهذه الآية، فنقلتها هنا لتعلقها بها.
قال ابن المحب: «الحمد لله. ذكر المؤلف الشيخ عماد الدين ابن كثير ختم الله له بالحسنى على حاشية الجزء السادس من «تفسيره» قال: تنبيه: ذكر القرطبي في «تفسيره» (٢/ ١٥) عنده قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] وذكر في إكرام اليتيم: «أنا وكافل اليتيم هكذا» وأشار بأصبعه السبابة والتي تليها ثم قال: كانت العرب تسميها السبابة لأنهم كانوا يسبون بها. قال: وسميت في الإسلام: المشيرة، لأنهم كانوا يشيرون بها إلى الله في التوحيد، وتسمى أيضاً: السباحة، كما جاء في حديث وائل بن حجر قلت: القائل ابن كثير: والمشهور تسميتها بـ«المسبحة»، وأما السباحة فغريب. ثم قال القرطبي: وروى عن أصابع رسول الله ﷺ أن المشيرة منها كانت أطول من الوسطى، واعتمد على حديث ميمونة بنت كردم أنها شهدت حجة الوداع مع أبيها قالت: فلقد رأيتني أتعجب من طول أصبعه التي تلي الإبهام على سائر أصابعه. . . الحديث.
قلت: القائل: ابن كثير: وإنما أرادت «الإبهام» من قدمه ﷺ، كما رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٦٦) لا كما فهم القرطبي، فإن هذا الذي قاله القرطبي لم أر أحداً ممن صنف في الشمائل النبوية ذكر ولا أشار إليه.
(١٠) من (ج) و(ع) و(ل) و(ى).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف؛ كما قال الحسن البصري[(١)] في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالحسن من القول: تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتحلم وتعفو وتصفح، وتقول للناس حسناً؛ كما قال الله؛ وهو كل خلق حسن (رضيه[(٢)] الله.

[(٣)][وقرأ بعضهم «حَسَناً»[(٤)] أي: قولاً حسناً، وقرأ آخرون: «حُسْنَىٰ»[(٥)] مثل: «فعلى»، وأنكرها على الأخفش جماعة، وقالوا: لا يستعمل ذلك إلا بالألف واللام، مثل: الكبرى، والحسنى، والعظمى. وعزوه إلى سيبويه. نقله القرطبي[(٦)]][(٣)].

وقال الإمام أحمد[(٧)]: حدثنا روح، حدثنا أبو عامر الخزاز، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر (رضي الله عنه)[(٨)]، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، وإن لم تجد فالْق أخاك بوجه (طلق)[(٩)]».

وأخرجه مسلم في «صحيحه» والترمذي وصححه من حديث أبي عامر الخزاز، واسمه صالح بن رستم، به.

وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل؛ (فجمع)[(١٠)] بين طرفي الإحسان (الفعلي)[(١١)] والقولي.

ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس (بالمتعين)[(١٢)] من ذلك، وهو الصلاة والزكاة؛ فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله؛ أي: تركوه وراء ظهورهم، وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به إلا القليل منهم.

وقد أمر (الله تعالى)[(١٣)] هذه الأمة بنظير ذلك في «سورة النساء» بقوله: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء] فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها. ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٠) وسنده ضعيف. (٢) في (ل): «وصية»!!.
(٣) من (ج) و(ع) و(ل) و(ى)، وجاءت هذه الفقرة متقدمة في (ى) على قوله: «أي كلموهم طيباً... إلخ».
(٤) [وهي قراءة متواترة]. (٥) [وهي قراءة شاذة].
(٦) في «تفسيره» (٢/ ١٦).
(٧) في «المسند» (٥/ ١٧٣).
وأخرجه مسلم (٢٦٢٦/ ١٤٤)؛ وابن حبان (٥٢٣) عن عثمان بن عمر. والترمذي (١٨٣٣) عن إسرائيل بن يونس كلاهما عن أبي عامر الخزاز صالح بن رستم بسنده سواء. زاد الترمذي: «وإن اشتريت لحماً أو طبخت قدراً فأكثر مرقته وأغرف لجارك منه». ولابن حبان نحوه.
وأخرج هذه الزيادة مسلم (٢٦٢٥/ ١٤١ ـ ١٤٣)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٤)؛ وابن ماجه (٣٣٦٢)؛ وأحمد (٥/ ١٤٩، ١٥٦)؛ والحميدي (١٣٩)؛ وابن حبان (٥١٣، ٥١٤) وغيرهم من طريق أبي عمران الجوني به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
(٨) من (ز) و(ل) و(ن).
(٩) كذا في (ج) وهو الموافق لما في (المسند) و«صحيح مسلم» وغيرهما. ووقع في سائر «الأصول»: «منطلق».
(١٠) في (ج): «جمع»؛ وفي (ل): «بعد أن جمع». (١١) في (ل): «العقلي»!!
(١٢) في (ز): «بالمعين».
(١٣) كذا في (ل). ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى): «تعالى»؛ وفي (ن): «الله».

ومن النقول الغريبة ها هنا ما ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره»[(١)]: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا عبد الله بن يوسف ـ يعني: (التنيسي)[(٢)]، حدثنا خالد بن (صبيح)[(٣)]، عن حميد بن عقبة، عن أسد بن وداعة ـ أنه كان يخرج من منزله فلا يلى يهودياً ولا نصرانياً إلا (سلَّم)[(٤)] عليه؛ فقيل له: ما شأنك؟ تسلم على اليهودي والنصراني فقال: إن الله (تعالى)[(٥)] يقول: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وهو السلام.

قال[(٦)]: وروى عن عطاء الخراساني[(٧)] نحوه.

قلت: وقد (ثبت في)[(٨)] السنة أنهم لا يبدؤون بالسلام[(٩)]، والله أعلم[(١٠)].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

يقول (الله)[(١١)] (تبارك و)[(١٢)] تعالى، منكراً على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ بالمدينة، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج؛ وذلك أن الأوس والخزرج، وهم

(١) رقم (٨٥٢) ورجاله ثقات إلا حميد بن عقبة، فترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٢٢٦) وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ١٥٠).

(٢) في (ل): «السببسي»!

(٣) في (ل): «صبح» وهو خطأ. واسمه: خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح. من رجال «تهذيب الكمال» (٨/ ١٩٣ ـ ١٩٦) وثقه دحيم، والعجلي، وأبو حاتم وزاد: «صدوق»؛ وابن حبان. وقال النسائي: «ليس به بأس»، وقال الدارقطني: يعتبر به.

(٤) في (ل): «يسلم».

(٥) من (ن).

(٦) القائل هو: ابن أبي حاتم.

(٧) لم أقف عليه.
وأخرج ابن جرير (١٤٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٨٤٨)؛ وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٠٤) من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين في قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال: للناس كلهم.
وأخرجه ابن أبي الدنيا (٣٠٨) من طريق خالد بن عبد الله، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء وحده فذكر مثله وزاد: «المشرك غيره» وسنده قوي.

(٨) في (ك): «ثبتت».

(٩) يشير المصنف إلى ما رواه أبو هريرة مرفوعاً: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه».
أخرجه مسلم (٢١٦٧/ ١٣).

(١٠) في (ع) بعد قوله: الله أعلم: «بلغ قراءةً على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله».

(١١) لفظ الجلالة من (ض).

(١٢) من (ز) و(ن).

الأنصار، كانوا في الجاهلية عباد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص (كتابه)[1]، ويخرجونهم من بيوتهم، وينتهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكّوا الأسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يخرجه من منزله، ولا يظاهر عليه؛ كما قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] وذلك أن أهل (الملة)[2] الواحدة بمنزلة النفس الواحدة، كما قال[3] عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى (والسّهر)[4]».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته، وأنتم تشهدون به.

[5][﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ تقديره: ثم أنتم يا هؤلاء، ومنع (كثير)[6] من النحاة حذف حرف النداء مع اسم الإشارة، وسوغه بعضهم؛ وهو ظاهر السياق.

وقيل: هؤلاء بمعنى: «الذين»، ومعناه: ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم. . . إلى آخره. وقيل معناه: ثم أنتم اليوم هؤلاء؛ [7][مبتدأ وخبر؛ أي: ثم صرتم بعد العهود والمواثيق][7] على ما أنتم عليه من][5] [8][الصفة المفسّرة بما بعده.

قال الزمخشري[9]: نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات؛ كما يقال: دخل بغير الوجه الذي خرج به][8].

﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ. . .﴾ الآية.

قال محمد بن[10] إسحاق بن (يسار)[11]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة؛ عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾

---

(١) في (ن): «كتابهم».
(٢) في (ز): «البلد».
(٣) أخرجه البخاريُّ (١٠/ ٤٣٨)، ومسلم (٢٥٨٦/ ٦٦).
(٤) في (ل): «الشهير»!!
(٥) من (ج) و(ع) و(ل) و(ى).
(٦) في (ل): «كثيرون».
(٧) ساقط من (ج).
(٨) من (ج) و(ع) و(ل) و(ى).
(٩) في «الكشاف» (١/ ٧٩) وعبارته: «والمعنى: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون، يعني: أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلاً لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به».
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٤٧١) بطوله. وهو عند ابن أبي حاتم (٨٦١) مختصراً. [وسنده حسن].
(١١) في (ل): «بشار» وهو تصحيف.

الآية؛ قال: (أنبأهم)[١] الله بذلك من فعلهم، وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداءَ أسراهم؛ فكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع (وأنهم)[٢] حلفاء الخزرج والنضير؛ وقريظة (وأنهم)[٢] حلفاء الأوس؛ فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس؛ يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم. والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، ولا يعرفون جنةً ولا ناراً، ولا بعثاً ولا قيامةً، ولا كتاباً، ولا حلالاً، ولا حراماً؛ فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، تصديقاً لما في التوراة، وأخذاً به؛ بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، (ويطلون)[٣] ما أصابوا من دمائهم، (وقتلوا)[٤] من قتلوا منهم، فيما بينهم مظاهرةً لأهل الشرك عليهم، يقول الله تعالى ذكره (حين)[٥] (أنبأهم)[٦] بذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: تفادونهم بحكم التوراة. وتقتلونهم، وفي حكم التوراة أن لا (يفعل)[٧] (ويخرجه من داره، ويظاهر)[٨] عليه من يشرك بالله، ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا؟

ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة. وقال أسباط، من السدي: كانت قريظة حلفاء الأوس، وكانت النضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقتتلون في حرب (سمير)[٩]، فتقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءهم، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها (ويغلبونهم)[١٠]، فيخربون ديارهم ويخرجونهم منها؛ فإذا أسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه، فتعيرهم العرب بذلك، ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم، وحرم علينا قتالهم قالوا: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحيي أن (تستذل حلفاؤنا)[١١]؛ فذلك حين عيرهم الله (تبارك وتعالى)[١٢]؛ فقال (تعالى)[١٢]: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ . . .﴾ الآية.

---

(١) كذا في جميع «الأصول»؛ وفي «ن»: «ابتلاهم» وأشار في الحاشية إلى اللفظ الأول، وفي «تفسير الطبري»: «أنبهم الله».

(٢) في (ن): «وهم».

(٣) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٤٧١) ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(ن): «ويطلبون». ومعنى: «يطلون» يعني: يهدرون. يقال: طل دمه وأطله: إذا أهدره وأبطله.

(٤) في (ز): «قتلى». (٥) في (ن): «حيث».

(٦) في (ز): «أنبهم». (٧) في (ن): «يقتل».

(٨) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ن): «ولا يخرج من داره، ولا يظاهر عليه من يشرك بالله».

(٩) في (ن): «بينهم». قال الشيخ محمود شاكر حفظه الله: «حرب سمير كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج، و«سمير» رجل من بني عمرو بن عوف. وانظر خبر هذه الحرب في «الأغاني» (٣/١٨ ـ ٢٦).اهـ.

(١٠) في (ز): «يلعنونهم».

(١١) كذا في (ز) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٤٧٢)؛ وفي (ض) و(ع) و(ك) و(ى): «يستذل بحلفائنا»؛ وفي (ج): «نذل لحلفائنا» وفي (ك): «تذل حلفائنا»؛ وفي (ن): «تستذل حلفاءنا».

(١٢) من (ن) و(ل).

وقال (شعبة)[(١)]، عن السدي: نزلت هذه الآية في قيس بن الخطيم: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ...﴾ الآية.

وقال أسباط[(٢)]، عن السدي، عن عبد خير؛ قال: غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي (بلنجر)[(٣)]، فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة وأصبنا سبايا، واشترى عبد الله بن سلام يهودية بسبعمائة؛ فلما مر برأس الجالوت نزل به؛ فقال له عبد الله: يا رأس الجالوت، هل لك في عجوز ها هنا من أهل دينك تشتريها مني؟ قال: نعم، قال: أخذتها بسبعمائة درهم. قال: فإني أربحك سبعمائةً أخرى. قال: فإني قد حلفت أن لا أنقصها من أربعة آلاف. قال: لا حاجة لي فيها. قال: والله لتشترينها مني أو لتكفرن بدينك الذي أنت عليه. قال: ادن مني، فدنا منه، فقرأ في أذنه (التي)[(٤)] في التوراة: إنك لا تجد مملوكاً من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته؛ ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ قال: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: نعم. قال: فجاء بأربعة آلاف، فأخذ عبد الله ألفين ورد عليه ألفين.

وقال آدم بن أبي إياس[(٥)] في «تفسيره»: حدثنا أبو جعفر؛ يعني: الرازي، حدثنا الربيع بن أنس، أخبرنا أبو العالية: أن عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادى من النساء من لم يقع (عليها)[(٦)] مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهن كلهن.

والذي أرشدت إليه الآية الكريمة، وهذا السياق، ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها، ومخالفة شرعها، مع معرفتهم بذلك، وشهادتهم له بالصحة، فلهذا لا يؤتمنون على ما فيها، ولا على نقلها، ولا يصدقون فيما كتموه من صفة رسول الله ﷺ ونعته، ومبعثه، ومخرجه، ومهاجره، وغير ذلك من شؤونه التي أخبرت بها الأنبياء قبله (عليهم الصلاة والسلام).

واليهود عليهم لعائن الله يتكاتمونه بينهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ (أي)[(٧)]: بسبب مخالفتهم شرع الله وأمره؛ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ جزاءً على (ما كتموه من)[(٨)] كتاب الله الذي بأيديهم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا (تَعْمَلُونَ)[(٩)] أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: استحبوها على الآخرة واختاروها، ﴿فَلَا

---

(١) في (ن): «وقال أسباط عن السدي، عن الشعبي»!! وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٦) من طريق حمدان بن الوليد البصري، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن السدي. وحمدان لم أجد له ترجمة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٠) بسند حسن.

(٣) في (ل): «بكنجر»! و«بلنجر» قال ياقوت في «معجم البلدان» (١/ ٤٨٩): «بفتحتين وسكون النون فجيم مفتوحة وراء: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب».

(٤) في (ن): «مما».

(٥) ومن طريقه ابن جرير (١٤٨٠) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس. والمثنى لم أجد له ترجمة، ولكنه لم يتفرد برواية تفسير آدم. [وسنده جيد].

(٦) في (ن): «عليه».

(٧) من (ز) و(ض) و(ك) و(ى).

(٨) في (ن): «مخالفتهم».

(٩) في (ز): «يعملون» وهي قراءة نافع، وابن كثير، وشعبة، ويعقوب الحضرمي.

﴿يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: لا يفتر عنهم ساعةً واحدةً؛ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي، ولا يجيرهم منه[(١)].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتو والعناد، والمخالفة والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم؛ فذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب، وهو التوراة، فحرفوها وبدلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها، وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ...﴾ الآية [المائدة: ٤٤].

ولهذا قال (تعالى)[(٢)]: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ قال السدي، عن أبي مالك: أتبعنا. وقال غيره: أردفنا. والكل قريب؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ﴾ [المؤمنون: ٤٤] حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام؛ ولهذا أعطاه الله من البينات. وهي المعجزات؛ قال ابن عباس[(٣)]: من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، (وإبرائه)[(٤)] الأسقام، وإخباره بالغيوب، (والتأييد)[(٥)] بروح القدس - وهو جبريل عليه السلام - ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به، فاشتد تكذيب بني إسرائيل له، وحسدهم وعنادهم، لمخالفة التوراة في البعض؛ كما قال تعالى، إخباراً عن عيسى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ...﴾ الآية [آل عمران: ٥٠] فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء (عليهم السلام)[(٦)]؛ (ففريقاً يكذبون وفريقاً يكذبونه ويقتلونه)[(٧)]، وما ذاك إلا لأنهم (كانوا)[(٨)] يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم، (وبإلزامهم)[(٩)] بأحكام التوراة التي (قد)[(١٠)] تصرفوا في مخالفتها؛ فلهذا كان ذلك يشق عليهم (فيكذبونهم)[(١١)]؛ وربما قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾!

والدليل على أن روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود[(١٢)] في تفسير هذه الآية،

---

(١) في (ع): «بلغ قراءةً على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله».
(٢) من (ن).
(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٨٣)؛ وابن أبي حاتم (٨٨٧) من طريق سلمة، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس. [وسنده حسن].
(٤) كذا في سائر الأصول؛ وفي (ن): «إبراء».
(٥) في (ن): «وتأييده».
(٦) من (ز) و(ض) و(ك) و(ى).
(٧) هكذا العبارة في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ن): «ففريقاً يكذبونه، وفريقاً يقتلونه».
(٨) ساقط من (ن).
(٩) في (ن): «وبالإلزام».
(١٠) ساقط من (ج).
(١١) في (ن): «فيكذبوهم».
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩٠) من طريق ابن مهدي، ثنا الثوري، عن سلمة بن كهيل، ثنا أبو الزعراء، قال: قال عبد الله: روح القدس: جبريل. [وسنده حسن].

وتابعه على ذلك (ابن عباس و)[(١)] محمد بن كعب، وإسماعيل[(٢)] بن أبي خالد والسدي[(٣)]، والربيع[(٤)] بن أنس، وعطية العوفي، وقتادة[(٥)]، مع قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء] كما قال البخاري[(٦)]: وقال ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن (عروة)[(٧)]، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد، فكان ينافح عن رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن (نبيه)[(٨)]». (وهذا)[(٩)] من البخاري تعليقاً.

وقد رواه أبو داود في «سننه» عن (لوين)[(١٠)]، والترمذي عن علي بن حجر، وإسماعيل بن موسى الفزاري؛ ثلاثتهم عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه، وهشام بن عروة، كلاهما عن عروة؛ عن عائشة به. وقال الترمذي: «حسن صحيح، وهو حديث أبي الزناد».

وفي «الصحيحين»[(١١)]، من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن عمر (بن الخطاب)[(١٢)] مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه؛ فقال: قد كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس»: فقال: اللهم نعم.

وفي بعض الروايات[(١٣)] أن رسول الله ﷺ قال لحسان: «اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك».

[(١٤)][وفي شعر حسان قوله:

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس به خفاء][(١٤)]

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٩) بسند صحيح عن إسماعيل: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] قال: أعانه جبريل.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٨٦) وسنده حسن. (٤) أخرجه ابن جرير (١٤٨٨) وسنده حسن.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥١) ومن طريقه ابن جرير (١٤٨٥) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٦) وعزاه إلى البخاري معلقاً المزي في «تحفة الأشراف» (١٢/ ١٠) وعلق الحافظ في «النكت الظراف» قائلاً: «لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري» وقد اجتهدت في البحث فما ظفرت به. فالله أعلم كيف كان ذلك.
وأخرجه أبو دود (٥٠١٥)؛ والترمذي في «سننه» (٢٨٤٦)؛ وفي «الشمائل» (٢٤٩)؛ وأحمد (٦/ ٧٢)؛ وأبو يعلى (ج٨/رقم ٤٥٩١، ٤٧٤٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٤/رقم ٣٥٨٠)؛ والحاكم (٤/ ٤٨٧)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٧٧)؛ وفي «تفسيره» (٣/ ٤٠٤) من طرق عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة وسقط ذكر «أبي الزناد» في الموضع الأول عند أبي يعلى؛ وأخرجه الترمذي أيضاً والحاكم (٤/ ٤٨٧) من طريق ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة مثله. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وحسبه أن يكون حسناً.

(٧) في (ن): «أبي هريرة»!! (٨) في (ز) و(ن): «نبيك».

(٩) في (ن): «فهذا». (١٠) في (ن): «ابن سيرين»!!

(١١) أخرجه البخاري في «بدء الخلق» (٦/ ٣٠٤)؛ ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٨٥/ ١٥١).

(١٢) من (ن).

(١٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري (٦/ ٣٠٤؛ و٧/ ٤١٦؛ و١٠/ ٥٤٦)؛ ومسلم (٢٤٨٦/ ١٥٣).

(١٤) ساقط من (ز) و(ض)، ولكن في «صحيح مسلم» و«الديوان»: «ليس له كفاء».

وقال محمد بن[١] إسحاق: حدثني (عبد الله بن)[٢] عبد الرحمٰن بن أبي حسين المكي، عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفراً من اليهود سألوا رسول الله ﷺ قالوا: أخبرنا عن الروح؛ فقال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبرائيل وهو الذي يأتيني؟» قالوا: نعم.

[٣][وفي «صحيح ابن حبان»[٤]][٣] [٥][(وأظنه)[٦] عن ابن مسعود ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»][٥].

(أقوال أخر)[٧]:

قال ابن أبي حاتم[٨]: حدثنا أبو زرعة، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قال: هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى.

وقال ابن جرير[٩]: حُدِّثت عن المنجاب فذكره.

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك.

[١٠][ونقله القرطبي[١١]، عن عبيد بن عمير أيضاً؛ قال: وهو الاسم الأعظم][١٠].

وقال ابن أبي نجيح[١٢]: الروح هو حفظة على الملائكة.

وقال أبو جعفر الرازي[١٣]، عن الربيع بن أنس: القدس: هو الرب تبارك وتعالى. وهو قول كعب[١٤].

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٤٨٩) من طريق محمد بن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق فذكره، والحديث مع إرساله فابن حميد واه، وسلمة وشهر بن حوشب متكلم فيهما. فالسند ضعيف.

(٢) ساقط من (ن). (٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).

(٤) كذا قال المصنف كَلَّلَهُ، ولم يروه ابن حبان عن ابن مسعود كما ظن، بل هو عند ابن حبان من حديث جابر بمعناه؛ فأخرجه في «صحيحه» (١٠٨٤، ١٠٨٥)؛ والحاكم (٢/ ٤)؛ والبيهقي (٥/ ٢٦٤) من طريق عبد الله بن وهب، ثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً: «لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب: أخذ الحلال وترك الحرام». قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وكنت وافقتهما في «غوث المكدود» (٢/ ١٤٨) ثم تبين لي أنه على شرط مسلم وحده، فإن البخاري لم يخرج شيئاً لسعيد بن أبي هلال عن ابن المنكدر. والله أعلم.

وله طريق آخر عن جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤). [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٧٤٣)].

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ك). (٦) ساقط من (ن).

(٧) ساقط من (ك). (٨) في (تفسيره) (٨٩٢) وسنده ضعيف.

(٩) في (تفسيره) (١٤٩١) وهو موصول عند ابن أبي حاتم كما رأيت.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض). (١١) في «تفسيره» (٢/ ٢٤).

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩١). [وسنده حسن].

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٤٩٣) معلقاً ووصله ابن أبي حاتم (٨٩٣). [وسنده جيد].

(١٤) أخرجه ابن جرير (١٤٩٥).

(١)[وحكى القرطبي عن مجاهدٍ والحسن البصري أنهما قالا: القدس: هو الله تعالى، وروحه جبريل.

فعلى هذا يكون القول الأول](١).

وقال السدي(٢): القدس: البركة.

وقال العوفي(٣)، عن ابن عباس: القدس (الطهر)(٤).

وقال ابن جرير(٥): حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد - في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قال: أيد الله عيسى بالإنجيل روحاً كما جعل القرآن روحاً، كلاهما روح الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ثم قال ابن جرير(٦): وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبرائيل؛ فإن الله تعالى أخبر أنه أيد عيسى به، كما أخبر في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ . . .﴾ الآية [المائدة: ١١٠] فذكر أنه أيده به؛ فلو كان الروح الذي أيده به هو الإنجيل لكان قوله: إذ أيدتك بروح القدس. وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل - تكرير قول لا معنى له، والله (ﷻ)(٧) أعزُّ (وأجل)(٨) أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم (به)(٨).

قلت: ومن الدليل على أنه جبرائيل ما تقدم من أول السياق. ولله الحمد (والمنة)(٩).

(١٠)[وقال الزمخشري(١١): (بروح القدس): بالروح المقدسة، كما تقول: حاتم الجود، ورجل صدق، ووصفها بالقدس؛ كما قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] فوصفه بالاختصاص والتقريب (للكرامة)(١٢) وقيل: لأنه لم (تضمه)(١٣) الأصلاب والأرحام الطوامث. وقيل: بجبريل. وقيل: بالإنجيل، كما قال في القرآن: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وقيل: باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره.

فتضمن كلامه قولاً آخر؛ وهو أن المراد روح عيسى نفسه المقدسة المطهرة](١٠).

(١٤)[وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ إنما لم يقل وفريقاً قتلتم؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً؛ لأنهم حاولوا قتل النبي (محمد ﷺ)(١٥)](١٤)

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) أخرجه ابن جرير (١٤٩٢)؛ وابن أبي حاتم (٨٩٤). [وسنده حسن].
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩٥) وسنده ضعيف وقد تقدم ذكر علته.
(٤) في «تفسير ابن أبي حاتم»: «المطهر»، وما ذكرته وقع في سائر «الأصول».
(٥) أخرجه ابن جرير (١٤٩٠) وسنده صحيح.
(٦) (٢/ ٣٢١/ طبع شاكر).
(٧) من (ن).
(٨) من (ز) و(ن).
(٩) من (ج) و(ل).
(١٠) ساقط من (ز) و(ض).
(١١) في «الكشاف» (١/ ٨٠).
(١٢) في (ن): «تكرمة».
(١٣) كذا في (ن) و(ى) وهو الموافق لما في «الكشاف» ووقع في (ج) و(ع) و(ل): «تضمنه».
(١٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).
(١٥) من (ج) و(ع) و(ل)؛ وفي (ج): «صلوات الله وسلامه عليه» بدل «ﷺ».

[1][بالسم والسحر. وقد قال ﷺ في مرض موته: «ما زالت أُكلة خيبر (تعادني)[2]، فهذا أوان (انقطاع)[3] أبهري[4]»[5].

قلت: وهذا الحديث في «صحيح البخاري»[6] وغيره][6].

تم بحمد الله الجزء الثاني من تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، ويعقبه الجزء الثالث وأوله تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] والله المستعان على إتمامه على الوجه الذي يرضيه عني.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] أي: في أكنة.

وقال علي بن أبي طلحة[7]، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: لا تفقه.

وقال العوفي[8]، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ هي القلوب المطبوع عليها.

وقال مجاهد[9]: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ عليها غشاوة.

وقال عكرمة[10]: عليها طابع. وقال أبو العالية[11]: أي: لا تفقه.

وقال السدي[12]: يقولون عليها غلاف وهو الغطاء.

وقال عبد الرزاق[13]، عن معمر، عن قتادة[14]: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ هو كقوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] أي: فلا يخلص إلينا شيء مما تقول.

---

(١) ساقط في (ز) و(ض) و(ى).
(٢) في «الكشاف»: «تعاودني».
(٣) في «الكشاف»: «قطعت».
(٤) قال أهل اللغة: الأبهر عرق مستبطن بالظهر، متصل بالقلب؛ إذا انقطع مات صاحبه. وقال الخطابي: يقال: إن القلب متصل به. كذا في «الفتح» (٨/ ١٣١).
(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).
(٦) كذا قال المصنف وإنما رواه البخاري في «كتاب المغازي» (٨/ ١٣١) معلقاً فكان ينبغي تقييده.
(٧) أخرجه ابن جرير (١٤٩٨). [وسنده حسن].
(٨) أخرجه ابن جرير (١٤٩٩)؛ وابن أبي حاتم (٩٠١) من طريق أبي صالح كاتب الليث، ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة لكن اللفظ مختلف. فوقع عندهما: «أي في غطاء» بدل «أي: لا تفقه» فلعله سبق قلم من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ. [وسنده ثابت].
(٩) أخرجه ابن جرير (١٥٠٠). [وسنده ضعيف].
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٥٠١، ١٥٠٢). بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٠٥). وسنده صحيح.
(١٢) أخرجه ابن جرير (١٥٠٧)؛ وابن أبي حاتم (٩٠٣) من طريق آدم بن أبي إياس، حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. وسنده حسن.
(١٣) أخرجه ابن جرير (١٥٠٨). [وسنده حسن].
(١٤) في «تفسيره» (١/ ٥١) ومن طريقه ابن جرير (١٥٠٥، ١٥٠٦). [وسنده صحيح].
وأدخل ناسخ (ن) قول قتادة في قول عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد[١] بن أسلم في قوله: ﴿غُلْفٌۚ﴾ قال: تقول قلبي في غلاف، فلا يخلص إليه (ما تقول)[٢]. وقرأ: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥].

وهذا (هو)[٣] الذي رجحه ابن جرير[٤]؛ واستشهد بما روى من حديث عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البختري، عن حذيفة[٥]؛ قال: «القلوب أربعة»؛ فذكر منها: «وقلب أغلف (معصوب)[٦] عليه، وذاك قلب الكافر».

وقال ابن أبي حاتم[٧]: حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن العرزمي، أنبأنا أبي، عن جدي، عن قتادة، عن الحسن في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ قال: لم تختن. وهذا القول يرجع معناه إلى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم، وأنها بعيدة من الخير.

قول آخر: قال الضحاك[٨]، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ قال: (يقولون)[٩]: قلوبنا (غلف)[١٠] مملوءة (علماً)[١١] لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره.

وقال (عطية العوفي)[١٢]: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ أي: أوعية للعلم. وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض (الأمصار)[١٣] فيها، حكاه ابن جرير[١٤] «وقالوا قلُوبنا غُلُف»[١٥] بضم اللام، (نقلها الزمخشري)[١٦] (عن أبي عمرو وحكاها القرطبي عن ابن عباس والأعرج وابن محيصن)[١٧]؛ أي: جمع غلاف؛ أي: أوعية؛ بمعنى أنهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر كما كانوا (يمنُّون)[١٨] بعلم التوراة.

[١٩][وقال القرطبي[٢٠]: معناه: وقالوا قلوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم قول محمد؟ والأول أولى؛ لأنه منصوص عن ابن عباس، أنهم يقولون: نحن في غنية بما عندنا من العلم][١٩]

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٠٩) وسنده صحيح.
(٢) في (ن): «مما تقول شيء».
(٣) ساقط من (ن).
(٤) في «تفسيره» (٢/ ٣٢٤).
(٥) تقدم تخريجه عند الآية رقم (٢٠) من السورة.
(٦) هكذا بالعين والصاد المهملتين. ووقع في (ن): «المغضوب» بالغين والضاد المعجمتين وهو تصحيف.
(٧) في «تفسيره» (٩٠٢) وسنده ضعيف جداً. ومحمد بن عبد الرحمٰن العرزمي قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٢٧): «قال الدارقطني: متروك الحديث هو وأبوه وجده».
(٨) أخرجه ابن جرير (١٥١٣)؛ وابن أبي حاتم (٨٩٩) وسنده ضعيف.
(٩) في (ز) و(ض): «قالوا».
(١٠) ساقط من (ز).
(١١) ساقط من (ن).
(١٢) في (ن): «ابن عباس» وهو سبق قلم من الناسخ.
(١٣) في (ز) و(ن): «الأنصار»!
(١٤) أخرجه ابن جرير (١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢)؛ وابن أبي حاتم (٩٠٠) من طرق عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي. وسنده صحيح.
(١٥) [وهي قراءة شاذة].
(١٦) ساقط من (ز) و(ض).
(١٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).
(١٨) في (ن): «يفتون»!
(١٩) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).
(٢٠) في «تفسيره» (٢/ ٢٥) وعبارته: «أي: قلوبنا أوعية للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علماً كثيراً؟ وقيل: المعنى: فكيف يعزب عنها علم محمد ﷺ». اهـ.

(١)[عما جاء به محمد ﷺ؛ (٢)[وهذا شبيه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾](٢) [غافر]](١)(٣) ولهذا قال تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: ليس الأمر كما ادعوا؛ بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها؛ كما قال في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٥٥].

وقد اختلفوا في معنى قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال بعضهم: (قليل)(٤) من يؤمن منهم (٣)[اختاره فخر الدين الرازي، وحكاه عن قتادة، والأصم، وأبي مسلم الأصفهاني](٣) وقيل: فقليل إيمانهم، بمعنى: أنهم يؤمنون بما (جاءهم)(٥) (به)(٦) موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب، ولكنه (إيمان)(٧) لا ينفعهم؛ لأنه مغمور بما كفروا به من الذي جاءهم به محمد ﷺ.

(٨)[وقال بعضهم: إنما كانوا غير مؤمنين بشيء؛ وإنما قال فقليلاً ما يؤمنون، وهم بالجميع كافرون؛ كما تقول العرب: قلما رأيت مثل هذا قط؛ تريد: ما رأيت مثل هذا قط.

وقال الكسائي: تقول العرب (مررنا)(٩) بأرض قلما تنبت؛ أي: لا تنبت شيئاً](٨).

حكاه ابن جرير رحمه الله. والله أعلم.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: من التوراة.

وقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم؛ يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، كما قال محمد بن إسحاق(١٠)، عن عاصم بن (عمر)(١١) بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم؛ قال: (قالوا)(١٢): فينا والله وفيهم؛ يعني: في الأنصار، وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة؛ يعني: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ قالوا: كنا قد علوناهم دهراً في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب (فكانوا)(١٣)

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).
(٢) ساقط من (ك).
(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).
(٤) في (ز) و(ض) و(ن): «فقليل».
(٥) في (ل): «جاء».
(٦) ساقط من (ج).
(٧) في (ج): «إنما».
(٨) ساقط من (ز) و(ض).
(٩) في (ن): «من زنا»!!
(١٠) ومن طريقه ابن جرير (١٥١٩) قال: حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق به: وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٨٧) لابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي في «الدلائل». [وسنده ضعيف].
(١١) في (ن): «عمرو»!!
(١٢) من (ز) و(ض).
(١٣) في (ن): «وهم».

يقولون: إن نبياً سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقال الضحاك[١]، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: (يستظهرون)[٢]؛ يقولون: نحن نعين محمداً عليهم، وليسوا كذلك؛ بل يكذبون.

وقال محمد بن إسحاق[٣]: أخبرني محمد بن أبي محمد، أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور، وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ، ونحن أهل شرك، (وتخبرونا)[٤] بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم؛ فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

[٥][وقال العوفي[٦]، عن ابن عباس: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾][٥] يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب؛ يعني: بذلك أهل الكتاب، فلما بعث محمد ﷺ، ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه.

وقال أبو العالية[٧]: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب؛ يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم؛ فلما بعث الله محمداً ﷺ، ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ؛ فقال الله (تعالى)[٨]: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقال قتادة[٩]: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: وكانوا يقولون: إنه سيأتي نبي؛ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٠٩) وسنده ضعيف.

(٢) في (ن): «يستنظرون» وصوبها في الهامش: يستنصرون.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٥٢٠) قال: حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة، حدثني ابن إسحاق به وابن حميد واهٍ، وسلمة ضعيف، ولم يتفردا به. فأخرجه ابن أبي حاتم (٩١١) قال: حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا يونس بن بكير الحازمي، ثنا ابن إسحاق به وخالفهما إبراهيم بن سعد فرواه عن محمد بن إسحاق قال: بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره. أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٤٣) والوجه الأول هو المشهور وقد تقدم ضعفه.

(٤) في (ز) و(ن): «تخبروننا». (٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٥٢٢) وسنده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٥٢٦)؛ وابن أبي حاتم (٩١٢) من طريقين عن آدم بن أبي إياس، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. [وسنده جيد].

(٨) من (ن).

(٩) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٥٢) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٩١٠) قال: أنبأ معمر، عن قتادة؛ وأخرجه =

وقال مجاهد[١]: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قال: هم اليهود.

[٢][وقال الإمام أحمد[٣]: حدثنا يعقوب، حدّثنا أبي، عن][٢] [٤][ابن إسحاق، حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان من أهل بدر قال: كان لنا جار يهودي في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث رسول الله ﷺ بيسير، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب، والميزان، والجنة، والنار، فقال: ذلك لأهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائناً بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان! ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به، يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا، يحمونه ثم يدخلونه إياه، فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً. قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سناً: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله! ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان! ألست بالذي قلت لنا؟ قال: بلى وليس به!

تفرد به أحمد][٤].

[٥][وحكى القرطبي[٦] وغيره عن ابن عباس أن يهود خيبر اقتتلوا في زمان الجاهلية مع غطفان، فهزمتهم غطفان، فدعا اليهود عند ذلك، فقالوا: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي][٥]

= ابن جرير (١٥٢٥) من طريق يزيد بن زريع، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة بأطول من رواية معمر. وكلاهما صحيح.

(١) هو في «تفسير مجاهد» (ص٢٠٩) من طريق آدم بن أبي إياس قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٢) من (ج) و(ل).

(٣) في «مسنده» (٣/ ٤٦٧).
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢/ ٦٨) عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٥٥)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٧/ رقم ٦٣٢٧) عن جرير بن حازم؛ والطبراني أيضاً (٦٣٢٧)؛ والحاكم (٣/ ٤١٧، ٤١٨)؛ وأبو نعيم في «الدلائل» (٣٤) عن زياد بن عبد الله. والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٧٨، ٧٩) عن يونس بن بكير. وأبو نعيم أيضاً في «الدلائل» (٣٤) عن سلمة بن الفضل خمستهم عن محمد بن إسحاق بسنده سواء زاد أبو نعيم أن اسم هذا اليهودي: يوشع.
قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي! وليس كما قالا؛ لأن ابن إسحاق ليس من رجال مسلم؛ إلا في المتابعات وقد صرح الذهبي بذلك! وابن إسحاق صدوق متماسك، وقد صرح بالتحديث فالسند حسن، واستقر نظر الحفاظ المتأخرين على تحسين حديثه إذا صرح بالتحديث.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٣٠): «رجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع».

(٤) من (ج) و(ل).

(٥) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).

(٦) في «تفسيره» (٢/ ٢٧). =

[1][وعدتنا بإخراجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: وكذلك كانوا يصنعون؛ يدعون الله به فينصرون على أعدائهم ومن ناوأهم. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ أي: من الحق وصفة محمد ﷺ ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾][1].

﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩٠﴾.

قال مجاهد[2]: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ يهود شروا الحق بالباطل وكتمان ما جاء به محمد ﷺ بأن يبينوه.

وقال السدي[3]: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ يقول: باعوا به أنفسهم؛ (يعني)[4] بئسما اعتاضوا لأنفسهم، (ورضوا)[5] به. [6][وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ عن تصديقه ومؤازرته ونصرته][6]؛ وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية لـ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ ولا حسد أعظم من هذا.

قال ابن إسحاق[7]، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ أي: إن الله جعله من غيرهم.

= ولكن هذا لا يصح عن ابن عباس فأخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٣) من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره.
قال الحاكم: «أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير، وهو غريب». فتعقبه الذهبي بقوله: «لا ضرورة في ذلك، فعبد الملك متروك هالك». اهـ.
تنبيه: جاء في حاشية النسخة (ج) بجنب أثر ابن عباس: «أسنده الحاكم في «مستدركه». وكتبه عبد الرحمٰن بن السيوطي». اهـ. وكاتب هذه الحاشية هو الحافظ جلال الدين السيوطي.

(١) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٥٣٥)؛ وابن أبي حاتم (٩١٥) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن مجاهد. وسنده ضعيف لانقطاعه. ونقل عباس الدوري في «تاريخه» (٢/ ٣٧٢) عن ابن معين قال: «لم يسمع ابن جريج من مجاهد إلا حرفاً واحد». اهـ.
(*) **قلت**: وهذا الحرف ذكره ابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل» (ص٢٤٥) في ترجمة يحيى بن سعيد القطان. قال ابن أبي حاتم: نا محمد بن إبراهيم، نا عمرو بن علي، قال: سمعت يحيى يقول: لم يسمع ابن جريج من مجاهد إلا حديثاً واحداً: «فطلقوهن في قبل عدتهن».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٥٣٤)؛ وابن أبي حاتم (٩١٤). [وسنده حسن].

(٤) في (ن): «يقول».

(٥) في (ن): «فرضوا».

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) في «تفسيره»، كما في «الدر المنثور» (١/ ٢١٨)، ومن طريقه ابن جرير (١٥٤٠) قال: حدثنا ابن حميد؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩١٨) عن أبي غسان قالا: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق به. [وسند ابن إسحاق حسن].

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ قال ابن عباس[(١)] ـ فالغضب على الغضب: فغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة، وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله إليهم.

قلت: ومعنى «باءوا»: استوجبوا واستحقوا واستقوا بغضب على غضب.

وقال أبو العالية[(٢)]: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى، ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن[(٣)].

[(٤)][وعن عكرمة[(٥)] وقتادة[(٦)] مثله][(٤)].

قال السدي[(٧)]: أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في العِجْل، وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد ﷺ. (وعن ابن عباس مثله)[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] [(٩)][أي: صاغرين حقيرين ذليلين راغمين][(٩)].

وقد قال الإمام أحمد[(١٠)]: حدثنا يحيى، حدثنا ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ؛ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجناً في جهنم يقال له: بولس تعلوهم نار الأنيار (يسقون)[(١١)] من طينة الخبال عصارة أهل النار».

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٤٦)؛ وابن أبي حاتم (٩٢١) بالسند المتقدم.
(٢) أخرجه ابن جرير (١٥٥٣)؛ وابن أبي حاتم (٩٢٠) من طريق آدم بن أبي إياس، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. وسنده حسن.
(٣) من (ج).
(٤) ساقط من (ز) و(ض).
(٥) أخرجه ابن جرير (١٥٤٨) عن يحيى بن يمان وأيضاً (١٥٤٩) عن عبد الرزاق قالا: ثنا الثوري، عن أبي بكير، عن عكرمة قال: كفرهم بعيسى ومحمد ﷺ وسنده صحيح. وأبو بكير الكوفي اسمه مرزوق، كان مؤذن التيم وثقه ابن معين وابن حبان. وقال الثوري: «لا بأس به».
(٦) أخرجه ابن جرير (١٥٥١) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (١٥٥٤)؛ وابن أبي حاتم (٩٢٣) وسنده حسن.
(٨) ساقط من (ز) و(ض).
(٩) ساقط من (ز) و(ض).
(١٠) في «مسنده» (٢/ ١٧٩).
وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)؛ والترمذي (٢٤٩٢)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٦٨) من طريق ابن المبارك، وهذا في «الزهد» (١٩١ ـ زوائد نعيم) قال: حدثنا محمد بن عجلان بسنده سواء. وتابعه أبو خالد الأحمر ثنا ابن عجلان به. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٩٠)؛ وأخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٩٨) قال: حدثنا سفيان؛ يعني: ابن عيينة، ثنا داود بن شابور ومحمد بن عجلان وأنا لحديث ابن عجلان أحفظ، عن عمرو بن شعيب مثله.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وحسنه البغوي. وسنده جيد.
(١١) في (ل): سيقون!!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) ۞ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)﴾.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب: ﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ (أي):[١] على محمد ﷺ، وصدقوه واتبعوه، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: يكفينا الإيمان بما أُنزل علينا من التوراة والإنجيل، ولا نقر إلا بذلك، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يعني: بما بعده؛ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي: وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد ﷺ الحق. ﴿مُصَدِّقًا﴾ (منصوب)[٢] على الحال؛ أي: في حال تصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل، فالحجة قائمة عليهم بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦، الأنعام: ٢٠] (ثم)[٣] قال تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم، فلم قتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم، والحكم بها وعدم نسخها، وأنتم تعلمون صدقهم؟ قتلتموهم بغياً وعناداً واستكباراً على رسل الله، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهي؛ كما قال (تعالى)[٤]: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال السدي[٥] في هذه الآية: يعيرهم الله (تبارك و)[٣]تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقال أبو جعفر[٦] بن جرير: قل يا محمد ليهود بني إسرائيل ـ (الذين)[٧] إذا قلت لهم: آمنوا بما أنزل الله، قالوا: نؤمن بما أنزل علينا ـ: لم تقتلون ـ إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم ـ أنبياءه وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم (فيه)[٨] باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم؛ وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم: نؤمن بما أنزل علينا، وتعيير لهم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالآيات الواضحات، والدلائل (القاطعة)[٩] على أنه رسول الله (ﷺ)[١٠]، وأنه لا إله إلا الله. (والبينات)[١١] هي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، وفلق البحر، وتظليلهم بالغمام، والمن والسلوى، والحجر، وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها.

---

(١) من (ج).
(٢) في (ن): «منصوباً».
(٣) من (ن).
(٤) من (ز) و(ن).
(٥) أخرجه ابن جرير (١٥٦٠)؛ وابن أبي حاتم (٩٢٩). [وسنده حسن].
(٦) وردت عبارة ابن جرير في (ج) و(ل) هكذا: «لم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله على أنبيائه، وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم... إلخ» وما أثبته عن باقي الأصول وهو الموافق لما في «الطبري».
(٧) من (ع).
(٨) ساقط من (ن).
(٩) في (ن) و(ل): «القاطعات».
(١٠) من (ج) و(ل).
(١١) في (ن): «والآيات البينات».

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي: معبوداً من دون الله في زمان موسى وأيامه.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ما ذهب عنكم إلى الطور لمناجاة الله (ﷻ)(١)، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: وأنتم ظالمون في هذا الصنيع الذي صنعتموه من عبادتكم العجل، وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

(يعدد)(٢) (تبارك)(٣) وتعالى (عليهم)(٤) خطأهم، ومخالفتهم للميثاق، (وعتوهم)(٥)، (وإعراضهم)(٦) عنه، حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه؛ ثم خالفوه؛ ولهذا (قال):(٧) قالوا: سمعنا وعصينا. وقد تقدم تفسير ذلك.

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال عبد الرزاق(٨)، عن (معمر، عن)(٩) قتادة: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ (بِكُفْرِهِمْ)(١٠)﴾ (قال)(١١): أشربوا (في قلوبهم)(١٢) حبه، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم.

وكذا قال(١٣) أبو العالية، والربيع بن أنس.

وقال الإمام(١٤) أحمد: حدثنا عصام بن خالد، حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم

(١) من (ن).
(٢) في (ل): «يقدر»!
(٣) في (ن): «سبحانه».
(٤) ساقط من (ل).
(٥) في (ل): «عثورهم».
(٦) ساقط من (ض) و(ع) و(ل) و(ى).
(٧) ساقط من (ن).
(٨) في «تفسيره» (١/ ٥٢) ومن طريقه ابن جرير (١٥٦١)؛ وابن أبي حاتم (٩٣٩). [وسنده صحيح].
(٩) ساقط من (ن).
(١٠) من (ع) و(ل) و(ن) و(ى).
(١١) في (ن): «قالوا».
(١٢) ساقط من (ز) وهو في باقي الأصول، ولم ترد هذه اللفظة عند عبد الرزاق ولا من رواه من طريقه.
(١٣) أخرجهما ابن جرير (١٥٦٢، ١٥٦٣). [وسنده جيد].
(١٤) في «مسنده» (٥/ ١٩٤).
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ١٠٧)؛ والدولابي في «الكنى» (١/ ١٠١) قال: حدثنا القاسم بن يونس الحمصي الأزدي، قالا: ثنا عصام بن خالد بسنده سواء.
وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٢٠٥)؛ ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٢/ ٣٢٨) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (ج٢/ رقم ٤٠٧)؛ وفي «الآداب» (٢٢٩) من طريق ابن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم بسنده سواء.
وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢١٩) من طريق يحيى بن عبد الله البابلتي، وهو متروك، عن أبي بكر بن أبي مريم بسنده سواء. وتابعه محمد بن مصعب القرقساني، =

الغساني، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ: قال: «حبك (الشيء)[١] يعمي ويصم».

ورواه أبو داود عن (حيوة)[٢] بن شريح، عن بقية، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، (به)[٣].

وقال السدي[٤]: أخذ موسى ﷺ العجل (فذبحه بالمبرد)[٥]، ثم (ذراه)[٦] في البحر، ثم لم يبق بحر يجري (يومئذ إلا وقع)[٧] فيه شيء؛ ثم قال لهم موسى: اشربوا منه، فشربوا، فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب؛ فذلك حين يقول (الله)[٨] تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

وقال ابن أبي حاتم[٩]: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا (إسرائيل)[١٠]، عن أبي إسحاق، عن عمارة بن (عبد)[١١]، وأبي عبد الرحمن السلمي، عن علي (رضي الله عنه)[١٢]؛ قال: عمد موسى إلى العجل، فوضع عليه (المبارد)[١٣] (فبرده بها)[١٤]، وهو على شاطئ نهر، فما شرب أحد من ذلك (الماء)[١٥] ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب.

وقال سعيد بن جبير[١٦]: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (قال: لما أحرق العجل)[١٧] بُرِد ثم

= فرواه عن أبي بكر بن أبي مريم بسنده سواء.

أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٠)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٧٢)؛ والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٤) ورواه أيضاً بقية بن الوليد فرواه عن أبي بكر مثله. أخرجه أبو داود (٥١٣٠) قال: حدثنا حيوة بن شريح، ثنا بقية. واختلف على بقية في سنده. فرواه إسحاق بن راهويه عنه، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن حبيب بن عبيد، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبيه مرفوعاً. فجعل شيخ أبي بكر: «حبيب بن عبيد» بدل «خالد بن محمد»؛ أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٦٨).

وبالجملة؛ فالحديث لا يصح مرفوعاً من كل وجوهه، والصواب وقفه. والله أعلم. وله شاهد من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعاً مثله أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (ق٧١/ ١).

(١) في (ك): «للشيء». (٢) في (ك): «حرة»!

(٣) ساقط من (ل).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٥٦٤)؛ وابن أبي حاتم (٩٣٨). [وسنده حسن، والخبر من الإسرائيليات].

(٥) في «تفسير الطبري»: «فذبحه، ثم حرقه بالمبرد». (٦) في (ض) و(ع) و(ى): «ذر» وفي (ل): «ذره».

(٧) في (ن): «إلا ذر فيه» وأشار في هامش النسخة إلى ما وقع في بقية النسخ.

(٨) لفظ الجلالة من (ز) و(ل) و(ن). (٩) في «تفسيره» (٩٣٦) وسنده جيد.

(١٠) في (ك): «إسماعيل».

(١١) كذا في (ج) وهو الصواب، وكتب ابن المحب ناسخ (ج) في الحاشية: «لعلها: عمير»! كذا قال! وهو عمارة بن عبد الكوفي. ووقع في (ك) و(ل) و(ن): «عمير» وكذلك كتبها ناسخ (ع) في الحاشية. ووقع في (ز) و(ض): «عبد الله» وكلاهما خطأ.

(١٢) ساقط من (ل) و(ن). [وفي سنده عبد الله بن رجاء في حفظه مقال. (التقريب ص٣٠٢) والخبر من الإسرائيليات].

(١٣) في (ض): «النار»! وفي (ل): «المباردة»! (١٤) في (ك): «فبردوه»؛ وفي (ض): «فبُرِدَ».

(١٥) ساقط من (ك). (١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٣٧) وسنده جيد.

(١٧) ساقط من (ض).

(نسف)[١]، فحسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران.

[٢][وحكى القرطبي[٣] عن كتاب القشيري، أنه ما شرب (منه)[٤] أحد ممن عبد العجل إلا جن.

(ثم قال القرطبي)[٥]: وهذا شيء غير ما ها هنا؛ لأن المقصود من][٢] [٦][هذا السياق أنه ظهر (التغير)[٧] على شفاههم ووجوههم. والمذكور ها هنا أنهم أشربوا في قلوبهم (حب)[٧] العجل؛ يعني: في حال عبادتهم له؛ ثم أنشد قول النابغة في زوجته: «عثمة»:

تغلغل حب (عثمة)[٨] في فؤادي (فباديه)[٩] مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم (يبلغ)[١٠] شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد (منها)[١١] أطير لو أن إنساناً يطير][٦]

[١٢][وقوله: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: بئسما تعتمدونه في قديم الدهر وحديثه؛ من كفركم بآيات الله، ومخالفتكم الأنبياء، ثم اعتمادكم في كفركم بمحمد ﷺ؛ وهذا أكبر ذنوبكم، وأشد الأمور عليكم؛ إذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الأنبياء والمرسلين المبعوث إلى الناس أجمعين؛ فكيف تدعون لأنفسكم الإيمان وقد فعلتم هذه الأفاعيل القبيحة؛ من نقضكم المواثيق، وكفركم بآيات الله، وعبادتكم العجل (من دون الله)[١٣]][١٢].

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

قال محمد بن إسحاق[١٤]: (حدثني)[١٥] محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)[١٦]: يقول الله (تعالى)[١٧] لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ.

---

(١) في (ض): «نشف».
(٢) ساقط من (ز) و(ض).
(٣) في «تفسيره» (٢/ ٣٢).
(٤) ساقط من (ن).
(٥) ساقط من (ل).
(٦) ساقط من (ز) و(ض).
(٧) ساقط من (ن).
(٨) في (ك): «غنمة»!
(٩) في (ك) و(ل) و(ى): «فنادته».
(١٠) في (ع) و(ى): «ينفع».
(١١) في (ك): «منا».
(١٢) ساقط من (ع).
(١٣) من (ن).
(١٤) أخرجه ابن جرير (١٥٧١)؛ وابن أبي حاتم (٩٤٢). وعزاه في «الدر» (١/ ٢٢٠) لابن إسحاق. [وسنده حسن].
(١٥) في (ن): «عن».
(١٦) من (ل) و(ن).
(١٧) من (ن).

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝﴾ أي: (لعلمهم)[(١)] بما عندهم من العلم (بك)[(٢)] والكفر بذلك، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات.

وقال الضحاك[(٣)]، عن ابن عباس: فتمنوا الموت ـ (فسلوا)[(٤)] الموت.

وقال عبد الرزاق[(٥)]، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال: قال ابن عباس: لو تمنى (يهود)[(٦)] الموت لماتوا.

وقال ابن أبي حاتم[(٧)]: (حدثنا)[(٨)] أبي: حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا عثام، سمعت الأعمش؛ قال: لا أظنه إلا عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)[(٩)] قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه.

وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس.

وقال ابن جرير[(١٠)] في «تفسيره»: وبلغنا أن (رسول الله)[(١١)] ﷺ قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً».

حدثنا[(١٢)] بذلك أبو كريب، حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا (عبيد الله)[(١٣)] بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)[(١٤)]، عن رسول الله ﷺ.

---

(١) كذا في (ج) و(ل) ووقع في (ض) و(ن): «يعلمهم» وكذلك وقع في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ز) و(ك) و(ى): «بعلمهم» بالباء الموحدة، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٢) في (ن): «بل» باللام.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٥٧٧) وسنده ضعيف.

(٤) في (ل) و(ن): «فاسألوا».

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٢)، ومن طريقه ابن جرير (١٥٦٨)؛ وابن أبي حاتم (٩٤٣) وسنده صحيح.

(٦) في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى): «اليهود».

(٧) في «تفسيره» (٩٤١). [وصححه الحافظ ابن كثير].

(٨) في (ك): «أنبأنا».

(٩) من (ل).

(١٠) في «تفسيره» (٢/ ٣٦٢ ـ شاكر).

(١١) في (ن): «النبي».

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٥٦٦)؛ وأخرجه أيضاً (٣٠/ ١٦٥) في تفسير سورة «العلق».
وأخرجه البزار (٢١٨٩ ـ كشف الأستار) قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، ثنا زكريا بن عدي بسنده سواء ولفظه: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً ﷺ لأطأن على عنقه، فيقول: هو ذاك هو، قال: ما أراه. فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا»»؛ وأخرجه ابن مردويه، كما في «الفتح» (٨/ ٧٢٤)، من طريق زكريا بن عدي به وأخرجه النسائي في «التفسير» (٨١) قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله؛ وأحمد في «المسند» (٢٢٢٦) قال: حدثنا أحمد بن عبد الملك؛ وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦٠٤) عن عبد الله بن جعفر قالوا: ثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره بتمامه وتابعه معمر ابن راشد، عن عبد الكريم الجزري بسنده سواء ولكنه جعل قوله: «لو تمنى اليهود الموت... إلخ» من قول ابن عباس وليس من جملة الحديث المرفوع.
أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٢) عن معمر.
وأخرجه البخاري (٨/ ٧٢٤).

(١٣) في (ك) و(ن): «عبد الله» مكبر وهو خطأ.

(١٤) من (ل).

ورواه الإمام أحمد، عن إسماعيل بن يزيد الرقي (أبي يزيد)[١]: حدثنا فرات، عن عبد الكريم، به.

وقال ابن أبي حاتم[٢]: حدثنا الحسن بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار، حدثنا سرور بن المغيرة، عن عباد بن منصور، عن الحسن؛ قال: قول الله ما كانوا ليتمنوه بما قدمت أيديهم. قلت: أرأيتك لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت، أتراهم كانوا ميتين؟ قال: لا، والله ما كانوا ليموتوا، (لو)[٣] تمنوا الموت، وما كانوا ليتمنوه، وقد قال الله ما سمعت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

وهذا غريب عن الحسن، (ثم)[٤] هذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين، وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم، أو من المسلمين على وجه المباهلة.

ونقله ابن جرير عن «قتادة»[٥]، وأبي العالية[٦]، والربيع بن أنس رحمهم الله (تعالى).

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة] فهم، عليهم لعائن الله لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم، أو من المسلمين؛ فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك؛ فلما تأخروا علم كذبهم؛ وهذا كما دعا رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة، (وعتوهم)[٧] وعنادهم، إلى المباهلة، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران] فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف؛ فعند ذلك جنحوا (للسلم)[٨]، (وبذلوا)[٩] الجزية عن يد وهم صاغرون، فضربها عليهم، وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه)[١٠] أميناً.

ومثل هذا المعنى، (أو)[١١] قريب منه، (قوله)[١٢] تعالى لنبيه (ﷺ)[١٣] أن يقول للمشركين:

---

(١) ساقط من (ز) و(ض)، ووقع في (ل): «إسماعيل عن يزيد الرقي» وهو خطأ واضح وشطب ناسخ (ن) على قوله: «أبي يزيد».

(٢) في «تفسيره» (٩٤٦) وسنده ضعيف لضعف سرور بن المغيرة.

(٣) في (ن): «ولو».

(٤) بياض في (ك).

(٥) في (ك): «عبادة»!

(٦) وأثر قتادة عند ابن جرير (١٥٧٢) [بسند صحيح] وكذلك أثر أبي العالية (١٥٧٣)، [وسنده جيد] وأثر الربيع (١٥٧٤). [وسنده جيد].

(٧) ساقط من (ك).

(٨) في (ج) و(ز) و(ض) و(ل): «إلى السلم».

(٩) في (ج) و(ل) و(ك) و(ى): «بذل».

(١٠) ساقط من (ن).

(١١) في (ج): (و).

(١٢) في (ن): «قول الله».

(١٣) ساقط من (ن) و(ى).

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] أي: من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه، ومد له واستدرجه، كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله (تعالى)[(١)]، (وبه الثقة)[(٢)].

(وأما)[(٣)] من فسر الآية على معنى [(٤)][﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ][(٤)] إن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: (إن كنتم صادقين)[(٥)] في دعواكم، فتمنوا (الآن الموت)[(٦)]، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة، كما (قرره)[(٧)] طائفة من المتكلمين وغيرهم.

ومال إليه ابن جرير بعدما قارب القول الأول؛ فإنه قال: القول في (تأويل)[(٨)] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ (فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)[(٩)]...﴾ الآية: فهذه الآية مما احتج الله (سبحانه)[(١٠)] (به)[(١١)] لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره، (وفضح)[(١٢)] بها أحبارهم وعلماءهم؛ وذلك أن الله (تعالى)[(١٣)] أمر نبيه ﷺ إلى قضية عادلة (بينه وبينهم من الخلاف)[(١٤)]، كما أمره أن يدعو الفريق (الآخر)[(١٥)] من النصارى؛ إذ خالفوه في عيسى (ابن مريم)[(١٦)] عليه (الصلاة و)[(١٧)] السلام، وجادلوه فيه - إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة؛ فقال (لفريق اليهود)[(١٨)]: إن كنتم محقين فتمنوا الموت؛ فإن ذلك غير (ضائركم)[(١٩)] إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة (من الله)[(٢٠)]، (بل أعطيكم)[(٢١)] أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم؛ فإنما تصيرون إلى الراحة من (تعب)[(٢٢)] الدنيا، ونصبها، وكدر عيشها، والفوز بجوار الله في جناته، إن كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا، (وإن)[(٢٣)] لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون، ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم.

فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك، (لعلمهم)[(٢٤)] أنها إن تمنت الموت هلكت، فذهبت

---

(١) من (ك) و(ن).
(٢) من (ل).
(٣) بياض في (ك).
(٤) ساقط من (ن).
(٥) ساقط من (ن).
(٦) في (ل): «الموت الآن»، وسقط لفظ «الآن» من (ك).
(٧) في (ض): «قدره».
(٨) في (ز) و(ض): «تفسير».
(٩) لم يذكرها ناسخ (ن) وكتب عقبها: «الآية».
(١٠) من (ن).
(١١) ساقط من (ن).
(١٢) في (ك) و(ل): «نصبح»!
(١٣) من (ن).
(١٤) في (ن): «فيما كان بينه وبينهم من الخلاف».
(١٥) في (ض): «آخر».
(١٦) من (ن).
(١٧) من (ل).
(١٨) في (ل): «الفريق من اليهود».
(١٩) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ن): «ضاركم»؛ وفي (ز) و(ض): «ضار بكم».
(٢٠) في (ن): «من الله لكم».
(٢١) كذا في (ج) و(ز) و(ض)؛ وفي (ك) و(ى): «لكي أعطيكم»؛ وفي (ن): «لكي يعصيكم»؛ وفي (ل): «بل أعطيتم»؛ وفي «تفسير ابن جرير»: «بل إن أعطيتم».
(٢٢) في (ل): «نعت»!
(٢٣) في (ل): «فإن».
(٢٤) في (ز): «لعلمها».

دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في (آخرتها)[١]، كما امتنع فريق النصارى.

فهذا الكلام منه أوله حسن، (وأما)[٢] آخره فيه نظر، وذلك (أنه)[٣] لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل؛ إذ يقال: (إنه)[٤] لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم (أن يتمنوا)[٥] الموت؛ فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمنى الموت؛ وكم من صالح لا يتمنى الموت؛ بل يود أن يعمر (ليزداد)[٦] خيراً، (وترتفع درجته)[٧] في الجنة؛ كما جاء (في الحديث)[٨]: «خيركم من طال عمره وحسن عمله»[٩].

[١٠][وجاء في «الصحيح»[١١] النهي عن تمني الموت؛ وفي بعض ألفاظه[١٢] «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، إما محسناً فلعله (أن)[١٣] يزداد، وإما مسيئاً، فلعله أن يستعتب». ثم][١٠]، ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا، فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة، [١٤][وأنتم (لا تتمنون)[١٥] في حال الصحة الموت][١٤]، فكيف (تلزمونا)[١٦] بما (لا يلزمكم)[١٧]؟!

[١٨][وقد تعرض فخر الدين الرازي في «تفسيره»[١٩] لهذا السؤال؛ وأجاب عنه بأن الرسول مأمور بإبلاغ الرسالة إلى أمته بالتواتر عنه، وتمنى الموت يحجزه عن ذلك، قال: ولعلهم كان يمنعهم من التمني كثرة ذنوبهم، وكانوا يقولون: إنهم يكونون في النار أياماً معدودات، ولكن كل يوم (كألف)[٢٠] سنة، أو كان يمنعهم منه شدته وآلامه، وسأل غير ذلك من الأسئلة، وأجاب][١٨]

---

(١) في (ض): «أخراها».
(٢) ساقط من (ن).
(٣) في (ل): «إنهم».
(٤) من (ن).
(٥) في (ن): «إنهم يتمنون».
(٦) في (ض): «ليزاد».
(٧) في (ك) و(ى): «ويرتفع درجة».
(٨) من (ز) و(ن).
(٩) حديث صحيح.
أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)؛ وأحمد (٤/١٨٨، ١٩٠)؛ وفي «الزهد» (٣٥)؛ والبيهقي في «سننه» (٣/ ٣٧١)؛ وفي «الأربعين الصغرى» (٤٤)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٦/١١، ١١٢؛ و٩/٥١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٥/١٦)؛ والطبراني في «الأوسط» (٢/٢٦١، ٢٦٢)؛ والشجري في «الأمالي» (١/٢٥٥) من طرق عن عمرو بن قيس، عن عبد الله بن بسر أن أعرابياً قال: يا رسول الله! من خير الناس؟ قال: «من طال عمره، وحسن عمله». قال الترمذي: «حسن غريب». وعند أحمد وغيره زيادة، ذكرتها في «التسلية»، وفي الباب شواهد.
(١٠) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).
(١١) أخرجه البخاري (١١/ ١٥٠)؛ ومسلم (٢٦٨٠).
(١٢) عند البخاري (١٠/١٢٧؛ و١٣/ ٢٢٠) من طريق الزهري قال: أخبرني أبو عبيد مولى عبد الرحمٰن بن عوف، عن أبي هريرة مرفوعاً.
(١٣) ساقط من (ى).
(١٤) وقعت العبارة في (ل): «وأنتم لا تتمنون الموت في حال الصحة».
(١٥) في (ض) و(ى): «لا تمنون».
(١٦) في (ن): «تلزمونا».
(١٧) في (ز) و(ض) و(ك): «نلزمكم».
(١٨) من (ج) و(ل) و(ى).
(١٩) انظر: «تفسير الرازي» (٢/ ٢٠٤، ٢٠٥).
(٢٠) في (ى): «ألف».

(١)[عنها بأجوبة، ولم يذكر مع هذا كله (قول)(٢) المباهلة بالكلية، وأما القرطبي، فإنه حكاه، و(لكن)(٣) إنما عول على الأول. والله أعلم](١).

وهذا كله إنما نشأ من تفسير (هذه)(٤) الآية على هذا المعنى، فأما على تفسير ابن عباس فلا يلزم (عليه)(٥) شيء من ذلك؛ بل قيل لهم كلام نصف: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء (الله)(٦) من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحباؤه، وأنكم (من)(٧) أهل الجنة ومن عداكم (من)(٨) أهل النار، فباهلوا على ذلك، وادعوا على الكاذبين منكم أو (من)(٩) غيركم، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك، وعرفوا صدقه، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم، وافترائهم، وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم، وضلالهم وعنادهم، عليهم لعائن الله (المتتابعة)(١٠) إلى يوم القيامة.

(١١)[وسميت هذه المباهلة تمنياً؛ لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له (في)(١٢) بيان حقه وظهوره؛ وكانت المباهلة بالموت؛ لأن الحياة عندهم (عزيزة عظيمة)(١٣) لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت](١١).

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾: أي: (أحرص الخلق على حياة أي)(١٤) على طول (عمر)(١٥)، لما يعلمون من مآلهم السيئ، وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؛ فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم، (وما يحذرون)(١٦) منه واقع بهم لا محالة، (حتى)(١٧) وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم.

وهذا من باب عطف الخاص على العام.

قال ابن أبي حاتم(١٨): حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنه)(١٩): ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قال: الأعاجم.

---

(١) من (ج) و(ل) و(ى).
(٢) من (ج) و(ل)؛ وفي باقي الأصول: «ذكر».
(٣) ساقط من (ى).
(٤) من (ج) و(ل).
(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ى).
(٦) في (ن): «لله».
(٧) من (ن).
(٨) من (ك) و(ن).
(٩) ساقط من (ك).
(١٠) في (ك): «البالغة»؛ وفي (ل) و(ى): «التابعة».
(١١) ساقط من (ز) و(ض).
(١٢) في (ل): «فيها».
(١٣) في (ل): «عظيمة عزيزة».
(١٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).
(١٥) من (ن): «العمر».
(١٦) في (ن): «وما يحاذرون».
(١٧) ساقط من (ل).
(١٨) في «تفسيره» (٩٥١). [وسنده حسن].
وأخرجه الحاكم (٢/٢٦٣) من طريق قبيصة بن عقبة، ثنا الثوري بسنده سواء.
(١٩) من (ك).

(وكذا)[١] رواه الحاكم في «مستدركه» من حديث الثوري؛ وقال: «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه».

قال: «وقد اتفقا على (سند تفسير)[٢] الصحابي».

وقال الحسن البصري[٣]: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ قال: المنافق أحرص (الناس)[٤] (على حياة، وهو)[٥] أحرص (على الحياة من المشرك)[٦].

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي: (يود)[٧] أحد اليهود كما يدل عليه نظم السياق.

وقال أبو العالية[٨]: يود أحدهم؛ أي: أحد المجوس، وهو يرجع إلى الأول.

﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال الأعمش[٩]، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو كقول الفارسي: «(زه)[١٠] هزار سال»: يقول (عشرة آلاف)[١١] سنة.

وكذا روى عن سعيد بن جبير[١٢] نفسه أيضاً.

وقال ابن جرير[١٣]: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعت أبي يقول: حدثنا أبو حمزة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس - في قوله (تعالى)[١٤]: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو قول الأعاجم[١٥]: هزار سال نوروز مهرجان.

وقال مجاهد[١٦]: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: حُببت إليهم الخطيئة طول العمر.

---

(١) من (ن).

(٢) في (ك): «تفسير سند».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٠) وسنده ضعيف.

(٤) ساقط من (ل).

(٥) ساقط من (ن).

(٦) في (ن): «من المشرك على الحياة».

(٧) من (ن).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٢). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٣) من طريق عبد الله بن نمير، عن الأعمش به. [وسنده حسن].

(١٠) في (ج) و(ل) و(ن): «ده».

(١١) في (ك) و(ى): «عشر ألف»!

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٥٩٢) وسنده معلق ضعيف.

(١٣) في «تفسيره» (١٥٩١).

قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على «تفسير الطبري»: «وهذا الإسناد صحيح متصل».

(١٤) ساقط من (ن).

(١٥) قال الشيخ أبو الأشبال رَحِمَهُ اللهُ: وفي «تفسير ابن كثير»: «هزار سال نوروز مهرجان» وقد سألت أحد أصحابنا ممن يعرف الفارسية فقال: إن هذا النص لا ينطبق على قواعد الفارسية، وأنه يظن أن صوابها: «زه در مهرجان نوروز هزار سال»، ومعنى «زه»: «عش» و«در» ظرف بمعنى: «في»، و«مهرجان» هو عيد لهم، و«نيروز»، عيد آخر في أول السنة، و«هزار» ألف، و«سال»: «سنة»، فكأن «حد» التي في آخر الكلام في نص الطبري هي «در» مصحفة، وباقي النصوص الفارسية صحيح ومعناه: عش ألف سنة؛ وفي «المستدرك» للحاكم: «هزار سال سرور مهرجان بخور» وقال مصححه: «يعني: تمتع ألف سنة كمثل عيد مهرجان، وهو عيد لهم». وكأن هذا هو الصواب. اهـ.

(١٦) أخرجه ابن جرير (١٥٩٣) قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد ويعقوب بن إبراهيم؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٤) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قالوا: ثنا إسماعيل بن علية، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. وسنده صحيح.

وقال محمد بن إسحاق[(١)]، عن محمد (بن أبي محمد)[(٢)]، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنه)[(٣)] ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ أي: وما هو بمنجيه من العذاب؛ وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت؛ فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي (بما ضيع)[(٤)] ما عنده من العلم.

وقال العوفي[(٥)]، عن ابن عباس: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ قال: هم الذين عادوا جبريل.

وقال أبو العالية[(٦)]: (وإن عمر)[(٧)]: (فما ذاك بمغيثه)[(٨)] من العذاب ولا منجيه (منه)[(٩)].

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[(١٠)] (في هذه الآية)[(١١)]: يهود أحرص على الحياة من هؤلاء؛ وقد ود هؤلاء (لو)[(١٢)] يعمر أحدهم ألف سنة؛ وليس ذلك بمزحزحه من العذاب لو عمر [كما أن عمر إبليس لم ينفعه][(١٣)]، إذ كان كافراً.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: (خبير بصير)[(١٤)] بما يعمل عباده من خير وشر، وسيجازي كل عامل بعمله[(١٥)].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري[(١٦)] رحمه الله: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل؛ إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل (ولي)[(١٧)] لهم؛ ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك؛ فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٥). [وسنده حسن]. وأخرجه ابن جرير (١٦٠٠).
(٢) من (ن).
(٣) من (ك).
(٤) كذا في (ن) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي باقي «الأصول»: «بما صنع بما عنده من العلم» واخترت الأولى لأنها أوضح في المعنى.
(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٠٣) وسنده ضعيف؛ مسلسل بالضعفاء.
(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٠١)؛ وابن أبي حاتم (٩٥٦). [وسنده جيد].
(٧) في (ن): «وابن عمر»!!
(٨) كذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ل): «ولا ذاك بمغنيه» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم».
(٩) في (ك): «فيه».
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٥٩٥) وسنده صحيح.
(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).
(١٢) في (ز) و(ض): «أن».
(١٣) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ى). ووقعت العبارة في (ن): «كما عمر إبليس».
(١٤) في (ض): «بصير خبير».
(١٥) في (ع): «بلغ مقابلة على المصنف، فسح الله في مدته».
(١٦) في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧).
(١٧) في (ن): «ولياً».

ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب[١]، حدثنا يونس بن بكير، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس ـ أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلالٍ نسألك عنهن لا (يعلمهن)[٢] إلا نبي. فقال رسول الله ﷺ: «(سلوا)[٣] عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه (لتتابعُني)[٤] على الإسلام». فقالوا: ذلك لك. فقال رسول الله ﷺ: «سلوني[٥] عما شئتم». قالوا: أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهن: أخبرنا: أي: الطعام (حرم)[٦] إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا: كيف ماء المرأة وماء الرجل؛ وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في (النوم)[٧] (ووليه)[٨] من الملائكة؟ (فقال رسول الله)[٩] ﷺ: «عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم (لتتابعُني؟)[١٠]» فأعطوه (ما شاء)[١١] من عهد وميثاق؛ فقال: نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى؛ هل تعلمون أن إسرائيل ـ يعقوب ـ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦٠٥).
وأخرجه أحمد (٢٥١٤ ـ شاكر)؛ وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٧٤، ١٧٥) قالا: حدثنا هاشم بن القاسم؛ وأخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» قال: حدثنا أحمد بن يونس؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٥١ ـ آل عمران)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٦٦، ٢٦٧) من طريق الطيالسي وهذا في «مسنده» (٢٧٣١)؛ وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٢٥١٥) من طريق محمد بن بكار بن الريان؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٢/رقم ١٣٠١٢) من طريق محمد بن يوسف الفريابي خمستهم عن عبد الحميد بن بهرام بسنده سواء؛ وأخرجه أحمد (٢٤٧١) من طريق الحسين بن محمد المروزي ثنا عبد الحميد ببعضه.
(*) **قلت**: وعبد الحميد بن بهرام وثقه أحمد وابن معين وأبو داود وأثنى عليه شعبة وقال: «نعم الشيخ». وقال ابن معين في رواية والنسائية والعجلي وابن عدي: «لا بأس به». وقال أبو حاتم: «أحاديثه عن شهر صحاح، لا أعلم روى عن شهر بن حوشب أحاديث أحسن منها ولا أكثر منها». وقال ابن عدي: «هو في نفسه لا بأس به، وإنما عابوا عليه كثرة رواياته عن شهر، وشهر ضعيف». وقال الخطيب: «الحمل في الصحيفة التي ذكر أنها منكرة على شهر لا على عبد الحميد». وقد خولف عبد الحميد بن بهرام. خالفه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي حسين فرواه عن شهر بن حوشب مرسلاً. أخرجه محمد بن إسحاق، كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩١، ١٩٢) ومن طريقه الطبري في «تفسيره» قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي حسين به.
وعبد الله هذا ثقة، وثقه أحمد وأبو زرعة والنسائي والعجلي وابن حبان وابن سعد وقال: «قليل الحديث» وقال ابن عبد البر: «ثقة عند الجميع فقيه عالم بالمناسك» وصرح ابن إسحاق بالتحديث كما رأيت. وهذا الوجه المرسل أرجح، نظرياً، من رواية عبد الحميد الموصولة. وهذا الاختلاف في سنده من شهر بن حوشب، فكان سيء الحفظ وللحديث طريق آخر عن ابن عباس، يأتي قريباً إن شاء الله تعالى.
(٢) في (ج): «يعلمن». (٣) في (ل): «اسألوا».
(٤) في (ن): «لتتابعنني». (٥) في (ن): «سلوا».
(٦) كذا في «ز» و(ض) و(ع) و(ك) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٢/ ٣٧٧) ووقع في (ج) و(ل): «الذي حرم».
(٧) كذا في «تفسير الطبري» وسائر روايات الحديث عند المخرجين له. ووقع في سائر «الأصول»: «التوراة»، وما أثبته أولى وأليق بلفظ الحديث، وجواب النبي ﷺ يدل عليه، والله أعلم.
(٨) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ن): «ومن وليه» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».
(٩) في (ن): «وقال النبي». (١٠) في (ن): «لتتابعنني».
(١١) في (ن): «ما شاء الله».

مرض مرضاً شديداً، فطال سقمه منه، فنذر لله نذراً، لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه؛ وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها»؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد عليهم» وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن ماء الرجل (أبيض غليظ)[١] وأن ماء المرأة (أصفر رقيق)[٢] فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله (ﷻ)[٣]، وإذا علا ماءُ الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله (ﷻ)[٤]»؟ قالوا: اللهم نعم. «قال: اللهم اشهد [٥][وأنشدكم (بالذي)[٦] أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه»؟ قالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد»][٥].

قالوا: أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك، أو نفارقك. قال: «فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندها نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك.

قال: «فما منعكم أن تصدقوه»؟ قالوا: إنه عدونا؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فعندها باءوا بغضب على غضب.

وقد رواه الإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، وعبد بن حميد في «تفسيره»، عن أحمد بن يونس؛ كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام، به.

ورواه (الإمام أحمد)[٧] أيضاً عن الحسين بن محمد المروزي عن عبد الحميد (به)[٨] بنحوه.

وقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار، (حدثني)[٩] عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب؛ فذكره مرسلاً.

وزاد فيه: قالوا: فأخبرنا عن الروح. قال: «فأنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل؛ هل تعلمون أنه جبريل، وهو الذي يأتيني»؟ قالوا: اللهم نعم. ولكنه (لنا عدو)[١٠]، وهو ملك؛ إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء؛ فلولا ذلك اتبعناك؛ فأنزل الله (تعالى)[١١] فيهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

وقال الإمام أحمد[١٢]: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي، عن

---

(١) في (ن): «غليظ أبيض».
(٢) في (ن): «رقيق أصفر».
(٣) من (ن).
(٤) من (ن).
(٥) ساقط من (ك).
(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ى): «بالذي» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٢/٣٧٨). ووقع في (ز) و(ض) و(ن): «بالله الذي».
(٧) ساقط من (ى). وسقطت لفظة: «الإمام» من (ن).
(٨) ساقط من (ز) و(ن).
(٩) في (ن): «حدثنا».
(١٠) في (ن): «عدو لنا».
(١١) من (ن).
(١٢) في «مسنده» (٢٤٨٣) ومن طريقه الضياء في «المختارة» (١٠/٦٩، ٧٠). =

(بكير)[1] بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: أقبلت يهود (إلى)[2] رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك؛ فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه؛ إذ قال: (والله على ما نقول وكيل). قال: «هاتوا»: قالوا: فأخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة، وكيف تذكر؟ قال: «يلتقى الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة (ماء الرجل)»[3] آنثت».

قالوا: أخبرنا (ما)[4] حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «كان يشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا» قال أحمد: قال بعضهم: يعني: الإبل، فحرم لحومها. قالوا: صدقت.

قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: ملك من ملائكة الله ﷻ، موكل بالسحاب بيديه أو في يديه مخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله (ﷻ)[5].

قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «صوته». قالوا: صدقت.

قالوا: إنما بقيت واحدة؛ وهي التي نتابعك إن أخبرتنا (بها)[6]: إنه ليس من نبي إلا وله ملك يأتيه بالخبر؛ فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل ﷺ. قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا؛ لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات (لكان)[7]؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ . . .﴾ إلى آخر الآية.

ورواه الترمذي، والنسائي، من حديث عبد الله بن الوليد، به. وقال الترمذي: «حسن غريب».

وقال سنيد في «تفسيره»[8]، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج: أخبرني القاسم بن أبي بزة - أن يهود سألوا النبي ﷺ (من)[9] صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي. قال: جبريل. قالوا: فإنه لنا

= وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٥٢)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٧٦٥)؛ وابن منده في «التوحيد» (٤٨) من طريق أبي أحمد الزبيري محمد بن عبد الله مثله. وتابعه أبو نعيم الفضل بن دكين قال: نا عبد الله بن الوليد وكان يجالس الحسن بن حي بسنده سواء.

أخرجه النسائي في «العشرة» (١٨٧)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ١١٤)؛ وابن منده في «التوحيد» (٤٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ رقم ١٢٤٢٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٤، ٣٠٥)؛ والضياء في «المختارة» (١٠/ ٦٧، ٦٨)؛ وأخرج الترمذي (٣١١٧) منه قصة الرعد. وقال: «حسن غريب».

وقال ابن منده: «هذا إسناد متصل، ورواته مشاهير ثقات».

(١) في (ك): «بكر» مكبراً، وهو تصحيف.

(٢) في (ن): «على».

(٣) ساقط من (ج) و(ض) و(ع) و(ى). وهو ثابت في «المسند» (٢٤٨٣).

(٤) في (ج) و(ل): «عما».

(٥) في (ن): «تعالى».

(٦) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل)، وهو ثابت في «المسند».

(٧) في (ل): «لكنا تابعناك» وهو مخالف لسائر «الأصول» ولـ«المسند».

(٨) ومن طريقه ابن جرير (١٦٠٧) قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، حدثني حجاج. والحسين هو ابن داود، ولقبه: «سنيد»، وهو لقب غلب عليه. [وسنده مرسل ويشهد له سابقه].

(٩) في (ز) و(ل) و(ن): «عن».

عدو، ولا يأتي إلا بالحرب والشدة، والقتال؛ فنزلت: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ...﴾ الآية.

قال ابن جريج[١]: قال مجاهد: قالت يهود: يا محمد؛ ما نزل جبريل إلا بشدة وحرب وقتال، فإنه لنا عدو؛ فنزل: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ...﴾ الآية.

وقال البخاري[٢]: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال عكرمة: جبر، وميك وإسراف: عبد، وإيل: الله.

حدثنا عبد الله بن (منير)[٣]، سمع عبد الله بن (بكر)[٤]، حدثنا حميد؛ عن أنس بن مالك؛ قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ؛ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه، أو إلى أمه؟ قال: أخبرني (بهن جبريل آنفاً)[٥]. قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت».

قال: أشهد أن لا إله إلا الله (وأشهد أنك رسول الله)[٦]. يا رسول الله؛ إن اليهود قوم بهت[٧]، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم (يبهتوني)[٨]؛ فجاءت اليهود، فقال (لهم رسول الله ﷺ)[٩]: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلم؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، (وأن)[١٠] محمداً رسول الله.

فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وانتقصوه؛ فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ـ انفرد به البخاري من هذا الوجه.

---

(١) وسنده مرسل أو معضل، وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً واحداً.

(٢) في «كتاب التفسير» (٨/ ١٦٥ ـ فتح).

(٣) كذا في (ج) و(ز). ووقع في (ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى): «نمير» وهو خطأ واضح، فالبخاري لم يلحق ابن نمير، فإن البخاري ولد سنة (١٩٤) بينما توفي ابن نمير سنة (١٩٩)، ويظهر لي أن قلم المصنف سبقه في الكتابة، ويدل على ذلك أن ابن المحب ناسخ (ج) قال في الحاشية: «كانت في الأصل: ابن نمير».

(٤) في (ك) و(ن): «بكير» وهو خطأ.

(٥) كذا في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن) وهو الموافق لما في «صحيح البخاري» (٨/ ١٦٥)، وفي (ج) و(ع) و(ى): «أخبرني جبريل بهن آنفاً».

(٦) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى) وهو الموافق لما في «البخاري» (٨/ ١٦٥)، وفي (ن): «وأنك رسول الله»؛ وفي (ج) و(ل): «وأن محمداً رسول الله».

(٧) بهت؛ جمع بهوت، من بناء المبالغة، والبهت: الكذب والافتراء.

(٨) في (ل): «بهتوني».

(٩) كذا في (ن) وهو الموافق لما في «البخاري». وسقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).

(١٠) في (ن): «وأشهد أن».

وقد أخرجاه[١] من وجه آخر، عن أنس، بنحوه.

وفي «صحيح مسلم»[٢]، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قريب من هذا السياق، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

وحكاية البخاري كما تقدم عن عكرمة هو المشهور ـ أن «إيل» هو الله.

وقد رواه سفيان (الثوري)[٣]، عن خصيف، عن عكرمة[٤]. [٥][ورواه عبد بن حميد، عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة][٥].

ورواه ابن جرير[٦]، عن الحسين بن يزيد (الطحان)[٧]، عن إسحاق بن منصور، عن قيس (عن)[٨] عاصم، عن عكرمة أنه قال: إن جبريل اسمه: «عبد الله»، وميكائيل اسمه: (عبيد الله)[٩]. إيل: الله.

ورواه[١٠] يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله سواء.

وكذا قال غير واحد من السلف، كما سيأتي قريباً.

[١١][وقال الإمام أحمد[١٢] في أثناء حديث: «سمرة بن جندب»: حدّثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال لي علي بن الحسين: اسم جبريل: «عبد الله»؛ واسم ميكائيل: «عبيد الله»][١١].

ومن الناس من يقول: «إيل» عبارة عن «عبد»، والكلمة الأخرى هي اسم الله؛ لأن كلمة «إيل» لا تتغير في الجميع فوزانه: عبد الله، عبد الرحمٰن، عبد الملك، عبد القدوس، عبد السلام، عبد الكافي، عبد الجليل؛ «فعبد» موجودة في هذا كله؛ واختلفت الأسماء (المضاف)[١٣] إليها، وكذلك جبرائيل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل، ونحو ذلك.

وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف إليه على المضاف. والله أعلم.

---

(١) كذا! فليحرر، فإني لم أظفر به في «صحيح مسلم» والله أعلم.
(٢) أخرجه مسلم في «كتاب الحيض» (٣١٥/٣٤). وقد مر تخريجه قريباً.
(٣) ساقط من (ل).
(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٢٨) وسنده لا بأس به.
(٥) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل)، وهو ثابت في (ع) و(ن) و(ى).
(٦) في «تفسيره» (١٦٢٤) وسنده ضعيف. وقيس هو ابن الربيع في حفظه مقال مشهور. وشيخ ابن جرير لينه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» (١/٢/٦٧) وذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/١٨٨).
(٧) كذا ورد في كل «الأصول» وهو الصواب كما في «الجرح والتعديل»، و«ثقات ابن حبان»، و«تهذيب الكمال» (٦/٥٠١) وفروعه. ووقع في «تفسير الطبري» (٢/٣٩٠): «الضحاك» وهو تصحيف.
(٨) في (ن): «بن» وهو خطأ. [وسنده حسن].
(٩) في (ن): «عبد الله» مكبراً.
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٦٢١) ورجاله ثقات إلا شيخ الطبري محمد بن حميد.
(١١) من (ج) و(ل).
(١٢) في «مسنده» (٥/١٥، ١٦) وعلقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٧٢) وقد رواه أيضاً (٩٧١) من طريق ابن إسحاق عن الزهري، عن علي بن الحسين. وسنده حسن.
(١٣) في (ض) و(ل): «المضافة».

ثم قال ابن جرير[(١)]: وقال آخرون: بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت [(٢)][بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[(٣)] وبينهم][(٢)] في أمر النبي ﷺ.

ذكرُ من قال ذلك[(٤)]: حدثني محمد بن المثنى، حدثني ربعي بن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: نزل عمر الروحاء، فرأى رجالاً يبتدرون أحجاراً يصلون إليها؛ فقال: (ما هؤلاء)[(٥)]؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله ﷺ صلى ها هنا، قال: فكره ذلك، وقال: (إنما)[(٦)] رسول الله ﷺ أدركته الصلاة بواد (فصلاها)[(٧)]، ثم ارتحل فتركه. ثم أنشأ يحدثهم؛ فقال: كنت أشهد اليهود يوم (مدراسهم)[(٨)]، فأعجب من التوراة كيف تصدق (الفرقان)[(٩)]، ومن (الفرقان)[(٩)] كيف يصدق التوراة، (فبينا)[(١٠)] أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب، ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك.

قلت: ولم ذلك؟ قالوا: (إنك)[(١١)] تغشانا وتأتينا.

فقلت: إني آتيكم فأعجب من (الفرقان)[(٩)] كيف يصدق التوراة، ومن التوراة كيف تصدق (الفرقان)[(٩)].

قالوا: ومر رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا ابن الخطاب؛ ذاك صاحبكم فالحق به.

قال: فقلت لهم عند ذلك: نشدتكم بالله الذي لا إله إلا هو، وما استرعاكم من حقه، وما استودعكم من كتابه؛ هل تعلمون أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا. فقال لهم عالمهم وكبيرهم: إنه قد غلظ عليكم فأجيبوه. فقالوا: فأنت عالمنا وكبيرنا، فأجبه أنت. قال: أما إذ نشدتنا بما نشدتنا (به)[(١٢)]

---

(١) في «تفسيره» (٢/ ٣٨٠، ٣٨١ شاكر).

(٢) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل) وهو الموافق لما في «ابن جرير». ووقع في (ع) و(ن) و(ى): «بينهم وبين عمر بن الخطاب».

(٣) من (ل) وهو الموافق لما في «ابن جرير».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٠٨) وسنده ضعيف لانقطاعه، فإن الشعبي واسمه عامر بن شراحيل لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد صرح المصنف بذلك بعد.
وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٦٠٩) قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: قال عمر: نحو الحديث الماضي.
وابن علية هذا هو إسماعيل، وهو أشهر من أخيه ربعي بن علية.
قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٩٠): «صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر».

(٥) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «ابن جرير». ووقع في (ن): «ما بال هؤلاء»؛ وفي (ل): «ما هو».

(٦) كذا في سائر «الأصول» واضحة؛ وفي (ن): «أيما» بالياء التحتانية، وكذلك ضبطها الشيخ محمود شاكر رحمه الله في «تفسير الطبري»، وما ورد في «الأصول» صحيح، على اعتبار أن قوله: «رسول الله» جملة توضيحية. والله أعلم.

(٧) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ن): «صلاها»؛ وفي «ابن جرير»: «فصلى».

(٨) في (ل): «مدراستهم».

(٩) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ن): «القرآن».

(١٠) في (ك) و(ن): «فبينما».

(١١) في (ن): «لأنك».

(١٢) ساقط من (ع) و(ى).

فإنا نعلم أنه رسول الله. قلت: ويحكم، (فأنى)[١] هلكتم؟! قالوا: (إنا لم نهلك)[٢]. قلت: كيف ذلك وأنتم تعلمون أنه رسول الله (ثم لا تتبعونه)[٣] ولا تصدقونه؟ قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة؛ وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة. قلت: ومن عدوكم؛ ومن سلمكم؛ قالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل[٤] قالوا: إن جبريل ملك الفظاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا. وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة التخفيف ونحو هذا.

قال: قلت: وما منزلتهما من ربهما ﷻ؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره. قال: فقلت: فوالذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما. وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل، وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبريل.

قال: ثم قمت. فاتبعت النبي ﷺ، فلحقته وهو خارج من خوخة لبني فلان، فقال: يا ابن الخطاب؛ ألا أقرئك آيات نزلن قبل. فقرأ عليّ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . .﴾ حتى قرأ (هذه)[٥] الآيات.

قال: قلت: (بأبي وأمي)[٦] يا رسول الله! والذي بعثك بالحق، لقد جئت وأنا (أريد أن)[٧] أخبرك، وأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر.

وقال ابن أبي حاتم[٨]: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد؛ أنبأنا عامر؛ قال: انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود، فقال: أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تجدون محمداً في كتبكم؟ قالوا: نعم. قال: فما يمنعكم أن تتبعوه؟ قالوا: إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له من الملائكة كفلاً، وإن جبريل كفل محمداً، وهو الذي يأتيه، وهو عدونا من الملائكة، وميكائيل سلمنا؛ لو كان ميكائيل الذي يأتيه أسلمنا.

قال: فإني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما منزلتهما عند الله تعالى؟ قالوا: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله.

قال عمر: وإني أشهد: ما ينزلان إلا بإذن الله، وما كان ميكائيل ليسالم عدو جبرائيل، وما كان جبرائيل ليسالم عدو ميكائيل.

---

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ن): «إذن» ولم يستطع تصويبها الشيخ محمود شاكر، فقرأها في «المطبوعة»: «أي: هلكتم»، ثم أثبتها: «إذن» عن «تفسير ابن كثير».

(٢) كذا في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «الطبري»، وسقط لفظ «إنا» من (ض). ووقع في (ج) و(ل): «إياكم يهلك».

(٣) كذا في (ج) و(ض) و(ك) وهو الموافق لما في «الطبري». وسقطت لفظة «ثم» من (ز) و(ع) و(ل) و(ى). ووقع في (ن): «ولا تتبعونه».

(٤) وقع في «تفسير الطبري» (١٦٠٨) بعد هذه الجملة: «قال: قلت: وفيم عاديتم جبريل وفيم سالمتم ميكائيل».

(٥) ساقط من (ن).

(٦) كذا في «الأصول»، وعند ابن جرير، بأبي وأمي أنت.

(٧) من (ن) وهو عند ابن جرير.

(٨) في «تفسيره» (٩٦٦) وهو مع انقطاع سنده، فإن مجالد بن سعيد تغير حفظه في آخر عمره كما قال أحمد وغيره.

فبينا هو عندهم إذ مر النبي ﷺ؛ فقالوا: هذا صاحبك يا ابن الخطاب.

فقام إليه عمر، فأتاه، وقد أنزل الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدث به عن عمر؛ ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر؛ فإنه لم يدرك (زمانه)[(١)]. والله أعلم.

وقال ابن جرير[(٢)]: حدثنا (بشر)[(٣)]، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة؛ قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود، فلما (أبصروه)[(٤)] رحبوا به، فقال لهم عمر: أما والله (ما جئت)[(٥)] [(٦)][لحبكم، ولا لرغبة فيكم، ولكن جئت][(٦)] لأسمع منك. فسألهم وسألوه، فقالوا: من صاحب صاحبكم؟ فقال لهم: جبريل. فقالوا: ذاك عدونا من أهل السماء، يطلع محمداً على سرنا، وإذا جاء جاء بالحرب والسَّنَةِ، ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل، وكان إذا جاء جاء بالخصب والسلم.

فقال لهم عمر: (تعرفون)[(٧)] جبريل وتنكرون محمداً ﷺ؟!

ففارقهم عمر عند ذلك، وتوجه نحو النبي ﷺ ليحدثه حديثهم، فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .﴾ (الآيات)[(٨)].

ثم (قال)[(٩)]: حدثني المثنى، حدثنا آمد، حدثنا أبو جعفر، حدثنا قتادة؛ قال: بلغنا أن عمر أقبل إلى اليهود يوماً. . . فذكر نحوه. وهذا [(١٠)][في تفسير آدم، وهو][(١٠)] أيضاً منقطع، وكذلك رواه أسباط[(١١)] عن السدي، عن عمر مثل هذا، أو نحوه، وهو منقطع أيضاً.

وقال ابن أبي حاتم[(١٢)]: حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عبد الرحمٰن يعني: (الدشتكي)[(١٣)]، حدثنا أبو جعفر، عن حصين بن عبد الرحمٰن، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى ـ أن يهودياً (لقي)[(١٤)] عمر بن الخطاب، فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا. فقال عمر: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ قال: فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه.

---

(١) في (ز) و(ض): «وفاته» وهو تصحيف.
(٢) في «تفسيره» (١٦١٠) وهو ضعيف لانقطاعه.
(٣) في (ن): «بشير» وهو خطأ، وهو بشر بن معاذ العقدي أحد شيوخ النسائي والترمذي وابن ماجه.
(٤) كذا في «تفسير الطبري». ووقع في جميع «الأصول»: «انصرف» ولا معنى لها إلا بتقدير محذوف.
(٥) في (ل) و(ن): «ما جئتكم».
(٦) ساقط من (ك).
(٧) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى). ووقع في (ز) و(ن): «هل تعرفون» وفي «تفسير الطبري»: «أتعرفون».
(٨) من (ن).
(٩) يعني: ابن جرير، وهو فيه (١٦١١).
(١٠) من (ع) و(ن) و(ى).
(١١) أخرجه ابن جرير (١٦١٣).
(١٢) في «تفسيره» (٩٦٧) وسنده ضعيف، وأبو جعفر هو الرازي، تكلم العلماء في حفظه ولكن تابعه هشيم بن بشير عند ابن جرير وتأتي روايته بعد هذه. وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى مختلف في سماعه من عمر.
(١٣) في (ن): «الدستى»!
(١٤) في (ز) و(ض): «أتى».

[١)[ورواه عبد بن حميد، عن (أبي النضر)[٢) هاشم بن القاسم، عن أبي جعفر - هو الرازي](١).

وقال ابن جرير[٣): حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا حصين بن عبد الرحمٰن، عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال: قالت اليهود للمسلمين: لو أن ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم (لتبعناكم)[٤)؛ فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة. فإنه عدو لنا، قال: فنزلت هذه الآية.

حدثنا[٥) يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء، بنحوه.

[٦)[وقال عبد الرزاق[٧): أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال: قالت اليهود: إن جبريل (عدونا)[٨)؛ لأنه ينزل بالشدة والسنة، وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب، فجبريل (عدونا)[٨)؛ فقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ . . .﴾ الآية](٦).

وأما تفسير الآية فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله، بإذنه له في ذلك؛ فهو رسول من رسل الله مَلَكيٌّ -، [٩)(عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة السلام)[٩) ومن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، [١٠)[كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل](١٠)، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء] فحكم عليهم بالكفر المحقق إذ آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعضهم؛ وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه؛ كما قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

وقد روى البخاري في «صحيحه»[١١)، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)[١٢)؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب».

---

(١) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل) وثابتة في (ع) و(ن) وكتبها ناسخ (ى) في الحاشية.
(٢) في (ن): «أبي النظر»!
(٣) في «تفسيره» (١٦١٥). [وسنده مرسل يتقوىٰ بالمراسيل التالية].
(٤) في (ن): «اتبعناكم».
(٥) أخرجه ابن جرير (١٦١٦) وسنده جيد عن عطاء.
(٦) هذه الفقرة مقدمة في (ك) على التي قبلها.
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٢، ٥٣) ومن طريقه ابن جرير (١٦١٢) وسنده صحيح. [لكنه مرسل ويتقوىٰ بالمراسيل السابقة].
(٨) في (ن): «عدو لنا». (٩) من (ل).
(١٠) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).
(١١) في «كتاب الرقاق» (١١/ ٣٤٠، ٣٤١). (١٢) من (ل).

ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه، فقال (تعالى)[١]: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المتقدمة ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هدًى لقلوبهم، وبشرى لهم بالجنة؛ وليس ذلك إلا للمؤمنين.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء].

ثم قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ يقول تعالى: من عاداني وملائكتي ورسلي. ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

(وجبريل وميكال): وهذا من باب عطف الخاص على العام، فإنهما دخلا في الملائكة ثم في عموم الرسل، ثم خصصنا بالذكر؛ لأن السياق في الانتصار لجبريل، وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللفظ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكائيل وليهم، فأعلمهم (الله تعالى)[٢] أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضاً؛ لأنه أيضاً ينزل على (الأنبياء)[٣] بعض الأحيان كما قرن برسول الله ﷺ في ابتداء الأمر، ولكن جبريل أكثر وهي وظيفته، وميكائيل موكل بالقطر والنبات وهذاك بالهدى وهذا بالرزق، كما أن إسرافيل (موكل بالصور للنفخ)[٤] للبعث (يوم)[٥] القيامة.

ولهذا جاء في «الصحيح»[٦] أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وقد تقدم ما حكاه البخاري، ورواه ابن جرير، عن عكرمة (وغيره)[٧] أنه قال: «جبر»، و«ميك»، و«إسراف»: عبد، و«إيل»: الله.

وقال ابن أبي حاتم[٨]: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس؛ قال: إنما

---

(١) من (ن).
(٢) من (ن) و(ل)؛ وفي (ج) و(ى): «فأعلمهم تعالى»؛ وفي (ز) و(ض) و(ك): «فأعلمهم».
(٣) في (ن): «أنبياء الله».
(٤) في (ن): «موكل للنفخ في الصور».
(٥) كذا في (ز) و(ك) و(ل) و(ن)؛ وفي (ج) و(ض) و(ى): «ليوم».
(٦) يعني: «صحيح مسلم»، وقد أخرجه هو (٧٧٠/ ٢٠٠).
(٧) من (ن).
(٨) في «تفسيره» (٩٧٠)؛ وأخرجه أيضاً (٩٦٩) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش بإسناده مثله. وسنده قوي.

كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله، وعبد الرحمٰن. وقيل: جبر: عبد، وإيل: الله.

وقال محمد بن إسحاق[(١)]، عن الزهري، عن علي بن الحسين؛ قال: (تدرون)[(٢)] ما اسم جبريل من أسمائكم؟ قلنا: لا؛ قال: اسمه عبد الله. قال: فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم؟ قلنا: لا؛ قال: اسمه (عبيد الله)[(٣)]؛ وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى الله (ﷻ)[(٤)].

قال ابن أبي حاتم: وروى عن عكرمة، ومجاهد، والضحاك، ويحيى بن يعمر نحو ذلك.

ثم قال[(٥)]: (حدثنا)[(٦)] أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثني عبد العزيز بن عمير؛ قال: اسم جبريل في الملائكة خادم الله، قال: فحدثت به أبا سليمان الداراني فانتفض؛ وقال: لهذا الحديث أحب إلي من كل شيء في دفتر كان بين يديه.

وفي جبريل وميكائيل لغات وقراءات تذكر في كتب اللغة والقراآت، [(٧)](ولم نطول كتابنا هذا بسرد ذلك)[(٧)] إلا أن يدور فهم المعنى عليه، أو يرجع الحكم في ذلك إليه، وبالله الثقة وهو المستعان.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ فيه إيقاع المظهر مكان المضمر، حيث لم يقل: فإنه عدو؛ بل قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ كما قال الشاعر[(٨)]:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... سبق الموت ذا الغنى والفقيرا

وقال الآخر[(٩)]:

ليت الغراب غداة ينعب (دائباً)[(١٠)] ... كان الغراب (مقطع)[(١١)] الأوداج

وإنما أظهر الله هذا الاسم ها هنا لتقرير هذا المعنى وإظهاره، وإعلامهم أن من عادى (أولياء الله)[(١٢)] فقد عادى الله، ومن عادى الله فإن الله عدو له، ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة، كما تقدم في الحديث: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة». وفي الحديث الآخر[(١٣)]: «إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب»، وفي الحديث الصحيح[(١٤)]: «من كنت

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٧١).
(٢) في (ز) و(ن): «أتدرون».
(٣) في (ل): «عبد الله» وهو خطأ.
(٤) من (ن).
(٥) في «تفسيره» (٩٧٤) وعبد العزيز بن عمير هو الخراساني الزاهد. له ترجمة في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٣٢ - ٣٣٦) لابن عساكر.
(٦) في (ن): «حدثني».
(٧) كذا في سائر «الأصول». ووقع في (ج): «يطول كتابنا هذا بسرده».
(٨) هو أمية بن أبي الصلت، وينسب إلى سوادة بن عدي.
(٩) هو جرير. والبيت في «ديوانه» (٨٩) ولكن وقع في «الديوان»: «ينعب بالنوى».
(١٠) في (ن): «دائماً».
(١١) في (ن): «منقطع»!
(١٢) في (ن): «ولياً لله».
(١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم من حديث أنس كما ذكره الزبيدي في «الإتحاف» (٩/ ٤٤٠) ولم أقف عليه عندهما، بهذا اللفظ، والحديث لا يثبت بهذا السياق أما حديث أنس فلا يثبت من جميع وجوهه، وقد خرجته في «تسلية الكظيم».
(١٤) وهذا جزء من حديث يرويه أبو هريرة ﷺ مرفوعاً: «قال ربكم: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة؛ ومن كنت =

خصمه خصمته»[١].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا
نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ
فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟
ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ
عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ
مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

قال الإمام أبو جعفر ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ (الآية)[٢]: أي أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك؛ وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم، وما حرفه أوائلهم وأواخرهم، وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة؛ فأطلع الله في كتابه الذي أنزله (إلى)[٣] نبيه محمد ﷺ؛ فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف (نفسه)[٤]، ولم يدعه إلى هلاكها الحسد والبغي؛ إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد ﷺ من الآيات البينات التي وصف من غير تعلم تعلمه من بشر، (ولا أخذ شيء)[٥] منه عن آدمي.

كما قال الضحاك[٦]، عن ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يقول: فأنت تتلوه عليهم، وتخبرهم به غدوةً وعشيةً، وبين ذلك؛ وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتاباً؛ وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه؛ يقول الله (تعالى)[٧]: (في ذلك لهم عبرة)[٨] وبيان، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون.

وقال محمد بن إسحاق[٩]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير؛ عن

= خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره»؛ أخرجه البخاري (٤/٤١٧، ٤٤٧).

(١) في (ع): «بلغ بقراءة الشيخ عماد الدين نفع الله به، وفسح في مدته».

(٢) من (ن).

(٣) في (ض) و(ن): «على».

(٤) في (ن): «من نفسه».

(٥) في (ز) و(ض) و(ن): «ولا أخذ شيئاً» وما أثبته موافق لما عند «الطبري» (٢/٣٩٧ - شاكر).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٣٦) وسنده ضعيف.

(٧) من (ن).

(٨) في (ن): «لهم في ذلك عبرة».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٦٣٧) قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق فذكره ولكن إسناده ضعيف جداً. وابن حميد واه، وسلمة فيه مقال. لكن أخرجه ابن جرير (١٦٣٨) قال: حدثنا =

ابن عباس؛ قال: قال ابن صوريا (الفطيوني)[1] لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك؛ فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

وقال مالك بن الضيف[2]: حيث بعث رسول الله ﷺ وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمد ﷺ: والله ما عهد إلينا في محمد، وما أخذ علينا ميثاقاً؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾.

وقال الحسن البصري[3] في قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: نعم، ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه؛ يعاهدون اليوم وينقضون غداً.

وقال السدي[4]: لا يؤمنون بما جاء به محمد ﷺ.

وقال قتادة[5]: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ أي: نقضه فريق منهم.

وقال ابن جرير[6]: أصل النبذ الطرح والإلقاء؛ ومنه سمي اللقيط منبوذاً، ومنه سمي النبيذ، وهو التمر والزبيب إذا طرحا في الماء؛ قال أبو الأسود الدؤلي:

نظرت إلى عنوانه فنبذته ... كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا

قلت: فالقوم ذمهم الله بنبذهم العهود التي تقدم الله إليهم في التمسك بها والقيام بحقها؛ ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، الذي في كتبهم نعته وصفته وأخباره؛ وقد أمروا فيها باتباعه ومؤازرته ونصرته؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ...﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] وقال ها هنا: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أي: طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد ﷺ وراء ظهورهم؛ أي: تركوها، كأنهم لا يعلمون ما فيها، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه؛ ولهذا أرادوا (كيد الرسول)[7] ﷺ، وسحروه في مشط (ومشاقة)[8] وجف طلعة

= أبو كريب. وابن أبي حاتم (٩٧٦) من طريق محمد بن عبد الله بن نمير قالا: ثنا يونس بن بكير، ثنا محمد بن إسحاق به. [وسنده حسن].

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ى) وهو الموافق لما في «ابن جرير»، وقد ضبطها ناسخ (ى)؛ وفي (ض): «النطيوني»؛ وفي (ك): «القطيوني» بالقاف؛ وفي (ن): «القطويني».

(٢) أخرجه ابن جرير (١٦٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٩٧٩) من طريق يونس بن بكير ثنا ابن إسحاق بسنده المذكور آنفاً.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٨٠) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٨٢) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٤١) قال: حدثنا بشر بن معاذ. وابن أبي حاتم (٩٨١) من طريق العباس بن الوليد قالا: ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة. وسنده صحيح.

(٦) في «تفسيره» (٢/ ٤٠١).

(٧) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ن): «كيداً برسول الله»؛ وفي (ك): «كيد رسول الله».

(٨) أشار ناسخ (ع) أنه وقع في نسخة: «ومشاطة» وهو الأشهر. والمشاقة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط.

ذكر، تحت راعوفة ببئر (ذي أروان)[١]؛ وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له: لبيد بن الأعصم، لعنه الله، (وقبحه)[٢]؛ فأطلع الله على ذلك رسول الله ﷺ، وشفاه منه، وأنقذه، كما ثبت ذلك مبسوطاً في «الصحيحين»[٣]، عن عائشة أم المؤمنين ﵂ كما سيأتي بيانه.

قال السدي[٤]: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ قال: لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة، فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة، وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت؛ فلم يوافق القرآن؛ فذلك قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال قتادة[٥] في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: إن القوم كانوا يعلمون؛ ولكنهم نبذوا علمهم، وكتموه، وجحدوا به.

وقال العوفي في «تفسيره»[٦]، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ وكان حين ذهب ملك سليمان، ارتد فئام من الجن والإنس واتبعوا الشهوات؛ فلما (رَجَعَ)[٧] الله إلى سليمان ملكه، وقام الناس على الدين كما كان، (وأن)[٨] سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه، وتوفي سليمان ﵇ حدثان ذلك؛ فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان؛ وقالوا: هذا كتاب من الله نزل على سليمان؛ (أخفاه منا)[٩]؛ فأخذوا به، فجعلوه ديناً؛ فأنزل الله (تعالى)[١٠] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ واتبعوا الشهوات التي كانت (تتلوا الشياطين)[١١] وهي المعازف واللعب، وكل شيء يصد عن ذكر الله.

وقال ابن أبي حاتم[١٢]: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرواً وكفراً؛ وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها.

---

(١) في (ن): «ذروان».
(٢) من (ن).
(٣) أخرجه البخاري (٦/٢٧٦، ٣٣٤؛ و١٠/٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٤٧٩؛ و١١/١٩٢، ١٩٣)؛ ومسلم (٢١٨٩/٤٣، ٤٤).
(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٤٤)؛ وابن أبي حاتم (٩٨٢، ٩٨٥) من طريق عمرو بن حماد، ثنا أسباط عن السدي. وليس عند الطبري: «فلم يوافق القرآن». وسنده حسن.
(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٤٥) وسنده صحيح.
(٦) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٩٩٠) وهو سند مسلسل بالضعفاء.
(٧) في (ل) و(ن): «أرجع».
(٨) كذا سائر «الأصول»؛ وفي (ز): «أو أن».
(٩) في (ز) و(ن): «أخفاه عنا».
(١٠) من (ن).
(١١) ساقط من (ز) و(ض).
(١٢) في «تفسيره» (٩٨٨).
وأخرجه النسائي في «تفسيره» (١٤) قال: أخبرنا محمد بن العلاء، عن أبي أُسامة مثله. وسنده جيد. [والخبر من الإسرائيليات].

قال: فأكفره جهال الناس، وسبوه، ووقف (علماؤهم)[١]، فلم يزل (جهالهم)[٢] يسبونه حتى أنـزل الله عـلـى مـحـمـد ﷺ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقال ابن جرير[٣]: حدثني أبو السائب سلم بن جنادة السوائي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان سليمان عليه السلام إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئاً من نسائه، أعطى الجرادة ـ وهي امرأة ـ خاتمه، فلما أراد الله أن يبتلي سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال: هاتي خاتمي، فأخذه ولبسه؛ فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس.

قال: فجاءها سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي؛ فقالت: كذبت، لست سليمان؛ قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به. قال: فانطلقت الشياطين، فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر، (ثم دفنوها)[٤] تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها (فقرءوها)[٥] على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب، قال: فبرئ الناس من سليمان (عليه السلام)[٦] (وأكفروه)[٧] حتى بعث الله محمداً ﷺ؛ فأنزل عليه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾.

ثم قال ابن جرير[٨]: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن حصين بن عبد الرحمٰن، عن عمران ـ وهو ابن الحارث ـ قال: بينما نحن عند ابن عباس رضي الله (عنهما) إذ جاء رجل، فقال له: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أيه؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن علياً خارج إليهم، ففزع؛ ثم قال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه، أما إني (سأحدثكم)[٩] عن ذلك، إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيجئ أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا (جرب منه صدق)[١٠] كذب معها سبعين كذبةً؛ قال: فتشربها قلوب الناس، قال: فأطلع الله عليها سليمان عليه السلام، فدفنها تحت كرسيه.

فلما توفي سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق؛ فقال: (ألا)[١١] أدلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي.

---

(١) في (ن): «علماء الناس».
(٢) في (ن): «جهال الناس».
(٣) في «تفسيره» (١٦٥٤، ١٦٦٠)؛ وابن أبي حاتم (١٠٠٢) مختصراً وسنده جيد. [والخبر من الإسرائيليات].
(٤) في (ن): «فدفنوها».
(٥) في (ن): «وقرؤها».
(٦) ساقط من (ن).
(٧) في (ن): «كفروه».
(٨) في «تفسيره» (١٦٦٢) وقد توبع محمد بن حميد شيخ الطبري. فتابعه إسحاق بن راهويه فقال: أنبأنا جرير بسنده سواء؛ أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٥) وسنده صحيح وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٩٦) قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، ثنا القاسم بن يزيد، عن سفيان عن حصين بسنده سواء ببعضه.
(٩) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ن) و(ى) وكذلك هو في «الطبري»؛ وفي (ج) و(ل): «سأحدثك».
(١٠) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ل) و(ى)، وضبطها ناسخ (ع). ووقع في (ك) و(ن): «فإذا جرت منه وصدق»؛ وفي «تفسير الطبري»: «فإذا حدث منه صدق» ولعل كليهما تصحيف، ولهما في التأويل وجه.
(١١) في (ز) و(ض): «أفلا»؛ وفي (ن): «هل».

فأخرجوه، فقال: هذا سحر، فتناسخها الأمم حتى (بقاياها)[١] ما يتحدث به أهل العراق؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ . . .﴾.

(ورواه)[٢] الحاكم في «مستدركه»، عن أبي زكريا العنبري، عن محمد بن عبد السلام، عن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير، به.

وقال السدي[٣]: في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ﴾ أي: على عهد سليمان؛ قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة ما يكون في الأرض؛ من موت، أو غيب، أو أمر؛ فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا؛ فلما أمنتهم الكهنة كذبوا لهم، وأدخلوا فيه غيره؛ فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمةً، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا ذلك في بني إسرائيل ـ أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب، فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه؛ ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه.

فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف من بعد ذلك خلف تمثل (شيطان)[٤] في صورة إنسان، ثم أتى نفراً من بني إسرائيل؛ فقال لهم: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي، وذهب معهم (فأراهم)[٥] المكان، وقام ناحيته؛ فقالوا له: فادن؛ فقال: لا، ولكني ها هنا في أيديكم، فإن لم تجدوا فاقتلوني.

فحفروا، فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر، ثم طار وذهب، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب. فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقال الربيع بن أنس[٦]: إن اليهود سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله ﷻ ما سألوه عنه، فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وإنهم سألوه عن السحر، وخاصموه به؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب؛ فكتبوا فيه السحر والكهانة، وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت (مجلس)[٧] سليمان، وكان ﵇ لا يعلم الغيب، فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك

---

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «ابن جرير»: «بقاياهم».

(٢) في (ن): «وروى».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٦٤٦) بطوله؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٩٣) إلى قوله: «إلا احترق». [وسنده حسن].

(٤) في (ن): «الشيطان». (٥) في (ز) و(ض) و(ن): «وأراهم».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٤٧)؛ وابن أبي حاتم (٩٩١). [وسنده جيد لكنه مرسل].

(٧) في (ن): «كرسي».

السحر، وخدعوا الناس؛ وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتمه، (ويحسد)[١] الناس عليه؛ فأخبرهم النبي ﷺ بهذا الحديث؛ فرجعوا من عنده، وقد (خزيوا)[٢] (وأدحض)[٣] الله حجتهم.

وقال مجاهد[٤] في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ قال: كانت الشياطين تستمع الوحي، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمان عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفي سليمان وجدته الشياطين، وعلمته الناس وهو السحر.

وقال سعيد بن جبير[٥]: كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته، فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، (فَدَنَتْ)[٦] إلى الإنس؛ فقالوا لهم: (أتدرون العلم)[٧] الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته، وتحت كرسيه؛ (فاستثارته)[٨] الإنس، (واستخرجوه)[٩] (وعملوا)[١٠] بها، فقال أهل (الحجا)[١١]: كان سليمان يعمل بهذا، وهذا سحر؛ فأنزل الله تعالى على (لسان)[١٢] نبيه محمد ﷺ براءة سليمان عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.

وقال محمد بن[١٣] إسحاق بن (يسار)[١٤]: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود (عليه)[١٥] السلام، فكتبوا أصناف السحر: من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب، ثم ختموه بخاتم على نقش (خاتم)[١٦] سليمان، وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود (عليه السلام)[١٧] من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنوه تحت كرسيه، واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل (حتى)[١٨]

---

(١) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ن) و(ى). ووقع في (ج): «يفسد»؛ وفي (ل): «يحشر».
(٢) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى). ووقع في (ل): «حزنوا» بزاي ونون؛ وفي (ن): «وقد خرجوا».
(٣) في (ج): «فأدحض»؛ وفي (ن): «وقد أدحض».
(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٦٥) وسنده ضعيف.
(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٥٩) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير به. وسنده ضعيف جداً. ومحمد بن حميد تقدم ذكرنا له بالوهاء غير مرة. ويعقوب بن عبد الله القمي مختلف فيه وهو متماسك. وجعفر بن أبي المغيرة وثقه ابن حبان وابن شاهين وقال الذهبي: «كان صدوقاً» ولكن قال ابن منده: «ليس بالقوي في سعيد بن جبير». وروايته هنا عنه.
(٦) في (ز) و(ض): «فدبت» بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق.
(٧) في (ل): «أتدرون أن العلم».
(٨) في (ز) و(ض): «فاستثار به».
(٩) في (ض) و(ن): «وأخرجوه».
(١٠) في (ل): «فعلموا».
(١١) في (ك) و(ن): «الحجاز» وكذلك هي في «تفسير الطبري» ولا معنى لها عندي، وكتب ناسخ (ى) تحتها: «العقل»، فهو يفسرها.
(١٢) ساقط من (ز) و(ن).
(١٣) أخرجه ابن جرير (١٦٥٠، ١٦٦٧).
(١٤) في (ك): «بشار»، وهو غلط يده.
(١٥) في (ك): «عليهما».
(١٦) ساقط من (ل).
(١٧) من (ز) و(ض) و(ع) و(ى)؛ وفي (ج): «عليه السلام» وسقط من (ك) و(ل).
(١٨) في (ج): «حين».

أحدثوا ما أحدثوا، فما عثروا عليه قالوا: والله ما كان (سليمان)[(١)] إلا بهذا، فأفشوا السحر في الناس، (فتعلموه وعلموه)[(٢)]، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكر رسول الله ﷺ ـ فيما نزل عليه من الله ـ سليمان بن داود، وعده فيمن عد من المرسلين، قال من كان بالمدينة من (يهود)[(٣)]: ألا تعجبون من محمد؟! يزعم أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً؛ وأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية.

وقال ابن جرير[(٤)]: حدثنا القاسم، حدثنا حسين، حدثنا حجاج، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب؛ قال: لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان؛ فكتبت: من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس، وليقل كذا وكذا. ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس، وليقل كذا وكذا. فكتبته وجعلت عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليه السلام من ذخائر كنوز العلم؛ ثم دفنته تحت كرسيه. فلما مات سليمان عليه السلام قام إبليس ـ لعنه الله ـ خطيباً، فقال: يا أيها الناس؛ إن سليمان لم يكن نبياً، إنما كان ساحراً، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته؛ ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه؛ فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحراً، هذا سحره، بهذا تعبدنا، وبهذا قهرنا. فقال المؤمنون: بل كان نبياً مؤمناً.

فلما بعث الله النبي (محمداً)[(٥)] ﷺ (جعل يذكر الأنبياء)[(٦)] (حتى)[(٧)] ذكر داود وسليمان؛ فقالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء؛ إنما كان ساحراً يركب الريح؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ . . .﴾ الآية.

وقال ابن جرير[(٨)]: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا المعتمر بن سليمان؛ قال: سمعت عمران بن (حدير)[(٩)]، عن أبي مجلز؛ قال: أخذ سليمان عليه السلام من كل دابة عهداً، فإذا (أصيب رجل)[(١٠)] فسأل بذلك العهد خلي عنه، (فزاد)[(١١)] الناس السجع والسحر؛ فقالوا: هذا يعمل به سليمان (بن داود عليه السلام)[(١٢)]؛ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

---

(١) في حاشية (ن): «ملك سليمان».

(٢) ساقط من (ز).

(٣) في (ن): «اليهود».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٦٦) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب به. وسنده ضعيف جداً. وأبو بكر هو الهذلي كذبه ابن معين في رواية، وقال النسائي: «ليس بثقة» وتركه الدارقطني وغيره. وقال ابن حبان: «يروى عن الأثبات الأشياء الموضوعات».

(٥) من (ن) و«تفسير الطبري».

(٦) من (ك) و«تفسير الطبري».

(٧) وقع في (ج) و(ل) و(ن) و(ى): «حين».

(٨) في «تفسيره» (١٦٦١) وسنده صحيح.

(٩) في (ن) و(ك): «جرير» وهو تصحيف.

(١٠) في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ى): «تصيب رجلاً».

(١١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري»: «فرأى» وصوبها الشيخ محمود شاكر.

(١٢) من (ن).

وقال ابن أبي حاتم[١]: حدثنا عصام بن رواد، حدثنا آدم، حدثنا المسعودي، عن زياد مولى (مصعب)[٢]، عن الحسن: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قال: ثلث الشعر، وثلث السحر، وثلث الكهانة.

وقال[٣]: حدثنا الحسن بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي، حدثني سرور بن المغيرة، عن عباد بن منصور، عن الحسن: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ (وأتبعته)[٤] اليهود على ملكه؛ وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها، ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان.

فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام. ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها، وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب (الفهم)[٥]. والله الهادي.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب من بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم، ومخالفتهم (الرسول محمداً ﷺ)[٦] ما تتلوه الشياطين؛ أي: ما ترويه وتخبر به، وتحدثه الشياطين، على ملك سليمان. وعداه بـ«على»؛ لأنه ضمن «تتلو» تكذب.

وقال ابن جرير[٧]: «على» ها هنا بمعنى «في»؛ أي: تتلو في ملك سليمان. ونقله عن ابن جريج وابن إسحاق.

قلت: والتضمين أحسن وأولى. والله أعلم.

وقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: وقد كان السحر قبل (زمن)[٨] سليمان بن داود ـ صحيح لا شك فيه؛ لأنه السحرة كانوا في زمان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسليمان بن داود بعده؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٤٦] ثم (ذكر)[٩] القصة بعدها؛ وفيها ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال قوم صالح، وهم قبل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لنبيهم صالح: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] أي: المسحورين على المشهور[١٠].

---

(١) في «تفسيره» (٩٨٩) ورجاله ثقات، والمسعودي كان اختلط.

(٢) كذا في (ج) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم». ووقع في سائر «الأصول»: «ابن مصعب»، والصواب ما أثبت وهو زياد المصفر أبو عثمان مولى مصعب بن الزبير يروى عن الحسن البصري وثابت البناني. ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ٣٦٩)؛ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٥٥٣) ونقل عن أبيه قال: «كوفي لا بأس بحديثه». وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٣٢٨).

(٣) يعني: ابن أبي حاتم. وهو في «تفسيره» (٩٩٢) وسنده ضعيف.

(٤) في (ن): «تبعته».

(٥) في (ك): «الفهيم».

(٦) في (ع) و(ى): «الرسول ﷺ»؛ وفي (ن): «لرسول الله محمد».

(٧) في «تفسيره» (٢/ ٤١١ ـ شاكر).

(٨) في (ز) و(ن): «زمان».

(٩) من (ز) و(ن).

(١٠) في هامش (ع): «بلغ مقابلة على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله، ولله الحمد».

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ﴾ اختلف الناس في هذا المقام؛ فذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية، أعني التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾.

[1][قال القرطبي[2]: «ما» نافية، (ومعطوفة)[3] على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾][1].

[4][ثم قال: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ (أي: السحر)[5] وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل وميكائيل، فأكذبهم الله. وجعل قوله: ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ﴾ بدلاً من «الشياطين»؛ قال: وصح ذلك إما لأن الجمع يطلق على الاثنين، كما في قوله (تعالى)[6]: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] أو لكونهما لهما أتباع، أو ذكرا من بينهم لتمردهما؛ فتقدير الكلام عنده: يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت.

ثم قال: وهذا أولى ما حملت عليه الآية، وأصح. ولا يلتفت إلى ما سواه][4].

وروى ابن جرير[7] بإسناده، من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ . . .﴾ الآية؛ يقول: لم ينزل الله السحر.

وبإسناده[8] عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال: ما أنزل الله عليهما السحر.

قال ابن جرير[9]: فتأويل الآية على هذا: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ﴾ من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت؛ فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه (المقدم)[10].

قال: فإن قال لنا قائل: كيف وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه أن يقال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ﴾ من السحر، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ وما أنزل (الله السحر)[11] على الملكين، ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ببابل هاروت وماروت؛ فيكون معنياً بالملكين جبريل وميكائيل عليهما السلام؛ لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهم الله بذلك، وأخبر نبيه محمداً ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر، وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان: اسم أحدهما

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى).
(٢) في «تفسيره» (٢/ ٥٠).
(٣) في (ن): «معطوف».
(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى).
(٥) من (ج) و(ل). وسقطت من (ن).
(٦) من (ن).
(٧) رقم (١٦٧٠)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤) وسنده ضعيف.
(٨) رقم (١٦٧١)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٥). [وسنده جيد].
(٩) في «تفسيره» (٢/ ٤١٩، ٤٢٠).
(١٠) في «تفسير الطبري»: «التقديم».
(١١) في (ن) وهو في «تفسير الطبري»، ولكن المحقق وضعها بين معكوفين، فكأنها ليس في «الأصل» وزادها من «تفسير ابن كثير» والله أعلم.

هاروت، واسم الآخر ماروت؛ فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمةً عن الناس، ورداً عليهم.

هذا لفظه بحروفه.

وقد قال ابن أبي حاتم[١]: (حدثت)[٢] عن عبيد الله بن موسى، أخبرنا فضيل بن مرزوق، عن عطية: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال: ما أنزل (الله)[٣] على جبريل وميكائيل السحر.

(قال ابن أبي حاتم)[٤]: وحدثنا الفضل بن شاذان، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا يعلى - يعني: ابن أسد، أخبرنا (بكر)[٥] -؛ يعني: ابن مصعب، أخبرنا الحسن بن أبي جعفر: أن عبد الرحمٰن بن أبزى كان يقرؤها: «وما أنزل على الملكين داود وسليمان».

وقال أبو العالية: لم ينزل عليهما السحر؛ يقول علما الإيمان والكفر؛ فالسحر من الكفر؛ فهما ينهيان عنه أشد النهي.

رواه ابن أبي حاتم[٦].

ثم شرع ابن جرير[٧] في رد هذا القول، وأن «ما» بمعنى الذي، وأطال القول في ذلك، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر، اختباراً لعباده وامتحاناً، بعد (أن)[٨] بيَّن لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل. وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك؛ لأنهما امتثلا ما أُمرا به.

وهذا الذي سلكه غريب[٩] جداً، وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن، (كما زعمه ابن حزم)[١٠].

وروى ابن أبي حاتم[١١] بإسناده عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرؤها: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ ويقول: هما علجان من أهل بابل. ووجه أصحاب هذا القول الإنزال بمعنى الخلق، لا بمعنى الإيحاء في قوله (تعالى)[١٢]: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ

---

(١) في «تفسيره» (١٠٠٦) وسنده ضعيف كما هو ظاهر.

(٢) في (ض): «حديث»!

(٣) لفظ الجلالة من «ز».

(٤) من (ن) و(ع) و(ى) وهو في «تفسيره» (١٠٠٧) وسنده ضعيف جداً. وبكر بن مصعب لم أقف له على ترجمة. والحسن بن أبي جعفر رديء الحفظ. تركه النسائي. وقال البخاري: «منكر الحديث» وهو جرح شديد عنده.

(٥) في «ج» و(ك) و(ل): «بكير».

(٦) في «تفسيره» (١٠٠٥). [وسنده جيد].

(٧) في «تفسيره» (٢/ ٤٢١، ٤٢٢)

(٨) في (ج) و(ض) و(ع) و(ل): «أنه».

(٩) وهذا الذي استغربه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعقبه فيه الشيخ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ٤٢٢) فقال: «ولست أستنكر ما قاله أبو جعفر كما استنكره ابن كثير، ولو أنت أنصفت وتتبعت كلام أبي جعفر لرأيت فيه حجةً ساطعةً على صواب مذهبه الذي ذهب إليه، ولرأيت دقةً ولطفاً في تناول المعاني وتدبير الألفاظ، لا تكاد تجدها في غير هذا التفسير الجليل القدر». اهـ.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى)، وكلام ابن حزم في «الفصل» (٣/ ٣٠٥).

(١١) في «تفسيره» (١٠٠٩) وسنده ضعيف.

(١٢) من (ن).

﴿الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]. ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣].

وفي الحديث(١): «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً»؛ وكما يقال: «أنزل الله الخير والشر».

(٢)[وحكى القرطبي(٣) عن ابن عباس، وابن أبزى (والضحاك)(٤)، والحسن البصري أنهم قرءوا: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ﴾ بكسر اللام؛ قال ابن أبزى: وهما داود، وسليمان. قال القرطبي: فعلى هذا تكون ما نافية أيضاً](٢). وذهب آخرون إلى الوقف على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (و«ما» نافية)(٥).

(٦)[قال ابن جرير(٧): حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا الليث، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، وسأله رجل عن قول الله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾](٦) فقال (الرجل)(٨): يعلمان الناس ما أنزل عليهما أو يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما؛ فقال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت.

ثم روى(٩) عن يونس، عن أنس بن عياض، عن بعض أصحابه: أن القاسم قال في هذه القصة: لا أبالي أي ذلك كان. إني آمنت به.

وذهب (كثيرون)(١٠) من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في «مسنده» رَحِمَهُ اللَّهُ، كما سنورده إن شاء الله تعالى.

(١١)[وحكاه القرطبي(١٢) عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر وكعب الأحبار، والسدي، والكلبي](١١).

(١٣)[وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا، فيكون تخصيصاً لهما، فلا تعارض حينئذٍ كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق، وفي قول: إنه كان من الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [البقرة: ٣٤] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك، مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس لعنه الله (تعالى)(١٤)](١٣).

---

(١) وهو حديث صحيح. أخرجه البخاري (١٠/ ١٣٤).
(٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ى).
(٣) في «تفسيره» (٢/ ٥٢).
(٤) ساقط من (ن).
(٥) ساقط من (ز) و(ض).
(٦) ساقط من (ك).
(٧) في «تفسيره» (١٦٧٨) وسنده صحيح.
(٨) في (ن): «الرجلان»!
(٩) رقم (١٦٧٩) وسنده ضعيف لجهالة من حدث أنس بن عياض.
(١٠) في (ن): «كثير».
(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى)، وتأخرت هذه الفقرة في (ن) عن الفقرة التي تليها.
(١٢) في «تفسيره» (٢/ ٥١).
(١٣) ساقط من (ج) و(ل).
(١٤) من (ن).

ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه:

قال الإمام أحمد بن حنبل[١] - رحمه الله (تعالى)[٢] - في «مسنده»: حدثنا (يحيى بن أبي بكير)[٣] حدثنا زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه)[٤]: أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إن آدم عليه السلام لما أهطبه الله إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب؛ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] قالوا: ربنا؛ نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا هاروت وماروت؛ فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأةً من أحسن البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: والله لا نشرك بالله شيئاً أبداً، فذهبت عنهما، ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها؛ فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: لا والله، لا نقتله أبداً، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها؛ فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها، وقتلا الصبي. فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا».

وهكذا رواه أبو حاتم ابن حبان في «صحيحه»، عن الحسن (بن)[٥] سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن أبي بكير - به.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين، إلا موسى بن جبير هذا، وهو الأنصاري السلمي مولاهم المديني الحذاء. وروى عن ابن عباس، وأبي أُمامة بن

---

(١) في «مسنده» (٢/ ١٣٤).

وأخرجه ابن حبان (٦١٨٦)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٧٨٧)؛ والبزار في «مسنده» (٢٩٣٨ - كشف الأستار)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٥٧)؛ وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٢)؛ والبيهقي في «السنن الكبير» (١٠/ ٤، ٥)؛ وفي «الشعب» (ج١/رقم ١٦٠) من طريق يحيى بن أبي بكير بسنده سواء. وتابعه معاذ بن خالد العسقلاني، عن زهير بن محمد به.

ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (١٦٩٩) ومعاذ ضعيف، لكنه متابع كما رأيت. والحديث منكر وله علة أخرى. ونقل شيخنا الألباني حفظه الله في «الضعيفة» (١٧٠) أن الإمام أحمد أنكره. وقال البزار: «رواه بعضهم عن نافع، عن ابن عمر موقوفاً، وإنما أتى رفع هذا عندي من زهير لأنه لم يكن بالحافظ، على أنه قد روى عنه ابن مهدي وابن وهب، وأبو عامر وغيرهم». اهـ.

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١٨٦)؛ وعبد الرزاق (١/ ٥٣)؛ وابن جرير (١٦٨٤، ١٦٨٥)؛ وابن أبي حاتم (١٠١٣) ثلاثتهم في «التفسير»؛ والبيهقي في «الشعب» (ج١/رقم ١٦٢)؛ وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٤) من طرق عن الثوري به. وقد رواه عن الثوري: «وكيع، وعبد الرزاق، ومؤمل بن إسماعيل ومحمد بن يوسف الفريابي وعبد العزيز بن المختار». وسنده جيد قوي كما قال ابن كثير. فهذا هو الصواب في هذا الحديث، أعني: الوقف. والله أعلم.

(٢) من (ن).

(٣) من (ج)؛ وفي (ض) و(ك): «يحيى بن أبي كثير»؛ وفي بقية «الأصول»: «يحيى بن بكير» وكلاهما خطأ.

(٤) من (ن).

(٥) في (ن): «عن»!!

سهل بن حنيف، ونافع، وعبد الله بن كعب بن مالك. وروى عنه ابنه عبد السلام، وبكر بن مضر، وزهير بن محمد، وسعيد بن سلمة، وعبد الله بن لهيعة، وعمرو بن الحارث، ويحيى بن أيوب، وروى له أبو داود وابن ماجه. وذكره ابن أبي حاتم في كتاب «الجرح والتعديل»، ولم يحك فيه شيئاً من هذا ولا هذا، فهو مستور الحال. وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.

وروى له متابع من وجه آخر، عن نافع؛ كما قال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد؛ حدثنا هشام (بن علي بن هشام)[١]، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس، عن نافع، عن ابن عمر، سمع النبي ﷺ يقول... فذكره بطوله.

وقال أبو جعفر[٢] ابن جرير (رحمه الله)[٣]: حدثنا القاسم، أخبرنا الحسين - وهو سنيد بن داود «صاحب التفسير»، أخبرنا الفرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع؛ قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع، انظر: طلعت الحمراء؟ قلت: لا، مرتين أو ثلاثاً. ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحباً بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله! نجم مسخر سامع مطيع! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ. أو قال: قال لي رسول الله ﷺ: إن الملائكة قالت: يا رب!، كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم. قال: فلم يألوا جهداً أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت.

وهذان أيضاً غريبان جداً. وأقرب (ما في)[٤] هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبي ﷺ، كما قال عبد الرزاق في «تفسيره»[٥]، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار؛ قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم، وما يأتون من الذنوب، فقيل لهم: اختاروا منكم اثنين، فاختاروا هاروت وماروت؛ فقال لهما: إني أرسل إلى بني آدم رسلاً، وليس بيني وبينكم رسول، انزلا لا تشركا بي شيئاً، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر، قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه.

رواه ابن جرير من طريقين؛ عن عبد الرزاق، به.

ورواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن عصام، عن مؤمل، عن سفيان الثوري، به.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) في «تفسيره» رقم (١٦٨٨)؛ وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٨/ ٤٢، ٤٣) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٨٦، ١٨٧) من طريق عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا سنيد بن داود، قال: حدثنا فرج بن فضالة بسنده سواء. قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح». وقال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٩١٢): «باطل مرفوعاً... ثم قال: وآفته الفرج بن فضالة أو الراوي عنه: سنيد، فإنهما ضعيفان».
(*) **قلت:** سنيد أحسن حالاً، وهو صدوق متماسك.

(٣) من (ن).

(٤) في (ن): «ما يكون في».

(٥) (١/ ٥٣) وقد مضى تخريجه منذ قليل.

ورواه ابن جرير أيضاً: حدثني المثنى، حدثنا المعلَّى ـ وهو ابن أسد ـ، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن موسى بن عقبة، حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار. . . فذكره.

فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين، وسالم أثبت[١] في أبيه من مولاه نافع؛ فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم.

ذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين:

قال ابن جرير[٢]: حدثني المثنى، حدثنا الحجاج، حدثنا حماد، عن خالد الحذاء، عن عمير بن سعيد؛ قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كانت الزهرة امرأةً جميلةً من أهل فارس، وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراوداها عن نفسها، فأبت (عليهما)[٣] إلا أن يعلماها الكلام الذي إذا تكلم به (أحد)[٤] يعرج به إلى السماء؛ فعلماها فتكلمت به، فعرجت إلى السماء، فمسخت كوكباً.

وهذا الإسناد (رجاله ثقات)[٥]، وهو غريب جداً.

وقال ابن أبي حاتم[٦] حدثنا الفضل بن شاذان، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا أبو معاوية، عن (ابن أبي خالد)[٧]، عن عمير بن سعيد، عن علي (رضي الله عنه)[٨]. قال: هما ملكان من ملائكة السماء؛ يعني: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾.

---

(١) وهكذا قال أهل العلم. قال ابن معين: «يقولون: إن نافعاً لم يحدث حتى مات سالم» وقال ابن المديني، كما في «التمهيد» (١٣/ ٢٨٢) لابن عبد البر، عن الأحاديث التي اختلف فيها نافع وسالم: «القول فيها قول سالم». وقال النسائي: «سالم أجل من نافع». وقال الطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٣٧٨): «وسالم أثبت من نافع وأحفظ».

وذكر أبو داود في «سننه» (٣٤٣٤) أن سالماً [وقع في «المطبوعة»: الزهري. وهو خطأ] اختلف مع نافع في أربعة أحاديث. وذكر النسائي أنها ثلاثة، رجح النسائي فيها قول نافع. ورجح ابن المديني قول سالم. وانظر «فتح الباري» (٥/ ٥١، ٥٢).

(٢) في «تفسيره» (١٦٨٣) والمثنى هو ابن إبراهيم، والحجاج هو ابن منهال، وحماد هو ابن سلمة، وخالد هو ابن مهران الحذاء، ورجاله ثقات كما قال ابن كثير.

(٣) لم يقع في رواية الطبري.

(٤) كذا في (ع) و(ك) و(ن) و(ى). ووقع في (ج) و(ل): «المتكلم»، وأشار ناسخ (ن) في الحاشية إلى هذه الكلمة. ووقع في (ز) و(ض): «تكلم به».

(٥) في (ج): «جيد ورجاله ثقات»، وكتب الناسخ لفظة: «جيد» بخط دقيق فوق السطر، وكأنها من تصرفه أو لعل ابن كثير كان كتبها ثم ضرب عليها. والله أعلم.

(٦) في «تفسيره» (١٠٠٨).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٥، ٢٦٦)؛ وأبو الشيخ في «كتاب العظمة» (١٩/٦٩٨) من طريق يعلى بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عمير بن سعيد، عن علي به؛ وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٣) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن إسماعيل به وسنده قوي.

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ى). ووقع في (ض): «ابن أبي حاتم»؛ وفي (ز): «عن خالد» و(ل) و(ن): «عن أبي خالد» وكل هذا خطأ. والصواب: ما أثبته، وهو إسماعيل بن أبي خالد، أحد الثقات الأثبات.

(٨) من (ن).

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» بسنده عن (مغيث)[(١)]، عن مولاه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي مرفوعاً. وهذا لا يثبت من هذا الوجه.

ثم رواه من طريقين آخرين[(٢)]: عن جابر، عن أبي الطفيل: عن علي (رضي الله عنه)[(٣)]؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الزهرة؛ فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت».

وهذا أيضاً لا يصح. وهو منكر جداً. والله أعلم.

وقال ابن جرير[(٤)]: حدثني المثنى بن إبراهيم؛ حدثنا الحجاج بن منهال، حدثنا حماد، عن علي بن زيد؛ عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود، وابن عباس ـ أنهما قالا جميعاً: لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم (والأرض)[(٥)] والجبال: ربنا (لا تمهلهم)[(٦)]؛ فأوحى الله إلى الملائكة: إني (أزلت)[(٧)] الشهوة والشيطان من قلوبكم، [(٨)][وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم][(٨)]، ولو نزلتم لفعلتم أيضاً.

قال: فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا؛ فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم؛ فاختاروا هاروت وماروت؛ فأهبطا إلى الأرض، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها «بيذخت»؛ قال: فوقعا بالخطيئة، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥] فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختاروا عذاب الدنيا.

وقال ابن أبي حاتم[(٩)]: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا

---

(١) كذا في جميع «الأصول» وهو وجه في اسمه، وذكره الذهبي في «الميزان» (٤/ ١٥٨) كذلك وقال: «ضعفه الساجي» ثم قال: «إنما هو معتب، قيده الدارقطني وعبد الغني بالمهملة ثم المثناة المثقلة، ثم الموحدة» وذكره الذهبي قبل ذلك (٤/ ١٤٢) فقال: «معتب عن مولاه جعفر الصادق. قال أبو الفتح الأزدي: كذاب. وقيل اسمه: مغيث، وله حديث باطل». اهـ. وأظنه يشير إلى هذا.

(٢) أخرجه ابن السني في «اليوم والليلة» (٦٥٤) من طريق عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عيسى بن يونس، عن أخيه إسرائيل، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب قال: لعن رسول الله ﷺ الزهرة، فإنها فتنت الملكين. وهذا سند ضعيف جداً. وجابر الجعفي أحد الهلكي، وصاحب رأي مذموم.

(٣) من (ن).

(٤) في «تفسيره» (١٦٨٢).
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢١) من طريق أبي نصر التمار عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثنا حماد بن سلمة بسنده سواء. وفي إسناده ضعف. لأجل علي بن زيد بن جدعان، وأكاد أميل إلى تحسين رواية حماد بن سلمة خاصةً عن علي بن زيد، فهي أمثل من رواية غيره عن ابن جدعان كما صرح بذلك أبو حاتم الرازي. والله أعلم.

(٥) في «ابن جرير»: «الأرض والسماء».

(٦) كذا في (ك) و(ل) و(ن) و(ى)؛ وفي (ج) و(ع): «تهملهم» وكتب في الحاشية: «لعله: تمهلهم». ووقع في (ز) و(ض) و«الطبري»: «لا تهلكهم» وأشار ناسخ (ى) في الحاشية أنه وقع في نسخة: «لا تهلكهم».

(٧) كذا في (ز) و(ن)؛ ووقع في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى): «أنزلت».

(٨) من (ن).

(٩) في «تفسيره» رقم (١٠١٤). [قال الحافظ ابن كثير: إسناد جيد. اهـ. لكنه من الإسرائيليات التي نقلها =

(عبيد الله)[١] ـ يعني: ابن عمرو ـ عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب، عن مجاهد؛ قال: كنت نازلاً على عبد الله بن عمر في سفر، فلما كان ذات ليلة قال لغلامه: (انظر)[٢] (طلعت)[٣] الحمراء؟ لا مرحباً بها ولا أهلاً، ولا حياها الله، هي صاحبة الملكين، قالت الملائكة: يا رب؛ كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام، وينتهكون محارمك؛ ويفسدون في الأرض؟ قال: إني ابتليتهم؛ فلعل إن ابتليتكم بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون. قالوا: لا، قال: فاختاروا من خياركم اثنين، فاختاروا هاروت وماروت؛ فقال لهما: إني مهبطكما إلى الأرض، وعاهد إليكما أن لا تشركا ولا تزنيا ولا تخونا. فأهبطا إلى الأرض، وألقى عليهما الشبق، وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة ـ امرأة ـ فتعرضت لهما، فراوداها عن نفسها؛ فقالت: إني على دين لا يصح لأحد أن يأتيني إلا من كان على مثله، قالا: وما دينك؟ قالت المجوسية. قالا: الشرك! هذا شيء لا نقربه، فمكثت عنهما ما شاء الله (تعالى)[٤] ثم تعرضت لهما (فأراداها)[٥] عن نفسها؛ فقالت: ما شئتما غير أن لي زوجاً، وأنا أكره أن يطلع على هذا مني فأفتضح، فإن أقررتما لي بديني، وشرطتما لي أن تصعدا بي إلى السماء فعلت؛ فأقرا لها بدينها، وأتياها فيما يريان، ثم صعدا بها إلى السماء، فلما انتهيا بها إلى السماء اختطفت منهما، وقطعت أجنحتهما فوقعا خائفين نادمين يبكيان؛ وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعتين؛ فإذا كان يوم الجمعة أجيب. فقالا: لو أتينا فلاناً فسألناه فطلب لنا التوبة. فأتياه، فقال: (رحمكما)[٦] الله، كيف (يطلب)[٧] أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: إنا قد ابتلينا. قال: ائتياني يوم الجمعة، فأتياه، فقال: ما جبت فيكما بشيء، ائتياني في الجمعة الثانية؛ فأتياه، فقال: اختارا، فقد خيرتما ـ إن (أحببتما)[٨]: (معاناة)[٩] الدنيا، وعذاب الآخرة، وإن أحببتما فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم الله.

فقال أحدهما: إن الدنيا لم يمض منها إلا القليل. وقال الآخر: ويحك! إني قد أطعتك في الأمر الأول، فأطعني الآن، إن عذاباً يفنى ليس كعذاب يبقى (وإننا)[١٠] يوم القيامة على حكم الله، فأخاف أن يعذبنا، قال: لا؛ إني أرجو إن علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة ألا يجمعهما علينا، قال: فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا في بكرات من حديث في قليب مملوءة من نار عاليهما سافلهما.

وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر ـ وقد تقدم في رواية ابن جرير من حديث معاوية بن صالح، عن نافع، عنه ـ رفعه.

= عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، وهي من الإسرائيليات التي تخالف القرآن والسنة في عصمة الملائكة].

(١) في (ن): «عبد الله» مكبراً. وهو خطأ.

(٢) ساقط من (ض).

(٣) في (ن): «هل طلعت»!

(٤) من (ن).

(٥) في (ن): «فراوداها».

(٦) في (ل): «رحمكم».

(٧) في (ن): «يطلب التوبة».

(٨) في (ن): «اخترتما».

(٩) كذا في «الأصول»، وكتب ابن المحب ناسخ (ج) في الحاشية: «لعلها: معاناة» وهو الصواب كما يدل عليه السياق. ووقع في «تفسير ابن أبي حاتم»: «معاقبة» والمعنى قريب.

(١٠) في حاشية (ن): «فقال: وإننا».

وهذا أثبت وأصح إسناداً؛ ثم هو ـ والله أعلم ـ من رواية ابن عمر، عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم، عن أبيه.

وقوله: إن الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء ـ وكذا في المروي عن عليٍّ ـ فيه غرابة جداً.

وأقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم(١): حدثنا عصام بن رواد، حدثنا آدم، حدثنا أبو جعفر، حدثنا الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس رضي الله (عنهما)(٢)؛ قال: لما وقع الناس من بعد آدم ﷺ فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء: يا رب؛ هذا العالم الذي إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وركبوا الكفر، وقتل النفس، وأكل المال الحرام، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر؛ فجعلوا يدعون عليهم، ولا يعذرونهم؛ فقيل: إنهم في غيب، فلم يعذروهم؛ فقيل لهم: اختاروا من أفضلكم ملكين آمرهما وأنهاهما. فاختاروا هاروت وماروت؛ فأهبطا إلى الأرض، وجعل لهما شهوات بني آدم، وأمرهما (الله)(٣) أن يعبداه ولا يشركا به شيئاً، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر؛ فلبثا في الأرض زماناً يحكمان بين الناس بالحق، وذلك في (زمان)(٤) إدريس ﷺ، وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وإنهما أتيا عليها؛ فخضعا لها في القول، وأراداها على نفسها؛ فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها؛ فسألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنماً فقالت: هذا أعبده. فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا، فذهبا فغبرا ما شاء الله ثم أتيا عليها، فأراداها على نفسها، ففعلت مثل ذلك؛ فذهبا ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها؛ فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم قالت لهما: اختارا أحد الخلال الثلاث؛ إما أن تعبدا هذا الصنم، وإما أن تقتلا هذه النفس، وإما أن تشربا هذا الخمر، فقالا: كل هذا لا ينبغي، وأهون هذا شرب الخمر، فشربا الخمر؛ فأخذت فيهما، فواقعا المرأة، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه، فلما ذهب عنهما السكر، وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة، أرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، وحيل بينهما وبين ذلك، وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه، فعجبوا كل العجب، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشيةً، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض؛ فنزل في ذلك: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥] فقيل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له؛ فاختارا عذاب الدنيا؛ فجعلا ببابل، فهما يعذبان.

وقد رواه الحاكم في «مستدركه» مطولاً عن أبي زكريا العنبري، عن محمد بن عبد السلام،

---

(١) في «تفسيره» (١٠١٢)؛ والحاكم في «المستدرك» (٢/٤٤٢، ٤٤٣) وصححه وفي إسناده أبو جعفر الرازي، تكلم العلماء في حفظه. [والخبر من الإسرائيليات كما تقدم].

(٢) في (ج) و(ل): «عنه».

(٣) لفظ الجلالة من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى).

(٤) في (ن): «زمن».

عن إسحاق بن راهويه، عن حكام بن سلم الرازي، وكان ثقةً، عن أبي جعفر الرازي ـ به.

ثم قال: «صحيح الإسناد. لم يخرجاه»؛ فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة. والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم(١): حدثنا أبي، حدثنا مسلم، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، حدثنا يزيد ـ يعني: الفارسي ـ، عن ابن عباس قال: إن أهل السماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم يعملون بالمعاصي؛ فقالوا: يا رب؛ أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي، فقال الله: أنتم معي، وهم في غيب عني. فقيل لهم: اختاروا منكم ثلاثةً. فاختاروا منهم ثلاثةً على أن يهبطوا إلى الأرض على أن يحكموا بين أهل الأرض، وجعل فيهم شهوة الآدميين، فأُمروا ألا يشربوا خمراً، ولا يقتلوا نفساً، ولا يزنوا، ولا يسجدوا لوثن. فاستقال منهم واحد فأقيل؛ فأهبط اثنان إلى الأرض، فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها: مناهية؛ فهوياها جميعاً، ثم أتيا منزلها فاجتمعا عندها، فأراداها؛ فقالت لهما: لا، حتى تشربا خمري، وتقتلا ابن جاري، وتسجدا لوثني. فقالا: لا نسجد، ثم شربا من الخمر، ثم قتلا، ثم سجدا، فأشرف أهل السماء عليهما. وقالت لهما: أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طرتما، فأخبراها؛ فطارت فمسخت جمرةً، وهي هذه الزهرة، وأما هما فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا؛ فهما مناطان بين السماء والأرض.

وهذا السياق فيه (زيادات)(٢) كثيرة، وإغراب ونكارة. والله أعلم بالصواب.

وقال عبد الرزاق(٣): قال معمر: قال قتادة، والزهري، عن عبيد الله بن عبد الله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ كانا ملكين من الملائكة، فأهبطا ليحكما بين الناس، وذلك أن الملائكة سخروا من حكام بني آدم، فحاكمت إليهما امرأة، فحافا لها، ثم ذهبا يصعدان، فحيل بينهما وبين ذلك، ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا.

وقال معمر: قال قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما ألا يعلما أحداً حتى يقولا: إنما نحن فتنة فلا تكفر.

وقال أسباط(٤)، عن السدي: إنه قال: كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم؛ فقيل لهما: إني أعطيت بني آدم عشراً من الشهوات فبها يعصونني، قال هاروت وماروت: ربنا، لو أعطيتنا تلك الشهوات، ثم نزلنا، لحكمنا بالعدل، فقال لهما: انزلا، فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر، فاحكما بين الناس؛ فنزلا ببابل دنياوند، فكانا يحكمان حتى إذا أمسيا عرجا؛ فإذا أصبحا هبطا؛ فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها، فأعجبهما حسنها، واسمها بالعربية «الزهرة» وبالنبطية «بيذخت»، وبالفارسية «أناهيد»؛ فقال أحدهما لصاحبه: إنها لتعجبني، قال الآخر: قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك. فقال الآخر: هل

---

(١) في «تفسيره» (١٠١٥). ومسلم هو ابن إبراهيم الفراهيدي، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا يزيد الفارسي. [ولكنه من الإسرائيليات المخالفة للقرآن والسنة كما تقدم].

(٢) في (ن): «زيادة».

(٣) في «تفسيره» (١/ ٥٣) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٨٦). [وسنده حسن].

لك أن أذكرها لنفسها؟ قال: نعم. ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر: إنا لنرجو رحمة الله.

فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا إليها نفسها؛ فقالت: لا حتى تقضيا لي على زوجي. فقضيا لها على زوجها، ثم واعدتهما خربةً من الخرب يأتيانها فيها، فأتياها لذلك. فلما أراد الذي يواقعها قالت: ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء؟ وبأي كلام تنزلان منها؟ فأخبراها؛ فتكلمت فصعدت فأنساها الله تعالى ما تنزل به، فثبتت مكانها، وجعلها كوكباً؛ فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها؛ وقال: هذه التي فتنت هاروت وماروت.

فلما كان الليل أرادا أن يصعدا فلم يطيقا، فعرفا الهلكة، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فاختارا عذاب الدنيا، فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما، وهو السحر.

وقال (ابن أبي نجيح)(١)، عن مجاهد(٢): أما شأن هاروت وماروت فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم، وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات؛ فقال لهم ربهم تعالى: اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان في الأرض؛ فاختاروا؛ فلم يألوا هاروت وماروت؛ فقال لهما حين أنزلهما: أعجبتما من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم، وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء؛ وأنتما ليس بيني وبينكما رسول، فافعلا كذا وكذا، ودعا كذا كذا؛ فأمرهما بأمور ونهاهما؛ ثم نزلا على ذلك، ليس أحد أطوع لله منهما؛ فحكما فعدلا؛ فكانا يحكمان (النهار)(٣) بين بني آدم، فإذا أمسيا عرجا فكانا مع الملائكة؛ وينزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان، حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم، فقضيا عليها.

فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه؛ فقال أحدهما لصاحبه: وجدت مثل الذي وجدت؟ قال: نعم. فبعثا إليها أن ائتيانا نقض لك، فلما رجعت قالا وقضيا لها، فأتتهما فكشفا لها عن عورتيهما؛ وإنما كانت (سوآتهما)(٤) في أنفسهما، ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذاتها، فلما بلغا ذلك واستحلا افتتنا، فطارت الزهرة، فرجعت حيث كانت.

فلما أمسيا عرجا فزجرا فلم يؤذن لهما، ولم تحملهما أجنحتهما؛ فاستغاثا برجل من بني آدم؛ فأتياه؛ فقالا: ادع لنا ربك. فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء.

فوعدهما يوماً، وغدا يدعو لهما، فدعا لهما؛ فاستجيب له؛ فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال: ألا تعلم أن أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد، وفي الدنيا تسع مرات مثلها؟

فأُمرا أن ينزلا ببابل فثم عذابهما.

---

(١) في (ج): «ابن جريج» وهو خطأ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٦٨٩) قال: حدثني المثنى بن إبراهيم؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٧٠٠/٢١) قال: حدثنا محمد بن زكريا قالا: حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسياق ابن جرير أطول، وسنده صحيح.

(٣) في (ن): «في النهار».

(٤) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ل): «شهوتهما» وهو الموافق لما عند «الطبري».

وزعم أنهما معلقان في الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما.

وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين؛ كمجاهد، والسدي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم؛ وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط، ولا إطناب؛ فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى. والله أعلم بحقيقة الحال[١].

(وقد ورد)[٢] أثر غريب، وسياق عجيب في ذلك، أحببنا أن ننبه عليه: قال الإمام أبو جعفر ابن جرير[٣] رحمه الله (تعالى)[٤]: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك تسأله عن (شيء)[٥] دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به؛ قالت عائشة رضي الله عنها لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها، (كانت)[٦] تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت؛ كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليَّ عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك؛ فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبتُ أحدهما وركبتِ الآخرَ، فلم يكن (شيء)[٧] حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما؛ فقالا: ما جاء بك؟ (فقلنا: نتعلم)[٨] السحر. فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري، فارجعي، فأبيتُ وقلت: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت ففزعت ولم أفعل، فرجعت إليهما؛ فقالا: أفعلت؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئاً؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا: لم تفعلي؛ ارجعي إلى بلادك

---

(١) في حاشية (ع): «بلغ العرض على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله».

(٢) في (ن): «وقد ورد في ذلك».

(٣) في «تفسيره» (١٦٩٥).
وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٢٩)؛ والثعلبي في «تفسيره» (ج١/ق٣٩/٢ - ١/٤٠)؛ والحاكم (٤/ ١٥٥) وعنه البيهقي (٨/ ١٣٦، ١٣٧) من طريق الربيع بن سليمان بسنده سواء. وسنده جيد كما قال المصنف رحمه الله.

(٤) من (ن).

(٥) كذا في «تفسير الطبري». ووقع في سائر «الأصول»: «أشياء»، وإنما أثبت ما عند «الطبري» لأن السياق يدل عليه، فقالت: «دخلت فيه... ولم تعمل به».

(٦) في (ن): «فكانت».

(٧) كذا في (ن). ووقع في بقية «الأصول»: «لشيء»؛ وفي «تفسير الطبري»: «كشيء» والمقصود: لم يمض وقت يذكر. وفي رواية البيهقي: «فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل» وفي رواية الحاكم: «فلم يكن مكثي» ولعله: فلم يطل مكثي.

(٨) في (ز) و«الطبري»: «فقلت: أتعلم».

ولا تكفري (فإنك على رأس أمرك)[١] (فأربت)[٢] وأبيت. فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه؛ فذهبت [٣][فاقشعررت وخفت، ثم رجعت إليهما؛ وقلت: قد فعلت، فقالا: فما رأيت؟][٣] [٤][قلت: لم أر شيئاً. فقالا: كذبت، لم تفعلي؛ ارجعي إلى بلادك ولا تكفري؛ فإنك على رأس أمرك؛ فأربت وأبيت؛ فقالا: اذهبي إلى التنور فبولي فيه، فذهبت إليه فبلت فيه][٤]، فرأيت فارساً مقنعاً بحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه؛ فجئتهما، فقلت: قد فعلت. فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارساً مقنعاً خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه. فقالا: صدقت؛ ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً، وما قالا لي شيئاً، فقالت: بلى، لم تريدي شيئاً إلا كان. خذي هذا القمح فابذري؛ فبذرت، وقلت: أطلعي فأطلعت، وقلت: (أحقلي)[٥] فأحقلت. ثم قلت: افركي فأفركت، ثم قلت: أيبسي فأيبست، ثم قلت: اطحني فأطحنت. ثم قلت: اخبزي فأخبزت.

فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان (سقط)[٦] في يدي، وندمت والله يا أم المؤمنين، ما فعلت شيئاً ولا أفعله أبداً.

ورواه ابن أبي حاتم، عن الربيع بن سليمان، به مطولاً كما تقدم؛ وزاد بعد قولها: ولا أفعله أبداً ـ فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حداثة وفاة رسول الله ﷺ، وهم يومئذ متوافرون، فما دَرَوا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه إلا أنه قد قال لها ابن عباس، أو بعض من كان عنده: لو كان أبواك حيين أو أحدهما.

قال هشام: فلو جاءتنا أفتيناها بالضمان.

قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنهم كانوا من أهل الورع (وخشية من الله)[٧].

ثم يقول هشام: لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوكى أهل حمق وتكلف بغير علم.

فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها.

وقد استدل بهذا الأثر من ذهب إلى أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان؛ لأن هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال.

---

(١) من (ل) و(ى).

(٢) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ل): «فأبت وأبيت»؛ وفي «الطبري» ضبطها الشيخ محمود شاكر، رحمه الله تعالى: «فأربت»، بزيادة باء موحدة، وفسرها في الحاشية بقوله: «وأرب بالمكان: لزمه ولم يبرحه». وما ورد في «الأصول» جاء أيضاً في «تفسير ابن أبي حاتم» و«سنن البيهقي»؛ ومعنى: «أربت»؛ أي: احتجت من قولهم: أرب إليه، يأرب أرباً؛ أي: احتاج، فكأنها قالت: إنني محتاجة إلى هذا الأمر، وأبت أن تبرح مكانها قبل أن تتعلمه. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) احقلي؛ يعني: ازرعي.

(٦) في (ج): «أسقط».

(٧) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى)؛ وفي (ز) و(ن): «الخشية من الله»؛ وفي (ل): «وأهل الخشية من الله».

وقال آخرون: بل ليس له قدرة إلا على التخييل؛ كما قال تعالى: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] وقال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] واستدل به على أن بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل دیناوند؛ كما قاله السدي[(١)] وغيره.

ثم الدليل على أنها بابل العراق ما قاله ابن أبي حاتم[(٢)]: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن صالح، حدثني ابن وهب، حدثني ابن لهيعة، ويحيى بن أزهر، عن عمار بن سعد المرادي، عن أبي صالح الغفاري - أن علي بن أبي طالب - ﷺ قال: إن حبيبي ﷺ نهاني أن أصلي ببابل، فإنها ملعونة[(٣)].

وقال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا ابن وهب، (حدثني ابن لهيعة)[(٤)] ويحيى بن أزهر، عن عمار بن سعد المرادي، عن أبي صالح الغفاري: أن علياً مر ببابل وهو يسير، فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة؛ فلما فرغ قال: إن حبيب ﷺ نهاني أن أصلي في المقبرة، ونهاني أن أصلي بأرض بابل؛ فإنها ملعونة.

حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرني يحيى بن أزهر وابن لهيعة، عن حجاج بن شداد، عن أبي صالح الغفاري، عن علي بمعنى حديث سليمان بن داود؛ قال: فلما خرج (مكان)[(٥)]: «برز».

وهذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود؛ لأنه رواه وسكت[(٦)] عليه، ففيه من الفقه كراهية

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٦٩٠).

(٢) في «تفسيره» (١٠١٠).
وأخرجه أبو داود (٤٩٠)؛ ومن طريقه البيهقي (٢/ ٤٥١) قال: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا ابن وهب بسنده سواء بأطول مما ذكره ابن أبي حاتم. وقد ذكر المصنف لفظ أبي داود. وهذا سند ضعيف.

(٣) هكذا وقع الحديث مختصراً في سائر «الأصول» وعند ابن أبي حاتم، أما ناسخ (ن) فنقل سياق أبي داود الآتي كله ونسبه إلى ابن أبي حاتم وأخطأ في ذلك وانتقل بصره، والله أعلم.

(٤) ساقط من (ن) فصار الإسناد عنده: «أخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر» وهو خطأ فاحش.

(٥) في (ن): «منها».

(٦) يشير المصنف رحمه الله إلى ما ذكره أبو داود في «رسالته إلى أهل مكة» يشرح لهم فيها طريقته في تصنيف «سننه» فقال (ص٢٧، ٢٨): «وما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد، فقد بينته، ومنه ما لا يصح سنده، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض».اهـ. ففهم جماعة من العلماء أن قول أبي داود: «وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح» معناه: أن ما سكت عنه فهو من قبيل الحسن. منهم المنذري، فقال في «الترغيب» (١/ ٨): «وكل حديث عزوته إلى أبي داود وسكت عنه فهو كما ذكر أبو داود، ولا ينزل عن درجة الحسن وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما». ومنهم النووي فقد ذكر حديثاً في «المجموع» (٤/ ٢٤١) ثم قال: «رواه أبو داود بإسناد جيد ولم يضعفه، ومذهبه أن ما لم يضعفه فهو عنده حسن». وصرح آخرون بمثل ذلك منهم ابن تيمية والعلائي والزركشي والعراقي، وقد علمنا يقيناً أن أبا داود سكت عن أحاديث منكرة وضعيفة جداً وضعيفة ساقطة عن حد الاعتبار بها، فلا يقال: هي صالحة يعني حسنة. وللنووي تفصيل في هذا الأمر فقال: «في «سنن أبي داود» أحاديث ظاهرة الضعف لم يبينها مع أنه متفق على ضعفها. والحق أن ما وجدناه في «سننه» مما لم يبينه، ولم ينص على صحته أو حسنه أحد ممن يعتمد فهو حسن، وإن نص على ضعفه من يعتمد عليه، أو رأى العارف في سنده ما يقتضي =

الصلاة بأرض بابل، كما تكره بديار ثمود الذي نهى[1] رسول الله ﷺ عن الدخول إلى منازلهم إلا أن يكونوا باكين.

قال أصحاب الهيئة: وبُعد ما بين بابل وهي من إقليم العراق عن البحر المحيط الغربي، ويقال له أوقيانوس، سبعون درجةً، ويسمون هذا طولاً، وأما عرضها وهو بُعد ما بينهما وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب، وهو المسامت لخط الاستواء، اثنتان وثلاثون درجة. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ قال أبو جعفر[2] الرازي، عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس؛ قال: فإذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي، وقالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر؛ وذلك أنهما علما الخير والشر، والكفر والإيمان؛ فعرفا أن السحر من الكفر؛ قال: فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور، فنظر إليه ساطعاً في السماء؛ فيقول: يا حسرتاه! يا ويله! ماذا أصنع؟

وعن الحسن[3] البصري أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم، أنزل الملكان بالسحر، ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلى به الناس؛ فأخذ عليهما الميثاق ألا يعلما أحداً حتى يقولا: إنما نحن فتنة فلا تكفر. رواه ابن أبي حاتم.

وقال قتادة[4]: كان أخذ عليهما ألا يعلما أحداً حتى يقولا إنما نحن فتنة؛ أي: بلاء ابتلينا به؛ فلا تكفر.

وقال السدي[5]: إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه، وقالا له: لا تكفر؛ إنما نحن فتنة؛ فإذا أبى قالا له: ائت هذا الرماد فبل عليه؛ فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء؛ وذلك الإيمان، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء؛ وذلك غضب الله؛ فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر؛ فذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ الآية.

وقال سنيد[6]، عن حجاج، عن ابن جريج ـ في هذه الآية ـ: لا يجترئ على السحر إلا كافر، وأما الفتنة فهي المحنة والاختبار؛ ومنه قول الشاعر:

= الضعف ولا جابر له، حكم بضعفه ولا يلتفت إلى سكوت أبي داود». انتهى، وهو تفصيل حسن وإن خالفه النووي في كتبه.

(١) فأخرج البخاري (١/ ٥٣٠؛ و٨/ ١٢٥، ٣٨١).
وأخرجه مسلم (٢٩٨٠/٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٧، ١٠٢٨) وقد فرق ابن أبي حاتم هذا المتن في موضعين، وجمعه المصنف في موضع واحد. [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٨) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٣) ومن طريقه ابن جرير (١٦٩٨) قال: أخبرنا معمر قال: قال قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٦٩٧) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وكلاهما صحيح؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٩) من طريق أبي جعفر الرازي، عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٩٦). [وسنده حسن].

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٠١).

وقد فتن الناس في دينهم وخلى ابن عفان شراً طويلاً

وكذلك قوله تعالى، إخباراً عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك، ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾.

وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر، واستشهد له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر[(١)] البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، عن عبد الله؛ قال: «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وهذا إسناد (صحيح)[(٢)]. وله شواهد أخر.

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي: فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة، ما إنهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف.

وهذا من صنيع الشياطين، كما رواه مسلم في «صحيحه»[(٣)]، من حديث الأعمش، عن (أبي سفيان)[(٤)] طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الشيطان (يضع)[(٥)] عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلةً أعظمهم عنده فتنةً، يجيءُ أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا؛ فيقول إبليس: لا، والله ما صنعت شيئاً! ويجيءُ أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله؛ قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه، ويقول: نعم (أنت)»[(٦)].

[(٧)][ورجح شيخنا أبو الحجاج المزي فتح النون، وراجعته فثبت على ذلك، والمشهور عند النحاة الكسر، واحتج به بعضهم على جواز كون فاعل «نعم» مضمراً؛ وهو قليل][(٧)].

وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر، أو خلق أو نحو ذلك، أو عقد أو بغضة أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة.

والمرء: عبارة عن الرجل وتأنيثه امرأة، ويثنى كل منهما ولا يجمعان. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال سفيان[(٨)] الثوري: إلا بقضاء الله.

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (١٩٣١ - البحر) عن أبي معاوية؛ وأبو القاسم البغوي في «مسند ابن الجعد» (٢٠٣٤) عن عبيدة بن حميد كلاهما عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، عن ابن مسعود موقوفاً عليه. وسنده صحيح كما قال المصنف.

(٢) في (ز) و(ض): «جيد».

(٣) في كتاب «صفات المنافقين» (٦٧/٢٨١٣) من طريق أبي معاوية، قال: حدثنا الأعمش به وفي آخره: «قال الأعمش»: «أراه قال: فيلتزمه».

(٤) في (ن): «عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع»؛ وقوله: «عن» زيادة مقحمة؛ لأن أبا سفيان هو طلحة بن نافع.

(٥) في (ن): «ليضع».

(٦) ساقط من (ج).

(٧) ساقط من (ج) و(ع) و(ل).

(٨) أخرجه ابن جرير (١٧٠٤). [وسنده صحيح].

وقال محمد[١] بن إسحاق: إلا بتخلية الله بينه وبين ما أراد.

وقال الحسن البصري[٢]: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال: نعم؛ من شاء الله سلطهم عليه، ومن لم يشأ الله لم يسلط؛ ولا يستطيعون ضر أحد إلا بإذن الله؛ كما قال الله تعالى.

وفي رواية[٣] عن الحسن أنه قال: لا يضر هذا السحر إلا من دخل فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ أي: يضرهم في دينهم، وليس له نفع يوازي ضرره.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة (الرسول)[٤] ﷺ لمن فعل فعلهم ذلك - أنه ما له في الآخرة من خلاق، قال ابن[٥] عباس، ومجاهد[٦]، والسدي[٧]: من نصيب.

وقال عبد الرزاق[٨]، عن معمر، عن قتادة: ما له في الآخرة من (حجة)[٩] عند الله، (وقال)[١٠]: قال الحسن: ليس له دين وقال (سعيد)[١١]، عن قتادة ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ قال: ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة[١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٢ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٣﴾ يقول تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ﴾ البديل ما استبدلوا به من السحر عوضاً عن الإيمان ومتابعة (الرسل)[١٣] لو كان لهم علم بما وعظوا به ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي: ولو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم لكان مثوبة الله على ذلك خيراً لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ۝٨٠﴾ [القصص].

وقد (يستدل)[١٤] بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ من ذهب إلى تكفير الساحر، كما هو رواية

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٦). (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٥) بسند ضعيف.

(٣) وهي عند ابن أبي حاتم أيضاً (١٠٢٤) وسنده صحيح.

(٤) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(ى)؛ ووقع في (ج) و(ض) و(ك) و(ل): «الرسل».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٣).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٠٧، ١٧٠٩) وسنده قوي لولا أن شيخ الطبري لم أجد له ترجمة.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٧٠٦، ١٧١٠) وسنده حسن.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٤)، ومن طريقه ابن جرير (١٧١٢)؛ وابن أبي حاتم (١٠٣٤). [وسنده صحيح].

(٩) وقع في سائر «الأصول»: «جهة» وما أثبته من «تفسير الطبري»، ووقع في «تفسير عبد الرزاق»: «جنة».

(١٠) في (ن): «وقال عبد الرزاق»، وإنما الذي قال: قال الحسن؛ هو معمر بن راشد كما في «تفسير عبد الرزاق» و«ابن أبي حاتم».

(١١) في (ن): «سعد» وهو خطأ. وسعيد هو ابن أبي عروبة.

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٧٠٥) وسنده صحيح. (١٣) في (ن): «الرسول».

(١٤) في (ن): «استدل».

عن الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف. وقيل: بل لا يكفر، ولكن حده ضرب عنقه؛ لما رواه الشافعي[١]، وأحمد بن حنبل (رحمهم الله)[٢]؛ قالا: أخبرنا سفيان ـ (هو ابن عيينة)[٣] ـ، عن عمرو بن دينار، أنه سمع بجالة بن عبدة يقول: كتب عمر بن الخطاب ﷺ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وقد أخرجه البخاري[٤] في «صحيحه» أيضاً.

وهكذا صح[٥] أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها، فأمرت بها فقتلت.

قال الإمام أحمد بن حنبل: (صح عن)[٦] ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ في قتل الساحر.

وروى الترمذي[٧] من حديث إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جندب الأزدي أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٧).

(٢) من (ز) و(ض) و(ك) و(ل)؛ وفي (ج): «رحمهم الله».

(٣) من (ن).

(٤) لم يخرج البخاري منه محل الشاهد كما مر بك، فعزو الحديث إلى البخاري فيه تساهل، لكن ابن كثير قصد أن البخاري خرج أصل الحديث كما صرح بذلك الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٣٦) ويفعله البيهقي كثيراً. وقد ذكر الحميدي الحديث في مفاريد البخاري في كتابه «الجمع بين الصحيحين» (١/ ١٧٨) وقال بعد ذكر الحديث كاملاً: «اختصره البخاري فأخرج المسند منه: والتفريق بين كل ذي محرم من المجوس فقط، وأخرجه أبو بكر البرقاني بطوله وهو مشهور من حديث ابن عيينة». انتهى.

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٧١/ ١٤) عن محمد بن عبد الرحمٰن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت. ووصله البيهقي (٨/ ١٣٦) من طريق سعدان بن نصر، ثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن حفصة بنت عمر ﷺ سحرتها جارية لها، فأقرت بالسحر وأخرجته، فقتلتها، فبلغ ذلك عثمان ﷺ، فغضب، فأتاه ابن عمر ﷺ، فقال: جاريتها سحرتها، وأقرت بالسحر وأخرجته قال: فكف عثمان ﷺ، قال: وكأنه إنما كان غضبه لقتلها إياها بغير أمره. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٤١٦؛ و١٠/ ١٣٥، ١٣٦) قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن عبيد الله بن عمر بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٦) من (ز) و(ن). ووقع في بقية «الأصول»: «فثلاثة من أصحاب النبي ﷺ» وكأن في العبارة سقطاً، واستشكلها ناسخ (ى)، فقال: «كذا» وكتب بخط دقيق بعد قوله: «أصحاب النبي ﷺ» كلمة «شرعوا» حتى يستقيم له المعنى.

(٧) في «سننه» (١٤٦٠).

وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٠)؛ وابن عدي في (الكامل) (١/ ٢٨٢)؛ والدارقطني (٣/ ١١٤)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (ق٢٥/ ١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢/رقم ١٦٦٥)؛ والبيهقي (٨/ ١٣٦)؛ والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٥٩٠)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٠٩، ٣١٠) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي، عن الحسن البصري عن جندب بن عبد الله مرفوعاً.

(*) **قلت**: وإسماعيل بن مسلم واه، فلذلك لم يصب الحاكم حين قال: «صحيح الإسناد، وإن كان الشيخان تركا إسماعيل بن مسلم، فإنه غريب صحيح» ولم يتفرد به المكي كما يشعر كلام الترمذي فتابعه خالد العبد عن الحسن، عن جندب مرفوعاً مثله؛ أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢/رقم ١٦٦٦)؛ وأبو سهل بن القطان في «حديثه» (ق٣٠/ ١) من طريق محمد بن الحسن بن سيار، عن خالد العبد. قال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (١٤٤٦): «ولكنها متابعة واهية، فإن خالداً هذا لم أجد له ترجمةً، وكذلك الراوي عنه، فلا يعتضد بها، على أن مدار الطريقين على الحسن، وهو مدلس وقد عنعن، ولذلك فمن رام تحسين الحديث فما أحسن». اهـ.

=

قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»، ثم قال: «لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث. والصحيح عن الحسن، عن جندب (موقوف)»[(١)].

قلت: قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن، عن جندب مرفوعاً. والله أعلم.

وقد روي[(٢)] من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه؛ فقال الناس: سبحان الله! يحيي الموتى! ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان من الغد جاء مشتملاً على سيفه؛ وذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه، فضرب عنق الساحر؛ وقال: إن كان (ساحراً)[(٣)] فليحي نفسه؛ وتلا قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك، فسجنه ثم أطلقه. والله أعلم.

وقال (الإمام)[(٤)] أبو بكر الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثني أبو إسحاق، عن حارثة؛ قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب، فجاء جندب (مشتملاً)[(٥)] على سيفه فقتله. قال: أُراه كان ساحراً[(٦)].

وحمل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركاً. والله أعلم.

فصل

حكى أبو عبد الله الرازي في «تفسيره»، عن المعتزلة، أنهم أنكروا وجود السحر، قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده.

= (*) **قلت**: وخالد العبد ترجمه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٨٠، ٢٨١) وقال: «شيخ كان بالبصرة يروى عن ابن المنكدر والحسن، روى عنه إسرائيل، كان يسرق الحديث ويحدث من كتب الناس من غير سماع، قال سلم بن قتيبة: أتيت خالد العبد فإذا معه درج فيه: حدثنا الحسن، فأقلبت الدرج من يده، فإذا في أوله: حدثنا هشام بن حسان قد محاه، فقلت له: ما هذا؟ قال: كتبت أنا وهشام عن الحسن. قلت: تكون مع هشام وتكتب فيه: حدثنا هشام؟ قال: ما أعرفني بك، أليس خرجت مع إبراهيم؟!» والحديث لا يصح مرفوعاً، وضعفه ابن المنذر كما في «المغني» (١٢/ ٣٠٢) لابن قدامة، والحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٣٦)، وقد صحح الترمذي وقفه كما مر بك.

(١) في (ز) و(ك) و(ن): «موقوفاً».

(٢) منها ما أخرجه البيهقي (٨/ ١٣٦) من طريق ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي الأسود أن الوليد بن عقبة كان بالعراق، يلعب بين يديه ساحر وساق نحوه وفي آخره: وأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن، وكان رجلاً صالحاً، فسجنه فأعجبه نحو الرجل، فقال: أتستطيع أن تهرب؟ قال: نعم، قال: فاخرج، لا يسألني الله عنك أبداً. وسنده جيد، وابن وهب كان ممن سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه. وانظر «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٨١، ١٨٢).

(٣) كذا في «الأصول»؛ وفي (ن): «صادقاً». وهي أوضح.

(٤) من (ع) و(ن) و(ى).

(٥) في (ج): «مشتمل».

(٦) رجاله ثقات. ولكن في قوله: «يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحاق» نظر عندي، ويحيى بن سعيد سواء كان القطان أو الأموي فلم يرويا شيئاً عن أبي إسحاق، ولا لقياه فيما أعلم، فلعل سقطاً وقع في الإسناد. والله أعلم. وحارثة هو ابن وهب الخزاعي. والله أعلم.

قال: وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء، ويقلب الإنسان حماراً، والحمار إنساناً، إلا أنهم قالوا: إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة؛ فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا؛ خلافاً للفلاسفة والمنجمين والصابئة، ثم استدل على وقوع السحر، وأنه بخلق الله تعالى بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ومن الأخبار أن رسول الله ﷺ سُحِرَ، وأن السحر عمل فيه، وبقصة تلك المرأة مع عائشة ﵂، وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر؛ قال: وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة، ثم قال بعد هذا:

المسألة الخامسة: في أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور: اتفق المحققون على ذلك؛ لأن العلم لذاته شريف؛ وأيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ولأن السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب؛ فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً وقبيحاً؟

هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة؛ وهذا الكلام فيه نظر من وجوه:

أحدها: قوله العلم بالسحر ليس بقبيح إن عنى به ليس بقبيح عقلاً فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا، وإن عنى أنه ليس بقبيح شرعاً ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلم السحر.

وفي «الصحيح»[(١)]: «من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أُنزل على محمد». وفي «السنن»[(٢)]: «من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر».

وقوله: ولا محظور ـ اتفق المحققون عى ذلك. كيف لا يكون محظوراً مع ما ذكرناه من الآية والحديث. واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك؟ ثم إدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه نظر؛ لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي؛ ولم قلت إن هذا منه؟ ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به ـ ضعيف؛ بل فاسد؛ لأن (أعظم)[(٣)] معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً، ثم من المعلوم بالضرورة أن

---

(١) في «صحيح البخاري»، فأخرج في «صحيحه» (٦/ ٤٣٦؛ و٨/ ٥٣٤).

(٢) كذا! ولم يخرجه منهم إلا النسائي في «كتاب تحريم الدم» (٧/ ١١٢) قال أخبرنا عمرو بن علي؛ وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٦٤٨) من طريق عبد الله بن الهيثم قالا: ثنا أبو داود، هو الطيالسي، ثنا عباد بن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً، وكل إليه». وقد رأيت المصنف ﵀ عزاه إلى النسائي وحده في «تفسير سورة يوسف» (٤/ ٣٤٣ ـ طبع الشعب)؛ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٩) لابن مردويه فقصر! وسنده ضعيف.

(٣) في (ز): «معظم».

الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز، ويفرقون بينه وبين غيره، ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه. والله أعلم.

ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية:

الأول: سحر الكلدانيين والكشدانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي السيارة؛ وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم، وأنها تأتي بالخير والشر؛ وهم الذين بعث الله إليهم إبراهيم الخليل (ﷺ)[١] مبطلاً لمقالتهم وراداً لمذهبهم؛ وقد استقصى في (كتاب السر المكتوم، في مخاطبة الشمس والنجوم) المنسوب إليه كما ذكره القاضي ابن خلكان وغيره. ويقال: إنه تاب منه، وقيل: (بل)[٢] صنفه على وجه إظهار الفضيلة، لا على سبيل الاعتقاد، وهذا هو المظنون به؛ إلا أنه ذكر فيه (طرائقهم)[٣] في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة، وكيفية ما يفعلون، وما يلبسونه وما يتنسكون به.

قال: **والنوع الثاني**: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية؛ ثم استدل على أن الوهم له تأثير بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه.

قال: وكما أجمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع إلى الأشياء القوية اللمعان، أو الدوران؛ وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت منطبعة للأوهام.

قال: وقد اتفق العقلاء على أن الإصابة بالعين حق [٤][و(له)[٥] أن يستدل على ذلك][٤] [٦][بما ثبت في «الصحيح»[٧]: أن رسول الله ﷺ قال: «العين حق][٦] ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

قال: فإذا عرفت هذا فنقول: النفس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قويةً جداً، فتستغني في هذه (الأفعال)[٨] عن الاستعانة (بالآلات)[٩] والأدوات، وقد تكون ضعيفةً فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات.

وتحقيقه أن النفس إذا كانت (مشتغلةً عن)[١٠] البدن، شديدة الانجذاب إلى عالم السمٰوات، صارت كأنها روح من الأرواح السماوية؛ فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم، وإذا كانت ضعيفةً شديدة التعلق بهذه الذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير ألبتة إلا في هذا البدن.

ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء، والانقطاع عن الناس (والرياضة)[١١].

قلت: وهذا الذي يشير إليه هو التصرف بالحال؛ وهو على قسمين: تارة تكون حالاً صحيحةً

---

(١) من (ز) و(ع) و(ن) و(ى)؛ وفي (ك): «عليه السلام».
(٢) في (ز): «إنه».
(٣) في (ن): «طريقتهم».
(٤) ساقط من (ك).
(٥) من (ز) و(ض) و(ن) و(ى).
(٦) ساقط من (ك).
(٧) يعني: «صحيح مسلم» وقد أخرجه في «كتاب السلام» (٢١٨٨/٤٢) من طريق ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعاً. وعنده «سبقته» بدل «لسبقته» وفي آخره: «وإذا استغسلتم فاغسلوا».
(٨) في (ز) و(ض) و(ن): «الأفاعيل».
(٩) في (ك): «بالآيات».
(١٠) في «تفسير الرازي» (٢/٢٢٦): «مستعلية على».
(١١) في (ن): «الرياحينة»!!

شرعيةً يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله (ﷺ)[١] ويترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ؛ فهذه الأحوال مواهب من الله تعالى، وكرامات للصالحين من هذه الأمة، ولا يسمى هذا سحراً في الشرع.

وتارة تكون الحال فاسدة لا يمتثل صاحبها ما أمر الله ورسوله (ﷺ)[١]، ولا يتصرف بها في ذلك، فهذه حال الأشقياء المخالفين للشريعة، ولا يدل إعطاء الله إياهم هذه الأحوال على محبته لهم، كما أن الدجال (لعنه الله)[٢] له من الخوارق للعادات ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة، مع أنه مذموم شرعاً لعنه الله.

وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وبسط هذا يطول جداً، وليس هذا موضعه.

قال: **والنوع الثالث من السحر**: الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الجن خلافاً للفلاسفة والمعتزلة؛ وهم على قسمين: مؤمنون، وكفار وهم الشياطين.

قال: واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لما بينهما من المناسبة والقرب، ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى (والدخن)[٣] والتجريد، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل (تسخير)[٤].

النوع الرابع من السحر: التخيلات، والأخذ بالعيون والشعبذة؛ ومبناه على أن البصر قد (يخطئ)[٥] ويشتغل بالشيء المعين دون غيره، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق نحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة؛ وحينئذٍ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه؛ فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله.

قال: وكلما كانت الأحوال التي تفيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان العلم أحسن؛ مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جداً، أو مظلم، فلا تقف القوة (الباصرة)[٦] على أحوالها (بكلالها)[٧] والحالة هذه.

قلت: وقد قال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] وقال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] قالوا: ولم تكن تسعى في نفس الأمر. والله أعلم.

النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة من النسب

---

(١) من (ز) و(ن).
(٢) ساقط من (ن).
(٣) في (ز) و(ن): «الدخل».
(٤) في (ز): «التسخير».
(٥) في (ج) و(ل): «غطى»!
(٦) في (ز) و(ن): «الناظرة».
(٧) ساقط من (ن)؛ وفي (ل): «لكلالها»؛ وفي (ك): «بكمالها».

الهندسية؛ كفارس على فرس في يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار ضرب (مرةً)[١] بالبوق من غير أن يمسه أحد. ومنها الصور التي تصورها الروم والهند، حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكةً وباكيةً.

إلى أن قال: فهذه الوجوه من لطيف أمور (المخاييل)[٢] قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل.

قلت: يعني ما قاله بعض المفسرين: إنهم عمدوا إلى تلك الحبال والعصي، فحشوها زئبقاً فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيخيل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها.

قال الرازي: ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال بالآلات الخفيفة.

قال: وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر؛ لأن لها (أسباباً)[٣] معلومةً (متيقنةً)[٤]، من اطلع عليه قدر عليها.

قلت: ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم، بما يرونهم إياه من الأنوار؛ كقضية قمامة الكنيسة التي لهم (بالبلد)[٥] المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على (الطغام)[٦] (منهم)[٧]، وأما الخواص فهم يعترفون بذلك، ولكن يتأولون أنهم يمعون شمل أصحابهم على دينهم، فيرون ذلك سائغاً لهم. (وفيهم شبه)[٨] للجهلة الأغبياء من (متعبدي)[٩] الكرامية، الذين يرون جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، فيدخلون في عداد (من قال رسول الله ﷺ فيهم)[١٠]: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١١]. وقوله: «حدثوا عني ولا تكذبوا عليَّ فإنه من يكذب عليَّ يلج النار»[١٢].

---

(١) من (ج) و(ل).

(٢) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى)؛ وفي «تفسير الرازي» (٢/ ٢٢٩): «المخايل»؛ وفي (ج) و(ل) و(ن): «التخاييل».

(٣) في (ك): «أنساباً».

(٤) كذا في (ج) و(ك) و(ل)؛ وفي (ز) و(ض) و(ع) و(ى): «يقينة»؛ وفي (ن): «نفسية»؛ وفي «تفسير الرازي» (٢/ ٢٢٩): «نفيسة».

(٥) كذا في (ع) و(ن) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض) و(ك): «ببلد المقدس»؛ وفي (ج) و(ل): «ببيت المقدس»، وكتب ابن المحب، ناسخ (ج)، فوق كلمة: «بيت»: «ببلد»، وأشار إلى أنها كذلك في نسخة.

(٦) في (ز) و(ض): «العوام». (٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ن) و(ى)؛ وفي (ز) و(ل): «وفيه شبه»؛ وفي (ض): «وفيه شبهة».

(٩) في (ك) و(ل): «متعدي»؛ وفي (ض): «متعبد». (١٠) في (ك) و(ل): «من قال فيهم رسول الله».

(١١) حديث متواتر رواه أكثر من سبعين صحابياً، وللطبراني فيه جزء مفرد.

(١٢) كذا ذكر المصنف رحمه الله هذا الحديث بهذا التمام، وأرى أنه لفقه من حديثين، الأول: لأبي سعيد الخدري. والآخر: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أما أقرب سياق لما ذكره المصنف فأخرجه أحمد (٣/ ٤٦) قال: حدثنا عبد الصمد ثنا همام، حدثنا زيد، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «حدثوا عني ولا تكذبوا علي، ومن كذب علي متعمداً فقد تبوأ مقعده من النار، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (ج٢/ رقم ١٢٠٩) قال: حدثنا أبو خيثمة، ثنا عبد الصمد بهذا الإسناد وعنده: =

ثم ذكر ههنا حكايةً عن بعض الرهبان، وهو أنه سمع صوت طائر (حزين)[١] الصوت ضعيف الحركة، فإذا سمعته الطيور ترق له فتذهب فتلقى في وكره من ثمر الزيتون، (ليتبلغ)[٢] به، فعمد هذا الراهب إلى (صنعة)[٣] طائر على شكله، وتوصل إلى أن جعله أجوف، فإذا دخلته الريح يسمع (منه)[٤] صوت كصوت ذلك الطائر، وانقطع في صومعة ابتناها، وزعم أنها على قبر بعض صالحيهم، وعلق ذلك الطائر في مكان منها، فإذا كان زمان الزيتون فتح باباً من ناحية، فتدخل (الريح)[٥] إلى داخل هذه الصورة، فيسمع صوتها كذلك الطائر في شكله أيضاً، فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئاً كثيراً فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه الصومعة، ولا يدرون ما سببه؟ ففتنهم بذلك، (وأوهم)[٦] أن هذه من كرامات صاحب هذا القبر، عليهم لعائن الله (المتتابعة)[٧] إلى يوم القيامة.

قال الرازي: **النوع السادس من السحر**: الاستعانة بخواص الأدوية يعني في الأطعمة (والدهانات)[٨]. قال: واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الحواص، فإن أثر المغناطيس مشاهد.

قلت: يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعى الفقر، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعياً أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات.

قال:

النوع السابع من السحر: (تعليق القلب)[٩]؛ وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور؛ فإذا اتفق أن يكون السامع لذلك ضعيف العقل، قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرهب والمخافة؛ فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة؛ فحينئذٍ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء.

قلت: هذا النمط (يقال له: «التنبلة»)[١٠]؛ وإنما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم.

= «حدثوا عني ولا حرج...» والباقي مثله. وسنده صحيح.
وأخرجه مسلم (١٨/ ١٢٩ نووي)؛ والطبراني في «جزئه» (٨٤) من طريق هدبة بن خالد؛ وأحمد (٣/ ٥٦)؛ وابن الجوزي في «مقدمة الموضوعات» (١/ ٨٠) عن أبي عبيدة؛ وابن أبي شيبة (٩/ ٦٢)؛ والطبراني (٨٤) عن أبي الوليد، كلهم عن همام بن يحيى بهذا الإسناد نحوه مع زيادة فيه.
أما حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً: «لا تكذبوا علي، فإنه من يكذب علي يلج النار»؛ أخرجه البخاري (١/ ١٩٩)؛ ومسلم في «المقدمة» (١/ ٩).

(١) كذا في (ز) وفي بقية «الأصول»: «حنين»؛ وما في (ز) أوضح، وهو أقرب لسياق الكلام في «تفسير الرازي»؛ فإنه قال فيه (٢/ ٢٢٩): «هو طائر عطوف وكان يصفر صفيراً حزيناً».
(٢) في (ل): «ليبتلع».
(٣) في (ل): «صفة»!
(٤) في (ز) و(ض): «له».
(٥) من (ل) و(ن). وأشار إليها ناسخ (ى).
(٦) في (ل): «أوهمهم».
(٧) كذا في (ز) و(ض) و(ن)؛ وفي (ج) و(ع) و(ل) و(ى): «التابعة»؛ وفي (ك): «البالغة».
(٨) في (ل): «الدهان».
(٩) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى)؛ وفي (ج) و(ل): «تعلق القلب»؛ وفي (ن): «التعليق للقلب».
(١٠) في (ن): «أيقال له: السبلة»!

وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه؛ فإذا كان (المتنبل)[(١)] حاذقاً في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره.

قال: النوع الثامن من السحر: السعي بالنميمة (والتضريب)[(٢)] من وجوه (خفية)[(٣)] لطيفة؛ وذلك شائع في الناس.

قلت: النميمة على قسمين: تارة تكون على وجه التحريش (بين الناس)[(٤)]، وتفريق قلوب المؤمنين؛ فهذا حرام متفق عليه، فأما (إن)[(٥)] كانت على وجه الإصلاح (بين الناس)[(٤)] وائتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث[(٦)]: «ليس بالكذاب من ينم خيراً». أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة؛ فهذا أمر مطلوب، كما جاء في الحديث[(٧)]: «الحرب خدعة»، وكما فعل نعيم[(٨)] بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة: جاء إلى هؤلاء فنمى إليهم عن هؤلاء كلاماً، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئاً آخر، ثم لأم بين ذلك؛ فتناكرت النفوس وافترقت، وإنما يحذو على مثل هذا: الذكاء والبصيرة النافذة. والله المستعان.

ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام في أقسام السحر، وشرح أنواعه وأصنافه.

قلت: وإنما أدخل كثيراً من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطافة مداركها؛ لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه؛ ولهذا جاء في الحديث[(٩)]:

«إن من البيان (سحراً)»[(١٠)]. وسمي السحور، لكونه يقع خفياً آخر الليل.

والسحر: الرئة وهي محل الغذاء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه؛ كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سحره؛ أي: انتفخت رئته من الخوف. وقالت عائشة[(١١)] رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري»، وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] أي: أخفوا عنهم عملهم. والله (تبارك وتعالى)[(١٢)] أعلم.

---

(١) في (ن): «النبيل».

(٢) في (ز) و(ن): «التقريب» والتضريب هو: الإغراء والإفساد.

(٣) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ن) و(ى)؛ وفي (ز) و(ك): «خفيفة» وأشار إليها ناسخ (ن) في الحاشية.

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) في (ز) و(ض): «إذا».

(٦) هذا حديث صحيح.
أخرجه البخاري (٥/ ٢٩٩)؛ ومسلم (٢٦٠٥/ ١٠١).

(٧) وهو حديث صحيح.
أخرجه البخاري (٦/ ١٥٨)؛ ومسلم (١٢/ ٤٤، ٤٥).

(٨) أخرجه ابن جرير في «التهذيب» (٢٢٥ ـ مسند علي) قال:
حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب. وهذا سند رجاله ثقات، لكنه معضل.
وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٧) من طريق أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس وهو ابن بكير، عن ابن إسحاق، فساقه معضلاً أيضاً.

(٩) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٣٧).

(١٠) في (ز) و(ن): «لسحرا».

(١١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٥٥)؛ ومسلم (٢٤٤٣/ ٨٤).

(١٢) من (ل).

فصل

وقد ذكر الوزير (أبو المظفر)[١] يحيى بن محمد بن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (الإشراف على مذاهب الأشراف) باباً في السحر؛ فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده؛ واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله؛ فقال أبو حنيفة، ومالك، وأحمد: يكفر بذلك. ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه (ليتقيه)[٢] أو ليجتنبه فلا يكفر. ومن تعلمه معتقداً جوازه، أو أنه ينفعه، كفر.

وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك، وأحمد: نعم، وقال الشافعي، وأبو حنيفة: لا. فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد.

وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك، أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصاً.

قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد ـ في المشهور عنهم ـ: لا تقبل.

وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل.

وأما ساحر أهل الكتاب؛ فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر المسلم. وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل؛ يعني: (لقصة)[٣] لبيد بن (أعصم)[٤].

واختلفوا في المسلمة الساحرة؛ فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل، ولكن تحبس. وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل. والله أعلم.

وقال أبو بكر[٥] الخلال: أخبرنا أبو بكر المروذي؛ قال: قرأ على أبي عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ عمر بن هارون، حدثنا يونس، عن الزهري؛ قال: يقتل ساحر المسلمين، ولا يقتل ساحر المشركين؛ لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها[٦].

[٧][وقد نقل القرطبي[٨] عن مالك رَحِمَهُ اللهُ أنه قال في الذمي يقتل إن قتل سحره. وحكى ابن حويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر][٧]:

---

(١) في (ح): «أبا المظفر»! وهو سبق قلم.
(٢) في (ك): «ليتقنه».
(٣) في (ك): «القضية».
(٤) في (ز) و(ك): «الأعصم».
(٥) وسنده ضعيف جداً، وعمر بن هارون تالف، كذبه ابن معين وطرحه آخرون.
(٦) في هامش (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف، معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».
(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).
(٨) في «تفسيره» (٢/ ٤٩).

[1][إحداهما: أنه يستتاب، فإن أسلم وإلا قتل.

والثانية: أنه يقتل وإن أسلم.

وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته؛ لأنه كالزنديق؛ فإن تاب قبل أن يظهر عليه، وجاءنا تائباً قبلناه (ولم نقتله)[2]، فإن قتل سحره قتل.

وقال الشافعي: فإن قال: لم أتعمد القتل فهو مخطئ تجب عليه الدية.

مسألة:

وهل يسأل الساحر حلاً لسحره؟ فأجازه سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري[3].

وقال عامر الشعبي: لا بأس بالنشرة[4]. وكره[5] ذلك الحسن البصري. وفي «الصحيح»[6] عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هلا تنشرت؟ فقال: «أما الله فقد شفاني، وخشيت أن أفتح على الناس شراً».

وحكى القرطبي[7] عن وهب: أنه قال: يؤخذ سبع ورقات من سدر فتدق بين حجرين، ثم تضرب بالماء، ويقرأ عليها آية الكرسي، ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات، ثم يغتسل بباقيه، فإنه يذهب ما به. وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته.

قلت: أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك؛ وهما المعوذتان، وفي الحديث[8]: «لم يتعوذ][1] ....

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى). (٢) ساقط من (ن).

(٣) في «كتاب الطب» (١٠/ ٢٢٢) وقال: «قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب، أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه». قال الحافظ في «الفتح»: وصله أبو بكر الأثرم في «كتاب السنن» من طريق أبان العطار، عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة بلفظ: «يلتمس من يداويه».

(٤) قال ابن الجوزي: النشرة: حل السحر عن المسحور.

(٥) ذكره قتادة عن الحسن وقال: لا يعلم ذلك إلا ساحر. ذكره الحافظ في «الفتح» وأخرج ابن أبي شيبة (٧/ ٣٨٧) قال: حدثنا ابن عيينة وأبو أسامة عن شعبة عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن النشرة؟ فذكر لي عن النبي ﷺ قال: «هي من عمل الشيطان»؛ وأخرجه أبو داود في «المراسيل» (٤٥٣) قال: حدثنا علي بن الجعد ثنا شعبة فذكره. قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٣): «وصله أحمد (٣/ ٢٩٤)؛ وأبو داود (٣٨٦٨) عن جابر بسند حسن». اهـ. وهو عند البيهقي (٩/ ٣٥١) وأخرج ابن أبي شيبة أيضاً قال: حدثنا ابن مهدي، عن الحكم بن عطية، قال: سمعت الحسن وسئل عن النشرة، فقال: سحر. وسنده لا بأس به.

(٦) هو في «الصحيحين» كما تقدم تخريجه عند الآية (١٠١).

(٧) في «تفسيره» (٢/ ٤٩).

(٨) أخرجه النسائي (٨/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣)؛ وأبو داود (١٤٦٣)؛ وأحمد (٤/ ١٤٩)؛ والحميدي (٨٥١)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ٣٥٣)؛ والبزار (٣/ ٨٥، ٨٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٥)؛ والدولابي في «الكنى» (١/ ١٧٨، ١٧٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٧/ رقم ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، =

[(١)] (المتعوذون)[(٢)] بمثلهما» وكذلك قراءة آية الكرسي[(٣)] فإنها مطردة للشيطان][(١)].

[(٤)][وقال أبو عبد الله[(٥)] القرطبي: وعندنا أن السحر حق، وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء، خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفرايني من الشافعية حيث قالوا: إنه تمويه وتخييل؛ قال: ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة. والشعوذي: البريد لخفة سيره. قال ابن فارس: وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية][(٤)].

[(٦)][قال القرطبي: ومنه ما يكون كلاماً يحفظ، ورقى من أسماء الله تعالى، وقد يكون من عهود الشياطين ويكون أدويةً وأدخنةً وغير ذلك.

وقال: وقوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً» يحتمل أن يكون مدحاً كما تقوله طائفة، ويحتمل أن يكون ذماً للبلاغة، قال: وهذا أصح؛ قال: لأنها تصوب الباطل حتى توهم السامع أنه حق، كما قال عليه الصلاة[(٧)] والسلام: «فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له...» الحديث][(٦)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم؛ وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من (التنقص)[(٨)]، عليهم لعائن الله؛ فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا، (ويورون)[(٩)] بالرعونة؛ كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء].

وكذلك جاءت الأحاديث[(١٠)] بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم؛

= ٩٥٧)؛ وابن أبي شريح في «جزء بيبي بنت عبد الصمد» (٤٢) من طرق عن عقبة بن عامر. وهو في «صحيح مسلم». بسياق آخر وسيأتي تفصيل ألفاظه وطرقه عن تفسير «المعوذتين» إن شاء الله.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).

(٢) في (ن): «المتعوذ».

(٣) وسيأتي تخريج حديثها في موضعها من «التفسير» إن شاء الله تعالى.

(٤) من (ج) و(ل) و(ن). وقد وردت هذه الفقرة في (ن) قبل الفصل الماضي.

(٥) في «تفسيره» (٢/ ٤٤) ونقله المصنف بتصرف.

(٦) من (ج) و(ل) و(ن). وقد وردت هذه الفقرة في (ن) قبل الفصل الماضي.

(٧) أخرجه مالك (٢/ ٧١٩/ ١)؛ والبخاري (١٢/ ٣٣٩؛ و١٣/ ١٥٧)؛ ومسلم (١٧١٣).

(٨) في (ن): «التنقيص». (٩) في (ك): «ويرون»!

(١٠) منها حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم، فإنما يقول: السام عليكم، فقل: عليك». هكذا رواه عن مالك بلفظ «عليك» بالإفراد وبلا واو: يحيى بن يحيى الليثي في «الموطأ» (٢/ ٩٦٠/ ٣ ـ عبد الباقي)؛ وأبو مصعب الزبيري في «الموطأ» رقم (٢٠٢١) ومن طريقه البغوي في «شرح =

و(السام)[(١)]: هو الموت؛ (ولهذا)[(٢)] أمرنا أن نرد عليهم بـ«وعليكم». (وأنه)[(٣)] يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا.

والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً؛ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾.

وقال الإمام[(٤)] أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الرحمٰن بن ثابت، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر ﵄؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، (وجعل)[(٥)] الذلة والصغار على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم».

[(٦)][وروى أبو داود[(٧)] عن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، به: «من تشبه بقوم فهو منهم»][(٦)]؛ ففيه دلالة على النهي الشديد، والتهديد، والوعيد على التشبه بالكفار

= السنة» (١٢/ ٢٦٩، ٢٧٠). ويحيى بن سعيد القطان عند البخاري (١٢/ ٢٨٠)؛ وأحمد (٤٦٩٩)؛ وخالد بن مخلد القطواني عند الدارمي (٢/ ١٨٨، ١٨٩)؛ وابن وهب عند البيهقي (٩/ ٢٠٣). ورواه آخرون عن مالك فقالوا: «وعليك» بزيادة الواو وبالإفراد، منهم عبد الله بن يوسف التنيسي عند البخاري (١١/ ٤٢).

(١) ساقط من (ج).
(٢) في (ل): «ولقد».
(٣) في (ن): «وإنما».
(٤) في «مسنده» (٥١١٥، ٥٦٦٧).
وأخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٩٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (١١٩٩)؛ والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٦٦)؛ والذهبي في «السير» (١٥/ ٥٠٩) من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم بسنده سواء.
وأخرجه أبو داود (٤٠٣١) قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبو النضر به مقتصراً على الفقرة الأخيرة منه. قال الذهبي: «إسناده صالح».
وأخرجه البخاري (٦/ ٩٨) معلقاً ببعضه ووصله أحمد (٥١١٤) قال: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي.
وصحح إسناده الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٦٩)، وجوده شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص٨٢) وقال الزركشي في «التذكرة» (ص١٠٢)؛ والسخاوي في «المقاصد» (ص٤٠٧): «في سنده ضعف» ولم يحكم عليه الحافظ، فقال في «الفتح» (٦/ ٩٨): «في الإسناد: عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه». وسلك نفس طريقته قبله الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٦٧) وقال المنذري في «مختصر السنن» (٦/ ٢٥)؛ والزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ٣٤٧): «ابن ثوبان ضعيف»، ولم يتفرد به ابن ثوبان، فتابعه الأوزاعي، فرواه عن حسان بن عطية بسنده سواء.
أخرجه الطحاوي في «المشكل» (١/ ٨٨) قال: حدثنا أبو أمية، ثنا محمد بن وهب بن عطية، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي به والوليد بن مسلم كان يدلس التسوية، فالمتابع لابن ثوبان في الحقيقة هو الذي أسقطه الوليد بن مسلم، فربما كان كذاباً أو متروكاً ومع وجود هذه العلة المؤثرة، فقد خولف الوليد بن مسلم في إسناده، خالفه عبد الله بن المبارك. فرواه في «كتاب الجهاد» (١٠٥)، ومن طريقه القضاعي في «الشهاب» (٣٩٠) عن الأوزاعي قال: حدثنا سعيد بن جبلة، قال: حدثنا طاوس اليماني أن رسول الله ﷺ قال: فذكره مرسلاً. وتابعه عيسى بن يونس عن الأوزاعي بسنده سواء مرسلاً. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٢٢)؛ وعيسى وابن المبارك أثبت من الوليد بن مسلم، فالصواب في رواية الأوزاعي الإرسال، وحسن الحافظ في «الفتح» (٦/ ٩٨) إسناد هذا المرسل.
(٥) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى). ووقع في (ز) و(ن): «جعلت».
(٦) ساقط من (ج).
(٧) رقم (٤٠٣١).

في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا، ولم نقرر عليها.

وقال ابن[1] أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مسعر، عن معن وعون، أو أحدهما: أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود، فقال: اعهد إلي. فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه.

وقال الأعمش[2]، عن خيثمة؛ قال: ما تقرءون في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإنه في التوراة: يا أيها المساكين.

وقال محمد بن إسحاق[3]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿رَٰعِنَا﴾ أي: (أرعنا)[4] سمعك.

وقال الضحاك[5]: عن ابن عباس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ: أرعنا سمعك، وإنما: «راعنا» كقولك: «عاطنا».

وقال ابن أبي[6] حاتم: وروى عن أبي العالية، وأبي مالك، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، وقتادة نحو ذلك.

وقال مجاهد[7]: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ لا تقولوا خلافاً. وفي رواية: لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك.

وقال عطاء[8]: لا تقولوا: ﴿رَٰعِنَا﴾ كانت لغةً تقولها الأنصار، فنهى الله عنها.

---

(١) في «تفسيره» (١٠٤٤)؛ وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٦) بسنده سواء.
وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣١) قال: حدثنا الأشجعي، عن مسعر بن كدام مثله. وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٥٨) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٠) قال: حدثنا وكيع، عن مسعر، عن معن قال: قال عبد الله بن مسعود فذكره. والإسناد منقطع؛ لأن عون بن عبد الله بن عتبة ومعن بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود ما أدركا ابن مسعود. والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٣) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج. وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١١٦) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قالا: ثنا عبدة بن سليمان، عن الأعمش به وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٢٥). [وسنده حسن].

(٤) في (ك): «راعنا».

(٥) أخرجه ابن جرير (١٧٣١)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤٥) من طريق منجاب بن الحارث، ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك به. وقد تقدم تضعيف هذا الإسناد.

(٦) في «تفسيره» (١/ ٣١٧) وقد أسندها ابن جرير.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٧٢١، ١٧٢٢)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤٧). من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وسنده صحيح. وأخرجه ابن جرير (١٧٢٣) من طريق أبي أحمد الزبيري، حدثنا سفيان الثوري عن رجل عن مجاهد مثله. ثم أخرجه (١٧٢٤) عن أبي نعيم ثنا الثوري عن مجاهد. وهذا منقطع.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤٦)؛ وأبو جعفر النحاس فس «الناسخ والمنسوخ» (٧٠) من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح. ووقع عند ابن جرير في الموضع الأول: «هشيم، أخبرنا عبد الرزاق، عن عطاء». وقوله: «عبد الرزاق» مصحف عن «عبد الملك» فيما يظهر لي. والله أعلم، إلا أن يكون من رواية الأقران، ولكن عبد الرزاق يروى عن عطاء بواسطة ابن جريج، فهذا مما يرجح وقوع التصحيف. والله أعلم.

وقال الحسن[١]: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قال: الراعن من القول: السخري منه؛ نهاهم الله أن يسخروا من قول محمد ﷺ، وما يدعوهم إليه من الإسلام.

وكذا روي عن ابن جريج أنه قال مثله.

وقال أبو صخر[٢]: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين، فيقول: أرعنا سمعك، فأعظم الله رسوله ﷺ أن يقال ذلك له.

وقال السدي[٣]: كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعة بن (زيد)[٤] يأتي النبي ﷺ، فإذا لقيه فكلمه قال: أرعني سمعك، واسمع غير مسمع. وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخم بهذا، فكان ناس منهم يقولون: اسم غير مسمع غير صاغر، (وهي)[٥] كالتي في «سورة النساء». فتقدم الله إلى المؤمنين أن لا يقولوا: راعنا.

وكذا قال عبد الرحمٰن[٦] بن زيد بن أسلم بنحو من هذا.

قال ابن جرير[٧]: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه ﷺ: راعنا؛ لأنها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولوها لنبيه ﷺ نظير الذي ذكر عن النبي ﷺ أنه قال[٨]: «لا تقولوا للعنب: الكرم، ولكن قولوا: (الحبلة)»[٩]، و«لا تقولوا: عبدي، ولكن قولوا: فتاي»[١٠]؛ وما أشبه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (يبين تعالى بذلك)[١١] شدة (عداوة)[١٢] الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهتهم للمؤمنين، ليقطع المودة بينهم وبينهم، (وينبه)[١٣] تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيهم محمد ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٨) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٩، ١٠٥٢) وسنده ضعيف لإعضاله، وأبو صخر هو حميد بن زياد الخراط، ثم هو متكلم فيه، فضعفه ابن معين في رواية والنسائي وقواه آخرون.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٣٨). [وسنده حسن إلى السدي لكنه مرسل].

(٤) في (ل): «يزيد».

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٣٢) وسنده صحيح.

(٧) في «تفسيره» (٢/ ٤٦٣ ـ شاكر).

(٨) أخرجه مسلم (٢٢٤٨/ ١١، ١٢)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٩٥)؛ والدارمي (٢/ ٤٣)؛ وابن حبان (٥٨٣١)؛ والطحاوي في «المشكل» (١٤٨٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢٢/رقم ١٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (٥٢١٦ ـ بيروت) من طرق عن شعبة، ثنا سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن أبيه مرفوعاً. وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) في (ن): «الحلية»!!

(١٠) أخرجه البخاري (٥/ ١٧٧)؛ ومسلم (٢٢٤٩/ ١٥).

(١١) في (ن): «يبين بذلك تعالى».

(١٢) في (ك): «عداوته».

(١٣) في (ن): «ونبه».

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

قال ابن أبي[(١)] طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: ما نبذل من آية.

وقال ابن جريج[(٢)]، عن مجاهد: «ما ننسخ من آية»؛ [(٣)][أي: ما نمحو من آية. وقال ابن أبي[(٤)] نجيح، عن مجاهد: «ما ننسخ من آية»][(٣)]؛ قال: نثبت خطها، ونبدل حكمها. حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال ابن أبي[(٥)] حاتم: وروي عن أبي العالية، ومحمد بن كعب القوظي نحو ذلك.

وقال الضحاك[(٦)]: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: ما ننسك.

وقال عطاء[(٧)]: أما ﴿مَا نَنسَخْ﴾ فما (نترك)[(٨)] من القرآن.

وقال ابن أبي حاتم[(٩)]: يعني ترك، (لم)[(١٠)] ينزل على محمد ﷺ.

وقال السدي[(١١)]: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ نسخها: قبضها.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤)؛ وابن جرير (١٧٤٧) قال: حدثني المثنى، وهو ابن إبراهيم؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٠٢) قال: حدثنا أبي؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٦٢) من طريق عثمان بن سعيد أربعتهم قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة به. [وسنده ثابت].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٩) من طريق عبد الوهاب بن عطاء؛ وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٥) قال: حدثنا حجاج الأعور كلاهما عن ابن جريج، عن مجاهد به؛ وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً. وقد أخرجه ابن جرير (١٧٤٩) من طريق شبل بن عباد المكي، وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (١١)؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٢) من طريق ورقاء كلاهما عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد مثله وسنده قوي.

(٣) ساقط من (ج).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٥٠) من طريق بكر بن شوذب، وابن أبي حاتم (١٠٦٢) من طريق ورقاء كلاهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أصحاب عبد الله بن مسعود فذكره.
وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٥٥)؛ لآدم بن أبي إياس في «تفسيره»؛ وأبي داود في «الناسخ والمنسوخ»؛ وأخرجه البيهقي في «الأسماء» (١/ ٣٦٣) من طريق آدم بن أبي إياس في «تفسيره» قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح به: وسنده قوي أيضاً، وأصحاب ابن مسعود لم أقف على أعيانهم في هذا الخبر، ولكن ينجبر الأمر باجتماعهم في مثل هذا الأثر الموقوف، والله أعلم.

(٥) في «تفسيره» (١/ ٣٢٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦١) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو عبد الرحمٰن الحارثي، عن قرة بن خالد، عن الضحاك. والحارثي لم أهتد إليه؛ وأخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٣) معلقاً قال: «يحدثون بذلك عن قرة بن خالد، عن الضحاك، عن ابن مسعود. وهذا مع تعليقه فهو منقطع وهذا الأثر عزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٥٥) لعبد بن حميد وابن المنذر في «تفسيرهما» عن الضحاك بن مزاحم».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٣) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن عطاء؛ وأخرجه ابن جرير (١٧٦٣) من طريق هشيم بن بشير، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء قال: نؤخرها. [وسنده حسن].

(٨) في (ك) و(ل): «ترك».

(٩) في «تفسيره» (١/ ٣٢٢).

(١٠) في (ن): «فلم».

(١١) أخرجه ابن جرير (١٧٤٦) قال: حدثني موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٤) قال: حدثنا أبو زرعة =

وقال ابن أبي حاتم[١]: يعني: قبضها رفعها؛ مثل قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»[٢]. وقوله: «لو كان لابن آدم واديان من (مال)[٣] لابتغى لهما ثالثاً»[٤].

وقال ابن جرير[٥]: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: ما ننقل من حكم آية إلى غيره، فنبدله ونغيره؛ وذلك أن نحول الحلال حراماً والحرام حلالاً، والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة. فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ.

وأصل النسخ: من «نسخ الكتاب»، وهو: نقله (من)[٦] نسخة (إلى)[٧] أخرى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله ونقل (عبادة إلى غيرها)[٨]، وسواء نسخ حكمها أو خطها؛ إذ هي في (كلتا)[٩] حالتيها منسوخة.

وأما علماء الأصول فاختلفت عباراتهم في حد النسخ. والأمر في ذلك قريب؛ لأن معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء. (ولخص)[١٠] بعضهم: أنه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر؛ فاندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل، وعكسه، والنسخ لا إلى (بدل)[١١].

وأما تفاصيل أحكام النسخ، وذكر أنواعه وشروطه (فمبسوط)[١٢] في (فن)[١٣] أصول الفقه.

وقال الطبراني[١٤]: حدثنا أبو شبيل عبيد الله بن عبد الرحمٰن بن واقد، حدثنا أبي، حدثنا العباس بن الفضل، عن سلميان بن أرقم، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه؛ قال: قرأ رجلان

= قالا: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي به. وسنده حسن.

(١) في «تفسيره» (١/ ٣٢٣).

(٢) صحيح. وأخرجه البخاري (١٢/ ١٣٧)؛ ومسلم (١٦٩١/ ١٥).

(٣) في (ن): «ذهب».

(٤) صحيح. أخرجه مسلم (١٠٥٠/ ١١٩).

(٥) في «تفسيره» (٢/ ٤٧١، ٤٧٢ ـ شاكر).

(٦) وقع في (ج): «من».

(٧) من (ن).

(٨) في «تفسير الطبري»: «ونقل عبارته عنه إلى غيرها» ونقل الشيخ أبو فهر محمود شاكر رحمه الله عن «ابن كثير»: «ونقل عبارة إلى غيرها»، وهذا تصحيف، والصواب: «عبادة» بالدال المهملة، وثبت ذلك في كل «الأصول»، والسياق يدل عليها. والله أعلم.

(٩) في (ج) و(ك) و(ل): «كلتى».

(١٠) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)؛ وفي (ج) و(ل): «ويخص»؛ وفي (ن): «لحظ».

(١١) في (ن): «بدله».

(١٢) في (ن): «مبسوطة».

(١٣) ساقط من (ن) و(ي).

(١٤) في «المعجم الكبير» (ج١٢/رقم ١٣١٤١)؛ وفي «الأوسط» (٤٦٣٧) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن الزهري، إلا سليمان بن أرقم، تفرد به العباس».

قلت: فأما العباس بن الفضل فهو أبو الفضل البصري نزيل الموصل، تركه العجلي والنسائي، وقال: «ليس بثقة» وكذلك قال ابن معين، وقال البخاري: «منكر الحديث» وهذا جرح شديد عنده، وكذلك قال مسلم وأبو حاتم وزاد: «ضعيف الحديث». وقال أبو زرعة: «لا يصدق»؛ وسليمان بن أرقم متروك الحديث وبه أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١٥) فالإسناد ضعيف جداً وقد خالفه معمر بن راشد فرواه عن الزهري أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ... فذكره نحوه. أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٩ رقم ٥٩٨٢) هكذا معضلاً فهذا يدل على بطلان ما رواه سليمان بن أرقم عن الزهري. والله أعلم.

سورةً أقرأهما رسول الله ﷺ، فكانا يقرآن بها، (فقاما)[١] ذات ليلة يصليان، فلم يقدرا منها على حرف، فأصبحا (غاديين)[٢] على رسول الله ﷺ، فذكرا ذلك له؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنها مما نُسخ وأُنسي، فالهوا عنها» فكان الزهري يقرؤها: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ بضم النون (خفيفة)[٣]. سليمان بن أرقم ضعيف[٤].

[٥][وقد روى (أبو بكر)[٦] بن الأنباري[٧]، عن أبيه، عن نصر بن داود][٥]، [٨][عن (أبي عبيد)[٩]، عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن (يونس)[١٠]، وعقيل، عن ابن شهاب، عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف مثله مرفوعاً: ذكره القرطبي[١١]][٨].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ فقرئ على وجهين: «ننساها» و«ننسها» فأما من قرأها بفتح النون والهمزة بعد السين فمعناه: نؤخِّرها. قال علي بن أبي طلحة[١٢]، عن ابن عباس: «ما ننسخ من آية أو ننسأها»: يقول: ما نبدِّل من آية أو نتركها لا نبدلها. وقال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود: أو ننسأها نثبت خطها ونبدل حكمها. (وقال)[١٣] عبيد بن عمير[١٤]، ومجاهد[١٥]،

---

(١) في (ج): «فباتا».
(٢) في (ج): «غادين».
(٣) في (ن): «الخفيفة».
(٤) بل هو متروك، ومثل هذا التسامح له مضاره، لا سيما عند من يكثرون من الاحتجاج أو الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة. والله الموفق.
(٥) من (ج) و(ل) و(ن).
(٦) ساقط من (ل).
(٧) في كتاب «المصاحف» كما في «الدر المنثور» (١/ ٢٥٦) ورواه من طريق أبي عبيد القاسم بن سلام، وهذا في «كتاب الناسخ والمنسوخ» (١٧)؛ وعبد الله بن صالح في حفظه مقال معروف ولكن أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٥٧) من طريق محمد بن علي بن عيسى؛ وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص١٣٦) من طريق الإمام أحمد قالا: ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري قال: أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف أن رهطاً من أصحاب النبي ﷺ أخبروه أنه قام رجل منهم من جوف الليل، يريد أن يفتتح سورة كان قد وعاها، فلم يقدر منها على شيء إلا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾ [الفاتحة] فأتى باب رسول الله ﷺ حين أصبح، ليسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، ثم جاء آخر وآخر، حتى اجتمعوا فسأل بعضهم بعضاً: ما جمعهم؟! فأخبر بعضهم بعضاً بشأن تلك السورة، ثم أذن لهم رسول الله ﷺ فأخبروه خبرهم، وسألوه عن السورة، فسكت ساعة لا يرجع إليهم شيئاً، ثم قال: «نسخت البارحة»، فنسخت من صدورهم، ومن كل شيء كانت فيه.
وهذا إسناد صحيح.
(٨) من (ج) و(ل) و(ن).
(٩) في (ن): «أبي عبيد الله»!
(١٠) في (ل): «يونس وعبيد وعقيل»! وقوله: «عبيد» مقحم لا معنى له.
(١١) في «تفسيره» (٢/ ٦٨).
(١٢) مر تخريجه هو وأثر مجاهد الذي بعده آنفاً.
(١٣) في (ج): «وكما قال».
(١٤) أخرجه ابن جرير (١٧٦٨) من طريق القاسم بن سلام، وهذا في «الناسخ والمنسوخ» (١٠) قال: حدثنا حجاج، وهو ابن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن علي الأزدي، عن عبيد بن عمير. وهذا سند جيد وصرح ابن جريج بالتحديث عند ابن جرير (١٧٦٧). ووقع في الإسناد خطأ نبه عليه ابن جرير.
(١٥) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ» (٨) قال: حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم عن حميد الأعرج، عن مجاهد. وسنده جيد. ويزيد هو ابن هارون وذكر محقق «كتاب الناسخ» أن يزيد هو ابن أبي حبيب!! وهو غلط ظاهر.

وعطاء[١]، أو ننسأها: نؤخرها ونرجئها.

وقال عطية العوفي[٢]: أو ننسأها: نؤخرها فلا ننسخها.

وقال السدي[٣] مثله أيضاً، وكذا (قال)[٤] الربيع بن أنس[٥]. وقال الضحاك[٦]: «ما ننسخ من آية أو ننسأها»؛ يعني: الناسخ من المنسوخ.

وقال أبو العالية[٧]: «ما ننسخ من آية أو ننسأها»: نؤخرها عندنا.

وقال ابن أبي حاتم[٨]: حدثنا عبيد الله بن إسماعيل البغدادي، حدثنا خلف، حدثنا الخفاف، عن إسماعيل ـ يعني: (ابن مسلم)[٩] ـ، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: خطبنا عمر ﷺ، فقال: يقول الله ﷻ: «ما ننسخ من آية أو ننسأها»؛ أي: نؤخرها.

وأما على قراءة (أو ننسها): فقال عبد الرزاق[١٠]، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: كان الله ﷻ ينسي نبيه ﷺ ما يشاء، وينسخ ما يشاء.

وقال ابن جرير[١١]: حدثنا سوار بن عبد الله، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا عوف، عن الحسن أنه قال ـ في قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ ـ؛ قال: إن نبيكم ﷺ أقرأ قرآناً ثم نسيه.

وقال ابن أبي حاتم[١٢]: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا محمد بن الزبير الحراني، عن

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٧٦٣) قال: حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم، قالا: ثنا هشيم، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء؛ وأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢٠٩) قال: نا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الملك؛ وأخرجه أبو عبيد في «الناسخ» (٧) قال: حدثنا هشيم ومعاوية الفزاري كلاهما عن عبد الملك. وسنده قوي.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٦٦) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي. وسنده جيد. والأهوازي قال النسائي فيه: «صالح».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٣) وسنده حسن.

(٤) من (ك).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٥). [وسنده جيد].

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٦١) قال: حدثنا أبو كريب؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٨) من طريق ابن نفيل قالا: ثنا هشيم قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك. وسنده ساقط. وجويبر تالف.

(٧) أشار إليه ابن أبي حاتم.

(٨) في «تفسيره» (١٠٧٠).
وأخرجه أبو طاهر المخلص في «الفوائد» (ج٤/ ق١٧٠/ ١) من طريق عمر بن شبة، ثنا بشر بن عمر الزهراني، ثنا هارون المعلم، ثنا إسماعيل المكي بسنده سواء.
وسنده ضعيف جداً، وإسماعيل بن مسلم المكي تركه النسائي وغيره مثل يحيى القطان وابن مهدي وقال ابن معين: «ليس بشيء» وقال أحمد وغيره: «منكر الحديث» وضعفه الجوزجاني جداً.

(٩) في (ن): «ابن أسلم».

(١٠) في «تفسيره» (١/ ٥٥) ومن طريقه ابن جرير (١٧٥٢).
وأخرجه ابن جرير (١٧٥١) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(١١) في «تفسيره» (١٧٥٤) وسنده صحيح.

(١٢) في «تفسيره» (١٠٦٥).

=

الحجاج - يعني: الجزري -، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: كان مما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل، وينساه بالنهار؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾.

قال ابن أبي حاتم: قال (لي)[١] أبو جعفر بن نفيل: ليس هو الحجاج بن أرطاة، هو شيخ لنا جَزَري.

وقال عبيد بن عمير[٢]: (أو ننسها): نرفعها من عندكم.

وقال ابن جرير[٣]: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن القاسم بن ربيعة؛ قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ: «ما ننسخ من آية أو ننسها»؛ قال: قلت له فإن سعيد بن المسيب يقرأ «أو تنساها»؛ قال: فقال سعد: إن القرآن لم ينزل على المسيب، ولا على آل المسيب؛ قال: قال الله جل ثناؤه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلى]، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

وكذا رواه عبد الرزاق، عن هشيم.

وأخرجه الحاكم في «مستدركه»[٤] من حديث أبي حاتم الرازي، عن آدم، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، به، وقال: «على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

قال ابن أبي حاتم: وروى عن محمد بن كعب، وقتادة، وعكرمة نحو قول سعيد.

= وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢٤٣) من طريق محمد بن يحيى، وأبو علي الحراني في «تاريخ الرقة» (ص١٢٨)؛ وأبو أحمد الحاكم في «كتاب الكنى» (ق٣٦/ ١) من طريق هلال بن العلاء قالا: ثنا ابن نفيل بسنده سواء.

قال أبو أحمد الحاكم: «لا أعلم لمحمد بن الزبير الرهاوي متابعاً في هذا الحديث عن حجاج، وهو حديث شاذ بهذا الإسناد».

قلت: وهذا الحديث منكر بهذا الإسناد، ومحمد بن الزبير منكر الحديث كما قال ابن عدي وقال أبو حاتم وأبو أحمد الحاكم: «ليس بالمتين» وقال أبو زرعة: «في حديثه شيء» وذكره ابن حبان في «الثقات».

(١) ساقط من (ج).

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس في «تفسيره». كما في «تفسير مجاهد» (ص٨٥)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٠٧١). [وسنده صحيح].

(٣) في «تفسيره» (١٧٥٥). ووقع عنده: «هشيم أخبرنا يعلى».
وأخرجه أبو عبيد في «الناسخ» (١٥)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٥) ومن طريقه ابن جرير (١٧٥٦)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٢٠٨)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص١٠٧)؛ والحاكم (٢/ ٥٢١) من طريق هشيم بن بشير بهذا الإسناد، وقد وقع اختلاف في هذا الحرف بين هذه الروايات.
وتوبع هشيم، تابعه شعبة، عن يعلى بن عطاء بسنده سواء.
أخرجه أبو داود في «الناسخ والمنسوخ»، كما في «أطراف المزي» (٣/ ٣٠٩)؛ والنسائي في «التفسير» (١٦)؛ وابن جرير (١٧٥٧)؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٦)؛ وابن أبي داود (ص١٠٧، ١٠٨)؛ والحاكم (٢/ ٢٤٢) من طرق عن شعبة به. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» كذا قال! والقاسم بن ربيعة بن قانف مجهول ما روى عنه سوى يعلى بن عطاء كما قال الذهبي.

(٤) (٢/ ٢٤٢) وقد سقط ذكر «آدم بن أبي إياس» من إسناد «المستدرك» فليستدرك.

وقال الإمام[١] أحمد: (حدثنا يحيى)[٢]، حدثنا سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: قال عمر: عليٌّ أقضانا، وأُبي أقرؤنا، وإنا لندع [٣][بعض ما يقول [٤][أُبي، وأُبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فلن أدعه لشيء، والله يقول][٤] ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾][٣] قال البخاري[٥]: (حدثنا عمرو بن علي)[٦]، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال عمر: اقرؤنا أُبيٌّ، وأقضانا علي، وإنا لندع من قول أُبي؛ (وذلك أن)[٧] أُبيا يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾.

وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ أي: في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلفين، كما قال علي بن أبي طلحة[٨]، عن ابن عباس: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ يقول: خير لكم في المنفعة وأرفق بكم.

وقال أبو العالية[٩]: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ فلا نعمل بها، «أو ننسأها»؛ أي: نرجئها عندنا. نأت بها، أو نظيرها.

وقال السدي[١٠]: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ يقول: نأت بخير من الذي نسخناه، أو مثل الذي تركناه.

وقال قتادة[١١]: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ يقول: آية فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهي.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾:

---

(١) في «مسنده» (٥/ ١١٣) وقد مر تخريجه (١/ ٢٤٤، ٢٤٥).
(٢) ساقط من (ض) و(ل).
(٣) وقعت هذه الفقرة في (ن) هكذا: «وإنا لندع من بعض قول أني ما يقول أبي وذاك أن أبيا يقول: ما أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، والله يقول: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ...﴾ [البقرة: ١٠٦] وكأن الناسخ دخلت له رواية أحمد في رواية البخاري التي بعدها، ولفظ رواية أحمد يختلف قليلاً عما ذكره ابن كثير هنا.
(٤) ساقط من (ج). (٥) في «التفسير» (٨/ ١٦٧).
(٦) سقط من كل «الأصول» ولا بد منه، لأن البخاري لم يرو شيئاً عن يحيى القطان، وهو من شيوخ شيوخه، وقد روى البخاري هذا الحديث في «فضائل القرآن» (٩/ ٤٧) عن شيخه صدقة بن الفضل، عن يحيى القطان، ثم رواه في «التفسير» (٨/ ١٦٧) عن شيخه عمرو بن علي عن يحيى القطان، واللفظ الذي أورده المصنف هنا هو لفظ عمرو، لذلك أثبته. والله أعلم.
(٧) ساقط من (ل)؛ وفي (ج): «ذاك».
(٨) أخرجه ابن جرير (١٧٧١) قال: حدثني المثنى؛ وابن أبي حاتم (١٠٧٢) قال: حدثنا أبي قالا: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة. [وسنده ثابت].
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٥). [وسنده جيد].
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٧٧٣)؛ وابن أبي حاتم (١٠٧٦). [وسنده حسن].
(١١) أخرجه ابن جرير (١٧٧٢) قال: حدثني الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم (١٠٧٧) قال: حدثنا الحسن بن أبي الربيع قالا: ثنا عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (١/ ٥٥)، أنبأنا معمر، عن قتادة. وسنده صحيح.

(يرشد تعالى)[١] بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء، فله الخلق والأمر، وهو المصترف؛ فكما (يخلقهم)[٢] كما يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقى من يشاء، ويصح من يشاء، ويمرض من يشاء، ويوفق من يشاء، ويخذل من يشاء ـ كذلك يحكم في عباده بما يشاء؛ فيحل ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ويبيح ما يشاء، ويحظر ما يشاء؛ وهو الذي يحكم ما يريد؛ لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون؛ ويختبر عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ؛ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى، ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى؛ فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره، واتباع رسله في تصديق ما أخبروا، وامتثال ما أمروا، وترك ما عنه زجروا.

وفي هذا المقام رد عظيم، وبيان بليغ لكفر اليهود، وتزييف شبهتهم، لعنهم الله، في دعوى استحالة النسخ؛ إما عقلاً كما زعمه بعضهم جهلاً وكفراً؛ وإما نقلاً كما تخرصه آخرون منهم افتراءً وإفكاً.

قال الإمام أبو جعفر[٣] بن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: فتأويل الآية: ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السمٰوات والأرض وسلطانهما دون غيري، أحكم فيهما وفيما فيهما بما أشاء، (وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء)[٤]، وأنهى عما أشاء، وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء، وأقر فيهما ما أشاء.

ثم قال[٥]: وهذا الخبر وإن كان خطاباً من الله تعالى لنبيه ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة، وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (لمجيئهما)[٦] بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غيَّر الله من حكم التوراة؛ فأخبرهم الله أن له ملك السمٰوات والأرض وسلطانهما، وأن الخلق أهل مملكته وطاعته، وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه، وأن له أمرهم بما يشاء، ونهيهم عما يشاء، ونسخ ما يشاء، وإقرار ما يشاء، وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه.

قلت: الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد؛ فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى؛ لأنه يحكم ما يشاء؛ كما أنه يفعل ما يريد، مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية، كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه، ثم حرم ذلك، وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات، ثم نسخ حل بعضها، وكان نكاح الأختين مباحاً لإسرائيل وبنيه، وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها. [٧][وأمر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبح ولده، ثم نسخه قبل الفعل، وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل][٧] [٨][من عبد العجل منهم، ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل][٨]، وأشياء كثيرة يطول ذكرها، وهم يعترفون بذلك ويصدفون عنه.

وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية فلا تصرف الدلالة في المعنى؛ إذ هو المقصود،

---

(١) في (ن): «يرشد عباده تعالى».
(٢) في (ن): «خلقهم».
(٣) في «تفسيره» (٢/٤٨٨).
(٤) ساقط من (ج).
(٥) يعني: ابن جرير.
(٦) في (ج) و(ل): «بمجيئهما».
(٧) من (ج) و(ل).
(٨) من (ج) و(ل).

وكما في كتبهم مشهوراً من البشارة بمحمد (ﷺ)[(١)] والأمر باتباعه، فإنه يفيد وجوب متابعته عليه (الصلاة و)[(٢)] السلام، وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته، وسواء قيل إن الشرائع المتقدمة مغياة إلى بعثته عليه السلام، فلا يسمى ذلك نسخاً؛ كقوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقيل: إنها مطلقة، وإن شريعة محمد ﷺ نسختها، فعلى كل تقدير فوجوب (اتباعه)[(٣)] (متعين)[(٤)]؛ لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهداً بالله تبارك وتعالى[(٥)].

[(٦)][ففي هذا المقام (بيَّن)[(٧)] تعالى جواز النسخ رداً على اليهود عليهم لعائن الله، حيث قال تعالى: ﴿[(٨)][﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾][(٨)]﴾][(٦)]. [(٩)][﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾...﴾ الآية، فكما أن له الملك بلا منازع فكذلك له الحكم بما يشاء: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقرئ في «سورة آل عمران» التي نزل صدرها خطاباً مع أهل الكتاب وقوع النسخ (عند اليهود)[(١٠)] في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ...﴾ [آل عمران: ٩٣] الآية كما سيأتي تفسيره.

والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى، لما له في ذلك من الحكمة البالغة؛ وكلهم قال بوقوعه.

وقال أبو مسلم الأصبهاني المفسر: لم يقع شيء من ذلك في القرآن. وقوله (هذا)[(١١)] ضعيف مردود مرذول. وقد تعسف في الأجوبة عما وقع من النسخ، فمن ذلك قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب عن ذلك بكلام مقبول، وقضية تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس لم يجب بشيء، ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم لعشرة من الكفرة إلى مصابرة الاثنين، ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ وغير ذلك. والله أعلم][(٩)].

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾.

نهى الله (تبارك)[(١٢)] وتعالى (المؤمنين)[(١٣)] في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] أي: وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين

---

(١) ساقط من (ج) و(ل).
(٢) من (ض).
(٣) في (ن): «متابعته».
(٤) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(ي). ووقع في (ز) و(ض) و(ك): «معين».
(٥) في هامش (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته وحرسه».
(٦) من (ج) و(ل) و(ن).
(٧) في (ن): «يبين».
(٨) من (ن).
(٩) من (ج) و(ل) و(ن).
(١٠) ساقط من (ن).
(١١) ساقط من (ن).
(١٢) من (ي).
(١٣) من (ن).

لكم؛ ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة؛ ولهذا جاء في «الصحيح»[(١)]: «(إن)[(٢)] أعظم المسلمين (في المسلمين)[(٣)] جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم (من أجل)[(٤)] مسألته». ولهذا جاء في الصحيحين «إن أعظم المسلمين جِرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته».

ولما سئل[(٥)] رسول الله ﷺ عن الرجل يجد مع امرأته رجلاً فإن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك؛ فكرة رسول الله ﷺ المسائل وعابها، ثم أنزل الله حكم الملاعنة.

ولهذا ثبت في «الصحيحين»[(٦)] من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.

وفي «صحيح مسلم»[(٧)]: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه». وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج؛ فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثاً. ثم قال ﷺ: «لا، ولو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم»؛ ثم قال: «ذروني ما تركتكم...» الحديث.

(ولهذا)[(٨)] قال أنس بن مالك[(٩)] (رضي الله عنه)[(١٠)]: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في «مسنده»[(١١)]: أخبرنا أبو كريب، أخبرنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب؛ قال: إن كان ليأتي علي السنة أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الشيء فأتهيب منه، وإن كنا لنتمنى الأعراب.

وقال البزار[(١٢)]: حدثنا محمد بن مثنى، حدثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦٤)، ومسلم (٢٣٥٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣).
(٢) من (ن). (٣) من (ج) و(ع).
(٤) في (ج): «لأجل».
(٥) هذا جزء من حديث يرويه الزهري: (صحيح البخاري ٩/ ٤٤٦).
(٦) أخرجه البخاري (٣/ ٣٤١؛ و٥/ ٦٨؛ و١٠/ ٤٠٥)؛ ومسلم (٣/ ١٣١٤).
(٧) بل هو في «صحيح البخاري» (١٣/ ٢٥١) من طريق الأعرج، عن أبي هريرة دون سبب الورود وقد أخرجه مسلم (١٣٣٧/ ١٣١).
(٨) كذا في (ن). وفي باقي «الأصول»: «وهكذا».
(٩) أخرجه البخاري (١/ ١٤٩) معلقاً، ووصله مسلم (١٢/ ١٠، ١١).
(١٠) من (ع).
(١١) يعني: في «المسند الكبير» ولم أجده في «المطبوع». وسنده جيد.
(١٢) أخرجه الدارمي (١/ ٤٨) قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، وهو أبو بكر، والطبراني في «الكبير» (ج١١/ رقم ١٢٢٨٨)؛ والوزير ابن الجراح في «الثاني من الأمالي» (١١٩ ـ بتحقيقي) من طريق أبي جعفر أحمد بن بديل؛ وأبو يعلى في «مسنده»، كما في «إتحاف الخيرة» (ق٦٠/ ٢) للبوصيري، قال: حدثنا زهير بن حرب. وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٩٨) من طريق علي بن حرب قالوا: ثنا ابن فضيل بسنده سواء. وتابع جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب بسنده سواء.
ذكره ابن عبد البر في «جامع العلم» (٢/ ١٧٣) وهذا سند ضعيف ومحمد بن فضيل وجرير سمعا من =

جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)[(١)] قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ؛ ما سألوه إلا عن ثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠] يعني: هذا وأشباهه.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: بل تريدون. أو هي على بابها في الاستفهام؛ وهو إنكاري، وهو يعم المؤمنين والكافرين؛ فإنه عليه السلام رسول الله إلى الجميع؛ كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

قال محمد بن إسحاق[(٢)]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس؛ قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه. وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك. فأنزل الله من قولهم ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾.

وقال أبو جعفر الرازي[(٣)]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية ـ في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ قال: قال رجل: يا رسول الله، لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل؟ فقال النبي ﷺ: اللهم لا نبغيها ـ ثلاثاً ـ ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل؛ كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبةً على بابه وكفارتها؛ فإن كفر كانت له خزياً في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزياً في الآخرة، فما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل. قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

وقال[(٤)]: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن».

وقال[(٥)]: «من همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت سيئة واحدة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشر أمثالها، ولا يهلك على الله إلا هالك»؛ فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾.

وقال مجاهد[(٦)]: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أن يريهم الله جهرةً.

= عطاء بن السائب بعد الاختلاط. والحديث عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٦) لابن المنذر.

(١) من (ل).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٧٧)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨١) من طريق سلمة بن الفضل، زاد ابن جرير: ويونس بن بكير، قالا: ثنا ابن إسحاق بسنده سواء. [وسنده حسن].

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٨٣)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٣) من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه بهذا الإسناد. وهذا سند ضعيف لإرساله.

(٤) هذا استشهاد من أبي العالية، ولكن الحديث صحيح.
أخرجه مسلم (٢٣٣/ ١٤).

(٥) أخرجه البخاري في «كتاب الرقاق» (١١/ ٣٢٣)؛ وأخرجه مسلم (١٣١/ ٢٠٨).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٨٠) من طريق عيسى؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٢) من طريق ورقاء كلاهما عن ابن نجيح، عن مجاهد فذكره وهذا سند ضعيف لإرساله فمجاهد لم يدرك النبي ﷺ؛ وأخرجه ابن جرير =

قال: سألت قريش محمداً ﷺ أن يجعل لهم «الصفا» ذهباً، قال: «نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل»؛ فأبوا ورجعوا.

وعن السدي[1] وقتادة[2] نحو هذا. والله أعلم.

والمراد أن الله ذم من سأل الرسول ﷺ عن شيء على وجه التعنت، والاقتراح، كما سألت بنو إسرائيل موسى ﷺ تعنتاً وتكذيباً وعناداً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: ومن (يشتر)[3] الكفر بالإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال.

وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنت والكفر؛ كما قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

وقال أبو العالية[4]: يتبدل الشدة بالرخاء.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

يحذر (تبارك و)[5]تعالى عباده المؤمنين عن سلوك (طرائق)[6] الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم؛ ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح؛ ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه؛ كما قال محمد بن إسحاق[7]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن

= (١٧٨١) من طريق ابن جريج، عن مجاهد مثله. وقد قدمنا غير مرة أن ابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً. [ويتقوىٰ بالمراسيل التالية].

(١) أخرجه ابن جرير (١٧٧٩) قال: حدثنا موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٤) قال: حدثنا أبو زرعة قالا: ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، عن السدي فذكر الآية ثم قال: فسألت العرب رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة. [وسنده حسن لكنه مرسل ويتقوىٰ بسابقه ولاحقه].

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٧٨) من طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مثل قول السدي. وأشار إليه ابن أبي حاتم (١/ ٣٣٠). [وسنده حسن لكنه مرسل ويتقوىٰ بما سبق].

(٣) في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي): «يشتري».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٨٤)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٥) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه عن أبي العالية؛ وأخرجه ابن جرير (١٧٨٥) من طريق حجاج عن ابن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية. [وسنده جيد].

(٥) من (ل).

(٦) في (ن): «طريق».

(٧) أخرجه ابن إسحاق، ومن طريقه ابن جرير (١٧٨٨)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٨). [وسنده حسن].

ابن عباس؛ قال: كان حيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب، من أشد يهودٍ للعرب حسداً؛ إذ خصهم الله برسوله ﷺ؛ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا؛ فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم . . .﴾ الآية.

[(١)وقال عبد الرزاق(٢)، عن معمر، عن الزهري في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾](١) قال: هو كعب بن الأشرف.

وقال ابن أبي حاتم(٣): حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه: أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو النبي ﷺ؛ (وفيه)(٤) أنزل الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم . . .﴾ إلى قوله: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾.

وقال الضحاك(٥)، عن ابن عباس: إن رسولاً أميّاً يخبرهم بما في أيديهم من (الرسل والكتب)(٦) والآيات، ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم، ولكنهم جحدوا ذلك كفراً وحسداً وبغياً. وكذلك قال الله تعالى: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يقول(٧): من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئاً، ولكن الحسد حملهم على الجحود؛ فعيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة؛ وشرع لنبيه ﷺ وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان والإقرار (بما أنزل الله(٨) عليهم)، وما أنزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم.

وقال الربيع(٩) بن أنس: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ من قبل أنفسهم.

وقال أبو العالية(١٠): [(١١)﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾](١١) من بعد ما تبين (لهم)(١٢) أن محمداً رسول الله، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فكفروا به حسداً وبغياً؛ إذ كان من غيرهم.

وكذا قال قتادة(١٣)، والربيع بن أنس(١٤) والسدي.

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) في «تفسيره» (١/ ٥٥) ومن طريقه ابن جرير (١٧٨٦)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٩). [وسنده صحيح].

(٣) في «تفسيره» (١٩٠٠). [وسنده صحيح].
وقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قصة مقتل كعب بن الأشرف.
أخرجه البخاري في «كتاب الرهن» (٥/ ١٤٢)؛ وفي «كتاب المغازي» (٧/ ٣٣٦، ٣٣٧).

(٤) في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى): «فيهم».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٩١) وسنده ضعيف.

(٦) في (ز) و(ن): «الكتب والرسل».

(٧) يعني: ابن عباس بالإسناد المتقدم آنفاً. وقد أخرج هذه الرواية ابن أبي حاتم أيضاً (١٠٩٣)؛ وابن جرير (١٧٩٥).

(٨) في (ز) و(ض): «بما أنزل عليهم».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٧٨٩)؛ وابن أبي حاتم (١٠٩٢). [وسنده جيد].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٧٩١)؛ وابن أبي حاتم (١٠٩٤). [وسند جيد].

(١١) ساقط من (ج).

(١٢) من (ج) و(ع) و(ل).

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٧٩٠) بسند صحيح.

(١٤) أخرجه ابن جرير (١٧٩٢) [وسنده جيد].

وقوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ...﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦].

قال علي بن أبي طلحة[١]، عن ابن عباس- في قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ نسخ ذلك قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] فنسخ هذا عفوه عن المشركين.

وكذا قال أبو العالية[٢]، والربيع بن أنس[٣]، وقتادة[٤]، والسدي[٥]: إنها منسوخة بآية السيف؛ ويرشد إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم[٦]: حدثنا أبي، حدثنا (أبو اليمان)[٧]، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره؛ قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى؛ قال الله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله به حتى أذن الله (فيهم بقتل)[٨] فقتل الله به من قتل من صناديد قريش. وهذا (إسناد)[٩] صحيح ولم أره في شيء من الكتب الستة؛ [[١٠] ولكن له أصل في «الصحيحين»[١١]، عن أسامة بن زيد][١٠] (رضي الله عنهما)[١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ (يحثهم)[١٣] تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة؛ من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا، ويو يقوم الأشهاد؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر] ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني: أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل، ولا يضيع لديه، سواء كان خيراً أو سراً؛ فإنه سيجازي كل عامل بعمله.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٧٩٦) قال: حدثني المثنى؛ وابن أبي حاتم (١٠٩٦) قال: حدثنا أبي قالا: حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة. [وسنده ثابت].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٩٧). [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٩٨). [وسنده جيد].

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٩٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة. وأيضاً (١٧٩٩) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (١/ ٥٥) قال: نا معمر بن راشد كلاهما عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٠٠)؛ وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٥١٤). [وسنده حسن].

(٦) في «تفسيره» (١٠٩٥). [وصحح سنده الحافظ ابن كثير].

(٧) في (ك): «أبو الوليد» وهو خطأ؛ وفي (ن): «أبو اليماني»!

(٨) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى)؛ وفي (ل): «فيهم بالقتال»؛ وفي (ن): «فيهم بالقتل».

(٩) في (ز) و(ن): «إسناده».

(١٠) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى).

(١١) يشير المصنف إلى ما أخرجه البخاري في «كتاب التفسير» (٨/ ٢٣٠، ٢٣١)؛ وفي «كتاب الأدب» (١٠/ ٥٩١، ٥٩٢).

(١٢) من (ج) و(ل).

(١٣) في (ز) و(ض): «يحث».

وقال أبو جعفر بن جرير[١] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير أو شر، سراً وعلانيةً، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء، فيجزيهم بالإحسان خيراً وبالإساءة مثلها.

وهذا الكلام وإن كان (خرج)[٢] مخرج الخبر فإن فيه وعداً ووعيداً، وأمراً وزجراً؛ وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدُّوا في طاعته؛ (إذ)[٣] كان ذلك (مذخوراً)[٤] لهم عنده حتى يثيبهم عليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وليحذروا معصيته.

قال: وأما قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾ فإنه مبصر، صرف إلى: «بصير»، كما صرف مبدع إلى: «بديع»، ومؤلم إلى: «أليم». والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم[٥]: حدثنا أبو زرعة، حدثنا ابن بكير، حدثني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو (يقترئ)[٦] هذه الآية: سميع بصير ـ يقول: «بكل شيء بصير».

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على (ملتها)[٧]، كما أخبر (الله)[٨] عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه (يعذبهم)[٩] بذنوبهم، ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك، وكما تقدم (من)[١٠] دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياماً معدودةً، ثم ينتقلون إلى الجنة، ورد عليهم تعالى في ذلك.

وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة؛ فقال: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

وقال أبو العالية[١١]: أماني تمنوها على الله بغير حق.

---

(١) في «تفسيره» (٢/٥٠٦ ـ شاكر).

(٢) كذا في «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري»؛ وفي (ن): «قد خرج».

(٣) في (ج) و(ل): «إذا».

(٤) كذا في (ج).

(٥) في «تفسيره» (١١٠٠) وسنده ضعيف.

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض): «يفسر»؛ وفي (ن): «يقرأ».

(٧) في (ل): «مثلها».

(٨) لفظ الجلالة من (ز) و(ن).

(٩) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ن): «معذبهم» وأشار إليها ناسخ (ى).

(١٠) في (ج) و(ل): «في».

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٢). [وسنده جيد].

وكذا قال قتادة(١)، والربيع بن أنس(٢).

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ قال أبو العالية(٣)، ومجاهد(٤)، والسدي، والربيع بن أنس: حجتكم.

وقال قتادة(٥): بينتكم على ذلك.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (أي: فيما تدعونه)(٦).

ثم قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: من أخلص العمل لله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ...﴾ الآية [آل عمران: ٢٠].

وقال أبو العالية(٧)، والربيع(٨): ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يقول: من أخلص لله.

وقال سعيد بن جبير(٩): ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلص. ﴿وَجْهَهُ﴾ قال: دينه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: (متبع)(١٠) فيه الرسول ﷺ؛ فإن (للعمل)(١١) المتقبل شرطين:

أحدهما: أن يكون خالصاً لله وحده. والآخر: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل؛ ولهذا قال (رسول الله)(١٢) ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم(١٣) من حديث عائشة عنه عليه (الصلاة و)(١٤)السلام، فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعاً للرسول (محمد)(١٥) ﷺ المبعوث إليهم وإلى الناس كافة. وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٠٢). [وسنده صحيح]. (٢) أخرجه ابن جرير (١٨٠٣). [وسنده جيد].
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٣). [وسنده جيد].
(٤) أثر مجاهد وما بعده، عند ابن جرير (١٨٠٥، ١٨٠٦، ١٨٠٧). [وسنده صحيح].
(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٠٤) من طريق يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة. [وسنده صحيح].
وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٤) من طريق يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان النحوي، عن قتادة. وكلاهما صحيح.
(٦) في (ز) و(ض): «كما تدعونه». (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٦). [وسنده جيد].
(٨) أخرجه ابن جرير (١٨١٠). [وسنده جيد].
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٧) قال: ذكر عن يحيى بن آدم، ثنا ابن المبارك، عن حيوة بن شريح، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. وسنده ضعيف.
(١٠) في (ن): «اتبع». (١١) في (ك): «في العمل».
(١٢) من (ن).
(١٣) يرويه عبد الله بن جعفر المخرمي، قال: حدثني سعد بن إبراهيم قال: سألت القاسم بن محمد عن رجل له ثلاثة مساكن، فأوصى بثلث كل مسكن منها، قال: يجمع ذلك كله في مسكن واحد، ثم قال: أخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً... الحديث» أخرجه البخاري (٥/ ٣٠١) معلقاً ووصله في «خلق الأفعال» (٢١٤)؛ وكذلك مسلم (١٧١٨/ ١٨) والسياق له.
(١٤) من (ن). (١٥) من (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).

[(١)وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝﴾](١) [الغاشية].

وروي عن أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه)(٢) أنه تأولها في الرهبان كما سيأتي.

وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله (تعالى)(٣) فهو أيضاً مردود على فاعله. وهذا حال (المنافقين والمرائين)(٤)؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝﴾ [الماعون] ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور، وأمنهم مما يخافونه من المحذور، فـ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى مما يتركونه؛ كما قال سعيد بن جبير: فـ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: في الآخرة؛ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يعني: لا يحزنون)(٥) للموت.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (يبين)(٦) به تعالى تناقضهم وتباغضهم، وتعاديهم وتعاندهم؛ كما قال محمد بن إسحاق(٧): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ: فقال رافع بن حُريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة؛ فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ قال: إن كلاً يتلو في كتابه تصديق من كفر به؛ (أن)(٨) يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى، وما جاء من التوراة من عند الله؛ وكل يكفر بما في (يدي)(٩) صاحبه.

وقال مجاهد(١٠) في تفسير هذه الآية: قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) من (ك) و(ن) و(ى).
(٣) من (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى).
(٤) في (ن): «المرائين والمنافقين».
(٥) ساقط من (ز) و(ض).
(٦) في (ن): «بين».
(٧) أخرجه ابن جرير (١٨١١)؛ وابن أبي حاتم (١١١٠) من طريق محمد بن إسحاق به. [وسنده حسن].
(٨) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل). ووقع في (ز) و(ض) و(ن) و(ى): «أي».
(٩) في (ز) و(ن): «يد».
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٨١٤) من طريق ابن جريج عن مجاهد. وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً.

وقال قتادة[١] : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: (بلى)[٢]. قد كانت أوائل النصارى على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: بلى؛ قد كانت أوائل اليهود على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا.

وعنه رواية أخرى؛ كقول أبي العالية[٣]، والربيع بن أنس[٤]، في تفسير هذه الآية: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وهذا القول يقتضي أن كلاً من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى؛ ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: وهم يعلمون أن شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعةً في وقت، (ولكن)[٥] تجاحدوا فيما بينهم (عناداً وكفراً)[٦]، ومقابلةً للفاسد بالفاسد؛ كما تقدم عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة في الرواية الأولى عنه في تفسيرها. والله أعلم.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا به من القول؛ وهذا من باب الإيماء والإشارة.

وقد اختلف فيمن عني بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فقال الربيع بن أنس[٧]، وقتادة[١]: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قالا: وقالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم.

وقال ابن جريج[٨] : قلت لعطاء: من هؤلاء الذين لا يعلمون؟ قال: أمم كانت قبل اليهود والنصارى، وقبل التوراة والإنجيل.

وقال السدي[٩] : ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهم العرب؛ قالوا: ليس محمد على شيء.

واختار أبو جعفر بن جرير[١٠] أنها عامة تصلح للجميع، وليس ثم دليل قاطع يعين واحداً من هذه الأقوال، (فالحمل)[١١] على الجميع أولى. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: إنه تعالى (يجمع)[١٢] بينهم يوم المعاد، ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور في، ولا يظلم مثقال الذرة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١١١) من طريق يونس بن محمد، ثنا شيبان النحوي عن قتادة، وأخرجه ابن جرير (١٨١٣) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٢) في (ج) و(ل): «بل».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١١١٢). [وسنده جيد]

(٤) أخرجه ابن جرير (١٨١٢). [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد]

(٥) في (ن): «ولكنهم».

(٦) في (ل): «كفراً وعناداً».

(٧) أخرج الأثرين معاً: ابن جرير (١٨١٦، ١٨١٧). [وسنده صحيح] وأخرج ابن أبي حاتم (١١١٦) أثر أبي العالية. [وسنده جيد]

(٨) أخرجه ابن جرير (١٨١٨). [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن]

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨١٩) قال: حدثني موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١١١٥). قال: حدثنا أبو زرعة قالا: ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، ثنا أسباط، عن السدي. [وسنده حسن]

(١٠) في «تفسيره» (٢/٥١٧، ٥١٨).

(١١) في (ن): «والحمل».

(١٢) في (ل): «يحكم».

وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾ [الحج] وكما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾.

اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا (﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾)[1]، وسعوا في خرابها على قولين:

أحدهما: ما رواه العوفي في «تفسيره»[2] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ قال: هم النصارى.

وقال مجاهد[3]: هم النصارى، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه.

وقال عبد الرزاق[4]: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ قال: هو بختنصر وأصحابه، خرب بيت المقدس، وأعانه على ذلك النصارى.

وقال سعيد[5]، عن قتادة؛ قال: أولئك أعداء الله النصارى، حملهم بُغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس.

وقال السدي[6]: كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس، حتى خربه، وأمر (به)[7] أن تطرح فيه الجيف؛ وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا.

وروى نحوه عن الحسن البصري[8].

القول الثاني: ما رواه ابن جرير[9]: حدثني يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب؛ قال:

---

(١) في (ل): «مساجد الله أن يذكر فيها اسمه».

(٢) ومن طريقه ابن جرير (١٨٢٠)؛ وابن أبي حاتم (١١١٨) وسنده ضعيف.
أخرجه ابن جرير (١٨٢١) من طريق عيسى بن ميمون وأيضاً (١٨٢٢) من طريق شبل بن عباد؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١١١٩) من طريق ورقاء بن عمر اليشكري ثلاثتهم عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد. وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٨٢١، ١٨٢٢)؛ وابن أبي حاتم (١١١٢) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٤) في «تفسيره» (١/٥٦) ومن طريقه ابن جرير (١٨٢٤)؛ وابن أبي حاتم (١١٢٠). [وسنده صحيح].

(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٢٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٨٢٥). [وسنده حسن]. (٧) ساقط من (ن).

(٨) نبَّه عليه ابن أبي حاتم (١/٣٤٢).

(٩) في «تفسيره» (١٨٢٦) وسنده صحيح إلى ابن زيد، ولا يصح مرفوعاً من هذا الوجه.

ابن زيد - في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ قال: هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة حتى نحر هديه بذي طوى، وهادنهم، (وقال)[1] لهم: ما كان أحد يصد عن هذا البيت، وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فلا يصده. فقالوا: لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق.

وفي قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ قال: إذ قطعوا من يعمرها بذكره، ويأتيها للحج والعمرة.

وقال ابن أبي حاتم[2]، ذكر عن سلمة؛ قال: محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس - أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ ثم اختار ابن جرير[3] القول الأول. واحتج بأن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس.

قلت: والذي يظهر - والله أعلم - القول الثاني، كما قاله ابن زيد، و(روي عن)[4] ابن عباس؛ لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود، وكانوا أقرب منهم، ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولاً إذ ذاك؛ لأنهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى بن مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

وأيضا فإنه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول ﷺ وأصحابه من مكة، ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام.

وأما اعتماده على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، فأي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه، واستحوذوا عليهم بأصنامهم وأندادهم وشركهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح]؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ﴾ [التوبة: ١٨] فإذا كان من هو كذلك مطروداً منها مصدوداً عنها؛ فأي خراب لها أعظم من ذلك؟ وليس المراد من عمارتها زخرفتها، وإقامة صورتها فقط؛ إنما عمارتها بذكر الله فيها، وإقامة شرعه فيها، ورفعها من الدنس والشرك.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ﴾ هذا خبر معناه الطلب؛ أي: لا

---

(١) في (ج): «وكان»!

(٢) في «تفسيره» (١١١٧).

(٣) (١/ ٥٢٢ - ٥٢٤) في كلام طويل.

(٤) ساقط من (ج) و(ل).

تمكّنوا هؤلاء، إذا قدرتم عليهم، من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية؛ ولهذا لما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحاب مني: «ألا لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته»[١].

وهذا كان تصديقاً وعملاً بقوله (تعالى)[٢]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

وقال بعضهم: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلاً عن أن يستولوا عليها، (و)[٣]يمنعوا المؤمنين منها.

والمعنى: ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم.

وقيل: إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفاً، يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل إن لم يسلم.

وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول (الحرم)[٤] وأوصى رسول الله ﷺ[٥] أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان، وأن يجلى اليهود والنصارى منها. ولله الحمد والمنة.

وما ذاك إلا (لتشريف)[٦] أكناف المسجد الحرام، وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً، صلوات الله (وسلامه)[٧] عليه. وهذا هو الخزي لهم في الدنيا؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه، وكما أجلوهم من مكة أُجْلوا عنها.

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه من نصب الأصنام حوله، (والدعاء إلى)[٨] غير الله عنده، والطواف به عرباً، وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرهها الله ورسوله.

وأما من فسره (ببيت)[٩] المقدس؛ فقال كعب الأحبار[١٠]: إن النصارى لما ظهروا على بيت

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٧١، ٨٧٢، ٣٠٩٢).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وقال الدارقطني في «العلل» (٣/ ١٦٤): «وهو المحفوظ» وقد رواه عن أبي إسحاق السبيعي: «سفيان الثوري، ومعمر بن راشد، وزهير بن معاوية، وزكريا بن أبي زائدة، ويونس بن أبي إسحاق، وغيرهم». ورواه من الصحابة: أبو هريرة وابن عباس ﷺ، وحديث أبي هريرة في «الصحيحين» مختصر عما أورده المصنف.

(٢) ساقط من (ج) و(ل).
(٣) في (ز) و(ض): «أو».
(٤) في (ز) و(ن): «المسجد الحرام».
(٥) أخرجه مسلم (١٧٦٧/ ١٦٣).
(٦) في (ز) و(ك): «تشريف».
(٧) ساقط من (ج) و(ز) و(ض).
(٨) في (ن): «ودعاء».
(٩) في (ز): «بيت».
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٢٢) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا موسى بن إبراهيم المعلم أبو علي =

المقدس ﴿خربوه﴾(١)، فلما بعث الله محمداً ﷺ أنزل عليه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ ...﴾ الآية؛ فليس في الأرض نصراني يدخل بيت المقدس إلا خائفاً.

وقال السدي(٢): فليس في الأرض رومي يدخله اليوم إلا وهو خائف أن تضرب عنقه، أو قد أُخيف بأداء الجزية فهو يؤديها.

وقال قتادة(٣): لا يدخلون المساجد إلا مسارقةً.

قلت: وهذا لا ينفى أن يكون داخلاً في معنى عموم الآية؛ فإن النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تصلي إليها اليهود عوقبوا شرعاً وقدراً بالذلة فيه، إلا في أحيان من الدهر ﴿امتحن﴾(٤) بهم بيت المقدس. وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضاً أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم. والله أعلم.

وفسر هؤلاء الخزي في الدنيا بخروج المهدي عند السدي(٥)، وعكرمة، ووائل بن داود.

وفسره قتادة بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون.

والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله.

وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ كما قال الإمام أحمد(٦): حدثنا

= الجذامي، حدثني خازن بيت المقدس، عن ذي الكلاع، عن كعب الأحبار فذكره. وسنده ضعيف. وخازن بيت المقدس مجهول.

(١) في ﴿ك﴾: «حرقوه».

(٢) أخرجه ابن جرير ﴿١٨٢٩﴾ قال: حدثنا موسى، وابن أبي حاتم ﴿١١٢٣﴾ قال: حدثنا أبو زرعة قالا: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي فذكره وعند ابن أبي حاتم: فإن الروم ظاهروا «بختنصر» على خراب بيت المقدس، فليس في الأرض رومي... إلخ وسنده حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير ﴿١٨٢٨﴾ قال: حدثنا الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم ﴿١١٢٤﴾ قال حدثنا الحسن بن أبي الربيع قالا: ثنا عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» ﴿١/٥٦﴾ قال: أخبرنا معمر، عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٤) كذا في ﴿ج﴾ و﴿ع﴾ و﴿ل﴾ و﴿ن﴾ و﴿ى﴾؛ وفي ﴿ز﴾ و﴿ض﴾: «أسخن»، وفي ﴿ك﴾: «سخر»!!

(٥) أخرجه ابن جرير ﴿١٨٣٢﴾، وابن أبي حاتم ﴿١١٢٥﴾. [وسنده حسن].

(٦) في «مسنده» ﴿٤/١٨١﴾.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» ﴿٤/١٨١﴾ وعنه الطبراني في «الدعاء» ﴿١٤٣٦﴾ قال: حدثني الهيثم بن خارجة بسنده سواء؛ وأخرجه ابن حبان ﴿٩٤٩﴾، وابن عدي في «الكامل» ﴿٢/٤٣٨﴾ قالا: حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي؛ والطبراني في «الكبير» ﴿ج٢/رقم ١١٩٦﴾ قال: حدثنا موسى بن هارون؛ وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» ﴿١/٤١٤﴾ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ﴿١٣/٣٤٥﴾ من طريق أحمد بن يحيى الحلواني؛ والخطيب في «تاريخه» ﴿٤/٢٣٧﴾ من طريق أحمد بن الحسن بن عبد الجبار -هو الصوفي- قالوا جميعاً: ثنا الهيثم بن خارجة بسنده سواء. وتوبع الهيثم. تابعه عبد الأعلى بن مسهر، ثنا محمد بن أيوب بسنده سواء.

أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» ﴿١/٣٧٥، ٣٧٦﴾، وابن عدي ﴿٢/٤٣٨﴾، وأبو نعيم في «المعرفة» ﴿١/٤١٤﴾، وابن عساكر ﴿١٠/١٣٣؛ و١٣/٣٤٥﴾.

وتابعه أيضاً هشام بن عمار، ثنا محمد بن أيوب بن ميسرة بهذا الإسناد. =

الهيثم بن خارجة، حدثنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن ﴿حلبس﴾(١)، سمعت أبي يحدث عن ﴿بسر﴾(٢) بن أرطاة؛ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

وهذا حديث حسن؛ وليس ﴿هو﴾(٣) في شيء من الكتب الستة، وليس لصحابيه وهو بسر بن أرطاة -ويقال: ابن أبي أرطاة -حديث سواه، وسوى حديث(٤): «لا تقطع الأيدي في الغزو»(٥).

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)﴾.

وهذا -والله أعلم -فيه تسلية للرسول ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من مكة، وفارقوا مسجدهم ومصلاهم؛ وقد كان رسول(٦) الله ﷺ يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة (٧)[بين يديه؛ فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفه الله إلى الكعبة](٧) بعد؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الناسخ والمنسوخ»(٨): حدثنا حجاج بن محمد، أخبرنا ابن

= أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/٣٠ و١/٢/١٢٣)، وفي «التاريخ الصغير» (١/٢٨١)، وابن حبان (٩٤٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ١٣٢). ووقع عند ابن حبان: «أحسن عافيتنا» بالفاء لا بالقاف وقد حسن المصنف الحديث، ونقل الزبيدي في «شرح الإحياء» (٦/١٨٧؛ و٩/١٤٧) عن الحافظ العراقي أنه قال: «إسناده جيد».

(١) في (ل): «حابس».

(٢) في (ن): «بشر» بالشين المعجمة وهو خطأ.

(٣) ساقط من (ن).

(٤) وهو حديث حسن.

أخرجه الترمذي في «سننه» (١٤٥٠)، وفي «العلل الكبير» (ص٦١٢، ٦١٣) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد والدارمي (١/ ١٥٠) قال: حدثنا بشر بن عمر الزهراني؛ وأحمد (٤/ ١٨١) قال: حدثنا حسن بن موسى؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٣٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٤١٣) من طريق قتيبة بن سعيد، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ٨٤) من طريق الوليد بن مسلم؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢/رقم ١١٩٥) من طريق أسد بن موسى قالوا جميعاً: ثنا ابن لهيعة، عن عياش بن عباس، عن شييم بن بيتان، عن جنادة بن أبي أمية، عن بُسر بن أرطاة مرفوعاً... فذكره. قال الترمذي: «هذا حديث غريب».

وقال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٣٩): «لا أرى بالإسناد بأساً» ونقله عنه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ١٤٨).

(*) **قلت**: وهذا سند جيد، ولم يتفرد به ابن لهيعة.

(٥) في هامش (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».

(٦) سيأتي تخريجه إن شاء الله عند تفسير الآية (١٤٢) من سورة البقرة.

(٧) ساقط من (ج).

(٨) رقم (٢١)، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٠) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا حجاج بن محمد بسنده سواء.

وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٧) وعنه البيهقي (٢/ ١٢) من طريق محمد بن الفرج الأزرق، ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس.

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي ووافقهما الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ٥٢٨).

جريج، وعثمان بن عطاء؛ عن عطاء؛ عن ابن عباس؛ قال: أوَّل ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر لنا، والله أعلم، شأن القبلة؛ قال (الله)[(١)] تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ فاستقبل رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيق ثم صرفه الله إلى (البيت)[(٢)] العتيق ونسخها، [(٣)][وصرفه إلى البيت العتيق][(٣)] فقال:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقال علي بن أبي طلحة[(٤)]: عن ابن عباس؛ قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ [(٥)][يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ][(٥)]﴾ [البقرة: ١٤٢] وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾.

وقال عكرمة[(٦)]، عن ابن عباس: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ قال: قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً.

وقال مجاهد[(٧)]: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ (حيثما)[(٨)] كنتم فلكم قبلة تستقبلونها (للكعبة)[(٩)].

وقال ابن أبي حاتم[(١٠)] ....

---

(١) لفظ الجلالة من (ن) و(ل) و(ع).

(٢) في (ز) و(ن): «بيته»؛ وفي (ج) و(ل): «بيت».

(٣) من (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى).

(٤) وأخرجه ابن جرير (١٨٣٣) قال: حدثني المثنى، هو ابن إبراهيم؛ وأخرجه البيهقي (٢/ ١٢) من طريق عثمان بن سعيد الدارمي وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢٢) قال: حدثنا بكر بن سهل قالوا: ثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
وقال أبو جعفر النحاس في «الناسخ» (١/ ٤٦١): «وهو صحيح عن ابن عباس، والذي يطعن في إسناده يقول: ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة، وهذا القول لا يوجب طعناً؛ لأنه أخذه عن رجلين ثقتين، وهو في نفسه ثقة صدوق». انتهى.

(٥) من (ج) و(ل).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١١) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبدة بن سليمان الكلابي، عن نضر بن العربي، عن عكرمة، عن ابن عباس. وهذا سند جيد، والنضر بن عربي حسن الحديث.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٤٦)؛ وابن أبي حاتم (١١٢٩) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج قال: أخبرني إبراهيم بن بكر، عن مجاهد فذكره.
وإبراهيم بن أبي بكر الأخنسي ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ٩٠) ولم يحك فيه شيئاً. وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ١٤) وقال الذهبي: «محله الصدق» ولم يتفرد به فتابعه النضر بن عربي، فرواه عن مجاهد نحوه. [وسنده حسن].

(٨) في (ل): «قبلة الله حيثما»، وليست في سائر «الأصول» ولا في «الطبري» (٢/ ٥٣٤).

(٩) في (ز) و(ل) و(ن): «الكعبة».

(١٠) في «تفسيره» (١/ ٣٤٦). وقد أخرج أكثر هذه الآثار.

=

ـ بعد رواية الأثر المتقدم ـ، عن ابن عباس (في)[(١)] نسخ القبلة، عن عطاء، عنه: وروي عن أبي العالية، والحسن، وعطاء الخراساني، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم نحو ذلك.

وقال ابن جرير[(٢)]: وقال آخرون: بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة؛ وإنما (أنزلها تعالى) [(٣)] ليعلم نبيه ﷺ وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب؛ لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحيةً إلا كان جل ثناؤه في ذلك (الوجه)[(٤)] وتلك الناحية؛ لأن له تعالى المشارق والمغارب، وأنه لا يخلو منه مكان؛ كما قال تعالى: ﴿[(٥)][وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ][(٥)] وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ﴾ [المجادلة: ٧] قالوا: ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم التوجه إلى المسجد الحرام؛ هكذا قال.

وفي قوله[(٦)]: وإنه تعالى لا يخلو منه مكان إن أراد علمه تعالى فصحيح؛ فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورةً في شيء من خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال ابن جرير[(٧)]: وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ إذناً من الله أن يصلي التطوع حيث توجه من شرق أو غرب في مسيره في سفره، وفي حال المسايفة[(٨)]، وشدة الخوف، حدثنا أبو كريب[(٩)]، حدثنا ابن إدريس، حدثنا عبد الملك ـ هو ابن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر ـ أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته؛ ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك. ويتأول هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾.

ورواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طرق عن عبد الملك بن

= فأما أثر قتادة فأخرجه الترمذي (٥/٢٠٦) قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب؛ وابن جرير (١٨٣٥) قال: حدثنا بشر بن معاذ قالا: ثن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٨٣٦، ١٨٣٧) من وجهين آخرين عن قتادة. [وسنده صحيح]. وأما أثر السدي فهو عند ابن جرير (١٨٣٤). [بسند حسن]. وكذلك أثر عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم (١٨٣٨). [وسنده صحيح]. ووقع في مطبوعة «ابن جرير»: «... ابن وهب قال سمعته، يعني زيد، وصوابه: «ابن زيد» وهو عبد الرحمٰن».

(١) في (ج): «ثم»!

(٢) في «تفسيره» (٢/٥٢٨) وتصرف المصنف في لفظ الطبري قليلاً.

(٣) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك)؛ وفي (ن): «أنزلها»؛ وفي (ل): «أنزلها الله تعالى».

(٤) في (ك): «التوجيه»!

(٥) من (ن) وهو في «تفسير الطبري».

(٦) تعقب الشيخ شاكر رحمه الله ابن كثير في هذا التنبيه فقال في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/٥٢٨): «الذي قاله ابن كثير هو عقيدة أبي جعفر رحمه الله وقد بين ذلك في تفسير سورة المجادلة من «تفسيره» (٢٨/١٠)، فلا معنى لتشكك ابن كثير في كلام إمام ضابط من أئمة أهل الحق، وعبارته صحيحة اللفظ، ولكن أهل الأهواء جعلوا الناس يفهمون من عربية الفصحاء معنًى غير المعنى الذي تدل عليه». انتهى.

(٧) في «تفسيره» (٢/٥٣٠).

(٨) المسايفة: يعني: المجالدة بالسيف في حال الحرب.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨٣٩) قال: حدثنا أبو كريب، هو محمد بن العلاء؛ وأخرجه أحمد (٥٠٠١) قالا: ثنا عبد الله بن إدريس بهذا الإسناد سواء؛ وأخرجه مسلم (٧٠٠/٣٣).

أبي سليمان، به. وأصله في «الصحيحين» من حديث[1] ابن عمر، وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية.

وفي «صحيح[2] البخاري» من حديث نافع، عن ابن عمر ـ أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها؛ ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم، وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها.

قال نافع: ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي ﷺ.

[3][مسألة: ولم يفرق الشافعي[4] في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدوى[5]؛ فالجميع (عنده)[6] يجوز التطوع فيه على الراحلة، وهو قول أبي حنيفة، خلافاً لمالك وجماعته. واختار أبو يوسف وأبو سعيد الإصطخري التطوع على الدابة في المصر. وحكاه أبو يوسف، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واختاره أبو جعفر الطبري حتى للماشي أيضاً][3].

قال ابن جرير[7]: وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها، فصلوا على أنحاء مختلفة، فقال الله (تعالى)[8]: لي المشارق والمغارب فأين وليتم وجوهكم (فهنالك)[9] وجهي، وهو قبلتكم (فيعلمكم)[10] بذلك أن صلاتكم ماضية.

حدثنا (أحمد)[11] بن إسحاق الأهوازي، أخبرنا أبو أحمد الزبيري، أخبرنا أبو الربيع السمان،

---

(١) أما حديث ابن عمر فيرويه سالم قال: كان عبد الله، يعني: ابن عمر، يصلي على دابته من الليل وهو مسافر، ما يبالي حيث ما كان وجهه. قال ابن عمر: وكان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قبل أي وجه توجه، ويوتر عليها غير أنه لا يصلي المكتوبة؛ أخرجه البخاري (٢/ ٥٧٥، ٥٧٨) والسياق له؛ ومسلم (٥/ ٢١٠ نووي).

(٢) في «كتاب التفسير» (٨/ ١٩٩).

(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى).

(٤) ونقل القرطبي في «تفسيره» (٢/ ٨١) عن الشافعي قال: «يجوز التطوع على الراحلة خارج المصر في كل سفر، وسواء كان مما تقصر فيه الصلاة أو لا؛ لأن الآثار ليس فيها تخصيص سفر من سفر».

(٥) العدوة: هو المكان البعيد. يعني: أنه لا يفرق بين السفر القريب والبعيد.

(٦) في (ن): «عنه».

(٧) في «تفسيره» (٢/ ٥٣١ ـ شاكر).

(٨) من (ن)؛ وفي (ك): «فقال الله تعالى لهم».

(٩) في (ك): «فهناك».

(١٠) في (ج) و(ل): «يعلمكم».

(١١) في (ن): «محمد» وهو خطأ. وشيخ الطبري هو أحمد بن إسحاق بن عيسى الأهوازي وهو من شيوخ أبي داود ومترجم في «التهذيب». قال النسائي: «صالح».

وأخرجه ابن جرير (١٨٤١)؛ وأبو أحمد الزبيري هو محمد بن عبد الله بن الزبير؛ وأخرجه الترمذي (٣٤٥)؛ وأبو علي الطوسي في «المستخرج على الترمذي» (١٩٠)؛ وابن ماجه (١٠٢٠)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣١٦)؛ وابن جرير (١٨٤٣)؛ وابن أبي حاتم (١١٢٧) كلاهما في «التفسير»؛ والطبراني في «الأوسط» (٤٦٠)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣١)؛ والدارقطني (١/ ٢٧٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٩)؛ والواحدي في «أسباب النزول» (ص٣٥) من طرق عن أبي الربيع السمان: أشعث بن سعيد، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه.

قال الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بذاك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يضعف في الحديث».

وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عاصم بن عبيد الله، إلا أبو الربيع السمان».

وقال العقيلي في ترجمة أبي الربيع: «لا يتابع عليه، وليس يروى من وجه يثبت متنه».

عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة، فنزلنا منزلاً، فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يصلي فيه، فلما (أن)[1] أصبحنا إذا نحن قد صلينا (على)[2] غير القبلة، فقلنا: يا رسول الله، لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة!؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ...﴾ الآية.

ثم رواه[3] عن سفيان بن وكيع، عن أبيه، عن أبي الربيع السمان، بنحوه.

ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان، عن وكيع؛ وابن ماجه، عن يحيى بن حكيم، عن أبي داود، عن أبي الربيع السمان.

ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن سعيد بن سليمان، عن أبي الربيع السمان ـ واسمه أشعث بن سعيد البصري. وهو ضعيف الحديث.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، وليس إسناده بذاك، ولا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث يضعف[4] في الحديث».

قلت: وشيخه (عاصم)[5] أيضاً ضعيف (الحديث)[6].

قال البخاري: «منكر الحديث». وقال ابن معين: «ضعيف لا يحتج به» وقال ابن حبان: «متروك». والله أعلم.

وقد روى من طريق آخر عن جابر[7]؛ فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذا الآية: حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، حدثنا الحسن بن علي بن شبيب، حدثني أحمد بن عبيد الله بن الحسن؛ قال: وجدت في كتاب أبي: حدثنا عبد الملك العرزمي، عن عطاء، عن جابر؛ قال: بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها، فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة هي ها هنا قبل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطاً، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ، فسكت؛ وأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

ثم رواه من حديث محمد بن[8] عبيد الله العرزمي، عن عطاء، عن جابر، به.

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).
(٢) في (ن): «إلى».
(٣) يعني: ابن جرير (١٨٤٣).
(٤) وقد تابعه عمرو بن قيس كما مر ذكره آنفاً. والله أعلم.
(٥) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل).
(٦) من (ك).
(٧) أخرجه الدارقطني (١/٢٧١) ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص٣٤) قال: حدثنا إسماعيل بن علي أبو محمد، ثنا الحسن بن علي بن شبيب بسنده سواء؛ وأخرجه البيهقي (٢/١١) من طريق محمد بن الحارث العسكري، ثنا أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري قال: وجدت في كتاب أبي وساق الحديث.
قال البيهقي: «لم نعلم لهذا الحديث إسناداً صحيحاً قوياً، وذلك لأن عاصم بن عبيد الله بن عمر العمري ومحمد بن عبيد الله العرزمي، ومحمد بن سالم الكوفي كلهم ضعفاء، والطريق إلى عبد الملك العرزمي غير واضح لما فيه من الوجادة وغيرها».
(٨) أخرجه البيهقي (٢/١١) من طريق ابن وهب، أخبرنا الحارث بن نبهان، عن محمد بن عبيد الله عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر فذكره.

=

وقال الدارقطني[١]: قرئ على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أسمع: حدثكم داود بن عمرو: حدثنا محمد بن (يزيد)[٢] الواسطي، عن محمد بن سالم، عن عطاء، عن جابر؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير، فأصابنا غيم فتحيرنا؛ فاختلفنا في القبلة، فصلى كل (رجل)[٣] منا على حدة، وجعل أحدنا يخط بين يديه؛ لنعلم أمكنتنا؛ فذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فلم يأمرنا بالإعادة؛ وقال: «قد (أُجزأت)[٤] صلاتكم».

ثم قال الدارقطني: كذا قال: «عن محمد بن سالم، وقال غيره، عن محمد بن عبيد الله العرزمي، عن عطاء ـ وهما ضعيفان ـ».

ورواه ابن مردويه[٥] أيضاً من حديث الكلبي، عن أبي صالح؛ عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث سريةً؛ فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة فصلوا لغير القبلة؛ ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة؛ فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدثوه؛ فأنزل الله (ﷻ)[٦] هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾.

وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله[٧] يشد بعضها بعضاً؛ وأما إعادة الصلاة لمن تبين (له)[٨] خطؤه ففيها قولان للعلماء، وهذه (دلائل)[٩] على عدم القضاء. والله أعلم.

قال ابن جرير[١٠]: وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي، كما حدثنا[١١] محمد بن بشار، حدثنا (معاذ بن هشام)[١٢]، حدثني أبي، عن قتادة ـ أن النبي ﷺ قال: إن أخاً لكم قد مات، فصلوا عليه. قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال: فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

= وسنده ضعيف جداً. والحارث بن نبهان منكر الحديث كما قال أحمد والبخاري والفسوي وغيرهم وتركه أبو حاتم والنسائي. وقال ابن معين: «لا يكتب حديثه».
والعرزمي مثله أو أضعف منه فقد تركه ابن المبارك ويحيى القطان والفلاس وعلي بن الجنيد والأزدي. وكذلك تركه ابن مهدي وابن معين وضعفه أبو حاتم الرازي جداً وقال النسائي: «لا يكتب حديثه ليس بثقة».

(١) في «سننه» (١/ ٢٧١) ومن طريقه البيهقي (٢/ ١٠).
وأخرجه الحاكم (١/ ٢٠٦) من طريق أحمد بن علي الخراز؛ والبيهقي (٢/ ١٠) من طريق أحمد بن بشر والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق١٦/ ٢ ـ زوائده) قالوا: ثنا داود بن عمرو بسنده سواء.
قال الحاكم: «هذا حديث محتج برواته كلهم غير محمد بن سالم فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح». فتعقبه الذهبي قائلاً: «هو أبو سهل، واه».

(٢) في (ل): «زيد»!
(٣) ساقط من (ز).
(٤) في (ن): «أجازت».
(٥) وسنده ساقط. والكلبي تالف البته.
(٦) في (ن): «تعالى».
(٧) هذا بعيد، وإنما تتقوى الأسانيد الضعيفة إذا كان الضعف يسيراً، أما هذه الأسانيد فهي ساقطة عن حد الاحتجاج بها والله أعلم.
(٨) من (ن).
(٩) في (ج) و(ل): «الدلائل».
(١٠) في «تفسيره» (٢/ ٥٣٢).
(١١) أخرجه ابن جرير (١٨٤٤) وسنده ضعيف لإرساله أو لإعضاله. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٠٩) لابن المنذر.
(١٢) في (ز): «هشام بن معاذ»!! وهو خطأ محقق. وهو معاذ بن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي أحد الثقات، وجل روايته عن أبيه.

﴿ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] قال قتادة: فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة، فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

وهذا غريب. والله أعلم.

(فائدة)[(١)]:

[(٢)]وقد قيل: إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه الناسخ إلى الكعبة، كما حكاه القرطبي[(٣)] عن قتادة.

وذكر القرطبي[(٣)] [(٤)][أنه ﷺ لما مات صلى عليه][(٤)]، فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب؛ قال: وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه[(٥)]:

أحدها: أنه ﷺ شاهده حين سوى عليه؛ طويت له الأرض.

الثاني: أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه صلى عليه. واختاره ابن العربي. قال القرطبي: ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه. وقد أجاب ابن العربي عن هذا: لعلهم لم يكن عندهم][(٢)] [(٦)][شرعية الصلاة على الميت. وهذا جواب جيد.

الثالث: أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك. (والله أعلم)[(٧)]][(٦)].

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث أبي معشر، [(٨)][عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق» وله مناسبة ها هنا.

وقد أخرجه الترمذي[(٩)]، وابن ماجه، من حديث أبي معشر][(٨)]، واسمه نجيح بن عبد الرحمٰن السندي المدني، به: «ما بين المشرق والمغرب قبلة».

وقال الترمذي: «وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبل حفظه؛ ثم قال الترمذي[(١٠)]: حدثني الحسن بن (بكر)[(١١)] المروزي، حدثنا المعلى بن

---

(١) من (ن).
(٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى).
(٣) في «تفسيره» (٢/ ٨٢).
(٤) كذا في (ج) و(ل)؛ وفي (ن): «إنه لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ». وهو أوضح في المعنى.
(٥) وأقوى هذه الوجوه ما اختاره ابن العربي رحمه الله.
(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى).
(٧) من (ن).
(٨) ساقط من (ج).
(٩) أخرجه الترمذي (٣٤٢، ٣٤٣)؛ وابن ماجه (١٠١١)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٠٩)؛ والطبراني في «الأوسط» (٢٩٢٤) من طريق أبي معشر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن محمد بن عمرو إلا أبو معشر».
(*) قلت: وهو ضعيف كما قال الترمذي.
(١٠) في «سننه» (٣٤٤) ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٢٧) والحسن بن بكر شيخ الترمذي قال مسلمة بن قاسم: «مجهول» أما الحافظ فقال في «التقريب»: «صدوق».
(١١) في (ل): «أبي بكر» وكذلك وقع في «سنن الترمذي» وما ذكرته هو الصواب كما يعلم من «التهذيب».

منصور، حدثنا عبد الله بن جعفر (المخرمي)[١]، عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنسي، عن (سعيد)[٢] المقبري، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)[٣]، عن النبي ﷺ؛ قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»؛ ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وحكى عن البخاري أنه قال: «هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح».

قال الترمذي: «وقد روى عن غير واحد من الصحابة: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»؛ منهم: عمر بن الخطاب[٤]، وعلي[٥]، وابن عباس[٦] (رضي الله عنهم أجمعين)[٧]».

وقال ابن عمر[٨]: «إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة إذا استقبلت القبلة».

ثم قال ابن مردويه: حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمٰن، حدثنا يعقوب بن يوسف مولى بني

---

(١) في (ن): «المخزومي» وهو خطأ. قال الترمذي: «وإنما قيل: عبد الله بن جعفر «المخرمي»؛ لأنه من ولد «المسور بن مخرمة».

(٢) في (ن): «أبي سعيد»؛ وفي (ك): «شعبة»! وكلاهما خطأ، وهو سعيد بن أبي سعيد المقبري.

(٣) من (ن).

(٤) أما أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصحيح.
أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٦١، ٣٦٢) قال: حدثنا أبو أسامة وعبد الرزاق (ج٢/رقم ٣٦٣٣) عن الثوري؛ والبيهقي (٢/ ٩) من طريق يحيى بن سعيد القطان قالوا: ثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر. وهذا سند صحيح وعبيد الله بن عمر من نجوم أصحاب نافع. وتابعه نافع بن أبي نعيم فرواه عن نافع بسنده سواء وزاد: «إذا توجهت قبل البيت»؛ أخرجه البيهقي (٢/ ٩) من طريق خالد بن مخلد، ثنا نافع بن أبي نعيم. وهذا متابعة جيدة. وتابعه أيضاً عبد الله العمري، عن نافع بسنده سواء، أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٦٢) قال: حدثنا وكيع نا العمري. والعمري ضعيف لكنه متابع. وقد أشار البيهقي إلى أن آخرين رووه عن نافع هكذا.
ولكن خالفهم مالك فرواه في «الموطأ» (١/ ١٩٦/ ٨) عن نافع أن عمر بن الخطاب وذكره مثل لفظ نافع بن أبي نعيم. وتابعه أيوب السختياني فرواه عن نافع قال: قال عمر بن الخطاب... أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٦٢) قال: حدثنا ابن علية، عن أيوب. وهذا منقطع بين نافع وعمر بن الخطاب والرواية الموصولة صحيحة. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٦٢) قال: حدثنا وكيع قال: نا إسرائيل، عن عبد الأعلى عن عامر الشعبي، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: ما بين المشرق والمغرب قبلة.
(*) **قلت**: وكذا وقع في «المصنف»: «عبد الأعلى عن عامر الشعبي» وهو عندي خطأ محض، وصوابه: «عبد الأعلى بن عامر الثعلبي» وهو يروى عن أبي عبد الرحمٰن السلمي واسمه: عبد الله بن حبيب. وسند هذا الأثر ضعيف لضعف عبد الأعلى.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً وفي سنده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي.

(٧) من (ن).

(٨) أخرجه الترمذي (٢/ ١٧٤) معلقاً ووصله ابن أبي شيبة (٢/ ٣٦٢) قال: حدثنا وكيع، نا المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن ابن عمر وهذا سند جيد والمسعودي اسمه: عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتبة كان اختلط. ولكن سماع وكيع منه قديم فإنه سمع منه بالكوفة كما قال أحمد وغيره. وقد خالفه حجاج بن أرطاة فرواه عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن عبد الله بن عمرو. ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٣٣٢) من طريق حماد بن سلمة عن حجاج. وسأل أباه عنه فرجح رواية المسعودي وأن الأثر عن «ابن عمر» لا عن «ابن عمرو».

هاشم، حدثنا شعيب بن أيوب، حدثنا ابن نمير، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ؛ قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة».

وقد رواه الدارقطني(١) والبيهقي؛ وقال: «المشهور عن ابن عمر، عن عمر (رضي الله عنهما)(٢)، قوله».

قال ابن جرير(٣): ويحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهنالك وجهي أستجيب لكم دعاءكم؛ كما حدثنا القاسم(٤)، حدثنا الحسين، حدثني حجاج؛ قال: قال ابن جريج: قال مجاهد: لما نزلت: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] قالوا: إلى أين؟ فنزلت: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾.

قال ابن جرير(٥): ومعنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال. وأما قوله: ﴿عَلِيمٞ﴾ فإنه يعني عليم بأعمالهم، ما يغب عنه منها شيء، ولا يعزب عن علمه؛ بل هو بجميعها عليم.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

اشتملت هذه الآية الكريمة والتي (تليها)(٦) على الرد على النصارى، عليهم لعائن الله، وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب؛ (من)(٧) جعل الملائكة بنات الله، فأكذب الله جميعهم في دعواهم، وقولهم: إن لله ولداً؛ فقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً.

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: ليس الأمر كما افتروا؛ وإنما له ملك السماوات والأرض (ومن فيهن)(٨)؛ وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومقدرهم ومسخرهم، ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء؛ والجميع عبيد له وملك له؛ فكيف يكون له ولد منهم؛ والولد إنما يكون متولداً من الشيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه، ولا صاحبة له؛ فكيف يكون له ولد؟ كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٢٠٥) وعنه البيهقي (٢/ ٩) قال: حدثنا أبو علي محمد بن علي الإسفرائيني؛ وأخرجه الدارقطني (١/ ٢٧٠)، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (ج٧٣/ ق٥٦٥/ ٢) قالا: يعني الدارقطني وشيخ الحاكم، ثنا أبو يوسف يعقوب بن يوسف الواسطي ثنا شعيب بن أيوب بهذا الإسناد سواء.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فإن شعيب بن أيوب ثقة وقد أسنده». وقال البيهقي: «تفرد به يعقوب بن يوسف الخلال والمشهور رواية الجماعة: حماد بن سلمة، وزائدة بن قدامة، ويحيى بن سعيد وغيرهم، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قوله». انتهى.

(٢) من (ن).

(٣) في «تفسيره» (٢/ ٥٣٤ ـ شاكر).

(٤) هو في «تفسير ابن جرير» (١٨٤٧) وسنده ضعيف.

(٥) في «تفسيره» (/ ٥٣٧).

(٦) في (ز) و(ض): «قبلها».

(٧) في (ز) و(ض) و(ن): «ممن».

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).

دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

(فقرر)[١] تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له، وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد؟

ولهذا قال البخاري[٢] في تفسير هذه الآية من البقرة: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد الله بن أبي الحسين، حدثنا نافع بن جبير ـ هو ابن مطعم ـ عن ابن عباس، عن النبي ﷺ؛ قال: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان. وأما شتمه إياي فقوله: إن لي ولداً (فسبحاني)[٣] أن اتخذ صاحبةً أو ولداً».

انفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال ابن مردويه[٤]: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، حدثنا (إسحاق)[٥] بن محمد الفروي، حدثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم (ولم ينبغ)[٦] له أن يكذبني، وشتمني (ولم ينبغ)[٦] له أن يشتمني، (أما)[٧] تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ (من إعادته)[٨]. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً. وأنا الله الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».

وفي «الصحيحين»[٩] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا أحد أصبر على أذىً سمعه من الله؛ إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم».

وقوله (تعالى)[١٠]: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قال ابن أبي حاتم[١١]: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أسباط، عن مطرف، عن عطية، عن ابن عباس؛ قال: (قانتين) مصلين.

---

(١) في (ك): «يقرر».

(٢) في «كتاب التفسير» (٨/١٦٨ ـ فتح) وفي سياق المصنف هنا تغيير يسير.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٠/رقم ١٠٧٥١) قال: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، ثنا أبو اليمان بسنده سواء.

(٣) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «صحيح البخاري»؛ وفي (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى): «سبحاني».

(٤) أخرجه البخاري في «كتاب التفسير» (٨/٧٣٩). (٥) في (ن): «محمد بن إسحاق»!

(٦) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ى)؛ وفي (ن): «ما ينبغي» في الموضعين؛ وفي (ز) و(ل): «ولم ينبغي» بإثبات الياء في الموضع الأول.

(٧) في (ن): «فأما». (٨) في (ك): «بإعادته».

(٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٠/٥١١). (١٠) من (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى).

(١١) في «تفسيره» (١١٣٨) وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف.

وقال عكرمة(١)، وأبو مالك(٢): ﴿كُلٌّ لَّهُۥ (قَٰنِتُونَ)(٣)﴾ مقرون له بالعبودية.

وقال سعيد بن جبير(٤): كل له قانتون: يقول: الإخلاص.

وقال الربيع بن أنس(٥): يقول: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ [قَٰنِتُونَ](٣)﴾ (يقول)(٦): قائم يوم القيامة.

وقال السدي(٧): ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ (يقول)(٨) مطيعون يوم القيامة.

وقال خصيف(٩)، عن مجاهد: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قال: مطيعون؛ كن إنساناً فكان، وقال: كن حماراً فكان.

وقال ابن أبي نجيح(١٠)، عن مجاهد: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون (يقول)(١١): طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره. وهذا القول عن مجاهد، وهو اختيار ابن جرير يجمع الأقوال كلها؛ وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة إلى الله، (وذلك)(١٢) شرعي وقدري؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد].

وقد ورد حديث فيه بيان القنوت في القرآن ما هو المراد به؛ كما قال ابن أبي حاتم(١٣): حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث ـ أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة».

وكذا رواه الإمام أحمد، عن (حسن)(١٤) بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج بإسناده، مثله. (١٥)[ولكن هذا الإسناد ضعيف](١٥) لا يعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكر؛ وقد يكون من (كلام)(١٦) الصحابي، أو من دونه. والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٥٦) عن يحيى بن واضح؛ وابن أبي حاتم (١١٣٩) عن علي بن الحسين بن واقد قالا: ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي، عن عكرمة وسنده جيد.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم (١/ ٣٥٠) ولم أقف عليه. وإسناده في الغالب هو إسناد السدي. فإن يكنه فهو حسن. والله أعلم.

(٣) من (ن).

(٤) أخرجه ابن جرير (٦/ ٤٠٣) من طريق الحماني؛ وابن أبي حاتم (١١٤١) من طريق يحيى بن إسحاق وحبان ثلاثتهم عن ابن المبارك، عن شريك، عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير. ولفظ ابن جرير: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣] قال سعيد: قال: أخلصي لربك. [وسنده حسن].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٠). [وسنده جيد].

(٦) في (ن): «أي».

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٥٣). [وسنده حسن].

(٨) في (ن): «قال».

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٧) بسند ضعيف.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٨٥١)؛ وابن أبي حاتم (١١٣٦) من طريقين عن أبي نجيح، عن مجاهد. وهو في «تفسير [آدم بن أبي إياس المنسوب إلى] مجاهد» (ص٢١٢). [وسنده صحيح].

(١١) في (ن): «قال».

(١٢) في (ن): «وهو».

(١٣) في «تفسيره» (١١٣٥) وهو حديث ضعيف.

وأخرجه ابن حبان (١٧٢٣ ـ موارد)؛ والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ج٣/ ق٢٥٤/ ١)؛ والطبراني في «الأوسط» (٥١٨١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٥) من طرق عن عبد الله بن وهب بهذا الإسناد سواء.

(١٤) في (ج): «حسين»! وهو حسن بن موسى الأشيب من ثقات شيوخ أحمد.

(١٥) في (ن): «ولكن في هذا الإسناد ضعف».

(١٦) في (ك): «حديث».

وكثيراً ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة، فلا يغتر بها؛ فإن السند ضعيف. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما على غير مثال سبق؛ قاله مجاهد، والسدي[(١)]: وهو مقتضى اللغة؛ ومنه يقال للشيء المحدث: بدعة، كما جاء في «صحيح مسلم»[(٢)]: «فإن كل محدثة بدعة».

والبدعة على قسمين: تارة تكون بدعةً شرعيةً؛ كقوله: «فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»؛ وتارة تكون بدعةً لغويةً؛ كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: «نعمت البدعة هذه»[(٣)].

وقال ابن جرير[(٤)]: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما، وإنما هو «مفعل»، فصرف إلى «فعيل»، كما صرف «المؤلم» إلى «الأليم»، و«المسمع» إلى «السميع». ومعنى المبدع: المنشئ والمحدث ما لا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد.

قال[(٤)]: ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعاً؛ [(٥)][لإحداثه فيه ما لم (يسبق)[(٦)] إليه غيره، وكذلك كل محدث قولاً أو فعلاً لم يتقدم فيه متقدم، فإن العرب تسميه مبتدعاً][(٥)] ومن ذلك قول أعشى بن ثعلبة في مدح هوذة بن علي الحنفي:

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٥٩) قال: حدثني موسى، وابن أبي حاتم (١١٤٣) قال: حدثنا أبو زرعة قالا: ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، ثنا أسباط، عن السدي قال: ابتدعها، فخلقها، ولم يخلق قبلها شيء فيتمثل به. لفظ ابن جرير.
وعند ابن أبي حاتم: «لم يخلق قبلها شيئاً». [وسنده حسن].

(٢) كذا قال المصنف رحمه الله، ولم يخرج مسلم هذا المقطع من الحديث.
وأخرجه الدارمي (١/ ٦١) من طريق يحيى بن سليم؛ وأحمد (٣/ ٣١٠، ٣١١) قال: حدثنا مصعب بن سلام؛ وأبو يعلى (٢١١١٩) من طريق وهيب ثلاثتهم عن جعفر بن محمد هذا الإسناد مطولاً ومختصراً ولم يقع عند واحد منهم: «كل محدثة بدعة».
إنما وقع هذا اللفظ في رواية سفيان الثوري عن جعفر بن محمد بهذا الإسناد وفيه: «... وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» أخرجه مسلم (٨٦٧/ ٤٣) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن سفيان به ولكنه لم يسق لفظه وقال: «بمثل حديث الثقفي» ومعنى قوله: «بمثل» أن لفظ الثوري مثل لفظ عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وقد تقدم أن رواية الثقفي ليس فيها هذا المقطع من الحديث. ولكن أخرجه أحمد (٣/ ٣٧١)؛ والبيهقي (٣/ ٢١٤) من طريق ابن أبي شيبة قالا: ثنا وكيع، عن سفيان الثوري بهذا الإسناد وعندهم: «كل محدثة بدعة» ورواه أيضاً عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثوري بهذا الإسناد مثل رواية وكيع لكنه زاد: «وكل ضلالة في النار»؛ أخرجه النسائي في «المجتبى» (٣/ ١٨٨، ١٨٩)؛ وفي «كتاب العلم» (٣/ ٤٤٩، ٤٥٠ ـ الكبرى)؛ وابن خزيمة (١٧٨٥)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٨٩) من طريق عتبة بن عبد الله، قال: أنبأنا ابن المبارك. وهذا في «مسنده» (٨٧) مختصراً، عن سفيان الثوري وتابعه حبان بن موسى ثنا ابن المبارك بسنده سواء.
أخرجه الآجرى في «الشريعة» (ص٤٥)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٨٢) وقال أبو نعيم: «صحيح ثابت».

(٣) أخرجه البخاري في «كتاب صلاة التراويح» (٤/ ٢٥٠).

(٤) في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ك) و(ن): «يسبقه» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

يُـرعـى[١] إلـى قـول سـادات الـرجـال إذا أبـدوا لـه الـحـزم أو مـا شـاءه ابـتـدعـا

أي: يحدث ما شاء.

قال ابن جرير[٢]: فمعنى الكلام: سبحان الله (أنَّى)[٣] يكون (لله)[٤] ولد وهو مالك ما في السماوات والأرض، تشهد له جميعها بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة، وهو بارئها وخالقها وموجدها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه؛ وهذا إعلام من الله (عباده)[٥] أن ممن (يشهد له)[٦] بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله بنوته، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السماوات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته؛ وهذا من ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ كلام جيد وعبارة صحيحة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يبين بذلك تعالى كمال قدرته، (وعظيم)[٧] سلطانه، وأنه إذا قدَّر أمراً، وأراد كونه، فإنما يقول له: كن؛ أي: مرةً واحدةٍ، فيكون؛ أي: فيوجد على وفق ما أراد؛ كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر].

وقال الشاعر:

إذا مـا أراد الله أمـراً فـإنـمـا يـقـول لـه كـن قـولـةً فـيـكـون

ونبه تعالى (بذلك)[٨] أيضاً على أنه خلق عيسى بكلمة «كن»، فكان كما أمره الله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

قال محمد بن إسحاق[٩]: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه؛ فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾.

---

(١) يرعى: يصغى.
(٢) في «تفسيره» (٢/ ٥٤١).
(٣) في (ن): «أن».
(٤) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ن): «له» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».
(٥) في (ن): «لعباده».
(٦) في (ج): «شهد له».
(٧) في (ج): «عظم».
(٨) في (ج): «ذلك».
(٩) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٠٢)، ومن طريقه ابن جرير (١٨٦٢)؛ وابن أبي حاتم (١١٤٧) من طريق سلمة بن الفضل، زاد ابن جرير: ويونس بن بكير، قالا: ثنا محمد بن إسحاق بسنده سواء. [وسنده حسن].

[(١)][وقال (ابن أبي نجيح، عن)[(٢)] مجاهد (في قوله)[(٣)]: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ﴾][(١)] قال: النصارى تقوله، وهو اختيار ابن جرير؛ قال: لأن السياق فيهم. وفي ذلك نظر.

[(٤)][وحكى القرطبي[(٥)]: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي: يخاطبنا بنبوتك يا محمد. قلت: وهو ظاهر السياق. والله أعلم][(٤)].

وقال أبو العالية[(٦)]، والربيع بن أنس[(٧)]، وقتادة[(٨)]، والسدي[(٩)] في تفسير هذه الآية: هذا قول كفار العرب.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قالوا: هم اليهود والنصارى. ويؤيد هذا القول وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به؛ إنما هو الكفر والمعاندة، كما قال من قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم؛ كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في

---

(١) ساقط من (ض).

(٢) من (ك).

وهذا الأثر في «تفسير مجاهد» (ص٢١٢) من طريق آدم بن أبي إياس نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٩) من طريق شبابة عن ورقاء به؛ وأخرجه ابن جرير (١٨٦٠) من طريق عيسى بن ميمون الجرشي. وأيضاً (١٨٦١) من طريق شبل بن عباد كلاهما عن ابن أبي نجيح به. [وسنده صحيح].

(٣) ساقط من (ن)؛ وفي (ك): «في قول الله ﷻ».

(٤) من (ج) و(ل) و(ن).

(٥) في «تفسيره» (٢/ ٩٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٨). [وسنده جيد].

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٦٤). [وسنده جيد].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٨٦٣). [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨٦٥). [وسنده حسن].

الكفر والعناد والعتو؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات].

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ أي: قد أوضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر، وزيادة أخرى لمن (أيقن)[1] وصدق، واتبع الرسل، وفهم ما جاءوا به عن الله تبارك وتعالى. وأما من ختم الله على قلبه وسمعه، وجعل على بصره غشاوة، فأولئك قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ[2] ۝٩٧﴾ [يونس].

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٩﴾.

قال ابن أبي حاتم[3]: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمٰن بن صالح، حدثنا عبد الرحمٰن بن محمد بن (عبيد الله)[4] الفزاري، عن شيبان النحوي، أخبرني قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ؛ قال: «أنزلت على ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ قال: بشيراً بالجنة، ونذيراً من النار».

وقوله: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ قراءة (أكثرهم)[5]: ولا تسأل ـ بضم التاء على الخبر. وفي قراءة أُبي بن كعب: «وما تُسأل». وفي قراءة ابن مسعود: «ولن تُسأل عن أصحاب الجحيم»[6]؛ نقلها ابن جرير؛ أي: لا نسألك عن كفر من كفر بك؛ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وكقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية] وكقوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق] وأشباه ذلك من الآيات.

وقرأ آخرون: «ولا تَسأل عن أصحاب الجحيم» ـ بفتح التاء على النهي؛ أي: لا تسأل عن حالهم، كما قال عبد[7] الرزاق: أخبرنا الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب

---

(١) في (ك): «اتقى».

(٢) في هامش (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله فسح الله في مدته».

(٣) في «تفسيره» (١١٥٥، ١١٥٦) وسنده ضعيف وعبد الرحمٰن بن محمد بن عبيد الله قال أبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢/ ٢٨٢): «ليس بقوي» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٩١) وقال: «يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه». وقتادة لم يصرح بتحديث. والله أعلم.

(٤) في (ع) و(ك) و(ن) و(ى): «عبد الله»!

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(ن)؛ وفي (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ى): «بعضهم» وما أثبته هو الصواب. وقرأ نافع ويعقوب: «ولا تسأل».

(٦) [وهي قراءة شاذة].

(٧) في «تفسيره» (١/ ٥٩) ومن طريقه ابن جرير في «تفسيره» (١٨٧٦).

وتوبع الثوري. تابعه سفيان بن عيينة، فرواه عن موسى بن عبيدة بسنده سواء.

أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٨) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان. وتابعه أيضاً وكيع بن الجراح عن موسى بن عبيدة بسنده سواء؛ أخرجه ابن جرير (١٨٧٥) قال: حدثنا أبو كريب، قال: =

القرظي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعري ما فعل أبواي. ليت شعري ما فعل أبواي. ليت شعري ما فعل أبواي»؟ فنزلت: «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم»؛ فما ذكرهما حتى توفاه الله ﷻ.

ورواه ابن جرير، عن أبي كُريب، عن وكيع، عن موسى بن عبيدة (به مثله)[١] [٢][وقد تكلموا[٣] فيه عن محمد بن كعب بمثله. وقد حكاه القرطبي[٤]، عن ابن عباس، ومحمد بن كعب؛ قال القرطبي[٤]: وهذا كما يقال: لا تسأل عن فلان؛ أي: قد بلغ فوق ما تحسب، وقد ذكرنا في «التذكرة»[٥] أن الله أحيا له أبويه وأجبنا عن قوله][٢]: [٦][«إن أبي وأباك في النار».

قلت: والحديث المروي في حياة أبويه ﷺ ليس في شيء من الكتب الستة، ولا غيرها (من المعتمدة)[٧]، وإسناده ضعيف[٨]][٦].

[٩][والله أعلم][٩].

ثم قال (ابن جرير)[١٠]: وحدثني القاسم[١١]، أخبرنا الحسين، حدثني حجاج، عن ابن جريج، أخبرني داود بن أبي عاصم: أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «أين أبواي؟» فنزلت: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

وهذا مرسل كالذي قبله.

وقد رد ابن جرير[١٢] هذا القول المروي عن محمد بن كعب (القرظي)[١٣] وغيره في ذلك، لاستحالة الشك من الرسول ﷺ في أمر أبويه؛ واختار القراءة الأولى[١٤]؛ وهذا الذي سلكه ها

= حدثنا وكيع. وسنده ضعيف جداً. وموسى بن عبيدة ضعيف جداً، ثم هو مرسل.

(١) من (ز) و(ض) و(ع) و(ى).

(٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع)، وقد وردت هذه الفقرة في (ج) و(ل) قبل الفقرة السابقة بعد قوله: «نقلها ابن جرير»، وترتيبها مشوش.

(٣) يعني أن النقاد تكلموا في موسى بن عبيدة.

(٤) في «تفسيره» (٢/ ٩٢).

(٥) (١/ ٥٨، ٥٩) وذكر حديثاً أخرجه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» (٦٥٦) من طريق أحمد بن يحيى الحضرمي، والمحب الطبري في «سيرته»، كما في «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٦٥) للصالحي، من طريق القاضي أبي بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر قالا: ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، ثنا عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵄ أن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله ﷻ، ثم رجع مسروراً، فقلت: يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً، فأقمت به ما شاء الله، ثم رجعت مسروراً! قال: «سألت ربي ﷻ فأحيا لي أمي، فآمنت بي ثم ردها».

وهذا حديث باطل. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٨١): «حديث منكر جداً» وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٦٨٤) في ترجمة «عبد الوهاب بن موسى»: «لا يدري من ذا الحيوان الكذاب، فإن هذا الحديث، يعني حديث عائشة هذا، كذب مخالف لما صح أنه ﷺ استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له». انتهى.

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ع).

(٧) من (ج) و(ك) و(ل).

(٨) بل ضعيف جداً، وقد حكم عليه ابن كثير فقال: «منكر جداً» كما مر قبل قليل.

(٩) ساقط من (ز) و(ض) و(ع).

(١٠) من (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(ى).

(١١) هو في «تفسير ابن جرير» (١٨٧٧) وسنده ضعيف لإعضاله أو إرساله.

(١٢) في «تفسيره» (٢/ ٥٦٠).

(١٣) من (ج) و(ل).

(١٤) وهي قراءة العامة من القراءة ﴿تُسۡـَٔلُ﴾ بضم التاء واللام.

هنا فيه[١] نظر، لاحتمال أن هذا كان [٢][في حال استغفاره لأبويه][٢] قبل أن يعلم أمرهما؛ فلما علم ذلك تبرأ منهما، وأخبر عنهما أنهما من أهل النار، كما ثبت هذا في «الصحيح»[٣]، ولهذا أشباه كثيرة ونظائر، ولا يلزم ما (ذكره)[٤] ابن جرير. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد[٥]: أخبرنا موسى بن داود، حدثنا فليح بن سليمان، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار؛ قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، وأنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع (السيئة بالسيئة)، ولكن يعفو ويغفر، (ولن يقبضه حتى يقيم به) الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً.

انفرد بإخراجه البخاري؛ فرواه في «البيوع» عن محمد بن سنان، عن فليح، به. وقال: تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة، عن هلال. وقال سعيد، عن هلال، عن عطاء، عن عبد الله بن سلام. ورواه في «التفسير»[٦] عن عبد الله، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن هلال، عن عطاء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، به. فذكر نحوه؛ فعبد الله هذا هو ابن صالح، كما صرح به في «كتاب الأدب»[٧]. ....

---

(١) نظر في هذا النظر الشيخ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ٥٦١) وقال:
«ينسى ابن كثير غفر الله له، ما أعاد الطبري وأبدأ من ذكر سياق الآيات المتتابعة، والسياق كما قال هو في ذكر اليهود والنصارى وقصصهم، وتشابه قلوبهم في الكفر بالله، وقلة معرفتهم بعظمة ربهم، وجرأتهم على رسل الله وأنبيائه، وكل ذلك موجب عذاب الجحيم، فما الذي أدخل كفار العرب في هذا السياق؟ نعم إنهم يدخلون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم، كما يدخل فيه كل مشرك من العرب وغيرهم. وقد بينا أن هذه الآيات السالفة والتي تليها، دالة أوضح الدلالة على أن قصتها كلها في اليهود والنصارى، ولا شأن لمشركي العرب بها. وإن دخل هؤلاء المشركون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم، وإذن فسياق الآيات يوجب أن تكون في اليهود والنصارى، فتخصيص شطر من آية بأنه نزل في أمر بعض مشركي الجاهلية. تحكم بلا خبر ولا بينة».

(٢) ساقط من (ج) و(ل).

(٣) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٣/ ٢٢٢؛ و٧/ ١٩٣؛ و٨/ ٣٤١، ٥٠٦؛ و١١/ ٥٦٦)؛ ومسلم (٢٤/ ٣٩، ٤٠) وغيرهما من طرق عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه المسيب بن حزن.

(٤) في (ز) و(ض) و(ن): «ذكر».

(٥) في «مسنده» (٢/ ١٧٤)؛ وأخرجه البخاري في «البيوع» (٤/ ٣٤٢، ٣٤٣).

(٦) في «تفسير سورة الفتح» (٨/ ٥٨٥).

(٧) وسبق المصنف إلى ذلك الترجيح شيخه: أبو الحجاج المزي في «تحفة الأشراف» (٦/ ٣٦٤) فتعقبه الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف» (٦/ ٣٦٣، ٣٦٤) قال: «وأما قول المزي: إن البخاري أخرجه في «الأدب المفرد» عن عبد الله بن صالح، فقد تلقفه عنه الذهبي وجزم بأنه المراد في «الصحيح». قلت: وهو محتمل لكن مع ذلك لا يحسن الجزم به لما وقع من رواية أبي ذر، بل نقلها أولى أن يعتمد، فلا مانع أن يكون للبخاري شيخان كل منهما يسمى: عبد الله». انتهى وسبق المزي إلى هذا الترجيح أبو علي الجياني.
أودعه في «صحيحه». والله أعلم.

وزعم أبو مسعود الدمشقي(١) أنه عبد الله بن رجاء.

وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من «البقرة»، عن أحمد بن الحسن بن أيوب، عن محمد بن أحمد بن البراء، عن المعافى بن سليمان، عن فليح، به.

وزاد(٢) قال عطاء: ثم لقيت كعب الأحبار، فسألته فما اختلفا في حرف إلا أن كعباً قال بلغته: أعيناً عمومي، وآذاناً صمومي، وقلوباً غلوفاً.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

قال ابن جرير(٣): (يعني)(٤) بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: قل يا محمد: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى؛ يعني: هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قال قتادة(٥) في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ قال: خصومة علمها الله محمداً ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة؛ قال قتادة: وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تزال طائفة من أمتي (يقتتلون)(٦) على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

قلت: هذا الحديث مخرج في (الصحيح)(٧) عن عبد الله بن(٨) عمرو.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فيه تهديد ووعيد

---

(١) ووافقه على ذلك البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٥) فأخرج الحديث من طريق عبد الله بن رجاء ثنا عبد العزيز. ثم قال: «رواه البخاري في «الصحيح» عن عبد الله غير منسوب عن عبد العزيز بن أبي سلمة. قيل: هو ابن رجاء، وقيل: هو ابن صالح، والأشبه أن يكون ابن رجاء. والله أعلم». انتهى وكأن البدر العيني يذهب إلى ذلك فقال في «عمدة القارى» (١١/ ٢٤٣، ٢٤٤): «وقال أبو مسعود الدمشقي: هو عبد الله بن محمد بن رجاء. وقال الجياني: هو عبد الله بن صالح كاتب الليث، والحاكم قطع على أن البخاري لم يخرج في «صحيحه» عن عبد الله بن صالح كاتب الليث». انتهى.

(٢) هذا التخريج من المصنف رحمه الله يوهم أن هذه الزيادة لم تقع إلا عند ابن مردويه من رواية المعافى بن سليمان عن فليح، وليس كذلك بل ذكرها من خرجوا الحديث ممن ذكرناهم وفيهم الإمام أحمد الذي ذكر المصنف روايته، ولكن البخاري لم يخرجها.

(٣) في «تفسيره» (٢/ ٥٦٢) وسياقه أطول.

(٤) ساقط من (ج) و(ل) وعندهما: «في قوله».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٠) وسنده ضعيف معضل أو مرسل.

(٦) كذا في سائر «الأصول»، وكذلك هو في «تفسير ابن أبي حاتم». ووقع في (ن): «يقاتلون».

(٧) في (ج) و(ل): «الصحيحين» وهو خطأ فالحديث من مفاريد مسلم.

(٨) أخرجه مسلم (١٧٦/١٩٢٤).

شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة عياذاً بالله من ذلك؛ فإن الخطاب مع الرسول (والأمة مرادة)[(١)].

[(٢)][وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ حيث أفرد الملة، على أن الكفر كله ملة واحدة؛ كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون] فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار، وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا؛ لأنهم كلهم ملة واحدة.

وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد في رواية عنه.

وقال في الرواية الأخرى كقول مالك: إنه لا يتوارث أهل ملتين شتى؛ كما جاء في الحديث[(٣)]. والله أعلم][(٢)].

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال عبد الرزاق[(٤)]، عن معمر، عن قتادة: هم اليهود والنصارى؛ وهو قول عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[(٥)]، واختاره ابن جرير[(٦)].

وقال سعيد[(٧)]، عن قتادة: هم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال ابن أبي حاتم[(٨)]: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن موسى، وعبد الله بن عمران الأصبهاني؛ قالا: حدثنا يحيى بن يمان، حدثنا أسامة بن زيد، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: إذا مر بذكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار.

وقال أبو العالية[(٩)]: قال ابن مسعود: «والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله».

وكذا رواه عبد الرزاق[(١٠)]، عن معمر، عن قتادة ومنصور بن المعتمر، عن ابن مسعود.

---

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ن): «والأمر لأمته».

(٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ى). وجاءت هذه الفقرة في (ك) متأخرة.

(٣) حديث صحيح.
أخرجه أبو داود (٢٩١١)؛ وابن ماجه (٢٧٣١)؛ وأحمد (٢/ ١٧٨، ١٩٥)؛ وسعيد بن منصور (١٣٧)؛ والدارقطني (٤/ ٧٢، ٧٣)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (٩٦٧)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٨/ ٣٦٤، ٣٦٥) من طرق عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعاً.

(٤) ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٣).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٧٩).

(٦) في «تفسيره» (٢/ ٥٦٥).

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٧٨)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٨) وسنده صحيح.

(٨) في «تفسيره» (١١٦٧) وسنده ضعيف ويحيى بن يمان وأسامة بن زيد متكلم في حفظهما ثم هو منقطع وزيد بن أسلم لم يدرك عمر بن الخطاب ﷺ.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨٨٦) قال: حدثت عن عمار، ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قال ابن مسعود فذكره وسنده ضعيف.

(١٠) في «تفسيره» (١/ ٥٦، ٥٧) ومن طريقه ابن جرير (١٨٨٧) وسنده ضعيف لانقطاعه.

وقال السدي[١]، عن أبي مالك، عن ابن عباس - في هذه الآية؛ قال: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن مسعود نحو ذلك.

وقال الحسن البصري[٢]: يعملون بمُحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أُشكل عليهم إلى عالمه.

وقال ابن أبي حاتم[٣]: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، أخبرنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه؛ ثم قرأ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس] يقول: اتبعها. قال[٤]: وروي عن عكرمة[٥]، وعطاء[٦]، ومجاهد[٧]، وأبي رزين[٨]، وإبراهيم النخعي[٩] نحو ذلك.

وقال سفيان الثوري[١٠]: أخبرنا زبيد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه.

[١١][قال القرطبي[١٢]: وروى نصر بن عيسى، عن مالك، عن][١١] [١٣][نافع، عن ابن عمر][١٣]،

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٨٣) قال: حدثني الحسين بن عمرو العنقزي و(١٨٨٤) قال: حدثني موسى وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٦) قال: حدثنا إسحاق بن راهويه. وابن أبي حاتم (١١٦٤) قال: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان قالوا: ثنا عمرو بن محمد ثنا أسباط بسنده سواء وإسناده جيد كما حققته فيما مضى (١/ ٤٨٩).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٠١) قال: حدثنا سفيان بن وكيع؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٩) قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وابن أبي حاتم (١١٦٥) من طريق مقاتل بن محمد والفريابي في «فضائل القرآن» (١٦٧) قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قالوا: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن. [وسنده حسن].

(٣) في «تفسيره» (١١٦٦). وهو صحيح.

(٤) يعني: ابن أبي حاتم (١/ ٣٥٧).

(٥) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٦١) قال: حدثنا هشيم؛ وأبو داود في «الزهد» (٤٧٠)؛ وابن جرير (١٨٨٢) من طريق يزيد بن زريع. ابن جرير (١٨٨١) من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وأيضاً (١٩٠٤) من طريق هشيم بن بشير. كلهم عن داود بن أبي هند، عن عكرمة. وسنده صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٩٠٠) من طريق يحيى القطان، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء. وتابعه ابن المبارك، عن عبد الملك بهذا الإسناد؛ أخرجه ابن جرير (١٨٩٤)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٥، ٣٥). وسنده قوي؛ وأخرجه ابن جرير (١٨٨٩) من وجه آخر عن عطاء.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢١١)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٥) من طريق خصيف؛ وابن جرير (١٨٩٤، ١٨٩٧)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٥، ٣٥) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان؛ وابن جرير (١٨٩٦، ١٨٩٧)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٧) من طريق ابن أبي نجيح. [وسنده صحيح].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٨٩٠، ١٨٩١)؛ والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١١٧) من طرق عن سفيان الثوري، عن منصور، عن أبي رزين به. وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٦٦) قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا وكيع، عن الثوري، عن إبراهيم النخعي. وسنده صحيح.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٨٨٥). [وسنده صحيح].

(١١) ساقط من (ز) و(ض).

(١٢) في «تفسيره» (٢/ ٩٥).

(١٣) ساقط من (ز) و(ض).

[(١)][عن النبي[(٢)] ﷺ في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: «يتبعونه حق اتباعه»؛ ثم قال: في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكره الخطيب إلا أن معناه صحيح.

وقال أبو موسى الأشهري[(٣)]: من يتبع القرآن يهبط به على (رياض)[(٤)] الجنة].

[وعن[(٥)] عمر بن الخطاب (ﷺ)[(٦)]: هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها.

قال[(٧)]: وقد روي هذا المعنى عن النبي[(٨)] ﷺ أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ][(١)].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ خبر عن ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين حق إقامته آمن بما أرسلتك به يا محمد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ...﴾ الآية [المائدة: ٦٦] وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ﴾ [المائدة: ٦٨] أي: إذا أقمتموها حق الإقامة، وآمنتم بها حق الإيمان، وصدقتم ما فيها من الإخبار بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته، والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته، قادكم ذلك إلى الحق، واتباع الخير في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) حديث باطل. أخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم والعمل» (١١٨) من طريق العباس بن أحمد الخواتيمي، نا العباس بن الفضل الأرسوفي، نا أحمد بن عبد العزيز، نا نصر بن عيسى بسنده سواء. وصرح الخطيب في «كتاب الرواة عن مالك» أن في إسناده غير واحد من المجاهيل وهم الخواتيمي وأحمد بن عبد العزيز ونصر بن عيسى. أما الأرسوفي فقد اتهمه الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٨٦) بخبر باطل.
ونقل الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٥٣) كلام الخطيب في ترجمة «نصر بن عيسى» وأعله السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١١١) فقال: «فيه مجاهيل».

(٣) أخرجه الدارمي (٢/ ٣١٢)؛ وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٤، ٣٥)؛ وفي «الغريب» (٤/ ١٧٣)؛ وابن الضريس (٦٧)؛ والفريابي (٢٢) كلاهما في «فضائل القرآن»؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٣)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٨)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٤؛ و١٣/ ٣٨٦، ٣٨٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٤/ رقم ١٨٦٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٧)؛ والشجري في «الأمالي» (١/ ٨٣) من طريق زياد بن مخراق، عن أبي إياس، عن أبي كنانة، عن أبي موسى قال: «إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن لكم ذخراً، وكائن لكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يزخ [يعني: يدفع] في قفاه حتى يقذفه في نار جهنم».
وسقط ذكر «أبي إياس» عند ابن الضريس، وتحرف عند الدارمي إلى «ابن عباس» وهذا سند ضعيف، وأبو كنانة القرشي مجهول كما قال الحافظ.

(٤) في (ج) و(ل): «رباط» وهي صحيحة أيضاً، وانظر «النهاية» (٢/ ٢٨٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٧) من طريق يحيى بن يمان، ثنا أسامة بن زيد، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: «إذا مر بذكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار». وسنده ضعيف، ويحيى بن يمان سيئ الحفظ وأسامة بن زيد فيه ضعف، وزيد بن أسلم لم يدرك عمر بن الخطاب ﷺ.

(٦) من (ج) و(ل).

(٧) يعني: القرطبي وهو في «تفسيره» (٢/ ٩٥).

(٨) أخرجه مسلم (٧٧٢/ ٢٠٣).

﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)﴾ [الإسراء] أي: إن كان ما وعدنا به من شأن محمد ﷺ لواقعاً. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤)﴾ [القصص] وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

وفي «الصحيح»(١): «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار».

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)﴾.

قد تقدم نظير هذه (الآية)(٢) في صدر السورة، وكررت ها هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول (ﷺ)(٣) النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم، ونعته واسمه، وأمره وأمته؛ (فحذرهم)(٤) من كتمان هذا، وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية، ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم، ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه (والحيدة)(٥) عن موافقته، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣/ ٢٤٠).
(٢) ساقط من (ج).
(٣) من (ج) و(ل).
(٤) في (ز) و(ض): «يحذرهم».
(٥) في (ن): «الحيد».
(٦) في (ع): «تم المجلد الأول من «كتاب التفسير» تأليف الشيخ الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي نفع الله به، ويتلوه في الثاني بإذن الله تعالى قوله ﷻ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.
(*) **قلت:** وبهذا الجزء ينتهي ما عندي من هذه النسخة، والله نسأل أن نظفر بباقيها.
وفي النسخة (ى) ما يأتي: «قوبل على نسخة المصنف رحمه الله. آخر المجلد الأول من «كتاب التفسير» تأليف الشيخ الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي نفع الله به، ويتلوه في الثاني إن شاء الله قوله ﷻ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد، وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. كتبه العبد الحقير عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد التميمي... بيده في العشر الأول من محرم سنة أربع وثمانمائة هجرية، ووفق على أولاده المستفيدين إن شاء الله وله نفسه ثم إياهم حامداً مصلياً مسلماً».

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

يقول تعالى منبهاً على شرف إبراهيم خليله، عليه (الصلاة و)[1] السلام، وأن الله تعالى جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد، (حين)[2] قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ أي: (واذكر)[3] ـ يا محمد ـ لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها، وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت (والذين)[4] معك من المؤمنين، اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم؛ أي: (اختباره)[5] له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: (قام)[6] بهن كلهن، كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم] أي: وفّى جميع ما شرع له، فعمل به صلوات الله (وسلامه)[7] عليه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَـٰتٍ﴾ أي: بشرائع وأوامر ونواهي، فإن الكلمات تطلق؛ ويراد بها الكلمات القدرية؛ كقوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢] وتطلق ويراد بها الشرعية؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: كلماته الشرعية. وهي إما خبر صدق، وإما طلب عدل إن كان أمراً أو نهياً، ومن ذلك هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: قام بهن. قال: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي: جزاءً على ما فعل، كما قام بالأوامر وترك الزواجر، جعله الله للناس قدوة وإماماً يقتدى به، ويحتذى حذوه.

وقد اختلف (العلماء)[8] في (تفسير)[9] الكلمات التي اختبر الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام. فروي عن ابن عباس في ذلك روايات:

فقال عبد الرزاق[10]، عن معمر، عن قتادة، قال ابن عباس: ابتلاه الله بالمناسك. وكذا

---

(١) من (ل).

(٢) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى). ووقع في (ز) و(ض): «حتى».

(٣) في (ج): «فاذكر»؛ وفي (ل): «اذكر».

(٤) في (ل): «والذي».

(٥) في (ج): «إخباره».

(٦) في (ل): «أقام».

(٧) من (ل).

(٨) من (ك).

(٩) في (ن) و(ى): «تعيين».

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٩٢٦) قال: حدثنا الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم (١١٧٦) قال حدثنا الحسن بن أبي الربيع قالا: ثنا عبد الرزاق بسنده سواء. وسنده ضعيف لانقطاعه بين قتادة، وابن عباس وقد صرح =

رواه[١] أبو إسحاق السبيعي، عن (التميمي)[٢]، عن ابن عباس.

وقال عبد الرزاق[٣] - أيضاً -: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ قال: ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد؛ في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن المسيب، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وأبي صالح، وأبي الجلد، نحو ذلك.

قلت: وقريب من هذا ما ثبت في «صحيح مسلم»[٤]، عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء». (قال مصعب)[٥]: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.

قال وكيع: انتقاص الماء؛ يعني: الاستنجاء.

وفي «الصحيحين»[٦]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط». ولفظه لمسلم.

وقال ابن أبي حاتم[٧]: (أخبرنا)[٨] يونس بن عبد الأعلى، قراءة، أخبرنا ابن وهب، أخبرني

= الحاكم بأن قتادة لم يسمع من صحابي غير أنس؛ وأخرجه ابن جرير (١٩٢٤) من طريق عمر بن نبهان وهو ضعيف جداً، وأيضاً (١٩٢٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة، عن ابن عباس.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٧) معلقاً ووصله ابن جرير (١٩٢٨) من طريق أبي أحمد الزبيري و(١٩٢٩) من طريق الحماني قالا: ثنا شريك النخعي، عن أبي إسحاق عن التميمي، عن ابن عباس فذكره وسنده ضعيف. وشريك النخعي سيئ الحفظ وسمع من أبي إسحاق بآخرة، والتميمي هو أربدة ولم يرو عنه إلا أبو إسحاق، وقد صرح ابن البرقي بجهالته، وذكره أبو العرب القيرواني في جملة الضعفاء، بينما وثقه العجلي وابن حبان، وقد ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ٣١١) راوياً آخر عن أربدة غير أبي إسحاق وهو المنهال بن عمرو ولكن السند إليه لا يثبت. والله أعلم.

(٢) في هامش (ج): «اسمه: أربدة».

(٣) في «تفسيره» (١/ ٥٧)، ومن طريقه ابن جرير في «التفسير» (١٩١٠)؛ وفي «التاريخ» (١/ ١٤٤)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٧٢)؛ والحاكم (٢/ ٢٦٦) وعنه البيهقي (١/ ١٤٩) قال: أخبرنا معمر بسنده سواء.
قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وهو كما قالا. وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٣٣٧): «سنده صحيح عن طاوس».اهـ.

(٤) أخرجه مسلم (٥٦/٢٦١).

(٥) ساقط من (ز).

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٠/ ٣٤٩؛ و١١/ ٨٨)، ومسلم (٣/ ١٤٦ نووي).

(٧) في «تفسيره» (١١٧٥).
وأخرجه ابن جرير (١٩١٤) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا محمد بن حرب، حدثنا ابن لهيعة بسنده سواء. وهذا سند جيد. وعبد الله بن وهب من قدماء أصحاب ابن لهيعة. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر ﵀ في تخريجه لـ«تفسير الطبري» (٣/ ١٠).

(٨) في (ز) و(ض): «أنبأنا».

ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن (حنش)[(١)] بن عبد الله الصنعاني، عن ابن عباس: أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: عشر، ست في الإنسان، وأربع في المشاعر. فأما التي في الإنسان: حلق العانة، ونتف الإبط، والختان. وكان ابن هبيرة يقول: هؤلاء الثلاثة واحدة. وتقليم الأظفار، وقص الشارب، والسواك، وغسل يوم الجمعة. والأربعة التي في المشاعر: الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة.

وقال داود بن أبي هند[(٢)]: عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: ما ابتلي بهذا الدين أحد فقام به كله إلا إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قلت له: وما الكلمات التي ابتلى الله إبراهيم بهن فأتمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهماً، منها عشر آيات في براءة: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ . . .﴾ إلى آخر الآية [التوبة: ١١٢] وعشر آيات في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون] و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ [المعارج] وعشر آيات في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ. . .﴾ الآية [٣٥] إلى آخر (الآية)[(٣)]، فأتمهن كلهن، فكتبت له براءة. قال الله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم].

هكذا رواه الحاكم، وأبو جعفر بن جرير، وأبو محمد بن أبي حاتم، بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند، به. وهذا لفظ ابن أبي حاتم.

وقال محمد بن إسحاق[(٤)]، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن، فراق قومه ـ في الله ـ حين أُمر بمفارقتهم. ومحاجته (نمروذ)[(٥)] ـ في الله ـ حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافه. وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه ـ في الله ـ على هول ذلك من أمرهم. والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده ـ في الله ـ حين أمره بالخروج عنهم، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها (وماله)، وما ابتلي به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه، [(٦)][فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء][(٦)]، قال الله له: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] على ما كان من خلاف الناس وفراقهم.

---

(١) في (ل): «خيش»! وفي (ك): «حسين»!

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٣) من طريق محمد بن حرب، ثنا الزبيدي، عن عدي، عن داود بن أبي هند بهذا الإسناد سواء. والزبيدي هو سعيد بن عبد الجبار الزبيدي كما نص عليه أبو حاتم الرازي، كما في ترجمة «عدي بن عبد الرحمٰن» من «الجرح والتعديل» (٣/٢/٣)؛ والزبيدي هذا منكر الحديث، ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: «عامة حديثه مما لا يتابع عليه». وكان جرير بن عبد الحميد يكذبه. وقال النسائي: «ليس بشيء».

وعدي بن عبد الرحمٰن لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحاً ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٢٩٢) وقال: «روى الزبيدي عنه عن داود بن أبي هند نسخة مستقيمة».

(٣) في (ج) و(ل): «آية».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٤) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. [وسنده حسن].

(٥) في (ل): «بنمروذ».

(٦) في (ل): «فلما مضى على ذلك من البلاء كله وأخلصه لله».

وقال ابن أبي حاتم[(١)]: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا إسماعيل بن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن - يعني: البصري -: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ (فَأَتَمَّهُنَّ)[(٢)]﴾ قال: ابتلاه بالكوكب فرضي عنه، وابتلاه بالقمر فرضي عنه، وابتلاه بالشمس فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه، وابتلاه بالختان فرضي عنه، وابتلاه بابنه فرضي عنه.

وقال ابن جرير[(٣)]: حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: إي والله، ابتلاه بأمر فصبر عليه: ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر، فأحسن في ذلك، وعرف أن (ربه) [(٤)] دائم لا يزول، فوجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين. ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله، ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك. وابتلاه الله بذبح (ابنه)[(٥)] والختان فصبر على ذلك.

وقال عبد الرزاق[(٦)]: أخبرنا معمر، عمن سمع الحسن يقول في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ (فَأَتَمَّهُنَّ)[(٧)]﴾ قال: ابتلاه الله بذبح ولده، وبالنار، (والكوكب)[(٨)]، والشمس والقمر.

وقال أبو جعفر بن جرير[(٩)]: حدثنا ابن بشار، حدثنا سلم بن قتيبة، حدثنا أبو هلال، عن الحسن ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: ابتلاه بالكوكب، وبالشمس، والقمر، فوجده صابراً.

وقال العوفي في «تفسيره»[(١٠)]، عن ابن عباس: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فمنهن: (قال)[(١١)] ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ومنهن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ومنهن: الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم، والرزق الذي رزق ساكنو البيت، ومحمد بعث في دينهما.

وقال ابن أبي حاتم[(١٢)]: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا شبابة، عن ورقاء، عن

---

(١) في «تفسيره» (١١٧٨) وسنده صحيح.
وأخرجه ابن جرير (١٩٣٣)؛ وابن عساكر (٦/ ١٩٣) من طريق المحاملي قالا: ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية بهذا الإسناد وأبو رجاء هذا، اسمه: محمد بن سيف الأزدي الحداني البصري وثقه ابن معين، والنسائي وابن سعد وابن حبان. وقال أبو حاتم: «صالح الحديث».

(٢) من (ك). (٣) في «تفسيره» (١٩٣٤) وسنده صحيح.

(٤) في (ل): «الله ربه».

(٥) في (ج): «ولده» وصححها في الحاشية كما في باقي «الأصول».

(٦) في «تفسيره» (١/ ٥٧) ومن طريقه ابن جرير (١٩٣٥)؛ وابن عساكر (٦/ ١٩٣). وضعفه ظاهر.

(٧) من (ل). (٨) في (ز): «والكواكب».

(٩) في «تفسير» (١٩٣٦)؛ وأخرجه ابن عساكر (٦/ ١٩٣) من طريق أحمد بن الفضل الصائغ ثنا آدم بن أبي إياس، نا أبو هلال الراسبي. وسنده صالح. وأبو هلال هو الراسبي محمد بن سليم وثقه أبو داود ومشاه أحمد وقال ابن معين: ليس به بأس ولينه أبو زرعة والنسائي وضعفه غيرهما.

(١٠) ومن طريقه ابن جرير (١٩٢٣) وسنده ضعيف. (١١) من (ج) و(ل).

(١٢) في «تفسيره» (١١٧٩).
وهو في «تفسير مجاهد» (ص٢١٣) من طريق آدم بن أبي إياس قال: نا ورقاء بسنده سواء. وسنده صحيح.

ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال الله لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال: تجعلني للناس إماماً. قال: نعم. قال: ومن ذريتي؟ ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: تجعل البيت مثابةً للناس؟ قال: نعم. قال: وأمناً. قال: نعم. قال: وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك؟ قال: نعم. قال: وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله؟ قال: نعم.

قال ابن أبي نجيح: سمعته عن عكرمة، فعرضته على مجاهد، فلم ينكره.

وهكذا رواه ابن جرير(١) من غير وجه، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وقال سفيان الثوري(٢)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: ابتلى بالآيات التي بعدها: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقال أبو جعفر الرازي(٣)، عن الربيع بن أنس: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ (فَأَتَمَّهُنَّ)(٤)﴾ قال: الكلمات: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ الآية، قال: فذلك كله من الكلمات التي ابتُلي بهن إبراهيم.

وقال السدي(٥): الكلمات التي ابتُلي بهن إبراهيم ربه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ (يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ)(٦)﴾ [البقرة: ١٢٩].

(٧)[وقال القرطبي(٨): وفي «الموطأ»(٩) وغيره، عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إبراهيم ﷺ، أول من اختتن وأول من ضاف الضيف، وأول من استحد، وأول من قلم أظفاره، وأول من قص الشارب، وأول من شاب فلما رأى الشيب، قال: ما هذا؟ قال: وقار، قال: يا رب، زدني وقاراً](٧).

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٩١٧) من طريق عيسى بن ميمون الحرشي و(١٩١٨، ١٩١٩) من طريق شبل بن عباد المكي [وسنده صحيح] و(١٩٢٠) من طريق ابن جريج. كلهم عن مجاهد بن جبر بسنده سواء.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٢١) قال: حدثنا سفيان بن وكيع، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٥٢١) قالا: حدثنا وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري بهذا الإسناد. وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٩٢٢) قال: حدثت عن عمار، ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه فذكره وضعفه ظاهر. [ولكن معناه صحيح، ويشهد له سابقه].

(٤) من (ك).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٩٣٧). [وسنده حسن].

(٦) في (ك).

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٨) في «تفسيره» (٢/ ٩٨).

(٩) في «كتاب صفة النبي ﷺ» (٢/ ٩٢٢/ ٤) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ١٩٩)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٢٢) قال: حدثنا ابن نمير وابن عساكر (٦/ ١٩٩) من طريق جعفر بن عون كلاهما، عن يحيى بن سعيد به.

وأخرجه ابن عساكر (٦/ ٢٠٠) من طريق عكرمة بن إبراهيم عن يحيى بن سعيد وسنده صحيح عن سعيد بن المسيب.

(١)[وذكر ابن أبي شيبة(٢)، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، قال: أول من خطب على المنابر إبراهيم عليه السلام.

قال غيره: وأول من ثرد الثريد، وأول من ضرب بالسيف، وأول من استاك، وأول من استنجى بالماء، وأول من لبس السراويل.

وروى معاذ بن جبل(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبي إبراهيم، وإن اتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم»](١).

(٤)[قلت: هذا حديث لا يثبت. والله أعلم.

ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الأشياء من الأحكام الشرعية](٤).

قال أبو جعفر بن جرير(٥) ما حاصله: أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع. قال: ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له.

قال: غير أنه قد روي عن النبي ﷺ في نظير معنى ذلك خبران، أحدهما(٦): ما حدثنا به أبو كريب، حدثنا رشدين بن سعد، حدثني زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى؟ لأنه كان

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٢) في «المصنف» (١١/ ٥٢٣)؛ والبزار (٦٣٤) قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف الكوفي قالا: حدثنا عيسى بن يونس، عن ربيعة بن عثمان التيمي، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه فذكره. وسنده حسن. وربيعة بن عثمان وثقه ابن معين وابن سعد وابن حبان. وقال النسائي: «ليس به بأس» ولينه أبو زرعة وقال أبو حاتم: «منكر الحديث، يكتب حديثه». وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٨١): «منقطع الإسناد».

(٣) هذا حديث منكر باطل.
أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٠/رقم ٣٥٤) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز. وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٧٥) من طريق إسماعيل بن عبد الله قالا: ثنا محمد بن سعيد بن الأصبهاني، ثنا عقبة بن خالد، عن موسى بن محمد بن إبراهيم، ثنا أبي، عن السلولي، عن معاذ بن جبل مرفوعاً.
وتابعه عبد الله بن سعيد الكندي، ثنا عقبة بن خالد بهذا الإسناد؛ أخرجه البزار في «مسنده» (٦٣٣) عن الكندي وقال: «لا نعلمه عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد»؛ وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ٢٢٦) من طريق آخر عن عبد الله بن سعيد الكندي به.
(*) **قلت**: وسنده ضعيف جداً، وموسى بن محمد بن إبراهيم وهاه أبو زرعة الرازي جداً، وتركه الدارقطني. وقال ابن معين في رواية: «ليس بشيء» وقال النسائي وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو أحمد الحاكم: «منكر الحديث» زاد أبو حاتم: «ضعيف الحديث وأحاديث عقبة بن خالد التي رواها عنه من جناية موسى، ليس لعقبة فيها جرم».
وضعفه أحمد وابن سعد وغيرهما.

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٥) في «تفسيره» (٣/ ١٥) واختصره المصنف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩٣٨) و(٢٧/ ٧٣)؛ وفي «التاريخ» (١/ ٢٨٦) قال: حدثنا أبو كريب؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٠/رقم ٤٢٨) من طريق محمد بن أبي السري؛ وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠١١) من طريق زهير بن عباد وابن عساكر (٦/ ٢١٢، ٢١٣) من طريق محمد بن يوسف قالوا: ثنا رشدين بن سعد بهذا الإسناد سواء. ورشدين بن سعد ضعيف جداً.

يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم] حتى يختم الآية».

قال: والآخر منهما[(١)]: حدثنا به أبو كريب، أخبرنا الحسن (ابن)[(٢)] عطية، أخبرنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم]: أتدرون ما وفَّى؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «وفَّى عمل يومه، أربع ركعات في النهار».

ورواه آدم في «تفسيره»، عن حماد بن سلمة. وعبد بن حميد، عن يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن جعفر بن الزبير، به.

ثم شرع ابن جرير يضعِّف هذين الحديثين، وهو كما قال؛ فإنه لا تجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما، وضعفهما من وجوه عديدة، فإن كلاً من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء، مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه (والله أعلم)[(٣)].

ثم قال ابن جرير[(٤)]: ولو قال قائل: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهباً، فإن قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] وسائر الآيات التي هي نظير ذلك؛ كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم.

قلت: والذي قاله أولاً من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر، أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله؛ لأن السياق يعطي غير ما قالوه، والله أعلم.

وقوله: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لما جعل الله إبراهيم إماماً، سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأُجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، (فلا)[(٥)] يكونون أئمةً فلا يقتدى بهم: والدليل على أنه أجيب إلى طلبته (قول الله)[(٦)] تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم، ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه (وعليهم أجمعين)[(٧)].

وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقد اختلفوا في ذلك.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٩٣٩) و(٢٧/٤٣)؛ وفي «التاريخ» (١/٢٨٦)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، كما في (ابن كثير) (٧/٤٣٩، ٤٤٠)، من طريق حماد بن سلمة؛ وابن عساكر في «تاريخه» (٦/٢١٣، ٢١٤) من طريق يزيد بن هارون ومكي بن إبراهيم كلهم عن جعفر بن الزبير بسنده سواء. وسنده ساقط وجعفر بن الزبير تالف.

قال أبو حاتم: «روى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث».

(٢) في (ز): «عن» وهو خطأ.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) في «تفسيره» (٣/١٧).

(٥) كذا في (ج) و(ض) و(ى). ووقع في (ز) و(ك) و(ل) و(ن): «ولا».

(٦) في (ل) و(ن): «قوله».

(٧) من (ل).

فقال خصيف[١]، عن مجاهد في قوله: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: إنه سيكون في ذريته ظالمون.

وقال ابن أبي نجيح[٢]، عن مجاهد: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا يكون لي إمام (ظالم)[٣]. وفي رواية: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به.

وقال سفيان[٤]، (عن)[٥] منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا يكون إمام ظالم يقتدى به.

وقال ابن أبي حاتم[٦]: حدثني أبي، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال: أما من كان منهم صالحاً فسأجعله إماماً يقتدى به. وأما من كان ظالماً فلا ولا نعمة عين.

وقال سعيد بن جبير[٧]: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المراد به المشرك، لا يكون إمام ظالم. يقول: لا يكون إمام مشرك.

وقال ابن جريج[٨]، عن عطاء، قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فأبى أن يجعل من ذريته إماماً ظالماً. قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

وقال ابن أبي حاتم[٩]: أخبرنا عمرو بن ثور (القيساري)[١٠] فيما كتب إلي، حدثنا الفريابي، حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال الله لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فأبى أن يفعل، ثم قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقال محمد بن إسحاق[١١]، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس:

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٩٥١) قال: مشرف بن أبان الحطاب، ثنا وكيع، عن سفيان الثوري عن خصيف، عن مجاهد. وهذا سند صحيح لو كان شيخ ابن جرير ثقة، فإن الخطيب ترجمه في «تاريخه» (١٣/ ٢٢٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٥٢) وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٢١٣) من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجيح به؛ أخرجه ابن جرير (١٩٤٦، ١٩٤٧) ورواه ابن جريج عن مجاهد؛ أخرجه ابن جرير (١٩٥٣) وسنده ضعيف.

(٣) في (ج): «ظلم يقتدى به» ثم شطب ابن المحب قوله: «يقتدى به».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٩٤٩) قال: حدثنا ابن بشار، ثنا أبو عاصم، ثنا سفيان الثوري عن منصور، عن مجاهد. وتابعه أبو أحمد الزبيري، ثنا سفيان الثوري به أخرجه ابن جرير (١٩٥٠) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، ثنا أبو أحمد الزبيري وسنده صحيح.

(٥) في (ك): «ابن» وهو خطأ.

(٦) في «تفسيره» (١١٨٨) وشريك النخعي سيئ الحفظ، لكن تابعه الثوري كما مر آنفاً.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٩٣) من طريق يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. [وسنده حسن].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٩٥٣). [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن جريج به].

(٩) في «تفسيره» (١١٨٥) وعمرو بن ثور لم أجد له ترجمة. وسماك بن حرب تغير.

(١٠) في (ك): «النيسابوري»!

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٨٤) من طريق سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق به. [وسنده حسن].

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده - ولا ينبغي (له)[١] أن يوليه شيئاً من أمره وإن كان من ذرية خليله - ومحسن ستنفذ فيه دعوته، وتبلغ له فيه ما أراد من مسألته.

وقال العوفي[٢]، عن ابن عباس: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: يعني لا عهد لظالم عليك في ظلمه، أن تطيعه فيه.

وقال ابن جرير: (حدثنا المثنى)[٣]، حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن إسرائيل، عن مسلم الأعور، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته؛ (فانقضه)[٤].

وروي عن مجاهد، وعطاء، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك[٥].

وقال الثوري[٦]، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: ليس لظالم عهد.

وقال عبد الرزاق[٧]: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا ينال (عهد الله)[٨] في الآخرة الظالمين، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به، وأكل وعاش.

وكذا قال إبراهيم النخعي[٩]، وعطاء، والحسن، وعكرمة.

وقال الربيع بن أنس[١٠]: عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات] يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.

وكذا روي عن أبي العالية[١١]، وعطاء، ومقاتل بن حيان.

وقال جويبر[١٢]، عن الضحاك: لا ينال طاعتي عدو لي يعصيني، ولا أنحلها إلا ولياً لي يطيعني.

---

(١) ساقط من (ز) و(ن). (٢) أخرجه ابن جرير (١٩٥٤) وسنده ضعيف.

(٣) ساقط من كل «الأصول» واستدركته من «تفسير الطبري» (١٩٥٥) وهو المثنى بن إبراهيم ولم أجد له ترجمة وقد نبهت على ذلك أكثر من مرة فيما تقدم.
ومسلم الأعور هو: ابن كيسان. وهو ضعيف. [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عنترة عن ابن عباس بلفظ: ليس لظالم عليك عهد].

(٤) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «الطبري». ووقع في (ز) و(ض): «فأنتقضه».

(٥) [ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند].

(٦) أخرجه ابن جرير (١٩٥٦) من طريق حجاج بن محمد؛ وابن أبي حاتم (١١٩٥) من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق كلاهما عن سفيان الثوري بسنده سواء. وسنده جيد.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٩٥٨) قال: حدثنا الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم (١١٩٦) قال: حدثنا الحسن بن أبي الربيع قالا: أخبرنا عبد الرزاق بسنده سواء. [وسنده صحيح].

(٨) في (ج): «عهد الله ظالم» وضرب ابن المحب على قوله: «ظالم».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٩٥٩) وفي إسناده المثنى بن إبراهيم [ويتقوىٰ بما سبق].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٩٦٠) بسند ضعيف. (١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٨٩) وسنده حسن.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٩٢) من طريق مروان بن معاوية الفزاري؛ وابن جرير (١٩٦١) من طريق يزيد بن زريع كلاهما عن جويبر بن سعيد الأزدي، عن الضحاك. وسنده ضعيف جداً، وجويبر متروك.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه(١): حدثنا عبد الرحمٰن بن محمد بن حامد، حدثنا أحمد بن (عبد الله)(٢) بن (٣)[سعيد (الأسدي)(٤)، حدثنا (سليم)(٥) بن](٣) سعيد الدامغاني، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ، قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: «لا طاعة إلا في المعروف».

وقال السدي(٦): ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول: عهدي: نبوتي.

فهذه أقوال مفسري السلف في هذه الآية على ما نقله ابن جرير، وابن أبي حاتم، رحمهما الله تعالى. واختار ابن جرير أن هذه الآية ـ وإن كانت ظاهرةً في الخبر ـ أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالماً. ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل عليه السلام أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه، كما تقدم عن مجاهد وغيره، والله أعلم.

(٧)[قال (ابن خويز منداد)(٨) المالكي: الظالم لا يصلح أن يكون خليفةً، ولا حاكماً، ولا مفتياً، ولا إمام صلاة، ولا شاهداً، ولا راوياً](٧).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

قال العوفي(٩)، عن ابن عباس: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول: لا يقضون منه وطراً، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهليهم، ثم يعودون إليه.

وقال علي بن أبي طلحة(١٠)، عن ابن عباس: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول: يثوبون.

(رواهما)(١١) ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم(١٢): حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يثوبون إليه ثم يرجعون.

قال: وروى عن أبي العالية، وسعيد بن جبير(١٣) ـ في رواية ـ وعطاء(١٤)،

---

(١) كذا رواه الدامغاني بهذا السياق [بذكر الآية]. وهو منكر.
(٢) في (ج): «عيينة». (٣) ساقط من (ن).
(٤) في (ل): «الأزدي». (٥) في (ك): «سليمان».
(٦) أخرجه ابن جرير (١٩٤٥) قال: حدثني موسى؛ وابن أبي حاتم (١١٩١) قال: حدثنا أبو زرعة قالا: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي. [وسنده حسن].
(٧) من (ج) و(ك) و(ل). (٨) في (ل): «جويبر مندان»!
(٩) ومن طريقه ابن جرير (١٩٦٧). [وسنده ضعيف].
(١٠) أخرجه ابن جرير (١٩٧٦). [وسنده ثابت].
(١١) كذا في (ز) و(ن) و(ى)؛ وفي (ج) و(ض) و(ك): «رواه»؛ وفي (ل): «رواه إبراهيم بن جرير»!!
(١٢) في «تفسيره» (١٢٠٠) وسنده جيد.
(١٣) أخرجه ابن جرير (١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٤) من طريق الثوري ومسعر بن كدام كلاهما عن أبي الهذيل غالب بن الهذيل، عن سعيد بن جبير. وسنده جيد.
(١٤) أخرجه ابن جرير (١٩٦٩، ١٩٧٠) من طريق هشيم بن بشير وجرير بن عبد الحميد كلاهما عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء. وسنده صحيح.

ومجاهد[١]، والحسن، وعطية[٢]، والربيع بن أنس[٣]، والضحاك، نحو ذلك.

وقال ابن جرير[٤]: حدثني عبد الكريم بن أبي عمير، حدثني الوليد بن مسلم قال: قال أبو عمرو ـ يعني: الأوزاعي ـ حدثني عبده بن أبي لبابة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطراً.

وحدثني يونس[٥]، عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه.

[٦][وما أحسن ما قال الشاعر في هذا المعنى، أورده القرطبي[٧]:

جعل البيت مثاباً لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر][٦]

وقال سعيد بن جبير[٨] ـ في الرواية الأخرى ـ وعكرمة، وقتادة، وعطاء الخراساني: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: مجمعاً.

﴿وَأَمْنًا﴾ قال الضحاك[٩]، عن ابن عباس: أي أمناً للناس.

وقال أبو جعفر الرازي[١٠]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ يقول: أمناً من العدو، وأن يحمل فيه السلاح. وقد كانوا في الجاهلية يُتخطف الناس من حولهم، وهم آمنون لا يسبون.

وروي عن مجاهد[١١]، وعطاءٍ، والسدي[١٢]، وقتادة، والربيع بن أنس، قالوا: من دخله كان آمناً.

---

(١) هو في «تفسير مجاهد» (ص٢١٤) من طريق آدم بن أبي إياس، نا ورقاء بن عمر، عن أبي نجيح، عن مجاهد.
وأخرجه ابن جرير (١٩٦٣) من طريق عيسى بن ميمون و(١٩٦٤) من طريق معمر بن راشد و(١٩٦٥) من طريق شبل بن عباد كلهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٧١) قال: حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: حدثنا سهل بن عامر قال: حدثنا مالك بن مغول، عن عطية. وسنده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٩٧٧) بسند ضعيف معلق.

(٤) في «تفسيره» (١٩٦٨) وشيخ الطبري لم أجد له ترجمة ووجدت له ذكراً في خبر رواه ابن جرير في «تهذيب الآثار» (٣٤٨ ـ مسند علي)؛ والوليد بن مسلم مدلس وقد استخدم ما يدل على التدليس. فالسند ضعيف. [ومعناه صحيح].

(٥) القائل هو ابن جرير (١٩٧٨) وسنده صحيح.

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٧) في «تفسيره» (٢/ ١١٠).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠١) من طريق ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. [وسنده حسن].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٩٨٣)؛ وابن أبي حاتم (١٢٠٢) وسنده ضعيف.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٣) [وسنده جيد]؛ وأخرجه ابن جرير (١٩٨٢) عن الربيع بن أنس والسند عنده معلق.

(١١) أخرجه ابن جرير (١٩٨١) من طريق عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٩٨٠). [وسنده حسن].

ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية: أن الله تعالى يذكر شرف البيت، وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدراً، من كونه مثابةً للناس؛ أي: جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضى منه وطراً، ولو ترددت إليه كل عام، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ (دُعَآءِ)[1]﴾ [إبراهيم: ٣٧ ـ ٤٠] ويصفه تعالى بأنه جعله أمناً، من دخله أمن، ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمناً.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[2]: كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له. كما وصفها في سورة المائدة بقوله: (تبارك و)[3] تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] أي: (يدفع)[4] عنهم (بسبب)[5] تعظيمها السوء، كما قال ابن عباس: لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض؛ وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمٰن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران].

وفي هذه الآية الكريمة نبه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده، فقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو؟

فقال ابن أبي حاتم[6]: حدثنا عمر بن شبة النميري، حدثنا أبو خلف ـ يعني: عبد الله بن عيسى ـ حدثنا داود بن أبي هند، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال: مقام إبراهيم: الحرم كله. وروي عن مجاهد[7] وعطاء[8] مثل ذلك.

وقال[9] (أيضاً)[10]: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج، عن ابن جريج،

---

(١) في (ج) و(ل): «دعائي». بإثبات الياء وهي قراءة حمزة الزيات وأبي عمرو بن العلاء وورش وأبي جعفر وصلاً، والبزي ويعقوب وصلاً ووقفاً.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٧٩) بسند صحيح.

(٣) من (ل).

(٤) في (ز) و(ض): «يرفع».

(٥) في (ل): «السبب».

(٦) في «تفسيره» (١٢٠٧) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١١٩) لـ«عبد بن حميد» وسنده ضعيف جداً وعبد الله بن عيسى تالف. فقال النسائي: «ليس بثقة». وقال أبو زرعة: «منكر الحديث»، وقال ابن عدي: «يروى عن داود بن أبي هند ما لا يوافقه عليه الثقات، أحاديثه أفراد كلها». والكلام فيه طويل الذيل.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢١٤)؛ والفاكهي في «أخبار مكة» (٩٧٢) قال حدثنا محمد بن أبي عمر قالا: ثنا سفيان، هو ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، زاد سعيد: وغيره، عن مجاهد فذكر الآية وقال: «الحج كله مصلًى ومدعى» وسنده صحيح؛ وأخرجه ابن جرير (٢٠٠٤) من وجه آخر عن ابن عيينة.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٩٩٢) بلفظ: «الحج كله مقام إبراهيم». [وسنده صحيح].

(٩) يعني ابن أبي حاتم. والخبر في «تفسيره» (١٢٠٦)؛ وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٧١) قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني بهذا الإسناد سواء بطوله. وسنده صحيح؛ وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٩) ومن طريق ابن جرير (١٩٩٠) قال: نا ابن جريج عن عطاء قال: الحج كله مقام إبراهيم.

(١٠) من (ن).

قال: سألت عطاء عن ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ فقال: سمعت ابن عباس قال: أما مقام إبراهيم الذي ذكر ها هنا، فمقام إبراهيم هذا (الذي)[1] في المسجد. ثم قال: و﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ يَعُدُّ كثير، ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: الحج كله. ثم فسره لي عطاء فقال: التعريف، وصلاتان بعرفة، والمشعر، ومنى، ورمي الجمار، والطواف بين الصفا والمروة. فقلت: أفسره ابن عباس؟ قال: لا. ولكن قال: مقام إبراهيم: الحج كله. قلت: أسمعت ذلك لهذا أجمع؟ قال: نعم، سمعته منه.

وقال سفيان الثوري[2]، عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ قال: الحجر مقام إبراهيم (لينه الله)[3] قد جعله الله رحمةً، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة. ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه.

[4][وقال السدي[5]: المقام: الحجر الذي وضعته زوجة إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت رأسه. حكاه القرطبي[6]، وضعفه ورجحه غيره، وحكاه الرازي في «تفسيره»[7] عن الحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس][4].

وقال ابن أبي حاتم[8]: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن ابن جريج، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، سمع جابراً يحدث عن حجة النبي ﷺ قال: لما طاف النبي ﷺ، قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾.

وقال عثمان بن أبي شيبة[9]: أخبرنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة

---

(١) في (ل): «الذي هو».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٨) قال: حدثنا أبي، ثنا قبيصة، ثنا سفيان الثوري به. وسنده صحيح. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ١١٩) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) كذا في (ض) و(ك) و(ل) و(ى) وهو الموافق لما في «ابن أبي حاتم»؛ وفي (ج): «الين». ووقع في (ز) و(ن): «بنى الله».

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠٠٢) وسنده حسن وقد ساقه مطولاً.

(٦) في «تفسيره» (٢/ ١١٣).

(٧) انظر: «تفسير الرازي» (٤/ ٥٣).

(٨) رقم (١٢٠٥) وسنده ضعيف من أجل عنعنة ابن جريج وقد روى آخرون من الثقات حجة النبي ﷺ عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر بن عبد الله وفيه أن النبي ﷺ أتى مقام إبراهيم وصلى ركعتين ولم يذكروا مراجعة عمر بن الخطاب وقد ثبتت هذه المراجعة كما يأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

(٩) أخرجه الدارقطني في «الأفراد» (ق٣٠/ ٢ ـ الأطراف) وقال: «غريب من حديث أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن عمر، تفرد به: زكريا بن أبي زائدة عنه». وذكره الدارقطني في «العلل» (٢/ ١٨٦) فقال: «هو حديث رواه زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق واختلف عنه، فرواه علي بن مسهر عن زكريا، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر وخالفه أبو أسامة فرواه عن زكريا، عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة واسمه: عمرو بن شرحبيل عن عمر والله أعلم بالصواب. ورواه زهير عن أبي إسحاق عن طلحة بن مصرف مرسلاً عن عمر ويشبه أن يكون قول زهير هو المحفوظ، لأن زهيراً أثبت من زكريا في أبي إسحاق».

قال: قال عمر: قلت: يا رسول الله، هذا مقام خليل ربنا؟ قال: نعم. قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾.

وقال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا (غيلان)[١] بن عبد الصمد، حدثنا مسروق بن المرزبان[٢]، حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٣]، أنه مر بمقام إبراهيم، فقال: يا رسول الله، أليس نقوم مقام (خليل ربنا)[٤]؟ قال: «بلى». قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾.

وقال ابن مردويه[٥]: حدثنا (علي)[٦] بن أحمد بن محمد القزويني، حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، قال: لما وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم، قال له عمر: يا رسول الله، هذا مقام إبراهيم الذي قال الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ قال: «نعم». قال الوليد: قلت لمالك: هكذا حدثك ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ قال: نعم. هكذا وقع في الرواية. وهو غريب.

وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم، نحوه.

وقال البخاري[٧]: باب قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ مثابةً: يثوبون يرجعون.

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن (حميد)[٨]، عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه)[٩]: وافقت ربي في ثلاث، (أو وافقني)[١٠] ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب. وقال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت (عليهن)[١١] فقلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ما

---

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ج): «علان».

(٢) ومسروق بن المرزبان لينه أبو حاتم فقال: «ليس بقوى، يكتب حديثه» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ٢٠٦)، وقال صالح بن محمد: «صدوق» ولم يتفرد به فتابعه علي بن مسهر عن زكريا بن أبي زائدة بسنده سواء. ذكره الدارقطني في «العلل» (٢/ ١٨٦).

(٣) من (ل).

(٤) في (ل): «خليل الله».

(٥) وأخرجه ابن ماجه (١٠٠٨) قال: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم بسنده سواء بلفظه. [وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه]. وأخرجه النسائي (٥/ ٢٣٦)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٩٧) قالا: أخبرنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن الوليد بن مسلم بسنده سواء وليس عنده هذه المحاورة بين النبي ﷺ وبين عمر بن الخطاب، ولا قول الوليد بن مسلم لمالك.

(٦) في (ز) و(ض): «محمد».

(٧) في «كتاب التفسير» (٨/ ١٨ ـ سورة البقرة).

(٨) في (ل): «عبد الحميد»! وكأنه صححها في الحاشية، لكنه مطموس بسبب التصوير والله أعلم.

(٩) من (ل).

(١٠) كذا في «الأصول» وهو الموافق لما في «صحيح البخاري». ووقع في (ج): «ووافقني»!

(١١) في (ل): «عليهن بالحجاب»!

يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟! فأنزل الله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ الآية [التحريم: ٥].

وقال ابن أبي مريم: أخبرنا يحيى بن أيوب، حدثني حميد، قال: سمعت أنساً عن عمر، ﷺ.

هكذا ساقه البخاري ها هنا، وعلق[١] الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري. وقد تفرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة. وروى عنه الباقون بواسطة، وغرضه من تعليق هذا الطريق (ليبين)[٢] فيه اتصال إسناد الحديث، وإنما لم[٣] يسنده؛ لأن يحيى بن أيوب الغافقي[٤] فيه شيء، كما قال الإمام أحمد فيه: «هو سيئ الحفظ»، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد[٥]: حدثنا هشيم، حدثنا حميد، عن أنس، قال: قال عمر، رضي الله (عنه): وافقت ربي ﷺ، في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله ﷺ نسائه في الغيرة. فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] فنزلت كذلك. ثم رواه أحمد، عن يحيى وابن أبي عدي[٦]، كلاهما عن حميد، عن أنس، عن عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، فذكره.

وقد رواه البخاري عن عمرو بن عون، والترمذي، عن أحمد بن منيع، والنسائي، عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي، وابن ماجه، عن محمد بن الصباح، كلهم عن هشيم بن بشير، به. ورواه الترمذي[٧] - أيضاً - عن عبد بن حميد، عن حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة. والنسائي[٨]، عن هناد، عن يحيى بن أبي زائدة، كلاهما عن حميد، وهو ابن تيرويه الطويل،

---

(١) علقها البخاري في «كتاب التفسير» لكنه وصلها في «كتاب الصلاة» (١/ ٥٠٥) في رواية كريمة المروزية قال: حدثنا ابن أبي مريم وذكره.
قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٥٠٥): «وفائدة إيراد هذا الإسناد ما فيه من التصريح بسماع حميد من أنس فأمن من تدليسه». انتهى.

(٢) في (ل): «ليتبين».

(٣) قد ذكرنا أنه أسنده في رواية كريمة.

(٤) لكن يحيى بن أيوب لم يتفرد بذكر التصريح بالتحديث فقد تابعه هشيم بن بشير قال: أخبرنا حميد حدثنا أنس؛ أخرجه الإسماعيلي في «المستخرج»، كما في «الفتح» (١/ ٥٠٦)، من رواية يوسف القاضي، عن أبي الربيع الزهراني عن هشيم.

(٥) في «مسنده» (١٥٧)؛ وأخرجه أحمد أيضاً في «فضائل الصحابة» (٤٣٥).
وأخرجه البخاري (١/ ٥٠٤؛ و٨/ ٦٦٠).

(٦) في «المسند» (١٦٠)؛ وفي «فضائل الصحابة» (٤٣٤) قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد الطويل، عن أنس.
وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩٨٦)؛ وفي «تهذيب الآثار» (١/ ٤٠٤ - مسند عمر) قال: حدثنا محمد بن بشار، ثنا ابن أبي عدي به.
أما رواية يحيى القطان فقد مضى تخريجها آنفاً.

(٧) رقم (٢٩٥٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٨) في «كتاب التفسير» (٦/ ٢٨٩، ٢٩٠ - الكبرى)، قال: أخبرنا هناد بن السري به.

به. وقال الترمذي: «حسن صحيح» ورواه الإمام علي ابن المديني[١]، عن يزيد بن زريع، عن حميد، به. وقال: «هذا من صحيح الحديث، وهو بصري». ورواه الإمام مسلم بن الحجاج في «صحيحه»[٢] بسند آخر، ولفظ آخر، فقال: حدثنا عقبة بن مكرم، أخبرنا سعيد بن عامر، عن (جويرية)[٣] بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر، قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أُسارى بدر، وفي مقام إبراهيم.

وقال (أبو حاتم)[٤] الرازي: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: وافقني ربي في ثلاث ـ أو وافقت ربي (قلت)[٥]: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله، لو حجبت النساء؟ فنزلت آية الحجاب. والثالثة: لما مات عبد الله بن أبي جاء رسول الله ﷺ ليصلي عليه. قلت: يا رسول الله، تصلي على هذا الكافر المنافق! فقال: «إيهاً عنك يابن الخطاب»، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

وهذا إسناد صحيح أيضاً، ولا تعارض بين هذا ولا هذا، بل الكل صحيح، ومفهوم العدد إذا عارضه منطوق قدم عليه، والله أعلم.

وقال (ابن جريج)[٦]: أخبرني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر[٧]: أن رسول الله ﷺ رمل ثلاثة أشواط، ومشى أربعاً، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين، ثم قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وقال ابن جرير[٨]: حدثنا يوسف بن (سلمان)[٩]، حدثنا حاتم بن إسماعيل، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: استلم رسول الله ﷺ الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت، فصلى ركعتين.

وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في «صحيحه»، من حديث حاتم بن إسماعيل.

---

(١) وتابعه عمرو بن علي ثنا يزيد بن زريع بهذا الإسناد سواء.
أخرجه البزار (٢٢٠ ـ البحر)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٩٨٧)؛ وفي «تهذيب الآثار» (١/٤٠٦ مسند عمر)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٩٨) قالوا جميعاً: حدثنا عمرو بن علي بن بحر به. قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن عمر بن الخطاب».

(٢) في «كتاب فضائل الصحابة» (٢٣٩٩/٢٤). (٣) في «ك»: «جرير».

(٤) في «ن»: «ابن أبي حاتم» وهو خطأ. [وصحح سنده الحافظ ابن كثير].

(٥) في (ج) و(ل): «فقلت». (٦) في (ل): «ابن جرير»!!

(٧) أخرجه مسلم (١٢٦٣/٢٣٦) من طريق ابن وهب، أخبرني مالك وابن جريج، عن جعفر بن محمد بهذا الإسناد ولم يذكر «ومشى أربعاً... إلخ».

(٨) في «تفسيره» (٢٠٠٣)؛ وأخرجه مسلم (١٢١٨/١٤٧).

(٩) في (ج) و(ل): «سليمان» وهو خطأ وهو يوسف بن سلمان الباهلي أبو عمر البصري من رجال «التهذيب» ومن شيوخ النسائي والترمذي. وثقه النسائي في رواية وابن حبان. وقال النسائي مرةً: «مشهور، لا بأس به». وقال أبو حاتم: «شيخ».

وروى البخاري[(١)] بسنده، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت ابن عمر يقول: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين.

فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار، كلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى، يطوف حول الكعبة، وهو واقف عليه، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها هكذا، حتى تم جدارات الكعبة، كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم وإسماعيل في بناء البيت، من رواية ابن عباس عند البخاري. وكانت آثار (قدميه)[(٢)] ظاهرةً فيه، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب في جاهليتها؛ ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية.

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة   على قدميه حافياً غير ناعل

وقد (أدرك)[(٣)] المسلمون ذلك فيه أيضاً (كما قال)[(٤)] عبد الله بن وهب[(٥)]: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب: أن أنس بن مالك حدثهم، قال: رأيت المقام فيه أثر أصابعه عليه السلام، وإخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

وقال ابن جرير[(٦)]: حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه (فيه)[(٧)]، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى.

قلت: وقد كان المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديماً، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك، وكان الخليل عليه السلام، لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك؛ ولهذا ـ والله أعلم ـ أمر بالصلاة هناك عند فراغ الطواف، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه، وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله (تعالى)[(٨)] عنه، (وهو)[(٨)] أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين، الذين أمرنا باتباعهم، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[(٩)]. وهو الذي نزل القرآن بوفاقه

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٤٩٩؛ و٣/ ٤٨٤، ٥٠٢، ٦١٥)؛ ومسلم (١٢٣٤/ ١٨٩).

(٢) في (ج): «قديمة».

(٣) في (ل): «استدرك».

(٤) كذا في «الأصول»؛ وفي (ز): «وقال».

(٥) أخرجه أبو عبد الله الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٨٦) [من طريق ابن وهب به، وسنده صحيح].

(٦) في «تفسيره» (٢٠٠٠) وسنده صحيح؛ وأخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٩، ٣٠) من طريق عمر بن سهل بن مروان، ثنا يزيد بن زريع بهذا الإسناد سواء.

(٧) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى): «فيها».

(٨) من (ل).

(٩) وهو حديث جيد يرويه عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً. هكذا رواه سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير؛ أخرجه الترمذي (٣٦٦٢).

في الصلاة عنده؛ ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

قال عبد الرزاق[(١)]، عن ابن جريج، حدثني عطاء وغيره من أصحابنا، قالوا: أول من نقله عمر بن الخطاب ﷺ.

[(٢)][وقال عبد الرزاق[(٣)] أيضاً، عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد قال: أول من أَخَّر المقام إلى موضعه الآن، عمر بن الخطاب (ﷺ)[(٤)]][(٢)].

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي[(٥)]: أخبرنا أبو (الحسين بن)[(٦)] الفضل القطان، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي، حدثنا أبو ثابت، حدثنا الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ: أن المقام كان في زمان رسول الله ﷺ، وزمان أبي بكر ملتصقاً بالبيت، ثم أخره عمر بن الخطاب، ﷺ. وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم.

وقال ابن أبي حاتم[(٧)]: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر العدني قال: قال سفيان ـ (يعني: ابن عيينة)[(٨)] وهو إمام المكيين في زمانه ـ [(٩)][كان المقام من (سقع)[(١٠)] البيت على عهد رسول الله ﷺ، فحوله عمر إلى مكانه][(٩)] بعد النبي ﷺ، وبعد قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ قال: ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا، فرده عمر إليه.

وقال سفيان: لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله. قال سفيان: لا أدري (أكان)[(١١)] لاصقاً بها أم لا؟

فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه، والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه[(١٢)]: حدثنا (أبو)[(١٣)] عمرو ـ (وهو أحمد بن محمد بن حكيم)[(١٤)] ـ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب (ابن أبي تمام)[(١٤)]، حدثنا آدم ـ (هو ابن أبي إياس

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٥/رقم ٨٩٥٥) وسنده صحيح إلى عطاء.
(٢) ساقط من (ز) و(ض).
(٣) في «المصنف» أيضاً (ج٥/رقم ٨٩٥٣) وسنده صحيح إلى مجاهد.
(٤) ساقط من (ج).
(٥) وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٩٨) قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال عبد العزيز: أراه عن عائشة ﷺ، قالت: إن المقام كان في زمن النبي ﷺ إلى سقع البيت. [وصحح سنده الحافظ ابن كثير].
وقوى الحافظ إسناده في «الفتح» (٨/ ١٦٩).
(٦) ساقط من (ز) و(ض).
(٧) في «تفسيره» (١٢٠٩) وسنده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٦٩).
(٨) ساقط من (ز) و(ض). (٩) ساقط من (ك).
(١٠) في (ن): «سقف»! والسقع والصقع: الناحية.
(١١) في (ل): «إن كان» وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٩٠) لابن أبي داود.
(١٢) عزاه الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٦٩) إلى ابن مردويه وقال: «بسند ضعيف».
(١٣) في «ن»: «ابن». (١٤) من (ن).

في «تفسيره»[(١)] -، حدثنا شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، قال: قال عمر: يا رسول الله، لو صلينا خلف المقام؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فكان المقام عند البيت، فحوله رسول الله ﷺ إلى موضعه هذا. قال مجاهد: قد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن.

هذا مرسل عن مجاهد، وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق[(٢)]، عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد أن أول من أخَّر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا أصح من طريق ابن مردويه، مع اعتضاد هذا بما تقدم، والله أعلم.

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.

قال الحسن البصري[(٣)]: قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ قال: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء.

وقال ابن جريج[(٤)]: قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[(٥)]: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي: أمرناه. كذا قال. والظاهر أن هذا الحرف إنما عدي بإلى؛ لأنه في معنى: تقدمنا وأوحينا.

وقال سعيد بن جبير[(٦)]، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ قال: من الأوثان.

وقال مجاهد[(٧)] وسعيد بن جبير: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ إن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبيد بن عمير[(٨)]، وأبي العالية، وسعيد بن جبير[(٩)]،

---

(١) من (ن).
(٢) وقد مر تخريجه قبل قليل.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٢) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٠٧).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠٠٨) وسنده صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٤)، وفي إسناده عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وأبو داود وغيرهم. وقال ابن عدي: «أحاديثه ليست بالكثيرة، وأحاديثه مقدار ما يرويه لا يتابع عليه».
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٥) وسنده كسابقه. وأخرجه ابن جرير (٢٠١٤) وفي إسناده أبو إسرائيل الملائي واسمه: إسماعيل بن خليفة مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٠١١، ٢٠١٢؛ و١٧/١٠٦) من طريق ابن أبي نجيح وابن جريج كلاهما عن عطاء بن أبي رباح، عن عبيد بن عمير. وهو صحيح.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٦) من طريق عمرو بن أبجد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعمرو هذا لم أجد له ترجمة. وعطاء بن السائب كان اختلط.

ومجاهد[(١)]، وعطاء، وقتادة[(٢)] ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي: بلا إله إلا الله، من الشرك.

وأما قوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ فالطواف بالبيت معروف، وعن سعيد بن جبير[(٣)] أنه قال في قوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ يعني: من أتاه من غربة، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين فيه. وهكذا رُوي عن قتادة[(٤)]، والربيع بن أنس: أنهما فسرا العاكفين بأهله المقيمين فيه، كما قال سعيد بن جبير.

وقال يحيى (بن)[(٥)] القطان، عن عبد الملك ـ هو ابن أبي سليمان ـ، عن عطاء[(٦)] في قوله: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ قال: من (انتابه)[(٧)] من الأمصار فأقام (عنده)[(٨)]، وقال لنا ـ ونحن مجاورون ـ: أنتم (من)[(٩)] العاكفين.

وقال وكيع[(١٠)]، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: إذا كان جالساً فهو من العاكفين.

وقال ابن أبي حاتم[(١١)]: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، قال: قلت لعبد الله بن عبيد بن عمير: ما أراني إلا مكلِّم الأمير أن أمنع الذين ينامون في المسجد الحرام، فإنهم (يجنبون)[(١٢)] ويحدثون. قال: لا تفعل، فإن ابن عمر سئل عنهم، فقال: هم العاكفون.

[(١٣)][ورواه عبد بن حميد، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن سلمة، به][(١٣)].

قلت: وقد ثبت في «الصحيح»[(١٤)] أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول ﷺ وهو عزب.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ فقال وكيع[(١٥)]، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠١٣؛ و١٧/١٠٦) وفي إسناده ليث بن أبي سليم. وهو ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٠١٥؛ و١٧/١٠٦) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (١/٥٨)، قال: نا معمر عن قتادة. وأخرجه ابن جرير (١٧/١٠٦) من طريق محمد بن ثور عن معمر مثله. وأخرجه ابن جرير (٢٠١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مثله وزاد: «وقول الزور». [وسنده صحيح].
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠١٧) قال: حدثنا أبو كريب. وابن أبي حاتم (١٢٢٠) من طريق علي بن إسحاق السمرقندي قالا: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير. وأبو بكر بن عياش تغير في آخر عمره، وكتابه صحيح.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٢) وفي إسناده أبو جعفر الرازي؛ وأخرجه ابن جرير (٢٠٢٢) من وجه آخر صحيح عن قتادة.
(٥) من (ك).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٣) قال: حدثنا علي بن الحسن، ثنا مسدد، ثنا يحيى القطان به وسنده صحيح.
(٧) في (ل): «أتى».
(٨) في (ك): «عندنا»!
(٩) ساقط من (ج).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٠١٩) قال: حدثنا أبو كريب، ثنا وكيع به. ولكن أبا بكر الهذلي متروك الحديث.
(١١) في «تفسيره» (١٢٢٤) وسنده صحيح.
(١٢) في «ل»: «يخبتون»!
(١٣) من (ن).
(١٤) هو في «الصحيحين»؛ أخرجه البخاري في «كتاب التهجد» (٣/٦).
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٥) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج قالا: حدثنا وكيع بسنده سواء. وسنده ضعيف جداً، وأبو بكر الهذلي متروك. والله أعلم.

ابن عباس: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: إذا كان مصلياً فهو من الركع السجود. وكذا قال عطاء[(١)] وقتادة[(٢)].

وقال ابن جرير[(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ: فمعنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين. والتطهير الذي أمرهما به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك. ثم أورد سؤالاً فقال: فإن قيل: فهل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه؟ وأجاب بوجهين:

أحدهما: أنه أمرهما بتطهيره مما (كان)[(٤)] يعبد عنده زمان قوم نوح من الأصنام والأوثان، ليكون ذلك سنة لمن بعدهما، (إذ كان)[(٥)] الله تعالى قد جعل إبراهيم إماماً يقتدى به، كما قال عبد الرحمٰن بن زيد: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال: من الأصنام التي يعبدون، التي كان المشركون يعظمونها.

قلت: وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم (محمد ﷺ)[(٦)].

الجواب الثاني: أنه أمرهما أن يخلصا (في)[(٧)] بنائه لله وحده لا شريك له، فيبنياه مطهراً من الشرك والريب، كما قال جل ثناؤه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩] قال: فكذلك قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [(٨)][على طهر من الشرك بي والريب، كما قال السدي: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ ابنيا بيتي للطائفين][(٨)].

وملخص هذا الجواب: أن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له، للطائفين به والعاكفين عنده، والمصلين إليه من الركع السجود، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

[(٩)][وقد اختلف الفقهاء: أيما أفضل، الصلاة عند البيت أو الطواف؟ فقال مالك: الطواف به لأهل الأمصار أفضل من الصلاة عنده، وقال الجمهور: الصلاة أفضل مطلقاً، وتوجيه كل منهما يذكر في «كتاب الأحكام»][(٩)].

والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته، المؤسس على عبادته وحده لا شريك له، ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠٢٤) قال: حدثنا أبو كريب، ثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي عن عطاء. وسنده كسابقه.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٠٢٥) وسنده صحيح.

(٣) في «تفسيره» (٣/٣٨، ٣٩).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) كذا في (ز) و(ك) وهو الموافق لما عند «ابن جرير».

(٦) من (ز) و(ض) و(ن) و(ى) والصلاة والتسليم من (ز) و(ض).

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) ساقط من (ك).

(٩) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

ثم ذكر أن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له، إما بطواف أو صلاة، فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة: قيامها، وركوعها؛ وسجودها، ولم يذكر العاكفين لأنه تقدم ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفين والعاكفين، واجتزأ بذكر الركوع والسجود عن القيام؛ لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام. وفي ذلك ـ أيضاً ـ رد على من لا يحجه من أهل الكتابين: اليهود والنصارى؛ لأنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل وعظمته، ويعلمون أنه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة، وغير ذلك، وللاعتكاف والصلاة عنده، وهم لا يفعلون شيئاً من ذلك، فكيف (يكونون)[(١)] (مقتدين)[(٢)] بالخليل، وهم لا يفعلون ما شرع الله له! وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الأنبياء عليهم السلام، كما أخبر بذلك المعصوم[(٣)]، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

وتقدير الكلام إذن: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [(٤)][أي: تقدمنا بوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل][(٤)] ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: طهراه من الشرك والريب، وابنياه خالصاً لله، معقلاً للطائفين والعاكفين والركع السجود. وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية، ومن قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور] ومن السنة من أحاديث كثيرة، من الأمر بتطهيرها وتطييبها[(٥)] وغير ذلك، من صيانتها من الأذى (والنجاسات)[(٦)] وما أشبه ذلك. ولهذا قال عليه السلام[(٧)]: «إنما بنيت المساجد لما بنيت له». وقد جمعت في ذلك جزءاً على حدة، ولله الحمد والمنة.

[(٨)][وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة، فقيل: الملائكة قبل آدم، وروى هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، ذكره القرطبي[(٩)] وحكى لفظه، وفيه غرابة، وقيل:][(٨)]

---

(١) في (ل): «يكون». (٢) في (ج): «مقتدون».

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١٦٥/ ٢٦٨).

تنبيه: الجؤار: هو رفع الصوت. ووادي الأزرق: هو واد في الحجاز قري من مكة. وهرشى: هي ثنية بين مكة والمدينة، ويقال: هي قريبة من الجحفة.

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٥) أما الأمر بتطهير المساجد ففيه نصوص شهيرة معروفة. وأما الأمر بتطييبها ففيه أحاديث منها ما أخرجه أبو داود (٤٧٩)؛ وابن خزيمة (٢/ ٢٧٠) بسند صحيح عن ابن عمر قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب يوماً إذ رأى نخامةً في قبلة المسجد، فتغيظ على الناس، ثم حكَّها. قال: وأحسبه قال: فدعا بزعفران فلطخه به وقال: «إن الله قبل وجه أحدكم إذا صلى، فلا يبزق بين يديه».

(٦) في (ل): «النجاسة». (٧) أخرجه مسلم (٥٦٩/ ٨٠).

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٩) في «تفسيره» (٢/ ١٢٠)، ولفظه: «وروى عن جعفر بن محمد قال: سئل أبي، وأنا حاضر، عن بدء خلق البيت، فقال: «إن الله عز وجل لما قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فغضب عليهم، فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة أشواط يسترضون ربهم حتى رضي عنهم، وقال لهم: ابنوا لي بيتاً في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم، ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي فأرضي عنه كما رضيت عنكم، فبنوا هذا =

(١)[آدم (عليه السلام)(٢)، رواه عبد الرزاق(٣)، عن ابن جريج، عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم: أن آدم بناه من خمسة أجبل: من حراء، وطور سيناء، وطور زيتا، وجبل لبنان، والجودى، وهذا غريب أيضاً. وروى نحوه عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة، وعن وهب بن منبه: أن أول من بناه شيث عليه السلام، وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين](١).

(٤)[وقال فخر الدين الرازي(٥): الأكثرون من أهل الأخبار على أن البيت كان موجوداً قبل إبراهيم على ما روينا فيه من الأحاديث، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ فدلَّ على وجود القواعد قبل ذلك، وفيما قاله نظر، فإنه لم يرد شيء من الأحاديث المرفوعة تدل على ما ذكره، وفي الاستدلال على ما ذكره من الآية نظر، إذ لا يلزم وجود القواعد قبل ذلك. والله أعلم](٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٦): حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاهها».

وهكذا رواه النسائي، عن محمد بن بشار، عن بندار، به.

وأخرجه مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، كلاهما عن أبي أحمد الزبيري، عن سفيان الثوري.

وقال ابن جرير(٧) ـ أيضاً ـ: حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا: حدثنا ابن إدريس. وحدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الرحيم الرازي، قالا جميعاً: سمعنا أشعث، عن نافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم كان عبد الله وخليله، وإني عبد الله ورسوله. وإن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، عضاهها وصيدها، لا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يقطع منها شجرة إلا لعلف بعير».

= البيت». وهذا سياق غريب جداً، وكثير مما ينسب إلى أبي جعفر الباقر لا يثبت عنه.
(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ى). (٢) من (ن). وسقط من (ج) و(ل).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٧) وصحح ابن كثير إسناده واستغربه كما يأتي قريباً.
(٤) من (ج) و(ل).
(٥) في «تفسيره» (٢/ ٦٢).
(٦) في «تفسيره» (٢٠٢٩)؛ وأخرجه مسلم (١٣٦٢/ ٤٥٨).
(٧) في «تفسيره» (٢٠٣٠).
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٦٥) قال: حدثنا ابن ذريح، هو محمد بن صالح، ثنا مسروق بن المرزبان، ثنا ابن أبي زائدة، ثنا أشعث بن سوار بسنده سواء. قال ابن عدي: «وهذا الحديث يرويه ابن أبي الزناد، عن الأشعث». وهذا الحديث أورده ابن عدي فيما استنكر على أشعث بن سوار.

وهذا الطريق غريبة، ليست في شيء من الكتب الستة، وأصل الحديث في «صحيح مسلم»[(١)] من وجه آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر، جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا. اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك. وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه». ثم يدعو أصغر وليد له، فيعطيه ذلك الثمر. وفي لفظ[(٢)]: «بركة مع بركة». ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان. لفظ مسلم.

ثم قال ابن جرير[(٣)]: حدثنا أبو كريب، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن أبي بكر بن محمد، عن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن رافع بن خديج، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها».

انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن قتيبة، عن بكر بن مضر، به. ولفظه كلفظه سواء. وفي «الصحيحين»[(٤)] عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: «التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني». فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه، فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل. وقال في الحديث: ثم أقبل حتى إذا بدا له أُحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه». فلما أشرف على المدينة قال: «اللهم إني أحرم ما بين جبليها، مثلما حرم به إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم [(٥)][في مدهم وصاعهم». وفي لفظ[(٦)] لهما: «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم][(٥)] في صاعهم، وبارك لهم في مُدهم». زاد البخاري[(٧)]: يعني: أهل المدينة.

«ولهما»[(٨)] أيضاً عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «(اللهم)[(٩)] اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة».

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم[(١٠)] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، (وحرمت)[(١١)] المدينة كما حرم إبراهيم مكة، (ودعوت)[(١٢)] لها في (مدها وصاعها)[(١٣)]

---

(١) رقم (١٣٧٣/ ٤٧٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٧٣/ ٤٧٤).
(٣) في «تفسيره» (٢٠٣١)؛ وأخرجه مسلم (١٣٦١/ ٤٥٦).
(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٥٣، ٥٥٤؛ و١١/ ١٧٣)؛ ومسلم (١٣٦٥/ ٤٦٢).
(٥) ساقط من (ج).
(٦) أخرجه البخاري في «كفارات الإيمان» (١١/ ٥٩٧) قال: حدثنا عبد الله بن يوسف؛ ومسلم في «كتاب الحج» (١٣٦٨/ ٤٦٥) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد كلاهما عن مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس.
(٧) أخرجه البخاري في «كتاب البيوع» (٤/ ٣٤٧)؛ وفي «كتاب الاعتصام» (١٣/ ٣٠٤).
(٨) يعني: للشيخين. وأخرجه البخاري في «فضائل المدينة» (٤/ ٩٧ - فتح).
(٩) من (ن) و(ى) وهو ثابت عند الشيخين، وسقط من بقية النسخ.
(١٠) أخرجه البخاري (٤/ ٣٤٦).
(١١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «البخاري»؛ وفي (ل): «وإني حرمت».
(١٢) في (ل): «وإني دعوت».
(١٣) في (ل): «صاعها ومدها».

(ومثل)[١] ما دعا إبراهيم لمكة».

رواه البخاري وهذا لفظه، ومسلم ولفظه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت لها في صاعها ومدها (بمثليْ)[٢] ما دعا إبراهيم لأهل مكة».

وعن أبي سعيد[٣] ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين (مأزميها)[٤]، (أن لا يهراق)[٥] فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف. اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين» الحديث رواه مسلم.

والأحاديث في تحريم المدينة كثيرة، وإنما أوردنا منها ما هو متعلق. بتحريم إبراهيم ﷺ، لمكة، لما في ذلك في مطابقة الآية الكريمة.

[٦][وتمسك بها من ذهب إلى (أن)[٧] تحريم مكة إنما كان على لسان إبراهيم الخليل، وقيل: إنها محرمة منذ خلقت مع الأرض وهذا أظهر وأقوى][٦].

وقد وردت أحاديث أخر تدل على أن الله تعالى حرم مكة قبل خلق السمٰوات والأرض، كما جاء في «الصحيحين»[٨]، عن عبد الله بن عباس، ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السمٰوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعةً من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها». فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقيْنهم ولبيوتهم. فقال: «إلا الإذخر» وهذا لفظ مسلم.

«ولهما»[٩] عن أبي هريرة نحو من ذلك.

ثم قال البخاري[١٠] بعد ذلك: (وقال)[١١] أبان بن صالح، عن الحسن بن مسلم، عن صفية بنت شيبة: سمعت النبي ﷺ، مثله.

---

(١) أشار ناسخ (ج) إلى أنه وقع في نسخة: «مثلي» وقد تقدم البحث فيه.

(٢) وقع في «الأصول»: «بمثل» والصواب ما أثبته، وإلا لماذا سجل ابن كثير لفظ مسلم وهو مثل لفظ البخاري؟ ما أعاد لفظ مسلم إلا ليبين التفاوت بينهما في هذا الحرف. والله أعلم.

(٣) أخرجه مسلم في «كتاب الحج» (١٣٧٤/ ٤٧٥).

(٤) في (ض): «لازمها»!! والمأزم: كل طريق ضيق بين جبلين.

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «صحيح مسلم»، ووقع في (ز) و(ض) و(ك): «لا يهراق».

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).

(٧) ساقط من (ج).

(٨) أخرجه البخاري (٣/ ٤٤٩؛ و٦/ ٢٨٣).
وأخرجه البخاري (٦/ ٣، ٣٧)؛ وأبو داود (٢٤٨٠)؛ والترمذي (١٥٩٠)؛ وأحمد (٢٣٥٣)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (٥٠٩)؛ وعبد الرزاق (٩٧١٣)؛ والبيهقي (٩/ ١٦) من طرق عن منصور. بهذا الإسناد مطولاً ومختصراً.

(٩) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٥؛ و١٢/ ٢٠٥)؛ ومسلم (١٣٥٥/ ٤٤٧).

(١٠) في «كتاب الجنائز» (٣/ ٢١٣).

(١١) في (ز) و(ض): «قال».

وهذا الذي علقه البخاري[١] رواه الإمام أبو عبد الله ابن ماجه، عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن الحسن بن مسلم بن يناق، عن صفية بنت شيبة، قالت: سمعت النبي ﷺ يخطب عام الفتح، فقال: «يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، لا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها، ولا يأخذ لقطتها إلا منشد». فقال العباس: إلا الإذخر؛ فإنه للبيوت والقبور. فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر».

وعن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد ـ وهو يبعث البعوث إلى مكة ـ: ائذن لي ـ أيها الأمير ـ أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يضعد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ، فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم. وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب». فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة.

رواه البخاري[٢] ومسلم، وهذا لفظه.

فإذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام، حرمها؛ لأن إبراهيم بلَّغ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها، وأنها لم تزل بلداً حراماً عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام، لها، كما أنه قد كان رسول الله ﷺ مكتوباً عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجَدلٌ في طينته[٣]، ومع هذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] الآية. وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره. ولهذا جاء في الحديث[٤] أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن بدء أمرك. فقال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ابن مريم، ورأت أمي (كأنه)[٥] خرج منها نور أضاءت له قصور الشام».

أي: أخبرنا عن بدء ظهور أمرك. كما سيأتي قريباً، إن شاء الله.

---

(١) وصله البخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/٤٥١، ٤٥٢) قال: قال لي عبيد بن يعيش، حدثنا يونس بن بكير، أخبرنا محمد بن إسحاق قال: حدثني أبان بن صالح بسنده سواء؛ وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (٣١٤٣) قال: حدثنا محمد بن علي بن داود، ثنا عبيد بن يعيش بهذا الإسناد؛ وأخرجه ابن ماجه (٣١٠٩) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا يونس بن بكير بسنده سواء. وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في «جزاء الصيد» (٤/ ٤١ ـ صحيحه)؛ ومسلم (١٣٥٤/ ٤٤٦).

(٣) لا يثبت الحديث بهذا اللفظ.
[وله شاهد]. أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثانى» (٢٩١٨)؛ وفي «السنة» (٤١١) قال: حدثنا هدبة. قال الحافظ في «الإصابة» (٦/ ٢٤٠): «إسناده صحيح» وكذلك قال شيخنا الألباني في «ظلال الجنة».

(٤) وهو حديث حسن.

(٥) في (ل): «كأنها».

وأما مسألة تفضيل مكة على المدينة، كما هو قول الجمهور، أو المدينة على مكة، كما هو مذهب مالك وأتباعه، فتذكر في موضع آخر بأدلتها، إن شاء الله، وبه الثقة.

وقوله تعالى إخباراً عن الخليل أنه قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: من الخوف، لا يرعب أهله، وقد فعل الله ذلك شرعاً وقدراً؛ (كقوله تعالى)[١]: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] (وقوله)[٢] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] إلى غير ذلك من الآيات. وقد تقدمت الأحاديث في تحريم القتال فيها. وفي «صحيح مسلم»[٣]، عن جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح». وقال في هذه السورة: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: اجعل هذه البقعة بلداً آمناً، وناسب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [٣٥] وناسب هذا هناك لأنه ـ والله أعلم ـ كأن وقع دعاء (مرةً ثانيةً) بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سناً من إسماعيل بثلاث عشرة سنة؛ ولهذا قال في آخر الدعاء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم].

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

قال أبو جعفر الرازي[٤]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال: هو قول الله تعالى. وهذا قول مجاهد[٥] وعكرمة وهو الذي صوبه ابن جرير، رحمه الله تعالى: قال: وقرأ آخرون: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فجعلوا ذلك من تمام دعاء إبراهيم، كما رواه أبو جعفر[٦]، عن الربيع، عن أبي العالية قال: كان ابن عباس يقول: ذلك قول إبراهيم، يسأل ربه أن من كفر فأمتعه قليلاً.

وقال ابن أبي جعفر[٧]، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ يقول: ومن كفر فأرزقه أيضاً ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقال محمد بن إسحاق[٨]: لما عزل إبراهيم عليه السلام، الدعوة عمن أبى الله أن يجعل له الولاية

---

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ن) و(ى)؛ وفي (ل): «كما قال الله تعالى»؛ وفي (ك): «لقوله تعالى».

(٢) من (ن) و(ى).

(٣) في «كتاب الحج» (١٣٥٦/ ٤٤٩).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٣)؛ وابن أبي حاتم (١٢٣٣) وسنده حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٥) من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح قال: سمعت عكرمة فذكر مثله. قال ابن أبي نجيح: سمعت هذا من عكرمة ثم عرضته على مجاهد فلم ينكره. [وسنده صحيح].

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٥)؛ وابن أبي حاتم (١٢٣٤). [وسنده جيد].

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٥) قال: حدثنا المثنى، ثنا إسحاق، ثنا ابن أبي جعفر فذكره. وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن جرير، ولضعف ليث بن أبي سليم. ولكن أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٦) من طريق ابن أبي زائدة أنا إسرائيل عن خصيف عن سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد فذكره، وهذا سند صالح يعتبر به وخصيف بن عبد الرحمٰن مختلف فيه.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤) قال: حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة، قال ابن إسحاق فذكره. وسنده ضعيف جداً =

- انقطاعاً إلى الله ومحبته، وفراقاً لمن خالف أمره، وإن كانوا من ذريته، حين عرف أنه كائن منهم أنه ظالم ألا يناله عهده، بخبر الله له بذلك - قال الله: ومن كفر فإني أرزق البر والفاجر وأمتعه قليلاً.

وقال حاتم بن إسماعيل[١]، عن حميد الخراط، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ قال ابن عباس: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس، فأنزل الله ومن كفر أيضاً أرزقهم كما أرزق المؤمنين أأخلق خلقاً لا أرزقهم؟! أمتعهم قليلاً، ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير. ثم قرأ ابن عباس: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء]. رواه ابن مردويه. وروى عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك أيضاً. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس] وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان] وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف].

وقوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار وبئس المصير. ومعناه: أن الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج] وفي «الصحيحين»[٢]: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم»، وفي «الصحيح»[٣] (أيضاً)[٤]: «إن الله (ليملي)[٥] للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود].

[٦][وقرأ بعضهم «قال: ومن كفر فأمتعه قليلاً، ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير»][٦]

= لوهاء ابن حميد. وسلمة بن الفضل لين الحفظ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٢٨) قال: حدثنا أبي، ثنا هشام بن عمار، ثنا حاتم بن إسماعيل به. وهشام بن عمار في حفظه مقال. وقد تابعه إبراهيم بن موسى الرازي، ثنا حاتم بن إسماعيل. أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٦) قال: حدثنا أبي، ثنا إبراهيم. وإبراهيم هذا هو الملقب بـ«الصغير» وهو ثقة؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٢/رقم ١٢٤٠٢) من طريق سعيد بن عمرو الأشعثي ثنا حاتم بن إسماعيل به وهذا إسناد جيد، لولا ما نقله العلائي في «جامع التحصيل» (٥٥٠) عن الإمام أحمد أنه قال: «عمار بن معاوية الدهني لم يسمع من سعيد بن جبير شيئاً».

(٢) مر تخريجه تحت الآية (١١٦).

(٣) وهو في «الصحيحين»؛ أخرجه البخاري في «كتاب التفسير» (٨/ ٣٥٤)، ومسلم (٢٥٨٣/ ٦١).

(٤) ساقط من (ك). (٥) في (ج) و(ل): «يملى».

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ى). واستدركته من (ج) و(ك) و(ل) و(ن).

[1][جعله من تمام دعاء إبراهيم، وهي قراءة شاذة، مخالفة للقراء السبعة، وتركيب السياق يأبى (معناها)[2]، والله أعلم، فإن الضمير في ﴿قَالَ﴾ راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة، يكون الضمير عائداً على إبراهيم، وهو خلاف نظم الكلام، والله سبحانه هو العلام][1].

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ فالقواعد: جمع قاعدة، وهي السارية والأساس، يقول تعالى: واذكر ـ يا محمد ـ لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، البيت، ورفعهما القواعد منه، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [3][وحكى القرطبي[4] وغيره عن أبي وابن مسعود أنهما كانا يقرآن: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

قلت: ويدل على هذا قولهما بعده: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ الآية][3].

فهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما، كما روى ابن أبي حاتم[5] من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي، عن وهيب بن الورد: أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمٰن، ترفع قوائم بيت الرحمٰن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك؟. وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين (الخلص)[6] في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أي: خائفة ألا يتقبل منهم. كما جاء به الحديث الصحيح، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ كما سيأتي في موضعه[7].

وقال بعض المفسرين: الذي كان يرفع القواعد هو إبراهيم، والداعي إسماعيل: والصحيح أنهما كانا يرفعان ويقولان، كما سيأتي بيانه.

وقد روى البخاري ها هنا حديثاً سنورده ثم نتبعه بآثار متعلقة بذلك، قال البخاري[8] رحمه الله:

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب السختياني، وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ـ يزيد أحدهما على الآخر ـ عن سعيد بن جبير، عن ابن

---

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ى). واستدركته من (ج) و(ك) و(ل) و(ن).
(٢) ساقط من (ل)؛ وفي (ك): «معناه».
(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).
(٤) في «تفسيره» (٢/ ١٢٦).
(٥) في «تفسيره» (١٢٥٠) ومن طريق أبي بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس وابن أبي زياد قالا: ثنا محمد بن يزيد بن خنيس به. والراويان عن محمد بن يزيد لم أقف لهما على ترجمة. ومحمد بن يزيد بن خنيس وثقه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» (٤/ ١/ ١٢٧) وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ٦١) وقال: «ربما أخطأ، يعتبر بحديثه إذا بين السماع في خبره ولم يرو عنه إلا ثقة» ومع ذلك فقد قال الحافظ فيه «مقبول»!
(٦) في (ز) و(ض): «المخلصين».
(٧) من تفسير سورة المؤمنون الآية [٦٠].
(٨) في «كتاب الأنبياء» (٦/ ٣٩٦ ـ ٣٩٨) من طريق عبد الرزاق وهذا في «المصنف» (ج٥/ رقم ٩١٠٧) بسنده سواء؛ وأخرجه البخاري أيضاً في «كتاب المساقاة» (٥/ ٤٣) بهذا الإسناد مختصراً.

عباس ﷺ، قال: أول (ما)[١] اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، (عليهما)[٢] السلام. اتخذت منطقاً (لتعفي)[٣] أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل، (عليهما)[٤] السلام، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاءً فيه ماء، ثم قفى إبراهيم عليه السلام منطلقاً. فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. (فقالت له)[٥]: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، قال: ﴿رَبَّنَا[٦] إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل عليه السلام، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد (ما في السقاء)[٧] عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال: يتلبط[٨] ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض (يليها)[٩]، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي. ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فلذلك سعيُ الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد: نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً. فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال: بجناحه ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم ـ أو قال: لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عيناً معيناً».

(قال)[١٠]: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا يتخافى الضيعة؛ فإن ها هنا

---

(١) في (ل): «من».

(٢) في (ل): «عليه» ولم يقع ذكر التسليم أصلاً في «الصحيح».

(٣) في (ل): «لتقتفى»؛ وفي (ز) و(ض): «ليعفى» بالتحتانية.

(٤) في (ج) و(ل): «عليه» وسقط من (ك) و(ن) و(ى).

(٥) في (ك): «وقالت»؛ وفي (ج): «قالت».

(٦) كذا وقع في كل «الأصول» ما عدا (ز) ففيها (ربنا) وكذلك وقع في رواية الكشميهنيّ كما نبه عليه الحافظ في «الفتح»، وأظن أن المحققين لطبعة «الشعب» من «التفسير» غيروا ما جاء في «الأصل» لأن النسخة (ض)، وهي مأخوذة عن النسخة الأزهرية، وقع فيها «رب»، ونبه ناسخ (ن) و(ى) إلى أنها في المصحف: «ربنا».

(٧) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض): «ماء السقاء».

(٨) يتلبط؛ يعني: يتمرغ.

(٩) في (ل): «إليها».

(١٠) من (ن) و(ى). وهو في «الصحيح».

بيتاً لله ﷻ يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله ﷻ، لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ـ أو أهل بيت من جرهم ـ مقبلين من طريق كداء. فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر (ليدور)[١] على (ماء)[٢] لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا جرياً أو جريين، فإذا هم بالماء. فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا. قال: وأم إسماعيل عند الماء. فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم.

قال (عبد الله)[٣] بن عباس: فقال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس». فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم. حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأةً منهم. وماتت أم إسماعيل (عليه السلام)[٤]، فجاء إبراهيم (عليه السلام)[٥] بعد ما تزوج إسماعيل (يطالع)[٦] تركته. فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه. فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة. وشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك (اقرئي)[٧] عليه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل عليه السلام، كأنه آنس شيئاً. فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، (فسألنا)[٨] عنك، فأخبرته، وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، (ويقول)[٩]: غيِّر عتبة بابك. قال: ذاك أبي. (وقد)[١٠] أمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم بأخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده. فدخل على امرأته، فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة. وأثنت على الله ﷻ. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: «اللهم بارك لهم في اللحم والماء». قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم، لدعا لهم فيه. قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه». قال: «فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل عليه السلام، قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، (وأثنت عليه)[١١]، فسألني عنك،

---

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) كذا في (ن) و(ى) وأشار إليها ناسخ (ج) في الحاشية، وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل): «الماء».

(٣) من (ج) و(ض) و(ل) و(ى).

(٤) ساقط من (ن) و(ى)؛ وفي (ز): «عليهما».

(٥) من (ج) و(ك) و(ل).

(٦) كذا في (ج) و(ل) و(ن) وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي (ز) و(ض): «ليطالع»؛ وفي (ك): «وطالع بركته»!!

(٧) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض) فأقرئي وهو الموافق لما في «الصحيح».

(٨) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض): «فسألني».

(٩) في (ك): «ويقول لك».

(١٠) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ل).

(١١) في (ل): «أثنت عليه خيراً».

فأخبرته، [(١)][فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته][(١)] أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله ﷻ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل (يبري نبلاً له)[(٢)] تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الولد بالوالد، والوالد بالولد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله (ﷻ)[(٣)] أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك ﷻ. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت (فجعل)[(٤)] إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبنى، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾»، [(٥)][قال: «فجعلا يبنيان حتى (يدورا)[(٦)] حول البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾»][(٥)].

[(٧)][ورواه عبد بن حميد، عن عبد الرزاق به مطولاً][(٧)].

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبي عبد الله محمد بن حماد الظهراني، وابن جرير، عن أحمد بن ثابت الرازي، كلاهما عن عبد الرزاق (به)[(٨)] مختصراً.

وقال أبو بكر بن مردويه[(٩)]: حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أحمد بن محمد الأزرقي، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن عبد الملك بن جريج، عن كثير بن كثير، قال: كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان، وعبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي حسين في ناس مع سعيد بن جبير، في أعلى المسجد ليلاً، فقال سعيد بن جبير: سلوني قبل أن لا تروني. فسألوه عن المقام. فأنشأ يحدثهم عن ابن عباس، فذكر الحديث بطوله:

ثم قال البخاري[(١٠)]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو عامر عبد الملك بن

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) في (ل): «يبنى بيتاً له»! وسقطت لفظة «له» من (ج).

(٣) من (ج) و(ض) و(ك) و(ل).

(٤) في (ل): «قال: فجعل».

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ل): «تدور».

(٧) من (ن) و(ى).

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) أخرجه أبو الوليد الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨؛ و٥٨، ٥٩) قال: حدثني جدي، هو أحمد بن محمد الأزرقي، ثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن جريج، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، حدثنا عبد الله بن عباس وذكر طرفاً من الحديث. والزنجي ضعيف ولكنه توبع. تابعه محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدثنا ابن جريج قال: أما كثير بن كثير فحدثني قال: إني وعثمان بن أبي سليمان جلوس مع سعيد بن جبير فقال: ما هكذا حدثني ابن عباس وذكره مختصراً جداً؛ أخرجه البخاري (٦/ ٣٩٦) معلقاً ووصله عمر بن شبة في «كتاب مكة»؛ وأبو نعيم في «المستخرج»، كما في «الفتح» (٦/ ٤٠٠)، وتابعه أيضاً محمد بن جشعم، عن ابن جريج بسنده سواء.

(١٠) في «كتاب الأنبياء» (٦/ ٣٩٨، ٣٩٩).

وأخرجه النسائي في «كتاب المناقب» (٥/ ١٠١، ١٠٢ ـ الكبرى) قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن المبارك قال: أنا أبو عامر وعثمان بن عمر، عن إبراهيم بن نافع بهذا الإسناد بطوله. وأخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٣) قال: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، ثنا عثمان بن عمر ثنا إبراهيم بن نافع بهذا =

(عمرو)[١]، حدثنا إبراهيم بن نافع، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل، ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة، فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل، حتى (لما)[٢] بلغوا كداء (نادته)[٣] من ورائه: يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله ﷻ. قالت: رضيت بالله. قال: فرجعت، فجعلت تشرب من الشنة، ويدر لبنها على صبيها حتى لما فنى الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت هل تحس أحداً، فلم تحس أحداً. فلما بلغت الوادي (سعت)[٤] حتى أتت المروة، ففعلت ذلك أشواطاً ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، تعني: الصبي، فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً، حتى أتممت سبعاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير. فإذا جبريل ﷺ قال: فقال بعقبه هكذا، وغمز عقبه على الأرض. قال: فانبثق الماء، فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفر.

قال: فقال أبو القاسم ﷺ: «لو تركته لكان الماء (ظاهراً)[٥]».

قال: فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها.

قال: فمر ناس من جرهم ببطن الوادي، فإذا هم بطير، كأنهم أنكروا ذلك، وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر، فإذا هو بالماء. فأتاهم فأخبرهم. فأتوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل، أتأذنين لنا أن نكون معك ـ أو نسكن معك؟ ـ فبلغ ابنها ونكح (فيهم)[٦] امرأةً.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم (ﷺ)[٧]، فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فسلم، فقال: أين إسماعيل؟ قالت امرأته: ذهب يصيد. قال: قولي له إذا جاء: غيِّر عتبة بيتك. فلما جاء أخبرته، قال: أنت ذاك، فاذهبي إلى أهلك.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال: ما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم.

= الإسناد مختصراً؛ وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩٩٩، ٢٠٥٦)؛ والحاكم (٢/ ٥٥١، ٥٥٢) قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، قالا: ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا أبو علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، عن إبراهيم بن نافع [وسقط ذكره من «المستدرك»] بسنده سواء. وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين، فتعجب ابن كثير من استدراكه هذا على البخاري، ولم ينبه على أنه ليس على شرط مسلم أيضاً، لأنه لم يخرج هذه الترجمة في «صحيحه»: «إبراهيم بن نافع، عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير». ولم يخرج الشيخان لأبي على الحنفي شيئاً عن إبراهيم بن نافع.

(١) في (ك): «عمير» وهو خطأ.
(٢) ساقط من (ز)؛ وفي (ن): «إذا».
(٣) في (ل): «سألته»!
(٤) في (ل): «وسعت».
(٥) في (ل): «ظاهر».
(٦) في (ل): «منهم».
(٧) في (ك) و(ل): «ﷺ».

قال: فقال أبو القاسم ﷺ: «بركة بدعوة إبراهيم».

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم ﷺ فقال لأهله: إني مطلع تركتي. فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح (نبلاً له)[1]. فقال: يا إسماعيل، إن ربك ﷻ، أمرني أن أبني له بيتاً. فقال: أطع ربك ﷻ. قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه؟ فقال: إذن أفعل ـ أو كما قال ـ قال: (فقاما)[2]، (فجعل)[3] إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [4][قال: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة. فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾][4].

هكذا رواه من هذين الوجهين في «كتاب الأنبياء».

والعجب أن الحافظ أبا عبد الله الحاكم رواه في كتابه «المستدرك»، عن أبي العباس الأصم، عن محمد بن سنان القزاز، عن أبي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، عن إبراهيم بن نافع، به. وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». كذا قال! وقد رواه البخاري كما ترى، من حديث إبراهيم بن نافع، كأن فيه اقتصاراً، فإنه لم يذكر فيه (شأن)[5] الذبح. وقد جاء في «الصحيح»[6]، أن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة. وقد جاء[7] أن إبراهيم ﷺ، كان يزور أهله بمكة (على البراق سريعاً)[8]، ثم يعود (إلى أهله بالبلاد)[9] المقدسة، والله أعلم. والحديث ـ والله أعلم ـ إنما فيه ـ مرفوع ـ أماكن صرح بها ابن عباس، عن النبي ﷺ.

---

(١) في (ل): «بيتاً له».

(٢) من (ز) و(ك). وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي سائر «الأصول»: فقام.

(٣) في (ج) و(ل): «قال: فجعل».

(٤) هذا القدر ليس في «الصحيح» وهو عند ابن جرير (٢٠٥٦) وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٠٦).

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) لم أظفر به، فلينظر. وقد أخرج أبو داود (٢٠٣٠) قال: حدثنا ابن السرح وسعيد بن منصور ومسدد وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦١١) قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب؛ وأحمد (٤/ ٦٨؛ و٥/ ٣٨٠)؛ وابن أبي شيبة (٢/ ٤٦)؛ والحميدي (٥٦٥) ومن طريقه ابن قانع (٢/ ٢٥٥)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٨٣) ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (ج٩/ رقم ٨٣٩٦)؛ والبيهقي (٢/ ٤٣٨)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٥٥) من طريق مسدد من طريق أحمد بن شيبان الرملي تسعتهم عن سفيان بن عيينة، عن منصور الحجبي، حدثني خالي: مسافع بن شيبة، عن صفية بنت شيبة أم منصور، قالت: أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة. وقالت مرةً: إنها سألت عثمان بن طلحة: لم دعاك النبي ﷺ؟ قال: «إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما، فخمرهما، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلى» قال سفيان: لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت، فاحترقا. وسنده صحيح. وانظر «أخبار مكة» (١/ ١٥٩ ـ ١٦٢) للأزرقي؛ و«المصنف» (٥/ ٨٦، ٨٧) لعبد الرزاق.

(٧) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٠٤): «في حديث أبي جهيم: كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوةً، فيأتي مكة، ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام. وروى الفاكهي من حديث علي بإسناد حسن نحوه، وأن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق». انتهى.

(٨) في (ل): «سريعاً على البراق».

(٩) في (ل): «لأهله إلى البلاد».

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ)[(١)] في هذا السياق ما يخالف بعض (هذا)[(٢)]، كما قال ابن جرير[(٣)]:

حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى قالا: حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي بن أبي طالب، قال: لما أمر إبراهيم ببناء البيت، خرج معه إسماعيل وهاجر. قال: فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة، فيه مثل الرأس. فكلمه، قال: يا إبراهيم، ابنِ على ظلي ـ أو قال: على قدري ـ ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج، وخلَّف إسماعيل وهاجر، فقالت هاجر: يا إبراهيم، إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله. قالت: انطلق، فإنه لا يضيعنا. قال: فعطش إسماعيل عطشاً شديداً، قال: فصعدت هاجر إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً، حتى أتت المروة فلم تر شيئاً، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً، حتى أتت المروة فلم تر شيئاً، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً، حتى فعلت ذلك سبع مرات، فقالت: يا إسماعيل، (مُت)[(٤)] حيث لا أراك. فأتته وهو يفحص برجله من العطش. فناداها جبريل فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم. قال: [(٥)][فإلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله (ﷻ)[(٦)] قال][(٥)]: (وكلكما)[(٧)] (إلى)[(٨)] كافٍ. قال: ففحص الأرض بإصبعه، فنبعت زمزم. فجعلت تحبس الماء فقال: فإنها رواء.

ففي هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما، وقد يحتمل ـ إن كان محفوظاً ـ أن يكون أولاً وضع له حوطاً وتحجيراً، لا أنه بناه إلى أعلاه، حتى كبر إسماعيل فبنياه معاً، كما قال الله تعالى.

ثم قال ابن جرير[(٩)]: حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعرة، أن رجلاً قام إلى علي ﷺ، فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أول بيت وضع في الأرض؟ قال: لا، ولكنه أول بيت وضع (فيه)[(١٠)] البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، وإن شئت أنبأتك كيف بُني: إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابنِ لي بيتاً في الأرض، قال: فضاق إبراهيم بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة ـ وهي ريح خجوج[(١١)]، ولها رأسان ـ فأتبع أحدهما

---

(١) من (ل).
(٢) في (ل): «هذاك».
(٣) في «تفسيره» (٢٠٥٧)؛ وأخرجه في «التاريخ» (١/ ١٢٩) بهذا الإسناد سواء. وأخرج الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٦٠) طرفاً منه من طريق محمد بن أبان عن أبي إسحاق السبيعي بهذا الإسناد، ومؤمل بن إسماعيل صدوق لكنه كان كثير الخطأ، ولم يكن من الرفعاء من أصحاب الثوري.
(٤) كذا في (ز) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي سائر «الأصول»: «من».
(٥) ساقط من (ل) وعنده: «فإنه وكلكما».
(٦) من (ك).
(٧) في (ج): «كلكما»!
(٨) ساقط من (ز) و(ض).
(٩) في «تفسيره» (٢٠٥٨)؛ وأخرجه في «تاريخه» (١/ ١٢٨، ١٢٩) بهذا الإسناد.
أخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٢، ٢٩٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم». كذا قال، وخالد بن عرعرة فضلاً عن أنه ليس من رجال مسلم، بل لم يخرج له أحد من الستة.
(١٠) في سائر «الأصول»: «في». وانظر ما كتبه الشيخ محمود شاكر (٣/ ٧٠) رحمه الله.
(١١) الخجوج: هي الرياح الشديدة العاتية.

صاحبه، حتى انتهت إلى مكة، (فتطوت)[(١)] على موضع البيت كطي الحجفة، وأمر إبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة. فبنى إبراهيم وبقي حجر، فذهب الغلام يبغي شيئاً. فقال إبراهيم: أبغني حجراً كما آمرك. قال: فانطلق الغلام يلتمس له حجراً، فأتاه به، فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه. فقال: يا أبه، من أتاك بهذا الحجر؟ فقال: أتاني به من (لم)[(٢)] يتكل على بنائك، جاء به جبريل عليه السلام، من السماء. فأتماه.

وقال ابن أبي حاتم[(٣)]: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان، عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيب، عن كعب الأحبار، قال: كان البيت غثاءةً على الماء قبل أن يخلق الله الأرض بأربعين عاماً، ومنه دحيت الأرض.

قال سعيد[(٤)]: وحدثنا علي بن أبي طالب: أن إبراهيم أقبل من أرمينية، ومعه السكينة تدلُّه على (تبوء)[(٥)] البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتاً، قال: فكشفت عن أحجار (لا يطيق)[(٦)] الحجر إلا ثلاثون رجلاً. (فقلت)[(٧)]: يا أبا محمد، فإن الله يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: كان ذلك بعد.

وقال السدي[(٨)]: إن الله عز وجل، أمر إبراهيم أن يبني (البيت)[(٩)] هو وإسماعيل: ابنيا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود، فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى أتى مكة، فقام هو وإسماعيل، وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت؟ فبعث الله ريحاً، يقال لها: ريح الخجوج، لها جناحان ورأس في صورة حية، فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى

---

(١) في (ك): «فنظرت»! وتطوت: يعني: استدارت. يقال: تطوت الحية؛ تحوت والتفت بعضها على بعض واستدارت كالطوق. والحجفة: الترس من الجلد. (شاكر).

(٢) في (ل): «لا».

(٣) في «تفسيره» (١٢٤٥).
وأخرجه ابن جرير (٢٠٥٠) من طريق عبد الرزاق. والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣١) قال: حدثنا جدي أحمد بن محمد بن الوليد قالا: ثنا سفيان بن عيينة بهذا الإسناد. وسنده صحيح إلى كعب.

(٤) هو ابن المسيب، وهذا من تتمة الخبر وقد وقع هكذا في «تفسير ابن أبي حاتم»: «سعيد بن المسيب قال: وحدثنا علي بن أبي طالب» وكذلك أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٦٢) قال: حدثني جدي، ثنا ابن عيينة، عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني علي بن أبي طالب؛ وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٠/ ٣٢) من وجه آخر عن ابن عيينة؛ وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٧) من طريق زكريا بن إسحاق، عن بشر بن عاصم بإسناده وفيه: «سعيد ثنا علي بن أبي طالب». ولكن وقع في «تفسير الطبري» (٢٠٥٠) من طريق عبد الرزاق نا ابن عيينة، بسنده قال: «سعيد: وحدثنا عن علي». وهذا يدل على الانقطاع. ورجح الشيخ أبو الأشبال رحمه الله أن الصواب ما وقع عند ابن أبي حاتم وغيره من ثبوت الاتصال. والله أعلم. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ١٢٦) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) في (ك): «بنوا».

(٦) في (ج): «ولا يطيق».

(٧) في (ز) و(ض): «قلت».

(٨) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٠٠٩، ٢٠٥٣)؛ وفي «تاريخه» (١/ ١٢٩) قال: حدثني موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١٢٤٧) قال: قال: حدثنا أبو زرعة قالا: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي. [وسنده حسن].

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

وضعا الأساس. فذلك حين يقول (الله)[١] تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن. قال إبراهيم لإسماعيل: يا بني! اطلب لي حجراً حسناً أضعه ها هنا. قال: يا أبت، إني كسلان (لغب)[٢].

قال: علي بذلك فانطلق[٣] يطلب له حجراً، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند، وكان أبيض، ياقوتةً (بيضاء)[٤] مثل الثغامة، وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس، فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن، فقال: يا أبه، من جاءك بهذا؟ قال: جاء به من هو أنشط منك. فبنيا وهما يدعوان الكلمات التي ابتلي (بهن)[٥] إبراهيم ربُّه، (فقال)[٦]: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وفي هذا السياق ما يدل على أن قواعد البيت كانت مبنيةً قبل إبراهيم. وإنما هُديَ إبراهيم إليها وبوئ لها. وقد ذهب إلى (هذا)[٧] ذاهبون، كما قال الإمام (عبد الرزاق)[٨]: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ (قال)[٩]: القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك.

وقال عبد الرزاق[١٠] أيضاً: أخبرنا هشام بن حسان، عن سوَّار ـ ختن عطاء ـ عن عطاء بن أبي رباح، قال: لما أهبط الله آدم من الجنة، كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم، يأنس إليهم، (فهابت)[١١] الملائكة، حتى شكت إلى الله في دعائها

---

(١) لفظ الجلالة من (ل).

(٢) في (ك): «تعب». وهي كذلك في «تفسير الطبري»؛ وفي سائر «الأصول» ما أثبته وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٣) في «تفسير الطبري» زيادة قبل هذه اللفظة وهي: «فانطلق فطلب حجراً فجاءه بحجر فلم يرضه، قال: ائتني بحجر أحسن من هذا، فانطلق يطلب له حجراً... إلخ».

(٤) ساقط من (ج).

(٥) من (ل).

(٦) في (ل): «بكلمات فقال».

(٧) في (ز) و(ض): «ذلك».

(٨) في (ج): «عبد الرزاق أيضاً» وقوله: «أيضاً» لا وجه له لأنه لم يتقدم ذكر لعبد الرزاق إنما قالها ابن كثير بعد ذلك في رواية هشام بن حسان، فكأنه سبق قلم ابن المخب ناسخ (ج) فكتبها. والله أعلم. وقد أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٥٨، ٥٩) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٣٨) قال: أخبرنا معمر. وتوبع عبد الرزاق. تابعه محمد بن ثور عن معمر مثله أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٢) من طريق نعيم بن حماد ثنا محمد بن ثور. [وصحح سنده الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٨/ ١٧٠)].

(٩) في (ج): «قالوا».

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٠٤١)؛ وفي «تاريخه» (١/ ٦١) من طريق عبد الرزاق به. وسنده ضعيف وسوار ختن عطاء هو ابن أبي حكيم. ترجمه البخاري في «الكبير» (٢/ ٢/ ١٦٨)؛ وابن أبي حاتم (٢/ ١/ ٢٧٣) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً. وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٤٢٢) فهو مجهول الحال. وانتقل نظر الشيخ أحمد شاكر كَلَّلهُ فنقل في تعليقه على «تفسير الطبري» (٣/ ٦٠) تصحيح ابن كثير لهذا الخبر وابن كثير إنما صحح الخبر الذي بعده. والله أعلم. ثم رأيته في «أخبار مكة» (١/ ٣٦) للأزرقي فرواه من طريق جده قال: ثنا سعيد بن سالم، عن طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس وسياقه مطول. وسنده ضعيف جداً. وطلحة بن عمرو متروك الحديث.

(١١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز): «فهابته» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

وفي صلاتها. فخفضه الله إلى الأرض، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته. فوجَّه إلى مكة، فكانت موضع قدمه قريةً، وخطوه مفازةً، حتى انتهى إلى مكة، وأنزل الله ياقوتةً من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن. فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة، حتى بعث الله إبراهيم عليه السلام، فبناه. وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال عبد الرزاق[١]: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، قال: قال آدم: إني لا أسمع أصوات الملائكة؟! قال: بخطيئتك، ولكن اهبط إلى الأرض، فابن لي بيتاً ثم احفف به، كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء. فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل: من حراء، وطور زيتا، وطور سينا، وجبل لبنان، والجودي. وكان ربضه من حراء. فكان هذا بناء آدم، حتى بناه إبراهيم عليه السلام، بعد.

وهذا صحيح إلى عطاء، ولكن في بعضه نكارة، والله أعلم.

وقال عبد الرزاق[٢] أيضاً: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: وضع الله البيت مع آدم (حين)[٣] أهبط الله آدم إلى الأرض، وكان مهبطه بأرض الهند. وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص إلى ستين ذراعاً؛ فحزن (آدم)[٤] إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم. فشكا ذلك إلى الله عز وجل، فقال الله: يا آدم، إني قد أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يصلَّى عند عرشي، فانطلق إليه آدم، فخرج ومد له في خطوه، فكان بين كل خطوتين مفازة. فلم تزل تلك (المفاوز)[٥] بعد ذلك. فأتى آدم البيت فطاف به، ومن بعده من الأنبياء.

وقال ابن جرير[٦]: حدثنا (ابن حميد)[٧]، حدثنا يعقوب (القمي)[٨]، عن حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: وضع الله البيت على أركان الماء، على أربعة أركان، قبل أن تخلق الدنيا بألفى عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت.

وقال محمد بن إسحاق[٩]: حدثني (عبد الله)[١٠] بن أبي نجيح، عن مجاهد وغيره من أهله العلم: أن الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام، وخرج معه بإسماعيل وبأمه

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٧). [وصحح سنده الحافظ ابن كثير، والخبر من الإسرائيليات].
(٢) في «تفسيره» (٢/ ٣٤) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٤٢). [وسنده صحيح لكنه من الإسرائيليات].
(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(ى) وأشار ناسخ (ى) إلى أنها ثبتت في نسخة.
(٤) ساقط من (ز) و(ض).
(٥) في (ز) و(ض): «المفازة»؛ وفي (ك): «المفاوزة»!
(٦) في «تفسيره» (٢٠٤٦) وابن حميد هو محمد وتقدم ذكرنا لضعفه.
(٧) في (ج) و(ل): «أبو حميد»! (٨) في (ك): «النقسمي»!
(٩) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٤٨) وفي إسناده محمد بن حميد وسلمة بن الفضل. ولكن أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٥٤) قال: حدثني جدي، قال: حدثني سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرني محمد بن إسحاق، حدثني ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وعثمان هذا ترجمه البخاري (٣/ ٢/ ٢٢٧)؛ وابن أبي حاتم (٣/ ١/ ١٥٣) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً. ولم أره في «فهارس الثقات» لابن حبان.
(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

هاجر، وإسماعيل طفل صغير يرضع، وحُملوا ـ فيما حدثني ـ على البراق، ومعه جبريل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم. وخرج معه جبريل، فكان لا يمر بقرية إلا قال: أبهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول جبريل: امضه. حتى قدم به مكة، وهي إذ ذاك (عضاه)[(١)] سلم (وسمر و)[(٢)] بها أناس يقال لهم: «العماليق» خارج مكة وما حولها. والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة[(٣)]، فقال إبراهيم لجبريل: أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم. فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً، فقال: (ربِّ[(٤)] ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال عبد الرزاق[(٥)]: أخبرنا هشام بن حسان، أخبرني حميد، عن مجاهد، قال: خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً بألفي سنة، وأركانه في الأرض السابعة.

وكذا قال ليث بن أبي سليم[(٦)]، عن مجاهد: القواعد في الأرض السابعة.

وقال ابن أبي حاتم[(٧)]: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا عبد الوهاب بن معاوية، عن عبد المؤمن بن خالد، عن علباء بن أحمر: أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل. فقال: ما لكما ولأرضى؟ (فقالا)[(٨)]: نحن عبدان مأموران، أُمرنا ببناء هذه الكعبة. قال: فهاتا بالبينة على ما تدعيان. فقامت خمسة أكبش، فقلن: نحن نشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران، أُمرا ببناء هذه الكعبة. فقال: قد رضيت وسلمت. ثم مضى.

وذكر الأزرقي في «تاريخ مكة»[(٩)] أن ذا القرنين طاف مع إبراهيم ﷺ، بالبيت، وهذا يدل على تقدم زمانه، والله أعلم.

---

(١) في (ن): «عظاه» ووقعت العبارة في (ج) و(ل) و(ن): عضاه وسلم وسمر. والعضاه: كل شجر يعظم وله شوك شديد. والسلم والسمر: ضربان من شجر العضاه.

(٢) في (ل): «وسكنوا».

(٣) المدرة: طين يابس لزج لا رمل فيه، وهو الطين الخالص.

(٤) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري». ووقع في (ز): «ربنا» على قراءة المصحف، وأظن أن المحققين غيروها. والله أعلم.

(٥) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٤٩) وسنده صحيح؛ وأخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣١، ٣٢) من طريق هشام بن حسان. وحميد هو ابن هلال.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٠) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا عثمان، ثنا عبد الواحد، ثنا ليث عن مجاهد. وقوله: «عثمان» هو عندي خطأ وتصحيف صوابه فيما أرى: «عفان» وهو ابن مسلم. والله أعلم وليث بن أبي سليم ضعيف الحديث.

(٧) في «تفسيره» (١٢٤١). وأيضاً (١٢٤٨) مختصراً. وإسناده حسن إلى علباء بن أحمر. وعبد الوهاب بن معاوية. قال أبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل» (٣/ ١/ ٧٢، ٧٣): «صالح الحديث» وعبد المؤمن بن خالد. ذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ١٣٧)؛ وقال أبو حاتم: «لا بأس به» كما في «الجرح» (٣/ ١/ ٦٦). [والخبر من الإسرائيليات].

(٨) في (ز): «فقال».

(٩) (١/ ٧٤) بإسناده عن عطاء بن السائب أن إبراهيم ﷺ رأى رجلاً يطوف بالبيت فأنكره فسأله: ممن أنت؟ فقال: من أصحاب ذي القرنين. قال: وأين هو؟ قال: هو ذا بالأبطح، فتلقاه إبراهيم فاعتنقه، فقيل لذي =

وقال البخاري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ الآية: القواعد: أساسه واحدها: قاعدة. والقواعد من النساء: واحدتها قاعد.

حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر، عن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ألم (تري)[٢] أن قومك حين بنوا (الكعبة)[٣] اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: «لولا حدثان قومك بالكفر». فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت (هذا)[٤] من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد رواه في «الحج»[٥] عن القعنبي، وفي «أحاديث (الأنبياء)[٦]» عن عبد الله بن يوسف[٧]. ومسلم[٨]، عن يحيى بن يحيى، ومن حديث ابن وهب[٩]. والنسائي[١٠] من حديث عبد الرحمٰن بن القاسم، كلهم عن مالك[١١]، به.

ورواه مسلم[١٢] أيضاً من حديث نافع، قال: سمعت عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة يحدث عبد الله بن عمر، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية ـ أو قال: بكفر ـ لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها الحجر».

وقال البخاري[١٣]: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود،

= القرنين: لم لا تركب؟ قال: ما كنت لأركب وهذا يمشي. فحج ماشياً. ولا يصح إسناده إلى عطاء. [والخبر من الإسرائيليات].

(١) في «كتاب التفسير» (٨/ ١٧٠).

(٢) في (ج) و(ض) و(ل): «تر».

(٣) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) وهو الموافق لما في «البخاري». ووقع في (ز) و(ن) و(ى): «البيت».

(٤) في (ل): «ذلك».

(٥) (٣/ ٤٣٩). وأخرجه أبو نعيم في «المستخرج» (٣٠٩٦) من طريق محمد بن غالب تمتام وأبي مسلم الكشي؛ والبيهقي (٥/ ٨٨، ٨٩) من طريق عثمان بن سعيد قالوا: ثنا القعنبي، وهو عبد الله بن مسلمة، ثنا مالك بسنده سواء.

(٦) ساقط من (ج).

(٧) هو في «كتاب الأنبياء» (٦/ ٤٠٧).

(٨) رقم (١٣٣٣/ ٣٩٩)؛ وأخرجه البيهقي (٥/ ٨٨، ٨٩) من طريق محمد بن عبد السلام ثنا يحيى بن يحيى بهذا الإسناد سواء.

(٩) هذا وهم من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، فلم يخرجه مسلم من حديث ابن وهب عن مالك. ولكن خرجه من طريق ابن وهب عن مخرمة بن بكير عن أبيه، عن نافع عن عبد الله بن أبي بكر، عن عائشة. وذكر مسلم هذا الطريق عقب طريق مالك، فسبق نظر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ. أما طريق ابن وهب عن مالك فأخرجه الطحاوي في «شرح المعاني» (٢/ ١٨٥) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أن مالكاً حدثه ثم ذكر مثله.

(١٠) في «كتاب الحج» من «المجتبى» (٥/ ٢١٤، ٢١٥) ومن «السنن الكبرى» (٢/ ٣٩١) وفي «كتاب العلم» (٣/ ٤٥٤، ٤٥٥ ـ الكبرى).

(١١) وهو في «الموطأ» (١/ ٣٦٣، ٣٦٤/ ١٠٤).

(١٢) في «صحيحه» (١٣٣٣/ ٤٠٠)؛ وأبو نعيم في «المستخرج» (٣٠٩٧) من طريقين عن ابن وهب قال: أخبرني مخرمة بن بكير، عن أبيه، عن نافع به.

(١٣) في «كتاب العلم» (١/ ٢٢٤).

قال: قال لي ابن الزبير: كانت عائشة تسر إليك حديثاً كثيراً، فما حدثتك في الكعبة؟ قال: قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: «يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم ـ فقال ابن الزبير: بكفر ـ لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: باباً يدخل منه الناس، وباباً يخرجون». ففعله ابن الزبير.

انفرد[1] بإخراجه البخاري، فرواه هكذا في «كتاب العلم» من «صحيحه».

وقال مسلم في «صحيحه»[2]: حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت (البيت)[3] استقصرت، ولجعلت لها خلفاً».

قال[4]: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب، قالا: حدثنا ابن نمير، عن هشام بهذا الإسناد. انفرد[5] به مسلم.

قال[6]: وحدثني محمد بن حاتم، حدثني ابن مهدي، حدثنا سليم بن حيان، عن سعيد ـ يعني: ابن ميناء ـ قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: حدثتني خالتي ـ يعني: عائشة رضي الله عنها ـ قالت: قال النبي ﷺ: «يا عائشة، لولا قومك حديثو (عهد)[7] بشرك، لهدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض، ولجعلت لها: باباً شرقياً، وباباً غربياً، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر؛ فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة». انفرد به أيضاً.

ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام، بمدد طويلة وقبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين وقد نقل معهم في الحجارة، وله من العمر خمس وثلاثون سنةً:

صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

قال محمد بن إسحاق بن يسار في «السيرة»[8]:

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة، (اجتمعت)[9] قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون (بذلك)[10] ليسقفوها، ويهابون هدمها، وإنما كانت رضماً[11] فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفراً سرقوا كنز الكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وجد عنده الكنز دويك، مولى بني مليح بن عمرو من خزاعة، فقطعت قريش يده. ويزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدة، لرجل من تجار

---

(١) يقصد: أن مسلماً لم يروه.
(٢) في «كتاب الحج» (١٣٣٣/ ٣٩٨).
(٣) في (ل): «الكعبة».
(٤) يعني: مسلماً. وقد أخرجه (١٣٣٣/ ٣٩٨).
وقد أخرجه أحمد (٦/ ٥٧)؛ وأبو نعيم في «المستخرج» من طريق ابن أبي شيبة، قالا: حدثنا عبد الله بن نمير بهذا الإسناد.
(٥) هذا وهم من المصنف رحمه الله. فقد أخرجه البخاري في «كتاب الحج» (٣/ ٤٣٩) قال: حدثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة بهذا الإسناد سواء.
(٦) يعني: مسلماً، وهو عنده (١٣٣٣/ ٤٠١).
(٧) في (ل): «عهدهم».
(٨) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص٨٣ ـ ٨٩) و«التمهيد» (١٠/ ٣٥ ـ ٤٥).
(٩) في (ج) و(ض) و(ل): «أجمعت».
(١٠) في (ل): «لذلك».
(١١) الرضم: هي الصخور بعضها على بعض.

الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها. وكان بمكة رجل قبطي نجار، فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت (تطرح)[١] فيها ما يهدى لها كل يوم، (فتتشرق)[٢] على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون. وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا (احزألت)[٣] وكشت[٤] وفتحت فاها، فكانوا يهابونها، فبينا هي يوماً (تتشرق)[٥] على جدار الكعبة، كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائراً فاختطفها، فذهب بها. فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنيانها، قام (أبو وهب)[٦] بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

قال ابن إسحاق: والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن (عبد الله بن عمر)[٧] بن مخزوم.

قال: ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي، ولبني عدي بن كعب بن لؤي، وهو الحطيم.

ثم إن الناس هابوا هدمها (وفرقوا)[٨] منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها: فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير. ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا. فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى (إذا)[٩] انتهى الهدم (بهم)[١٠] إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها بعضاً.

قال (محمد بن إسحاق)[١١]: فحدثني بعض من يروي الحديث: أن رجلاً من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عتلةً بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

---

(١) في (ج): «يطرح».

(٢) في (ل): «فتشرف». وتتشرق؛ يعني: تتعرض للشمس.

(٣) في (ج) و(ل): «اخزالت». واحزألت: اجتمعت واستوفزت للوثوب ومنه قول الطرماح:

ولو خرج الدجال ينشر دينه … لزافت تميم حوله واحزألت

يعني: اجتمعت إليه كما في «لسان العرب» (ص٨٥٩).

(٤) كشيش الأفعى: صوت جلدها، وصوت فمها، هو: الفحيح. ومنه قول الراجز:

كشيش أفعى أجمعت لعض … فهي تحك بعضها ببعض

(٥) في (ج) و(ل): «تشرف».

(٦) كتب ابن المحب ناسخ (ج): «حاشية: أبو وهب كان خال والد النبي ﷺ، وكان شريفاً ممدحاً». انتهى.

(٧) في (ك): «عمر بن عبد الله».

(٨) في (ل): «خافوا» وهو بمعنى.

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) من (ج) و(ل).

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن ـ يعني: الحجر الأسود ـ فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتخالفوا، وأعدوا للقتال. فقربت بنو الدار جفنةً مملوءةً دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا: لعقة الدم. فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً. ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ وكان عامئذ أسن قريش كلهم ـ (قال)[1]: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه. ففعلوا، فكان أول داخل رسول الله ﷺ. فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال (رسول الله)[2] ﷺ: «هلم إلي ثوباً»[3] فأتي به، فأخذ الركن ـ يعني: الحجر الأسود ـ فوضعه فيه بيده، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب»، ثم (قال)[4]: «ارفعوه جميعاً». ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ﷺ، ثم بنى عليه.

وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين. فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا، قال الزبير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

(عجبت لما)[5] تصوبت العقاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى (التأسيس)[6] شدت ... تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت ... عقاب (تتلئب)[7] لها انصباب
فضمتها إليها ثم خلَّت ... لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين (إلى)[8] بناء ... لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه ... وليس على مسوينا[9] ثياب
أعز به المليك بني لؤي ... فليس لأصله منهم ذهاب

---

(١) في (ج) و(ل): «فقال».
(٢) من (ل).
(٣) لا يصح هذا الحديث مع شهرته، وتداول الخطباء إياه، ولم أقف له على إسناد متصل يصح به. والله أعلم.
(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(ى).
(٥) كذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «سيرة ابن إسحاق» و«التمهيد» لابن عبد البر. ووقع في (ج): «عجبت لها لما» وهو خطأ ينكسر به الوزن؛ وفي (ل): «عجبت لها».
(٦) كذا في «الأصول» و«التمهيد». وفي «سيرة ابن إسحاق»: «البنيان».
(٧) في «السيرة»: «قد يطل». وتتلئب: تتتابع في انقضاضها.
(٨) في «السيرة»: «على».
(٩) مسوينا: أي مسوى البنيان، والمقصود: بيان الجد والتشمير في بنيانها.

وقد حشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدمها كلاب
فبزأما المليك بذاك عزا وعند الله يلتمس الثواب

قال ابن إسحاق: وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانية عشر ذراعاً، وكانت تكسى القباطي، ثم كسيت بعد البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف.

قلت: ولم تزل على بناء قريش حتى (احترقت)(١) في أول إمارة عبد الله بن الزبير (بعد)(٢) سنة ستين. وفي (آخر)(٣) ولاية يزيد بن معاوية، لما حاصروا ابن الزبير، فحينئذٍ نقضها ابن الزبير إلى الأرض وبناها على قواعد إبراهيم، عليه (الصلاة و)(٤) السلام، وأدخل فيها الحجر وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً ملصقين بالأرض، كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين، (رضي الله عنها)(٥) عن رسول الله ﷺ. ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج، فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك، كما قال مسلم بن الحجاج في «صحيحه»(٦).

حدثنا هناد بن السري، حدثنا ابن أبي زائدة، (أخبرنا)(٧) ابن أبي سليمان، عن عطاء، قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام، وكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن (يجرئهم)(٨) - (أو يحربهم)(٩) - على أهل الشام، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس، أشيروا علي في الكعبة، أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وه منها؟ قال ابن عباس: (فإني)(١٠) قد (فرق)(١١) لي رأي فيها، أرى أن تصلح ما وهى منها، وتدع بيتاً أسلم الناس (١٢)[عليه، وأحجاراً أسلم الناس](١٢) عليها، وبعث عليها النبي ﷺ. فقال ابن الزبير: لو كان أحدهم احترق بيته ما رضي حتى يجدده، فكيف بيت ربكم عز وجل؛ إني مستخير ربي ثلاثاً ثم عازم على أمري. فلما مضت ثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها. فتحاماها الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء، حتى صعده رجل، فألقى منه حجارةً، فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا، فنقضوه حتى بلغوا به الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدةً فستر عليها الستور، حتى ارتفع بناؤه. وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة رضي الله عنها، تقول: إن النبي ﷺ، قال:

---

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ض): «أحرقت».
(٢) في (ج) و(ل): «في».
(٣) ساقط من (ز) و(ض).
(٤) من (ض).
(٥) من (ز) و(ض).
(٦) في «كتاب الحج» (١٣٣٣/ ٤٠٢).
(٧) في «الصحيح»: «أخبرني».
(٨) في (ل): «يخرجهم». وسقط من (ض).
(٩) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ى). ووقع في (ز): «يحزبهم» بزاي بعدها باء موحدة؛ وفي (ن): «يجيرونهم»!! وفي «صحيح مسلم»: «يحربهم» بالحاء المهملة بعدها راء مشددة مكسورة بعدها باء موحدة. قال السيوطي في «الديباج» (٣/ ٣٨١): «أي يغيظهم بما يرونه فعل بالبيت، من قولهم: حربت الأسد: إذا أغضبته، أو يحملهم على الحرب ويحضهم عليها. وروى بالحاء المهملة والزاي والباء الموحدة؛ أي: يجعلهم حزباً له وناصرين له على مخالفيه».
(١٠) في (ل): «فإنه».
(١١) في سائر «الأصول»: «خرق» بالخاء المعجمة، بعدها راء ثم قاف! وفرق، بضم الفاء؛ أي: كشف وبين. قال السيوطي في «الديباج»: «وضبطه الحميدي بفتح الفاء، وفسره بمعنى: خاف». وغلطوه في ضبطه وتفسيره.
(١٢) ساقط من (ل).

«لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحجر (خمسة)[١] أذرع، ولجعلت له باباً يدخل الناس منه، وباباً (يخرجون منه)[٢]». قال: فأنا أجد ما أنفق، ولست أخاف الناس. قال: فزاد فيه (خمس)[٣] أذرع من الحجر، حتى أبدى له (أُساً)[٤] نظر الناس إليه فبنى عليه البناء. وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً، فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله (عشرة)[٥] أذرع، وجعل له بابين: أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه. فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بذلك، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أُسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء، أما ما زاده في طوله فأقره. وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه. فنقضه وأعاده إلى بنائه.

وقد رواه النسائي في «سننه» عن هناد، عن يحيى بن أبي زائدة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن الزبير، عن عائشة بالمرفوع منه. ولم يذكر القصة، وقد كانت السنة إقرار ما فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه؛ لأنه هو الذي ودَّه رسول الله ﷺ. ولكن خشي أن تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالإسلام وقرب عهدهم من الكفر. ولكن خفيت هذه السُّنة على عبد الملك؛ (ولهذا)[٦] لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله ﷺ، قال: وددنا أنا تركناه وما تولى. كما قال مسلم[٧]:

حدثني محمد بن (حاتم)[٨]، حدثنا محمد بن (بكر)[٩]، أخبرنا ابن جريج، سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء، يحدثنا عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال عبد الله بن عبيد: وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته، فقال عبد الملك: ما أظن أبا خبيب ـ يعني: ابن الزبير ـ سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها. قال الحارث: بلى، أنا سمعته منها. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه». فأراها قريباً من (سبعة)[١٠] أذرع.

هذا حديث عبد الله بن عبيد (بن عمير)[١١]. وزاد عليه الوليد بن عطاء: قال النبي ﷺ: «ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقياً وغربياً، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟» قالت:

---

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «مسلم»: «خمس» وكلاهما صحيح.
(٢) في (ل): «يخرج الناس منه».
(٣) كذا في (ج) و(ل) و(ى) وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ن): «خمسة».
(٤) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ن) و(ى) وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي (ل): «أساساً»؛ وفي (ك): «أشياء»!!
(٥) في (ل): «عشر».
(٦) في (ك): «ولكن».
(٧) في «كتاب الحج» (١٣٣٣/ ٤٠٣).
(٨) في (ل): «بكر حاتم»! وفي (ك): «محمد بن أبي حاتم»!
(٩) في (ك): «بكير»!
(١٠) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى): «سبع» وكلاهما صحيح. وفي الذراع لغتان فتذكر وتؤنث.
(١١) من (ن) و(ى).

قلت: لا. قال: «تعززاً ألا يدخلها إلا من أرادوا. فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها، يدعونه (حتى)[(١)] يرتقي، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط». قال عبد الملك: فقلت للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم. قال: فنكت ساعةً بعصاه، ثم قال: وددت أنى تركته وما تحمَّل.

قال مسلم[(٢)]: وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة، حدثنا أبو عاصم (ح)، وحدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبد الرزاق، كلاهما عن ابن جريج بهذا الإسناد، مثل حديث (ابن بكر)[(٣)].

قال[(٤)]: وحدثني محمد بن حاتم، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، عن أبي قزعة أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد (فيه)[(٥)] من الحجر، فإن قومك قصروا في البناء». فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين، فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا. قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير.

فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة أم المؤمنين؛ لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد، والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير[(٦)]. فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير. فلو ترك لكان جيداً.

ولكن بعدما رجع الأمر إلى هذا الحال، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله، كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد ـ (أو أبيه)[(٧)] المهدي ـ: أنه سأل الإمام مالكاً عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير. فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا تجعل كعبة الله مَلْعَبَةً للملوك، لا يشاء (أحد)[(٨)] أن يهدمها إلا هدمها. فترك[(٩)] ذلك الرشيد.

---

(١) في (ض) و(ى): «حين»، وكلا اللفظين ليسا في رواية «الصحيح».
(٢) (١٣٣٣/٤٠٣).
(٣) في (ك): «أبي بكر» وهو خطأ. و«ابن بكر» هو محمد.
(٤) يعني: مسلماً. وهو فيه (١٣٣٣/٤٠٤). (٥) في (ز) و(ن): «فيها»!
(٦) وقد رواه عن عائشة ﵂ آخرون منهم مرجانة، وهي أم علقمة.
فأخرجه أبو داود (٢٠٢٨)؛ والنسائي (٥/٢١٩)؛ والترمذي (٨٧٦)؛ وأحمد (٦/٩٢، ٩٣)؛ وأبو يعلى (ج٨/رقم ٤٦١٥) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه مرجانة، عن عائشة مرفوعاً نحوه. قال الترمذي: «حسن صحيح» وقد توبع الدراوردي، تابعه عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، فرواه عن علقمة بسنده سواء. أخرجه ابن خزيمة (٣٠١٨). ولكن رواه ابن خزيمة (٣٠١٩) من طريق ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن عائشة مرفوعاً. ولعل هذا من سوء حفظ ابن أبي الزناد. والوجه الأول أقوى. وقد أشرت إلى بعض طرقه فيما مضى والحمد لله.
(٧) كذا في (ز) و(ن) و(ك). ووقع في (ج) و(ض) و(ى): «أو أبوه» وأشار ناسخ (ى) إلى أنه وقع في نسخة «أو أبيه» وسقط هذا اللفظ من (ل).
(٨) في (ك): «الله»!!
(٩) ولعل مالكاً ﵀ استأنس في ذلك بقول ابن عباس لما استشار ابن الزبير الناس في هدم الكعبة، قال ابن عباس: «أرى أن تصلح ما وهي منها، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه، وأحجاراً أسلم الناس عليها، وبعث عليها النبي ﷺ». اهـ.
=

نقله عياض والنواوي، ولا تزال ـ والله أعلم ـ هكذا إلى آخر الزمان، إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة، كما ثبت ذلك في «الصحيحين»[(١)] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة». أخرجاه.

وعن عبد الله بن عباس ﵄، عن النبي ﷺ، قال: «كأني به أسود أفحج، يقلعها حجراً حجراً». رواه البخاري[(٢)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده»[(٣)]: حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني، حدثنا محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله (عنهما)[(٤)]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، (ويسلبها)[(٥)] حليتها ويجردها من كسوتها. ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله».

الفدع: زيغ بين القدم وعظم الساق.

وهذا ـ والله أعلم ـ إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج، لما جاء في «(صحيح)[(٦)] البخاري»[(٧)]، عن أبي سعيد الخدري ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

وقوله تعالى حكايةً لدعاء إبراهيم وإسماعيل ﵉: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.

= ومن الأصول المشهورة عند المالكية: قاعدة سد الذرائع، وهذا منها. والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في «الحج» (٣/ ٤٥٤).

(٢) في «كتاب الحج» (٣/ ٤٦٠) قال: حدثنا عمرو بن علي، ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن عبيد الله بن الأخنس، عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس مرفوعاً.

(٣) (٢/ ٢٢٠) ولا يصح مرفوعاً.
وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٧٤٣) قال: حدثنا عبد الله بن منصور، قال: ثنا محمد بن مهران الرازي، قال: ثنا محمد بن سلمة بهذا الإسناد سواء. وسنده ضعيف لتدليس ابن إسحاق ولكن تابعه سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح بهذا الإسناد مرفوعاً وزاد فيه: «قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير ﵁ الكعبة جئت أنظر إليه؛ هل أرى الصفة التي قال عبد الله بن عمرو، فلم أرها. أخرجه الفاكهي (٧٤٤) أيضاً قال: حدثنا محمد بن أبي عمر، قال: ثنا سفيان. وهذا إسناد ظاهره الجودة، ولكن خولف ابن أبي عمر فيه خالفه عبد الرزاق في «مصنفه» (ج٥/رقم ٩١٨٠)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٤٧، ٤٨) كلاهما عن ابن عيينة بهذا الإسناد موقوفاً على عبد الله بن عمرو بآخره. وتابعهما أحمد بن محمد بن الوليد قال: حدثنا ابن عيينة بسنده سواء موقوفاً؛ أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٧٦) فهؤلاء ثلاثة من الثقات خالفوا ابن أبي عمر فيه. ويؤيد وقفه على عبد الله بن عمرو ما أخرجه عبد الرزاق (٩١٧٩) عن ابن جريج قال: سمعت سليمان الأحول يحدث عن مجاهد وغيره أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «كأني أنظر إليه أصيلع أفيدع قد علاها بمسحاته. قال ابن جريج: وسمعت غيره من أشياخنا وأهل البلد أن الحبشة مخربوها. وسنده صحيح؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٤٨) قال: حدثنا إسحاق الأزرق. والأزرقي (١/ ٢٧٦)؛ ونعيم بن حماد في «الفتن» (ص٤٠٦)؛ والفاكهي (٧٤٧) عن ابن عيينة كلاهما عن هشام بن حسان، عن حفصة بنت سيرين عن أبي العالية، عن علي بن أبي طالب نحوه موقوفاً. وسنده صحيح.

(٤) في (ل): «عنه».

(٥) في (ل): «قال: ويسلبها».

(٦) في (ل): «حديث».

(٧) في «كتاب الحج» (٣/ ٤٥٤).

قال ابن جرير[١]: يعنيان بذلك: واجعلنا (مستسلمين)[٢] لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك.

وقال ابن أبي حاتم[٣]: حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن رجاء بن حيان الحصني القرشي، حدثنا معقل بن عبيد الله، عن عبد الكريم: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال: مخلصين لك، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ قال: مخلصةً.

وقال أيضاً[٤]: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا المقدمي، حدثنا سعيد بن عامر، عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ قال: كانا مسلمين، ولكنهما سألاه الثبات.

وقال عكرمة[٥]: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال الله: قد فعلت ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ قال الله: قد فعلت.

وقال السدي[٦]: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ يعنيان العرب.

قال ابن جرير: والصواب أنه يعم العرب وغيرهم؛ لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف]

قلت: وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي؛ فإن تخصيصهم بذلك لا ينفى من عداهم، والسياق إنما هو في العرب؛ ولهذا قال بعده: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ الآية [البقرة]، والمراد بذلك محمد ﷺ، وقد بُعث فيهم كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود، (لقوله)[٧] تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغير ذلك من الأدلة القاطعة.

وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما أخبر الله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان] وهذا القدر مرغوب فيه شرعاً، فإن من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له؛ ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] (وقوله)[٨]: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقد ثبت في «صحيح مسلم»[٩]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) في «تفسيره» (٣/ ٧٢، ٧٣).

(٢) في (ك) و(ل): «مسلمين»!

(٣) في «تفسيره» (١٢٥٥، ١٢٥٨) ولا بأس بإسناده. وإسماعيل بن رجاء وثقه العجلي والحاكم وقال أبو حاتم: «صدوق» وضعفه العقيلي والدارقطني والساجي.

(٤) رقم (١٢٥٣) وسنده قوي. أما محقق «تفسير ابن أبي حاتم» فقال: «ضعيف الإسناد ففيه سلام بن أبي مطيع. فيه مقال». وهذا نقد عجيب، وما دخل سلام في الإسناد وهو صاحب القول؟ إنما الشأن في الإسناد إليه. والله المستعان.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٤) وسنده جيد. وعنده «قال: نعم» بدل «قد فعلت».

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٢) بسند حسن.

(٧) في (ج): «كقوله».

(٨) في (ز) و(ض): «وهو قوله».

(٩) في «كتاب الوصية» (١٦٣١/ ١٤).

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قال ابن جريج[(١)]، عن عطاء: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أخرجها لها (علِّمناها)[(٢)].

وقال مجاهد[(٣)]: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ مذابحنا. وروي عن عطاء[(٤)] أيضاً، وقتادة نحو ذلك.

وقال سعيد بن منصور[(٥)]: حدثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن مجاهد، قال: قال إبراهيم: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ فأتاه جبرائيل، فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد. فرفع القواعد وأتم البنيان، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا، قال: هذا من شعائر الله. ثم انطلق به إلى المروة، فقال: وهذا من شعائر الله، ثم انطلق به (نحو)[(٦)] منى، فلما كان من العقبة إذا إبليس قائم عند الشجرة، فقال: كبر وارمه. فكبر ورماه. (ثم انطلق)[(٧)] إبليس فقام عند الجمرة الوسطى، فلما (حاذى به)[(٨)] جبريل وإبراهيم قال له: كبر وارمه. فكبر ورماه. فذهب إبليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئاً فلم يستطع، فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام، فقال: هذا المشعر الحرام. فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به عرفات. قال: قد عرفت ما أريتك؟ قالها: ثلاث مرار. قال: نعم.

وروى عن أبي مجلز[(٩)] وقتادة نحو ذلك. وقال أبو داود الطيالسي[(١٠)]: حدثنا حماد بن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٨)؛ وابن أبي حاتم (١٢٥٩) من طريقين عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج. [وسنده حسن].

(٢) في (ج) و(ل) و(ى): «وعلمناها».

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٧)؛ وابن أبي حاتم (١٢٦١) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وهو في «تفسير مجاهد» (ص٢١٤) من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح. [وسنده صحيح].

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٦، ٢٠٦٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٦٢) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا سعيد بن منصور وهذا في «تفسيره» (٢٢٠) قال: حدثنا عتاب بن بشير بهذا الإسناد. وعتاب بن بشير يروى عن خصيف أحاديث مناكير، ولكن تابعه عثمان بن ساج، أخبرنا خصيف بن عبد الرحمٰن فذكر مثله؛ أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٦٩؛ ٢/ ١٧٥، ١٧٦) قال: حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج. وسعيد بن سام ذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٣٥٥) وذكر له حديثاً في إسناده إليه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك بل كذبه جماعة. وعثمان بن ساج ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢/ ٢٢٧)؛ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ١/ ١٥٣) ولم يذكرا فيه شيئاً. وخصيف بن عبد الرحمٰن ضعيف الحديث. قال ابن حبان: «تركه جماعة من أئمتنا» فهذا إسناد ضعيف أو واه.

(٦) في (ك): «إلى».

(٧) في (ل): «فانطلق».

(٨) كذا في «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير سعيد بن منصور»؛ وفي (ز): «جاز له» وفي (ك): «حاذاه».

(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» فقال: «روى عن أبي مجلز نحو ذلك غير أنه لم يذكر ذكر القواعد، وعن قتادة نحو ذلك، وزاد فيه: وأراه حلق الرأس».

(١٠) في «مسنده» (٢٦٩٧) بهذا الإسناد.

وأخرجه بطوله: أحمد في «المسند» (١/ ٢٩٧) قال: حدثنا سريج؛ يعني: ابن يونس، ويونس؛ يعني: ابن محمد، والطبراني في «الكبير» (ج١٠/ رقم ١٠٦٢٨) من طريق حجاج بن منهال والبيهقي في «الشعب» (ج٣/ رقم ٤٠٧٧) من طريق ابن عائشة، وهو عبيد الله، أربعتهم قالوا: ثنا حماد بن سلمة بهذا الإسناد وعندهم من الزيادة على رواية الطيالسيّ.

=

سلمة، عن أبي (عاصم)[١] الغنوي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس، قال: إن إبراهيم لما (أري)[٢] أوامر المناسك، عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه إبراهيم، ثم انطلق به جبريل حتى (أتى به)[٣] منى، فقال: مناخ الناس هذا. فلما انتهى إلى جمرة العقبة (فعرض)[٤] له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، [٥][ثم أتى به (إلى جمرة)[٦] الوسطى، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب][٥]، ثم أتى به (إلى جمرة)[٦] القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، فأتى به جمعاً. فقال: هذا المشعر. ثم أتى به عرفة. فقال: هذه عرفة. فقال له جبريل: أعرفت؟

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

يقول تعالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم ـ أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم؛ أي: من ذرية إبراهيم. وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد ـ (صلوات الله وسلامه عليه)[٧] ـ رسولاً في الأميين إليهم، إلى سائر الأعجمين، من الإنس والجن، كما قال الإمام أحمد[٨]: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات (النبيين)[٩] يرين».

(وكذا)[١٠] رواه ابن وهب، والليث، وكاتبه عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، وتابعه أبو بكر بن أبي مريم، عن سعيد بن سويد، به.

وقال الإمام أحمد[١١] أيضاً: حدثنا أبو النضر، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان بن عامر:

= قال الهيثمي في «المجمع» (٣/٣٥٩): «رجاله ثقات» وقال في موضع آخر (٨/ ٢٠٠، ٢٠١): «رجاله رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي وهو ثقة».

(*) **قلت**: أبو عاصم هذا وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: «لا أعرفه» ولم يحدث عنه سوى حماد بن سلمة. فالإسناد ضعيف، ولكن له شواهد وطرق أخرى. وقد أخرج مسلم (١٢٦٤/٢٣٧) بعضه من وجه آخر عن أبي الطفيل به.

(١) في (ز) و(ن): «العاصم».
(٢) في (ج): «رأى».
(٣) في (ج) و(ل): «أراه».
(٤) في (ز): «تعرض».
(٥) ساقط من (ز) و(ض).
(٦) في (ن): «الجمرة».
(٧) في (ل): «ﷺ».
(٨) في «المسند» (٤/١٢٧) ومن طريقه ابنه عبد الله في «السنة» (٨٦٥)؛ وأبو نعيم في «الدلائل» (٩). وتقدم تخريجه تحت الآية (١٢٦).
(٩) في (ك): «المؤمنين»!!
(١٠) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ن): «وكذلك».
(١١) في «المسند» (٥/٢٦٢) وتقدم تخريجه عند الآية (١٢٦).

سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا رسول الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام».

والمراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس، (إبراهيم)[1] ﷺ. ولم يزل ذكره في الناس مذكوراً مشهوراً سائراً حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسباً، وهو عيسى ابن مريم ﷺ حيث قام في بني إسرائيل خطيباً، وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم [2][مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ][2] وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ولهذا قال في هذا الحديث: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ابن مريم».

وقوله: «ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» قيل: كان مناماً رأته حين حملت به، وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئةً. وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم[3] إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها. ولهذا جاء في «الصحيحين»[4]: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». وفي «صحيح البخاري»: «وهم بالشام».

قال أبو جعفر الرازي[5]، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ. فقيل له: قد استجيبت لك، وهو كائن في آخر الزمان. وكذا قال السدي[6] وقتادة[7].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآن: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: السنة، قاله الحسن[8]، وقتادة[9]، ومقاتل بن حيان، وأبو مالك وغيرهم. وقيل[10]: الفهم في الدين. ولا منافاة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة[11]، عن ابن عباس: يعني: طاعة الله، والإخلاص.

وقال محمد بن إسحاق[12] ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: يعلمهم الخير فيفعلوه. والشر

---

(١) في (ل): «إبراهيم الخليل». (٢) من (ن) و(ى).

(٣) يشير إلى حديث النواس بن سمعان ﷺ وهو حديث طويل فيه خبر الدجال. أخرجه مسلم (٢١٣٧/ ١١١).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٦٣٢؛ و١٣/ ٤٤٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٦٥) قال: حدثنا عصام بن رواد العسقلاني، ثنا آدم، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية. وسنده حسن؛ وأخرجه ابن جرير (٢٠٧٦) بسند ضعيف عن الربيع بن أنس.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٧٤) وسنده حسن. (٧) أخرجه ابن جرير (٢٠٧٥) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧٢) وفي إسناده أبو بكر الهذلي وهو ضعيف جداً.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٠٧٨) وسنده صحيح.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٠٨٠) قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى، نا ابن وهب قال: قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: المعرفة بالدين، والفقه في الدين، والاتباع له. [وسنده صحيح].

(١١) أخرجه ابن جرير (٢٠٨١) قال: حدثني المثنى بن إبراهيم؛ وابن أبي حاتم (١٢٧٥) قال: حدثنا أبي قالا: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة. [وسنده ثابت].

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧١) ولا بأس بسنده.

فيتقوه، ويخبرهم برضاه عنهم إذا أطاعوه (وليستكثروا)(١) من طاعته، (ويجتنبوا)(٢) ما سخط من معصيته.

وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ لعلمه وحكمته وعدله.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

يقول تبارك وتعالى رداً على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام] (٣)[وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف]](١) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة] وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل] ولهذا وأمثاله قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن طريقته ومنهجه. فيخالفها ويرغب عنها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد، من حداثة (سنه)(٤) إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء - فترك طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي، فأي سفهٍ أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وقال أبو العالية(٥) وقتادة(٦): (نزلت هذه الآية)(٧) في اليهود؛ أحدثوا طريقاً ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيما (أحدثوه)(٨)، ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ أي: أمره (الله)(٩)

---

(١) في (ز) و(ض): «استكثروا». (٢) في (ز) و(ض): «تجنبوا».
(٣) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل). والآية ثابتة في (ن) و(ى).
(٤) في (ك): «بنيته». (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٨٠). [وسنده جيد].
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٨٣). [وسنده صحيح]. (٧) ساقط من (ج).
(٨) في (ز) و(ض): «أخذوه». (٩) لفظ الجلالة من (ز) و(ن).

(تعالى)[١] بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدراً، وقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أي: (وصى)[٢] بهذه (الملة)[٣]، وهي الإسلام لله [٤][أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾][٥]. لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] وقد قرأ بعض السلف «ويعقوب» بالنصب عطفاً، على بنيه، كأن إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب بن إسحاق وكان حاضراً ذلك، وقد ادعى القشيري فيما حكاه القرطبي[٦] عنه أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم، ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح؛ والظاهر، والله أعلم، أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة؛ لأن البشارة وقعت بهما في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقد قرئ بنصب «يعقوب» هٰهنا على نزع الخافض، فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة، وأيضاً فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الآية [العنكبوت] وقال في الآية الأخرى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] وهذا يقتضي أنه وجد في حياته، وأيضاً فإنه باني بيت المقدس، كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة، وثبت في «الصحيحين»[٧] من حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله؛ أي: مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «بيت المقدس»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنةً» الحديث. فزعم ابن حبان أن بين سليمان الذي اعتقد أنه باني بيت المقدس ـ وإنما كان جدده بعد خرابه وزخرفه ـ وبين إبراهيم أربعين سنةً، وهذا مما أنكر على ابن حبان، فإن المدة بينهما تزيد على ألوف سنين[٨]، والله أعلم، وأيضاً فإن ذكر وصية يعقوب لبنيه سيأتي ذكرها قريباً، وهذا يدل على أنه ههنا من جملة الموصين.

وقوله: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا (ليرزقكم)[٩] الله الوفاة عليه. فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما (مات)[١٠] عليه. وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويُسر

---

(١) لم ترد في (ز).
(٢) في (ك): «رضى»!
(٣) في (ك): «المسألة»!
(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).
(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ى).
(٦) في «تفسيره» (٢/١٣٦) وقال: «وهو بعيد، لأن يعقوب لم يكن حينئذ بين أولاد إبراهيم لما وصاهم، ولم ينقل أن يعقوب أدرك جده إبراهيم، وإنما ولد بعد موت إبراهيم، وأن يعقوب أوصى بنيه أيضاً كما فعل إبراهيم».اهـ.
(٧) أخرجه البخاري في «كتاب الأنبياء» (٦/٤٠٧)؛ ومسلم في «كتاب المساجد» (١/٥٢٠).
(٨) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/٤٩): «وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به، فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى، وبينه وبين إبراهين أكثر من ألف عام، وهذا جهل من هذا القائل، فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذي أسسه يعقوب بن إسحاق صلى الله عليهما وآلهما وسلم بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار».اهـ.
(٩) في (ل): «يرزقكم».
(١٠) في (ج): «كان».

عليه. ومن نوى صالحاً ثبت عليه. وهذا لا يعارض ما جاء في الحديث (الصحيح)[١]: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار (فيدخل النار)[٢] وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة[٣] [فيدخلها]»[٤]؛ لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث[٥]: «فيعمل بعمل أهل الجنة][٦] فيما يبدو للناس، و(يعمل)[٧] بعمل أهل النار فيما يبدو للناس. وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]».

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٤﴾.

يقول تعالى محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم)[٨] السلام - (بأن يعقوب)[٩] لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وهذا من باب التغليب لأن إسماعيل عمه.

قال النحاس: والعرب تسمى العم أباً، نقله القرطبي[١٠]؛ وقد استدل بهذه الآية من جعل الجد أباً وحجب به الإخوة، كما هو قول الصديق رضي الله عنه حكاه البخاري[١١] عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير، ثم قال البخاري[١٢]: ولم يختلف عليه، وإليه ذهبت عائشة أم المؤمنين، وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء، وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من علماء السلف والخلف؛ وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه أنه يقاسم الإخوة؛ وحكى مالك، عن

(١) ساقط من (ز) و(ض).
(٢) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ى)؛ وفي (ز) و(ض) و(ن): «فيدخلها».
(٣) ساقط من (ز) و(ض).
(٤) أخرجه البخاري (٦/٣٠٣؛ و١١/٤٧٧؛ و١٣/٤٤٠)؛ ومسلم (٢٦٤٣/١).
(٥) أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد» (٦/٨٩ - ٩٠)؛ ومسلم في «كتاب الإيمان» (١١٢/١٧٩).
(٦) ساقط من (ز) و(ض).
(٧) ساقط من (ز) و(ض).
(٨) في (ج) و(ض): «عليه».
(٩) ساقط من (ز) و(ض).
(١٠) في «تفسيره» (٢/١٣٨).
(١١) في «كتاب الفرائض» (١٢/١٨) معلقاً. وقد ورد موصولاً بأسانيد صحيحة عن جماعة من الصحابة عن أبي بكر الصديق. منهم: ابن عباس؛ أخرجه الدارمي (٢/ ٢٥٥)؛ وأخرجه البيهقي (٦/ ٢٤٦)؛ وسنده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١٩).
(١٢) ولفظ البخاري: «ولم يذكر أن أحداً خالف أبا بكر في زمانه، وأصحاب النبي ﷺ متوافرون». قال الحافظ: «كأنه يريد بذلك تقوية حجة القول المذكور، فإن الإجماع السكوتي حجة، وهو حاصل في هذا» . اهـ.

عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف، واختاره صاحبا أبي حنيفة القاضي: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، ولتقريرها موضع آخر.

وقوله[١]: ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أي: نوحده بالألوهية، ولا نشرك به شيئاً غيره ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مطيعون خاضعون كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبةً، وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء] والآيات في هذا كثيرة والأحاديث، فمنها قوله (ﷺ)[٢]: «نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد»[٣].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي: إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيراً يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقال أبو العالية[٤]، والربيع، وقتادة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يعني: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط [٥][و(قد)[٦] جاء في الأثر[٧]: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»][٤].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾.

قال محمد بن إسحاق[٨]: حدثني محمد بن أبي محمد، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد (تهتد)[٩]. وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾.

---

(١) في هامش (ج): «قال القرطبي» (٢/ ١٣٨): قرأ الحسن، ويحيى بن يعمر والجحدري؛ وأبو رجاء العطاردي: ﴿وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فقيل: أريد: إبراهيم؛ أي: جمع سلامة على ما حكى سيبويه: «أب» و«أبون» كما قال الشاعر:

فلما تبيَّن أصواتنا بَكَيْنَ وفديننا بالأبينا

(٢) في (ج) و(ل): «عليه السلام».

(٣) كذا وقع لفظ الحديث. وكأن المصنف رحمه الله كتبه من حفظه، وقد كرره بهذا اللفظ في مواضع شتى من «تفسيره»؛ في «سورة المائدة» (٣/ ١٢١)؛ وفي «الأنعام» (٣/ ٣٧٣، ٣٧٨)؛ وفي «يونس» (٤/ ٢١٩)؛ وفي «الأنبياء» (٥/ ٣٦٦)؛ وفي «الشورى» (٧/ ١٨٣). والغريب أنه قال في «تفسير المائدة»: «ثبت في «صحيح البخاري...» ثم ذكر الحديث باللفظ الذي أثبته في هذه المواضع، ولا أصل له بهذا اللفظ في «صحيح البخاري».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٩٧). وأشار إلى الأثرين الآخرين، ولم أقف عليهما.

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) في (ن) و(ى): «ولهذا».

(٧) هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٣٨/٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٠)؛ وابن أبي حاتم (١٣٠٠) من طريقين عن ابن إسحاق به. [وسنده حسن].

(٩) ساقط من (ك)؛ وفي (ج) و(ك) و(ى): «تهتدى» بإثبات الياء.

وقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ أي: لا نريد ما دعوتم إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ أي: مستقيماً. قاله محمد بن كعب القرظي[١]، وعيسى بن جارية[٩].

وقال خصيف[٢]، (عن مجاهد)[٣]: مخلصاً. وروى علي بن أبي طلحة[٤]، عن ابن عباس: حاجاً. وكذا روى عن الحسن[٥] والضحاك، وعطية، والسدي[٦].

وقال أبو العالية[٧]: الحنيف: الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلاً.

وقال مجاهد[٨]: والربيع بن أنس: حنيفاً؛ أي: متبعاً. وقال أبو قلابة[٩]: الحنيف: الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم.

وقال قتادة[١٠]: الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرم الله (عز وجل)[١١]، والختان.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

أرشد الله (تعالى)[١٢] عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)[١٣]، (وأنهم)[١٤] لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ الآية [النساء: ١٥٠، ١٥١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٣) من طريق عثمان بن صالح، ثنا ابن لهيعة، عن أبي صخر عن محمد بن كعب وعيسى بن جارية. وسنده لين.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٥) بسند جيد عن خصيف قوله. ولم أجده من طريق خصيف عن مجاهد.
(٣) من (ن).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٧)؛ وابن أبي حاتم (١٣٠١). [وسنده ثابت].
(٥) هذا الأثر وما بعده عند ابن جرير (٢٠٩١، ٢٠٩٢، ٢٠٩٣، ٢٠٩٥). [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق كثير أبي سهل عن الحسن].
(٦) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن السدي].
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٦). [وسنده جيد].
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٩)؛ وابن أبي حاتم (١٣٠٢). [وسنده صحيح].
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٤) وسنده ضعيف.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٧) بسند صحيح.
(١١) في (ل): «تعالى».
(١٢) ساقط من (ك).
(١٣) من (ض).
(١٤) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ض) و(ى). ووقع في (ز) و(ن): «وأن».

وقال البخاري[١]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا (وما أنزل إليكم)»[٢].

وقد روى مسلم[٣] وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم، عن سعيد بن يسار، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بـ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية، والأخرى بـ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال أبو العالية[٤] والربيع[٥] وقتادة[٦]: الأسباط: بنو يعقوب (اثنا)[٧] عشر رجلاً؛ (ولد)[٨] كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا الأسباط.

وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل؛ كالقبائل في بني إسماعيل؛ وقال الزمخشري في «الكشاف»[٩]: الأسباط: حفدة يعقوب وذراري أبنائه الاثنى عشر، وقد نقله الرازي[١٠] عنه، وقرره ولم يعارضه. وقال البخاري: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط ها هنا شعوب بني إسرائيل، وما أنزل الله تعالى من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم، كما قال موسى لهم: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠] وقال القرطبي[١١]: وسموا الأسباط من السبط، وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السبط، بالتحريك، وهو الشجر؛ أي: هم في الكثرة بمنزلة الشجر الواحدة سبطة. قال الزجاج: ويبين لك هذا: ما حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، حدثنا أبو نجيد الدقاق[١٢]، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلى عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام. قال القرطبي: والسبط: الجماعة والقبيلة، الراجعون إلى أصل واحد.

---

(١) أخرجه البخاري في «كتاب الشهادات» (٥/ ٢٩١) معلقاً، ووصله في «كتاب التفسير» (٨/ ١٧٠)؛ وفي «كتاب الاعتصام» (١٣/ ٣٣٣)؛ وفي «كتاب التوحيد» (١٣/ ٥١٦).

(٢) من (ج) و(ل) وهي موافقة لما في «الصحيح» في «كتاب الاعتصام» ولم يذكرها في الموضعين الآخرين. ووقع في (ض) و(ك) و(ن) و(ى): «وما أنزل الله»!

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٧/ ٩٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١٠) و(٩٠٥ ـ آل عمران). [وسنده جيد].

(٥) أخرجه ابن جرير (٢١٠٦). [وسنده جيد].

(٦) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة].

(٧) في (ض) و(ن): «اثنى»!

(٨) في (ل): «وكذا».

(٩) (١/ ٩٧).

(١٠) في «التفسير الكبير» (٤/ ٩١).

(١١) في «تفسيره» (٢/ ١٤١).

(١٢) أما أبو نجيد فما عرفته، فليحرر. وبقية رجال السند معروفون، ورواية إسرائيل عن سماك، كانت بأخره.

وقال قتادة[١]: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به، ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله.

وقال سليمان بن حبيب[٢]: إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والإنجيل، ولا نعمل بما فيهما.

وقال ابن أبي حاتم[٣]: حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري، حدثنا مؤمل، حدثنا عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل، وليسعكم القرآن».

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ (أي)[٤]: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ أيها المؤمنون، من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: عن الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويظفرك بهم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقال ابن أبي حاتم[٥]: قرئ على يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثنا زياد بن يونس، حدثنا نافع بن أبي نعيم، قال: أرسل إليَّ بعض الخلفاء مصحف عثمان بن عفان ليصلحه. قال زياد: فقلت له: إن الناس يقولون: إن مصحفه كان في حجره حين قتل، فوقع الدم على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فقال نافع: بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قَدُم.

وقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال الضحاك[٦]، عن ابن عباس: دين الله وكذا روي عن مجاهد[٧]، وأبي العالية[٨]، وعكرمة، وإبراهيم، والحسن، وقتادة[٩]، والضحاك، وعبد الله بن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١٥) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١٣) وفي إسناده كلثوم بن زياد، ضعفه النسائي.
(٣) في «تفسيره» (١٣١٢) وإسناده ضعيف جداً، وعبيد الله بن أبي حميد تركه النسائي وقال أحمد: «ترك الناس حديثه». وقال البخاري: «منكر الحديث، يروى عن أبي المليح العجائب».
(٤) في (ن) و(ى): «يعني».
(٥) في «تفسيره» (١٣٢١) وسنده صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٢)؛ وابن جرير (٢١٢٣) من وجهين عن ابن عباس وكلاهما ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢١١٨، ٢١١٩، ٢١٢٠). [وسنده صحيح].
(٨) أخرجه ابن جرير (٢١١٦). [وسنده جيد].
(٩) أخرجه ابن جرير (٢١١٥) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (١/ ٦٠) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة. وسنده صحيح؛ وأخرجه ابن جرير (٢١١٤) من طريق يزيد بن زريع، والدينوري في «المجالسة» (١٤٦٤) من طريق يزيد بن هارون قالا ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: إن اليهود تصبغ أبناءها يهود، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى وإن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر، وهو دين الله ﷻ الذي بعث به نوحاً والأنبياء من بعده. وسنده صحيح.

كثير[(١)]، وعطية العوفي[(٢)]، والربيع بن أنس[(٣)]، والسدي[(٤)]، نحو ذلك.

وانتصاب ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ إما على الإغراء؛ كقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] أي: الزموا ذلك عليكموه. وقال بعضهم: بدل من قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٠] وقال سيبويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٨] كقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد (ورد)[(٥)] في حديث رواه ابن أبي حاتم[(٦)] وابن مردويه، من رواية أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن نبي الله (ﷺ)[(٧)] قال: «إن بني إسرائيل قالوا: يا موسى، هل يصبغ ربك؟ فقال: اتقوا الله. فناداه ربه: يا موسى، سألوك هل يصبُغ ربك؟ فقال: نعم، أنا أصبُغ الألوان: الأحمر والأبيض والأسود، والألوان كلها من صبغي». وأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾.

كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعاً، وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف، وهو أشبه، إن صح إسناده، [(٨)](تبارك وتعالى) أعلم][(٤)].

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.

يقول الله تعالى مرشداً نبيه (صلوات الله وسلامه عليه)[(٩)] إلى درء مجادلة المشركين: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ أي: أتناظروننا في توحيد الله والإخلاص له والانقياد، واتباع أوامره وترك

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢١٢٨)؛ والدينوري في «المجالسة» (١٤٦٥) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج قال: قال لي عبد الله بن كثير: «صبغة الله» قال: دين الله ومن أحسن من الله ديناً، قال: هي فطرة الإسلام. وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢١٢١) وسنده جيد.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢١١٧). [وسنده جيد].

(٤) أخرجه ابن جرير (٢١٢٢). [وسنده حسن].

(٥) في (ل): «روى».

(٦) أما الحديث المرفوع: فأخرجه ابن مردويه، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (١٠/ ١١٠، ١١١) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، ثنا محمد بن الفضل بن موسى، ثنا أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن سعد الدشتكي، ثنا أبي، عن أبيه، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً. ومحمد بن الفضل بن موسى هو القسطاني ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١/ ٦٠) وقال: «هو صدوق». وقد خالفه أحمد بن القاسم بن عطية، فرواه عن أحمد بن عبد الرحمٰن الدشتكي بهذا الإسناد موقوفاً.

أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٣)، وعنه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٢/ ٤٥٢، ٤٥٣/ ١٣٨) وسياق أبي الشيخ مطول؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٢) من طريق عبد الله بن عمر بن أبان، ثنا زياد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: أيصبغ ربك؟ قال: «نعم صبغاً لا ينقض، أحمر، وأصفر، وأبيض». وهذا سند ضعيف ورفعه منكر. وزياد هو البكائي كان رديء الحفظ، وعطاء هو ابن السائب؛ كان اختلط.

(٧) من (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ى).

(٨) ساقط من (ك).

(٩) من (ل).

زواجره ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ المتصرف فينا وفيكم، المستحق لإخلاص الإلٰهية له وحده لا شريك له! ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ أي: نحن برآء منك، وأنتم برآء منا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [آل عمران] وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ)[1]: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنعام] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٨].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ أي: (نحن)[2] برآء منكم كما أنتم برآء منا، ونحن له مخلصون؛ أي: في العبادة والتوجه. ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية (وإما)[3] النصرانية، فقال؛ ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ يعني: بل الله أعلم، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ الآية والتي بعدها: [آل عمران].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قال الحسن البصري[4]: كانوا يقرؤون في كتاب الله أتاهم: إن الدين (الإسلام)[5]، وإن محمداً رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فيه)[6] تهديد ووعيد شديد؛ أي: (أن)[7] علمه محيط بعملكم، وسيجزيكم عليه.

ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: قد مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي: لهم أعمالهم ولكم أعمالكم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم، من غير متابعة منكم لهم، ولا تغتروا بمجرد النسبة إليهم حتى تكونوا مثلهم منقادين لأوامر الله واتباع رسله، الذين بعثوا مبشرين ومنذرين، فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل، ولا سيما من كفر بسيد الأنبياء، وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين إلى جميع الإنس والجن من سائر المكلفين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين [8][أبداً دائماً إلى يوم الدين ورضي الله عن أصحابه وأصحابهم المتبعين إلى يوم الحشر واليقين][8].

---

(١) في (ل): «ﷺ». (٢) في (ج) و(ل): «ونحن».

(٣) في (ج) و(ل): «أو». ووقع في (ن): (و).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٩) بسند ضعيف؛ وأخرجه ابن جرير (٢١٣٤) من وجه آخر لا بأس به بنحوه.

(٥) في (ج) و(ل): «عند الله الإسلام». (٦) من (ج) و(ل).

(٧) ساقط من (ز) و(ض). (٨) من (ك).

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

دار ابن الجوزي 8428146
161661